

# الشُّكَا

بِعَرَبِيَّةٍ جَدِيدَةٍ وَمَطْبُوعِيَّةٍ

القاضي عياض

أبوالفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي

٥٤٧٣ - ٥٥٤٤

تصحيح

علي محمد البخاري

الناشر

دار الكتب والعربي

الشفافا سن تا ليف ٣٨٨

حديث بندين ابى عالم ٢٠٠



وقد سماه الله تعالى في القرآن ... نوراً وسراجاً منيراً الخ ص ٢١ ص ٢٠

وسماه نوراً؛ فقال: قد جاءكم من الله نور الخ ص ٣٢٦

لما قرشنا كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق آدم بالفى عام الخ ص ١٠٩

وأنت لمتاً ولدت اشرفت الـ أرض وضاءت بنورك الأفق ص ٢١٩

شرب دمه صلى الله عليه وسلم يوم أحد ودم حجامته ص ٨٩

اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ص ٢٢٧ لولا ما خلقتك ص ٢٢٨

رأت أُمي حين حملت بي أنه خرج منها نوراً أضاء له قصور بصري ص ٢٢٦

عبدى أحمد المختار ص ٣٣ إحياء الصوتى من الاطلاع على الغيب ص ٨١

اذا تكلم ربي كالنور يخرج من ثناياه ص ٨٤ قال اهل العلم بطهارة الحديثين ص ٨٨

اذا اراد أن يتخوَّط انشقت الأرض فابتلعت غائطه وبوله ص ٨٨

ان الأرض يبتلع ما يخرج من الأنبياء فلا يرى منه شيء ص ٨٨

لمرأة شربت بوله صلى الله عليه وسلم ص ٩٠ قد ولدتنا ص ٩٠

يُصو (موسى) النملة على الصفا في الليلة الظلماء ... ص ٩٤

قد أتى خزائن الأرض ومفاتيح البلاد ص ١٢٢ و ص ١٢٣

حضرت علي ك وليه كى دعوت ص ١٨ ص ٢٥

بشارت مغفرت ص ٦٧ و ٦٨ و ١٨٦ العجزى فصرى ص ١٨٨

حديث لولاك ص ٢٢٨

٤٢٩

٤٤٠

٤٤١

٤٤٢

٤٤٣

٤٤٤

٤٤٥

٤٤٦

٤٤٧

Marfat.com

# الشُّكَا

بتعريف جُحْفُونِ المِصْطَفِيّ

للقاضي عِيَاضُ

أبي الفضل عِيَاضُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِيَاضِ اليَحْيَظِيّ

٤٧٦ هـ - ٥٤٤ هـ

تحقيق

علي محمد البجاوي

الجزء الأول

الناشر

دار الكتاب العربي

صرب: ٥٧٦٩-١١ بيروت

جميع الحقوق محفوظة  
لدار الكتاب العربي  
١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

دار الكتاب العربي

الرملة البيضاء - ملكارت سنتر - الطابق الرابع تلفون: ٨٠٥٤٧٨/٨٠٠٨١١/٨٠٠٨٣٢

تلکس: ٤٠١٣٩ L.E. كتاب برقيا: الكتاب ص.ب: ٥٧٦٩ - ١١ بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تقديم

كتاب « الشفا » للقاضي عياض من خير الكتب التي عرفت بحقوق المصطفى ؛ فقد أحاط الكتابُ بصفات الرسول عليه السلام ، وما يجب له من حقوق ؛ ونظرة إلى تقديم المؤلف للكتاب ، وبيان أبوابه وفصوله<sup>(١)</sup> ، وسرده لكثير من الحوادث والأخبار ، تنبئ بإحاطة المؤلف بكل الجوانب التي تتصل بصفات الرسول ، وتجلّي لنا سيرة رسولنا النبي الكريم .

وقد اعتمد المؤلف في ذلك كله على الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، يؤيد بها رأيه .

واستدل بأراء المفسرين والمحدثين والفقهاء فيما جاء به .

وأراه قد سار في هذا الكتاب سيرة علمية نادرة ؛ إذ عقد لكل موضوع بابا ، ثم فصل الموضوع في فصول .

وابتدأ كل فصل بإيراد الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وما ورد عن الصحابة والتابعين ، شأن العلماء الأبرار ، والباحثين الأفاضل ؛ ونسب كل حديث إلى راويه ، وكل قول إلى قائله ؛ فجاء كتابه مثلاً أعلى في التنسيق والإحاطة والتوثيق . ولهذا عدّه كثير من أفاضل العلماء وجهابذة المؤرخين والمحققين من خير الكتب في موضوعه ؛ فقد قال عنه المقرئ في أزهار الرياض<sup>(٢)</sup> :

« مما كمل تأليفه رضوان الله عليه كتاب « الشفا » الذي بلغ فيه الغاية القصوى ، وسار صيته شرقاً وغرباً ؛ ولقد لهجت به الخاصة والعامة ، عجماً وعرباً ، ونال به مؤلفه وغيره من الرحمن قرباً .

(١) من صفحة ٨ - ١٢ من هذه المطبوعة للكتاب .  
(٢) أزهار الرياض صفحة ٤٨٢ من مخطوطة الكتاب .

ثم قال :

وفضائل هذا الكتاب لا تستوفى. ولا يمتري مَنْ سمع كلامه العذب السهل المنور في وصف النبي صلى الله عليه وسلم ، أو وصف إعجاز القرآن - أن تلك نَفْحَة ربانية ، ومنحة صمدانية ، خص الله بها هذا الإمام ، وحلّاه بدرها النظيم ؛ وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

وقال ابن جابر<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى :

وقيدت من خط الشيخ الصالح الزاهد أبو الحسين عبيد الله أحمد بن عبد المجيد الأزدي الرندي<sup>(٢)</sup> على كتاب « الشفا » ، وكان نسخه بيده ، ما مثاله :

وقد فزت - والحمد لله - بنسخه وكماه . . . فنسأل الله تعالى أن يجزي مؤلفه خيرا ، ويعظم له بما ألفه . . . فقد جرى رضى الله عنه في ميدان أشرف العلوم جرى السابق ، ونظم في جيد الزمان سالك المعارف ودرر الحقائق ، وسقى بكتاب « الشفا » قلب كل مؤمن صادق ، كما كبت به قلب كل عدو منافق ؛ فإذا طالع المؤمن استنارت في باطنه حقائق أنواره ، وإذا جال في روض معارفه ، تنفست له نفحات نسيمه ، وتبسمت له مباسم أزهاره ؛ فهو كما قال القائل ؛ تعظيما لعملة الكريم ، وتشريفا لحميد آثاره :

كتاب الشفاء شفاء القلوب      قد اثقلت شمس برهانه

إذا طالع المؤمن مضمونه      رسا في الهدى أصل إيمانه

وجال بروض التقى ناشقا      روائح أزهار أفنانه

قال<sup>(٣)</sup> :

ووجدت بخط الشيخ الحافظ الإمام أبي عبد الله محمد بن سعد القاسمي رحمه الله ما نصّه : وتواليف القاضي أبي الفضل رحمه الله دالة على ماله عند الله من الكرامة

(١) أزهار الرياض ٤٨٥ من مخطوطة الكتاب . (٢) توفي ببجاية في نحو التسعين وستمائة .

(٣) أزهار الرياض ٤٨٦ من مخطوطة الكتاب .

والعناية ؛ فمن تأمل انتفاع المسلمين به شرقا وغربا ، علم أن ذلك من أسرار القرب والولاية ، وكتابه « الشفا » هو وسط القلادة ، وبرنامج السعادة ؛ وفيه يقول بعض الفضلاء :

أنس الوحيد وديمة الأنداء ونسيم عرف الروضة الغناء<sup>(١)</sup>  
وذكره في كتاب « مطمح الأنفس » فقال<sup>(٢)</sup> :

هذا وإن كتاب « الشفا » بتعريف حقوق المصطفى كتاب قدره جليل ، وهو على جلالة مصنفه أدل دليل ؛ فإنه أجل أعيان الأندلس ؛ جاء بها على قدر ، وسبق لنيل المعاني وابتدر ، فاستيقظ لها والناس نيام ... وقد وفي بيان ما يجب من آياته ، ونشر على كاهل الدهر ألوية الثناء بين يدي صفاته ، مما يحق له أن يكتب بالنور في صحائف وجنات الحور ، وينقش بقلم العقل معانيه ، ويخط على ألواح الأذهان لأطفال الأرواح مبانيه ، صحف أنزعت بشهد حلا ، في كل ذوق لذلك كان شفا ؛ ولعمري لقد نثر الدر فيهِ من فيه ، وبلغت أمانيه ما كانت تنويه من التنويه ، حديث لو أن الميت نودي باسمه لأصبح حيا بعد ماضيه القبر ...  
وقال القارى<sup>(٣)</sup> :

« كتاب « الشفاء » في شمائل صاحب الاصطفاء أجمع ما صنّف في بابيه مجملا في الاستيفاء . »

وقال في أزهار الرياض<sup>(٤)</sup> :

وقد اعتنى الأئمة بشرح هذا الكتاب والتعليق عليه ؛ فمن شرحه الإمام الرئيس الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق التلمساني ( ٧١٠ - ٧٨١ هـ ) ، شرحا واسعا .  
ومن علق عليه عدة تعاليق الشيخ الإمام محمد ابن الشيخ الرباني الولي الصالح<sup>(٥)</sup> .

(١) وأنشد بعد ذلك في أزهار الرياض شعرا كثيرا في مدح هذا الكتاب لطائفة من الأدباء والعلماء ( ٤٨٦ - ٤٩٠ ) . (٢) شرح الحفاجي : ١ - ٢ (٣) شرح القارى : ١ - ٢ . (٤) أزهار الرياض : ٤٩٠ ، من المخطوطة . والأعلام للزركلى . (٥) سترى بعد بيانا عن شروحه ، وتعليقاته .



وكما اعتنى الناس بذلك اعتنوا أيضا بتصحيحه وضبطه وإتقانه .

\* \* \*

هذا، ومن عنى بشرح هذا الكتاب أيضا :

١ - الشهاب الخفاجي، وقد شرحه شرحا مطولا، أسماء : نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، وقد طبع في أربعة مجلدات . وسأعرفك بهذا الشرح وبمؤلفه بعد .

٢ - الأمل على القاري، وقد شرحه شرحا متوسط الطول، وقد طبع في جزأين كبيرين، وسأحدثك عنه وعن مؤلفه بعد .

٣ - الشيخ حسن العدوي الحزاوي، وقد شرحه شرحا مختصرا، وأسماء المدد الفياض .

وهذا الشرح بمكتبة الأزهر برقم ٥٥٦ خصوصية، وهو مطبوع على الحجر سنة ١٢٨٦ هـ . في جزأين: الأول في ٣٥٠ صفحة، والثاني في ٣١٨ صفحة؛ قال مصححه : هذا شرح المدد الفياض بنور الشفاء للقاضي عياض مولانا الفاضل الأوحى الفريد، والبحر البسيط الوافر المديد، خادم السنة، وضيء الدجنة، الكوثر الراوي، أستاذنا الهام الشيخ حسن العدوي الحزاوي، حفظه الله ونفع به .  
وفي مقدمته :

الحمد لله الذي أبرز من نور جماله نورا اقتبست منه حقائق الكائنات، وشفى به صدور قوم بفتح عين بصائرهم؛ فصاروا هداة رحمةً للمخلوقات، والصلاة والسلام على مفتاح رحمة الموجودات . . . . . وبعد . فيقول أسير الشهوات، وكثير الهفوات، حسن العدوي الحزاوي . بحمد الله من التقصير والمساوي : لأنه لما تواع قاضي بحب طبع بعض كتب قطب الواصلين . . . . . وأخدمه على هامشه من معجمه، ضابطا لبيان ما أجمع عليه الشراح من النسخ الصحيحة، حيث إن أغلب نسخه على كثرتها فيها بعض تحريف، وغـير مضبوطة . . . . . فجمعت ما تيسر من مواده من شروح

وحواش ؛ ليكون ذلك أبلغ في تصحيح نسخة ، وأنبه على ما اختلف فيه بعض الشراح من النسخ ، وأعزوه لصاحبه ؛ وبذلت الوُسْع على تفتيش أصح المتون منه . . . أسأل الله الرحمن الرحيم أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، وأن يطهر قلمي من العوائق والأغيار ، يجاه سيد الأخيار ، وعليه الصلاة والسلام .

ومما وقفت عليه من شروح هذا الكتاب وتعليقاته <sup>(١)</sup> :

٤ - كتاب اسمه « مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا » - تأليف العلامة تقي الدين أحمد بن محمد بن حسن الشمني التيمي الداري الحنفي ، وهو مخطوط بدار الكتب ، ومنه نسخ فيها تحت أرقام : ٣٧٥ ، ٤٢٨ ، ٧٣٦ ، ١٤٥٠ .

٥ - كتاب « المقتفى في حل ألفاظ الشفا » ، تأليف العلامة برهان الدين إبراهيم ابن محمد بن خليل الحلبي سبط ابن المعجمي ، وهو مخطوط بدار الكتب برقم ٢٦٩

\* \* \*

ولما كان القاضي عياض قد اعتمد في مؤلفه « الشفا » على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فقد عني به السيوطي ، وخرج أحاديثه في كتابه « مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا » .

وقد طبع هذا الكتاب في مجلد طبع حجر بالقاهرة سنة ١٢٧٦هـ ، وبها مشه بعض حواش ؛ ومنه نحو عشرين نسخة بمكتبة الأزهر ؛ وقد جاء في مقدمته :

الحمد لله الذي إذا وعد وفى ، إذا أوعد عفا ، والصلاة والسلام على محمد الذي هدى وشفى ، من كان في الضلالة على شفا وعلى آله وأصحابه أولى الفضل والوقا . هذا كتاب نفيس أئتمته ، وتأليف شريف وضعته ، خرجت فيه أحاديث « الشفا » للقاضي عياض تخريجا محررا ، سالكا فيه طريقا موجزا مختصرا ، ولم أستمد فيه من شيء من الكتب المؤلفة عليه ؛ بل اعتمدت فيه على حفظي ونظري ، وراجعت

(١) فهارس دار الكتب المصرية .

الأصول المعتمدة والجوامع ، وسميته « مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا » ، وعلى  
الله الاعتماد ، وإليه الاستناد ؛ وبه الاكتفاء .

وأشير هنا إلى طريقته في التخريج ؛ وأقدم لذلك بعض الأمثلة :  
في خطبة الكتاب :

حديث أبي هريرة : من سئل عن علم فكتمه . . . الحديث أسنده المصنف  
من طريق أبي دواد ، وأخرجه أيضا الترمذي وحسنه ، وابن حبان ؛ والحاكم  
وصححه ، وابن ماجه بسند صحيح ، من طريق محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة .  
وفي صفحة ٧ :

حديث جابر رضى الله عنه : أردنى النبي صلى الله عليه وسلم : فالتقت خاتم  
النبوة بقمي ، فكان يتم على مسكا . . . ابن عساكر في تاريخه .  
حديث : إنه كان إذا أراد أن يتغووط انشقت الأرض . . . الجيهتى ،  
عن عائشة رضى الله عنها ، وقال : موضوع .  
فهو كما ترى يذكر مرجع كل حديث ، ولكن ينتصه تحديد الباب ، أو الصفحة  
من الكتاب ؛ وما كنا ننتظر ذلك منه ومن عصره .  
ولهذا أكلت هذا التخريج بذكر الصفحة في المراجع التي أشار إليها  
ما استطعت إلى ذلك سبيلا ، معتمدا في ذلك على كتب السنة ، وعلى المعجم المفهرس  
لألفاظ الحديث .

### مؤلف الكتاب

هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو<sup>(١)</sup> بن موسى بن عياض بن محمد  
ابن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي .  
وهو من أهل سبته ، وأصله من مدينة بسطة<sup>(٢)</sup> .

(١) وعند ابن الأبار : عمرو - يدان عمرو : ( أزهار الرياض : ٣ - ١٧ ) .

(٢) ووفيات الأعيان : ٢ - ١١٧ .

وكتب القاضي عياض<sup>(١)</sup> بخطه؛ فذكر أنه ولد في منتصف شعبان من سنة ست وسبعين وأربعمائة .

وتوفي<sup>(٢)</sup> رحمه الله بمراكش مغرباً عن وطنه وسط صفة أربع وأربعين وخمسمائة .  
وقدم الأندلس طالبا للعلم ، فأخذ بقرطبة عن جلة علماءها ، وأخذ بالمشرق  
عن القاضي الصديقي ، وعن غيره ، وعنى بلقاء الشيوخ والأخذ عنهم ، وجمع من الحديث  
كثيرا ، وله عناية كبيرة به واهتمام بجمعه وتقييده . . . . .

وقد استقضى ببلده - يعني مدينة سبقة - مدة طويلة حمدت سيرته فيها ، ثم نقل  
منها إلى قضاء غرناطة فلم تطل مدته بها .  
وقال - هو - عن نسب أجداده<sup>(٤)</sup> :

استقر أجدادنا في القديم بجهة بسطة من بلاد الأندلس ، ثم انتقلوا إلى مدينة  
فاس ، وكان لهم استقرار بالقيروان ، فلا أدري أكان قبيل استقرارهم بالأندلس  
أم بعده .

قال :

وكان عمرون والد جد أبي رحمة الله على جميعهم ، رجلا خيرا صالحا ، من أهل  
القرآن ، انتقل من مدينة فاس إلى مدينة سبقة بعد دخول بني عبيد المغرب .  
وقال ابنه القاضي أبو عبد الله بن عياض رحمه الله<sup>(٥)</sup> :

نشأ أبي على عفة وصيانة ، مرضى الحال ، محمود الأقوال والأفعال ، موصوفا  
بالنبيل والفهم والجدق ، طالبا للعلم ، حريصا مجتهدا فيه ، معظما من الأشيخ  
من أهل العلم ، كثير المجالسة لهم ، والاختلاف إليهم ، إلى أن برع أهل زمانه ،  
وساد جملة أقرانه ؛ فكان من حفاظ كتاب الله تعالى ، مع القراءة الحسنة ، والحظ

(١) أزهار الرياض ٥١٥ من مخطوطة الكتاب .

(٢) وأزهار الرياض : ٣ - ١٧ ، وفيات الأعيان : ٢ - ١١٨ ، الصلة : ١ - ٤٥٤ .

(٣) سياتي حديث موسع عن شيوخه .

(٤) الصلة ١ - ٤٥٣ ، أزهار الرياض : ١ - ٢٨ من المطبوعة .

(٥) أزهار الرياض : ٣ - ٢٧ من المطبوعة .

الوافر من تفسيره وجميع علومه ؛ وكان من أئمة الحديث في وقته ، أصوليا متسكلا ،  
فقيها حافظا للغة والأخبار والتواريخ ، حُلُو الدعابة ، صبوراً حلماً ، حسن العشرة ،  
جواداً سمحاً ، دءوباً على العمل ، صليبياً في الحق . . .

وفي أزهار الرياض يتمثل بقول ابن عاصم في وصف عياض (١) :

قد كان - رحمه الله - علم الكمال ، ورجل الحقيقة ، وقاراً لا يخف راسيه ،  
ولا يعرى كاسيه ، وسكوناً لا يُطرق جانبه ، ولا يُرهب غالبه ؛ وحلماً لا تنزل  
حصاته ، ولا تهمل وصاته ، وانقباضاً لا يُتعمد رشمه ، ولا يتجاوز حكمه ؛ ونزاهة  
لا ترخص قيمتها ، ولا تلين عزميتها . . . ؛ وذهنًا لا ينجو نوره ، ولا ينبؤ مطوره ؛  
وفهما لا يخفى فلقه ؛ وحفظاً لا يُسبر غوره ، ولا يذبل نوره . . . وطلباً لا تتجد  
فنونهُ ، ولا تغمين عيونهُ ؛ بل لا تحصر معارفهُ ، ولا تُقصر مصارفهُ . . .

وقال الملاحى (٢) :

كان القاضي عياض رحمه الله بجزء علم ، وهضبة دين وحلم ، أحكم قراءة كتاب  
الله بالسبع ، وبلغ من معرفته الطول والعرض ، وبرز في علم الحديث ، وجل راية  
الرأى ، ورأس في الأصول ، وحفظ أئماء الرجال ، وثقب في علم النحو ، وقيد اللغة ،  
وأشرف على مذاهب الفقهاء وأنحاء العلماء ، وأعراض الأدباء (٣) . . .

وقال المقرئ في أزهار الرياض (٤) :

وكان القاضي أبو النضل كثير الاعتناء بالتهنيد والتحصيل ؛ قال ابن خاتمة :  
كان لا يبلغ شأوه ، ولا يبلغ مداه في العناية بصناعة الحديث ، وتهنيد الآثار ،  
وخدمة العلم مع حسن التفنن فيه ، والتصرف الكامل في فهم معانيه ؛ إلى اضطلاع  
بالأداة ، وتحقيقه بالنظم والنثر ، ومهارته في الفقه ، ومشاركته في اللغة والعربية ؛

(١) أزهار الرياض : ٣-٦ من المطبوعة . (٢) أزهار الرياض : ٣-٧ من المطبوعة .

(٣) وارجع إلى ما قدمناه صفحة ٥ من كلام الحفاجى عنه ، وعن مطمح الأنفس .

(٤) أزهار الرياض : ٨٠٨ من المخطوطة .

وبالجملة فقد كان جمال العصر ، ومفتخر الأفق ، وينبوع المعرفة ، ومعدن الإفادة ؛ وإذا عدت رجالات المغرب فضلا عن الأندلس حسبناه منهم . . .  
وقال :

وكان - رحمه الله - معظما للسنة ، عالما عاملا ، خاشعا قانتا ، قويا للحق ، لا يخاف في الله لومة لائم ، وكان معتنيا بضبط الألفاظ النبوية على اختلاف طرقها ، وكتابه « المشارق » أركى شاهد على ذلك . وكان حاضر الجواب ، حادّ الذهن ، متوقفاً للدكاء ، جامعا للفنون ، أخذ منها بالحظ الأوفر ، وكان بارع الخط المغربي ، حسن العبارة ، لطيف الإشارة ؛ وتآليفه شهادة بذلك .  
وله في الفقه المالكي اليد الطولى ، وعليه المعول في حل ألفاظ المدونة ، وضبط مشكلاتها ، وتحرير رواياتها ، وتسمية رواياتها .  
قال (١) :

وكان القاضي عياض حسن الإلقاء للمسائل ، كثير التحرير للنقول ، وقد انتفع به من العلماء من لا يحصى .  
قال (٢) :

ولما ورد القاضي عياض غرناطة خرج الناس للقاءه ، وبرزوا تبريزا مارأيت  
لأمير مؤمر مثله . . . . .  
وقال (٣) :

وكان القاضي أبو الفضل عياض - رحمه الله - كثير الإنصاف متواضعا ؛ ومما يدل على إنصافه وتواضعه :

كان قاضيا بغرناطة ، وفي مجلسه جماعة من الطلبة والأعيان يسمعون تأليفه المسمى بالشفاء ؛ فلما وصل القاريء إلى هذه الكلمات : « ومن قسم به أقط » - قرأه ثلاثيا ، وكذلك كان في الأم التي كان يقرأ فيها .

(١) أزهار الرياض : ٣ - ١٩ من الطبوعة . (٢) أزهار الرياض : ٣ - ١١ من الطبوعة .  
(٣) أزهار الرياض : ٣ - ١٣ من الطبوعة .

فقال له أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد الأزدي : هذا لا يجوز في هذا  
 للموضع . فقال : ما تقول ؟ قال : إنما هو أقسط ؛ لأن المراد في هذا الموضع « عدل » ؛  
 فالفعل منه رباعيٌّ ، كما قال الله تعالى (١) : « وأقسطوا إن الله يحب المتقسطين » .  
 وأما قسط فإنما هو جار ؛ كما قال تعالى (٢) : « وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطابا » .  
 فتمجيب وقال لمن حضر : إن هذا السكتاب قرأه عليٌّ من العالم ما لا يحصى كثرة ،  
 ولا أقف على منتهى أعدادهم ، وما تنبّه أحد لهذه اللفظة . . .  
 وقال ابن خلكان (٣) :

وللقاضي عياض شعر حسن ؛ فمنه ما رواه عنه ولده أبو عبدالله محمد قاضي دانية ،  
 قال : أنشدني لنفسه في خامات زرع بينها شقائق النعمان هبت عليها ريح :  
 انظر إلى الزرع وخاماته (٤)  
 تحكي وقد ماست أمام الرياح  
 كتيبة خضراء مهزومة  
 شقائق النعمان فيها جراح  
 قال : وأنشد أيضا لأبيه :

الله يعلم أني منذ لم أركم  
 كطائر خانه ريش الجناحين  
 فلو قدرت ركبت البحر نحوكم  
 لأن (٥) بعدكم عنى جنى حينى  
 وله في لزوم ما لا يلزم :

إذا ما نشرت بساط انبساط  
 فعمه - فديتك - فاطو المزاحا  
 فإن المزاح على ما حكاه  
 أولو العلم قبلي عن العلم زاحا

شيوخه

من هؤلاء الشيوخ (٦) :

١ - القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن رشد  
 الفقيه ، ذكره ابن بشكوال .

(١) سورة الحجرات ، آية ٩  
 (٢) سورة الجن آية ١٥  
 (٣) وفيات الأعيان : ٢ - ١٢٦  
 (٤) الحامة : القصبة الرطبة من الزرع .  
 (٥) في المطرب ( ١ - ٨٨ ) : فإن . (٦) أزهار الرياض ٣-٨ ، ٥٩٤ - ١٥٦ من المطبوعة .

٢ - والشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي الشهير  
بإبن الحاج قاضي الجماعة بقرطبة .

٣ - وأبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي المافري  
الإشبيلي ، وكان من أهل التفتن في العلوم متقدما في المعارف كلها .

٤ - وأبو عبد الله بن أحمد بن التغلبي ؛ وهو محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز  
ابن أحمد التغلبي .

٥ - وأبو بكر بن عطية الفقيه الحافظ .

٦ - والشيخ الإمام النحوي الأديب اللغوي أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد  
البطليوسي ، نزيل بلنسية .

٧ - والشيخ أبو علي الجياني ، وهو حسين بن محمد بن أحمد الفسائي الجياني ،  
رئيس المحدثين بقرطبة ، وليس هو منها ، وإنما نزلها أبوه في الفتنة ، وأصله من الزهراء .

٨ - والقاضي الشهير أبو علي الصدفي ؛ وهو حسين بن محمد بن فيثرة بن حبون  
ابن سكرة .

٩ - والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن علي بن سعيد بن عبد الله  
ابن شيرين الجذامي ، من أهل مُرْجِيْق - حصن من حصون شلب .  
قال في أزهار الرياض (١) :

وإذا تتبعنا أشياخ القاضي بالتعريف لم يسع ذلك هذا الموضوع ، فهم نحو المائة .

\*\*\*

وعن أجاز القاضي عياضا ولم يلقه (٢) :

١ - أبو بكر بن محمد بن الوليد الطرشوشي .

٢ - وأبو بكر المازري : محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري ( نسبة إلى  
مازر : بلدة بجزيرة صقلية ) .

(١) أزهار الرياض ٣-١٥٧ من الطبوعة . (٢) أزهار الرياض : ٥٠٤ من المخطوطة .



٣ - وإمام المحدثين أبو الطاهر السلفي : أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم  
الأصبهاني .  
وغيرهم .

### كتبه

من مؤلفات القاضي عياض (١) :

١ - كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى - وقد عرفناك به ، وسنحدثك عن  
نسخه بعد ، وهو الذي نقدمه لك الآن .

٢ - كتاب المستنبطة « في شرح كلمات مشككة ، وألفاظ مغلطة مما وقع في  
كتاب « المدونة » ، لم يؤلف مثله .

وقد غلب على تسميته ببلاد إفريقية وغيرها : « التنبهات » .

٣ - القنية في أسماء شيوخه .

٤ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، وهو غريب

لم يسبق إليه .

٥ - الإلماع في ضبط الرواية وتقييم السماع - سفر .

٦ - إكمال المعلم في شرح مسلم - تسعة وعشرون جزءا .

٧ - الإعلام بقواعد الإسلام .

٨ - بنية الرائد لما تضمن حديث أم زرع من الفوائد .

٩ - المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان - في سفرين .

وغيرها كثير ، وبعضها تركها في البيضة ، أو لم يكملها ؛ ومنها :

نظم البرهان على صحة جزم الأذان . الفنون الستة في أخبار سبته . غنية

الكاتب وبنية الطالب في الصدور والترسيل . تاريخ المرابطين . الجامع للتاريخ .

أجوبة القرطبيين .

(١) أزهار الرياض : ٥٠٤ من المخطوطة .

## نسخ الكتاب

حين صَحَّ عزمي على إخراج هذا الكتاب القيمِّ محققاً ، بحثت عن نسخه الخطية ، فوجدت فيضا من النسخ لم أجده لكتاب ؛ ففي مكتبة الأزهر نحو ٤٩ نسخة خطية ، وفي دار الكتب ٤٢ نسخة ؛ صحيح أن بعضها مكرر في المكتبتين ، ولكنني لم أر مثل هذا العدد من المخطوطات لكتاب .

وكان لابد من الاختيار من هذا الفيض المادِّ من النسخ ؛ ووقع اختياري - بعد البحث والموازنة - على نسختين ، رأيت أنهما أفضل النسخ المخطوطة لهذا الكتاب ، ورمزت إلى الأولى بالحرف ( أ ) ، وللثانية بالحرف ( ب ) ، وهما بمكتبة الأزهر ، وأحدثك عنهما في إيجاز :

١ - النسخة ( أ ) رقمها ٧٥٦ حديث ، وعدد أوراقها ٢٨٦ ورقة ، في ١٧ سطرا ، وخطها نسخي جميل ، وأول صفحة منها مذهبة ، وعنوان الكتاب فيها : كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم . تأليف الشيخ الإمام ، العالم المحدث ، الزاهد العلامة القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رحمه الله .

وقبل هذه الصفحة صفحة كتب عليها : وقف هذا الكتاب - وهو متن الشفا - عبد البر ابن المرحوم العلامة الشيخ أحمد منة الله على أهل العلم بالأزهر ، وجعل مقره بالكتبخانة الأزهرية في رجب سنة ١٣١٦ هـ . كاتبه الفقير عبد البر أحمد منة الله المالكي الأزهرى عفا الله عنه .

وفي صفحة ٢٥ من هذه النسخة كتبت هذه العبارة :

بلغ مالكمها يوسف بن شاهين سبط أحمد بن علي بن حجر قراءة على الشيخ شمس الدين الرشيدى ، والجماعة سماعا في الأول والقراءة في النسخة الموقوفة . . . في ذى الحجة سنة ٨٤٠ هـ .

وفي آخر هذه النسخة :

تم كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم ، على يد أضعف خلق الله تعالى وأحوجهم إلى لطفه الخفي أحمد بن علي بن محمد الحنفي ، عفا الله عنه ، وعن والديه ، وعن قرأه أو نظر فيه أو سمعه ، ودعاه بالعفو والمغفرة ، وجميع المسلمين ، وذلك في يوم الاثنين الثالث عشر من شهر شوال المبارك من شهر سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، أحسن الله تقضيها . الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

وبجانب الصفحة :

الحمد لله ، أنها قرأه في شهر رمضان عام خمسة وخمسين . . . أبو الوفا محمد ابن خليل بن إبراهيم الحنفي ، عفا الله عنه ، داعيا لما لك بطول البقاء .  
ثم :

إجازة : الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله .

أما بعد فقد سمع جميع كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم تأليف القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض البيهقي رحمه الله تعالى ، على شيخنا الإمام المسند المكثّر فقير رحمة ربه ، شمس الدين أبو عبد الله محمد الإمام جمال الدين عبد الله ابن الشيخ شمس الدين محمد العلامة برهان الدين إبراهيم بن . . . الرشيدى . . . قبل موته قيل له : أخبرك العلامة تقي الدين أبو الفتح محمد بن أحمد ابن حاتم ، وعلاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن السبع . . . . . وأجازه للأخيرين بقراءة كاتبه يوسف بن شاهين الكركي سبط أحمد بن علي ابن حجر في مجالس عدتها تسعة عشر مجلسا آخرهم ! يوم الخميس ثامن عشر من شهر صفر عام خمسين وثمانمائة .

قال ذلك ، وكتب يوسف الشافعي حامدا ومصليا ، ومسلما ومحسبا ومحوقلا .

وبعدہ :

الحمد لله على الدوام والصلاة على ... الأنام والسلام . القراءة والسماع والإجازة كل صحيح ، نفع الله تعالى به ونفع بهم . . . وكتبه محمد بن عبد الله بن محمد . . . وصلى الله تعالى على السيد الكامل سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وهذه النسخة مضبوطة ضبطاً متقناً ، وعليها تعليقات هامة ، وهي صحيحة كاملة ، وعلى هامشها ما يدل على قراءتها ومراجعتها ؛ فهي نسخة أصيلة موثقة ، خالصة مما يشوبها أو ينقص من قيمتها .

٢ - النسخة ( ب ) في ٢٣٧ ورقة ، بقلم معتاد قديم بخط أبي بكر أحمد الجمفرى سنة ٧٨٥ هـ ، ومسطرتها ١٩ سطراً ، ورقمها في المكتبة الأزهرية ٢٠١ حديث .  
وفي الصفحة الأولى منها : هذا كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم تصنيف القاضى الإمام الحافظ أبى الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبى .

وهذه النسخة مضبوطة ضبطاً كاملاً ، وفي هامشها بعض تعليقات ، وبعض تفسير للكلمات ، وتدوين لاختلاف النسخ ، وتعليق .  
وفي صفحة ٦٢ من هذه النسخة :

الحمد لله . بلغ الشيخ العالم الصالح خالد بن عبد الله اليماني نفع الله به ، قراءة على على الفقير ، من أول هذا الكتاب إلى هنا . وأجزته أن يروى عنى جميع هذا الكتاب ، وما يجوز لى ، وعلى روايته كشرطه عند أهله . وكتبه محمد بن أبى اللطف .  
وكثيراً ما تقرأ على هامش الصفحات مثل هذه العبارات :

بلغت مقابلة . بلغت مقابلة رابعة . بلغ قراءة والجماعة سماعاً فى المجلس .

مما يدل على قراءة هذه النسخة ومقابلتها وأصالتها .

وجاء في آخر هذه النسخة :

بلغ مقابلة وتصحيحا على نسخ عديدة معتمدة بحسب الطاقة والإمكان ، والله  
الحمد ...

وذلك بتاريخ مستهل جمادى الآخرة المبارك سنة تسعين وسبعمائة من الهجرة  
النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وذلك بالمسجد المعروف . . . . داخل  
حلب المحروسة .

وبعد :

الحمد لله . قرأت جميع الشفا بحق المصطفى ، تأليف الإمام الحافظ أبي الفضل  
عياض بن موسى اليحصبي القاضى ، على سيدنا ومفيدنا الإمام الحافظ رحلة المحدثين ،  
بركة المسلمين ، مفيد الطالبين : محي الدين أبي زكريا يحيى ابن الشيخ جمال الدين  
يوسف بن شرف الدين بن يعقوب بن أحمد ابن الشيخ . . . الرحبي الشافعى ، بحق  
سماعه من الشيخ الإمام نجم الدين يوسف بن زين الدين محمد بن أبي الفتوح القرشى ،  
عرف بالدلاصى ، بسماعه من الشيخ الزاهد تقي الدين أبي الحسن يحيى ابن الشيخ  
الإمام أبي العباس أحمد بن محمد بن حسن اللوائى عرف بابن . . . بإجازته من الشيخ  
الإمام الحافظ أبي الحسين يحيى بن محمد بن علي الأنصارى الشهير بابن الصائغ بإجازته  
منه ؛ فذكره عن نفسه وعن شيوخه ، وذلك فى أربعة مجالس آخرها نهار السبت  
مستهل صفر بمنزل . . . . داخل دمشق المحروسة .

وأجاز لى ما يجوز له روايته .

قال ذلك وكتبه أبو بكر بن أحمد بن عمر الجعفرى المعجلوى ، ثم الحلبي من  
شهور سنة إحدى وتسعين وسبعمائة .

وبعد :

صحيح ذلك . وكتب : يحيى بن يوسف الرحبي الشافعى .

وفي أعلى هذه الصفحة الأخيرة :

بلغ مقابلة على عدة نسخ معتمدة أيضا حسب الطاقة . والله الحمد والمنة ، وذلك في الثاني والعشرين من رمضان المعظم بالزاوية البسطامية بظاهر حلب المحروسة في سنة . . . وسبع . . .

\* \* \*

ومن هذا البيان نستطيع أن نلم بما حملني على اختيار هاتين النسختين دون غيرها من النسخ الكثيرة للكتاب ؛ فكل منهما قد قوبلت على عدة نسخ ، وعلى كل واحدة منهما إجازة أو إجازات ، وما يدل على قراءتها ومراجعتها على نسخ كثيرة .

### عملي في الكتاب

١ - راجعت الكتاب على المخطوطتين السابقتين ، وأثبت الخلاف بينهما - إن كان - في هوامش الكتاب .

٢ - ترجمت لبعض الأعلام ، التي رأيت أن القارئ قد يفيد من ترجمتها .

٣ - خرّجت الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والشعر .

٤ - وضعت للكتاب فهرس فنية متنوعة ، تساعد على الإفادة منه ، والرجوع إلى مسأله .

٥ - علقت على الكتاب تعليقات تساعد القارئ على الفهم ، وتعاونته في الكشف عن المعاني الدقيقة ، والإشارات التي وردت فيه .

وقد استعنت في هذه التعليقات بروافد ثلاثة ، كانت خير مدد لي فيما قصدت إليه من تسهيل لفهم الكتاب وشرح لراميه :

(١) وأول هذه الروافد شرح الشهاب الخفاجي للكتاب ، وهو الذي أسماه : نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض .

والشهاب الخفاجي ( ٩٧٧ - ١٠٦٩ هـ ) هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر

الخفاجى المصرى ، ولد سنة سبع وسبعين وتسعمائة، لأب كان من خيرة علماء عصره،  
هو محمد بن عمر الخفاجى .

وقد نشأ الشهاب فى كنف أبيه يعلمه ويؤدبه ، وعليه تخرج فى كثير من الفنون،  
ثم انطلق إلى رحاب أوسع، فدرس النحو، وعلوم العربية على خاله أبى بكر بن إسماعيل  
ابن شهاب الدين الشنوائى المتوفى سنة تسع عشرة بعد الألف ، ثم درس المنطق ،  
وبقية علوم العربية ، وكتب المذهبين : الحنفى والشافعى .

وقرأ « الشفا » بتمامه على جمال الدين إبراهيم العلقمى المصرى، وأجاز به وبغيره  
وله من المؤلفات : أمالى الشهاب الخفاجى . شرح الفرائض . حديقة السمر .  
خبايا الزوايا فيما فى الرجال من البقايا . ديوان الأدب . ريحانة الألبا . شرح درة  
الفواص . شفاء الفليل . نسيم الرياض فى شرح شفاء القاضى عياض . وهو كتابنا  
الذى نقدمه لك .

وقال فى مقدمة شرحه (١) :

هذا ، وإن كتاب « الشفا » بتعريف حقوق المصطفى كتاب قدره جليل ، وهو  
على جلالة مصنفه أدل دليل . . . فلما كنت قديما وحديثا يحثنى حادى الشوق نحوه  
حديثا . . . وكان يصدنى عنه ما فى الباع من القصر ، وزمان لا يعرف فيه ورد من  
صدر .

فلما رأيت له شروحا ربما تنشرح لها الصدور وإن لم تخزل قصورها المشيدة من  
قصور ، وفى بعضها أغاليط وتطويل ممل وتخليط ، إلا أن تتليد الناس لى صريح  
ندائها ، والبحث قد أمّن على دعائها ؛ فسوّدت بعض الأمالى رجاء لأن يبيض بها  
صحف أعمالى . . . ثم عرض لى بفتة ما عرض ، مما أضرّ بجوهر القوى من العرض ،  
فقصدت شفاء الروح والبدن بإسناد الجسم الصحيح لحديثه الصحيح الحسن ، رجاء  
الظفر بسعادة الدارين . . . وسميته نسيم الرياض فى شرح شفاء القاضى عياض .

(١) نسيم الرياض : ١-٢

ثم ذكر سنده في هذا الكتاب إلى القاضي عياض .

وقد طبع هذا الكتاب في أربعة مجلدات سنة ١٢٦٧ هـ ، سنة ١٣١٢ في استامبول ، وطبع في القاهرة بالمطبعة الأميرية في أربعة مجلدات أيضا سنة ١٣٢٥ هـ . وكان هذا الشرح نَبعا استقيتُ منه كثيرا من التعليقات ، مثبتا في كل ما نقلته عنه مرجعي هذا .

وهو شرح مستفيض لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وقف عندها ، وأفاض في بيانها .

وهو يترجم لكثير من الرجال ، ويشير إلى اختلاف النسخ ، ويخرج الأحاديث ، معتمدا على « مناهل الصفا » للسيوطي ، وسأعرفك به قريبا .

(ب) وثاني هذه الروافد : شرح الملا علي القاري على هذا الكتاب ( ١٠١٤ هـ .

١٦٠٦ م ) .

وهو علي بن محمد<sup>(١)</sup> سلطان الهروي المعروف بالقاري ؛ وهو فقيه حنفي من صدور العلم في عصره . ولد بهراة . وسكن مكة ، وتوفي بها .

قيل : كان يكتب في كل عام مصحفا ، وعليه طرر من القراءات والتفسير فيبيحه فيكفيه قوته من العام إلى العام .

وصنف كتباً كثيرة منها تفسير للقرآن في ثلاثة مجلدات ، والأثمار الجنية في أسماء الحنفية . وبداية السالك . وشرح مشكلات الوطأ ، وشرح الشائل ، وشرح الشفا ، وهو الذي تقدمه لك .

وهذا الشرح طبع في الآستانة سنة ١٣١٦ هـ في مجلدين كبيرين ، كما طبع في بولاق سنة ١٢٥٧ هـ وقال في مقدمته<sup>(٢)</sup> :

أما بعد فيقول أفقر العباد إلى كرم ربه الباري علي بن سلطان محمد القاري :

(١) وورد اسمه على كثير من كتبه : علي بن سلطان .

(٢) شرح القاري : ١ - ٢



لما رأيت كتاب الشفاء في شمائل صاحب الاصطفاء ، أجمع ما صنف في بابيه مجملا في الاستيفاء ، لعدم إمكان الوصول إلى انتهاء الاستقصاء ، قصدت أن أخدمه بشرح يشرح بعض ما يتعلق به من تحقيق الإعراب والبناء ؛ رجاء أن أسلك في سلك مسالك العلماء يوم الجزاء ؛ فأقول ، وبالله التوفيق .

وهذا الشرح في نحو ١٥٠٠ صفحة من القطع الكبير ، وهو يفسر العبارات ، ويترجم للأعلام ، ويشير إلى اختلاف النسخ ، ويضبط - بالحروف - ما يحتاج إلى ضبط ؛ ولكن لا يهتم كثيرا بتخريج الأحاديث .

وعبارته واضحة مشرقة ، فيه هداية للقارىء وملجأ للباحث .

( ج ) أما الثالث والأخير فهو كتاب « مناهل الصفا » للسيوطى ، وهو مطبوع

طبع حجر سنة ١٢٧٦ هـ .

والسيوطى عبد الرحمن بن أبى بكر ، غنى عن التعريف ، فهو عالم ، فقيه ، مفسر ، مؤرخ ، لغوى ، له مؤلفات قيمة في فروع العلم . ولد بالقاهرة سنة ٨٤٩ هـ وتوفى بها سنة ٩١١ هـ .

\* \* \*

ومن هذه الروافد الثلاثة وغيرها من كتب اللغة ، والأدب ، والتاريخ ، والحديث ، والتفسير<sup>(١)</sup> ، قيدت تعليقاتى على الكتاب ؛ فكان في حلته الجديدة جامعا لزيادة ما في هذه الشروح ؛ مما يساعد على الإفادة من الكتاب .

\* \* \*

وهأنذا أقدمه إلى القراء ، محققا تحقيقا فنيا أول مرة ، مع تعليقاته التى تشرح ألفاظه ، وتفسر عباراته ، وتوضح مراميه ، وتخرج آياته وأحاديثه وتكمل رواياته ، وتفصل إشارات ، مختمة بفهارس فنية متنوعة تساعد على الرجوع إلى مسأله .

(١) ترى ذلك في الفهرس الخاص بمراجع الضبط والتحقق والشرح في آخر الكتاب .

والله أسأل أن يجنبني الزلل ، ويوفقتني إلى الصواب ، وينفع به بقدر ما قصدت  
من خير ، وما أردت من نفع .

على محمد البجاوى

مصر الجديدة { غرة المحرم سنة ١٣٩٨ هـ  
ديسمبر سنة ١٩٧٧ م

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

اللهم صل على محمد وآله وسلم .

قال الفقيه القاضي الإمام الحافظ أبو الفضل عيَّاضُ بن موسى بن عيَّاض اليحصبي (٢) رضى الله عنه: الحمد لله المتفرد (٣) باسمه الأسمى (٤)، المختص بالملك الأعز الأسمى (٥)، الذى ليس دونه منتهى، ولا وراءه مرعى (٦)، الظاهر لا تخيلاً وورثاً (٧)،

(١) فى ب : زيادة : وبه نستعين .

(٢) هو مؤلف الكتاب . وفوق كلمة « اليحصبي » فى ا : « معا » ، وضبطت بالحركات الثلاث . وقال القارى : اليحصبي بثلاث الصاد ، والفتح أخف ، وهو نسبة إلى يحصب بن مالك : قبيلة من حمير باليمن . وقال : لاشك أن هذا الإدخال من المقال صدر من بعض أرباب السكال من تلاميذ المصنف ، أو من بعده .

(٣) فى ب : المنفرد . وهما بمعنى التوحيد الممتاز عن المشاركة .

(٤) الأسمى : الأعلى ؛ من السمو ؛ وهو العلو ، والارتقارح ؛ أى الممتاز عن المشاركة فى اسمه الأعلى .

(٥) الأعز : من العز والمنعة . والعز : حالة مانعة للإنسان عن أن يهان أو يقهر ويظلم . والأسمى : من حميته ، إذا صنته ؛ أى هو فى غاية المنعة ، ونهاية الحماية بحيث لا يقربه أحد أولاً وآخرًا .

(٦) أى ليس بعد الله لطالب مطلب ؛ لأن العقول وقفت ثمة ، فليس وراء الله ، ولا وراء معرفته ، والإيمان به - غاية تقصد . وأصل المرمى : الغرض الذى يرمى إليه ، وإليه ينتهى سهم الرامى ، وبه يحوز سبق ، كما أنه إلى الله تنتهى العقول ، وتقف ؛ فليس وراء معرفته والإيمان به مامتس ولا غاية يرمى إليها .

(٧) يعنى أن ظهوره تعالى - والظاهر الذى علم بالبصيرة ، أو الغالب - محقق مكشوف للعقول ، ويقين صادق عند من له بصيرة لقيام الأدلة القاطعة والبراهين البينة الدالة على وجوده ووحدانيته ، لا بحسب التخيل والوهم والظن . وفى ب : ولا وهما .

الباطن تَقَدُّسًا لَا عُدْمًا<sup>(١)</sup> ، وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا<sup>(٢)</sup> ، وَأَسْبَغَ عَلَى أَوْلِيَائِهِ نِعْمًا عُمًّا<sup>(٣)</sup> ، وَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، أَنْفُسَهُمْ عُرْبًا وَعُجَمًا<sup>(٤)</sup> ، وَأَزْكَاهُمْ مَحْتَدًا وَمَنْمَى<sup>(٥)</sup> ، وَأَرْجَحَهُمْ عَقْلًا وَحِلْمًا<sup>(٦)</sup> ، وَأَوْفَرَهُمْ عِلْمًا وَفَهْمًا<sup>(٧)</sup> ، وَأَقْوَاهُمْ يَتِيمًا وَعَزَمًا ، وَأَشَدَّهُمْ رَأْفَةً وَرُحْمَى<sup>(٨)</sup> ، وَزَكَّاهُ رُوحًا وَجَسْمًا<sup>(٩)</sup> ،

(١) الباطن : الذى لا يدرك بالأبصار إدراك إحاطة ؛ والمراد أنه ظاهر بكثرة الأدلة وقوتها وبنعوت ذاته وأفعاله التى لا تخفى . باطن خفى عن إدراك كنه ذاته وحقيقة صفاته . والتقديس : الطهارة والتنزه . أى لتنزهه عن أن يحيط أحد بكنهه ، هذا إن أريد بالباطن الخفى عن البصر فى الدنيا . والعدم : الفقد .

(٢) وسع كل شىء رحمة وعلما : أى أحاط بكل شىء رحمة وعلمه ؛ فإن كل شىء لا يستغنى عن رحمة إيجادا وإمدادا ، وعلمه شامل للجزئيات والكلديات .  
(٣) وأسبغ : أتم وأكمل . والأولياء : جمع ولى . عما : جمع عميمة ، أى عامة ، شاملة تامة .

(٤) أنفسهم - بضم الفاء : جمع نفس . والمراد أنه من جنس البشر ؛ وإنما امتاز عنهم بالرسالة والخصائص المودعة التى أهله الله تعالى بها لأن يكون أهلا لأمانته . وأنفسهم - بفتح الفاء : من النفاسة ، ونفس - بضم الفاء : صار مرغوبا فيه ؛ فهو نفيس عظيم فى النفوس يحرص عليه . وقيل الأنفس الأعلى والأشرف ، والأفضل .

(٥) أزكاهم : أكثرهم وأطهرهم . والمحتد : الأصل . منمى : نسيا أو نموا وزيادة ، وارتقاء . والمراد أنه صلى الله عليه وسلم أشرف العرب والعجم ، وأعظمهم نسبا ، وحسبه ونسبه الذى انتهى إليه أزكى وأشرف من جميع الأنساب .

(٦) أرجحهم : رجحان العقل : زيادته . والحلم : قوة توجب الصبر على الأذى ، وضبط النفس عن هيجان الغضب .

(٧) وأوفرهم : أكثرهم وأتمهم .

(٨) فى ا ، ب : ورحمى - مقصور . والرحم ، والرحمى : الرحمة ، والعطف ، والشفقة وهو تميم بعد تخصيص .

(٩) زكاه : التزكية : التطهير ، والزيادة ؛ أى خلقه الله زائدا على من سواه ، منزها عن دنس البشرية ، وجعله فى أكمل تقويم وأحسن صورة .

وَحَاجَاتُهُ عَيْبًا وَوَضْمًا<sup>(۱)</sup>؛ وَأَتَاهُ حِكْمَةٌ وَحُكْمًا<sup>(۲)</sup>، وَفَتَحَ بِهِ أَعْيُنًا عُمِيًّا، وَقَلُوبًا غُلْفًا<sup>(۳)</sup>، وَأَذَانًا صُمًّا؛ فَأَمَّنَ بِهِ وَعَزَّرَهُ<sup>(۴)</sup>، وَنَصَرَهُ مَنْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ فِي مَغْنَمِ السَّعَادَةِ قِسْمًا<sup>(۵)</sup>، وَكَذَّبَ بِهِ وَصَدَفَ عَنْ آيَاتِهِ مَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ الشَّقَاءَ حَتْمًا<sup>(۶)</sup>، وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى<sup>(۷)</sup>. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةً تَنَمُّوُ وَتَنَمِّي<sup>(۸)</sup>، وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا [كثيْرًا]<sup>(۹)</sup>.

أَمَا بَعْدُ أَشْرَقَ اللَّهُ قَلْبِي وَقَلْبِكَ بِأَنْوَارِ الْيَتِيمِينَ، وَلَطَفَ لِي وَلَكَ بِمَا لَطَفَ لِأَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ شَرَّفَهُمُ اللَّهُ بِنُزُلِ قُدْسِهِ<sup>(۱۰)</sup>، وَأَوْحَشَهُمُ مِنَ الْخَلْقِ بِأَنْسِهِ<sup>(۱۱)</sup>،

- (۱) حاشاه: جنبه، ونزهه، وبرأه. والوصم: كل عيب، وعار.
- (۲) آتاه: أعطاه. والحكمة: العدل، والنبوة، والكلام الحق. وحكما: قضاء وفصلا للأمر على الحق.
- (۳) غلفا: جمع أغلف؛ أي مغطى. وممناه أن قلوبهم كانت محجوبة عن الهداية، فأزال النبي صلى الله عليه وسلم حجباها، وكشف غطاءها حتى اهتدت.
- (۴) عززه: وقره، وعظمه، وأعانه.
- (۵) مغنم: بمعنى النعم والغنيمه، وهي ما يفتنم من كل شيء. قسما: حظا ونصيبا.
- (۶) صدف عن آياته: أعرض عن تدبير علامات نبوته.
- (۷) في هذه: في الدنيا. قال القارى: والمعنى: من كان في الدنيا لا يبصر طريق هدايته لا يري في العقبى سبيل عنايته.

- (۸) تنمو: تزيد: وتنمى: ترفع. وفي ب. وتنمى - بالبناء للمجهول، من الإنماء؛ أي وزيدها الله، أو يزيد ثوابها أبدا، والمعنى تزيد في نفسها أو يزداد فيها.
- (۹) من ب. قال القارى (۸): وهو مغل بالسجع المرعى في الفواصل.
- (۱۰) النزل - بضمين، ويسكن الثانى فيها (وهما بالسكون فى ا، ب): الفضل والكرامة. والقدس: من أسماء الله تعالى، بمعنى المنزه عما لا يليق به. والمنزل والنزل: ما يهيا للضيف من الكرامة، والبارك. وقدس الله: الجنة؛ أي شرفهم بإكرامه لهم فى جنته؛ أي بإسكانه إياهم فيها؛ وخصهم بتشريفه، وعلو منازلهم، وتطهيره لهم عن النقائص.
- (۱۱) أوحشهم: جعلهم فى وحشة ونفرة عما لا يلائم. والخليقة: الخلق. والأنس: ارتفاع العشمة مع وجود الهيبة. يعنى أن أنسهم بالله واستغراقهم فى مشاهدته تبعدهم عن سواه.

وخصّهم من معرفته ومشاهدة [ ٢ ] عجائب مذكّوته وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم  
حبرة ، وولّه عقولهم <sup>(١)</sup> في عظّمته <sup>(٢)</sup> حبرة ؛ فجعلوا همّهم به واحداً <sup>(٣)</sup> ، ولم يروا  
في الدارين غيره [ مشاهدا ] <sup>(٤)</sup> ؛ فهم بمشاهدة جماله وجلاله <sup>(٥)</sup> يتنعمون ، وبين  
آثار قدرته وعجائب عظّمته يتردّدون ، وبالانتطاع إليه أو التوكل عليه يتعزّزون <sup>(٦)</sup> ،  
لهجين <sup>(٧)</sup> بصادق قوله <sup>(٨)</sup> : ﴿ قُلِ اللَّهُ ، ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ <sup>(٩)</sup> .

فإنك <sup>(١٠)</sup> كرّرت على السؤال في مجموع <sup>(١١)</sup> يتضمّن التعريف بقدر المصطفى عليه  
[ الصلاة ] <sup>(١٢)</sup> والسلام ، وما يجب له من توقير <sup>(١٣)</sup> وإكرام ، وما حُكّم من لم يوفّ

(١) حبرة : مسرة . والوله : الحزن أو ذهاب العقل ؛ أي جماعها والهة متحيرة بتدبرها  
وتشكرها في عظّمته . (٢) في ب : من عظّمته .

(٣) الهم : العزيمة ، والإرادة ، والقصد ، وكل مطلوب همك ويعنيك . والمراد أنهم  
لما شاهدوا باهر قدرته تحيرت عقولهم في كبرياء عظّمته ، وعلموا أن ماسواه كلاً شيء ، فوجهوا  
جميع وجوه الإرادة والعزيمة إليه ، وجعلوا قبلتهم واحدة ؛ فلا مراد لهم سواه ، لاشتغالهم  
به عما عداه .

(٤) ليس في ١ . قال القارى : لعل بعض أرباب النسخ استنكر لفظ « مشاهدا » فأسقطه  
مع أنه لا يتم بدونه التسجيع .

(٥) في ب : كماله . والجلال : العظمة ؛ يعني أنهم يشاهدون جمال ربهم ، وأنوار ذاته  
بعيون البصائر في الآخرة ، فيكونون بذلك في نعم .

(٦) يتعزّزون : التعزز : تفعل من العز ، ضد الذل ، ويكون بمعنى القوة .

قال القارى : وفيه إشارة لطيفة إلى أنهم إلى غيره لا يتذللون ، لأنهم بما آتاهم الله تعالى

يرضون ويقنعون . (٧) لهجين : ملازمين مداومين ، مولعين ، متمسكين .

(٨) سورة الأنعام ، آية ٩١

(٩) يعني أن هؤلاء المخلصين لله المختصين به الذين شغلوا ظاهرهم وباطنهم بحبته ، وردهم

دائماً ذكر الله والإعراض هما سواه ، متمثلين بهذه الآية .

(١٠) فإنك جواب « أما » في : « أما بعد » التي سبقت .

(١١) مجموع : كتاب يجمع فيه صنّف من الشئائل النبوية ، ومؤلف اجتمع فيه نوع من

الفضائل المصطفوية . (١٢) ليس في ب . (١٣) توقير : تعظيم ، واحترام .

واجب<sup>(١)</sup> عظيم ذلك القدر ، أو قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر<sup>(٢)</sup> ؛ وأن أجمع لك ما لأسلافنا وأئمتنا في ذلك من مقال ، وأبينه<sup>(٣)</sup> بتزيب صور وأمثال .

فاعلم - أكرمك الله - أنك حملتني من ذلك أمراً<sup>(٤)</sup> إمرأ<sup>(٤)</sup> ، وأرهقتني فيما ندبتني إليه عسراً<sup>(٥)</sup> ، وأرقتني بما كلفتني مرتقى صعباً ، ملأ قلبي رعباً<sup>(٦)</sup> ؛ فإن الكلام في ذلك يستدعي تقرير أصول وتحرير فصول ، والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق<sup>(٧)</sup> ، مما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم ويضاف إليه ، أو يمتنع أو يجوز عليه ، ومعرفة النبي والرسول ، والرّسالة والنبوة ، والمحبة والخلة<sup>(٨)</sup> ، وخصائص هذه الدرجة العلية ، وما هنا مهامه فيح تحار فيها القطأ ، وتقصربها الخطأ<sup>(٩)</sup> ؛

(١) في ب : يوف - بتخفيف الفاء . ويوف : يتم ويكمل .

(٢) قلامة ظفر : تقصيراً قليلاً بتقدير قلامة الظفر . والظفر للإنسان معروف . والقلامة : ما قطع منه . وقلامة الظفر كناية عن القلة والحقارة .

(٣) بتزيب صور : بتصوير صور وأمثال ، وتقرير محامل يزول به الإشكال ، إيضاحاً للمعنى ، وإيضاحاً إلى الذهن في المبني .

(٤) إمرأ : عظيماً ، أو عجبياً ، أو شاقاً ؛ أي كلفتني أمراً عظيماً ؛ أو عجبياً طاب به مني ؛ لأنني لست بأهل له ؛ وفيه تواضع وهضم لنفسه .

(٥) الإرهاق : تكليف ما لا يطاق . ندبتني إليه : طابته مني ودعوتني إليه . عسراً : أمراً عسيراً . (٦) رعباً : خوفاً وفزعاً .

(٧) في ب : والكشف عن دقائق غوامض من علم الحقائق .

(٨) الخلة : الصداقة ( القاموس ) .

(٩) مهامه : جمع مهمه ؛ وهو القفر والمفازة البعيدة . فيح : جمع أفيح أو فيحاء ، وهي الأرض الواسعة . والقطأ : جمع قطاة ، طائر ؛ وتوصف بسرعة الطيران والاهتداء في الظلمات والتبكير . ويضرب بها المثل فيقال : أهدى من القطأ . والمعنى أن هذه المهامه مع سعتها وكونها لا يعلمها سالكها ، أو لكونها وعرة ذات شوك وصخور تمنع الماشي فيها من مد الخطأ . والمراد صعوبة ما كاف به . وفي أ : وتقصير - بالبناء للمجهول .

وَمَجَاهِلٌ تَضِلُّ فِيهَا الْأَحْلَامُ<sup>(١)</sup> إِنْ لَمْ تَهْتَدِ بِعِلْمٍ وَعِلْمٌ سَدِيدٌ؛ وَمَدَاحِضٌ تَزَلُّ<sup>(٢)</sup> بِهَا الْأَقْدَامُ<sup>(٣)</sup> إِنْ لَمْ تَعْتَمِدْ عَلَى تَوْفِيقٍ مِنَ اللَّهِ وَتَأْيِيدٍ .

لكني لما رجوتُه لي ولك في هذا السوءِ الِ والجوابِ من نَوَالٍ وثوابٍ<sup>(٣)</sup> ، بتعريف قدره الجسيم ، وخلقته العظيم ، وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبلُ في مخلوق ، وما يُدَانُ اللهُ تعالى<sup>(٤)</sup> به فمن حقه الذي هو أرفعُ الحقوقِ ، لِيَسْتَيْقِنَ<sup>(٥)</sup> الذين أوتوا الكتابَ ، وَيَزِدَادَ الذين آمنوا إيماناً ، ولما أخذ اللهُ تعالى على<sup>(٦)</sup> الذين أوتوا الكتابَ لِيُبَيِّنُنَّهُ للناس ولا يَكْتُمُونَهُ ؛ ولما حدثنا به أبو<sup>(٧)</sup> الوليد هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه ؛ قال : حدثنا الحسين بن محمد ، حدثنا أبو عمر النمرى<sup>(٨)</sup> حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن<sup>(٩)</sup> ، حدثنا أبو بكر محمد<sup>(١٠)</sup> بن بكر ، حدثنا سليمان

(١) تضل بها الأحلام : تضل : لا تهتدي . والأحلام : العقول .

(٢) مداحض : مزلق . تزل : تزلق .

(٣) النوال : العطاء . والثواب : الجزاء . (٤) يدان الله : يعبد ويطاع .

(٥) استيقن : علم علماً محققاً لاشبهة فيه . أي يتيقن أهل الكتاب حقيقة رسالته ، ويزداد

إيمان المؤمنين من أمته بتحقيق ماله صلى الله عليه وسلم من المحامد . والمراد بأهل الكتاب :

اليهود والنصارى . والكتاب : التوراة والإنجيل . وغيرهما من الكتب السماوية .

(٦) كانت مكتوبة في ا : ولما أخذ اللهُ تعالى ميثاق الذين ... وكتب أمامها في الهامش :

على الذين ، وعليها علامة الصحة .

(٧) هو الإمام القرطبي الزاهد المحدث المعروف بابن العواد ، أحد شيوخ المصنف ، وتوفي

بقرطبة سنة تسع وخمسة . وفي شرح القارى : وهو هشام بن أحمد بن هشام ، يعرف بابن

بقوة ؛ وهو إمام حافظ ، وشيخ من شيوخه الذين اعتمد على النقل عنهم في هذا الكتاب وغيره .

(٨) هو ابن عبد البر صاحب الاستيعاب وغيره من الكتب الجليلة . وهو يوسف بن عبد الله

ابن محمد بن عبد البر بن عامر النمرى القرطبي الأندلسي . توفي سنة ٤٦٣ هـ .

(٩) من شيوخ ابن عبد البر . وفي ب : أخبرنا - بدل حدثنا . واسمه : عبد الله بن محمد

ابن عبد المؤمن . وله ترجمة في الميزان ( ٢ - ٤٩٨ ) .

(١٠) هو ابن داسة ، من مشايخ الحديث المشهورين . وهو أحد رواة سنن أبي داود عنه .



ابن الأشعث<sup>(١)</sup> ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد<sup>(٢)</sup> ، حدثنا علي بن الحكم ،  
 عن عطاء<sup>(٣)</sup> ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 مَنْ سَأَلَ عَنِ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ<sup>(٤)</sup> أَجَلَهُ اللهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ<sup>(٥)</sup> .  
 فَبَادَرَتْ إِلَى نُكْتٍ مُسْفِرَةٍ عَنْ وَجْهِ الْغَرَضِ ، مُؤَدِّيَا مِنْ ذَلِكَ الْحَقِّ  
 الْمَفْتَرَضِ<sup>(٦)</sup> ، اخْتَلَسْتُهَا عَلَى اسْتِعْجَالٍ<sup>(٧)</sup> ، لَمَّا الْمَرَّةُ بِصَدَدِهِ مِنْ شُغْلِ الْبَدَنِ وَالْبَالِ ،  
 بِمَا<sup>(٨)</sup> طَوَّقَهُ مِنْ مَقَالِيدِ الْمِحْنَةِ الَّتِي ابْتَلَى بِهَا ، فَكَادَتْ تَشْفَلُ عَنْ كُلِّ فَرَضٍ وَنَفْلِ ،  
 وَتَرُدُّ بَعْدَ حُسْنِ التَّقْوِيمِ إِلَى أَسْفَلِ سُفْلِ<sup>(٩)</sup> ؛ وَلَوْ أَرَادَ اللهُ بِالْإِنْسَانِ خَيْرًا لَجَعَلَ شُغْلَهُ  
 وَهَمَّهُ كَلَّةً فِيمَا يُحْمَدُ غَدًا أَوْ يُذَمُّ مَحَلًّا<sup>(١٠)</sup> ؛ فَلَيْسَ شَيْءٌ سِوَى حَضْرَةِ النَّعِيمِ<sup>(١١)</sup> ، أَوْ عَذَابِ

(١) في ب : ابن أشعث . وهو صاحب سنن أبي داود . مات سنة ٢٧٥ هـ .

(٢) هو حماد بن سلمة بن دينار ، أحد الأعلام ، توفي سنة ١٦٧ هـ . وله ترجمة في

الميزان : (١ - ٥٩٠) . (٣) هو عطاء بن أبي رباح ، أو ابن يسار .

(٤) في ب : وكتمه . وفي الترمذي : ثم كتمه .

(٥) المراد بالعالم المتوعد على كتمه ما يلزم تعليمه ويتعين ؛ كتعليم حديث عهد بإسلام

ما يتعلق بالصلاة ، ومستفت في الحلال والحرام . والحديث في سنن الترمذي : ٥ - ٢٩ . وسنن

أبي داود : ٢ - ٨٢

(٦) نكت : جمع نكته ، وهي المعنى الدقيق النادر ، والكلام القليل الحسن . مسفرة :

مضيئة وكاشفة . وفي ب : مسفرة ، وأمامها في الهامش : سافرة ، وعليها علامة الصحة .

والمفترض : اللازم .

(٧) الاختلاس : اختطاف الشيء بسرعة .

(٨) في ب : بما ، والمراد ما كلفه ولزمه من الأمور الشاغلة ، ومنه تقليد الأعمال الساطانية ،

من الأمور الدنيوية .

(٩) أي تعدل بي عن الطريق المستقيم المستبين إلى أسفل سافلين .

(١٠) شغله : ما يشغل به نفسه من أفعاله وأقواله . وهمه : ما يهتم به ويعتني به . محله :

مكانه . والحاء تفتح وتكسر فيها .

(١١) النعيم : الجنة . وحضرته ، حضوره .

الجحيم، وكان عليه نحو بصته، واستنقاذ مخرجته<sup>(۱)</sup> وعمل صالح يستزيده، وعلم نافع يفيد أو يستفيد.

جبر الله صدع قلوبنا<sup>(۲)</sup>، وغفر عظيم ذنوبنا، وجعل جميع [ ۳ ] استعدادنا لمعادنا، وتوفر دواعينا فيما ينجينا ويقرُّ بنا إليه زلفي<sup>(۳)</sup>، ويحظينا بمنه [ وكرمه ]<sup>(۴)</sup> ورحمته.

ولما نويت تقرُّبهِ<sup>(۵)</sup>، ودرجت تبويبه<sup>(۶)</sup>، ومهدت تأصيله<sup>(۷)</sup>، وخلصت<sup>(۸)</sup> تنصيله، وانتحيت حصره وتحصيله، ترجمته<sup>(۹)</sup> بـ «الشفأ بتعريف حقوق المصطفى»؛ وحصرت الكلام فيه في أقسام أربعة :

التسم الأول - في تعظيم العلي الأعلى لقدّر هذا النبي قولاً وفعلًا، وتوجه الكلام فيه في أربعة أبواب :

الباب الأول : في ثنائه تعالى عليه، وإظهاره عظيم قدره<sup>(۱۰)</sup> لديه؛ وفيه عشرة فصول .

(۱) خويصته : نفسه . والمهجة : الروح .

(۲) الجبر : إصلاح ما انكسر . والصدع : الشق .

(۳) زلفي : قربا، أو تقريبا، كاملا . (۴) من ب .

(۵) تحت « نويت تقرُّبهِ » في ب : أي للأفهام .

(۶) تحت كلمة : « درجت تبويبه » أدنيت . والمراد أنه جعل تبويبه مرتبا ومدرجا،

درجة درجة في التأليف .

(۷) ومهدت تأصيله : التأصيل : ذكر القواعد والأصول . يعني أنه ذكر فيه قواعد

وأدلة تنبئ عليها مشاكل أبوابه . وتحت كلمة « تأصيله » ؛ أي ذكرت أصوله .

(۸) في ب : وخلصت .

(۹) المراد سميته .

(۱۰) الثناء : الوصف بالجميل . وقدر الشيء : مقداره وشرف رتبته .

الباب الثاني: في تكميه تعالى له المحاسن خَلَقُوا وَخُلِقُوا، وَقِرَانِهِ جَمِيعَ الْفَضَائِلِ الدِّينِيَّةِ  
وَالدَّنيوية فِيهِ نَسَقًا<sup>(١)</sup>؛ وفيه سبعة وعشرون فصلاً.

الباب الثالث: فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها [٤] بعظيم قدره عند  
ربه ومَنْزِلته، وما خَصَّه به في الدارين مِنْ كَرَامته<sup>(٢)</sup>؛ وفيه اثنا عشر فصلاً<sup>(٣)</sup>.

الباب الرابع: فيما أظهره الله تعالى على يديه من الآيات والمعجزات<sup>(٤)</sup>، وشرَّفه  
به من الخصائص والكرامات؛ وفيه ثلاثون فصلاً<sup>(٥)</sup>.

القسم الثاني - فيما يجب على الأنام<sup>(٦)</sup> من حقوقه عليه السلام، ويترتب القول فيه  
في أربعة أبواب:

الباب الأول: في فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته؛ وفيه خمسة<sup>(٧)</sup>  
فصول.

الباب الثاني: في لزوم محبته ومُنَاصحته<sup>(٨)</sup>؛ وفيه ستة فصول<sup>(٩)</sup>.

الباب الثالث: في تعظيم أمره ولزوم توقيره وبره؛ وفيه سبعة<sup>(١٠)</sup> فصول.

(١) قرانه: جمعه. نسقا: المراد أنه جمعها على وجه متناسب يأخذ بعينه بحجز بعض.

(٢) من كرامته: أي مما فيه تكريم وتبجيل له.

(٣) في هذا الباب خمسة عشر فصلاً، كما سيأتي. وقال القاري: (١ - ٢٢) هكذا في كل  
النسخ التي عليها الرواية والتصحيح والمقابلة، والذي في هذا الباب من الفصول خمسة عشر، وأمله  
أراد بالاثني عشر فصلاً مهمة وزيادة الثلاثة مكملة ومتممة.

(٤) الآيات: جمع آية، وهي العلامة الدالة على نبوته؛ والآية والمعجزة يشتركان في الدلالة  
على صدقه، غير أن المعجزة تخص بالتحدى.

(٥) هي تسعة وعشرون فصلاً، كما يأتي.

(٦) الأنام: الخلق، أو الإنس والجن.

(٧) هي أربعة، كما سيأتي.

(٨) المناصحة: إرادة الخير للغير، وإرشاده له.

(٩) هي خمسة كما سيأتي. (١٠) هي ستة كما سيأتي.

الباب الرابع: في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته ؛ وفيه عشرة فصول (۱) .

القسم الثالث - فيما يستحيل (۲) في حقه ، وما يجوز عليه شرعا ، وما يمتنع ويصح من الأمور البشرية أن يضاف (۳) إليه .

وهذا القسم - أكرمك الله - هو سِرُّ الكِتَاب ، ولُبَابُ ثَمَرَةِ (۴) هذه الأبواب ، وما قبله له كالتواعد والتهديدات والدلائل على ما نُورِدُه فيه من النَّكَاتِ البَيِّنَاتِ ، وهو الحاكم على ما بعده ، والمُنْجِزُ مِنْ غَرَضِ هذا التَّأْلِيفِ وَعَدَه ، وعند التَّفْصِي لِوَعْدَتِهِ ، والتَّفْصِي عن عَهْدَتِهِ (۵) ، يَشْرِقُ صَدْرُ العَدُوِّ اللَّعِينِ (۶) ، وَيُشْرِقُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بِالْيَقِينِ ، وَتَمَلُّأُ أَنْوَارُهُ جَوَانِحُ (۷) صَدْرِهِ وَيَقْدُرُ العَاقِلُ النَّبِيَّ حَقَّ قَدْرِهِ (۸) .  
ويتحرَّرُ الكَلَامُ فِيهِ فِي بَابَيْنِ [ ۵ ] :

الباب الأول : فيما يختصُّ بالأُمُورِ الدِّينِيَّةِ ، وَيَتَشَبَّثُ بِهِ القَوْلُ فِي العَصْمَةِ (۹) ؛  
وفيه ستة عشر فصلا .

- 
- (۱) هي تسعة كما سيأتي . (۲) يستحيل : يمتنع امتناعا قويا حتى يلحق بالمحال عقلا .  
(۳) يضاف إليه : ينسب إليه . (۴) لباب كل شيء : خالصه .  
(۵) التقصى : الاستقصاء ؛ وهو بلوغ أقصى الشيء وغايته . وقال الشهاب : أو هي التقضى - بالضاد المعجمة ، من تقضى الأمر : إذا تم . والتفصى : الخروج والتخلص .  
(۶) يشرق : أصل معناه وقوف الشراب ونحوه في الحلق ، والمراد يتألم ويقتاظ . والمراد بالمدو اللعين : إبليس ، أو جنس العدو .  
(۷) جوانح صدره : الجوانح : جمع جانحة ، وهي الضلوع التي تلي الصدر تحت الترائب .  
(۸) يقدره : يعرف مقداره ، ويتصور عظيم مقامه .  
(۹) ويتشبت : يتعلق . والعصمة : منع الله عبده عن جميع ما لا يرضاه من الذنوب بمجرد حفظ الله له ، أو بخلق الله له صفة نفسانية تمنعه من ارتكابها . والعصمة أيضا تكون بمعنى صونه عن أذية أعدائه بحيث لا يقدرون عليها .

الباب الثاني : في أحواله الدنيوية ، وما يجوز طرؤه عليه من الأعراض البشرية<sup>(۱)</sup> ؛  
وفيه تسعة فصول<sup>(۲)</sup> .

القسم الرابع - في تصرف وجوه الأحكام على من تنقصه أو سببه<sup>(۳)</sup> صلى الله  
عليه وسلم ، وينقسم الكلام فيه في باين :

الباب الأول : في بيان ما هو في حقه سب ونقص ؛ من تعريض ، أو نص ؛  
وفيه<sup>(۴)</sup> عشرة فصول .

الباب الثاني : في حكم شائته ومؤذيه ومُتنقِّصه وعقوبته<sup>(۵)</sup> ، وذِكْر استتابته ،  
والصلاة عليه ، ووراثته ؛ وفيه عشرة فصول .

وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسألة [ ٥ ] ، ووُضِّعَ للباين الذين قبله  
في حكم من سب الله تعالى ورُسله وملائكته وكتبه ؛ وآل النبي صلى الله عليه وسلم  
وصحبه .

واختصر الكلام فيه في خمسة<sup>(۶)</sup> فصول ، وبتمامها ينتجز<sup>(۷)</sup> الكتاب ، وتتم  
الأقسام والأبواب ، وتلوح في غرّة الإيمان أمة منيرة<sup>(۸)</sup> ، وفي تاج التراجم دُرّة

(۱) طرؤه : عروضه وحدوثه . الأعراض : جمع عرض ؛ وهو ما يمرض له من الأمور  
البشرية .

(۲) هي ثمانية ، لاسعة ، كما سيأتي .

(۳) تنقصه : نسب النقص إليه . والسب : الشتم . (۴) هي تسعة كما سيأتي .

(۵) الشائء : المبغض . وتنقصه : أتى بما فيه نقص لكمال قدره من قول أو فعل .

(۶) سيأتي أنها عشرة . (۷) ينتجز : يتم ويكمل .

(۸) يلوح : يظهر . والغرة في الأصل : بياض في جبهة الفرس ، واللمعة : من لمع الشيء ؛

أضاء . والمراد أنه إذا تم ما في كتابه وانتقش في صحائف الأذهان ازداد نور الإيمان ؛ لأن  
الإيمان بالله ورسله عليهم الصلاة والسلام إذا قرن بتعظيم هذا النبي الكريم ومحبته والعلم بما  
تؤدي إليه مخالفته من النكال أوصل صاحبه لأعلى عليين .

خطيرة، تزيح كل أبس<sup>(۱)</sup>، وتوضح كل تخمين وحدث<sup>(۲)</sup>، وتشفي صدور قوم مؤمنين، وتصدع بالحق<sup>(۳)</sup>، وتعرض عن الجاهلين؛ وبالله تعالى لا إله سواه - أستعين .

## القسم الأول

في تعظيم العلي الأعلى لقدّر هذا<sup>(۴)</sup> النبي  
قولا وفعلا

قال [الفتية]<sup>(۵)</sup> القاضي الإمام أبو الفضل رضي الله عنه :  
لا خفاء على من مارس شيئا من العلم<sup>(۶)</sup>، أو خص بأذني لحة من فهم<sup>(۷)</sup>،  
بتعظيم الله تعالى قدّر نبينا عليه [الصلاة و]<sup>(۸)</sup> السلام، وخصوصه<sup>(۹)</sup> إياه بنضائل

(۱) تزيح : تزيل . واللبس : الخاط ، والاشتباه .

(۲) للتخمين والحدث : قول من غير تحقيق . والحدث : قول صادر عن ظن ووهم .

(۳) تصدع بالحق : تجهر بما يدل على الحق .

(۴) في ب : لقدّر النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا . والمثبت في ا .  
قال الحفاجي : في هذا الفصل ثناء الله ومدحه لنبيه صلى الله عليه وسلم لئلا يكونه أنفس الناس ذاتا وحسبا ونسبا ، وكونه خيرا ورحمة عامة في حياته ومماته ، وكونه نورا محضا للعالم ، وكونه ذا صدر واسع منشرح ، ورفعة قدره واسمه بمقارنته لاسم ربه وذكره ، وأنه الصراط المستقيم .  
(۵) من ب . وقال في نسيم الرياض : ما وقع في النسخ من مثل هذا وما شابهه ، من قوله :  
الإمام - من تلامذته النساخ ؛ لأنه لا يمدح نفسه . وقال القاري : فيه إشعار بأنه من كلام غيره .

(۶) مارس : عالج ، ولازم ، وزاول .

(۷) لحة من فهم : شيء قليل من الفهم . (۸) من ب .

(۹) وخصوصه إياه : وتخصيصه .

ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام<sup>(۱)</sup>، وتنويه<sup>(۲)</sup> من عظيم<sup>(۳)</sup> قدره بما تكلُّ عنه  
الأسنة والأقلام :

فمنها ما صرح به تعالى في كتابه، ونبه به على جميل نصابه<sup>(۴)</sup>، وأثنى عليه  
من أخلاقه وآدابه، وحضَّ العباد على التزامه<sup>(۵)</sup>، وتقدير إيجابه؛ فكان جلَّ جلاله  
هو الذي تفضَّل وأولى<sup>(۶)</sup>، ثم طهر وزكَّى، ثم مدح بذلك وأثنى، ثم أثاب عليه  
الجزاء الأوفى<sup>(۷)</sup>، فله الفضلُ بدءاً [۶] وعوداً<sup>(۸)</sup>، والحمد أولى وأخرى<sup>(۹)</sup>.

ومنها ما أبرزه<sup>(۱۰)</sup> للعيان من خلقه على أتم وجوه الكمال والجلال، وتخصيصه  
بالمحاسن الجميلة، والأخلاق الحميدة، والمذاهب الكريمة<sup>(۱۱)</sup>، والفضائل العديدة؛ وتأيدُه

(۱) لزمام : لضابط يريد ضبطها، ويقصد ربطها، ويجتهد في إحصائها.

(۲) ينويه : نوهت باسمه؛ إذا رفعت ذكره وأشعت تعظيمه.

(۳) في ب : بعظيم قدره.

(۴) النصاب والمنصب : العلو والرفعة والشرف؛ أي إن الله جل وعلا بذكره له صلى الله

عليه وسلم في كتابه المنزل به على جميل قدره ورفقته وشرفه.

(۵) الحض : الحث والطلب الشديد السريع.

(۶) أولى : أعطى. أو أنعم عليه بما علم المولى بأنه الأولى.

(۷) الأوفى : التام الكامل.

(۸) بدءاً وعوداً؛ البدء : الابتداء. والعود : الرجوع؛ أي أولاً وآخراً.

(۹) أولى وأخرى : أي هو مستحق للحمد في أول الأمر وآخره. أو في الدنيا والآخرة.

(۱۰) ما أبرزه : ما أظهره ظهوراً تاماً. والعيان - بكسر العين : المعاينة. وفي ب : كتب

تحتها بكسر العين.

(۱۱) المذاهب : جمع مذهب، وهو الطريق، ويطلق على ما اختير من الأفعال وغيرها،

كما يقال مذهب الفقهاء. والمراد مسالكه صلى الله عليه وسلم في أحواله مع أمته أو في نفسه.

بالمعجزات الباهرة<sup>(١)</sup> ، والبراهين الواضحة ، والكرامات البيّنة<sup>(٢)</sup> التي شاهدناها من عاصره ، وراها من أدركه ، وعامها علم يقين من جاء بعده ، حتى انتهى علم حقيقة ذلك إلينا ، وقاضت أنواره علينا ، صلى الله عليه وسلم كثيرا .

حدثنا القاضي الشهيد أبو علي الحسين بن محمد الحافظ ، رحمه الله ، قراءة مني عليه<sup>(٣)</sup> ؛ قال : أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار ، وأبو الفضل أحمد بن خيرون ؛ قال : حدثنا أبو يعلى البغدادي ؛ قال : حدثنا أبو علي السنجبي ؛ قال : حدثنا محمد ابن أحمد بن محبوب ، قال : حدثنا أبو عيسى بن سورة الحافظ<sup>(٤)</sup> ؛ قال : حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس - أن<sup>(٥)</sup> النبي صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق<sup>(٦)</sup> ليلة أُسرى به مُلجماً مُسرجاً<sup>(٧)</sup> ، فاستصعب عليه<sup>(٨)</sup> ؛ فقال له جبريل : أيا محمد تفعل هذا ؟ فما ركبك أحد أكرم على الله منه . قال : فارفض عرقاً<sup>(٩)</sup> .

(١) الباهرة : العجيبة ، أو الظاهرة ظهوراً لا يمكن ستره ، أو الفائقة الغالبة القاهرة .

(٢) الكرامات : جمع كرامة ، وهي أمر أكرم الله به من اصطفاه من عباده المتقين بدون تحذ ودعوى نبوة ؛ فيكون للنبي وللولي ، وأعم من المعجزة لاشتراط مقارنة النبوة والتحدى فيها . والبيّنة : الظاهرة .

(٣) هو شيخ المصنف قرأ عليه بالأندلس . وهو المعروف بابن سكرة ، استشهد بشعر الأندلس سنة أربع عشرة وخمسة ، وكان من أهل الحديث .

(٤) هو الترمذي ، صاحب الجامع الصحيح .

(٥) في نسيم الرياض : وهذا حديث حسن مسند في الترمذي وغيره (سنن الترمذي : ٥ - ٣٠١) .

(٦) البراق : دابة فوق الحمار ودون البغل ، سمي به لشدة سرعته .

(٧) ما جماً مسرجاً : مهياً للركوب بسرجه ولجامه . وفي ب ضبطت الجيم والراء بالكسرة .

(٨) فاستصعب عليه ؛ صعب ، أي إنه صلى الله عليه وسلم لما أراد ركوبه لم يقر حتى يركبه ،

أي امتنع وأبى أن يركب بسهولة .

(٩) فارفض عرقاً : سال وتصبب عرقه .



## البَابُ الْأَوَّلُ

في ثناء الله تعالى عليه وإظهاره عظيم قدره لديه  
اعلم أن في كتاب الله العزيز آيات كثيرة مفصحة<sup>(١)</sup> يجميل ذكر المصطفى ،  
وعدّ محاسنه ، وتعظيم أمره ، وتنويه قدره<sup>(٢)</sup> ، اعتمدنا منها على ما ظهر معناه ، وبان  
فجواه ، وجمعنا ذلك في عشرة فصول :

### الفِصْلُ الْأَوَّلُ

فما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن ؛ كقوله تعالى<sup>(٣)</sup> : ﴿ لَقَدْ  
جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ .  
قال السمرقندي<sup>(٤)</sup> [٦] : وقرأ بعضهم : من أنفسكم - بفتح الفاء . وقراءة  
الجمهور بالضم .

قال<sup>(٥)</sup> القاضي الإمام أبو الفضل - [وققه الله]<sup>(٦)</sup> : أعلم الله تعالى المؤمنين ،  
أو العرب ، أو أهل مكة ، أو جميع الناس ، على اختلاف المفسرين : من الواجبه بهذا

(١) مفصحة : دالة كاشفة ، مبينة .

(٢) وتنويه قدره : أي رفعة شأنه بإشاعته على وجه التعظيم والتكريم .

(٣) سورة التوبة ، آية ١٢٨ . رسول من أنفسكم : من جنسكم البشري ، ومن قبيلكم  
العربي . عزيز عليه ما عنتم : شديد شاق عليه عنتم وتعبكم ووقوعكم في العذاب . حريص  
عليكم أن تؤمنوا .

(٤) السمرقندي : نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه المحدث المفسر .  
وسياتي في مواضع من كتاب الشفاء حيث يروى عنه القاضي بواسطة واحدة .

(٥) هو المؤلف . وانظرها مشرق رقم ٢ صفحة ٢ .

(٦) ليس في ب .

الخطاب<sup>(١)</sup> أنه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفونه<sup>(٢)</sup>، ويتحققون مكانه<sup>(٣)</sup>،  
 ويعلمون صدقه وأمانته؛ فلا يتهمون بالكذب وترك النصيحة لهم، لكونه منهم،  
 وأنه لم تكن في العرب قبيلة<sup>(٤)</sup> إلا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة  
 أو قرابة<sup>(٥)</sup>، [وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى<sup>(٥)</sup>: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾]<sup>(٦)</sup>؛  
 وكونه من أشرفهم، وأرفعهم، وأفضلهم، على قراءة الفتح<sup>(٧)</sup>؛ وهذه نهاية المدح؛  
 ثم وصفه بعد بأوصاف حميدة، وأثنى عليه بمحامد<sup>(٨)</sup> كثيرة؛ من حرصه على هدايتهم  
 ورشدهم وإسلامهم<sup>(٩)</sup>، وشدة ما يعنئهم<sup>(١٠)</sup> ويضر بهم في دنياهم وأخراهم،  
 وعزته ورأفته ورحمته بمؤمنهم.

قال بعضهم: أعطاه اسمين من أسمائه: رؤوف، رحيم.  
 ومثله في الآية الأخرى: قوله تعالى<sup>(١١)</sup>: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ  
 فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ  
 وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

(١) الخطاب في الآية السابقة: لقد جاءكم . . .

(٢) يعرفونه: أي يعرفون ذاته وصفاته وأحواله، وذكره في السكتب القديمة.

(٣) مكانه: قدره ورتبته ومنزلته.

(٤) ولادة أو قرابة: يعني أن كل قبيلة من العرب فيها للنبي صلى الله عليه وسلم أب أو جد

أو أم. أو قرابة له. أو المراد بالولادة: القرابة القريبة، وبالقرابة: القرابة البعيدة.

(٥) سورة الشورى، آية ٢٣.

(٦) ما بين القوسين في هامش ١، وكتب فيها بعد العبارة: من الأم العتيقة، وليس من

الرواية. وليس ما بين القوسين في ب مما يدل على زيادتها. (٧) في كلمة: أنفسهم - بفتح الفاء.

(٨) حميدة: محمودة. والمحامد: جمع محمداً، وهي المحمودة أيضاً.

(٩) رشدهم: إرشادهم. وإسلامهم: أي انقيادهم واستسلامهم.

(١٠) ما يعنئهم: ما يشق عليهم. وفي ب: ما يعنئهم - بضم الياء وسكون العين.

(١١) سورة آل عمران، آية ١٦٤.

وفي الآية الأخرى<sup>(١)</sup> : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ .  
وقوله تعالى<sup>(٢)</sup> : ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ .

وروى عن علي بن أبي طالب ، عنه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى<sup>(٣)</sup> :  
من أنفسكم<sup>(٤)</sup> - قال : نسباً وصهرراً وحسباً<sup>(٥)</sup> ؛ ليس في آبائي من آدن آدم سفاح ،  
كأننا<sup>(٦)</sup> نكاح .

[ قال ابن الكلبي<sup>(٧)</sup> : كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة أمم ، فما وجدت فيهن سفاحاً ولا شيئاً مما كان عليه الجاهلية .

- (١) سورة الجمعة ، آية ٢ . قال القارى : في الأميين ؛ أى العرب الذى غالبهم ماقراً ولا كتب .  
(٢) سورة البقرة ، آية ١٥١ (٣) سورة آل عمران ، آية ١٦٤  
(٤) في نسيم الرياض : قال ابن المنير : من أنفسهم : من جنسهم يعرفون حاله ، وأنه ماقراً ولا درس ، وقد جاءه العلم فقص سير الأولين والآخرين على ما هم عليه حرفاً بحرف ؛ فيعلم الماقل أنه أمر خارق من عند الخالق ، كل ذلك إبلاغ في ظهور حجته ووضوح معجزته .  
(٥) النسب : القرابة مطلقاً ، أو من جهة الآباء . والصهر : واحد الأصهار : أهل بيت المرأة . وقيل : كل أصهار : من كان من قبل الزوج ، ومن كان من قبل المرأة . والحسب : ما يمد من المآثر ، والشرف .  
(٦) أى ليس في آبائي من حيث أبوتهم ، ولا في أمهاتي سفاح ؛ والسفاح : الزنا والفجور . والنكاح هنا عقد النكاح والزواج . وفوق كلمة سفاح في ب : أى الزنا .  
فقد صانه الله وأسلافه عما يشين ، وطهر أرحامهم عن دنس السفاح ، فلم يزل الرسول ينقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطيبة مصفى مهذباً .  
(٧) ابن الكلبي : هو محمد بن السائب ، المفسر النسابة الأخبارى ( ميزان الاعتدال : ٣ - ٥٥٦ ) .

وعن ابن عباس رضى الله عنه - في قوله تعالى (١) : ﴿ وَتَقَابُكُ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ - قال (٢) : مِنْ نَبِيٍّ إِلَى نَبِيٍّ ، حَتَّى أُخْرِجَكَ نَبِيًّا [٣] .

وقال جعفر بن محمد : عَلِمَ اللَّهُ عَجْزَ خَلْقِهِ عَنِ طَاعَتِهِ ، فَعَرَّفَهُمْ ذَلِكَ ؛ لِكَيْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ لَا يَنْالُونَ الصَّفْوَةَ (٤) مِنْ خِدْمَتِهِ ؛ فَأَقَامَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ مَخْلُوقًا مِنْ جِنْسِهِمْ فِي الصُّورَةِ ، وَأَلْبَسَهُ مِنْ نَعْتِهِ (٥) [٧] الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ ، وَأَخْرَجَهُ إِلَى الْخَلْقِ سَفِيرًا (٦) صَادِقًا ، وَجَعَلَ طَاعَتَهُ طَاعَتَهُ ، وَمُوَافَقَتَهُ (٧) مُوَافَقَتَهُ ؛ فَقَالَ تَعَالَى (٨) : ثَمَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَتَدِ اطَّاعَ اللَّهَ . وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى (٩) : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .

قال أبو بكر بن طاهر : زَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِزِينَةِ الرَّحْمَةِ ؛ فَكَانَ كَوْنُهُ (١٠) رَحْمَةً ، وَجَمِيعُ شِمَائِلِهِ وَصِفَاتِهِ رَحْمَةً عَلَى الْخَلْقِ ؛ فَمَنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْ رَحْمَتِهِ فَهُوَ النَّاجِي فِي الدَّارَيْنِ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ ، وَالْوَاصِلُ فِيهِمَا إِلَى كُلِّ مَحْبُوبٍ ؛

(١) سورة الشعراء ، آية ٢١٩

(٢) قال السيوطي : هذا الحديث أخرجه ابن سعد ، والبزار ، وأبو نعيم في الدلائل بسند صحيح عن ابن عباس ، رضى الله عنها (١ - ٦٧) . وفي تفسير ابن كثير (٣ - ٣٥٢) : وروى البزار ، وابن أبي حاتم من طريقين عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية يعنى قلبه من صلب نبي إلى صلب نبي حتى أخرجه نبيا .

(٣) ما بين القوسين في هامش ١ ، وكتب بعده : من الام ، وليست من الرواية . وليس في ب ، ولا في هامشه .

(٤) الصفو : الصافي الخالص . وخدمته : عبادته وطاعته .

(٥) نعته : صفته .

(٦) سفيرا : السفير : الرسول .

(٧) بين السطور في ب : بنزع الخافض ، وقال القاري (١ - ٣٥) : هو تشبيه بليغ مفيد للمبالغة ؛ وهو أن طاعته عين طاعته . وكذلك قوله : وموافقته موافقته .

(٨) سورة النساء ، آية ٨٠

(٩) سورة الأنبياء ، آية ١٠٧ (١٠) كان كونه : كان وجوده .

أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ (١) : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ؛ فَكَانَتْ حَيَاتُهُ رَحْمَةً ، وَمَمَاتُهُ رَحْمَةً ؛ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٢) : حَيَاتِي خَيْرٌ لَّكُمْ وَمَوْتِي خَيْرٌ لَّكُمْ . وَكَأَنَّ (٣) قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (٤) : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً بِأُمَّةٍ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا ؛ فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا (٥) . ( وَقَالَ السَّمَرِقَنْدِيُّ : رَحْمَةٌ لِّلْعَالَمِينَ : يَعْنِي لِلْجِنِّ وَالْإِنْسِ . وَقِيلَ : لِجَمِيعِ الْخَلْقِ ؛ لِلْمُؤْمِنِ رَحْمَةٌ بِالْهُدَايَةِ ، وَرَحْمَةٌ لِّلْمُنَافِقِ (٦) بِالْأَمَانِ مِنَ الْقَتْلِ ، وَرَحْمَةٌ لِّلْكَافِرِ بِتَأْخِيرِ الْعَذَابِ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : هُوَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ ؛ إِذْ عُوِفُوا بِمَا أَصَابَ غَيْرَهُمْ مِنَ الْأُمَّةِ الْمَكْذُوبَةِ (٧) .

وَحُكِيَ (٨) أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِجَبْرِئِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : هَلْ أَصَابَكَ مِنْ

(١) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، آيَةٌ ١٠٧

(٢) هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ ، وَرَوَاهُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ . ( نَسِيمُ الرِّيَاضِ ) . وَفِي شَرْحِ الْقَارِي : رَوَاهُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ فِي مُسْنَدِهِ ، وَالْبَزَارُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ . وَرَحْمَتُهُ لَهُمْ فِي حَيَاتِهِ لِأَنَّهُ هَدَاهُمْ لِسَبِيلِ الْخَيْرِ ، وَرَحْمَتُهُ لَهُمْ فِي مَمَاتِهِ لِتَقْدِيمِهِ فَرَطًا لَهُمْ .

(٣) فِي ب : كَأَنَّ - مِنْ غَيْرِ وَאו .

(٤) هَذَا الْحَدِيثُ صَحِيحٌ مُتَنَا وَسَنَدًا ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ ( صَحِيحُ مُسْلِمٍ : ١٧٩٢ ) وَفِيهِ : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً أُمَّةً ، وَبَقِيَ الْحَدِيثُ كَمَا فِي مُسْلِمٍ : وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ هَلَاكَةَ أُمَّةٍ عَذَّبَهَا وَنَبِيَّهَا حَتَّى فَاهَاكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ ، فَأَقْرَبَ اللَّهُ عَيْنَهُ بِهَلَاكَتِهَا حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوْا أَمْرَهُ .

(٥) فَرَطًا وَسَلَفًا : أَيُّ مُتَقَدِّمًا وَسَابِقًا .

(٦) الْمُنَافِقُ : مَنْ يَخْفَى الْكُفْرَ وَيُظْهِرُ الْإِيمَانَ .

(٧) أَيُّ الْمَكْذُوبَةِ لِّلْأَنْبِيَاءِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَاقَبَ مَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ بِالْإِسْتِئْصَالِ وَالْحَسْفِ وَالْمَسْحِ ، وَمَا نَزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ .

قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : وَقَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ هَذَا مُسْنَدٌ إِلَيْهِ فِي الطَّبْرَانِيِّ ، وَدَلَائِلُ الْبَيْهَقِيِّ ، وَفِي تَفْسِيرِ ابْنِ جَرِيرٍ ، وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ . وَكَذَلِكَ قَالَ الْقَارِي فِي شَرْحِهِ ( ١ - ٣٧ ) .

(٨) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : لَمْ يَوْجَدْ هَذَا فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ .

هذه الرحمة شىء؟ قال : نعم ؛ كنتُ أَخْشَى العاقبة<sup>(۱)</sup> فَأَمِنْتُ لِثَنَاءِ<sup>(۲)</sup> الله عز وجل على بتوليه<sup>(۳)</sup> : ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ<sup>(۴)</sup> . مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ .  
وروى عن جعفر بن محمد الصادق - في قوله تعالى<sup>(۵)</sup> : ﴿ فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ : أى بك<sup>(۶)</sup> ؛ إنما وَقَعَتْ سلامتهم مِنْ أَجْلِ كرامةِ محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال الله تعالى<sup>(۷)</sup> : ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ . الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، نُورٌ عَلَى نُورٍ ، يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

قال كعب<sup>(۸)</sup> ، وابن جبير : المراد بالنور الثاني هنا محمد عليه السلام [۷] .  
وقوله تعالى : مِثْلُ نُورِهِ ؛ أى نور محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال سهل بن عبد الله<sup>(۹)</sup> : المعنى : اللهُ هَادِي أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ؛ ثم قال :

(۱) أَخْشَى العاقبة : أى سوء العاقبة .

(۲) إِذْ ثَنَاءِ الْعَظِيمِ يَقْتَضِي رِضَاهُ وَقَبُولُهُ ، وَهُوَ لَا يَرْضَى وَيَقْبَلُ إِلَّا مَنْ كَانَ مَرْحُومًا مَقْرَبًا ، فَلَمَّا عَلِمَ ذَلِكَ مِنَ الْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ رَحْمَةٌ نَازِلَةٌ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَطْمَأَنَّ خَاطِرُهُ وَأَمِنَ سَوْءَ الْخَاتَمَةِ .

(۳) سُورَةُ التَّكْوِيْنِ ، آيَةٌ ۲۰ ، ۲۱

(۴) مَكِينٍ : مَتَمَكِّنُ ذِي قَدْرٍ وَمَنْزِلَةٌ ، أَوْ صَاحِبُ مَكَانَةٍ .

(۵) سُورَةُ الْوَاقِعَةِ ، آيَةٌ ۹۱

(۶) أَيْ بَكَ : أَيْ بِسَبَبِ وَجُودِكَ ، أَوْ بِسَبَبِ كَرَمِكَ وَجُودِكَ .

(۷) سُورَةُ النُّورِ ، آيَةٌ ۳۵

(۸) فِي ب : قَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ . . .

(۹) هُوَ التَّسْتَرِيُّ ، وَقَدْ تَوَفَّى سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ .

مَثَلِ نُورِ مُحَمَّدٍ إِذْ كَانَ مُسْتَوْدَعًا فِي الْأَصْلَابِ<sup>(١)</sup> كَمِشْكَاتِهِ<sup>(٢)</sup> صَفْتَهَا كَذَا ؛ وَأَرَادَ  
بِالْمُصْبَاحِ قَلْبَهُ ، وَبِالزَّجَاجَةِ صَدْرَهُ ؛ أَي كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ<sup>(٣)</sup> لَمَّا فِيهِ مِنَ الْإِيمَانِ  
وَالْحِكْمَةِ ، تَوَقَّدَ<sup>(٤)</sup> مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ؛ أَي مِنْ نُورِ إِبْرَاهِيمَ . وَضُرِبَ<sup>(٥)</sup> الْمَثَلُ  
بِالشَّجَرَةِ الْمُبَارَكَةِ .

وقوله : يكاد زيتها يضيء ؛ أي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس  
قبل كلامه<sup>(٦)</sup> كهذا الزيت .

وقيل في هذه الآية غير هذا . والله أعلم .

وقد سماه الله تعالى في القرآن في غير هذا الموضع نورا وسراجا منيرا ؛ فقال  
تعالى<sup>(٧)</sup> : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ :

وقال تعالى<sup>(٨)</sup> : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ  
وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ .

ومن هذا قوله تعالى<sup>(٩)</sup> : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ . وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ . الَّذِي  
أَنْقَضَ ظَهْرَكَ . وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ . فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . فَإِذَا  
فَرَغْتَ فَاَنْصَبْ . وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ .

(١) الأصلاب : جمع صلب : الظهر ؛ والمراد أصلاب الآباء .

(٢) المشكاة : كوة غيرنا فذة ؛ أي صفة نور محمد كصفة نور مشكاة . . . . .

(٣) كأنه : كأن صدره . والدرى ؛ الكوكب المضيء .

(٤) في ب : توقد - بالبناء للمجهول .

(٥) وضرب المثل : أي شبه ظهور نبوة محمد المتصلة بأبيه إبراهيم ، بمصباح أضواء بزيت

من شجرة مباركة . « وضرب » - في أ : بالبناء للمجهول . وفي ب : بالبناء للمعلوم .

(٦) قبل كلامه : قبل دعواه النبوة وتحمديه .

(٨) سورة الأحزاب ، آية ٤٥ ، ٤٦

(٧) سورة المائدة ، آية ١٥

(٩) سورة الشرح .

شرح: وسّع . والمراد بالصدْر هنا: القلب . قال ابنُ عباس: شرحه بالإسلام<sup>(۱)</sup> .  
وقال سهل: بنور الرسالة .  
وقال الحسن<sup>(۲)</sup>: مَلَأَهُ حُكْمًا<sup>(۳)</sup> وَعِلْمًا .  
وقيل: معناه ألم نَظْهَرَ قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس<sup>(۴)</sup> . ووضعنا عنك وزرك  
الذي أنقض ظهرك :

قيل: ماسلف من ذَنْبِكَ - يعنى قبل النبوة .  
وقيل: أراد ثَقَلَ أيام الجاهلية<sup>(۵)</sup> .  
وقيل: أراد ما أثقل ظَهْرَهُ من الرسالة<sup>(۶)</sup> حتى بَاغَهَا . حكاه الماوردي  
والسلمى<sup>(۷)</sup> .

(۱) فى ب: شرحه بنور الإسلام .  
(۲) هو الحسن البصرى . مات بالبصرة سنة عشر ومائة .  
(۳) حكما - بضم الحاء وسكون الكاف : الحكمة . أو حكما - بكسر الحاء وفتح الكاف :  
جمع حكمة . والحكمة : العلم بالحقائق النافعة والشرعية .  
(۴) الوسواس : الشيطان ، أو الوسوسة . وقال القارى ( ۲ - ۴۳ ) : أى لا يشوش  
عليك الموسوسون من الإنس والشياطين .  
(۵) ثقل أيام الجاهلية : الثقل ضد الخفة . وثقلها : عدم رضاه بما كانوا عليه من الشرك  
وعبادة الأصنام والمحاربة والمقاتلة ، وغير ذلك مما استقبجه النبي بسلامة فطرته .  
(۶) من أعبأها ، أى لما قاساه من المشقة فى تلقيه الوحي ؛ من هيبة الملك ، وحفظ ما يلقى  
إليه ، وتكذيب قومه ، وغيرهم ، لما عرض نفسه على القبائل ، وشدة أذيتهم له عليه السلام  
ولأصحابه ، ووضع ذلك عنه بما فيه من قوة الصبر ، وتسهيل الله ذلك عليه .  
(۷) الماوردي : هو أبو الحسن على بن محبوب ، صنف فى الفقه والتفسير والأصول .  
توفى سنة خمسين وأربعمائة .

والسلمى : هو أبو عبد الرحمن السلمى النيسابورى ، واسمه محمد بن الحسين بن موسى ،  
النيسابورى ، شيخ الصوفية ، وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم . مولده سنة ثلاثين وثلاثمائة ،  
وتوفى فى شعبان سنة اثنتى عشرة وأربعمائة . (ميزان الاعتدال : ۳ - ۵۲۴ ، وشرح القارى : ۱ - ۴۴)



وقيل : عَصَمْنَاكَ ، ولولا ذلك لَأَثَمْتَ الذنوبَ ظَهْرَكَ<sup>(۱)</sup> ؛ حكاة السَّمَرِ قَنْدِي .  
ورفعنا لك ذِكْرَكَ : قال يحيى بن آدم<sup>(۲)</sup> : بالنبوة . وقيل : إذا ذُكِرَتْ ذُكِرَتْ  
معى قول<sup>(۳)</sup> : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . وقيل : فى الأذَانِ [۸] .  
قال القاضى أبو الفضل<sup>(۴)</sup> : هذا تقرير<sup>(۵)</sup> مِنْ اللَّهِ جَلَّ اسْمُهُ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وسَلَّمَ عَلَى عَظِيمِ نِعْمِهِ لَدَيْهِ ، وَشَرِيفِ مَنَزِلَتِهِ عِنْدَهُ ، وَكَرَامَتِهِ عَلَيْهِ ؛ بَأَنَّ شَرَحَ قَلْبَهُ  
لِلْإِيمَانِ وَالْمَهْدَايَةِ ، وَوَسَّعَهُ لِوَعْيِ<sup>(۶)</sup> الْعِلْمِ ، وَخَمَلِ الْحِكْمَةِ ، وَرَفَعَ عَنْهُ ثِقَلِ أُمُورِ  
الْجَاهِلِيَةِ عَلَيْهِ ، وَبَغْضَهُ لِسِيرِهَا<sup>(۷)</sup> ، وَمَا كَانَتْ عَلَيْهِ بظهور<sup>(۸)</sup> دِينِهِ عَلَى الدِّينِ كَلَاهُ ،  
وَخَطَّ عَنْهُ عُهُدَةَ أَعْبَاءِ<sup>(۹)</sup> الرِّسَالَةِ وَالنَّبُوَّةِ لِتَبْلِيغِهِ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ، وَتَنْوِيهِهِ بِعَظِيمِ  
مَكَانِهِ ، وَجَلِيلِ رُتْبَتِهِ ، وَرَفَعَهُ ذِكْرَهُ ، وَقَرَّانِهِ مَعَ اسْمِهِ [ اسْمُهُ ]<sup>(۱۰)</sup> .

(۱) قال القارى : وهذا معنى بديع .

(۲) هو يحيى بن آدم بن سليمان الاموى ، مولا هم بالسكوفة ، أحد الاعلام ، أخرج له أصحاب  
الكتب الستة ، توفى سنة ثلاث ومائتين .

(۳) قال القارى ( ۱ - ۴۴ ) : الأظهر أن يقال : فى قوله : لا إله . . .

(۴) هو المؤلف .

(۵) التقرير : تثبيت وتمهيد . والإشارة لما وقع فى سورة ألم شرح . وهو بيان لحاصلها .

(۶) الوعى : الحفظ .

(۷) لسيرها : السير : جمع سيرة ، والمراد بالسيرة : الحالة والطريقة ، والضمير للجاهلية .

وكلمة « بغضه » جاءت بصيغة المصدر فى ا ، والخصيط المثبت فى ب .

(۸) ظهور دينه : الظهور بمعنى الغلبة .

(۹) الأعباء : الأحمال والأثقال ، والمعنى هنا أن الله حملة أحمال الرسالة ، وألزمه بإجراء

أحكامها وتباينها ؛ فكان فى أول الأمر فى حرج ومشقة من خوف التقصير ، فلما يسر الله له

ذلك انشرح صدره ، واستراح من ثقلها ، وبرئت ذمته من عهدتها لما بلغ الأمة ، وأدى

الرسالة ؛ فامتن الله عليه بما يتضمن الثناء العظيم من أنه أقدره على التحمل والصبر ( الشهاب ) .

(۱۰) أى كان ذكرك عين ذكرى ، لعدم انفكاكه عنه غالبا . « واسمه » الثانية ليست فى ب .

قال قتادة : رفع الله ذِكْرَهُ في الدنيا والآخرة فليس خطيبٌ ولا متشهدٌ ولا صاحبُ صلاةٍ إلا يقولُ : أشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله .  
وزوى أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أتاني جبريلُ عليه السلام ، فقال : إن ربِّي وربَّكَ يقولُ : تَدْرِي كيف رفعتُ ذِكْرَكَ؟ قلتُ : الله ورسوله أعلم . قال : إذا ذُكِرْتَ ذُكِرْتَ معي .

قال ابنُ عطاء (١) : جعلتُ تمامَ الإيمانِ بِذِكْرِي معك .  
وقال أيضاً : جعلتُكَ ذِكْرًا من ذِكْرِي ، فمن ذَكَرَكَ ذَكَرَنِي .  
وقال جعفرُ بن محمد الصادق : لا يذكرُ أحدٌ بالرسالةِ إلا ذكرني بالربوبية (٢) .  
وأشار بعضهم في ذلك إلى الشفاعة .

ومن ذِكْرِهِ معهُ تعالى أن قرَن طاعته بطاعته واسمه باسمه ؛ فقال تعالى (٣) :  
﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ . ﴿ آمِنُوا ﴾ (٤) بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿ ؛ فجمع بينهما بواو العطف  
المشركة .

ولا يجوز جمعُ هذا الكلام في غير حقه عليه السلام .  
حدثنا الشيخ أبو علي الحسين بن محمد الجبائي (٥) الحافظ فيما أجازنيهِ [ ٨ ] ،

(١) ابن عطاء : هو أبو المباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء ، الزاهد البغدادي ، أحد مشايخ الصوفية بالعراق ، مات سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ( القاري : ١ - ٤٦ )  
(٢) معنى كلام جعفر أنه لا يعترف أحد برسالتك إلا بعد أن يعترف بوحدانية الله وربوبيته ، لأنه يجب معرفة الله عقلاً قبل ذلك .

(٣) سورة آل عمران ، آية ٣٣ وغيرها .

(٤) سورة النساء ، آية ١٣٦ ، وغيرها .

(٥) الجبائي : نسبة إلى بلدة بالأندلس ، مات سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ( القاري : ١ - ٤٦ ) .

وقال : « الحافظ » في اصطلاح المحدثين : من أحاط علمه بمائة ألف حديث .

وقرأته على الثقة عنه ؛ قال <sup>(١)</sup> : حدثنا أبو عمر النَّمْرِي <sup>(٢)</sup> ؛ قال : حدثنا أبو محمد ابن عبد المؤمن ، حدثنا أبو بكر بن داسة ؛ حدثنا أبو داود السَّجْزِي ، حدثنا أبو الوليد الطَّيَالِسِيُّ <sup>(٣)</sup> ، حدثنا شُعبَة ، عن منصور ، عن عبد الله بن يسار ، عن حذيفة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال <sup>(٤)</sup> : لا يَقُولَنَّ أَحَدٌ كَمْ مَشَاءَ اللهُ وشَاءَ فُلَانٌ ، ولكن مَشَاءَ اللهُ ثم شاءَ فُلَانٌ <sup>(٥)</sup> .

قال الخطَّابِيُّ <sup>(٦)</sup> : أرشدهم صلى الله عليه وسلم إلى الأدب في تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة مَنْ سِوَاهُ ، واختارها بِمُ التِي هي للنسَق والتراخِي ، بخلاف الواو التي هي للاشتراك .

ومثله <sup>(٧)</sup> الحديثُ الآخر <sup>(٨)</sup> : إِنَّ خُطِيبًا <sup>(٩)</sup> خُطِبَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَقَالَ : مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا <sup>(١٠)</sup> .

(١) في ب : فقال .

(٢) هو ابن عبد البر ، صاحب الاستيعاب وغيره .

(٣) مات سنة سبع وعشرين ومائتين .

(٤) في نسيم الرياض : هذا الحديث روى من طرق كثيرة ، وهو حديث صحيح .

( ابن ماجه : ٦٨٤ ) .

(٥) في نسيم الرياض : هذا النهي تنزيهي لرعاية الأدب بترك العطف بالواو الموهمة للتساوي ،

بخلاف ثم الدالة على البعد رتبة وزمانا .

(٦) الخطَّابِيُّ : هو أبو سليمان البستي ، كان إماما كبيرا تفقه على القفال وغيره . توفي سنة

ثمان وثمانين وثلاثمائة ( القارى : ١-٤٧ ) .

(٧) ومثله : أى مثله في التنزيه عما يوهم .

(٨) وهو حديث صحيح في صحيح مسلم ، وسنن أبي داود مسندا . ( صحيح مسلم : ٥٩٤ )

(٩) هذا الخطيب هو عدى بن حاتم ، أو ثابت بن قيس .

(١٠) رشد : الرشاد : الصلاح ، وهو خلاف الضلال . وأمام هذه العبارة في ب : « فقد

غوى » ، وعابها علامة الصحة . وغوى : ضل عن طريق الهدى .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : بِئْسَ خَطِيبُ الْقَوْمِ أَنْتَ ! قُمْ . أَوْ قَالَ :  
اذهب . قال أبو سليمان <sup>(١)</sup> : كَرِهَ مِنْهُ الْجَمْعَ بَيْنَ الْأَسْمَيْنِ بِحَرْفِ الْكِنَايَةِ <sup>(٢)</sup> لِمَا فِيهِ  
مِنَ التَّسْوِيَةِ .

وذهب غيره إلى أنه إنما كره له الوقوف على « يَعْصِمَا » .

وقول أبي سليمان <sup>(١)</sup> أَصَحُّ ؛ لِمَا رُوِيَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ : وَمَنْ يَعْصِمَا  
فَقَدْ غَوَى ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْوُقُوفَ عَلَى يَعْصِمَا <sup>(٣)</sup> .

وقد اختلف المفسرون وأصحاب المعاني في قوله تعالى <sup>(٤)</sup> : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ  
يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ ؛ هل « يُصَلُّونَ » <sup>(٥)</sup> راجعة على الله تعالى والملائكة أم لا ؟  
فأجازة بعضهم ، ومنعه آخرون ، لعل التشريك <sup>(٦)</sup> ، وخصوا الضمير بالملائكة ؛  
وقد رَوَى الْآيَةَ : إِنَّ اللَّهَ يُصَلِّي ، وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ <sup>(٧)</sup> .

(١) هو الخطابي السابق .

(٢) أي كره أن يعبر عنهما بضمير واحد هو ضمير التثنية ، إذ قال : ومن يعصهما .

(٣) في نسيم الرياض : قال النووي : الصواب أن سبب النهي أن الخطبة شأنها الإيضاح  
واجتناب الرمز ؛ ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا لفهم ، لا كراهة  
الجمع بين الاسمين بالكناية ؛ لأنه ورد في مواضع ، منها قوله صلى الله عليه وسلم : أن يكون الله  
ورسوله أحب إليه مما سواهما .

(٤) سورة الأحزاب ، آية ٥٦ .

(٥) هل يصلون : أي الضمير ، وهو الواو . . .

(٦) لعل التشريك ؛ أي للزوم التشريك بين الله والملائكة والتسوية بينهما في عبارة واحدة  
في ضمير الواو .

(٧) أي من ذهب إلى أن اللفظ التشريك ، ولم يجوز مطلقا - خص الضمير بالملائكة ، وقدر  
في الأول ضميرا . وفي ب : والملائكة - بدل : وملائكته .

وقد روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال (١) : من فضيلتك عند الله أن جعل طاعتك طاعته ؛ فقال تعالى (٢) : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ .

وقد قال [ ٩ ] تعالى (٣) : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ .

رؤى أنه لما نزلت هذه الآية قالوا (٤) : إن محمداً يريد أن نتخذَه حناناً (٥) كما اتخذت النصراني عيسى ؛ فأنزل الله تعالى (٦) : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ ؛ فقرن طاعته بطاعته رَغماً لهم (٧) .

وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في أم (٨) الكتاب (٩) : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ؛ فقال أبو العالية ، والحسن البصري : الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار أهل بيته وأصحابه ؛ حكاه (١٠)

(١) في نسيم الرياض : هذا الحديث قال المخرجون : إنهم لم يجدوه في شيء من كتب الحديث ، وإن ورد ما هو بمعناه في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه : من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن أطاع أميرى فقد أطاعني ، ومن عصى أميرى فقد عصانى . ( سنن النسائي : ٧ - ١٣٨ ) ، ( صحيح مسلم ١٤٦٦ ) .

(٢) سورة النساء ، آية ٨٠ (٣) سورة آل عمران ، آية ٣١ ، ٣٢

(٤) الذين قالوا : هم بعض الكفار ، والمنافقون .

(٥) حنانا : رحمة وعظفا ، والرزق والبركة . والمراد أن محمداً يريد أن يجعلنا ممن نتبرك

به ، ونخضع له خضوعاً يؤدي لعبادته كما عبدت النصراني عيسى بن مريم . وفي هامش ١ :

الحنان : الرحمة والعطف والبركة ، ومر ورقة بن نوفل ببال ، وهو يعذب فقال : والله لئن

قتلتموه لأتخذنه حناناً ؛ أى لآتمسحن به . (٦) سورة آل عمران ، آية ٣٢

(٧) رَغماً لهم : الرغمة : الفيظ ، والتذليل ، والقهر ، والإكراه ؛ أى إرادة ذلك بهم وتحصيله .

(٨) أم الكتاب : الفاتحة . (٩) سورة الفاتحة ، آية : ٦ ، ٧

(١٠) هذا الأثر رواه الحاكم في المستدرک عن ابن عباس ، وصححه ( الشهاب الحفاجي :

١ - ١٧٦ ، والقارى : ١ - ٥٠ ) .

عنهما أبو الحسن الماوردي، وحكى مكّي عنهما [نحوه] <sup>(١)</sup>؛ وقال: هو رسول الله  
الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.  
وحكى أبو الليث السمرقندي مثله، عن أبي العالية، في قوله تعالى <sup>(٢)</sup>: ﴿صِرَاطَ  
الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ﴾؛ قال: فبلغ ذلك الحسن؛ فقال: صدقَ اللهُ ونصَحَ.  
وحكى الماوردي ذلك في تفسير <sup>(٣)</sup>: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ﴾، عن  
عبد الرحمن بن زيد.

وحكى أبو عبد الرحمن السلمي، عن بعضهم، في تفسير قوله تعالى <sup>(٣)</sup>: ﴿فَقَدْ  
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا <sup>(٤)</sup>، واللهُ سميعٌ عليمٌ﴾ - أنه محمد صلى الله عليه  
وسلم. وقيل: الإسلام. وقيل: شهادة التوحيد <sup>(٥)</sup>.

وقال سهل في قوله تعالى <sup>(٦)</sup>: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ - قال:  
نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم.

وقال تعالى <sup>(٧)</sup>: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ. لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ  
عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾.  
أكثرُ المفسرين على أن الذي جاء بالصِّدْقِ هو محمد صلى الله عليه وسلم.

(١) ليس في ب .

(٢) سورة الفاتحة، آية ٧

(٣) سورة البقرة، آية ٢٥٦

(٤) استمسك: تمسك. والعروة في الأصل: النبات الثابت في الأرض. ويقال لما يعقد في الجبل  
ليدخل فيه اليد للتمسك. ومنه عروة القميص والكوز، واستعمل هنا لما يستعصم به ويلتجأ  
إليه. والوثقى: المحكمة. والمراد أن من صدق وآمن به سلم من كل سوء في الدنيا والآخرة.

(٥) شهادة التوحيد: قول لا إله إلا الله .

(٦) سورة إبراهيم، آية ٣٤، وسورة النحل، آية ١٨

(٧) سورة الزمر، آية ٣٣، ٣٤

وقال بعضهم : وهو الذى صدق به .

وقرى : صدق<sup>(١)</sup> - بالتخفيف .

وقال غيرهم : الذى صدق<sup>(٢)</sup> به المؤمنون [ ٩ ] . وقيل أبو بكر . وقيل على .

وقيل غير هذا من الأقوال .

وعن مجاهد - فى قوله تعالى : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ - قال : بمحمد

صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

## الفصل الثانى

فى وصفه تعالى له بالشهادة<sup>(٤)</sup> وما يتعلق بها من الثناء والكرامة<sup>(٥)</sup>

قال الله تعالى<sup>(٦)</sup> : ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وَدَاعِيًا

إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾<sup>(٧)</sup> : جمع الله تعالى فى هذه الآية ضربا<sup>(٨)</sup> من رُتَب

(١) فوق كلمة « صدق » فى ا : « خف » .

(٢) بالتخفيف أيضا فى ب . (٣) سورة الرعد ، آية ٢٨

(٤) أى بأنه صلى الله عليه وسلم شاهد على أمته بالتبليغ إليهم ، وعلى سائر الأمم بتبليغ أنبيائهم لهم .

(٥) الكرامة : الإكرام له ؛ يعنى أن المقصود فى الأول ثناء الله ومدحه لنبية صلى الله عليه وسلم بكونه أنفوس الناس ذاتا وحسبا ونسبا ، وكونه خيرا ورحمة عامة فى حياته ومماته ، وكونه نورا محضا منورا للعالم ، وكونه ذا صدر واسع منشرح ؛ ورفعة قدره واسمه بمقارنته لاسم ربه وذكره وأنه الصراط المستقيم . قال الحفاجى : وسيدكر فى هذا الفصل أن الله جعله شاهدا على أمته وسائر الأمم وأنبيائهم ؛ وما ذكر فيه من الثناء والإكرام مذكور بالتبعية للشهادة استطرادا لمناسبتة له . وبهذا تبين مغايرة ما عقد له الفصلان ( الشهاب الحفاجى :

١ - ١٨٣ ) . (٦) سورة الأحزاب ، آية ٤٥ ، ٤٦

(٧) ذكر المؤلف هذه الآية قبل ذلك صفحة ٢١ لتأييد كونه نورا ، ثم ذكرها هنا

لكونه شاهدا على التبليغ . (٨) ضربا : أنواعا .

الأثرية<sup>(۱)</sup>، وجملة أوصاف من المدحة<sup>(۲)</sup>؛ فجعله شاهداً على أمته لنفسه بما بلاغهم الرسالة؛ وهي<sup>(۳)</sup> من خصائصه صلى الله عليه وسلم؛ ومبشراً لأهل طاعته؛ ونذيراً لأهل معصيته، وداعياً إلى توحيده وعبادته؛ وسيراً جاً منيراً يهتدى به للحق.

حدثنا الشيخ أبو محمد<sup>(۴)</sup> بن عتاب رحمه الله، حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد، حدثنا أبو الحسن القاسي، حدثنا أبو زيد المرؤزي، حدثنا أبو عبد الله محمد ابن يوسف، حدثنا البخاري، حدثنا محمد بن سنان، حدثنا فليح، حدثنا هلال، عن عطاء بن يسار؛ قال<sup>(۵)</sup>: أقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: أجل<sup>(۶)</sup>، والله، إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن<sup>(۷)</sup>: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾<sup>(۷)</sup>، وحرزاً للأمة<sup>(۸)</sup>، أنت عبدى ورسولى، سميتك المتوكل،

(۱) الرتب: جمع رتبة، وهي المرتبة والمنزلة. والأثرية - بضم الهمزة وسكون الشاء: الكرامة. وبتح الهمزة والشاء: الانفراد بالشيء. والمراد أن في الآية أموراً مخصوصة انفرد بها النبي صلى الله عليه وسلم. ويرجع الشهاب المعنى الأول. ويرجع النووي المعنى الثانى. وقد جاء الضبط الأول فى ۱، والضبط الثانى فى ب. (۲) المدحة: الشاء، والذكر الحسن. (۳) وهى: أى شهادته عليهم لنفسه بدون بينة.

(۴) قال الشهاب (۱ - ۱۸۶): هو عبد الرحمن بن عتاب شيخ المصنف، سمع منه فى رحلته للأندلس. وهو من علماء الحديث. توفى سنة عشرين وخمسمائة (والقارى: ۱ - ۵۳). (۵) هذا الحديث تفرد به البخارى (البخارى: ۳ - ۸۳). وقريب من معناه حديث فى الترمذى: ۴ - ۳۶۹، وفى هامش ۱: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص. والمثبت على كل كلمة فيه علامة صح فى ۱.

(۶) أجل: نعم. (۷) قال القارى (۱ - ۵۵): وهذا مذکور فى القرآن، ولعل معناه مذکور فى التوراة. (۸) الحرز: أصل معناه: الحفظ، ثم أطلق على المكان الذى يحفظ به، فيقال: حرز حرز. والمراد بالأمة العرب: لغلبة الأمية فيهم، أو لانهم لا كتاب لهم.



ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق<sup>(۱)</sup> ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر<sup>(۲)</sup> ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء<sup>(۳)</sup> ، بأن يقولوا : لا إله إلا الله<sup>(۴)</sup> ، ويفتح به أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا<sup>(۵)</sup> .

وذكر مثله عن عبد الله بن سلام [ ۱۰ ] وكعب الأحمار ؛ وفي بعض طرقه ، عن ابن إسحاق<sup>(۶)</sup> : ولا صخاب في الأسواق ، ولا متززين بالفحش<sup>(۷)</sup> ، ولا قوال للخنا<sup>(۸)</sup> ؛ أسدده لكل جميل<sup>(۹)</sup> ، وأهب له كل خلق كريم<sup>(۱۰)</sup> ، وأجمل

(۱) الفظ : الرجل الشديد الغليظ القلب ؛ أى ليست له قسوة قلب ، ولا تشديد على الناس ؛ لأن ماله سمحاء . وليس بغليظ : ليس بعنيف ، والمراد أنه ليس بسوء الخلق . والصخاب : من الصخب ، وهو ارتفاع الصوت وشده . والمراد نفي الصخب عنه مطلقا ؛ لأنه إذا انتفى في محل المعتاد فيه انتفى في غيره بالطريق الأولى . والصخاب بالسين فى ا ، والبخارى ، وبالصاد فى ب ، وهما بمعنى واحد .

(۲) لا يسىء لمن أساء إليه ، ويدفع بالتي هي أحسن ؛ وذلك لأن خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن ، وقد قال الله تعالى : وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله . (۳) يقبضه : يتوفاه . الملة : الدين . العوجاء : غير المستقيمة . والمراد بالملة هنا ملة إبراهيم عليه السلام التي عوجتها العرب بتغييرها ؛ لأنهم ذرية إسماعيل بن إبراهيم ، وكانوا يزعمون أنهم على ملته الحنيفية .

(۴) اقتصر على هذا من الدين القيم ؛ لأن العوج الواقع فيها يؤدي إلى الشرك وعبادة الأصنام .

(۵) قلوبا غلفا : لا تعى ماجئت به .

(۶) فى ب : عن إسحاق ، ونراه تحريفا .

(۷) الفحش : القبح ، وكل شيء جاوز الحد فهو فاحش . والمراد كل قبيح قولا كان أو فعلا ؛ أى لا يتابس بأمر قبيح ، أو يتجمل ويباهى به .

(۸) الخنا : قبيح الكلام ؛ أى لا يصدر عنه شيء من ذلك .

(۹) أسدده : أوقفه للسداد ، وهو الصواب من القول والعمل .

(۱۰) أهب له : أعطيه .

السكينة لباسه، والبرّ شعاره<sup>(١)</sup>، والتقوى ضميره<sup>(٢)</sup>، والحكمة معقوله<sup>(٣)</sup>، والصدق والوفاء طبيعته<sup>(٤)</sup>، والعموم والمعروف خلقه، والعدل سيرته، والحق شريعته، والهدى إمامه<sup>(٥)</sup>، والإسلام ميلته، وأحمد اسمه، أهدى به بعد الضلالة، وأعلم به بعد الجهالة، وأرفع به بعد الخمالة<sup>(٦)</sup>، وأسمى به بعد النكرة<sup>(٧)</sup>، وأكثر به بعد القلة، وأغنى به بعد العيلة<sup>(٨)</sup>، وأجمع به بعد الفرقة، وأولف به بين قلوب مختلفة، وأهواء متشتتة، وأمم متفرقة، وأجعل أمة خير أمة أخرجت للناس<sup>(٩)</sup>.

وفي حديث آخر: أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التوراة<sup>(١٠)</sup>:

- (١) السكينة : الوقار والطمأنينة . والشعار : اللباس الذي يلي الجسد .
- (٢) التقوى : ما بقى من العذاب في الآخرة . والضمير : ما يضر في القلب وينوى في خاطره بحيث لا ينساه .
- (٣) الحكمة : كل كلام جامع لما يرشد إلى الحق . معقوله : المراد أن الحكمة بعقله وإدراكه . أو المراد ما بعقله كله حكم ومواعظ وعنوم ؛ لأنه لا ينطق عن الهوى .
- (٤) أي لا ينطق بغير ما وافق الواقع ، وإذا عاقد أحدا ؛ أو وعد وعدا لا يخلفه ؛ وهذا أمر طبيعي له جعله الله فيه .
- (٥) إمامه : قد تكون بكسر الهمزة ؛ أي قدوته ؛ أو بفتح الهمزة ، ويكون المعنى أن الهدى إمامه وقدامه ، فهو ملاحظ له دائماً .
- (٦) الخامل : الساقط الذي لا نباهة له . والخمالة : الخمول ؛ أي بعد أن لم يكن لهم ذكر وقدر وشأن في الظاهر وإن كانوا في علم الله خير أمة .
- (٧) النكرة : خلاف المعرفة ، ويطلق بمعنى المجهول . والمراد : إني أرسله في زمان جهالة، وضلالة، وفترة ، فيؤمن به أول مساكين الناس وضعفاؤهم وهي على عادة الرسل عليهم السلام ؛ فيصيرون به بعد خمولهم وكونهم مجهولين أعز الناس وأكرمهم .
- (٨) العيلة : الفقر .
- (٩) أخرجت : أوجدت وخلقت وأخرجت من العدم .
- (١٠) رواه الطبراني، وأبو نعيم في الدلائل عن ابن مسعود (الدلائل : ١ - ٨٢) . والدارمي عن كعب موقوفا ، ورواه بإسناد ضعيف . (الشهاب : ١ - ٢٠٣ ، والقارى : ١ - ٥٩) .

عَبْدِي أَحْمَدُ الْمُخْتَارُ ، مَوْلَاهُ بِمَكَّةَ ، وَمُهَاجِرُهُ <sup>(۱)</sup> بِالْمَدِينَةِ ، أَوْ قَالَ : طَيْبَةَ <sup>(۲)</sup> ،  
أُمَّتُهُ الْحَمَادُونَ <sup>(۳)</sup> اللَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ .

وَقَالَ تَعَالَى <sup>(۴)</sup> : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا  
عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ  
وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا  
بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . قُلْ يَا أَيُّهَا  
النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
يُحْيِي وَيُمِيتُ ، فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ  
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ .

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى <sup>(۵)</sup> : ﴿ فِيهَا رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ فِطْرًا غَلِيظًا الْقَلْبِ  
لَا نَهَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ  
فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

قَالَ السَّهْرَقَنْدِيُّ : ذَكَرَهُمُ اللَّهُ مِنْتَهُ <sup>(۶)</sup> أَنَّهُ جَعَلَ رَسُولَهُ رَحِيمًا بِالْمُؤْمِنِينَ ، رَدِّوْا

(۱) مهاجره : محل هجرته التي هاجر إليها .

(۲) طيبة : اسم من أسماء المدينة .

(۳) الحمادون : الكثيرو الحمد .

(۴) سورة الأعراف ، آية ۱۵۷ ، ۱۵۸

(۵) سورة آل عمران ، آية ۱۵۹ ، وذكر المؤلف هذه الآية لتعلقها بما تقدم في التوراة ؛

من قوله : ليس بفظ ولا غليظ .

(۶) منته : إمامه وامتتانه عليهم . وفي هامش : ۱ : كتبت ذكرهم ، وعليها علامة الصحة .

وفي ۱ : منته . والمثبت في ب .

لَيْنَ الْجَانِبِ ، وَلَوْ كَانَ فَظًّا خَشِينًا فِي الْقَوْلِ لَتَفَرَّقُوا مِنْ حَوْلِهِ ، وَلَكِنْ <sup>(١)</sup> جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَمْحًا سَهْلًا ، طَلَمَّا بَرًّا لَطِيفًا <sup>(٢)</sup> .

هَكَذَا قَالَ الضَّحَّاكُ .

وَقَالَ تَعَالَى <sup>(٣)</sup> : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ .

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَاسِمِيُّ : أَبَانَ اللَّهُ تَعَالَى فَضْلَ نَبِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفَضْلَ أُمَّتِهِ بِهَذِهِ الْآيَةِ ، وَفِي قَوْلِهِ فِي الْآيَةِ [ ١٠ ] الْآخِرَى <sup>(٤)</sup> : ﴿ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى <sup>(٥)</sup> : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ .  
قَوْلُهُ تَعَالَى : وَسَطًا : أَيُّ عَدْلًا خِيَارًا .

وَمَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ : وَكَمَا هَدَيْنَاكُمْ فَكَذَلِكَ خَصَّصْنَاكُمْ وَفَضَّلْنَاكُمْ بِأَنْ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً خِيَارًا عَدْلًا ؛ لِتَشْهَدُوا لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَى أُمَّعِهِمْ ، وَيَشْهَدَ لَكُمْ الرَّسُولُ بِالصِّدْقِ .

(١) فِي ب : لَكِنْ .

(٢) سَمْحًا : سَهْلًا جَوَادًا كَرِيمًا . طَلَمَّا : غَيْرَ عَبُوسٍ ، فِيهِ بَشَاشَةٌ وَسُرُورٌ . وَالْبَارُّ : مَنْ

فِيهِ خَيْرٌ وَشَفَقَةٌ وَرَفَقٌ وَإِحْسَانٌ وَرَحْمَةٌ . وَاللَّطِيفُ : الشَّفِيقُ .

(٣) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، آيَةٌ ١٤٣

(٤) سُورَةُ الْحَجِّ ، آيَةٌ ٧٨

(٥) سُورَةُ النِّسَاءِ ، آيَةٌ ٤١ .

(٦) الْأُمَّةُ : الْجَمَاعَةُ . وَالشَّهِيدُ : هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي يَشْهَدُ عَلَى مَا عَمَلُوهُ . وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ

شَهِيدًا : أَيُّ جِئْنَا بِكَ يَا مُحَمَّدُ عَلَى هَؤُلَاءِ الشُّهُدَاءِ شَهِيدًا عَلَى صِدْقِهِمْ ؛ أَوْ عَلَى الْأُمَمِ ، أَوْ عَلَى التَّبْلِيغِ .

وقيل : إن الله جلَّ جلاله إذا سأل الأنبياء : هل بلغتُم (١) . فيقولون : نعم .  
فتقول أممهم : ما جاءنا من بشير ولا نذير ؛ فتشهد أمة محمد صلى الله عليه وسلم للأنبياء ؛  
ويزكِّيهم النبي صلى الله عليه وسلم (٢) .  
وقيل : معنى الآية : إنكم حجة على كل من خالفكم ، والرسول حجة عليكم (٣) .  
حكاه السمرقندی .

وقال الله تعالى (٤) ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ .  
قال قتادة ، والحسن ، وزيد بن أسلم : « قدم صدق » : هو محمد صلى الله عليه  
وسلم ، يشنع لهم (٥) .

وعن الحسن أيضا : هي مصيبتهم بنبيهم (٦) .  
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : هي شفاعت نبيهم محمد صلى الله عليه  
وسلم ؛ هو (٧) شفيع صدق عند ربهم .

(١) هل بلغتُم : سؤال الله ليظهر حال الأمم وفضل هذه الأمة ، وإلا فالله سبحانه وتعالى  
يعلم السر وأخفى .

(٢) هذا حديث مرفوع أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري . (صحيح البخاري :  
٩ - ١٣٢) .

(٣) أي إجماعهم حجة ، وشهادتهم مقبولة معتبرة ، والنبي صلى الله عليه وسلم حجة على الجميع .

(٤) سورة يونس ، آية ٢

(٥) قدم صدق : تقدم ورتبة رفيعة عند الله . ويراد بقدم الصدق : تزكيتة المقرونة  
بتصديقه ، وفيه مناسبة تامة لما نحن فيه . وفي تفسير القرطبي (٨ - ٣٠٦) - عن الحسن  
وقتادة : هو محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنه شفيع مطاع يتقدمهم ، كما قال : أنا فرطكم ( أي  
متقدمكم ) على الحوض . وارجع إلى القرطبي ففيه أقوال أخرى كثيرة في معنى « قدم صدق » -  
إن أردت .

(٦) أي وفاته صلى الله عليه وسلم قباهم . وهذا المعنى منقول في القرطبي (٨ - ٣٠٦)  
عن الحسن .

(٧) في ب : وهو .

وقال سهل بن عبد الله التستري : هي سابقة رحمة أودعها الله في محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال محمد بن علي الترمذي<sup>(۱)</sup> : هو<sup>(۲)</sup> إمام الصادقين والصدّيقين ، الشفيع المطاع ، والسائل المجاب محمد صلى الله عليه وسلم ، حكاه عنه السلمي .

### الفصل الثالث

فما ورد من خطابه إياه مَوْرِدَ المِلاطِفَةِ والمِبرَةِ<sup>(۳)</sup>

من ذلك قوله تعالى<sup>(۴)</sup> : ﴿ عَفَا اللهُ عَنْكَ ، لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ﴾ .

قال أبو محمد مكيّ : قيل هذا افتتاحُ كلامٍ بمنزلة : أصلحك الله ، وأعزّك الله .

وقال عون<sup>(۵)</sup> بن عبد الله : أخبره بالعفو قبل أن يُخبره بالذنب<sup>(۶)</sup> .

وحكى السمرقندي عن بعضهم أن معناه : عفاك الله ياسليم القلب : لم أذنت لهم ؟

قال : ولو بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ، لم أذنت لهم لخيفَ عليه أن

يَنشَقَّ قلبه من هيبة هذا الكلام<sup>(۷)</sup> ، لكن الله تعالى برحمته أخبره بالعفو حتى

(۱) هو المحكم الترمذي ، وهو غير صاحب السنن .

(۲) في ب : هي - أي القدم . وفي تفسير القرطبي ( ۸ - ۳۰۶ ) : وقال الترمذي الحكيم :

قدمه صلى الله عليه وسلم في المقام المحمود .

(۳) أي خطاب الله تعالى لنبيه الكريم . والملاطفة : المعاملة باطف وشفقة . والمبرة :

بمعنى البر ، وهو الإحسان والخير .

(۴) سورة التوبة ، آية ۴۳

(۵) هو عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الكوفي الزاهد الفقيه ، توفي في حدود

سنة ستين ومائة .

(۶) الذنب هنا : خلاف الأولى والأليق ؛ لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين .

(۷) لأنه حينئذ يشعر بأنه وقع في الآثام .

سكن قلبه ، ثم قال له : لم أذنت لهم بالتخلف <sup>(١)</sup> حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب .

وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب <sup>(٢)</sup> .

ومن إكرامه إياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب <sup>(٣)</sup> . قال نبطويه <sup>(٤)</sup> : ذهب ناس إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الآية ، وحاشاه <sup>(٥)</sup> من ذلك ، بل كان مخيرا <sup>(٦)</sup> فلما أذن لهم أعله الله تعالى أنه لو لم يأذن لهم لتعدوا لنفاقهم ، وأنه لا حرج عليه في الإذن [ لهم ] <sup>(٧)</sup> .

قال القاضي <sup>(٨)</sup> أبو الفضل : يجب على المسلم المجاهد نفسه <sup>(٩)</sup> ، الرأض بزمام الشريعة خلقه <sup>(١٠)</sup> أن يتأدب بأدب القرآن في قوله ونعله ، ومعاظاته <sup>(١١)</sup> ومحاوراته ،

(١) كان هذا التخلف عن غزوة تبوك . (٢) اللب : العقل .

(٣) نياط القلب : نياط : عرق غليظ يعلق به القلب من الوتين . وقيل : هو الوتين نفسه ؛ فإذا انقطع مات صاحبه ؛ فلذا كنى به عن الموت .

(٤) نبطويه : هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي النحوي ، توفي سنة ثلاث وثلاثمائة ببغداد ودفن بباب الكوفة .

(٥) وحاشاه من ذلك : أي والنبي صلى الله عليه وسلم منزّه عن أن يفعل ما يستحق العقاب عليه . قال في نسيم الرياض : لاعتاب في هذه الآية ، بل فيها إعزاز له وإكرام بالدعاء له ، وتصويب لفعله .

(٦) بل كان مخيرا : بين الإذن وعدمه ؛ لقوله تعالى : ﴿ فَأذِن لِمَن شئتَ منهم ﴾ . وفي ب : مخبرا - بكسر الباء .

(٧) ليس في ب . (٨) هو المؤلف ، كما سبق .

(٩) المجاهد نفسه : بتهديب الأخلاق ، والصبر ، وكسر شهوتها ؛ فإنه الجهاد الأكبر . وفي ب : بنفسه .

(١٠) راض : من رقت الدابة أروضها ؛ إذا ذلتها لتتقاد لما تريد وتلين شكيمتها . والزمّام : ما يقودها كاللجام . (١١) معاذاته : المراد بالمعاطاة هنا الأفعال الواقعة منه .

فهو عنصرُ المعارفِ الحقيقيةِ ، وروضةُ الآدابِ الدينيةِ والدُّنيويةِ (١) ، وليتأملْ هذه الملائمةَ (٢) العجيبةَ في السؤالِ من رَبِّ الأربابِ ، المُنعمِ على الكلِّ ، المستغني عن الجميعِ ، وَيَسْتَثِرُ ما فيها من الفوائدِ (٣) ، وكيف ابتدأ بالإكرامِ قبل العتابِ ، وَأَنَسَ (٤) بالفوقِ قبل ذِكْرِ الذنبِ إن كان ثمَّ ذنبٌ .

وقال تعالى (٥) : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدَّتْ تَرُكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ (٦) .

قال بعضُ المتكلمين : عاتبَ اللهُ تعالى الأنبياءَ عليهم السلام بعد [ ١١ ] الزَّلَّاتِ (٧) ، وعاتبَ نبينا عليه السلام قبل وَقُوعِهِ ، ليكونَ بذلكَ أشدَّ انتهاً ومحافظةً لشرائطِ المحبَّةِ ، وهذه غايةُ العنايةِ .

ثم انظرْ كيف بدأ بثنائِهِ (٨) وسلامتِهِ قبل ذِكْرِ ما عتابَهُ (٩) عليه ! وخيفَ أنْ

(١) فهو : الضميرُ للنبي ، أول القرآن . والعنصر : الأصل . والروضة : أرض ذات مياه وأشجار وأزهار طيبة .

(٢) وليتأمل : وليتدبر ؛ أي المسلم .

(٣) يستثر : يبرز ويحرك ، أي يظهره لنفسه ولغيره . وفي ب : يتبين ويستثير . وقال القاري : يستثير : من ثار للشيء إذا ارتفع وانتشر ، والمراد يظهر وينتشر ويبحث ويستخرج . ما فيها : أي الملائمة والآداب القرآنية .

(٤) في ب : وآنس .

(٥) سورة الإسراء ، آية ٧٤

(٦) أي لولا أن ثبتناك على الحق والصواب والسداد قاربت الميل إلى مرادهم ميلاً قليلاً ؛ ففي هذه الآية تصريح بأن الله عصمه عن الميل إلى خلاف الصواب ، فضلاً عن الوقوع فيه . وفيه دليل ظاهر على ما قدمه من أنه لا ذنب له رأساً .

(٧) الزلات : جمع زلة ، من الزلل ، وأصله دحوض القدم ، ثم عبر به عن الوقوع فيما لا يرضى من غير قصد ؛ ولذا فسر بالخطأ ؛ فإن الزلة ما صدر من سالك الطريق من غير قصد المخالفة .

(٨) أي لم يقل : لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً لولا أن ثبتناك ، فبدأ بثنائه على الموافقة ، وسلامته من المخالفة .

(٩) في ب : ما عتابه عليه .



يَرُ كُنَ إِلَيْهِ ، فَفِي أَثْنَاءِ عَتَبِهِ بِرَأَاهُ ، وَفِي طَى تَخْوِيفِهِ تَأْمِينُهُ وَكَرَامَتُهُ .

ومثله قوله تعالى (۱) : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ، فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (۲) .

قال علي رضي الله عنه (۳) : قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم : إنا لأنكذبك ولكن نكذب ما (۴) جئت به ، فأنزل الله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ .

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم (۵) لما كذب به قومه حزين ، فجاءه جبريل عليه السلام فقال : ما يحزنك (۶) ؟ قال : كذبني قومي ! فقال : إنهم يعادون أنك صادق ، فأنزل الله تعالى الآية .

ففي هذه الآية منزع (۷) لطيف المأخذ ، من تسليته (۸) تعالى له عليه السلام ، وإلطافه به في القول ، بأن قرّر (۹) عنده أنه صادق عندهم ، وأنهم غير مكذبين له ، معترفون بصدقه قولاً واعتقاداً ، وقد كانوا يُسمونه - قبل النبوة - الأمين ،

(۱) سورة الأنعام ، آية ۳۳ (۲) يجحدون : ينكرون .

(۳) في تفسير القرطبي ( ۶ - ۴۱۶ ) : قال أبو ميسرة : إن رسول الله مر بأبي جهل وأصحابه فقالوا : يا محمد ، والله ما نكذبك ، وإنك عندنا لصادق ، ولكن نكذب ما جئت به ، فنزلت هذه الآية . (۴) في ب : بما .

(۵) قال السيوطي في تخريجه هذا الحديث : لم أجده . وقال القاري : حديث جبريل هذا أورده بصيغة روى ، ولم أعرف من رواه .

(۶) في ب . ما يحزنك - بفتح الياء .

(۷) منزع لطيف : المراد به شيء يرجع إليه . لطيف المأخذ : حسن دقيق أخذه واستنباطه منها .

(۸) التسليّة : تطيب القلب بما يذهب حزنه ويفرج كربه .

(۹) قرّر : بين وأثبت .

خدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب<sup>(١)</sup>، ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين، فقال تعالى: ﴿ولكن الظالمين آيات الله يجحدون﴾ .  
فحاشاه من الوصم<sup>(٢)</sup>، وطوقهم<sup>(٣)</sup> بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم، إذ الجحد إنما يكون ممن علم الشيء ثم أنكره، كقوله تعالى<sup>(٤)</sup>: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾ .

ثم عزاه وأنسه<sup>(٥)</sup> بما ذكره عمّن قبله، ووعد النصر بقوله تعالى<sup>(٦)</sup>: ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبيّ الرسلين﴾<sup>(٧)</sup> .

فمن قرأ<sup>(٨)</sup> «لا يكذبونك» بالتخفيف، فعناه: لا يجحدونك كاذباً. وقال<sup>(٩)</sup> الفراء، والكسائي: لا يقولون إنك كاذب .  
وقيل: لا يحتجّون على كذبتك، ولا يثبتونه .  
ومن قرأ بالتشديد<sup>(١٠)</sup> فعناه: لا ينسبونك إلى الكذب . وقيل: لا يعتقدون كذبتك .

(١) الارتماض: أصل الارتماض من الرضاء، وهي شدة الحرارة، شبه بها ما اشتد عليه وأقلقه من ألم قلبه . والسمة: العلامة .

(٢) حاشاه من الوصم: أي نزه الله النبي وبراه من الوصم؛ وهو النقص والعيب . والمراد به الكذب المذكور في الآية .

(٣) وطوقهم: وألزمهم . (٤) سورة النمل، آية ١٤

(٥) التعزية: تسلية المصاب بما يخفف حزنه . وأنسه: أذهب وحشته وفاقه بمالقيه منهم .

(٦) سورة الأنعام، آية ٣٤

(٧) لكلمات الله: أي مواعيده بنصر أنبيائه وأوليائه بقوله تعالى: ﴿ولقد سبقت كلمتنا

لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون﴾ . وقوله تعالى: ﴿إنا لننصر رسلنا﴾ .

(٨) وهو نافع، والكسائي . (٩) في ب: قال . (١٠) وهم الباقون .

ومما ذُكر من خصائصه <sup>(١)</sup> وبرِّ الله تعالى به أن الله تعالى خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم ، فقال تعالى : يا آدم ، يا نوح ، [ يا موسى ] <sup>(٢)</sup> ، يا داود ، يا عيسى ، يا زكريا ، يا يحيى . ولم يخاطب هو إلا : يا أيها الرسول ، يا أيها النبي ، يا أيها المرسل ، يا أيها المرسل .

## الفصل الرابع

في قسمه تعالى بعظيم قدره

قال الله تعالى <sup>(٣)</sup> : **لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ** <sup>(٤)</sup> **يَعْمَهُونَ** .

اتفق أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله جلَّ جلاله بمدَّة حياة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأصله ضمُّ العين ، من العُمر ، ولكنها فُتحت لكثرة <sup>(٥)</sup> الاستعمال . ومعناه : وبئناك يا محمد . وقيل : وعيشك . وقيل : وحياتك .

وهذه نِزابة التعظيم ، وغاية البرِّ والتشريف . قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما خلق الله تعالى ، وما ذرأ <sup>(٦)</sup> ، وما برأ نفساً - أكرم عليه من محمد <sup>(٧)</sup> صلى الله عليه وسلم ، وما سمعتُ الله تعالى أقسم بحياة أحدٍ غيره <sup>(٨)</sup> . وقال أبو الجوزاء <sup>(٩)</sup> : ما أقسم الله تعالى بحياة أحدٍ غير محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه أكرم <sup>(١٠)</sup> البرية عنده .

- (١) خصائص : جمع خصيصة . وهي ما خص به دون غيره تميزاً له وتفضيلاً له على غيره .  
 (٢) ليس في ١ . (٣) سورة الحجر ، آية ٧٢ .  
 (٤) سكرتهم : غفلتهم . يعمهُون : يتحيرون ويترددون .  
 (٥) في ب : بآثرة . (٦) ذرأ : خلق . وبرأ : خلق .  
 (٧) في ب : غير محمد صلى الله عليه وسلم .  
 (٨) قول ابن عباس هذا رواه البيهقي في دلائله ، وأبو نعيم ، وأبو يعلى .  
 (٩) أبو الجوزاء : أوس بن عبد الله الرابعي البصري ، يروي عن عائشة وغيرها ، وعنه قتادة وعدة ، وهو ثقة ، كما قال الحاكم . وتوفي سنة ثلاث وثمانين . وفي ب : أبو الحبر .  
 (١٠) البرية : الخليفة .

وقال تعالى<sup>(١)</sup> : ﴿يَسْ . وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ . . .﴾ الآيات .

اختلف المُفسِّرون في معنى « يَس » على أقوال ؛ فحكى أبو محمد مَكِّيَّ [ أنه ]<sup>(٢)</sup> رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لي عند رَبِّي عشرةُ أسماء ، ذكر منها : طه وِيس - اسمان له<sup>(٣)</sup> .

وحكى أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ ، عن جَعْفَرِ الصَّادِقِ - أنه أراد : يا سَيِّدُ ، مخاطبةً لِنَبِيِّهِ صلى الله [ ١٢ ] عليه وسلم .

وعن ابن عباس : يَس - يا إنسان<sup>(٤)</sup> ، أرادَ محمداً صلى الله عليه وسلم ، وقال : هو قَسَمٌ ، وهو من أسماء الله تعالى<sup>(٥)</sup> .

وقال الزَّجَّاجُ<sup>(٦)</sup> : قيلَ معناه : يا محمد . وقيل : يا رجل . وقيل : يا إنسان .

وعن ابنِ الحَنَفِيَّةِ : يَس : يا محمد .

وعن كَعْبٍ : يَس : قَسَمٌ أَقْسَمَ اللهُ تعالى به قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ بِاللَّفِيَّ عام : يا محمدُ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . ثم قال : وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ - إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ .

(٢) ليس في ١ .

(١) سورة يس ، آية ١ ، ٢ .

(٣) اسمان له : أى هما اسمان له صلى الله عليه وسلم . وقال القارى ( ١ - ٧٤ ) : ومع هذا ليس الحديث المذكور بصحيح ، وقد ضعفه القاضى أبو بكر بن العربى . وقال الشهاب . ( ١ - ٢٤٠ ) : فى سنده مقال .

(٤) رواه ابن أبى حاتم . وعن مناتل إنها لغة حبشية ، يسمون الإنسان « يس » . وعن ابن عباس إنها لغة طيء .

(٥) قال السيوطى : أخرجه ابن جرير .

(٦) الزجاج : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد شيخ العربية ، الإمام فى الأدب . توفى سنة ست أو إحدى عشرة وثلاثمائة ( الشهاب : ١ - ٢٤٣ ) . وقال القارى ( ١ - ٧٥ ) : توفى سنة عشر وثلاثمائة ببغداد .

فإن قرّر أنه بين أسمائه صلى الله عليه وسلم ، وضح فيه <sup>(١)</sup> . أنه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم <sup>(٢)</sup> . ويؤكد فيه القسم عطف القسم الآخر عليه ، وإن كان بمعنى النداء فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق رسالته ، والشهادة بهدايته : أقسم الله تعالى باسمه <sup>(٣)</sup> وكتابه إنه آمن المرسلين بوحيه إلى عباده ، وعلى صراط مستقيم من إيمانه ، أى طريق لا اعوجاج فيه ، ولا عدول عن الحق .

قال النقاش <sup>(٤)</sup> : لم يقسم الله تعالى لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتاب إلا له ، وفيه من تعظيمه وتمجيدِه - على تأويل من قال : إنه ياسيد - ما فيه ؛ وقد قال عليه السلام : أنا سيّد ولد آدم ، [ ولا فخر ] <sup>(٥)</sup> .

وقال تعالى <sup>(٦)</sup> : لا أقسم بهذا البلد ، وأنت حلٌّ بهذا البلد . قيل : لا أقسم به إذا لم تكن فيه بعد خروجك منه ، حكاة مكّي <sup>(٧)</sup> . وقيل : « لا » زائدة ؛ أى أقسم به وأنت به يا محمد حلال <sup>(٨)</sup> . أو حلٌّ لك ما فعلت فيه على التفسيرين .

(١) أنه : الضمير لـ « يس » . (٢) ما تقدم : أى من القسم بقوله : لعمرك .

(٣) باسمه : وهو يس : العلم الدال على ذاته .

(٤) النقاش : أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلى البغدادي المفسر المقرئ توفي سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة .

(٥) ما بين القوسين ليس فى ب . والفخر : ادعاء العظمة والشرف والإعلان بذكره ؛ أى لا أقول ذلك تبجحاً ولا افتخاراً بل تحديثاً بنعم الله وشكره . والحديث فى مسلم (١٧٨٢) ، وابن ماجه (١٤٤٠) . (٦) سورة البلد ، آية ١ ، ٢ .

(٧) أى « لا » نافية ، والبلد : مكة . وفى شرح القارى ( ١ - ٧٧ ) : هذا القى حكاة مكّي لا يستقيم تنزيله على الآية ، لأنه عكس مقتضاها ، ألا ترى أن الواو من قوله تعالى : وأنت حل . واو الحال ، وإذا كانت كذلك فيكون معنى الآية : لا أقسم بهذا البلد إذا كنت فيه ، وهو ضد ما قال مكّي .

(٨) حلال : مقم .

والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة .

وقال الواسطي : أي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيًا ،  
وببركتك ميتًا - يعني المدينة .

والأول أصح ؛ لأن السورة مكية ، وما بعده يُصحَّحُه : قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتَ  
حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ .

ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى (١) : ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ قال :  
أمنها الله تعالى بمقامه فيها وكونه بها ، فإن كونه (٢) أمانًا حيث كان .

ثم قال (٣) : « وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ » : ومن قال : أراد آدم فهو عام (٤) ؛ ومن  
قال : هو إبراهيم وما ولد - إن شاء الله - إشارة إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، فتتضمن  
السورة القسم به صلى الله عليه وسلم في موضعين (٥) .

وقال تعالى (٦) : ﴿ وَاللَّمَّ . ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ :

قال ابن عباس : هذه الحروف أقسام (٧) أقسم الله تعالى بها . وعنه وعن غيره  
فيها غير ذلك .

وقال سهيل بن عبد الله التستري (٨) : الألف هو الله تعالى . واللام جرير .  
والميم محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) سورة التين ، آية ٣

(٢) فإن كونه ، أي وجوده . أمان : موجب للأمانة . حيث كان : حيث وجد بذاته الشريفة .

(٣) سورة البلد ، آية ٣

(٤) فالقسم على هذا بنوع الإنسان ، لأنه أشرف مخلوقاته .

(٥) أجددهما في البلد الذي هو محله ، والثاني في قوله : ومولود - على هذا التفسير .

(٦) سورة البقرة ، آية ١ ، ٢

(٧) الأقسام : جمع قسم ، بمعنى المقسم به .

(٨) رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم .

وحكى هذا القول السمرقندي ، ولم ينسبه إلى سهل ، وجعل معناه : الله أنزل جبريل على محمد بهذا القرآن لا ريب فيه .

وعلى الوجه الأول <sup>(١)</sup> يحتمل القسم أن هذا الكتاب حق لا ريب فيه ، ثم فيه من فضيلة قرآن اسمه باسمه نحو ما تقدم .

وقال ابن عطاء - في قوله تعالى <sup>(٢)</sup> : ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ - أقسم بقوة قلب <sup>(٣)</sup> حبيبه [ محمد ] <sup>(٤)</sup> صلى الله عليه وسلم حيث حمل <sup>(٥)</sup> الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه أعلو حاله <sup>(٦)</sup> .

وقيل : هو اسم للقرآن . وقيل : هو <sup>(٧)</sup> اسم لله تعالى <sup>(٨)</sup> . وقيل : جبل محيط بالأرض . وقيل غير هذا .

وقال جعفر بن محمد - في تفسير <sup>(٩)</sup> : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ : إنه محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال <sup>(١٠)</sup> : النجم قلب محمد صلى الله عليه وسلم : انشرح من الأنوار .

(١) الوجه الأول الذي رواه عن ابن عباس ، وهو القسم بالحروف .

(٢) سورة ق ، آية ١

(٣) فالقاف بمعنى القوة على طريق الاكتفاء كما في قوله : قات لها قني قالت قاف .

(٤) ليس في ب .

(٥) حمل : تحمل ، وأطاق خطاب الله ليلة الإسراء ومشاهدة المالكوت ومهابته .

(٦) أى إن له صلى الله عليه وسلم حالا في ثبات جنانه ورفعته شأنه ، لما أودع في قلبه من

اليقين .

(٧) هو : أى ق .

(٨) على نحو ما مر من إطلاق حرف من الاسم على مسماه ، فهو على هذا بمعنى قيوم ، أو

قدير ، ونحوه .

(٩) سورة النجم ، آية ١

(١٠) وقال : أى جعفر ، فله فيه تفسيران ، أو عنه فيه روايتان .

وقال : انقطع<sup>(١)</sup> عن غير الله .

وقال ابن عطاء - في قوله تعالى<sup>(٢)</sup> : ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ - الفجر : محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن منه تفجر الإيمان<sup>(٣)</sup> .

## الفصل الخامس

في قسمه تعالى [ ١٣ ] جدّه ، له ، ليحقق مكانته عنده<sup>(٤)</sup>

قال جلّ اسمه : ﴿ وَالضُّحَى . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى .  
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ، أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا  
فَأَوَى . وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ، فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَر .  
وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَر . وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ .

اختلف في سبب نزول هذه السورة<sup>(٥)</sup> ؛ فقيل : كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به ، فتكلمت امرأة<sup>(٦)</sup> في ذلك بكلام . وقيل : بل تكلم

(١) هذا تفسير آخر لقوله : هوى . وهذا المعنى الأخير أظهر ، لأنه من هوى النجم .  
إذا سقط من بين النجوم ، وهو إذا انقطع إلى ربه فارق الناس .

(٢) سورة الفجر ، آية ١

(٣) قال في نعيم الرياض : من فسر الفجر بمحمد صلى الله عليه وسلم يفسر الليالي العشر بعشر رمضان . ثم قال : والذي عليه المحققون من المفسرين أنه على حقيقته ، أو هو بتقدير مضاف : أي وصلاة الفجر . والليالي العشر : عشر ذي الحجة .

(٤) تعالى جدّه : عظّمته . له : متعلق بالقسم . والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم .

(٥) سبب النزول : أمر حادث في زمن النبوة ينزل القرآن في حقه ، ويجوز تعدده .

(٦) روى أن هذه المرأة هي أم جميل بنت حرب ، امرأة أبي لهب .



به المشركون عند فَتْرَةِ (١) الوحي ، فنزلت السورة .  
 قال الناضي الإمام أبو الفضل : تَضَمَّنَتْ هذه السورة من كرامةِ اللهِ تعالى له ،  
 وَتَنْوِيهِهِ (٢) به وتعظيمه إياه ستة وجوه :  
 الأول : القَسَمُ له عما أخبره به من حاله بقوله تعالى : «والضحى . والليل إذا سجى» (٣) ،  
 أي وَرَبِّ الضحى ، وهذا من أعظم درجات المَبْرَةِ (٤) .  
 الثاني - بَيَانُ مكانته عنده وحُظُوته لَدَيْهِ بقوله تعالى (٥) : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ  
 وَمَا قَلَى ﴾ ؛ أي ما تركك وما أبغضك . وقيل : ما أهملك بعد أن اصطفاك (٦) .  
 الثالث - قوله تعالى (٧) : ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ ؛ قال ابن إسحاق :  
 أي مالك في مَرَجِيكَ عند الله أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا .  
 وقال سهل : أي ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود (٨) خَيْرٌ لَكَ  
 مما أعطيتك في الدنيا .

الرابع - قوله تعالى (٩) : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ .

- (١) أصل الفترة : مدة قايمة بين الشيتين ، والسكون . والمراد انقطاع الوحي عنه مدة .  
 وكان الوحي قد تأخر عن النبي صلى الله عليه وسلم بضعة عشر يوماً . وقيل : كانت المدة سنتين  
 ونصفاً . والأول أصح . فقالت قريش ، إن محمدا ودعه ربه وقلاه .  
 (٢) كرامة الله : إكرامه ، أي توقيره . وتنويه به ، أي رفعة قدره ، وإشاعة فضله .  
 (٣) الضحى : جمع ضحوة - كقريية : وهي أول النهار . سجدى : دخل وأظلم . أو سكن .  
 (٤) المبرة : بمعنى البر ، وهو الإحسان ، وكل أمر مرضى .  
 (٥) سورة الضحى ، آية ٣  
 (٦) اصطفاك : اختارك وقربك .  
 (٧) سورة الضحى ، آية ٤  
 (٨) المقام المحمود : مقام الشفاعة العظمى الذي يحمده فيه الأولون والآخرون .  
 (٩) سورة الضحى ، آية ٥

وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة ، وأنواع السعادة ، وشتات الإنعام  
في الدارين . والزيادة<sup>(١)</sup> .

قال ابن إسحاق : يُرْضِيهِ بِالْفَلَاحِ<sup>(٢)</sup> في الدنيا ، والثواب في الآخرة .  
وقيل : يُعْطِيهِ الْخَوْضَ وَالشَّفَاعَةَ .

وروى عن بعض آل النبي<sup>(٣)</sup> صلى الله عليه وسلم أنه قال : ليس آية في القرآن  
أَرْجَى مِنْهَا<sup>(٤)</sup> ، وَلَا يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِهِ  
النار .

الخامس - ما عدده تعالى عليه من نعمه ، وقرره من آياته<sup>(٥)</sup> قبله في بقية السورة ؛  
من هدايته إلى ما هداه له ، أو هداية الناس به على اختلاف التفاسير ، ولا مال له ؛  
فأغناه بما آتاه ، أو بما جعله في قلبه من القناعة والغنى ، وبتبعا فحذب عليه عمه  
وآواه<sup>(٦)</sup> إليه .

(١) شتات الإنعام : متفرقاته ، والزيادة على ذلك بما خصه به . أو الزيادة  
على النعم المعروفة ببلقائه ورضوانه .

(٢) في أ : بالفالج - بضم الفاء ، وسكون اللام . وفي هامش ب : الفلج : النصر . والفالج :  
الفوز والظفر بالأعداء ، فالمراد أنه يفوز في الدنيا وينصره الله ويحميه .

(٣) هو علي رضي الله عنه . أو الحسن بن محمد بن الحنفية ، أو غيرها : قال في النسيم :  
وطرقه متعددة فهي تعضده ، وهو في تفسير القرطبي : ٢٠ - ٩٦ ، وانظر أيضا صحيح  
مسلم : ٢١٣٦ .

(٤) منها : أي من قوله تعالى : ولسوف يعطيك ربك فترضى . وارجع إلى القارى (١-٨٦) ،  
ففيه حديث طويل عن أرجى آية في القرآن - إن أردت .  
(٥) آياته : نعمه .

(٦) فحذب . المراد العطف والشفقة . وعمه : هو عمه أبو طالب . وآواه : ضمه إليه  
لتريبته وحمايته . وفي هامش ب : فحذب عليه - بالجيم وضم الدال ؛ أي رق عليه . ولم  
أقف عليه .

وقيل : آواه إلى الله<sup>(١)</sup> . وقيل : يتما : لا مثال لك ، فأواك إليه .  
 وقيل : المعنى : ألم يجدر بك فهدى بك ضالاً ، وأغنى بك عائلاً ، وآوى بك  
 يتما<sup>(٢)</sup> - ذكروه بهذه المنن<sup>(٣)</sup> ، وأنه على المعلوم من التفسير لم يهمله في حال صغره وعيئلته<sup>(٤)</sup>  
 ويتمه وقبل معرفته به ، ولا ودعه ولا قلاه<sup>(٥)</sup> ، فكيف بعد اختصاصه واصطفائه !  
 السادس : أمره بإظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه بنشره وإشادة<sup>(٦)</sup> ذكره  
 بقوله تعالى : « وأما بنعمة ربك فحدث » ؛ فإن من شكر النعمة الحديث بها ؛  
 وهذا خاص له ، عام لأُمَّته .

وقال تعالى<sup>(٧)</sup> : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ . وَمَا يَنْطِقُ  
 عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ . عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ . ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ .  
 وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ . فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ  
 مَا أَوْحَىٰ . مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ . أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ .  
 عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ . عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ . إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ . مَا زَاغَ  
 الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ . لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ .

(١) أي قيل في تفسير هذه الآية : إن معناها آواه الله ، أي ضمه إلى نفسه ، ولم يحوجه  
 لحماية أحد وإيوائه .

(٢) في نسيم الرياض : حكاه بـ « قيل » إشارة إلى ضعفه ، لأن هذا القول لا يساعده  
 إعراب ، ولا يصحبه صواب ، فالأولى تركه .

(٣) المنن : جمع منة ، وهي الإحسان .

(٤) لم يهمله : لم يتركه . والعيلة : الاحتياج والفقر .

(٥) ماودعه ولا قلاه : ما تركه ولا أبغضه ، وقد تقدم .

(٦) بنشره : بإذاعته ، وإظهاره للناس . وأصل معنى الإشادة : رفع الصوت ، والمراد :  
 إعلام الثقاتين .

(٧) سورة النجم ، آية ١ ، وما بعدها .

اختلف المفسرون في قوله تعالى : « والنجم » بأقوالٍ معروفة ، منها النجم على ظاهره ، ومنها القرآن<sup>(۱)</sup> .

وعن جعفر بن محمد أنه محمدٌ عليه السلام ؛ وقال : هو قلبُ محمد<sup>(۲)</sup> .  
وقد قيل في قوله تعالى<sup>(۳)</sup> : ﴿ والسماء والطارق . وما أدراك ما الطارقُ .  
النجم الثاقب ﴾<sup>(۴)</sup> - إن النجم هنا أيضا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ حكاه السامري .  
تضمنت هذه الآيات من فضله وشرفه العِدِّ ما يقف دونه العِدُّ<sup>(۵)</sup> ، وأقسم جلَّ  
اسمه على هداية المصطفى ، وتنزيهه عن الهوى<sup>(۶)</sup> ، وصدِّقه فيما تلا ، وأنه وحيُّ بوحي  
أوصاه إليه - عن الله - جبريل ، وهو الشديدُ القوي .  
ثم أخبر تعالى عن فضيلته بقصة الإسراء<sup>(۷)</sup> ، وانتهاه إلى سِدْرَةِ<sup>(۸)</sup> المنتهى ،

(۱) لأنه نزل نجوما متفرقة بحسب المصالح .

(۲) قال الخفاجي : إطلاق النجم على قاب النبي لإشراقه بالأنوار الإلهية ، وهو منبعها  
ومنبع الهداية ، وفيه خفاء . وقال القاري ( ۱ - ۹۰ ) : ولعل المراد بهواه على هذا : ميله إلى  
ربه وغيبته عن غيره ، واستغراقه في حبه . وقد تقدم هذا القول لجعفر بن محمد .

(۳) سورة الطارق ، آية : ۱ - ۳

(۴) الطارق : أصل معناه : الذي يأتي ليلا ، لأنه يطرق الباب المناق ليلا . أو يطرق  
الأرض برجله ، ثم غلب على النجم لظهوره ليلا . والثاقب : المضيء ؛ وكأنه يشقب الظلام بضوئه  
فينفذ فيه .

(۵) العد - بكسر العين : الكثير . العد - بفتح العين : الإحصاء . وفي هامش ب : العد -  
بكسر العين : الذي يقف دونه الحصر ، والماء الكثير الذي له مادة لا تنقطع ، والله أعلم .  
والعد - بفتح العين : العدد .

(۶) هذا ما دل عليه قوله تعالى : ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى .

(۷) قال الشهاب ( ۱ - ۲۷۲ ) الإسراء : إسراؤه من مكة لبيت المقدس . والمعراج :  
عروجه إلى الملائكة الأعلى ، وإن كان كل منها يطلق على الآخر . وابتداء القصة من قوله :  
« فاستوى . . . » إلى قوله : « لقد رأى من آيات ربه الكبرى . . . » في المعراج . وقال  
القاري : بقصة الإسراء ، أي بقصة المعراج المبتدأ بعد الإسراء إلى المسجد الأقصى ، كما أشار  
إليه بقوله : وانتهاه إلى سدرَةِ المنتهى . (۸) سدرَةُ المنتهى : شجرة .

وتصديق بصره فيما رأى<sup>(١)</sup>، وأنه رأى من آيات ربّه الكبرى [ ١٤ ] . وقد نبّه على مثل هذا في أول سورة الإسراء .

ولما كان ما كاشفه به عليه السلام من ذلك الجبروت<sup>(٢)</sup>، وشاهدة من عجائب اللدكوت لا تُحيطُ به العبارات، ولا تستقلُّ بحمل سماع أدناه<sup>(٣)</sup> العقول - رمز عنه تعالى بالإيماء والكناية الدالة على التعظيم<sup>(٤)</sup>؛ فقال تعالى<sup>(٥)</sup> : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝ ﴾ .

وهذا النوع من الكلام يُسميه أهلُ النقد والبلاغة بالوحي والإشارة، وهو عندهم أبلغُ أبوابِ الإيجاز .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝ ﴾ - انحسرت الأفهامُ عن تفصيل ما أوحى، وتاهت<sup>(٦)</sup> الأحلامُ في تعيين تلك الآيات الكبرى .

قال القاضي أبو الفضل<sup>(٧)</sup> : اشتملت هذه الآياتُ على إعلام الله تعالى ببنزكية<sup>(٨)</sup> جملته عليه السلام، وعصمتها من الآفات في هذا المسرى<sup>(٩)</sup>، فزكّى فؤاده ولسانه

(١) أى تصديق الله له في رؤيته في قوله تعالى : « ما زاغ البصر . . . » ؛ أى ما رآه واعتقده بسبب رؤيته حق مطابق للواقع .

(٢) كاشفه : عاينه . أى عاين الجبروت واطلع عاينه . والجبروت : بمعنى المظنة والجلالة .

(٣) لا تستقل : لا تنفرد ولا تقوى . وأدنى : أقل .

(٤) رمز : أشار . والكناية : ما يراد به لازم معناه الحقيقي مع جواز إرادته . والكناية :

ما يقابل الصريح، وهو المراد هنا . (٥) سورة النجم، آية ١٠ .

(٦) انحسرت : أعيت وكادت . وتاهت : ضلت وتحيّرت . والأحلام : العقول .

(٧) هو المصنف .

(٨) التزكية : تطهيره عن النقائص البشرية . والمراد بتزكية جملته : تطهير ذاته، وتنمية

صفاته .

(٩) وعصمتها : حفظها . والآفات : جمع آفة، ما يعرض من الفساد . والمسرى : مكان

السرى .

وَجَوَارِحَهُ : [ فزكى ]<sup>(١)</sup> قلبه بقوله : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ . ولسانه بقوله :  
 ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ . وبصره بقوله : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾<sup>(٢)</sup> .  
 وقال تعالى<sup>(٣)</sup> : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ . الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ﴾<sup>(٤)</sup> . واللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ .  
 وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ<sup>(٥)</sup> : إنه لقول رسول كريم . ذى قُوَّةٍ عند ذى العرشِ مَكِينٍ<sup>(٦)</sup> .  
 مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ . وما صاحبكم بمجنون . ولقد رآه بالأفقِ المبين . وما هو على الغيبِ  
 بضنين . وما هو بقولِ شيطانٍ رجيمٍ<sup>(٧)</sup> .

« لا أقسم » : أى أقسم . « إنه لقول<sup>(٧)</sup> رسول كريم » ؛ أى كريم عند مرسله .  
 « ذى قُوَّةٍ » على تبليغ ما حمله من الوحي ، « مكين » : أى متمكنُ المنزلة من ربه ،  
 رفيع المحلِّ عنده ؛ « مُطَاعٍ ثَمَّ » : أى فى السماء . « أمين » على الوحي .  
 قال على بن عيسى<sup>(٨)</sup> وغيره : الرسول الكريمُ هنا محمدٌ صلى الله عليه وسلم ؛  
 فجميعُ الأوصافِ بعدُ على هذا له .

(١) من ب .

(٢) أى ما مال بصره يمينا ولا شمالا ، ولا تجاوز حده فى نظره لما هو أمامه . وفى هذا  
 بيان لثبات جنانه ، أو كمال أدبه ، وهو فى رؤيته لربه فى معراجِه .

(٣) سورة التكوير : الآيات من ١٥ - ٢٥

(٤) الخنوس الجوار الكنس : الكواكب التى تخنس بالنهار : أى تزجع . ( مفردات  
 القرآن ) . والكنس : التى تغيب فى منارِها .

(٥) عسس : أقبل وأدبر ، وذلك فى مبدأ الليل ومنتهاه . فالعسمة : رقة الظلام ، وذلك  
 فى طرفى النهار ، وسيأتى ذلك .

(٦) ذى قُوَّةٍ : هو جبريل - وقيل : هو النبي .

(٧) إنه ، أى القرآن .

(٨) هو طى بن عيسى الرماني النحوى ، وهو من أصحاب ابن دريد ، وصاحب كتاب  
 النسكت فى إعجاز القرآن ، إمام مشهور فى سائر العلوم ، توفى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة  
 ( القارى : ١ - ٩٤ ) .

وقال غيره<sup>(١)</sup> : هو جبريل ، فترجع الأوصافُ إليه .  
ولقد رآه - يعني محمداً . قيل : رأى ربه . وقيل : رأى جبريل في صورته .  
« وما هو على الغيب بظنين » ، أي : بهم . ومن قرأها بالضاد فعناه : ما هو  
ببخیل بالدعاء به ، والتذكير بحِكْمِهِ<sup>(٢)</sup> وبعلمه ، وهذه لحمد عليه السلام باتفاق .  
وقال تعالى<sup>(٣)</sup> : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ . مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ .  
وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ . وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ . فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ . بِأَبْصَارِكُمُ  
الْمَفْتُونِ . إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ . فَلَا تُطِعِ  
السَّكَدِ بَيْنَ . وَذُؤَا لَوْ تَذَهْنُ فَيُذْهِنُونَ . وَلَا تُطِعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ . هَمَّازٍ مَشَاءٍ  
بِنَعِيمٍ . مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أُثِيمٍ . عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ . أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ .  
إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ . سَنَسِيهُ عَلَى الْخُرُطُومِ ۖ » .  
أقسم الله تعالى بما أقسم به مِنْ عَظِيمٍ قَسَمِهِ عَلَى تَنْزِيهِهِ الْمُصْطَفَىٰ بِمَا غَمَصَتْهُ<sup>(٤)</sup> ،  
الْكُفْرَةَ بِهِ ، وَتَكْذِيبَهُمْ لَهُ ، وَأَنْسَهُ<sup>(٥)</sup> ، وَبَسَطَ أَمَلَهُ<sup>(٦)</sup> بِقَوْلِهِ - مُحْسِنًا خَطَابَهُ :  
« مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ » .

وهذه نهاية المبررة في المخاطبة ، وأعلى درجات الآداب في المحاوراة ؛ ثم أعلمه  
بماله عنده مِنْ نَعِيمٍ دَائِمٍ ، وَثَوَابٍ غَيْرٍ مَنْقُوعٍ ، لَا يَأْخُذُهُ عَدٌّ<sup>(٧)</sup> ، وَلَا يُعْتَنُّ بِهِ عَلَيْهِ ؛  
فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۖ »<sup>(٨)</sup> .

- (١) وهم الأكثرون من العلماء ، وهو قول جمهور المفسرين .
- (٢) الدعاء : بمعنى الدعوة . والتذكير : التنبيه أو الوعظ .
- (٣) سورة القلم ، الآيات من : ١ - ١٦ .
- (٤) غمصته : عابته وحقرتة .
- (٥) هذا الضبط في أ ، ب . والمراد أنه جملة ذا أنس بقربه ، ومستأنسا بحبه .
- (٦) وبسط أمله : الأمل : الرجاء ؛ وبسطه : توسيعه .
- (٧) لا يأخذه عد : أي لا يخصي ولا يهد .
- (٨) غير ممنون : غير منقطع ، أو غير ممنون عليك به من غيرك ، لأنه موهبة إلهية .

ثم أثنى عليه بما منحه من هباته ، وهداهُ إليه ، وأكَّد ذلك تَمِيماً للتمجيد<sup>(١)</sup> ،  
بحرْفِي التأكيد<sup>(٢)</sup> ؛ فقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ أَعْلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ . قيل : القرآن . وقيل :  
الإسلام . وقيل : الطَّبَعُ الكَرِيم . وقيل : ليس لك همة<sup>(٣)</sup> إلا الله .

قال الواسطي : أثنى عليه بحُسْنِ قبوله لما أسداهُ<sup>(٤)</sup> إليه من نِعَمه ، وفضَّله  
بذلك على غيره ؛ لأنه جَبَّاهُ<sup>(٥)</sup> على ذلك الخلق ؛ فسبحان اللطيفِ الكَرِيم ، المحسنِ  
الجواد ، الحميد الذي يَسِّرُ للخير<sup>(٦)</sup> وهدى إليه ، ثم أثنى على فاعله ؛ وجازاه عليه  
سُبْحانه ، ما أَعْمَرَ نَوَالَهُ<sup>(٧)</sup> ، وأوسع إفضاله<sup>(٨)</sup> ؛ ثم سلَّاه عن قولهم بعد هذا بما وعده  
به من عِقَابِهِمْ<sup>(٩)</sup> ، وتوعدهم بقوله : ﴿ فَسْتَبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيْكُمُ الْمَفْتُونُ . إِنَّ رَبَّكَ  
هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ .

ثم عطف<sup>(١٠)</sup> بعد مدحه على ذمِّ عَدُوِّهِ<sup>(١١)</sup> ، وذكَّر سوء خلقه ، وعَدَّ معايبه ،  
متولياً ذلك بفضله ، ومُنْتَصِراً لِنبيهِ ؛ فذكر بضع عشرة خصلةً من خصالِ الذمِّ فيه

(١) التمجيد : التعظيم .

(٢) حرفا التأكيد هما : إن ، واللام .

(٣) ليس لك همة : الهمة : العزم والمقصد . وفي أ : همه - بالهاء .

(٤) أسداه : أسدى : أعطى .

(٥) جبَّاه : خلقه مطبوعاً .

(٦) يشير إلى قوله تعالى : « أعطى كل شئ خلقه ثم هدى » . وتيسير الخير : تسهيله

بتهيئة أسبابه ، كما قال تعالى : ﴿ فَسَنيسره لليسرى ﴾ .

(٧) ما أَعْمَرَ نَوَالَهُ : ما أكثر عطاءه .

(٨) وأوسع إفضاله : الإفضال : الإنعام .

(٩) في ب : عقابهم . وفي هامشه : خ : في عقابهم ، يشير إلى ما في نسخة أخرى .

وعقابهم : سوء عاقبتهم .

(١٠) عطف : التفت وعاد .

(١١) قيل : هو الأخنس بن شريق . وقيل : الوليد بن المغيرة ، أو أبو جهل : أو المراد

به جنس العدو .



بقوله (۱): ﴿فَلَا تُطِيعُ الْكَاذِبِينَ . وَذُؤَالُو تَدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (۲) . وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (۳) . هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ (۴) . مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (۵) . عَتَلٌ (۶) بعد ذلك زَنِيمٍ . أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ . إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (۷) . ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره (۸) بقوله : ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (۹)﴾ ؛ فكانت نُصْرَةُ اللَّهِ [ ۱۵ ] له أتمَّ من نصرته لنفسه ، وردَّه تعالى على عدوه أبلغ من ردِّه ، وأثبت في ديوان مجده (۱۰) .

(۱) سورة القلم ، آية ۸ - ۱۵

(۲) ودوا لو تدهن فيدهنون : أى لو تلبس فتدع نهبهم عن الشرك فيميلون إليك في بعض ما تدعوهم إليه .

(۳) حلاف : كثير الحلاف حقا وباطلا . مهين : ذو مهانة وحقارة .

(۴) هماز : عياب في أعراض الناس . مشاء بنميم : يقال للحديث على وجه السعاية للفساد .

(۵) مناع للخير : كثير المنع منه . أثيم : كثير الإثم .

(۶) عتل : جاف غليظ . زنيم : دعى ، كالوليد بن المغيرة ، ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة سنة من مولده .

(۷) أساطير : جمع أسطورة ، أو إسطار ، والمراد : الأباطيل المنسوبة إلى المتقدمين .

(۸) البوار : الهلاك والدمار .

(۹) سنسمه على الخرطوم : الوسم : العلامة والكى . والخرطوم : الأنف هنا . والمراد : التشهير بالقبائح في الدنيا أو في الآخرة ، أو فيهما .

(۱۰) وأثبت في ديوان مجده : أى أعظم وأقوى ثباتا وأبقى في صحف الدهر من أن يشبهه هو لنفسه .

## الفصل السادس

فيما ورد من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة والإكرام<sup>(١)</sup>

قال تعالى<sup>(٢)</sup> : ﴿ طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ .

قيل : طه : اسم من أسمائه<sup>(٣)</sup> عليه السلام . وقيل : هو اسم الله ، وقيل : معناه

يارجل . وقيل : يا إنسان . وقيل : هي حروف متطعة إمعان .

وقال الواسطي<sup>(٤)</sup> : أراد يا طاهر ، يا هادي<sup>(٥)</sup> . وقيل : هو أمر من الوطء .

والهاء كناية عن الأرض ؛ أي اعتمد على الأرض بقدميك ، ولا تتعب نفسك

بالاعتماد على قدم واحدة ، وهو قوله تعالى : « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » .

نزلت الآية فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلم من السهر والتعب

وقيام الليل .

أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن<sup>(٥)</sup> ، وغير واحد ، عن القاضي

أبي الوليد الباجي إجازة ، ومن أصله نقلت ؛ قال : حدثنا أبو ذر الحافظ ، حدثنا

أبو محمد الحموي<sup>(٦)</sup> ، حدثنا إبراهيم بن خزيمة<sup>(٧)</sup> الشاشي ، حدثنا عبد بن حميد ،

حدثنا هاشم بن القاسم ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ؛ قال : كان النبي

صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى ؛ فأنزل الله تعالى : طه -

(١) يعني ما جاء في القرآن من الآيات الدالة على إكرام الله له والشفقة به ، والرحمة له .

(٢) سورة طه : ١ ، ٢

(٣) من أسمائه : أي من أسماء النبي .

(٤) فالطاء في « طه » من طاهر ، والهاء فيها من هادي وفي أ : يا هادي . والمثبت في ب .

(٥) أحد العلماء الصالحين ، من رجال الأندلس . مات سنة ثلاث وخمسة مائة بإشبيلية .

(٦) هذا الضبط في الخفاجي والقاري مؤكداً بالعبارة .

(٧) عاينها علامة الصحة بهامش أ ، وفي هامش ب : بالزاي .

يعنى طأ الأرض يا محمد ، « ما أنزلنا عليك القرآن لنشقى . إلا تذكرة لمن يخشى .  
تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى » .  
ولا خفاء بما فى هذا كله من الإكرام وحسن المعاملة .  
وإن جعلنا « طه » من أسمائه عليه السلام كما قيل ، أو جعلت قسما لحق الفصل  
بما قبله (١) .

ومثل هذا من نمط (٢) الشفقة والمبرة قوله تعالى (٣) : ﴿ فَلَعلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ  
على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً ﴾ ؛ أى قاتل نفسك لذلك غضبا أو غيظا ،  
أو جزعا .

ومثله قوله تعالى أيضا (٤) : ﴿ لعلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مؤمنين ﴾ ؛  
ثم قال (٥) : ﴿ إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلمت أعناقهم لها خاضعين ﴾ (٦) .  
ومن هذا الباب قوله تعالى (٧) : ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين .  
إننا كفيناك المستهزئين . الذين يجعون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون . ولقد تعلم  
أنك بضيق صدرك بما يتواون ﴾ .

وقوله (٨) : ﴿ ولقد استهزئ برسلى من قبلك فحاق (٩) بالذين سخروا منهم  
ما كانوا به يستهزئون ﴾ .

(١) أى التحقت هذه الآية المذكورة فى هذا الفصل بالفصل الذى قبله ، لإتيانه بما أقسم به تعالى ،  
تحقيقا لمكاته عنده ، وبما أفاده من نهاية المبرة فى مخاطبته ، وأعلى درجات الأدب فى محاورته .

(٢) النمط : الطريق ، وهو هنا النوع . (٣) سورة الكهف ، آية ٦

(٤) سورة الشعراء ، آية ٣ (٥) سورة الشعراء ، آية ٤

(٦) الخضوع : التذلل والانقياد . (٧) سورة الحجر ، الآيات : من ٩٤ - ٩٧

(٨) سورة الأنعام آية ١٠ ، وسورة الأنبياء ، آية ٤١ . قال فى نسيم الرياض : ويحتمل

أن تكون آية الوعد (٣٢) وتمايها : ﴿ فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب ﴾ ،  
أى أمهلتهم برهة من الزمان فى دعة وأمن ، ثم أخذتهم فكيف كان عقابى إياهم ؟

(٩) حاق : أحاط بهم حيث أهلكوا .

قال مكيّ : سألته بما ذكر ، وهو أنّ عليه ما يلقى من المشركين ، وأعلمه أنّ  
مَنْ تَمَادَى <sup>(١)</sup> على ذلك يَحُلُّ به ما حلَّ بمن قبله .  
ومثالُ هذه التسلية قوله تعالى <sup>(٢)</sup> : ﴿ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ  
قَبْلِكَ ﴾ .

ومِنْ هذا قوله تعالى <sup>(٣)</sup> : ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا  
قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ .

عزّاه الله تعالى بما أخبر به عن الأمم السالفة <sup>(٤)</sup> ومقالها لأنبيائهم قبله ،  
ومخنتهم بهم ؛ وسأله بذلك من محنته <sup>(٥)</sup> بمثاله من كفّار مكة ، وأنه ليس أوّل  
مَنْ لقي ذلك ، ثم طيب نفسه ، وأبان عذره بقوله تعالى <sup>(٦)</sup> : « فتولّ عنهم » ؛ أي  
أعرض عنهم ؛ « فما أنت بمأوم » ؛ أي في أداء ما بلغت وإبلاغ ما حملت .  
ومثله قوله تعالى <sup>(٧)</sup> : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ ؛ أي اصبر على أذاهم  
فإنك بحيث نراك ونحفظك <sup>(٨)</sup> .

سأله الله تعالى بهذا في آي كثيرة من هذا المعنى .

- 
- (١) تَمَادَى : تطاول ، وأصر ، واستمر .  
(٢) سورة فاطر ، آية ٤  
(٣) سورة الداريات ، آية ٥٢  
(٤) السالفة : المتقدمة .  
(٥) المحنة : الاختبار والابتلاء .  
(٦) سورة الداريات ، آية ٥٤  
(٧) سورة الطور ، آية ٤٨  
(٨) أي دم على الصبر في تنفيذ ما حكم الله تعالى به ، ولا تمزّن ، ولا تخف من الأعداء ؛  
فإنك محفوظ محروس ، لا يصلون إليك .

## الفصل السابع

فما أخبر الله تعالى<sup>(۱)</sup> به في كتابه العزيز من عظيم قدره  
وشريف منزلته على الأنبياء وحظوة رتبته

قوله تعالى<sup>(۲)</sup>: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ<sup>(۳)</sup> لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ،  
ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ: أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ  
عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي<sup>(۴)</sup>؟ قَالُوا: بَلَىٰ، أَقْرَرْنَا، قَالَ: فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

قال أبو الحسن القاسمي: استخص<sup>(۵)</sup> الله تعالى [١٦] محمدا صلى الله عليه وسلم  
بنفضل لم يؤت غيره، أبانه به<sup>(۶)</sup>، وهو ما ذكره في هذه الآية؛ قال المفسرون:  
أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ بِالْوَحْيِ<sup>(۷)</sup>، فلم يبعث نبيا إلا ذكر له محمدا ونعتة<sup>(۸)</sup>، وأخذ عليه  
ميثاقه إن أدركه ليؤمنن به.

وقيل: أن يُبيدنه لقومه، ويأخذ ميثاقهم أن يُبينوه لمن بعدهم.

وقوله: «ثم جاءكم»: الخطاب لأهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله

عليه وسلم.

(۱) في ب: فيما أخبر به تعالى . . .

(۲) سورة آل عمران، آية ۸۱

(۳) وإذ أخذ الله ميثاق النبيين: يحتمل أن يراد: أخذ الله الميثاق على النبيين، أو أخذ  
الله على الأمم الميثاق الذي شرع النبيون تعظيمه، فأضيف إليهم. أو هو بتقدير مضاف؛ أي  
ميثاق أمم النبيين.

(۴) إصري: عهدي وميثاق.

(۵) استخص: خص، واختص.

(۶) أبانه به: أي أظهر ذلك الفضل له. أو فضله وميزه به عن غيره.

(۷) بالوحي: أي إلى الأنبياء.

(۸) ونعتة: النعت: الصفة. وهذا رواه ابن جرير، وابن كثير، بإسناد صحيح.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لم يبعث الله نبينا من آدمَ فَمَنْ بَعْدَهُ إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ فِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَنْ بُعِثَ وَهُوَ حَيٌّ لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلِيَنْصُرَنَّهُ ، وَيَأْخُذَ الْعَهْدَ بِذَلِكَ عَلَى قَوْمِهِ .

ونحوه عن السُّدِّيِّ وَقْتَادَةَ فِي آيِ (١) تَضَمَّنَتْ فَضْلَهُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ وَاحِدٍ .

قال الله تعالى (٢) : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ (٣) وَمِنْكَ وَمَنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (٤) .

وقال تعالى (٥) : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ، وَإِسْحَاقَ ، وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ، وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ، وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا . وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا . رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حِجَابٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا . لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ .

رَوَى عَنْ عُمَرَ (٦) بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي كَلَامِ زَكِّيٍّ (٧) بِهِ

(١) فِي آيِ : جَمْعُ آيَةٍ . أَي هَذَا الْمَذْكُورُ مَرُورِي فِي جُمْلَةِ آيَاتٍ . وَهَذِهِ الرَّوَايَةُ عَنْهُمَا

أَثْبَتَهَا ابْنُ جَرِيرٍ . (٢) سُورَةُ الْأَحْزَابِ ، آيَةُ ٧

(٣) قِيلَ : أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ ، وَتَصَدِيقِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا ، وَقِيلَ : بَانَ يَبْلُغُونَ بِنَبِيِّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَبْلُغُونَ مُحَمَّدًا أَنَّهُ لَانَبِيٌّ بَعْدَهُ ، فَفِيهَا تَفْضِيلٌ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٤) مِيثَاقًا غَلِيظًا : عَظِيمًا شَأْنَهُ . (٥) سُورَةُ النِّسَاءِ آيَةُ : ١٦٣ - ١٦٦

(٦) قَالَ السُّيُوطِيُّ : لَمْ أَجِدْهُ فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ الْأَثَرِ . وَقَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : لَكِنَّ

صَاحِبَ اقْتِبَاسِ الْأَنْوَارِ وَابْنَ الْحَاجِّ فِي مَدْخَلِهِ ، ذَكَرَاهُ فِي ضَمَنِ حَدِيثِ طَوِيلٍ ، وَكَفَى بِذَلِكَ سِنْدًا لِمَثَلِهِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْأَحْكَامِ . وَهَذَا الْكَلَامُ مِمَّا قِيلَ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ ، وَقَدْ قَالَهُ عُمَرُ بَعْدَ تَحْقِيقِهِ - مِنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَوْتَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٧) فِي ب : بَكِي : أَي رِثَاءَ بَعْدَ مَوْتِهِ .

النبي صلى الله عليه وسلم، فقال (١) بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن بعثك آخِرَ الأنبياء ، وذكرك في أولهم ، فقال : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ .

بأبي أنت (٢) وأمي يا رسول الله ! لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودّون أن يكونوا أطاعوك وهم بين (٣) أطباقها يعدّون يقولون (٤) : ﴿ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴾ .

قال قتادة : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كنتُ أوَّلَ الأنبياءِ في الخلق ، وآخرهم في البعث ، فلذلك وقع ذِكْرُهُ مقدما هنا قبل نوح وغيره .

قال السمرقندي : في هذا تفضيلُ نبينا صلى الله عليه وسلم ، لتخصيصه بالذِّكْرِ قبلهم ، وهو آخرهم .

المعنى : أخذ الله تعالى عليهم الميثاق ، إذ أخرجهم من ظَهْرِ آدَمَ كَالذَّرِّ (٥) .

(١) أول هذا الكلام : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه ، فلما كثرت الناس اتخذت منبراً لتسميهم ، فحزن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن . فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقهم . بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته ، فقال الله تعالى : من يطع الرسول فقد أطاع الله . . .

(٢) بأبي أنت وأمي : هذا مما تقوله العرب لمن تريد تكريمه وإظهار محبته ، أي لو نزل بك أمر يقبل فيه الفداء بأحد من البشر بذلت في فدائك أبوى فضلا عن المال وغيره .

(٣) أطباقها : طبقات النار .

(٤) سورة الأحزاب ، آية ٦٦

(٥) الدر : جمع ذرة ، وهي الخلة الصغيرة البيضاء أو الحمراء ، أو جزء من مائة وأربعة وعشرين جزءاً من شعيرة ، وقيل : جزء من ألف وسبعة وعشرين جزءاً منها . وقيل : أصغر شيء لا يعلمه إلا الله .

وقال تعالى (١) : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَع بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا ﴾ . قال أهلُ التفسير : أراد بقوله : ﴿ وَرَفَع بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ - محمداً صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه بُعِثَ إلى الأحمر (٢) والأسود ، وأُحِلَّتْ له الغنائم (٣) ، وظهرت على يديه المعجزات ، وليس أحدٌ من الأنبياء أُعطيَ فضيلةً أو كرامةً إلا وقد أُعطيَ محمدٌ صلى الله عليه وسلم مثلاً (٤) .

قال بعضهم : ومن فضله أن الله تعالى خاطب الأنبياء بأسمائهم ، وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ ، و﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾ . وحكى السمرقندي عن الكلبي - في قوله تعالى (٥) : ﴿ وَإِنْ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾ - أن الهاء عائدة على محمد ؛ أي إن من شيعة (٦) محمد لإبراهيم ؛ أي على دينه ومنهأجه (٧) . وأجازته النراء ، وحكاه عنه مكي (٨) . وقيل : المراد نوح عليه السلام (٩) .

(١) سورة البقرة ، آية ٢٥٣

(٢) الأحمر والأسود : أي جميع الناس . أو العرب والعجم . أو العرب وغيرهم .

(٣) الغنائم : جمع غنيمة ، وهي ما يؤخذ من مال الكفار قهراً ، ولم تكن الغنيمة تحل للأمة السالفة كما تحل لهذه الأمة .

(٤) مثلها ، أي ما هو من جنسها ونوعها ، وما هو مشابه لها بحسب الظاهر وإن كان أعظم منها في الحقيقة .

(٥) سورة الصافات ، آية ٨٣ (٦) الشيعة : الأتباع ، والمعروف في كلام العرب إطلاقه على المتأخر زماناً ، وقد يطلق على المتقدم ، كقول الكميت :

وما لي إلا آل أحمد شيعة وما لي إلا مذهب الحق مذهب

(٧) منهأجه : طريقه الواضح . (٨) أشار بهذا إلى أنه قول صحيح منقول عن

المفسرين ؛ لأن منهم من ضعفه وادعى أنه بعيد .

(٩) قال في نسيم الرياض : هو القول الصحيح . والمراد بكونه من شيعة أنه من نسله وعلى

منهأجه في الدين والتوحيد .



## الفصل الثامن

في إعلام الله تعالى خلقه بصلواته<sup>(١)</sup> عليه وولايته له ورفع العذاب بسببه  
 قال الله تعالى<sup>(٢)</sup> : ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنتَ فيهم﴾ ؛ أي ما كنت بمكة ،  
 فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ، وبقي فيها من بقي من المؤمنين نزل<sup>(٣)</sup> :  
 ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ .  
 وهذا مثل قوله<sup>(٤)</sup> : ﴿لو تزيلوا﴾<sup>(٤)</sup> لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما﴾ .  
 وقوله تعالى<sup>(٥)</sup> : ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم  
 فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء﴾ : فلما هاجر المؤمنون  
 نزلت<sup>(٦)</sup> : ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله﴾ .  
 وهذا من أبين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ، ودرأ<sup>(٧)</sup> به العذاب عن  
 أهل مكة بسبب كونه<sup>(٨)</sup> ، ثم كون أصحابه بعده [ ١٧ ] بين أظهرهم<sup>(٩)</sup> ، فلما خلت  
 مكة منهم عذبهم [ الله ]<sup>(١٠)</sup> بتسليط المؤمنين عليهم ، وغلبتهم إياهم ، وحاكم فيهم  
 سيوفهم ، وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم .

(١) في ب : بصلواته .

(٢) سورة الأنفال ، آية ٣٣

(٣) سورة الفتح ، آية ٢٥

(٤) تزيلوا : تفرقوا . ( المفردات ) .

(٥) سورة الفتح ، آية ٢٥

(٦) سورة الأنفال ، آية ٣٣

(٧) درأ به : دفع به . وفي ب : درأته - بكسر الدال المهملة وسكون الراء وهمز وتاء ؛

وفسره القارى ( ١ - ١١٣ ) فقال : أي ومن أبين ما يظهرها دفعه سبحانه العذاب .

(٨) بسبب كونه : بسبب وجوده .

(٩) بين أظهرهم ، أي يقيون معهم .

(١٠) ليس في ب .

وفي الآية أيضا <sup>(١)</sup> تاويل آخر :

حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله بقراءتي عليه ، قال : حدثنا أبو الفضل ابن خيرون ، وأبو الحسين الصيرفي ، قالا : حدثنا أبو يعلى ابن زوج الحرّة ، حدثنا أبو علي السنجى ، حدثنا محمد بن محبوب المروزي ، حدثنا أبو عيسى <sup>(٢)</sup> الحافظ ، حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا ابن نمير <sup>(٣)</sup> ، عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر ، عن عباد بن يوسف ، عن أبي بردة بن أبي موسى ، عن أبيه ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزل الله على أمانين لأمتي <sup>(٤)</sup> : ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنتَ فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ <sup>(٥)</sup> فإذا مضيتُ تركتُ فيهم الاستغفار <sup>(٦)</sup> . ونحو منه قوله تعالى <sup>(٧)</sup> : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين ﴾ . وقال عليه السلام <sup>(٨)</sup> : أنا أمان لأصحابي . قيل : من البدع . وقيل : من

الاختلاف والفتن .

(١) الآية هي : وما كان الله ليعذبهم . . . وقد سبقت .

(٢) هو الإمام الترمذى ، صاحب السنن .

(٣) ضبطت « نمير » - ضبط قلم - بفتح النون وكسر الميم فى ا ، والضبط الثبت فى الحفاجى

والقارى .

(٤) سورة الأنفال ، آية ٣٣

(٥) أى أوحى الله بقرآن يدل على شيئين فيهما ما يدل على أن الله أمن أمتى من العذاب

بهما . والحديث فى سنن الترمذى : ٥ - ٢٧٠ ، وقال : هذا حديث غريب ، وإسماعيل بن

مهاجر يضعف فى الحديث .

(٦) فإذا مضيت : ارتحلت إلى الآخرة ؛ أى إذا مت بقى فيكم الأمان الآخر ، وهو

الاستغفار . والاستغفار : هو الدعاء بالمغفرة . وقيل المراد به الصلاة . وقيل للإسلام .

(٧) سورة الأنبياء ، آية ١٠٧

(٨) قال القارى ( ١ - ١١٥ ) : أنا أمان لأصحابي ، وفى لفظ : أنا أمانة لأصحابي ،

وهو حديث صحيح رواه مسلم ( مسلم : ١٩٦١ ) .

قال بعضهم : الرسولُ صلى الله عليه وسلم هو الأمانُ الأعظمُ ما عاشَ ، وما دامت سنتُهُ<sup>(١)</sup> باقيةً فهو باقٍ ، فإذا أميتت سنتُهُ فانتظرِ البلاءَ والفتنَ<sup>(٢)</sup> .  
وقال الله تعالى<sup>(٣)</sup> : ﴿ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا .

أبان الله تعالى فضلَ نبيِّه صلى الله عليه وسلم بصلواته عليه ، ثم بصلاةِ ملائكتِهِ ، وأمرَ عباده بالصلاة والتسليم عليه .

[ وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعضَ العلماء تأوَّل قوله عليه السلام : وجُعِلَت قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ عَلَيَّ هَذَا ؛ أَي فِي صَلَاةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيَّ وَمَلَائِكَتِهِ وَأَمْرِهِ الْأُمَّةَ بِذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ]<sup>(٤)</sup> . وَالصَّلَاةُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ [ اسْتِغْفَارٌ ]<sup>(٥)</sup> ، وَمَنَّا لَهُ دَعَاءٌ ، وَمَنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَحِمَهُ .

وقيل : يُصَلُّونَ : يُبَارَكُونَ<sup>(٦)</sup> .

وقد فرَّقَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم - حينَ علَّمَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ بَيْنَ لَفْظِ الصَّلَاةِ وَالْبَرَكَةِ .

وسندُ كَرَحْمِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ .

وذكر بعضُ المتكلمين<sup>(٧)</sup> في تفسيرِ حروفِ « كهيص » - أن الكافَ من

(١) سنته : طريقته التي شرعها .

(٢) أميتت : تركت ولم يعمل بها ، ولم يحرص الناس على تعلمها . والبلاء : المصائب ، كالتواعون ، والظلم . والفتن : محاربة الناس بعضهم بعضاً .

(٣) سورة الأحزاب ، آية ٥٦ (٤) ما بين القوسين كتب أمامه في هامش ١ : من الأم بخطه رضى الله عنه ، وليس من الرواية . (٥) ليس في ب .

(٦) يباركون : يعطيه الله البركة ، والملائكة يطلبونها له . والبركة : النمو والخير الكثير .

(٧) بعض المتكلمين : يريد المفسرين .

« كَافٍ »<sup>(١)</sup> ، أى كفاية الله تعالى لنبيه ، قال تعالى<sup>(٢)</sup> : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ . والهاء هدايته له ، قال<sup>(٣)</sup> : ﴿ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ . والياء تأييده ، قال<sup>(٤)</sup> : ﴿ هُوَ الَّذِي أَبَدَكَ بِنَصْرِهِ ﴾ . والعين عَصَمَتْهُ له ، قال<sup>(٥)</sup> : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ . والصاد : صلواته عليه ؛ قال<sup>(٦)</sup> : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ . وقال تعالى<sup>(٧)</sup> : ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا<sup>(٨)</sup> عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ<sup>(٩)</sup> وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ<sup>(١٠)</sup> ﴾ ؛ مولاة أى وليه . وصالح المؤمنين : قيل : الأنبياء<sup>(١١)</sup> . وقيل<sup>(١٢)</sup> : الملائكة . وقيل<sup>(١٣)</sup> : أبو بكر ، وعمر . وقيل<sup>(١٤)</sup> : على . وقيل : المؤمنون على ظاهره<sup>(١٤)</sup> .

- 
- (١) أى الكاف حرف من « كاف » الذى هو اسم لله تعالى : الكافى .  
 (٢) سورة الزمر ، آية ٣٦ (٣) سورة الفتح ، آية ٢  
 (٤) سورة الأنفال ، آية ٦٢ (٥) سورة المائدة ، آية ٦٧  
 (٦) سورة الأحزاب ، آية ٥٦ ، وفى هذه الحروف أقوال آخر ؛ أحدها أنه من المتشابه الذى لا يعلمه إلا الله . وقيل : إنها أسماء للصور . . . . (٧) سورة التحريم ، آية ٤  
 (٨) تظاهرا عليه : تماونا وتناصرنا . (٩) الولى ، والمولى : المعين والناصر .  
 (١٠) ظهير : نصير ومعين . قال فى نسيم الرياض : وأفرد كلمة « ظهير » - لأنه جعل من ذكروا لاتفاقهم على ذلك - كالواحد ؛ أو لأن فعلا قد يقع للواحد وغيره .  
 (١١) هذا التفسير مروى عن قتادة .  
 (١٢) رواه القرطبي عن أبى زيد .  
 (١٣) رواه القرطبي والثعلبي عن عكرمة وابن جبير مرفوعا للنبي صلى الله عليه وسلم .  
 (١٤) واختاره الإمام الرازى .  
 قال فى نسيم الرياض : والآية دالة على ولاية الله له بنصره وتسخير القلوب له ، الذى هو من مقاصد هذا الفصل .

## الفصل التاسع

فيما تضمنته سورة «الفتح» من كراماته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى (١): ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (٢)﴾ . لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا . وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا . هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ، والله جنود السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً . لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ، وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً . ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء ، وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً . والله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً . إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا .

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴿٣﴾ .

تضمنت هذه الآيات من فضله والثناء عليه وكرامته منزله عند الله تعالى ، ونعمته لديه - ما يقصر الوصف عن الانتهاء (٣) إليه ؛ فابتدأ جل جلاله - بإعلامه بما قضاه له من القضاء البين (٤) بظهوره ، وغلبته على عدوه ، وعلو كلمته وشريعته ، وأنه مغفور له ، غير مؤاخذ بما كان وما يكون (٥) .

(١) سورة الفتح ، الآيات : ١ - ١٠

(٢) من فسر بفتح مكة اقتصر على المقصود ، والمراد فتح مكة وما كان وسيلة له كقصة الحديبية . ومن فسر بالحديبية سماه فتحاً لأنه وسيلة لما بعده من الفتوح فاندرج غيره فيه بطريق الإشارة . (٣) الانتهاء إليه : أي بلوغه والوصول إلى نهايته .

(٤) القضاء البين : أي المقضى الظاهر الذي لا يشكبه .

(٥) أي إعلامه بأنه مغفور له بقوله : ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر .

قال بعضهم : أراد غفران ما وقع وما لم يقع<sup>(١)</sup> ، أى إنك مغفور لك .  
وقال مكي : جعل الله المنّة سببا للمغفرة ، وكل<sup>(٢)</sup> من عنده ، لا إله غيره ،  
[ ١٨ ] منّة بعد منّة ، وفضلا بعد فضل .

ثم قال : « و يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ » : قيل : بخضوع من تكبر عليك<sup>(٣)</sup> .  
وقيل : بفتح مكة والطائف . وقيل : يرفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك ؛  
فأعلمه بتام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له ، وفتح<sup>(٤)</sup> أهم البلاد عليه وأحبها  
له<sup>(٥)</sup> ، ورفع ذكره ، وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنة والسعادة ، وأنصره النصر  
العزیز<sup>(٦)</sup> ، ومنّته على أمته المؤمنين بالسكينة والطمأنينة التي جعلها في قلوبهم ، وبشارتهم  
بالمهم بعد<sup>(٧)</sup> ، وفوزهم العظيم<sup>(٨)</sup> ، والعفو عنهم ، والستر<sup>(٩)</sup> لذنوبهم ، وهلاك عدوه<sup>(١٠)</sup>  
في الدنيا والآخرة ، وكفهم وبعدهم من رحمة ، وسوء منقلبهم<sup>(١١)</sup> .

- (١) أى مما يصح أن يعاتب عليه ، كما في قوله تعالى : « لعلك باخع نفسك على آثارهم » .  
و « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » .  
(٢) وكل : أى المنّة والمغفرة حاصل من عنده تعالى . والمراد بالمنّة الامتنان أو النعمة  
التي هي الفتح ، أو قضاؤه ، ولما كان الفتح ناشئا عن جهده وسميه مع ما يترتب عليه من  
الأمور العظيمة صار سببا للمغفرة .  
(٣) الخضوع : الانقياد . وفي ١ : لك ، وعليها علامة الصحة .  
(٤) فى ب : بفتح . (٥) وهى مكة .  
(٦) النصر العزيز : المعز لصاحبه ، أو العزيز : قليل النظير .  
(٧) بعد : أى بعد ذلك ، أو بعد الحياة الدنيا من النعم الخالد في الجنة .  
(٨) الفوز : النجاة والظفر بالخير . وذلك في قوله تعالى : « وكان ذلك عند الله فوزا  
عظيما » . (٩) فى قوله تعالى : « ويكفر عنهم سيئاتهم » .  
(١٠) بقوله تعالى : « ويمدب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن  
السوء عليهم دائرة السوء » .  
(١١) بقوله تعالى : « وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا » .

ثم قال: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَصِرَاجًا مُنِيرًا . لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ .  
فقد حاسنه وخصائصه<sup>(١)</sup>؛ من شهادته على أمته لنفسه ، بتبليغه الرسالة لهم .  
وقيل : شاهداً لهم بالتوحيد ، ومبشراً لأمة بالثواب . وقيل : بالمغفرة .  
ومنذراً عدوه بالعذاب .

وقيل : مُحذِّراً من الضلالات لِيُؤْمِنَ بِاللَّهِ ، ثم به صلى الله عليه وسلم مَنْ سبقت له من الله الحسنَى .

ويعزِّروه ؛ أى يُجِلُّونَه . وقيل : ينصرونه . وقيل : يبالفون في تعظيمه .  
ويوقِّروه ؛ أى يعظموه .

وقرأه بعضهم : تُعَزِّزُوهُ - بزاءين : من العزِّ ، والأكثر والأظهر<sup>(٢)</sup> أن هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ؛ ثم قال : « وَتُسَبِّحُوهُ » ؛ فهذا راجع إلى الله تعالى .  
قال ابن عطاء : جُمِعَ للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة نِعَمٌ مُخْتَلِفَةٌ ؛ من الفتح المبين ، وهو من أعلام<sup>(٣)</sup> الإجابة . والمغفرة<sup>(٤)</sup> ، وهى من أعلام المحبة ، وتمام النعمة ، وهى من أعلام<sup>(٥)</sup> الاختصاص . والهداية ، وهى من أعلام الولاية<sup>(٦)</sup> ، فالمغفرة تبرئة من العيوب ، وتمام النعمة إبلاغ الدرجة الكاملة ، والهداية وهى الدعوة إلى المشاهدة .

(١) خصائصه : فضائله .

(٢) يعنى أنهم اختلفوا في هذه الضمائر : هل كلها لله ، أو للرسول ، أو بعضها لله وبعضها للرسول . واختار المؤلف أن يكون الضمير في « يعزروه » ، و « يوقروه » - للرسول .

(٣) أعلام : جمع علم ؛ وهو الأمانة والدليل . الإجابة : أى إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم .

(٤) ضبط هذه الكلمة وما بعدها بما عطف عليها في ا ، ب .

(٥) أى دليل على أنه تعالى جمعه من خواص أنبيائه لإنعامه عليه بما لم ينله غيره .

(٦) أى إن الله تعالى تولى أموره ؛ إذ هداه إلى الطريق الموصل إلى قربيه .

وقال جعفر بن محمد : من تمام نعمته عليه أن جعله حبيباً<sup>(۱)</sup> ، وأقسم بحياته<sup>(۲)</sup> ، ونسخ به شرائع غيره ، وعرج<sup>(۳)</sup> به إلى المحل الأعلى ، وحفظه في العراج حتى مازاغ البصر وما طغى ، وبعثه إلى الأحمر والأسود<sup>(۴)</sup> ، وأحل له ولأئمة الغنائم ، وجعله شفيعاً<sup>(۵)</sup> ، وسيداً<sup>(۶)</sup> ، وقرن ذكره بذكره<sup>(۷)</sup> ، ورضاه برضاه<sup>(۸)</sup> ، وجعله أحد ركني التوحيد .

ثم قال<sup>(۹)</sup> : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ - يعني بيعة الرضوان<sup>(۱۰)</sup> ؛ أى إنما يبايعون الله ببيعتهم إياك .

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ : يريد عند البيعة . قيل : قوة الله<sup>(۱۱)</sup> ، وقيل : ثوابه<sup>(۱۲)</sup> . وقيل<sup>(۱۳)</sup> : منته . وقيل<sup>(۱۴)</sup> : عقده ، وهذه استعارة ، وتجنيس<sup>(۱۵)</sup> في الكلام ، وتأکید لعقد بيعتهم إياه . وعظم شأن المبايع صلى الله عليه وسلم .

(۱) أى اصطفاه . وخصه وأكرمه إكرام المحب لحبيبه حتى لقب بالحبيب ، كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم : أنا حبيب الله ولا خسر . (سنن الترمذى : ۵ - ۵۸۸) .

(۲) وأقسم بحياته فى قوله تعالى : «لعمرك» - على أحد الأقوال .

(۳) عرج : صعد . (۴) الأحمر والأسود : جميع الخلق .

(۵) قرن ذكره بذكره : فى التشهد والأذان ، وفى مواضع فى القرآن .

(۶) فى مثل قوله تعالى : «والله ورسوله أحق أن يرضوه» . (۷) سورة الفتح ، آية ۱۰ .

(۸) بيعة الرضوان كانت بالحديبية ، وسميت بيعة الرضوان لقوله تعالى : «لقد رضى الله

عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة» . والمبايعة كانت على ألا يفروا ؛ أو على الموت ؛ أو

على السمع والطاعة فى النشاط والكسل ، وعلى النفقة فى العسر واليسر ، والأمر بالمعروف والنهى

عن المنكر . . . . (۹) أى قوة الله وقدرته فى نصر رسوله فوق قواهم .

(۱۰) أى ثواب الله لرسوله فوق ثوابهم فى مبايعتهم والوفاء بهم .

(۱۱) منته : أى نعمته عليهم ببيعتهم مما منحوه من العز فى الدنيا والثواب فى الآخرة فوق

منهم عليك ، بمبايعتهم وبذل أنفسهم وأموالهم .

(۱۲) يعنى أن الله تعالى أوجد هذه البيعة وتممها .

(۱۳) تجنيس فى الكلام : تفنن فى العبارات الإيمانية .



وقد يكون من<sup>(١)</sup> هذا قوله تعالى<sup>(٢)</sup> : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ،  
 وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾<sup>(٣)</sup> ؛ وإن كان الأول في باب المجاز<sup>(٤)</sup> ،  
 وهذا<sup>(٥)</sup> في باب الحقيقة ، لأنَّ القاتل والرامي بالحقيقة هو الله ، وهو خالقُ فعله ورميه ،  
 وقُدْرته عليه ومسببه<sup>(٦)</sup> ، ولأنه ليس في قدرة البشر توصيلُ تلك الرمية حيث  
 وصلت ، حتى لم يبقَ منهم من لم تملأ عينيه<sup>(٧)</sup> ، وكذلك قتلُ الملائكة لهم حقيقة<sup>(٨)</sup> .  
 وقد قيل في هذه الآية الأخرى إنها على المجاز العربي<sup>(٩)</sup> ، ومتابله اللفظ  
 ومناسبه ؛ أي ما قتلتموهم ، وما رميتهم أنت إذ رميت وجوههم بالحصباء  
 والتراب ، ولكنَّ الله رمى قلوبهم بالجزع<sup>(١٠)</sup> ، أي إن [ ١٩ ] منمنعة الرمي كانت من  
 فعل الله ؛ فهو القاتلُ والرامي بالمعنى وأنت بالاسم .

(١) من هذا ؛ أي من قبيل جعل فعل العبد عين فعل الله .

(٢) سورة الأنفال ، آية ١٧

(٣) أي لم تقتلوا قريشا إذ سلطكم الله عليهم ونصركم ، ولكن الله قتلهم ؛ إذ هو الخالق  
 لهذا الفعل فيكم وإن كنتم مباشرين له .

وهذه الآية نزلت في بدر ، أو في حنين ( الشهاب : ١ - ٣٥٤ ) .

(٤) الأول : يد الله فوق أيديهم .

(٥) وهذا : أي القتل والرمي .

(٦) ضبطت الباء في ب بشدة مفتوحة .

(٧) أي من لم تملأ الرمية عينيه من التراب .

(٨) وكذلك قتل الملائكة : أي هو مثل إسناد القتل إلى الأفراد البشرية ، فقدره  
 الملائكة مثل القوى البشرية في الاحتياج إلى القوة الإلهية ، والمخلوقات بأسرها متساوية في  
 رتبة العبودية .

(٩) المجاز العربي : يريد المجاز اللغوي في الاصطلاح العربي ، وهو استعمال اللفظ في

غير ما وضع له لملاقة بين المعنى المجازي والحقيقي . والملاقة هنا السببية ( القارى : ١ - ١٢٩ ) .

(١٠) الجزع : الرعب والفرع .

## الفصل العاشر

فما أظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده ،

وما خصّه الله به من ذلك سوى ما انتظم<sup>(١)</sup> فيما ذكرناه قبل

من ذلك ما قصّه تعالى في قصة الإسراء في سورة : سبحان ، والنجم ؛ وما انطوت

عليه القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجائب .

ومن ذلك عصمته من الناس بقوله تعالى<sup>(٢)</sup> : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ .

وقوله تعالى<sup>(٣)</sup> ؛ ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ

وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ .

وقوله<sup>(٤)</sup> : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ

هَمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ

بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ ﴾ . وما رفع الله به عنه في هذه القصة من أذاهم بعد تحزبهم<sup>(٥)</sup> لهلكه

وخلوصهم نجياً في أمره<sup>(٦)</sup> ، والأخذ على أبصارهم<sup>(٧)</sup> عند خروجه عليهم ، وذهولهم

(١) أي غير ما دخل فيما قبله من الفصول . (٢) سورة المائدة ، آية ٦٧

(٣) سورة الأنفال ، آية ٣٠

(٤) سورة التوبة ، آية ٤٠ ، وقوله : إلا تنصروه ؛ أي إن لم تنصروه وتخرجوا معه إلى

غزوة تبوك فسينصروه من نصره عند قلة أوليائه وكثرة أعدائه ، إذ أخرجه الذين كفروا وليس

معه إلا أبو بكر ، وهذا كان لما بايع الأنصار النبي بالعقبة ، وأمر أصحابه بالذهاب إلى المدينة ،

وأشفقت قريش من ظهور النبي ، فاجتمعوا بدار الندوة للمشاورة في أمره . . . . ثم هجرته

إلى المدينة ونجائه من مكرهم . (٥) تحزبهم : تجمعهم في مشاورتهم مع أحزابهم .

(٦) وخلصهم ؛ أي بعد إخلاصهم في أذيته منفردين في دار الندوة للمشاورة في أمره

متناجين في ذلك .

(٧) أخذ الله على أبصارهم : منعها من رؤية النبي مع ترقبهم له لما خرج من داره ماراً عليهم .

عن طلبه في الفار ، وما ظهر في ذلك من الآيات<sup>(١)</sup> ، ونزول السكينة عليه ، وقصة سُرَاقَةَ بن<sup>(٢)</sup> مالك حسب ما ذكره أهل الحديث والسِّير في قصة الفار ، وحديث الهجرة .

ومنه قوله تعالى<sup>(٣)</sup> : ﴿ إِنَّا أُعْطِينَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ . إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ .

أعلمه الله تعالى بما أعطاه . والـكـوثرُ حَوْضُهُ . وقيل : نهر في الجنة<sup>(٤)</sup> . وقيل : بالخير الكثير . وقيل : الشفاعة . وقيل : المعجزات الكثيرة . وقيل : النبوة . وقيل : المعرفة . ثم أجاب عنه عدوه ، وردّ عليه قوله<sup>(٥)</sup> ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّا شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ ؛ أي عدوك ومُبغضك . والأبتر : الحقير الذليل ، أو المفرد الوحيد ، أو الذي لا خير فيه . وقال تعالى<sup>(٦)</sup> : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾<sup>(٧)</sup> والقرآن العظيم .

قيل : السبع المثاني السور الطوال الأولى . والقرآن العظيم : أم القرآن<sup>(٨)</sup> . وقيل<sup>(٩)</sup> : السبع المثاني : أم القرآن<sup>(١٠)</sup> . والقرآن العظيم : سائره<sup>(١١)</sup> . وقيل : السبع

- (١) من الآيات الدالة على نبوته كنسج المنكبوت وتمشيش الحمام وبيضه . . .
- (٢) كان سُرَاقَةَ يتبع النبي بعد خروجه ، لينال مكافأة جعلتها قريش لمن يأتي به .
- (٣) سورة الكوثر . والأبتر : مقطوع الخير والبركة .
- (٤) في نسيم الرياض : وهو الصحيح .
- (٥) رد عليه قول عدوه : إنه منقطع العقب والذكر بوجه يتضمن شتمه وتنقيصه . . .
- (٦) سورة الحجر : آية ٨٧
- (٧) المثاني : جمع مثني . وقال القاري : السبع المثاني : السور الطوال . وهو منقول عن ابن عباس ، وابن عمر ، وابن مسعود .
- (٨) أم القرآن : هي الفاتحة . وهذا التفسير مروى عن ابن عباس .
- (٩) في نسيم الرياض : وعليه أكثر الصحابة والتابعين ؛ وهو قول جمهور المفسرين .
- (١٠) في القاري ( ١ - ١٣٦ ) : وهو ما يقتضيه حديث البخاري : أم القرآن هي السبع المثاني ( صحيح البخاري : ٦ - ١٠٢ ) .
- (١١) سائره : باقيه بعد الفاتحة .

المثاني : مافي القرآن ، من أمر ، ونهى ، وبُشْرَى ، وإِنْذَار ، وَضَرْبِ مَثَل ، وإِعداد نِعَمٍ <sup>(١)</sup> ، وآتِنَاكَ نَبَأَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ <sup>(٢)</sup> .

وقيل : سميت أمّ القرآن مثنى لأنها تُثْنَى في كل ركعة . وقيل : بل الله تعالى استثنىها لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وذخرها له دون الأنبياء <sup>(٣)</sup> .  
وسُمِّيَ الْقُرْآنُ مَثَانِي ؛ لِأَنَّ الْقِصَصَ تُثْنَى فِيهِ <sup>(٤)</sup> .

وقيل : السبع المثاني : أكرمناك بسبع كرامات <sup>(٥)</sup> : الهدى ، والنبوة ، والرحمة ، والشفاعة ، والولاية ، والتعظيم ، والسكينة .

وقال <sup>(٦)</sup> : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

وقال <sup>(٧)</sup> : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ <sup>(٨)</sup> .

وقال تعالى <sup>(٩)</sup> . ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ، فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ .

قال القاضي <sup>(١٠)</sup> : فهذه <sup>(١١)</sup> من خصائصه .

(١) وإعداد نعم : تعداد نعم كثيرة .

(٢) أى أعطيناك علم ما اشتمل عليه من قصص ومواعظ .

(٣) فالمثاني من الاستثناء المعروف ، واستثنائها : ميزها وخصها من بين الآيات . والمراد أنه اختارها ، أو حفظها ، ولم يبذلها لغيره من الرسل ، ولم يدخرها ويعطها غيره لتمييزه من بينهم .

(٤) ثنى : تكرر .

(٥) وهذا مروى عن الإمام جعفر الصادق .

(٦) سورة النحل ، آية ٤٤ (٧) سورة سبأ ، آية ٢٨ (٨) كافة : جميعا .

(٩) سورة الأعراف ، آية ١٥٨

(١٠) هو المؤلف .

(١١) فهذه : أى البعثة العامة لم يشارك فيها غيره من الرسل .

وقال تعالى (١) : ﴿ وما أرسلنا من رَسولٍ إلا بلسان (٢) قومِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ ؛  
نَحْنُ نَحْمَدُهُمْ بِقَوْمِهِمْ ، وَبَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً ، كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :  
« بَعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ » (٣) .

وقال تعالى (٤) : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ (٥) وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ .  
قال أهلُ التفسير : أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ : أَي مَا أَنْفَذَهُ فِيهِمْ مِنْ أَمْرٍ فَهُوَ مَاضٍ  
عَلَيْهِمْ كَمَا يَمْضِي حُكْمُ السَّيِّدِ عَلَى عَبْدِهِ .

وقيل (٦) : اتَّبَعُ أَمْرَهُ أَوْلَىٰ مِنْ اتِّبَاعِ رَأْيِ النَّفْسِ .

وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ؛ أَي هُنَّ فِي (٧) الْحُرْمَةِ كَالْأُمَّهَاتِ ؛ حَرَّمَ نِكَاحَهُنَّ عَلَيْهِمْ  
بَعْدَهُ ؛ تَكْرِمَةً (٨) لَهُ وَخُصُوصِيَّةً ، وَلِأَنَّ لَهُنَّ لَهُ أَزْوَاجٌ فِي الْآخِرَةِ .

(١) سورة إبراهيم ، آية ٤ (٢) بلسان قومه : بلفظ من بعث إليهم .

(٣) أي إلى العرب وغيرهم ، أو الإنس والجن - كما تقدم . والحديث في صحيح مسلم : ٣٧١

(٤) سورة الأحزاب ، آية ٦

(٥) يعني أنه - صلى الله عليه وسلم - مقدم عند كل أحد على نفسه .

(٦) وهذا التفسير مروى عن ابن عباس ؛ فالأولى هنا بمعنى أولية اتباعه . وقيل : أولية

محبه . وقيل : معناه أرف وأعطف . قال في نعيم الرياض ( ١ - ٣٧٢ ) : والأحسن ما في

الكشاف من أنه - صلى الله عليه وسلم - أولى بهم في جميع أمور الدين والدنيا من غيره ؛

فإنه سبب حياتهم الأبديَّة . وفي البخاري أنه - صلى الله عليه وسلم - قال : ما من مؤمن

إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة ؛ اقرءوا إن شئتم : النبي أولى بالمؤمنين . . .

فأما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ، فإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتمني وأنا مولاه

( صحيح البخاري : ٦ - ١٤٥ ) .

قال القرطبي : هذا تفسير الولاية .

(٧) في ب : من .

(٨) هذا في ب . وفي هامشه : مكرمة . وفي أ : كتب فوقها «معا» ؛ أي هي تكملة ،

ومكرمة .

وقد قرىء<sup>(١)</sup> : وهو أبٌ لهم . ولا يُقرأ<sup>(١)</sup> به الآن [ ٢٠ ] لمخالفته المصحف .  
وقال الله تعالى<sup>(٢)</sup> : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ <sup>(٣)</sup> ، وَعَلَّمَكَ  
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ .  
قيل : فضله العظيم بالنبوة<sup>(٤)</sup> . وقيل : بما سبق له في الأزل<sup>(٥)</sup> . وأشار الواسطي  
إلى أنها إشارةٌ إلى احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى ، صلى الله عليهما<sup>(٦)</sup> .

(١) فهي قراءة شاذة .

(٢) سورة النساء ، آية ١١٣

(٣) الكتاب : القرآن . والحكمة : الشريعة والسنة .

(٤) فضله العظيم : أي في هذه الآية بالنبوة ؛ فإنها أعظم النعم .

(٥) الأزل : القدم ، والوجود الذي لا أول له .

(٦) هذا في أ ، ب .

## البَابُ الثَّانِي

في تكميل الله تعالى له المحامِنَ خَلْقًا وَخُلُقًا ، وِقْرَانَهُ (١)

جميع الفضائل الدينية والديوية فيه نَسَقًا (٢)

اعلم أيها المحبُّ لهذا النبيِّ الكريمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الباحثُ عن تفاصيلِ جُمَلِ قَدْرِهِ الْعَظِيمِ - أَنْ خِصَالَ الْجَلَالِ وَالْإِكْمَالِ (٣) فِي الْبَشَرِ نَوْعَانِ : ضَرُورِيٌّ دُنْيَوِيٌّ (٤) اقْتَضَتْهُ الْجَبِلَةُ (٥) وَضَرُورَةٌ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ؛ وَمَكْتَسَبٌ دِينِيٌّ ؛ وَهُوَ مَا يُحْمَدُ فَاعِلُهُ ، وَيَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى زُلْفَى .

ثم هي على فَنَيْنِ (٦) أيضًا : منها ما يتخلَّصُ لأحد الوصفين (٧) . ومنها ما يمتازُ ويتداخل .

فأما الضروريُّ المَحْضُ (٨) فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب ، مثلُ ما كان في جِبِلَّتِهِ من كمالِ خَلْقَتِهِ ، وجمالِ صورته ، وقوةِ عقله ، وصحةِ فهمه ، وفصاحةِ لسانه ، وقوةِ حواسه وأعضائه ، واعتدالِ حركاته ، وشرفِ نسبه (٩) ، وعزَّةِ قومه ، وكرمِ (١٠) أرضه ؛ ويلحقُ به (١١) ما تدعوه ضرورةُ حياته إليه ، من غذائه ونومه ، وملبسه ومسكنه ، ومنكحِه ، وماله وجاهه .

(١) قرانه : جمعه . (٢) نسقا : أي جميع الفضائل فيه متناسبة منتظمة .

(٣) الجلال : العظمة . والكمال : التمام .

(٤) دنيوي : لا يتعلق به ثواب ؛ أو بما لا بد منه فيها .

(٥) اقتضته الجبلية : دعت إليه . والجبلية : ماجيله الله عليه وخلقه . وفي هامش ب :

جبلية - بالتشديد والتخفيف . (٦) ثم هي ؛ أي خصال الجلال والكمال على ضربين .

(٧) لأحد الوصفين : أي الضرورة والمكتسب المفهومين من التقسيم السابق .

(٨) المحض : الخالص . (٩) شرف نسبه : أي شرفه الحاصل له بسبب نسبه .

(١٠) وكرم أرضه : التي هي موطنه ومولده : مكة .

(١١) يلحق به ؛ أي بالضروري .

وقد تلحق هذه الخصال الآخرة<sup>(١)</sup> بالأخرى إذا قصد بها التقوى ومعونة  
البدن على سلوك طريقها<sup>(٢)</sup>، وكانت على حدود<sup>(٣)</sup> الضرورة وقوانين الشريعة<sup>(٤)</sup>.  
وأما المكتسبة الأخرى فسائر الأخلاق العلية<sup>(٥)</sup>، والآداب الشرعية : من  
الدين والعلم<sup>(٦)</sup>، والحلم، والصبر، والشكر، والعدل، والزهد، والتواضع، والعفو،  
والعفة، والجود، والشجاعة، والحياء، والروءة، والصمت، والتؤدة<sup>(٧)</sup>، والوقار  
والرحمة، وحسن الأدب والمعاشرة<sup>(٨)</sup>، وأخواتها، وهي التي جماعها<sup>(٩)</sup> حسن  
الخلق.

وقد يكون من هذه الأخلاق ما هو في الغريزة<sup>(١٠)</sup> وأصل الجبلة لبعض الناس .  
وبعضهم لا تكون فيه ، فيكتسبها ، ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها  
في أصل الجبلة شعبة<sup>(١١)</sup> كما سنبينه إن شاء الله .

(١) في ب : الأخيرة . (٢) سلوك طريقها ؛ أي طريق الآخرة .

(٣) معنى كونها على حدودها أن يأخذ منها بمقدار حاجته من غير زيادة وإسراف

ونقص وتفريط .

(٤) المعنى أن يكون ما يفعله من هذه الأمور على وفق الشريعة المطهرة ؛ فإنه إن لم يكن

كذلك لا تنفعه نية التقرب إلى الله تعالى ؛ وذلك كمن يأكل حراما ويلبس مفسوبا ، ليتعبد

به ، أو يتصدق بمال حرام . (٥) العلية : الشريعة المحمودة .

(٦) والعلم : أي العلم بماله وما عليه ، مما به نظام معاشه ومعاده .

(٧) والصمت : المراد ترك الكلام فيما لا ينبغي وترك الفضول . والتؤدة : التأنى وترك

العجلة .

(٨) والمعاشرة : أي حس المعاشرة والاختلاط مع الناس ، وترك التحجب وهجر

الإخوان بغير داع .

(٩) التي جماعها : التي يشملها ويجمعها .

(١٠) الغريزة : الطبيعة ، والجبلة . والمراد تكون في بعض الناس من غير تعلم من أحد .

(١١) شعبة : حصة . وأصل معناه الفرقة والقطعة .



وتكون هذه الأخلاق دُنْيوية إذا لم يُرَدَّ بها وجهُ الله والدارُ الآخرة؛ ولكنها  
كأما محاسنُ وفضائلُ باتفاق أصحابِ العقول السليمة، وإن اختلفوا في موجب<sup>(١)</sup>  
حُسْنِهَا وتفضيلها.

## فصل

إذا<sup>(٢)</sup> كانت خصالُ الكمال والجمال ما ذكرناه، ووجدنا الواحدَ منا يشرفُ  
بواحدة منها أو باثنتين إن اتفقت<sup>(٣)</sup> له - في كلِّ عصر، إما من نسبٍ أو جمال،  
أو قوة، أو علم، أو حِلْم، أو شجاعة، أو سماحة، حتى يعظمَ قدره، ويُضربَ باسمه  
الأمثال، ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوبِ أثرٌ<sup>(٤)</sup> وعظمة، وهو منذُ عصورٍ  
خَوَالِ رِمَمِ بَوَالِ<sup>(٥)</sup>، فما ظنُّك بعظيمِ قدرٍ من اجتمعت فيه كلُّ هذه الخصال إلى  
مالا يأخذه<sup>(٦)</sup> عدٌّ، ولا يعبرُّ عنه مقال، ولا يُنال بكسبٍ ولا حيلة إلا بتخصيص  
الكبير المتعال<sup>(٧)</sup>، من فضيلة<sup>(٨)</sup> النبوة والرسالة، والخلة<sup>(٩)</sup> والمحبة، والاصطفاء<sup>(١٠)</sup>

- (١) موجب : سبب . وقد ضبطت في ا بفتح الجيم . وفي ب بكسرهما . وقال الشهاب :  
بكسر الجيم لا بفتحها ، وكذلك قال القارى .
- (٢) هذا الفصل معقود لحصال محمودة مخصوصة به صلى الله عليه وسلم ، مقتبسة من  
الكتاب والسنة . (٣) اتفقت له : حصلت له على وجه يشرف به بغير كسب .
- (٤) أثره - بضم الهمزة وفتحها وكسرهما ، وصكون المثناة وفتحها ؛ والمأثرة والكرمة  
من تلك الخصال التي وصف وانفرد واستأثر بها عن غيره .
- (٥) رمم بوال : الرمم جمع رمة ، أو رميم ؛ وهي العظام وأجزاء البدن البالية . بوال :  
جمع بالية . (٦) مالا يأخذه عد : لا يحيط به . والمراد : لا يعد لكثرة .
- (٧) أى ينال بأن يخص الله به من يشاء . (٨) هذا بيان لقوله : مالا يأخذه عد .
- (٩) الخلة : المخاللة والصدقة .
- (١٠) إشارة إلى ما ورد في الحديث : إن الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم وإسماعيل ، واصطفى  
من ولد إسماعيل بنى كنانة ، واصطفى من بنى كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بنى هاشم ،  
واصطفانى من بنى هاشم . والحديث في صحيح مسلم : ١٧٨٢

والإسراء، والرؤية<sup>(١)</sup>، والترب والدفن، والوحي، والشفاعة والوسيلة، والفضيلة والدرجة الرفيعة، والمقام<sup>(٢)</sup> المحمود، والبراق والمعراج، والبعث إلى الأحمر والأسود<sup>(٣)</sup>، والصلاة بالأنبياء<sup>(٤)</sup>، والشهادة بين الأنبياء والأمم، وسيادة ولد آدم [٢١]، ولواء الحمد، والبشارة، والندارة<sup>(٥)</sup> والمكانة عند ذي العرش والطاعة لله<sup>(٦)</sup>، والأمانة والهداية ورحمة للعالمين. وإعطاء الرضا والسؤل<sup>(٧)</sup>، والكوثر، وسماع القول<sup>(٨)</sup>، وإتمام النعمة والعموم بما تقدم وتأخر، وشرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر وعزة النصر، ونزول السكينة، والتأييد بالملائكة، وإيتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم، وتزكية<sup>(٩)</sup> الأمة والدعاء إلى الله، وصلاة الله تعالى والملائكة، والحكم بين الناس بما أراه الله، ووضع<sup>(١٠)</sup> الإصر والأغلال عنهم، والقسم باسمه، وإجابة دعوته، وتكليم الجمادات والعجم<sup>(١١)</sup>، وإحياء الموتى، وإسماع الصم، ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثير القليل، وانشقاق القمر، ورد

- (١) الرؤية : رؤية ربه . أو رؤية آياته الكبرى . أو رؤيته جبريل في صورته الأصلية .  
 (٢) والمقام المحمود : هو مقام يقوم فيه النبي للشفاعة العظمى ، فيحمده فيه الأولون والآخرون .  
 (٣) أي عموم رسالته .  
 (٤) إمامته لهم حين اجتمع بهم في المسجد الأقصى حين أسرى به .  
 (٥) أي كونه بشيرا ونذيرا . (٦) ثم : هناك . (٧) السؤل : كل مسؤل .  
 (٨) سماع القول : أي سماع الله لقوله صلى الله عليه وسلم وقبوله الوارد في حديث الشفاعة الطويل ، بقوله : قل يسمع لك . وسل تعط . وحديث الشفاعة سيأتي في بابها .  
 (٩) إشارة إلى الآية الكريمة : يتلو عليهم آياته ويزكيهم . . . .  
 (١٠) وضع الإصر : أي ثقل التكليف التي كانت في الأمم السابقة .  
 (١١) تكليم الجمادات كما ورد في الحديث : إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على (صحيح مسلم : ١٧٨٢) : قيل : هو الحجر الأسود . وقيل غيره . والعجم : المراد به الحيوان الذي ليس من شأنه النطق .

الشمس ، وقلب الأعيان<sup>(١)</sup> ، والنصر بالرعب<sup>(٢)</sup> ، والاطلاع على الغيب ، وظل الغمام<sup>(٣)</sup> ، وتسبيح الحصا ، وإبراء الآلام<sup>(٤)</sup> ، والعصمة من الناس ، إلى ما لا يحويه مُحْتَفِل<sup>(٥)</sup> ، ولا يحيط بعلمه إلا ما منح ذلك ومفضله به<sup>(٦)</sup> ، لا إله غيره ، إلى ما أعد له في الدار الآخرة من منازل الكرامة ، ودرجات القدس<sup>(٧)</sup> ، ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول وبحار دون أدانيها الوهم<sup>(٨)</sup> .

## فصل ٢

إن قلت - أكرمك الله : لا خفاء على القطع بالجملة<sup>(٩)</sup> أنه صلى الله عليه وسلم أعلى الناس قدراً ، وأعظمهم محلاً ، وأكملهم محاسن وفضلاً ، وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال مذهباً جميلاً شوقني إلى أن أقف عليها من أوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلاً . . . فاعلم - نور الله قلبي وقابلك ، وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك - أنك إذا نظرت إلى خصال الكمال التي هي غير مُكْتَسَبَة وفي جملة الخلقة

- (١) الأعيان : جمع عين ، وهي ذات الشيء نفسه . (٢) الرعب : الخوف .  
 (٣) ظل الغمام : تظليلها له عليه السلام لئلا يؤذيه حر الشمس .  
 (٤) الآلام : جمع ألم ؛ وهو الوجع . والمراد ما يعم الأمراض والأوجاع .  
 (٥) يحويه : يشمله ويجمعه فيحتوى عليه . والمعنى أن من اهتم بجمع هذه الصفات وأمثالها لا يمكنه الإحاطة بها .  
 (٦) وهو الله تعالى .  
 (٧) القدس : أصل معناه الطهر . وقد ضبط في أ، ب بالسكون . وقال القاري (١-١٤٩) : القدس - بضم وبضمتين ؛ أي المنزهة عن النقصان والزوال في الجنة .  
 (٨) الأداني : جمع أدنى ، بمعنى أسفل ، أو أقرب ، أو أنزل ؛ أي لا يدرك العقل سافلها فضلاً عن عاليها ، ولا يصل لما يقرب منها فضلاً عما يبعد عنها . وفي هامش ب : خ : الفهم .  
 (٩) على القطع : على سبيل القطع . والجملة بمعنى الإجمال ، ضد التفصيل . والمراد أن هذه المجمل قطعي .

وجَدَتْه حائِزًا لْجَمِيعِهَا ، مُحِيطًا بِشَتَاتِ<sup>(١)</sup> مَحَاسِنِهَا دُونَ خِلَافٍ بَيْنَ نَقَمَةِ الْأَخْبَارِ لِدَلِكْ ؛  
بَلْ قَدْ بَلَغَ بَعْضُهَا مَبْلَغَ الْقَطْعِ<sup>(٢)</sup> .

أَمَّا الصُّورَةُ وَجَمَالُهَا ، وَتَنَاسُبُ أَعْضَائِهَا فِي حُسْنِهَا ، فَقَدْ جَاءَتْ الْآثَارُ الصَّحِيحَةُ  
وَالْمَشْهُورَةُ الْكَثِيرَةُ بِذَلِكَ ، مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ ، وَأَنْسُ بْنُ مَالِكٍ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ،  
وَالْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ، وَعَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَابْنَ أَبِي هَالَةَ ، وَأَبِي جُحَيْفَةَ ، وَجَابِرَ  
ابْنَ سَمْرَةَ ، وَأُمَّ مَعْبَدٍ ، وَابْنَ عَبَّاسٍ ، وَمُعَرِّضَ بْنَ مَعِيْقِيْبٍ<sup>(٣)</sup> ، وَأَبِي الطُّفَيْلِ ،  
وَالْعَدَاءِ بْنَ خَالِدٍ ، وَخُرَيْمٍ<sup>(٤)</sup> بْنَ فَاثِكٍ ، وَحَكِيمَ بْنَ حِرْزَامٍ ، وَغَيْرِهِمْ ، مِنْ أَنَّهُ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَزْهَرَ اللَّوْنِ<sup>(٥)</sup> ، أَدْعَجَ ، أَنْجَلُ ، أَشْكَلُ<sup>(٦)</sup> ، أَهْدَبُ  
الْأَشْفَارِ<sup>(٧)</sup> ، أَبْلَجُ ، أَزَجُّ ، أَقْنَى<sup>(٨)</sup> ، أَفْلَجُ<sup>(٩)</sup> ، مَدَوَّرُ الْوَجْهِ ، وَاسِعُ الْجَبِينِ ،

(١) شتات محاسنها : المتفرق من محاسنها .

(٢) مبلغ القطع : الجزم ؛ وذلك لتواتره وكثرة روايته المؤدية إلى الجزم .

(٣) في ب : ومعرض . - وضبطه بكسر الميم وسكون العين وفتح الراء - وفي هامشه : خ :  
ومعرض - وضبطه كما أثبتنا . وفي ا : ومعرض - وضبطه بفتح الميم وسكون العين وفتح  
الراء ، وتحتها « من الأم » . وفي الهامش : ومعرض - وضبطه كما أثبتناه وعليها صح . وقال  
القارى : وقال النسائي : معرض - بكسر الميم وفتح الراء ، وهو مخالف للأصول المصححة ،  
وللحواشي المصروفة . (٤) في ا ، ب : خريم ، وفي هامش ا ، ب : صح بالراء .

(٥) أزهر اللون : قيل نير . وقيل حسن . وقيل أبيض . أو أبيض مشرب بحمرة . وفي  
الصحيح : عن أنس ، لم يكن بالأبيض الأمهق ؛ أى الخالص البياض كلون الجير فإنه غير محمود .  
وفي الثمائل للترمذى : فسر الأزهر بالأبيض المنير المشرق . وفي نسيم الرياض ( ١ - ٤٠٧ ) :  
والحق أنه كان أبيض مشرباً بحمرة ، وهو أحسن الألوان .

(٦) أدعج : الدعج : شدة سواد العين مع سعتها . وقيل سواد السواد وبياض البياض .  
أنجل أشكل : النجلة : سعة شق العين . حسنها . والشكلة : حمرة يسيرة في بياض العين .

(٧) أهدب الأشفار : الأهدب : الطويل الشعر النابت على الجفن . والأشفار : جمع شفر :  
طرف الجفن . (٨) أبلج : الباج : نقاء ما بين الحاجبين من الشعر . أزج : مقوس الحاجب

مع طول امتداد . والأقنى : طول أنفه ودقة أرنبته مع حدب في وسطه .

(٩) أفلاج : الفلاج : تباعد ما بين الشيا ، أو ما بين الأسنان .

كث اللحية<sup>(۱)</sup> تملأ صدره ، سواء البطن والصدر<sup>(۲)</sup> ، واسع الصدر ، عظيم  
 المنكبين<sup>(۳)</sup> ، ضخيم العظام ، عبل العضدين والذراعين والأسافل<sup>(۴)</sup> ، رحب  
 الكفين والتدمين<sup>(۵)</sup> ، سائل الأطراف<sup>(۶)</sup> ، أنور المتجرد<sup>(۷)</sup> ، دقيق المسربة<sup>(۸)</sup> ،  
 ربة القد<sup>(۹)</sup> ، ليس بالطويل البائن ، ولا بالقصير المتردد<sup>(۱۰)</sup> ، ومع ذلك فلم يكن  
 يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طأه<sup>(۱۱)</sup> صلى الله عليه وسلم ، رجل الشعر<sup>(۱۲)</sup> ،  
 إذا افتتر ضاحكا<sup>(۱۳)</sup> افتتر عن مثل سنا البرق ، وعن مثل حب الغمام<sup>(۱۴)</sup> ،

(۱) كث اللحية : لحيته كثيفة غير خفيفة .

(۲) سواء : مستويهما . وفي هذا إشارة إلى اعتدال خلقهما وعدم خروجها أو أحدهما  
 عن الاعتدال ؛ فإن البطن إذا كان بارزا أو مضمرا لم يكن من الصفات الحسنة ، وكذلك إذا  
 برز الصدر أو تطامن . (۳) المنكب : مجمع عظم العضد والكتف . أى إنه ضخيمهما .

(۴) عبل : ضخيم قوى . والمضدين : مثنى عضد ، وهو ما بين المرفق والكتف . والأسافل :  
 جمع أسفل ؛ يريد رجليه ، أو الفخذين والساقين . (۵) رحب : واسع .

(۶) سائل الأطراف : أى ممتددا معتدلا بغير إفراط ولا تفريط . والمراد  
 بالأطراف الأصابع .

(۷) أنور : نير . والمتجرد : الجسد الذى من شأنه أن يتجرد من الثياب .

(۸) دقيق المسربة : المراد ليس بعريض ولا متكاثف الشعر . والمسربة : شعر مستطيل من  
 الصدر للسرة ؛ فهو خط من الشعر بينهما .

(۹) ربة القد : القد بمعنى القامة . وربة : معتدل ، أى مربع القامة .

(۱۰) ليس بالطويل البائن . البائن : الظاهر ؛ أى لم يكن مفرط الطول . والمتردد : المتناهي  
 فى القصر .

(۱۱) ينسب إلى الطول : يوصف به . طأه : غلبه فى الطول وزاد عليه .

(۱۲) رجل الشعر : يقال شعر رجل : فيه ثثن قليل . فشعره بين الجمودة والسبوطة .

(۱۳) إذا افتتر ضاحكا : كشف عن أسنانه متبسما وضاحكا . والسنا : اللعان ؛ أى إذا كشف

النبي عن أسنانه فى حال ضحك ظهر فمه وبياض أسنانه كلعان البرق .

(۱۴) عن مثل حب الغمام : حب الغمام هو البرد ؛ أى مثله فى بياضه ونقاؤه وصفائه .

إذا تكلم رُئي كالنور يخرج من ثناياه ، أحسن الناس عنقا ، ليس بمطهم ولا مكلثم<sup>(١)</sup> ، متماسك البدن ، ضرب اللحم<sup>(٢)</sup> .

قال البراء [ بن عازب ]<sup>(٣)</sup> : ما رأيت من ذى لمة<sup>(٤)</sup> في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٥)</sup> .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم [ ٢٢ ] ، كأن الشمس تجري في وجهه ، وإذا ضحك يتلألأ في الجدر<sup>(٦)</sup> .

وقال جابر بن سمرة - وقال له رجل : كان وجهه<sup>(٧)</sup> - صلى الله عليه وسلم - مثل السيف<sup>(٨)</sup> ؟ فقال : لا ، بل مثل الشمس والقمر . وكان مستديرا .

وقالت أم معبد<sup>(٩)</sup> - في بعض ما وصفته به : أجمل الناس من بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب [ صلى الله عليه وسلم تسليما كما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الفافلون ]<sup>(١٠)</sup> .

(١) المطهم : السمين الفاحش السمن ، والنحيف الجسم الدقيقه ، فهو من الأضداد . والمكلثم : البادن كثير اللحم .

(٢) ضرب اللحم : أي قليل لحم البدن خفيفه لا إلى حد الهزال .

(٣) في هامش ب ، وعليها علامة صح .

(٤) اللمة - بكسر اللام وتشديد الميم : ما طال من شعر الرأس في أحد جانبيه .

(٥) في نسيم الرياض ( ٤١٧ ) : هذا الحديث رواه الترمذى وصححه . وهو في سنن

الترمذى ( ٥ - ٥٩٩ ) .

(٦) التلألؤ : اللعان والإضاءة . جدر : جمع جدار ، والناس تستعمله بمعنى الأساس .

أي نور وجهه الشريف يشرق إشراقا يصل إلى الجدران للمقابلة له .

(٧) في ب : كان وجه رسول الله . (٨) وتشبيهه بالسيف هنا في البريق واللمعان .

(٩) هي عائكة بنت خالد الصحابية التي كانت نازلة ببناء في طريق المدينة ، وقد نزل عليها

النبي في هجرته لما خرج من غار ثور ، وكان زوجها غائبا ، فلما أتاها أخبرته به ، فاستوصفها

إياه ، فنعتته له في كلام بليغ . (١٠) من ب .

وفي حديث ابن أبي هالة : يتلألاً<sup>(١)</sup> وجهه تلاً لآ القمر ليلة البدر .  
وقال علي رضي الله عنه في آخر وصفه له<sup>(٢)</sup> : من رآه بديهة هابة<sup>(٣)</sup> ، ومن  
خالطه معرفة<sup>(٤)</sup> أحبه ، يقول ناعته<sup>(٥)</sup> : لم أرَ قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم .  
والأحاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة ، فلا نطوّل بسرّها .  
وقد اختصرنا في وصفه نكت<sup>(٦)</sup> ما جاء فيها ، وجملة مما فيه الكفاية  
في القصد إلى المطلوب ، وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تكفّ عليه هناك إن  
شاء الله .

### فصل ٣

وأما نظافة جسمه ، وطيب ريحه وعرقه ، ونزاهته<sup>(٧)</sup> عن الأقدار وعورات<sup>(٨)</sup>  
الجسد - فكان قد خصّه الله في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ، ثم تمّمها بنظافة الشرع<sup>(٩)</sup>

(١) يتلألاً : يضيء ويشرق .

(٢) في نسيم الرياض : رواه الترمذي والبيهقي عن محمد بن الحنفية في حديث مرسل ضعيف .  
(الترمذي : ٥ - ٥٩٩) ، وبعده قال : قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ، ليس  
إسناده بمتصل .

(٣) بديهة : جفاة . هابه : خافه ، وعظمه ، ووقره .

(٤) خالطه : صاحبه وعرفه .

(٥) ناعته : واصفه .

(٦) النكت : اللطائف والدقائق الخفية .

(٧) نزاهته : بعده ، وخلوه منها ، وتنزهه عنها .

(٨) عورات : جمع عورة ؛ وهي كل ما يوجب خلافاً فيه ، أو يُستر ويستحي منه ، كما

يشين وينقص .

(٩) أي تمّم ما فطر عليه من ذلك ، وما خصه به - مباشرة له من النظافة الدينية كالوضوء ؛

فانصف بالنظافة الكاملة .

وخصّال الفِطْرَةِ العَشْرِ<sup>(١)</sup> ، وقال<sup>(٢)</sup> : بُنِيَ الدِّينُ عَلَى النِّظَافَةِ .

حدثنا سُفْيَانُ بْنُ العَاصِي وَغَيْرُهُ وَاحِدٌ ، قَالُوا : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ . حَدَّثَنَا أَبُو العَبَّاسِ الرَّازِيّ ، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الجُلُودِيّ<sup>(٣)</sup> ، حَدَّثَنَا ابْنُ سَفْيَانَ ، حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ ، [ قَالَ ]<sup>(٤)</sup> : حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سَلِيمَانَ ، عَنْ ثَابِتٍ ، عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ<sup>(٥)</sup> : مَا شِمِمْتُ عَنَّبَرًا قَطُّ ، وَلَا مَسِكَ ، وَلَا شَيْئًا أَطْيِبَ مِنْ رِيحِ<sup>(٦)</sup> رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وعن جابر بن سُمْرَةَ أَنَّهُ<sup>(٧)</sup> صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسَحَ خَدَّهُ ؛ قَالَ : فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا وَرِيحًا ، كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُودَةٍ<sup>(٨)</sup> عَطَّارٍ .

(١) الفِطْرَةُ : الطَّبِيعَةُ وَالجِبِلَّةُ الَّتِي خَلَقَ عَلَيْهَا ، وَكُونَهَا عَشْرًا ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ : عَشْرٌ مِنَ الفِطْرَةِ : قَصُّ الشَّارِبِ ، وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ ، وَالسَّوَاكِ ، وَاسْتِنْشَاقُ المَاءِ ، وَقَصُّ الأَظْفَارِ ، وَغَسْلُ البِرَاجِمِ ، وَتَمْفُ الإِبْطِ ، وَحَلْقُ العَانَةِ ، وَانْتِقَاصُ المَاءِ .  
قَالَ مُصْعَبٌ : نَسِيتُ العَاشِرَةَ ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ المَضْمَنَةُ - قَالَ القَاضِي : المَنْسَى الحِطَّانُ .  
(صحيح مسلم : ٢٢٣ )

والبِراجِمُ : عَقْدُ الأَصَابِعِ مِنْ ظَهْرِ الكَفِّ . وَغَسْلُ البِرَاجِمِ : إِزَالَةُ وَسْخِهَا . وَانْتِقَاصُ المَاءِ : هُوَ الاسْتِنْجَاءُ .

(٢) وَقَالَ : أَيُّ النَّبِيِّ .

(٣) فِي هَامِشِ أ ، ب : الجُلُودِيّ - بَضْمُ الجِيمِ هُوَ الصَّحِيحُ .

(٤) مِنْ ب . (٥) صَحِيحُ مُسْلِمٍ : ١٨١٤ (٦) رِيحٌ : رَائِحَةٌ .

(٧) قَالَ الحُفَّاجِيُّ : هَذَا الحَدِيثُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ . وَأَوَّلُ الحَدِيثِ : صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ خَرَجَ وَأَنَا مَعَهُ ، فَامْتَقَبَلَهُ وَوَلَدَانِ ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدِّي أَحَدَهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا ، وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي ، فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا .  
وَاقْتَصَرَ المَوْلا عَلَى بَعْضِ هَذَا الحَدِيثِ لِمُنَاسَبَتِهِ لِلْفَصْلِ .

وَالحَدِيثُ فِي مُسْلِمٍ : ١٨١٤ ، قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : وَكَانَ مِنْ عَادَةِ النَّبِيِّ مَسْحَ وَجْهِهِ الأَطْفَالِ تَأْنِيسًا لَهُمْ ، وَتَطْيِيبًا لِقُلُوبِ وَالدِّيهِمْ ، وَشَفَقَةً عَلَيْهِمْ .

(٨) الجُودَةُ : شَبَّهَ صَنْدُوقَ صَفِيرٍ مَغْشَى بِأَدَمٍ يَضَعُ فِيهِ العَطَارَ عَطْرَهُ .



قال غيره (١) : مسّها بطيب أو لم يمسّها (٢) ، يُصافِحُ المُصافِحَ فيظلُّ يومه يحدُّ ريحها ؛ ويضعُ يده على رأس الصبي فيُعرِّف من بين الصبيان بريحتها (٣) .  
ونام (٤) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في دار أنس فعرِّق ، فجاءت أمه بتارورة (٥) تجمعُ فيها عرقه ، فسألها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقالت : نجعاه في طيبنا ، وهو من أطيب الطيب .

وذكر البخاري في تاريخه الكبير ، عن جابر : لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمرُّ في طريقٍ فيتبعه أحدٌ إلا عرف أنه سلكه من طيبه (٦) .  
وذكر إسحاق بن راهويه أن تلك (٧) كانت رائحته بلا طيب ، صلى الله عليه وسلم .

[ وروى المزني (٨) ، عن جابر : أردفني (٩) النبي صلى الله عليه وسلم خلفه ، فالتقمت (١٠) خاتم النبوة بعمي ، فكان يسمُّ (١١) هلى مسكاً ] (١٢) .

- (١) قال الحفاجي : هذا الحديث رواه البيهقي ، وأبو نعيم ، بسند فيه ضعف .
- (٢) في هذا إشارة إلى أن طيبه صلى الله عليه وسلم ذاتي .
- (٣) أي برائحته الطيبة طيباً خافياً خصه الله به تكريماً له .
- (٤) هذا بعض من حديث رواه مسلم ، واقتصر المؤلف منه على ما يناسب المقام اختصاراً ، والحديث في صحيح مسلم : ١٨١٥ .
- (٥) القارورة : إناء من زجاج يوضع فيه الطيب ونحوه .
- (٦) أي من أجل طيب الطريق برائحته الطيبة المخصوصة به ، الباقية فيه .
- (٧) أي تلك الرائحة التي كانت تشم منه وتبقى في الطريق .
- (٨) في ب : المري . وفي هامشه : هكذا وقع المري . وانثبت في ا .
- (٩) أردفني : أركبني خلفه .
- (١٠) الالتقام : أخذ الشيء وجعله في فيه ، سواء ابتلعه أم لا .
- (١١) نم المسك : سطم .
- (١٢) في هامش ب : ما بين القوسين كتب أمامه : هذا المعلم من الأم ، وليس من الرواية .

وقد حكى بعضُ الْمُعْتَنِينَ<sup>(١)</sup> بأخباره وشماله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أراد أن يتغوّطَ<sup>(٢)</sup> انشقت الأرضُ فابتلعت غائطه وبوّأه ، وفاحت لذلك رائحة طيبة . صلى الله عليه وسلم .

[ وأسند محمد بن سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : إنك تأتي الخلاء<sup>(٣)</sup> فلا ترى منك شيئا من الأذى ! فقال : يا عائشة ، أو ما علمت أن الأرضَ تبتلع ما يخرج من الأنبياء ، فلا يرى منه شيء ]<sup>(٤)</sup> .

وهذا الخبر وإن لم يكن مشهورا<sup>(٥)</sup> فقد قال قومٌ من أهل العلم بطهارة الحدّين منه صلى الله عليه وسلم . وهو قولٌ بعض أصحاب الشافعية ، [ حكاه الإمام أبو نصر ابن الصبّاغ في شامله ]<sup>(٦)</sup> .

وقد حكى القولين عن العلماء في ذلك أبو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية ، وتخرج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية . وشاهدُ هذا<sup>(٧)</sup> أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يُكره ، ولا يُرُطِب .

(١) هو البيهقي - عن عائشة ، كما في نسيم الرياض الذي قال : إنه موضوع .

(٢) يتغوط : يأتي الغائط ، وهو المكان المنخفض ، على عاداتهم في البراز ؛ لأنه أستر .

(٣) الخلاء : المكان الخالي البعيد عن البيوت ، لأنهم كانوا قبل وضع المراحيض يأتونه

لقضاء الحاجة ، ثم عبر به بعد ذلك عن محل التغوط مطلقا ، ثم صار عرفا اسماللبناء المعد لذلك .

(٤) في هامش ١ ، ب : ليس من الأصل .

(٥) قال ابن دحية : سنده ثابت ، وهو أقوى ما في الباب ، فلهذا نفي المصنف عنه

الشهرة دون الصحة .

(٦) في هامش ١ ، ب : ليس من الرواية . والشامل : اسم كتاب له .

(٧) وشاهد هذا : أي دليل القول بالطهارة .

ومنه حديث<sup>(۱)</sup> على رضى الله عنه<sup>(۲)</sup>: غسلتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فذهبتُ أنظرُ ما يكونُ من الميت فلم أجد شيئاً؛ فقلت : طِبَّتَ حياً وميتاً، [قال : وسطعت<sup>(۳)</sup> منه ريحٌ طيبةٌ لم تجِدْ مثلاً قطَّ] <sup>(۴)</sup> .

ومثله<sup>(۵)</sup> قال أبو بكر رضى الله عنه حين قَبَلَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بعد موته .  
ومنه شُرْبُ مالك<sup>(۶)</sup> بن سنان دمه يوم أُحُد ، ومَصَّهُ إياه [۲۳] ، وتسويغهُ<sup>(۷)</sup> صلى الله عليه وسلم ذلك له ، وقوله : ان تُصِيبِهِ النار .

ومثله شُرْبُ عَبْدِ اللَّهِ بن الزبير دمَ حِجَامَتِهِ ؛ فقال له عليه السلام : وَيْلٌ لَكَ<sup>(۸)</sup> من الناس ، وَيْلٌ لَهُمْ مِنْكَ . ولم ينكره عليه<sup>(۹)</sup> .

(۱) ومنه: أى من الشاهد على أنه لم يكن منه - صلى الله عليه وسلم - شيء يكره ولا غير طيب .  
(۲) قال الشهاب : رواه ابن ماجه ، وأبو داود ، فى مراسيله : ( ابن ماجه : ۴۷۱ ) .  
(۳) سطعت : ظهرت وارتفعت . ( ۴ ) فى هامش ا ، ب : من الأم ، وليست من الرواية .  
(۵) ومثله : أى قول على : طبت حيا وميتا . ( ۶ ) فى ب : ملك .  
(۷) وتسويغه : أى تجويزه له من غير إنكار . ( ۸ ) ويلى : للتحسر والتألم .  
(۹) هذا محط الدليل ؛ فإن عدم إنكاره صلى الله عليه وسلم دليل على جوازه وطهارته .  
وفى نسيم الرياض : ( ۱ - ۴۴۸ ) قال السخاوى : سئل شيخنا العلامة ابن حجر عن حديث ابن الزبير ، ومالك بن سنان ، وقوله للأول : ويلى لك ، وقوله لمالك : لا تمسك النار - ما الحكمة فى تنوع القول مع اتحاد السبب ؟

فأجاب بأن ابن الزبير شرب دم الحجامة وهو قدر كثير ، فعلم صلى الله عليه وسلم أنه يسرى فى جميع جسده فتكتسب جميع أعضائه منه قوى من قوى النبي ، فتورد به غاية قوة البدن والقلب ، وتكسبه نهاية الشهامة والشجاعة ، فلا ينقاد لمن هو دونه بعد ضعف المدل وقلة ناصره ، وتمكن الظلمة وكثرة أعوانهم ؛ فيحصل له ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم من تلك الحروب الهائلة التى تنتهك بها حرمة ؛ أى الناشئة من حرمة صلى الله عليه وسلم وحرمة البيت العتيق ، فويل له لقتله وانتهاك حرمة ، وويل لهم لظلمهم وتعمد بهم عليه وتسفيهم .  
وأما مالك فازدرد ما مصه من الجرح الذى فى وجه النبي ، وهو أقل من دم الحجامة ، وكأنه صلى الله عليه وسلم علم أنه يستشهد فى ذلك اليوم ، فلم يبق له من أحوال الدنيا ما يخبر به ، فأعلمه بالأهم بما يتلقاه من أنواع مسرات الجنان .

وقد رُوي نحو من هذا عنه في امرأة شربت بَوْلَهُ ؛ فقال لها : لن تشككي وجع بطنك أبدا . ولم يأمر واحدا منهم <sup>(١)</sup> بفَسَلِ فَمٍ ، ولأنها عن عَوْدَةٍ <sup>(٢)</sup> .  
وحديث هذه المرأة التي شربت بَوْلَهُ <sup>(٣)</sup> صحيح أوزم الدار قطنى مسلما والبخارى إخراجَه فى الصحيح ، واسم هذى المرأة بَرَكَة . واختلفت فى نسبها .  
وقيل : هى أم أيمن <sup>(٤)</sup> : وكانت نَحْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ قالت : وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قَدَحٌ من عِيدَانٍ <sup>(٥)</sup> بوضع تحت سريره يبُولُ فيه من الليل ، فبال فيه ليلة ، ثم افتقده <sup>(٦)</sup> ، فلم يجد فيه شيئا . فسأل بَرَكَة عنه ؛ فقالت : قمتُ وأنا عطشانة فشربته وأنا لا أعلم .  
روى حديثها ابن جريج وغيره :

وكان صلى الله عليه وسلم قد وادَّ نَحْتُونَا مَقْطُوعِ <sup>(٧)</sup> السُّرَّةِ .  
[ ورُوى عن أمِّه آمنة أنها قالت : قد ولدته نظيفا ما به <sup>(٨)</sup> قَدَرٌ ] <sup>(٩)</sup> .

- (١) واحدا منهم : أى ممن شرب دمه ، ومن مصه ، ومن شرب بوله .  
(٢) ولو كان نجسا لأمر به ، ونهاه أن يعود لمثله .  
(٣) فى نسيم الرياض : هو فى أعلى درجات الصحة . والحديث فى سنن النسائى : ١ - ٣١  
(٤) مولاته وحاضنته ومرضعته .  
(٥) القدح : هو الإيه الذى يشرب منه . عيدان : نخلة طويلة .  
وفى هامش ب : العبدان : شجر كبار ، تكون باليمن ، صغارها تسمى الرتم ، ومنه قول الشاعر :

إن الرياح إذا ما أعصفت قصفت عيدان نجد ولم يعبان بالرتم  
(٦) افتقده : طلبه وبجث عنه .

- (٧) فى نسيم الرياض ( ١ - ٤٥٢ ) : سند هذا الحديث ضعيف جدا ، والذى صححه المحدثون - كما فى التمهيد لابن عبد البر - أن جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه ، وجعل له مأدبة وسماء مجدا .  
(٨) ما به قدر ؛ أى ولدته نقييا من الوسخ .  
(٩) فى هامش ١ ، ب : من الأم ، من غير الرواية .

وعن عائشة رضي الله عنها : ما رأيتُ فرَجَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قط .  
وعن علي رضي الله عنه <sup>(١)</sup> : أوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يفسله <sup>(٢)</sup> غيري ؛  
فإنه لا يرى أحدٌ عورتِي إلا طمست عيناه <sup>(٣)</sup> .

وفي حديث عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما - أنه صلى الله عليه وسلم  
نامَ حتى سُمِعَ له غَطِيطٌ <sup>(٤)</sup> ، فقام فصلى ولم يتوضأ <sup>(٥)</sup> - قال عكرمة : لأنه صلى الله  
عليه وسلم كان محفوظاً <sup>(٦)</sup> .

### فصل

وأما وفورُ عقله <sup>(٧)</sup> ، وذكاءُ لُبِّه <sup>(٨)</sup> ، وقوةُ حواسه ، وفصاحةُ لسانه ، واعتدالُ  
حركاته ، وحسنُ شمائله - فلا مَرِيَّةَ <sup>(٩)</sup> أنه كان أعقلَ الناسِ وأذكاهم .  
ومن تأملَ تديره أمرَ بواطنِ الخلقِ وظواهرهم ، وسياسةَ العامةِ والخاصةِ <sup>(١٠)</sup> ،  
مع عَجيبِ شمائله ، وبديعِ سيره ، فضلاً عما أفاضه <sup>(١١)</sup> من العلم ، وقرّره من الشرعِ دونَ

- (١) قال الشهاب : هذا الحديث رواه البزار والبيهقي .
- (٢) في ١ : ضبطت السنين مشددة وغير مشددة . وفوقها « معا » .
- (٣) طمس العين : إزالة ضوءها .
- (٤) الغطيط : صوت النَّامِ إذا ارتفع نفسه .
- (٥) في نسيم الرياض : والأحاديث الدالة على أن نومه - صلى الله عليه وسلم - لا ينقض ،  
وأنه تنام عينه ، ولا ينام قلبه - كثيرةٌ صحيحة .
- (٦) حاصله أن النوم ليس ناقضاً بنفسه ؛ وإنما نقض ، لأنه مظنة الحدث ، والله تعالى  
حفظه عن أن ينام قلبه .
- (٧) وفور عقله : تمامه ، وزيادته على عقل غيره .
- (٨) لبه : عقله .
- (٩) لا مَرِيَّةَ : لاشك ، ولا شبهة ، ولا جدال .
- (١٠) سياسة العامة والخاصة : تدبير أمورهم والتصرف فيها .
- (١١) أفاضه : أذاعه .

تعلّم سبق ، ولأُمّارسة<sup>(١)</sup> تقدمت ، ولأُمّاطالعة<sup>(٢)</sup> للكتب منه ، لم يمتَر<sup>(٣)</sup> في رُججان عقله ، وثقوب<sup>(٤)</sup> فهمه لأول بدية<sup>(٥)</sup> ؛ وهذا ما لا يحتاج إلى تقريره لتحقيقه<sup>(٥)</sup> .

وقد قال وهب بن منبّه : قرأتُ في أحد وسبعين كتابا ، فوجدتُ في جميعها أن النبي صلى الله عليه وسلم أرجحُ الناسِ عقلا ، وأفضلهم رأيا .

وفي رواية أخرى<sup>(٦)</sup> : فوجدتُ في جميعها أن الله تعالى لم يُعْطِ جميعَ الناس من بدء الدنيا إلى انتضاها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم إلا كحبة رمل من [ بين ]<sup>(٧)</sup> رمال الدنيا .

وقال مجاهد<sup>(٨)</sup> : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه ، وبه فسّر قوله تعالى<sup>(٩)</sup> : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ .

وفي الموطأ عنه عليه السلام<sup>(١١)</sup> : إني لأراكم من وراء ظهري .

(١) الممارسة : معالجة الأمر ومزاولته ؛ أي لم يتعلم من غيره ، ولم يحاوله حتى يعلمه من نفسه باجتهاد في استخراجِه بعقله .

(٢) لم يمتَر : لم يشك .

(٣) ثقوب فهمه : نفوذه وظهوره .

(٤) لأول بدية : لأول نظرة نظرها .

(٥) لتحقيقه : بالشاهدة في عصره ، والتواتر بعد ذلك ، بحيث لا يشك فيه مسلم وعاقل .

وفي ب : لتحقيقه ، وعليها علامة الصحة .

(٦) عن وهب أيضا .

(٧) من ب .

(٨) هذا الحديث رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة . ورواه مالك ، وأحمد ، وغيرهما .

وفي لفظه اختلاف . والمعنى متفق . والحديث في مسلم : ٣١٩ .

(٩) في ب ضبطت الميم بالفتحة والكسرة ، وعليها « معا » .

(١٠) سورة الشعراء ، آية ٢١٩ .

والمعنى : ترى قلب بصرك في المصلين خلفك لتراهم وتعلم ما يفعلون . وسياق الحديث

للاستدلال به على قوة حواسه - صلى الله عليه وسلم ؛ فيناسب التفسير بأنه يراهم بعينه حقيقة .

(١١) في الموطأ : ١ - ١٦٦ ، وصحيح مسلم : ٣١٩ .

ونحوه - عن أنس في الصحيحين<sup>(۱)</sup>، وعن عائشة مثله؛ قالت: زيادةٌ زاده اللهُ إياها في حجته<sup>(۲)</sup>.

وفي بعض الروايات<sup>(۳)</sup>: إني لأنظرُ من<sup>(۴)</sup> ورأى كما أنظرُ إلى من بين يدي.

وفي أخرى<sup>(۵)</sup>: إني لأبصرُ من قفأى كما أبصر من بين يدي.

وحكى بَقِيَّ بن مَخْلَدٍ، عن عائشة؛ [قالت] <sup>(۶)</sup>: كان النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء<sup>(۷)</sup>.

والأخبارُ كثيرةٌ صحيحةٌ في رؤيته صلى اللهُ عليه وسلم للملائكة والشياطين<sup>(۸)</sup>.

ورُفِعَ<sup>(۹)</sup> النجاشيُّ له حتى صلى عليه<sup>(۱۰)</sup>، وبيتُ [۲۴] المقدسِ حين وصَّفه لتُرَيْش، والكعبةُ حين بنى مسجده<sup>(۱۱)</sup>.

(۱) صحيح مسلم: ۳۲۰، وفيه: من بعد ظهري.

(۲) في حجته: المراد بحجته الدلائل الدالة على نبوته وصدقه. وقيل: في حجته على الكفار؛ لأن هذه معجزة من معجزاته خارقة للعادة.

(۳) في ب: ضبطت الميم بالفتحة والكسرة وكتب فوقها « معا ».

(۴) لمسلم، فيه - صفحة ۳۱۹: من ورأى ومن بعدى، و « من بعد ظهري » بدل « من قفأى » صفحة ۳۲۰ (۶) ليس في ب.

(۷) في نسيم الرياض: رواه الثقات كابن مخلد؛ فلا وجه لإنكاره. وقد أخرجه البيهقي عن عائشة أيضا. ونقل ابن دحية في كتابه الآيات البينات - عن ابن بشكوال - أنه ضعفه لأن في سنده ضعيفا.

(۸) في نسيم الرياض: وهذا مالا شبهة فيه.

(۹) يعني أن الله تعالى رفع بيت النجاشي وجنازته - وهو ببلاد الحبشة - فرآه النبي من المدينة وصلى على جنازته.

(۱۰) قال السيوطي: إنه لم يجده في كتب الحديث.

(۱۱) أي رفعت له الكعبة وهو بالمدينة حين بنى مسجده بها. قال السيوطي: رفع الكعبة له حين بنى مسجده رواه الزبير بن بكار في أخبار المدينة، عن ابن شهاب ونافع بن جبير بن مطعم، مرسلا. وقال في نسيم الرياض: والمعروف أن جبريل عليه السلام أعلمه بحقيقة القبلة، وأراه سمتها؛ لا أنه رفع له الكعبة حتى رآها. وبهذا جاءت الآثار.

وقد حُكي عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يرى في الثريا أحدَ عشر نَجْمًا (١) .  
 وهذه كلها محمولةٌ على رؤية العين ، وهو قولُ أحمد بن حنبل وغيره .  
 وذهب بعضهم إلى ردها (٢) إلى العلم ، والظواهرُ تُخالفه (٣) ، ولا إحالة (٤)  
 في ذلك ، وهي (٥) من خواصِّ الأنبياء وخصائصهم ، كما أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد  
 العدل من كتابه ؛ حدثنا أبو الحسن المقرئ الفرغاني ، حدثنا أمُّ القاسم بنت أبي بكر (٦)  
 عن أبيها ، حدثنا الشريف أبو الحسن علي بن محمد الحسيني ، حدثنا محمد بن محمد بن سعيد ،  
 حدثنا محمد بن أحمد بن سليمان ، حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق ، حدثنا همام (٧) ، قال :  
 حدثنا الحسن ، عن قتادة ، عن يحيى بن وثاب ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله  
 عليه وسلم ؛ قال : لما تجلَّى (٨) الله لموسى عليه السلام كان يبصرُ النملة على الصفا (٩)  
 في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ (١٠) : ولا يبعدُ على هذا أن يختصَّ نبينا بما ذكرناه  
 من هذا الباب بعد الإسراء والحظوة (١١) بما رأى من آيات ربِّه الكبرى .

- (١) قال السيوطي : هذا لم يوجد في شيء من كتب الحديث .  
 (٢) إلى ردها : أي إلى تأويل الرؤية بالعلم وصرافها عن ظاهرها .  
 (٣) والظواهر تخالفه : أي ظاهر العبارة يخالفه ، ولا مقتضى لصرافها عن الظاهر .  
 (٤) ولا إحالة في ذلك : أي ليس في حملها على الرؤية البصرية أمر محال يقتضى العدول لأجله .  
 (٥) وهي : أي قوة البصر والحواس . (٦) هو أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي .  
 (٧) في ب : هاني ، وعليها علامة الصحة . وفي هامشه : كانت في الأصل همام كما كتبت .  
 وهو هاني بن يحيى . وقال الشهاب ( ١ - ٤٧٢ ) : ولفظ همام وقع في كثير من النسخ .  
 والصواب هاني كما أصلح .  
 (٨) التجلَّى هنا : الظهور بلا كيف . (٩) الصفا : الحجر الصلد الأملس .  
 (١٠) في نسيم الرياض ( ١ - ٤٧٣ ) : تحقيقه أن الله تعالى لما قرب به حتى سمع كلامه حصل  
 له قوة روحانية ، واتصل به نور إلهي أثر في روحه الحيوانية ، وزاد في نورها الذي بانتشاره  
 في البدن يحصل الإدراك ؛ فأدرك بذلك إدراكا خارقا للعادة .  
 (١١) الحظوة : زيادة القرب مع المحبة .



وقد جاءت الأخبار<sup>(١)</sup> بأنه صرَّع رُكَّانَةً أَشَدَّ أَهْلِ وَقْتِهِ، وَكَانَ دَعَاةً إِلَى الْإِسْلَامِ،  
وَصَارَعَ أَبَا رُكَّانَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ شَدِيدًا، وَعَاوَدَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، كُلَّ ذَلِكَ يَصْرَعُهُ  
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال أبو هريرة: ما رأيتُ أحداً أسرعَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم  
في مشيه، كأنما الأرضُ تُطوى له، إنا لنَجهدُ أنفسنا وهو غيرُ مُكثَرٍ<sup>(٢)</sup>.  
وفي صفته أن ضحكك كان تبسُّماً، إذا التفتَ التَّفتَ معاً<sup>(٣)</sup>، وإذا مشى مشى تَقَلُّماً<sup>(٤)</sup>  
كأنما ينحطُّ من صَبَبٍ<sup>(٥)</sup>.

## فصل

وأما فصاحةُ اللسانِ، وبلاغةُ القولِ، فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك  
بالمحلِّ الأفضَلِ والموضع الذي لا يُجْهَلُ، سلاسةَ طَبْعِ، وبراعةَ مَنْزَعِ<sup>(٦)</sup>،

(١) هذا إثبات لتفوقه على غيره في قوته البدنية بعدما أثبت قوة إدراكه صلى الله عليه وسلم.  
والخبر في سنن الترمذى: ٤ - ٢٧٤  
(٢) مكثرت: الاكترت: المبالاة والاعتناء بالأمر؛ أي إنا نتعب أنفسنا في مساواة مشيه،  
وهو - صلى الله عليه وسلم - مستريح لا يرى به مشقة. أو إنا نبذل وسعنا وطاقتنا، وهو غير  
مبال بمشيه.

(٣) التفت معاً: أي يقبل جميعاً ويدبر جميعاً. ومعنى «معاً» بجميعة.

(٤) تقالماً: المراد أنه - صلى الله عليه وسلم - يرفع رجليه من الأرض رفعا قويا من غير  
مقاربة للخطى؛ فإنه مشى النساء والمختالين.

(٥) ينحط من صبيب: ينحدر من موضع مرتفع. والحديث في سنن الترمذى: ٥ - ٥٩٨

(٦) السلاسة: السهولة؛ أي كانت سليقته صلى الله عليه وسلم في البلاغة تنقاد له بسهولة  
من غير تكاف.

والبراعة: من برع الرجل؛ إذا فاق غيره، وكثيرا ما تستعمل بمعنى الفصاحة. والمنزع - بفتح  
الميم والزاي: المأخذ، وما يرجع إليه الرجل من رأيه وأمره. والمراد أصله ومقره، يعني إنه صلى  
الله عليه وسلم مع بلاغته الجبلية من قوم هم أفصح الناس.

وإيجاز مَقَطَع<sup>(١)</sup> ، ونَصَاعَة أَفْظ ، وجزالة قول<sup>(٢)</sup> ، وصحَّة معانٍ ، وقلة تكلف ،  
أوتى جوامع الكلم ، وخصَّ بیدائع الحکم<sup>(٣)</sup> ، وعلم السنة العرب<sup>(٤)</sup> ، يخاطبُ  
كلَّ أمة منها بلسانها ، ويُخاورُها بأفتها ، ويباريها في منزع بلاغتها<sup>(٥)</sup> ، حتى كان كثير  
من أصحابه يسألونه في غير موطن<sup>(٦)</sup> عن شرح كلامه وتفسير قوله .

ومن تأمل حديثه وصيره علم ذلك وتحمته ؛ وليس كلامه مع قريش والأنصار ،  
وأهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذى المشعار الهمداني<sup>(٧)</sup> ، وطهفة النهدي<sup>(٨)</sup> ،  
وقطن بن حارثة العلیمی<sup>(٩)</sup> ، والأشعث بن قيس<sup>(١٠)</sup> ، ووائل بن حجر

(١) الإيجاز : التعبير عن معان كثيرة بلفظ قليل . مقطع : أى موجز في محل القطع والفصل  
للأمور . أى ومقطعا موجزا ، من أوجز : أتى بكلام قلت مبانيه وكثرت معانيه .  
(٢) النصاعة : الخلوص والوضوح ؛ أى إن لفظه خالص من كل بشاعة ، وواضح لكل أحد  
لخاطبته كل واحد على قدر عقله وبلغته . والجزالة : القوة والإتقان .  
(٣) أوتى جوامع الكلم : آناه الله قوة ناطقة بحيث ينطق بالكلمات الجامعة للمعاني . وقيل  
المراد القرآن والحديث .

وخص بیدائع الحکم : أى خص النبي بنطقه بكل حكمة بديعة لم يسبق إليها .  
(٤) السنة العرب : لغاتهم .  
(٥) يباريها : يعارضها ويباريها .  
(٦) في غير موطن : أى في مواطن كثيرة . وفي أعلى كلمة « أصحابه » علامة الصحة ،  
وكتب أمامها في الهامش : الصحابة : وعابها صح .  
(٧) ذو المشعار وفد على النبي مرجعه من تبوك ، وكتب له النبي كتابا سيأتي بعد قليل .  
وفي ا : المشعار - بالعين المهملة والفتحة المعجمة وكتب فوقها « معا » .  
(٨) طهفة النهدي : هو خطيب نهد ووافدها إلى النبي صلى الله عليه وسلم في سنة تسع لما  
قدمت عليه وفود العرب .

(٩) هو صحابي قدم على النبي وافدا لقومه ، فكتب له كتابا . والكتاب في نسيم  
الرياض : ١ - ٤٨٢

(١٠) الأشعث بن قيس وفد على رسول الله سنة عشر في ستين راكبا ، فأسلموا ورجعوا  
إلى اليمن وله قصة مع أبي بكر في نسيم الرياض : ١ - ٤٨٣

الكِنْدِيُّ<sup>(١)</sup> ، وغيرهم من أقبال<sup>(٢)</sup> حَضْرَمَوْتِ وملوكِ اليمن .  
وانظر كتابه إلى همدان<sup>(٣)</sup> : إن لكم فِرَاعِيًا ووهاطيًا وعزازها<sup>(٤)</sup> ، تأكلون  
عِلافها<sup>(٥)</sup> وترعون عَفَاءَها<sup>(٦)</sup> ، لنا مِنْ دِفْنِهِمْ وِصْرَامِهِمْ ماسلَمُوا بالميثاق والأمانة<sup>(٧)</sup> ،  
ولهم من الصَّدَقَةِ الثُّلُبُ والثَّنَابُ والفَصِيلُ<sup>(٨)</sup> ، والفارِضُ والدَّاجِنُ<sup>(٩)</sup> ،

(١) وائل بن حجر : من أقبال حضرموت ، وأبوه ملك من ملوكهم . وقد طى رسول  
الله مسلما . وقد بشر الرسول أصحابه قبل قدومه بثلاثة أيام . وقد كتب له رسول الله كتابا -  
وهو في ١ - ٤٨٤ من نسيم الرياض -

(٢) الأقبال : جمع قبيل ؛ وهو الملك من ملوك حمير واليمن .

(٣) كتبه النبي لما وفد عليه ذو الشمار الهمداني ، وارجع إليه في الفائق : ٣ - ٩٤ ،  
إن شئت .

(٤) فراعها : ما ارتفع من الأرض من مرتفعات البقاع أو أعالي الجبال - يعني أن النبي  
أقطعهم ذلك . ووهاطها : ما سفل وانخفض من الأرض . وعزازها : ما اشتد وصلب من الأرض  
مما لا ملك لأحد عليه .

(٥) علافها : جمع عاف ، وهو ما تأكله الماشية .

(٦) عفاءها : ما ليس لأحد فيه ملك ولا أثر .

(٧) الدفن : المراد الإبل والنم . والصرام : جمع صرمة ؛ وهي القطعة من النخل ، ويجوز  
أن يكون التمر نفسه ، لأنه يصرم من النخل ؛ أي يجذ ويقطع . ماسلما : ما داموا يعطون  
من الزكاة المفروضة .

(٨) المراد بالصدقة : الزكاة . والثاب : الجمل المسن الهرم الذي سقطت أسنانه . والثباب :  
مثل الثاب إلا أنه مخصوص بالنوق الإناث . والفصيل : ولد الناقة الصغير الذي فصل عن  
رضاع أمه .

(٩) الفارض والداجن . الفارض : البقرة المسنة . والداجن : الذي يربض حول المنازل  
من شدة الهرم فلا يسرح للمرعى ولا يصاح للعمل والحمل . والمعنى أن ما ذكر يترك لهم ولا  
يؤخذ منهم .

والكَبَشُ الحَوَارِي (١) وعليهم فيها الصالح والقارح (٢) .  
 وقوله لنهد (٣) : اللهم بارِكْ لهم في مَحْضِهَا وَمَحْضِهَا وَمَذْقِهَا (٤) ، وَاَبَعْتُ رَاعِيَهَا  
 فِي الدَّثْرِ (٥) ، وَاَفْجُرْ لَهُ التَّمَدُّ (٦) ، وبارِكْ له في المال والولد ، مَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ كَانَ  
 مُسْلِمًا ، وَمَنْ آتَى الزَّكَاةَ كَانَ مُحْسِنًا ، وَمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَانَ مُخْلِصًا (٧) ،  
 لَكُمْ يَا بَنِي نَهْدٍ وَدَائِعُ الشُّرْكِ ، وَوَضَائِعُ الْمَلِكِ (٨) ، لَا تُلَطِّطُ فِي الزَّكَاةِ (٩) ،

(١) الكَبَشُ : الذِّكْرُ الْكَبِيرُ مِنَ الْغَنَمِ الَّذِي يَقُودُهَا غَالِبًا . وَالْحَوَارِي : الْمُرَادُ الْكَبِيرُ مِنَ  
 الْغَنَمِ ؛ وَهُوَ لَا يُؤْخَذُ فِي الصَّدَقَةِ لِكَوْنِهِ أَنْفَسَهَا ، وَلِأَنَّهُ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِلضَّرَابِ ، وَفِي : الْحَوَارِي -  
 بِضَمِّ الْحَاءِ وَتَشْدِيدِ الْوَاوِ . وَالْحَوَارِي : الْأَبْيَضُ .

(٢) الصَّالِحُ : هُوَ مِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ ؛ مَا كَمَلَ وَانْتَهَى سَنُهُ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ . وَالْقَارِحُ : الْفَرَسُ  
 الَّذِي دَخَلَ فِي الْخَامِسَةِ .

(٣) هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى مَا قَالَهُ النَّبِيُّ لَطِيفَةُ النَّهْدِيِّ السَّابِقِ ذَكَرَهُ حِينَ وَفَدَّ عَلَى النَّبِيِّ وَشَكَاهُ  
 مَا أَصَابَ قَوْمَهُ مِنَ الْقَحْطِ .

(٤) الْمَحْضُ : الْحَالِصُ . وَالْمَحْضُ : أَصْلُهُ تَحْرِيكُ السَّقَاءِ الَّذِي فِيهِ اللَّبَنُ حَتَّى يَتَمَيَّزَ زَبْدُهُ  
 فَيُؤْخَذُ مِنْهُ . وَالْمَذْقُ : أَصْلُ مَعْنَاهُ الْخَلْطُ وَالزَّرْجُ ، ثُمَّ اسْتَعْمِلَ فِي اللَّبَنِ الْخَلُوطُ بِالْمَاءِ . يَدْعُو  
 لَهُمُ الرَّسُولُ بِأَنْ يَبَارِكَ اللَّهُ لَهُمْ فِي أَلْبَانِهِمْ بِأَقْسَامِهَا ؛ بِمَا كَانَ خَالِصًا لَمْ يَتَمَيَّزْ زَبْدُهُ ، وَمَا يَمِيزُ مِنْهُ  
 زَبْدُهُ ، وَمَا مَزَجَ بِالْمَاءِ . وَذَلِكَ كَلِمَةٌ كُنْيَاةٌ عَنْ خَصْبِ أَرْضِهِمْ وَسَعْتِهَا ؛ فَإِنَّ الْأَلْبَانَ إِنَّمَا تَكْثُرُ  
 بِنَبَاتِ الْمَرْعَى ، وَهُوَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْمَطَرِ ؛ فَكَأَنَّهُ قَالَ : اللَّهُمَّ اسْقِ بِلَادَهُمْ ، وَاجْعَلْهَا مَخْصَبَةً مَلْبَنَةً .  
 (٥) أَبَعْتُ رَاعِيَهَا فِي الدَّثْرِ : أَبَعْتُ : أَرْسَلْتُ . وَالذَّثْرُ : الْإِبِلُ الْكَثِيرَةُ . وَقِيلَ : الدَّثْرُ :  
 الْخَصْبُ وَكَثْرَةُ النَّبَاتِ .

(٦) وَاَفْجُرْ لَهُ التَّمَدُّ : الْفَجْرُ : مِنَ تَفْجِيرِ الْمَاءِ ، وَهُوَ جَعْلُهُ جَارِيًا . وَالتَّمَدُّ : الْمَاءُ الْقَلِيلُ .  
 فَالمراد أكثر ما قل من مائه . (٧) كان مخلصا : أى كان مخلصا في إيمانه .

(٨) ودائع الشرك : المراد بها اليهود والمواثيق التي كانت بينهم وبين من جاورهم من  
 الكفار في المهادنة . وقيل : يجوز أن يكون المراد أن ما استودعوه من أموال الكفار حلال لهم .  
 ووضائع الملك : الوضائع : جمع وضيمة - بمعنى موضوعة . والملك - بكسر الميم ؛ أى ما كان  
 يوضع على الأملاك من الزكاة والصدقة ثابت لكم كسائر المسلمين ؛ يلزمكم ما يلزمهم من الوظائف  
 من غير زيادة ولا نقص . (٩) لا تلطط في الزكاة : لا تمنعها .

ولا تُلجِد<sup>(١)</sup> في الحياة ، ولا تتناقلُ عن الصلاة .  
 وكتب لهم : في الوظيفَةِ الفريضة<sup>(٢)</sup> : ولكم الفارضُ والفريش<sup>(٣)</sup> ،  
 وذو العنانِ الرَّكوب<sup>(٤)</sup> ، والفَلَوُ<sup>(٥)</sup> الضبيس [٢٥] ، لا يُمنع سرحُكم ، ولا يُعْضدُ  
 طَلْحُكم ، ولا يُحبسُ دَرُّكم<sup>(٦)</sup> ما لم تُضمروا الرماقَ ، وتأكلوا الرِّبَاقَ<sup>(٧)</sup> ،  
 مَنْ أقرَّ فله الوفاء بالعهد والذمَّة ، ومنْ أُنِيَ فعليه الرِّبْوَةُ<sup>(٨)</sup> .  
 ومن كتابه لوائل بن حُجْر<sup>(٩)</sup> :

- (١) ولا تلجد : أُلجِد إلخادا : جار وعدل عن الحق .  
 (٢) لهم : لبنى نهد . والوظيفة : المعين في كل يوم ، أو في زمان معين ، من الطعام وغيره من الرزق . ويطلق على العهد والشرط ، والمراد الأخير ؛ أي كتب لهم في العهد وما شرط عليهم في الزكاة لهم فيما يؤخذ منهم من الوظائف المرتبة عليهم . والفريضة : ما فرض عليهم .  
 (٣) الفريش : الحديث العهد بالتاج . وقيل : ما لا يطبق حمل الأثقال من الإبل لصغره .  
 (٤) الركوب : المركوب الذلول . يعني : لا تؤخذ الزكاة من الفرس المعد لركوب صاحبه ، وكذا الصغير .  
 (٥) الفلو : المهر الصغير من الخيل ، لا يؤخذ في الزكاة . والضبيس : المهر الصر الركوب الصعب ، وكأنه كنى به عن صغره .  
 (٦) سرحكم : السرح : الماشية التي تسرح بالغداة للمرعى . والمراد أن مطلق الماشية لا تمنع عن مرعاها . يعضد : يقطع . والطلح : شجر عظام يقال له المضاه . دركم : الدر : اللبن ، والمراد به هنا الأنعام ذوات الدر لا تحبس عن المرعى في مكان تجتمع فيه لتحشر إلى المصدق . وفي ب : سرحكم - بالجيم .  
 (٧) تضمروا : تخفوا وتكتموا . الرماق : النفاق . والرِّبَاق : المراد المهود . والمعنى : إن هذا أمر مقرر عليكم منا ما لم تنقضوا العهد وترجعوا عن الإسلام ، فإذا كان كذلك فعليكم ما على غيركم من الكفرة ؛ فالمراد ما لم تضمروا النفاق ، ثم تظهروا نقض العهد . وفي ب : الإرماق . وفي الفائق : وروى : الرماق ، والمراد النفاق .  
 (٨) هذا في ا ، ب . أي يؤخذ منه زيادة على فريضة الزكاة عقوبة له .  
 (٩) ارجع إليه - إن شئت - في الفائق : ١ - ٤

إلى الأقبال العباهلة ، والأزواع المشاييب<sup>(١)</sup> .  
 وفيه<sup>(٢)</sup> : في التيبة شاة ، لا مقورة الألياط ، ولا ضناك<sup>(٣)</sup> ، وأنطوا الشبيجة<sup>(٤)</sup> ،  
 وفي السيوب الخمس<sup>(٥)</sup> . ومن زنى ميم<sup>(٦)</sup> بكر فاصعقوه مائة<sup>(٧)</sup> ، واستوفضوه  
 عاما<sup>(٨)</sup> ، ومن زنى ميم<sup>(٦)</sup> نيب فضر جوه بالأضاميم<sup>(٩)</sup> ، ولا توصيم في الدين<sup>(١٠)</sup> ،  
 ولا غمة في فرائض الله<sup>(١١)</sup> ، وكل مسكر حرام . ووائل بن حجر يترفل  
 على الأقبال<sup>(١٢)</sup> .

(١) الأقبال : الملوك . العباهلة : المقرون على ما كهم ، فلم يزالوا عنه . والأزواع : السادة  
 الزهر الألوان الحسان الوجوه . وقيل : هم الذين يروعون الناس ؛ أى يعجبونهم لمنظرهم  
 وجمالهم وهيئاتهم . والمشاييب : جمع مشبوب ، وهو الحسن الأزهر اللون .

(٢) وفيه : في هذا الكتاب .

(٣) التيبة : الأربعون من الغنم ، وقيل : الخمس من الإبل . وقيل : هى أدنى ما تجب فيه الصدقة  
 من الغنم والإبل . مقورة الألياط : مقورة : مسترخية الجلد من الهزال ؛ فلا تؤخذ في الصدقة  
 لردائها . والمقورة : السمينة أيضا ؛ وهذه لا تؤخذ أيضا لأنها أعلى ؛ والمأمور بأخذه الوسط .  
 والألياط : جمع ليط - بكسر اللام ؛ وهو قشر العود ، والمراد الجلد . ولا ضناك : الضناك :  
 الكثرة اللحم السمينة فلا تؤخذ لجودتها .

(٤) أنطوا : أعطوا - لنة لأهل اليمن ، أو لبني سعد . الشبيجة : الوسط .

(٥) السيوب : جمع سيب ؛ وهو الركا ، وهو المال المدفون الجاهلى .

(٦) ميم : من . (٧) فاصعقوه : فاضربوه . (٨) واستوفضوه : انقوه .

(٩) فضر جوه بالأضاميم : أى ارجوه حتى يسيل دمه ويقتل . والأضاميم : الحجارة ،

واحدها إضمامة ، أو أضوم .

(١٠) ولا توصيم : التوصيم : من الوصم ؛ وهو العار والعيب ؛ أى لا كبر ، ولا عيب ،

ولا عار ، ولا كسل في إقامة حدود الله ؛ فلا تحابوا فيها .

(١١) ولا غمة في فرائض الله : أى لا تخفى ولا تستر فرائضه تعالى ؛ بل تظهر ويظهر بها .

(١٢) يترفل على الأقبال : أصل الترفل : تطويل الرداء والثوب ، وهو كناية عن جعله رئيسا

عليهم محكما فيهم وفي أخذ صدقاتهم ؛ أى جعله النبي واليا على أمورهم وقبض صدقاتهم .

أينَ هذا من كتابه لأنس في الصداقة<sup>(١)</sup> المشهور . لَمَّا كان كلامُ هؤلاء على هذا الحدِّ ، وبلاغتهم على هذا النمط<sup>(٢)</sup> ، وأكثرت استعمالهم هذه الألفاظ استعمالها معهم ، ليبيِّن للناس ما نُزِّل إليهم ، وليحدِّث الناس بما يعلمون .  
وكتوله في حديث عطية السَّمْدِي<sup>(٣)</sup> : فإن اليدَ العليا هي المنطِية<sup>(٤)</sup> واليدُ السفلى هي المنطاة .

قال<sup>(٥)</sup> : فكلمنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا .  
وقوله في حديث العامري<sup>(٦)</sup> حين سأله ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : سلْ عنك . أى سلْ عمَّ شئتَ ، وهي لغةُ بني عامر .  
وأما كلامُه المعتاد ، وفصاحته المعلومة ، وجوامعُ كلامه ، وحِكْمُه الماثورة - فقد ألفَ الناسُ فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب ، وفيها ما لا يُوازى<sup>(٧)</sup> فصاحةً ، ولا يُبارى بلاغةً<sup>(٨)</sup> ؛ كقوله : المسامون تتكافأ دِمَاؤهم<sup>(٩)</sup> ، ويسعى بذيَمَتهم أدنانهم<sup>(١٠)</sup> ، وهم يدُّ على من سواهم<sup>(١١)</sup> .

(١) انظر هذا الكتاب في شرح الحفاجي : ١ - ٥٠٢ إن شئت . (٢) النمط : الطريقة .  
(٣) قدم على رسول الله في ناس من بني سعد ، وهو أصغرهم ، خلفوه في رحابهم ، فأمرهم الرسول أن يبعثوا إليه ، فاتاه ، فلما رآه قال : ما أغناك الله فلا تسأل الناس شيئاً ، فإن اليد ... وارجع إلى هذا القول في الفائق : ٣ - ١٠٣ ، وقال : هذه لغة سعد .

(٤) المنطية : العطية . والمنطاة : المعطاة .

(٥) قال : أى عطية السمدى .

(٦) هذا الحديث رواه أبو نعيم في الدلائل .

(٧) يوازى : لا يعارض فيؤتى بمثله .

(٨) لا يبارى : لا يعارض فيؤتى بمثله .

(٩) تتكافأ دِمَاؤهم : التكافؤ : التماثل ؛ أى هم متساوون في القصاص والدية ؛ فشريفهم ومشروفهم ، وصغيرهم وكبيرهم ، وفقيرهم وغنيهم ، وأميرهم وسوقتهم سواء .

(١٠) يسعى بذمتهم أدنانهم : المراد بالذمة العهد والأمان ؛ وأدنانهم : أقلهم مقدارا ؛ أى إذا أمن أحد من المسلمين واحداً من الكفار كان ذلك جارياً على جميع المسلمين ، لا يجوز

نقضه لأحد منهم . (١١) وهم يدُّ على من سواهم : معناه أنهم مجتمعون على أعدائهم ، يعاون بعضهم بعضاً ؛ أى هم مستولون قاهرون لغيرهم .

وقوله : الناس كَأَسْنَانِ الْمَشْطِ (١) . والمرء مع مَنْ أَحَبَّ (٢) . ولا خير في صُحْبَةِ مَنْ لَا يَرَى لَكَ مَا تَرَى لَهُ (٣) . والناسُ مَعَادِنٌ (٤) . وما هلكَ امرؤٌ عرفَ قَدْرَهُ (٥) . والمستشارُ مُؤْتَمَنٌ ، وهو بِالْحِيَارِ مَا لَمْ يَتَكَلَّمْ (٦) . وَرَحِمَ اللهُ عَبْدًا قَالَ خَيْرًا فَنَعِمَ أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ .

وقوله : أَسْلِمٌ تَسْلَمٌ ، وَأَسْلِمٌ بُؤْتِكُ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ (٧) . وَإِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ

(١) هذا مثل في تساويهم في الأحكام الشرعية . أو المراد تساويهم في الأنساب ، فإنهم كلهم أولاد آدم . والليم من كلمة «المشط» ضبطت في ب بالكسرة والضمة ، وعليها «معا» .  
(٢) وهو حديث صحيح رواه الشيخان عن أنس . والمرء مع من أحب ، والمراد أنه معه في الحشر ومنازل الآخرة ، فيرتقى من منزلته لمنزلتهم بسبب خلوص المحبة . والحديث في مسلم : ٢٠٣٤ ، وسنن الترمذي : ٤ - ٥٩٥

(٣) حديث رواه ابن عدي في الكامل بسند ضعيف ، كما قال السيوطي في تخريجه .  
(٤) رواه الشيخان عن أبي هريرة . والمعادن : جمع معدن : منبت الذهب والفضة ونحوه ، ويطلق على مكان كل شيء فيه أصله ، وعلى كل أصل ، وعلى بيوت العرب . والحديث في مسلم : ١٩٥٨ . ويعني صلى الله عليه وسلم بذلك أن بني آدم يختلفون باختلاف أصلهم ، فمن كان أصله شريفًا أعقب مثله ، وسرى طيب عرقه لفرعه ؛ ومن كان دون ذلك كان عقبه مثله ، ومن كان خبيثًا كان فرعه خبيثًا .  
(٥) قال السيوطي : قال السمعاني : إنه حديث روى مسندًا عن علي . وفي سننه من لا يعرف حاله .

(٦) وهو بالحيار ما لم يتكلم : معناه أنه محير إن شاء أشار عليه بما شاوره فيه ، وإن شاء سكت ولم يتكلم . فإذا تكلم لزمه بيان رأيه ونصحه ، وذكر الصواب عنده . وهذا الحديث أخرجه أحمد عن ابن مسعود .

(٧) من حديث رواه الشيخان في كتابه الذي كتبه صلى الله عليه وسلم لهرقل ملك الروم . والكتاب في نسيم الرياض : ١ - ٥١١ . وفي صحيح مسلم : ١٣٩٤ ، والبخاري :



وأقر بكم منى مجالس يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافاً<sup>(١)</sup> الذين  
يألفون ويؤلفون<sup>(٢)</sup> .

وقوله : لعله<sup>(٣)</sup> كان يتكلم بما لا يعنيه ، ويبخل بما لا يُغنيه .

وقواه<sup>(٤)</sup> : ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً .

وسهيه<sup>(٥)</sup> عن قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال ، ومنع وهات ، وعقوق

الأمهات<sup>(٦)</sup> ، ووأد البنات<sup>(٧)</sup> .

(١) هذا الحديث رواه الترمذى عن ابن مسعود : سنن الترمذى : ٤-٣٧٥ ، والموطئون :

الموطأ : من فيه لين ورفق وسهولة . والأكناف : جمع كنف ، وهو الجانب والناحية ؛ أى  
من يلين جانبه لغيره .

(٢) أى الذين يالفهم الناس ويألفونهم . (٣) هذا حديث صحيح روى من طرق .

والضمير فى «لعله» راجع لرجل مذكور فى أول الحديث : إن رجلاً من الصحابة استشهد بأحد ،  
فقال أمه : يا بنى ، ليهنك الشهادة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لها : ما يدريك  
لعله . . . ويعنيه : هممه وينفعه .

(٤) هذا حديث رواه أبو داود عن عمار . وانظر سنن أبي داود : ٢ - ١٩٣ . والوجيه :  
الذى له قدر ومنزلة .

(٥) هذا حديث صحيح رواه الشيخان ، عن مغيرة بن سهم . والحديث فى مسلم :

١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، وقيل وقال : مصدران بمعنى القول ، أو فعلان أحدهما مبنى للجهول والآخر  
غير مجهول . ومعناه : النهى عن كثرة الكلام لما يؤول إليه من الخطأ . وكثرة السؤال : أى  
سؤال الناس ما بأيديهم استعطاء . أو السؤال عن أخبار الناس وأحوالهم . ومنع : المراد منع  
بذل ما يجب أو يستحسن . وهات : أى طلب ما عند غيره وسؤاله . والضبط المثبت فى أ .  
وفى ب : قيل وقال - بفتح لامها .

(٦) العقوق : مخالفة الوالدين وإيذاؤهم ، وخص الأمهات مع أن عقوق الوالدين من الكبائر ؛  
لأنهن أكثر حقا ، وأشد شفقة على الولد . والضبط المثبت فى ب . وفى أ : ومنع وهات -  
بكسرة واحدة فيهما .

(٧) الوأد : دفن البنات فى حياتهن .

وقوله : اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس  
بمخلق حسن (١) .

[ وقوله ] (٢) : وخير الأمور أوساطها (٣) .

وقوله : أحبب حبيبك هو لنا ما عسى أن يكون يغيضك يوما (٤) ما .

وقوله : الظلم ظلمات يوم القيامة (٥) .

وقوله في بعض دعائه : اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي ، وتجمع

بها أمري ، وتلم بها شعبي (٦) ، وتصلح بها غائبي ، وترفع بها شاهدي (٧) ، وترزقي

بها عملي ، وتلهمني بها رشدي (٨) ، وترد بها ألفتي (٩) ، وتعصمني بها من كل سوء .

(١) خالق الناس : عاشرهم ، وخالطهم وعاملهم .

وهذا الحديث رواه أحمد ، والترمذي ، والحاكم عن أبي ذر (سنن الترمذي : ٤ - ٣٥٥) .

(٢) من ب .

(٣) هذا الحديث أخرجه السمعاني في ذيل تاريخ بغداد عن علي كرم الله وجهه عنه صلى

الله عليه وسلم . وابن جرير في تفسيره ، عن مطرف بن عبد الله ، وكذا أخرجه البيهقي

بلا سند ، وذكره الديلمي بلا سند عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) الهون : من هان عليه الشيء : خف وسهل . أرشد النبي المتحابين إلى الاقتصاد في

الحبة وعدم المبالغة فيها ، وأن يكونوا في ذلك على قدر متوسط ، فإن خير الأمور الوسط .

وهذا الحديث أخرجه البخاري في الأدب . والترمذي عن أبي هريرة وقال الترمذي :

الأصح أنه موقوف على علي . (سنن الترمذي : ٤ - ٣٦٠) .

(٥) هذا الحديث أخرجه البخاري : ٣ - ١٦٠ ، والترمذي : ٤ - ٣٧٧ .

(٦) الشمت : انتشار الأمر . أي تجمع ما تشمت وتفرق من أمري .

(٧) غائبي : باطني ، أو ما خفي من أموري ، أو قلبي . شاهدي : ظاهري . ومعنى ترفع :

أي تجماها عالية رفيعة بالأعمال الصالحة ، والصفات الحسنة .

(٨) الرشد : السداد والاستقامة .

(٩) ترد بها ألفتي : ترد وتعيد وترجع ألفتي إلى ما كانت عليه . والمراد عشيرته وأقرباؤه

وأهل جلدته ، فدعا الله أن يؤانفهم ويهديهم إلى الإسلام .

اللهم إني أسألك الفوزَ في القضاء <sup>(١)</sup> ، ونُزُلَ الشهداء <sup>(٢)</sup> ، وعيشَ السُّعداء ،  
والنصرَ على الأعداء <sup>(٣)</sup> .

إلى ما رَوته الكفاة عن الكفاة من مقاماته <sup>(٤)</sup> ، ومُحاضراته ، وخطبه ،  
وأدعيته ، ومُخاطباته وعهوده ، مما لا خلاف أنه نزل من ذلك مرتبة <sup>(٥)</sup> لا يُتأس  
بها غيره ، وحاز فيها سبقاً لا يُقدر قدره <sup>(٦)</sup> .

وقد جمعتُ من كلماته التي لم يسبق إليها ، ولا قدر أحدٌ أن يُفْرِغ في قلبه <sup>(٧)</sup>  
[٢٦] عليها ؛ كقوله : حمى الوطيس <sup>(٨)</sup> . ومات حتف أنفه <sup>(٩)</sup> . ولا يُلدغ المؤمنُ  
من جُحرٍ مرتين <sup>(١٠)</sup> . والسعيد من وعظَّ بغيره . . . في أخواتها مما يُذكر الناظر

(١) الفوز : النجاة : سأل الله النجاة من كل سوء ؛ أى مما قضيته وقدرته على من البلاء .  
(٢) ونزل الشهداء : النزل : اسم لما يعد للضيف إذا نزل ، من القرى والكرامة . وضبطت  
الزاي في الساكون ، وفي ب : بالسكون والضم .

(٣) تمام هذا الدعاء في نسيم الرياض : ١ - ٥٢٢

(٤) المقامات : جمع مقامة : اسم لمكان القيام ، وتوسعوا فيه فاستعملوه لطلق المكان ،  
وزادوا في التوسع حتى سمو به الكلام الصادر فيه « مقامة » . فالمراد به الكلام الصادر منه  
في مجالسه ، وخطاب أمته في حال حكمه ، وحروبه .

(٥) في ب : مرقبة - بالقاف . وفي هامشه : كذا وقع بالقاف ؛ وصوابه بالتاء . وقال :  
المرقبة : الموضع المشرف العالى . (٦) قدره : مقداره . أى سبق كثير لا يباحقه فيه أحد .  
(٧) القالب : ما يصب فيه ما يذاب من الجواهر ليصاغ ، والمراد بالقالب هنا الألفاظ ، لأنها  
قوالب المعاني . عليها : على هيئاتها .

(٨) حمى : اتقد . الوطيس : التنور ، أو شيء يشبهه .

(٩) مات حتف أنفه : الحتف : الهلاك . والمعنى أنه مات من غير ضرب ولا قتل ولا  
حرق ولا غرق ونحوه - على فراشه ، كأنه سقط على أنفه فمات . وهذا بعض حديث رواه  
عبد الله بن عتيك .

(١٠) هذا حديث صحيح رواه أبوهريرة ، يعنى أن المؤمن الفطن لا يتخذ مرة بعد مرة

(سنن ابن ماجه : ١٣١٨) .

العَجَبُ فِي مُضْمِنِهَا<sup>(١)</sup> ، وَيَذْهَبُ بِهِ الْفِكْرُ فِي أَدَانِي<sup>(٢)</sup> حِكْمِهَا .  
 وَقَدْ قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : مَا رَأَيْنَا الَّذِي هُوَ أَفْصَحُ<sup>(٣)</sup> مِنْكَ . فَقَالَ : وَمَا يَمْنَعُنِي ؟  
 وَإِنَّمَا أَنْزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِي ، لِسَانَ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ .  
 وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى<sup>(٤)</sup> : بَيْدَ أُنَى<sup>(٥)</sup> مِنْ قَرِيْشٍ ، وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدِ ؛ فَجُمِعَ لَهُ  
 بِذَلِكَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قُوَّةٌ عَارِضَةٌ الْبَادِيَّةِ وَجَزَالَتُهَا<sup>(٦)</sup> ، وَنَصَاعَةٌ الْفَاطِ  
 الْحَاضِرَةِ وَرَوْنَقُ كَلَامِهَا ، إِلَى التَّأْيِيدِ الْإِلَهِيِّ<sup>(٧)</sup> الَّذِي مَدَدَهُ الْوَحْيُ الَّذِي لَا يُحِيطُ  
 بِعَالَمِهِ بِشَرِي<sup>(٨)</sup> .  
 وَقَالَتْ أُمُّ مَعْبِدٍ<sup>(٩)</sup> فِي وَصْفِهَا لَهُ :

إذا فصح  
الحد

- 
- (١) مضمونها : ما تضمنته من المعاني والتراكيب البديعة . وفي ١ : ضبطت اليم بشدة مكسورة .  
 (٢) في أداني : في أقل ما تضمنته من الحكم .  
 (٣) هذا الحديث رواه البيهقي في شعب الإيمان مسندا .  
 (٤) قال السيوطي : هذا الحديث أورده أصحاب التريب ، ولا يعرف له إسناد .  
 (٥) بيد : غير .  
 (٦) العارضة : التجلده والقدرة على الكلام . والجزالة : يقال كلام جزل ؛ أي قوى شديد ؛ أي حلاوة كلام أهل البادية .  
 (٧) النصاعة : الخلوص . والمراد خلوصها من التعقيد والغرابة والوحشية . والرونق : البهاء والحسن . وفي هامش أمامها : وفصاحة ألفاظ .  
 فكلام أهل البادية قوى متين لعدم تصنعهم ، وكلام أهل الحاضرة رقيق لطيف ؛ فجمع كلامه صلى الله عليه وسلم بين هاتين الصفتين مضموماً ذلك إلى التأيد الإلهي .  
 (٨) بشري : أي إنسان ؛ منسوب إلى البشر ، وهم بنو آدم .  
 (٩) أم معبد : كانت تنزل بين مكة وجبالها ، فنزل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه لما هاجرا فقدمت لهما القرى ، فلما جاء زوجها أخبرته بذلك ووصفته له . وحديث أم معبد في الفائق : ١ - ٧٦

حُلُوُّ المنطق ، فَصْلٌ لَا تَزْرُ وَلَا هَذَرٌ <sup>(١)</sup> ، كَمَا أَنَّ مِنْطَقَهُ خَرَازَاتٌ تُظْمِنُ <sup>(٢)</sup> . وَكَانَ جَهِيرَ الصَّوْتِ ، حَسَنَ النِّعْمَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٣)</sup> .

### فصل

وَأَمَّا شَرَفُ نَسَبِهِ وَكَرَمُ بَلَدِهِ وَمَنْشَأُهُ فَمِمَّا لَا يَحْتَاجُ إِلَى إِقَامَةِ دَلِيلٍ عَلَيْهِ ، وَلَا بَيَانٍ مُشْكَلٍ وَلَا خَفِيِّ مِنْهُ ؛ فَإِنَّهُ نَجْبَةٌ بَنِي هَاشِمٍ ، وَسُلَالَةٌ قَرِيشٍ وَصَمِيمَةٌ <sup>(٤)</sup> ، وَأَشْرَفُ الْعَرَبِ <sup>(٥)</sup> ، وَأَعَزَّهُمْ نَفَرًا مِنْ قَبْلِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ <sup>(٦)</sup> ، وَمِنْ أَهْلِ مَكَّةَ مِنْ أَكْرَمِ بِلَادِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى عِبَادِهِ .

حَدَّثَنَا قَاضِي الْقُضَاةِ حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّدِّيقِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ سُلَيْمَانُ بْنُ خَلْفٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو ذَرٍّ عَبْدُ بْنُ أَحْمَدَ ، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ السَّرْحَسِيُّ ، وَابْنُ إِسْحَاقَ ، وَأَبُو الْهَيْثَمِ : [ قَالُوا ] <sup>(٨)</sup> : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفَ ، [ قَالَ ] <sup>(٨)</sup> : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، [ قَالَ ] <sup>(٨)</sup> : حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ؛ [ قَالَ ] <sup>(٨)</sup> : حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ عَمْرٍو ، عَنْ سَعِيدِ الْمَقْبُرِيِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - أَنَّ رَسُولَ

(١) فصل: أى فاصل بين الحق والباطل . نزر : قليل لا يفهم . والهذر : الهذيان ، وضبطت الدال في ا ، ب بالفتح .

والهذر - بالسكون : مقابل للنذر ، أى ولا كثير فيعمل . وهو الضبط في الفائق .

(٢) منطق : ما ينطق به . خرازات نظمن : أى متناسبة ، لها رونق كالمقد المنظوم .

(٣) جهير الصوت : عالى الصوت ، ليس فيه خفاء ولا تكسر .

(٤) النجبة : المختار . والصميم : الخالص .

(٥) فى ب : وأفضل العرب . وفى ا : وأشرف ، وعابها علامة الصحة . وفى هامشه

أمامها : وأفضل .

(٦) نفرا : قوما . وفى ب : وأعزها .

(٧) هذا فى ا . وفى ب : أكرم . . . وفى هامشه : خ : من .

(٨) من ب .

الله صلى الله عليه وسلم قال : بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنَا قَرْنَا ، حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ مِنْهُ <sup>(۱)</sup> .

وعن <sup>(۲)</sup> العباس ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : إِنْ اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ ، مِنْ خَيْرِ قَرْنِهِمْ ، ثُمَّ تَخَيَّرَ <sup>(۳)</sup> الْقَبَائِلَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ قَبِيلَةٍ ، ثُمَّ تَخَيَّرَ الْبُيُوتَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بَيْوتِهِمْ ، فَأَنَا خَيْرُهُمْ <sup>(۴)</sup> نَفْسًا ، وَخَيْرُهُمْ بَيْتًا <sup>(۵)</sup> .

وعن واثلة بن الأسقع ، قال <sup>(۶)</sup> : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إِنْ اللَّهُ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى مِنْ وَدِّ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشِ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي هَاشِمٍ .  
قال الترمذى <sup>(۶)</sup> : وهذا حديث صحيح :

وفي حديث عن ابن عمر ، رواه الطبري - أنه صلى الله عليه وسلم قال : إِنْ اللَّهُ اخْتَارَ خَلْقَهُ <sup>(۷)</sup> ، فَاخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي آدَمَ ، ثُمَّ اخْتَارَ بَنِي آدَمَ فَاخْتَارَ مِنْهُمْ الْعَرَبَ ، ثُمَّ اخْتَارَ الْعَرَبَ فَاخْتَارَ [ مِنْهُمْ قُرَيْشًا ، ثُمَّ اخْتَارَ قُرَيْشًا فَاخْتَارَ مِنْهُمْ ] <sup>(۸)</sup> بَنِي هَاشِمٍ ، ثُمَّ اخْتَارَ بَنِي هَاشِمٍ فَاخْتَارَ مِنْهُمْ ، فَلَمْ أَزَلْ خِيَارًا مِنْ خِيَارِ ، أَلَا مَنْ أَحَبَّ الْعَرَبَ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَ الْعَرَبَ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ .

(۱) هذا حديث صحيح انفرد البخاري بإخراجه (صحيح البخاري : ۵-۳ ، ۴-۲۲۹) .  
والقرن : مقدار من الزمان ، ويطلق على أهله . أراد تعلقه في أصلاب آبائه من إبراهيم - عليه السلام - إلى عبد الله بن عبد المطلب .

(۲) هذا الحديث رواه البيهقي مسنداً في دلائله . والترمذى وحسنه . (سنن الترمذى : ۵-۵۸۴) .

(۳) تخير : اختار . (۴) نفساً : روحاً وذاتاً .

(۵) وخيرهم بيتاً : أي حسباً وشرفاً وأصلاً .

(۶) صحيح مسلم : ۱۷۸۲ ، وسنن الترمذى : ۵-۵۸۳ ، وقال الترمذى : هذا حديث

حسن صحيح غريب .

(۷) إن الله اختار خلقه ؛ أي أراد أن يخلق خلقه ويوجد لهم ، فلما أوجدهم تخيرهم .

(۸) ما بين القوسين ليس في أ .

وعن ابن عباس <sup>(۱)</sup> : إنَّ قُرَيْشًا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل أن يَخْلُق آدمَ بالفي عام ، يُسَبِّحُ ذلك النورُ ، وتسبح الملائكةُ بتسبيحه <sup>(۲)</sup> ، فلما خلق اللهُ آدمَ ألقى ذلك النورَ في صُلْبِهِ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأهبطني اللهُ إلى الأرضِ في صُلْبِ آدمَ ، وجعلني في صُلْبِ نوحَ ، وقذف بي في صُلْبِ إبراهيمَ ؛ ثم لم يزل اللهُ تعالى يَنْتُمِلُنِي مِنَ الْأَصْلَابِ <sup>(۳)</sup> الكريمةِ والأرحامِ الطاهرةِ <sup>(۴)</sup> ، حتى أخرجني من بين أبوي <sup>(۵)</sup> لم يأتقيا على سيفاحٍ قطَّ <sup>(۶)</sup> .

ويشهدُ لصحةِ <sup>(۷)</sup> هذا الخبرِ شعْرُ العباسِ في مَدْحِ النبي صلى الله عليه وسلم المشهورِ <sup>(۸)</sup> .

## فصل ۷

[ ۲۷ ] وأما ما تدعو ضرورةُ الحياةِ إليه مما فصلناه فعلى ثلاثة ضروب <sup>(۹)</sup> : ضَرْبُ الْفَضْلِ فِي قِلَّتِهِ ، وَضَرْبُ الْفَضْلِ فِي كَثْرَتِهِ ، وَضَرْبُ تَخْتَلِفُ الْأَحْوَالُ فِيهِ . فأما ما التمدُّحُ والكمالُ بتلته اتفاقاً ، وعلى كل حال ، عادةً وشريعةً ، كالغذاء والنوم ، ولم تزل العربُ والحكمةُ تتماح <sup>(۱۰)</sup> بقلتهما ، وتَدُمُّ بكثرتهما ؛ لأنَّ كثرةَ

(۱) قال السيوطي : هذا الحديث رواه ابن أبي عمرو العدني في مسنده .

(۲) بتسبيحه : بتقديسه وتنزيهه .

(۳) الأصلاب : يعني أصلاب أجداده .

(۴) في ب : إلى الأرحام . وفي هامشه : خ : والأرحام .

(۵) إخراجهم من بين أبويه : تولده منهما ، وخلقهم من نطفتهما .

(۶) السفاح : الزنا ؛ أي أبوا النبي - من ولد آدم وحواء إلى عبد الله وآمنة .

(۷) في ب : بصحة . (۸) أول هذا الشعر :

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخفض الورق  
وسياتي بعد في كلام القاضي . ( ۱ نظن صحيفه رقص ۲۱۸ - )

(۹) ضروب : جمع ضرب : قسم ، ونوع . (۱۰) تتماح : تمدح بكثرة . أو تتفاخر .

الأكل والشرب دليلٌ على النهم<sup>(۱)</sup> والحِرْص والشَّره<sup>(۲)</sup>، وغلبَةُ الشهوةِ مسببٌ لمضارِّ الدنيا والآخرة، جالبٌ لأدواء<sup>(۳)</sup> الجسد وخثارةِ النفس<sup>(۴)</sup>، وامتلاءُ الدماغ؛ وقلتهُ دليلٌ على القناعةِ، ومِلْكُ النفس؛ وقَمَعُ الشهوةِ<sup>(۵)</sup> مسببٌ للصحة، وصفاءُ الخاطر، وحدَّةُ الذَّهنِ<sup>(۶)</sup>، كما أن كثرةَ النومِ دليلٌ على الفسولةِ<sup>(۷)</sup> والضعف؛ وعدمُ الذكاءِ والفطنة، مسببٌ للكسل، وعادةِ العجز، وتضييعُ العمرِ في غير نفع، وقساوةُ القلبِ وغفلتهُ وموتهُ.

والشاهدُ على هذا ما يُعلم ضرورةً، ويوجد مشاهدَةً، ويُنقل متواتراً<sup>(۸)</sup> من كلام الأئمِّ المتقدمة، والحكماء السابقين، وأشعار العربِ وأخبارِها، وصحيح الحديثِ، وآثارِ مَنْ سلف وخلف، مما لا يُحتاج إلى الاستشهاد عليه اختصاراً واقتصاراً على اشتهار العلمِ به<sup>(۹)</sup>.

- (۱) النهم: الإفراط في شهوة الطعام .  
 (۲) الشره: الحرص على الأكل والشرب .  
 (۳) أدواء: جمع داء، وهو المرض .  
 (۴) خثارة النفس: ثقلها وعدم نشاطها . وقد ضبطت الحاء في ا، ب: بالفتح . وفي هامش ب، خثرت نفسه - بالفتح: اختلطت .  
 (۵) قمع الشهوة: القمع: القهر؛ أي قهر شهوته، وغلبتها حتى لا تخالفه .  
 (۶) حدة الذهن: سرعة الفهم .  
 (۷) الفسولة: عدم الهمة في أمور الدنيا والآخرة . وفي هامش ب: الفصل من الرجال، وقد فصل فسلاً وفسولة .

(۸) أي نقلاً متواتراً متتابعاً، مرة بعد مرة .

- (۹) كقول الحارث بن كلدة - حكيم العرب: أفضل الدواء الإزام؛ أي قلة الأكل . وقول داود: إياك وكثرة النوم فإنه يفقرك إذا احتاج الناس إلى أعمالهم . وقول قيس بن ساعدة: ما أفضل الأكل؟ قال: ترك الإكثار .

ومن الشعر:

قارب فديتك إن أكأ ت وإن شربت وإن عشنا  
 وأنا الكفيل لك الحيا ة وأن تعافى ماحيتنا



وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذ من هذين الفئتين بالأقل<sup>(١)</sup> .  
هذا ما لا يدفع<sup>(٢)</sup> من سيرته ، وهو الذي أمر به ، وحض عليه ، لاسيما بارتباط  
أحدهما بالآخر .

حدثنا أبو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه ، حدثنا أبو الفضل الأصبهاني ،  
حدثنا أبو نعيم الحافظ ، حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا أبو بكر بن سهل ، حدثنا  
عبد الله بن صالح ، حدثني معاوية بن صالح - أن يحيى بن جابر حدثه عن المقدم  
ابن معد يكرب - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال<sup>(٣)</sup> : ما ملأ ابن آدم وعاء شراً  
من بطنه<sup>(٤)</sup> ، حسب ابن آدم أكالات<sup>(٥)</sup> يقمن صلبه<sup>(٦)</sup> ، فإن كان لا محالة<sup>(٧)</sup>  
فثلك لطعامه ، وثلك لشرابه ، وثلك لنفسه<sup>(٨)</sup> .

ولأن كثرة النوم من كثرة الأكل والشرب .  
قال سفیان الثوري : بقلّة الطعام يملك سهر الليل .

- 
- (١) أخذ من هذين الفئتين ؛ أي النوعين ، وهما الأكل والشرب .  
(٢) ما لا يدفع : ما لا ينازع فيه .  
(٣) هذا الحديث رواه الترمذي ، وابن حبان والحديث صحيح (سنن الترمذي : ٤ - ٥٩٠) .  
(٤) في ب : من بطنه ؛ كما أثبتناه . وفي هامشه : من بطن ، وعليها علامة الصحة .  
وفي الترمذي ( ٤ - ٥٩٠ ) : من بطن أيضا .  
(٥) الكاف من « أكالات » ضبطت بالفتحة والضممة وعليها « معا » في ا ، وفي هامشه :  
قال الحافظ الزبي : الأكلة - بفتح الهمزة : المرة من الأكل ، وبضم الهمزة مع سكون الكاف :  
ما يجعل في الفم ، وجمعه أكالات - بفتح الكاف وضمها مع ضم الهمزة . وقد ضبطت الكاف  
في الترمذي بالفتح .  
(٦) حسب : كفى . يقمن : يقوين . صابه : عظام سلسلة ظهره .  
(٧) لا محالة : لا بد ، ولا حيلة .  
(٨) بعد الحديث في الترمذي : قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

وقال بعضُ السَّلَفِ : لا تَأْكُوا كَثِيرًا فَتَشْرَبُوا كَثِيرًا ، فَتَرْقُدُوا كَثِيرًا ،  
[ فَتَخْسَرُوا كَثِيرًا ]<sup>(۱)</sup> .

وقد رَوَى عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ مَا كَانَ عَلَى ضَفْفٍ ؛  
أَي كَثْرَةَ الْأَيْدِي<sup>(۲)</sup> .

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : لَمْ يَمْتَلِيْ جَوْفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْعًا قَطًّا ،  
وَأَنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ لَا يَسْأَلُهُمْ طَعَامًا وَلَا يَتَشَبَّهُاهُ ، إِنْ أَطْعَمُوهُ أَكَلَ ، وَمَا أَطْعَمُوهُ  
قَبِلَ ، وَمَا سَتَوَهُ شَرِبَ<sup>(۳)</sup> .

وَلَا يُعْتَرِضُ عَلَى هَذَا بِحَدِيثِ بَرِيَّةَ<sup>(۴)</sup> ، وَقَوْلِهِ : أَلَمْ أَرِ الْبُرْمَةَ فِيهَا لَحْمٌ ؛ إِذْ لَعَلَّ  
سَبَبَ سَوَالِهِ ظَنُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتِنَادَهُمْ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ لَهُ ؛ فَأَرَادَ بَيَانَ سُنَّتِهِ<sup>(۵)</sup> ،  
إِذْ رَأَوْهُمْ لَمْ يُتَدَمَّوْهُ إِلَيْهِ ، مَعَ عَائِمِهِ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَأْثِرُونَ عَلَيْهِ<sup>(۶)</sup> بِهِ ، فَصَدَّقَ عَلَيْهِمْ  
ظَنُّهُ<sup>(۷)</sup> ، وَبَيَّنَّ لَهُمْ مَا جَهِلُوهُ مِنْ أَمْرِهِ بِتَوَاهٍ : هُوَ لَهَا صَدَقَةٌ وَلَنَا هَدِيَّةٌ .

(۱) ليس في ۱ .

(۲) قال السيوطي: هذا الحديث رواه أبو يعلى عن أنس وجابر رضي الله عنهما بسند جيد .

(۳) قال في نسيم الرياض ( ۱ - ۵۵۰ ) : وهذا كان غالب حاله ، فلا ينافي ما وقع له نادرا  
على خلاف مقتضى طبعه .

(۴) مولاة عائشة . وحديثها هذا أخرجه مالك في الموطأ ، ورواه الشيخان ، وفيه :  
ودخل رسول الله على أهل بيته والبرمة تنور باللحم ، فتمر بوا له خبزا وإداما من إدام البيت ،  
فقال : ألم أرى البرمة فيها لحم ؟ فقالوا : بلى ، يا رسول الله ، ولكن هو لحم تصدق به على بريرة ،  
وأنت لا تأكل هذا اللحم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو لها صدقة ولنا هدية .  
والبرمة : قدر ينحت من الحجارة . وقيل أعبر من ذلك فيشمل النحاس والحديد وغيرها .  
وارجع إلى صحيح مسلم : ( ۱۱۴۴ ، ووطأ : ۵۶۲ ، والبخارى : ۷ - ۶۱ ) .

(۵) سنته : أي طريقته المشروعة له ، وهي جواز أكل الهدية ، وإن كانت صدقة .

(۶) لا يستأثرون عليه به : لا ينجسون أنفسهم ويقدمونها على النبي في شيء من الطعام وغيره .

(۷) أي صدق في ظنه أنهم يجهلون ذلك .

وفي حِكْمَةِ نُفَّان : يا بني ، إذا امتلأت المَعِدَةُ نامت الفِكرَةُ ، وخرست الحِكمةُ ، وقعدت الأعضاء عن العبادة .

وقال سُحْنُونُ<sup>(۱)</sup> : لا يَصْلُحُ العِلْمُ لِمَنْ يَأْكُلُ حَتَّى يَشْبَعَ .

وفي صحيح الحديث<sup>(۲)</sup> قوله صلى الله عليه وسلم : أما أنا فلا آكلُ مَتَكِنًا . والآتِكاءُ : هو التمكنُ للأكلِ ، والتَّعَدُّدُ<sup>(۳)</sup> في الجلوس له كالمتربّع ، وشبهه مِنْ تَمَكَّنَ الجلسات التي يعتمدُ فيها الجالسُ على ما تحته [ ۲۸ ] : والجالسُ على هذه الهيئة يستدعى الأكلَ ويستكثرُ منه .

والنبيُّ صلى الله عليه وسلم إنما كان جلوسه للأكلِ جلوسَ المُستوفزِ مُقْعِيًا<sup>(۴)</sup> ، ويقول : [ إنما ]<sup>(۵)</sup> أنا عبدٌ آكلٌ كما يأكلُ العبدُ ، وأجلسُ كما يجلسُ العبدُ<sup>(۶)</sup> . وليس معنى الحديث في الآتكاء الميلُ على شِقِّ عند المحققين .

(۱) سحنون : فقيه مالكي . وهذا لقبه ، واسمه عبد السلام بن سعيد التنوخي . انتهت إليه الرياسة في العلم بالمغرب ، وأدرك مالكا ، ولم يقرأ عليه ، وصنف كتاب المدونة في مذهب مالك . توفي سنة أربعين ومائتين . وقيل : سنة خمس وأربعين ومائتين .

(۲) سنن ابن ماجه : ۱۰۸۶ ، والبخارى : ۷ - ۹۳ ، وصنن الترمذى : ۴ - ۲۷۳

(۳) التعدد : التثبث والتمكن من القعود .

(۴) المستوفز : الذي لا يكون مطمئنا ، بل مستعجلا للقيام . والإقعاء : معناه أن ياصق إليته بالأرض ، وينصب ساقيه وفخذه ويلصقهما بصدرة ، وربما يكون مع وضع يده على الأرض ، يشبه جلوس البدوى المصطلي ، أو أن ينصب قدميه واضعا على عقبه إليته ضامًا ساقية وفخذه واضعا ركبتيه على الأرض . وإقعاء النبي للأكل كان بإصاق مقعده بالأرض ناصبا ساقيه .

(۵) ليس في ۱ .

(۶) المعنى أنى لست مخلوقا للدنيا وترفها ، فنظري إنما هو لعبادة الله وتبليغ أوامره ، فلا ألتفت إليها ؛ وإنما أتناول منها بسرعة مقدارا يسيرا لدفع الجوع ، كالعبد الوكل بخدمة سيده .

وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا ، شهدت بذلك الآثار الصحيحة ، ومع ذلك فقد قال <sup>(۱)</sup> : إن عيني تنامان ولا ينام قلبي .  
 وكان نومه على جانبه الأيمن استظهاراً <sup>(۲)</sup> على قلة النوم ؛ لأنه <sup>(۳)</sup> على الجانب الأيسر أهناً <sup>(۴)</sup> ، لهدوء القلب وما يتعلق به من الأعضاء الباطنة حينئذ ، لميلها إلى الجانب الأيسر ؛ فيستدعى <sup>(۵)</sup> ذلك الاستئقال فيه والطول <sup>(۶)</sup> .  
 وإذا نام النائم على الأيمن تعلق القلب وقلق ، فأسرع الإفاقة <sup>(۷)</sup> ولم يغمره الاستفراق .

### فصل

والضرب الثاني ما يتفق المدح <sup>(۸)</sup> بكثرته ، والفخر بوفوره <sup>(۹)</sup> ، كالنكاح والجاه <sup>(۱۰)</sup> : أما النكاح فمتفق فيه <sup>(۱۱)</sup> شرعاً وعادة ؛ فإنه دليل الكمال ، وصحة الذكورية <sup>(۱۲)</sup> ، ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة ، والتماح به سيرة ماضية .  
 وأما في الشرع فسنة ماثورة ؛ وقد قال ابن عباس <sup>(۱۳)</sup> : أفضل هذه الأمة أكثرها نساء - يشير إليه صلى الله عليه وسلم .

(۱) سنن أبي داود : ۱ - ۲۰ ، ومسلم : ۵۲۸

(۲) استظهاراً : استعانة .

(۳) لأنه ؛ أي النوم .

(۴) أهناً : أسهل وألذ . وفي ب : أهدأ .

(۵) فيستدعى ذلك : فيقتضى ذلك .

(۶) الاستئقال فيه : ثقل بدنه في نومه ، وغلبة النوم حتى يستغرق فيه . والطول ؛ أي

طول نومه .

(۸) الضرب الثاني مما تدعو ضرورة الحياة إليه . وفي ب : التمدح . (۹) بوفوره : زيادته .

(۱۰) الجاه : علو القدر عند الناس ، والمهابة ، وتفوذ الكلمة ، والاشتهار بذلك .

(۱۱) فيه : في مدحه وثنائه .

(۱۲) صحة الذكورية : قوتها ، وسلامتها من الضعف والآفة .

(۱۳) حديث صحيح رواه البخاري ( صحيح البخاري : ۷ - ۴ )

وقد قال عليه السلام : تَنَا كَحُوا تَنَاسَلُوا ، فَإِنِّي مُبَاهٍ <sup>(۱)</sup> بِكُمْ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .  
 وَنَهَى عَنِ التَّبَتُّلِ <sup>(۲)</sup> مَعَ مَا فِيهِ مِنْ قَمْعِ الشَّهْوَةِ ، وَغَضِّ الْبَصَرِ الَّذِينَ نَبَّهَ  
 عَلَيْهِمَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ : مَنْ كَانَ ذَا طَوَّلٍ <sup>(۳)</sup> فَأَيُّتَزَوَّجُ ؛ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ ،  
 وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ، حَتَّى لَمْ يَرَهُ الْعُلَمَاءُ مِمَّا يَقْدَحُ <sup>(۴)</sup> فِي الزُّهْدِ .

قال سهل بن عبد الله : قد حَبَّبَنِي <sup>(۵)</sup> إِلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، فَكَيْفَ يُزْهَدُ فِيهِنَّ ؟  
 وَنَحْوُهُ لِابْنِ عُيَيْنَةَ .

وقد كان زُهَادُ الصَّحَابَةِ كَثِيرِي الزُّوْجَاتِ وَالسَّرَارِي <sup>(۶)</sup> ، كَثِيرِي النِّكَاحِ .  
 وَحُكِيَ فِي ذَلِكَ عَنْ عَلِيٍّ ، وَالْحَسَنِ <sup>(۷)</sup> ، وَابْنِ عُمَرَ ، وَغَيْرِهِمْ غَيْرُ شَيْءٍ .  
 وَقَدْ كَرِهَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ عَزَبًا <sup>(۸)</sup> .

فَإِنْ قُلْتَ : كَيْفَ يَكُونُ النِّكَاحُ وَكَثْرَتُهُ مِنَ الْفَضَائِلِ ، وَهَذَا يُحْيِي بَنَ زَكْرِيَّا  
 عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ أَثْنَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ حَصُورًا <sup>(۹)</sup> ؛ فَكَيْفَ يُشْنِي اللَّهُ بِالْعَجْزِ  
 عَمَّا تَعَدُّهُ فَضِيلَةً ؟

- 
- (۱) تَنَا كَحُوا : التَّنَا كَحُ : التَّزْوِجُ . وَالْمُبَاهَاةُ : الْمَفَاخِرَةُ .  
 وَهَذَا الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ ابْنُ مَرْدُودِيهِ فِي تَفْسِيرِهِ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ . وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ  
 مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ حَنِيْفٍ .  
 (۲) الْحَدِيثُ صَحِيْحٌ ، رَوَاهُ الشَّيْخَانُ : مُسْلِمٌ : ۱۰۲۰ ، وَابْنُ خَالَسَانَ : ۷ - ۵ ، وَسَنَنِ  
 النَّسَائِيِّ : ۶ - ۴۸ . وَالتَّبَتُّلُ : الْإِنْقِطَاعُ عَنِ النِّكَاحِ . وَقَمْعُ الشَّهْوَةِ : قَهْرُهَا .  
 (۳) ذَا طَوَّلٍ : الطَّوْلُ : سَعَةُ الرِّزْقِ وَالْمَالِ بِحَيْثُ تَكُونُ لَهُ قَدْرَةٌ عَلَى نَفَقَةِ زَوْجَتِهِ وَأَهْلِهِ .  
 وَارْجِعْ إِلَى الْبُخَارِيِّ : ۷ - ۳ .  
 (۴) الْقَدْحُ : الطَّعْنُ ؛ أَيْ لَيْسَ مِمَّا يَنْقُصُ الزُّهْدَ حَتَّى يَعْيِبَهُ النَّاسُ .  
 (۵) حَبَّبَنِي : أَيْ النَّسَاءُ . (۶) السَّرَارِي : جَمْعُ سَرِيَّةٍ ، وَالسَّرِيَّةُ : هِيَ الْأُمَّةُ الْمُنْكَوْحَةُ .  
 (۷) الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ . (۸) عَزَبًا : لَيْسَتْ لَهَا امْرَأَةٌ .  
 (۹) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَسَيِّدًا وَحَصُورًا » - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ، آيَةٌ ۳۹

وهذا عيسى عليه السلام تبطل<sup>(۱)</sup> عن النساء ، ولو كان كما قررته انكح<sup>(۲)</sup> ؟  
 فاعلم ان ثناء الله تعالى على يحيى بأنه حصور<sup>(۳)</sup> ليس كما قال بعضهم :  
 إنه كان هيوبا<sup>(۴)</sup> ، أو لا ذكر له<sup>(۵)</sup> ؛ بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين ونقاد  
 العلماء ، وقالوا : هذه نقيصة وعيب ، ولا تليق بالأنبياء .  
 وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب ، أى لا يأتيها ، كأنه حصر عنها<sup>(۵)</sup> .  
 وقيل : مانعا نفسه من الشهوات .  
 وقيل : ليست له شهوة في النساء .  
 فقد بان لك من هذا أن عدم القدرة على النكاح نقص ، وإنما الفضل في كونها  
 موجودة ، ثم قمعها<sup>(۶)</sup> ؛ إما بمجاهدة ، كعيسى عليه السلام ، أو بكفاية من الله تعالى ،  
 كيحيى عليه السلام - فضيلة زائدة لكونها شاغلة<sup>(۷)</sup> في كثير من الأوقات حاطة  
 إلى الدنيا<sup>(۸)</sup> .

ثم هي<sup>(۹)</sup> في حق من أقدر عليها ومالكها وقام بالواجب فيها<sup>(۱۰)</sup> ، ولم تشغله  
 عن ربه - درجة عاليا ، وهي درجة نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لم تشغله كثرتهم  
 عن عبادة ربه ؛ بل زادة ذلك عبادة ، لتحصينهن<sup>(۱۱)</sup> ، وقيامه بحقهن ، واكتسابه  
 لهن ، وهدايته إياهن ؛ بل صرح أنها ليست من حظوظ [ ۲۹ ] دنياه دو ، وإن

(۱) تبطل عن النساء : انقطع عنهن بالكلية ولم يتزوج .

(۲) لنكح : لتزوج . (۳) هيوبا : جبانا عن النكاح .

(۴) في ب : معه . (۵) حصر عنها : منع . (۶) قمعها : منعها .

(۷) في ب : مشغلة . وفي هامشه أمامها : شاغلة .

(۸) أى تنزل الإنسان إلى شهوات الدنيا الدنية .

(۹) هي : أى الشهوة في الجماع .

(۱۰) أى من ملك شهوته ، ولم تمنعه من القيام بما يجب عليه من مهمات دينه ودنياه .

(۱۱) لتحصينهن : أى جعلهن محصنات بنكاحه صلى الله عليه وسلم لهن .

كانت من حظوظ دُنْيَا غَيْرِهِ ؛ فقال (۱) : حُبُّ (۲) إِلَى مِنْ دُنْيَا كَمْ . . فدلَّ عَلَى أَنَّ حُبَّهُ لِمَا ذَكَرَ مِنَ النِّسَاءِ وَالطَّيِّبِ اللَّذَيْنِ هُمَا مِنْ أُمُورِ دُنْيَا غَيْرِهِ ، وَاسْتِعْمَالَهُ لِذَلِكَ لَيْسَ لِدُنْيَاهُ ، بَلْ لِآخِرَتِهِ ؛ لِلفَوَائِدِ الَّذِي ذَكَرْنَا فِي التَّزْوِيجِ ، وَلِلْقَاءِ الْمَلَائِكَةِ فِي الطَّيِّبِ ؛ وَلِأَنَّهُ (۳) أَيْضًا مِمَّا يَحُضُّ عَلَى الْجَمَاعِ ، وَيُعِينُ عَلَيْهِ ، وَيَحْرُكُ أَسْبَابَهُ .  
وَكَانَ حُبُّهُ لِهَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ (۴) لِأَجْلِ غَيْرِهِ ، وَقَمَعَ شَهْوَتِهِ ؛ وَكَانَ حُبُّهُ الْحَقِيقِيُّ الْمُخْتَصُّ بِذَاتِهِ فِي مَشَاهِدَةِ جَبْرُوتِ مَوْلَاهُ وَمَنَاجَاةِ (۵) ؛ وَلِذَلِكَ مَيَّزَ بَيْنَ الْحُبِّينِ (۶) ، وَفَصَلَ بَيْنَ الْحَالَيْنِ ؛ فَقَالَ : وَجَعَلْتُ قُرَّةَ عَيْنِي (۷) فِي الصَّلَاةِ ؛ فَتَدَسَّوِي بِحَبِي وَعَيْسِي فِي كِفَايَةِ فِتْنَتِهِنَّ (۸) ، وَزَادَ فَضِيلَةً بِالتَّقِيَامِ بِهِنَّ (۹) .

(۱) فِي ب : وَقَالَ .

(۲) الْحَدِيثُ : حُبُّ إِلَى مِنْ دُنْيَا كَمْ ثَلَاثٌ : النِّسَاءُ ، وَالطَّيِّبُ ، وَجَعَلْتُ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ . قَالَ السِّيُوطِيُّ ، هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْحَاكِمُ ، وَالدَّسَاتِيُّ ، عَنْ أَنَسٍ . وَرَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ عَائِشَةَ . (سَنَنِ الدَّسَاتِيِّ : ۶ - ۴۴) .

(۳) وَلِأَنَّهُ : أَيِ الطَّيِّبِ .

(۴) الْخَصْلَتَانِ : هُمَا الْجَمَاعُ وَالطَّيِّبُ .

(۵) الْجَبْرُوتُ : الْمُرَادُ عِظَمَةُ اللَّهِ تَعَالَى سَيِّدُهُ وَمَوْلَاهُ . وَالْمَنَاجَاةُ : الْمَسَارَةُ بِتَلْقَى وَحْيِهِ ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ .

(۶) مَيَّزَ : فَارَقَ وَفَصَلَ . بَيْنَ الْحُبِّينِ : أَيِ حُبِّ مَا هُوَ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا ظَاهِرًا ، وَبَيْنَ مَا هُوَ حَقِيقَةُ اللَّهِ .

(۷) قُرَّةَ الْعَيْنِ : مَا يَسُرُّ مَنْ يَنْظُرُهُ .

(۸) يَعْنِي أَنَّ يَحْيَى وَعَيْسَى تَبْتَلَا وَتَرَكَ التَّزْوِيجَ مَعَ الْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ خَوْفًا مِنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ ، وَهِيَ تَمَكَّنُ جَهَنَّمَ فِي الْقَلْبِ وَالِاسْتِغْفَالَ بِهِنَّ عَنِ الْعِبَادَةِ ؛ وَهِنَّ لَمْ يَشْغَلْنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ يَمْنَعْنَهُ عَنْهَا فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ ؛ فَسَاوَاهُمَا فِي عَدَمِ الْاسْتِغْفَالِ ، حَقٌّ كَانَ الْوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي فِرَاشِ زَوْجَاتِهِ ؛ وَأَعَانَتْهُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ .

(۹) بِالتَّقِيَامِ بِهِنَّ : أَيِ لَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَضِيلَةٌ زَائِدَةٌ عَلَى مَا ذَكَرَ بِقِيَامِهِ عَلَى زَوْجَاتِهِ ، وَكَسْبِهِ لَهُنَّ ، وَهَدَايَتِهِ لَهُنَّ ، مَعَ عَدَمِ غَفْلَتِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - طَرَفَةَ عَيْنٍ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى .

وكان صلى الله عليه وسلم ممن أُقْدِرَ على القوة في هذا ، وأُعْطِيَ الكثير منه ؛  
ولهذا أُبيح له من عددِ الحرائر ما لم يُبيح لغيره <sup>(١)</sup> .

وقد رَوَيْنَا عن أنس أنه - صلى الله عليه وسلم - كان يدُورُ على نساءه في الساعة <sup>(٢)</sup>  
من الليل والنهار ، وهنَّ إحدى عشرة <sup>(٣)</sup> .

[ وعن طاووس : أُعْطِيَ عليه السلام قوة أربعين رجلاً في الجماع .

ومثله عن صفوان بن سليم .

وقالت سلمى مولاته : طاف النبي <sup>(٤)</sup> صلى الله عليه وسلم ليلة على نساءه التسع ،  
وتطهر من كل واحدة قبل أن يأتى الأخرى ؛ وقال : هذا أطيب وأطهر <sup>(٥)</sup> .

قال أنس : وكُنَّا نتحدثُ أنه أُعْطِيَ قوة ثلاثين رجلاً . خرَّجه النسائي ، ورؤى  
نحوه عن أبي رافع .

وقد قال سليمان - عليه السلام <sup>(٦)</sup> : لأطوفنَّ الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين ،  
وأنه فعل ذلك .

قال ابن عباس : كان في ظهر سليمان مائة رجل أو تسع وتسعين ، وكانت له  
ثلاثمائة امرأة وثلاثمائة سُرِّيَّة <sup>(٧)</sup> .

(١) هذا من خصائصه بالنسبة لامته ؛ فأبيح له أن ينكح من النساء ما شاء في أول أمره ،  
ثم حرم الله عليه بعد ذلك أن يزيد على ما في عصمته من أزواجه ، فقال : « لا يحل لك النساء من  
بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما مَلَكَت يمينك » .

(٢) في الساعة : أى مقدار ساعة . والحديث في البخارى : ١ - ٧٣ ، ٧ - ٤٤ .

(٣) قال ابن جبان : كانت زوجاته تسعاً ، وكانت عنده جاريتان ( نسيم الرياض ١ - ٥٧١ )

(٤) سنن ابن ماجه : ١٩٤ ، والبخارى : ٧ - ٤ .

(٥) ما بين القوسين عليه علامة الصحة في ١ . وفي ب : من الأم من غير الرواية .

(٦) الحديث في صحيح مسلم : ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، وروايته : على سبعين . . . مرة ،

وعلى تسعين . . . مرة أخرى . (٧) السرية : الأمة التى بوأناها بيتنا ( القاموس ) .



وحكى النقاش وغيره سبعمائة امرأة وثلاثمائة سُرِّيَّة .

وقد كان لداود عليه السلام على زُهدِه وأَكْرَمِه من عَمَلٍ <sup>(۱)</sup> يده تسع وتسعون امرأة ، وتمت بزواج أورياً <sup>(۲)</sup> مائة .

وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى <sup>(۳)</sup> : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ .

وفي حديث أنس عنه ، عليه السلام : <sup>(۴)</sup> « فَضَّلْتُ عَلَى النَّاسِ بِأَرْبَعٍ : بِالسَّخَاءِ ، وَالشَّجَاعَةِ ، وَكَثْرَةِ الْجَمَاعِ ، وَقُوَّةِ الْبَطْشِ .

وأما الجاه <sup>(۵)</sup> فمحمودٌ عند العقلاء عادةً وبقدْرِ جاهِه عِظَمُه في القلوب <sup>(۶)</sup> .

وقد قال الله تعالى في صفة عيسى عليه السلام <sup>(۷)</sup> : ﴿ وَجِيهًا <sup>(۸)</sup> فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ ؛ لكن آفاته كثيرة <sup>(۹)</sup> ؛ فهو مضرٌ لبعض الناس لعقبي الآخرة <sup>(۱۰)</sup> ، فلذلك ذمه من ذمه ، ومدح ضده <sup>(۱۱)</sup> .

(۱) ألان الله له الحديد ، فكان يصنع منه الدروع ويبيعها ويأكل هو وأهله من ثمنها مع ما آتاه الله من الملك .

(۲) الضبط في ب . وأورياً : اسم رجل - يمد ويقصر ، وزوجته هي المذكورة في القرآن في قوله تعالى : « إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً . . . » . (۳) سورة ص ، آية ۲۳

(۴) قال السيوطي : رواه الدارقطني في الأوسط بسند جيد .

(۵) الجاه : كونه وجيهاً عند الناس ، بتسخير القلوب وطاعتها ومحبتها وانقيادها له ، بحيث يقدر على استعمال أربابها في مقاصده ؛ وهي لانتقاد إلا باعتقاد الكمال التام عندها .

(۶) أي يعظم الإنسان ذو الجاه في القلوب بمقدار عظمة جاهه .

(۷) سورة آل عمران ؛ آية ۵۴

(۸) وجيهاً : أي عظيماً ذا جاه عند الله في الدارين .

(۹) أي يعرض له - أي الجاه - ما يفسده ويجعله مذموماً كثيراً .

(۱۰) أي لما يعقبه ويترتب عليه في الآخرة .

(۱۱) ضده : هو الحمول وعدم الشهرة بين الناس .

وورد في الشرع مدح الخمول<sup>(١)</sup> ، وذم العلو في الأرض .  
وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة<sup>(٢)</sup> ، والمكانة في القلوب ، والعظمة  
قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها ، وهم يكذبونه ويؤذون أصحابه ، ويقصدون أذاه  
في نفسه خفية حتى إذا واجههم أعظموا أمره ، وقضوا حاجته<sup>(٣)</sup> .

وأخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها .

وقد كان يبهت<sup>(٤)</sup> ويفرق لرؤيته<sup>(٥)</sup> من لم تره ، كما روى عن قبيلة<sup>(٦)</sup> أنها  
لما رأته أرعدت من الفرق ؛ فقال : يا مسكينة ، عليك السكينة<sup>(٧)</sup> .  
وفي حديث أبي مسعود<sup>(٨)</sup> أن رجلا قام بين يديه فأرعد ؛ فقال : هون عليك  
فإني لست بمالك . . . الحديث<sup>(٩)</sup> .

(١) كما ورد في حديث : رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره .  
وفي حديث : إن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفقدوا ، وإذا حضروا لم  
يعرفوا .

(٢) يريد بالحشمة : المهابة والعظمة في أعين الناس .

(٣) أي لأنهم لمهابة صلى الله عليه وسلم ، وعظمته في قلوبهم ، لا يواجهونه بالأذى . وضبطت  
الحاء في كلمة « خفية » في الضم والكسر ، وعليها « معا » .

(٤) يبهت : يتحير ويدهش . ويفرق : يخاف ويفزع .

(٥) في ب : من رؤيته .

(٦) هي قبيلة بنت مخزومة . وحديثها مذكور في شمائل الترمذي ، وفي سنن أبي داود ،  
وأخرجه ابن سعد بن تمامه . وهو أنها رأته صلى الله عليه وسلم في المسجد ، وهو قاعد القرفصاء ؛  
قالت : فلما رأته متخشعا في الجلسة أرعدت من الفرق . . .

(٧) أرعدت : أي لحقتها رعدة من الخوف . والسكينة : الطمأنينة ، وعدم الخوف .

(٨) هذا الحديث رواه البيهقي من طريق قيس عنه موصولا . وعن قيس مرسلا . وأخرجه  
الحاكم مثله وصححه .

(٩) وتمامه : وإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد .

وهون عليك : لا تخف .

فَأَمَّا عِظْمُ قَدْرِهِ بِالنَّبُوَّةِ، وَشَرِيفُ مَنْزِلَتِهِ بِالرِّسَالَةِ، وَإِنَافَةُ رُتْبَتِهِ <sup>(۱)</sup> بِالْإِصْطِفَاءِ  
وَالنِّكْرَامَةِ فِي الدُّنْيَا فَأَمْرٌ هُوَ مَبْلَغُ النِّهَائَةِ <sup>(۲)</sup>، ثُمَّ هُوَ فِي الْآخِرَةِ سَيِّدٌ وَوَلَدٌ آدَمَ <sup>(۳)</sup> .  
وَعَلَى مَعْنَى هَذَا الْفَصْلِ نَظَّمْنَا هَذَا الْقِسْمَ <sup>(۴)</sup> بِأَسْرِهِ .

## فصل

وَأَمَّا الضَّرْبُ الثَّلَاثُ، فَهُوَ مَا تَخْتَلَفُ الْحَالَاتُ فِي التَّمَدُّحِ بِهِ وَالتَّفَاخُرِ بِسَبَبِهِ،  
وَالتَّفْضِيلِ [ ۳۰ ] لِأَجْلِهِ، كَكَثْرَةِ الْمَالِ - فَصَاحِبُهُ <sup>(۵)</sup> عَلَى الْجَمَلَةِ مُعْظَمٌ عِنْدَ الْعَامَّةِ،  
لِاعْتِقَادِهَا تَوْصِيَّتَهُ بِهِ إِلَى حَاجَاتِهِ، وَتَمَكَّنَ أَغْرَاضُهُ بِسَبَبِهِ، وَإِلَّا فَلَيْسَ فَضِيلَةً فِي  
نَفْسِهِ، فَمَتَى كَانَ الْمَالُ بِهَذِهِ الصُّورَةِ، وَصَاحِبُهُ مُنْفِقًا لَهُ فِي مُهِمَّاتٍ مِنْ اعْتِرَافٍ <sup>(۶)</sup>  
وَأَمَلِهِ <sup>(۷)</sup>؛ وَتَصْرِيفُهُ فِي مَوَاضِعِهِ مُشْتَرِيًا بِهِ الْعَمَالَى وَالثَّنَاءَ الْحَسَنَ <sup>(۸)</sup>، وَالْمَنْزِلَةَ فِي  
الْقُلُوبِ <sup>(۹)</sup> - كَانَ فَضِيلَةً <sup>(۱۰)</sup> فِي صَاحِبِهِ عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَإِذَا صَرَّفَهُ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ،  
وَأَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ، وَقَصَدَ بِذَلِكَ اللَّهَ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ، كَانَ فَضِيلَةً عِنْدَ الْكُلِّ بِكُلِّ  
حَالٍ <sup>(۱۱)</sup>، وَمَتَى كَانَ صَاحِبُهُ مُسَيِّكًا لَهُ غَيْرَ مَوْجِبِهِ وَجُوهَهُ <sup>(۱۲)</sup>، حَرِيصًا عَلَى جَمْعِهِ،

(۱) إنافة : علو ، وارتفاع .

(۲) فأمر هو مبلغ النهاية : أي هو نهاية النهاية ليس فوقه مرتبة أخرى .

(۳) هذا بعض من حديث في سنن ابن ماجه ( ۱۴۴۰ ) ؛ وهو : أنا سيد ولد آدم ولا فخر .

(۴) هذا القسم ؛ أي القسم الأول من الكتاب ؛ أي جعلناه موضوعاً لبيانه . بأسره :

جميعه . (۵) فصاحبه : صاحب المال .

(۶) من اعتراف : من ورد عليه ، وقصده من الضيوف والإخوان وأرباب الحاجات .

(۷) وأمله : ورجاه ، ورجا إحسانه وإكرامه .

(۸) الثناء الحسن : الذكر الجميل . (۹) في ب : من القلوب .

(۱۰) كان فضيلة : أي أمراً فاضلاً محموداً .

(۱۱) عند كل الناس من أهل الدنيا وغيرهم ، من العامة والخاصة . بكل حال : أي سواء

اكتسب به المعالي والثناء أم لا .

(۱۲) غير موجبه وجوهه : غير صارف له في مصارفه من مهماته ووجوه الخير .

عاد كثره كالعدم<sup>(۱)</sup>، وكان منقصة في صاحبه<sup>(۲)</sup>، ولم يقف به على جدد<sup>(۳)</sup> السلامة؛ بل أوقعه في هوة<sup>(۴)</sup> رذيلة البخل، ومذمة النذالة<sup>(۵)</sup>؛ فإذا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله ليست لنفسه، وإنما هو<sup>(۶)</sup> للتوصل به إلى غيره، وتصرفه في متصرفاته<sup>(۷)</sup>، فجامعه إذا لم يضعه مواضعه، ولا وجهه وجوهه غير مليء<sup>(۸)</sup> بالحقيقة ولا غنى بالمعنى، ولا متمدح عند أحد من العقلاء؛ بل هو فقير أبدا غير واصل إلى غرض من أغراضه؛ إذ ما بيده من المال الموصول لها<sup>(۱۰)</sup> لم يسلط عليه<sup>(۱۱)</sup>، فأشبهه خازن مال غيره، ولا مال له؛ فكأنه ليس في يده منه شيء.

والمنفق مليء<sup>(۱۲)</sup> وغنى بتحصيله فوائد المال، وإن لم يبق في يده من المال شيء. فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد أوتي خزائن الأرض،

(۱) كثره : كثيره . كالعدم : إنما كان كالعدم ؛ لأنه لم ينتفع به ؛ فإنه خازن لغيره ، حارس لنعمة ، يستعجل الفقر الذي هرب منه ، ويفوته الغنى الذي طابه ؛ فيعيش عيش الفقراء ، ويحاسب عليه حساب الأغنياء .

(۲) وكان منقصة : وذلك لدم الناس له ، ووصفه بالبخل .

(۳) الجدد : الأرض الصابة، والمراد الطريق السلوكية ؛ أى لم يحصل ما يسلم به من النقص والوبال والدم .

(۴) أصل الهوة : الحفرة العميقة .

(۵) النذالة : الدناءة والحسة . (۶) وإنما هو : أى المال .

(۷) قال في نسيم الرياض : وفي الحديث (سنن الترمذى : ٤ - ٥٧٢) : يقول ابن آدم مالى ؛ وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت ، أو أكلت فأفانيت ، أو لبست فأبليت . فمن لم يتوصل بماله إلى ما ذكر ولم ينتفع به يكون كمن لا مال له .

(۸) غير مليء : غير غنى . وفى ب : غير ملي ؛ أى غير ثقة .

(۹) فى ب : ولا متمدح .

(۱۰) لها : أى لأغراضه .

(۱۱) لم يسلط عليه : لم يقدره الله على الإنفاق منه فى أغراضه .

(۱۲) فى ب : ملي .

ومفاتيح البلاد<sup>(١)</sup>، وأحلت له الغنائم<sup>(٢)</sup>، ولم تحل لنبي قبله، وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن، وجميع جزيرة العرب، وما داني ذلك<sup>(٣)</sup> من الشام والعراق، وجلبت إليه من أخصاسها وجزيرتها<sup>(٤)</sup> وصدقاتها ما لا يحصى<sup>(٥)</sup> للملوك إلا بعضه، وهادته<sup>(٦)</sup> جماعة من ملوك الأقاليم<sup>(٧)</sup> فما استأثر بشيء منه<sup>(٨)</sup>، ولا أمسك منه درهماً؛ بل صرفه مصاريفه، وأغنى به غيره، وقوى به المسلمين؛ وقال: ما يسرني أن لي أحداً<sup>(٩)</sup> ذهباً يبيت عندي منه دينار، إلا ديناراً أرضده<sup>(١٠)</sup> لدين.

[ وأتته دنانير مرة فقسها، وبقيت منه ستة<sup>(١١)</sup>؛ فدفعها لبعض نسائه، فلم يأخذها نوم حتى قام وقسمها، وقال: الآن استرحت<sup>(١٢)</sup>. ]

- 
- (١) خزائن الأرض : دوائرها ومعادنها .  
 (٢) الغنيمة : ما يؤخذ من الكفار بقتال .  
 (٣) ما داني ذلك : ما قرب منه .  
 (٤) من أخصاسها : من غنائمها ؛ لأن الغنائم تجعل خمسة أجزاء ، خمس للإمام ، وأربعة لأخصاس للجند . والجزية : ما يؤخذ من الكفار من الخراج على الرؤوس .  
 (٥) يحصى : يجمع .  
 (٦) هادته : أهدت إليه . والهدية : ما يبعث بلا عوض للمهدي إليه إكراماً .  
 (٧) أراد بالأقاليم : النواحي والبلدان .  
 (٨) فما استأثر : ما اختص نفسه بشيء منها دون أصحابه .  
 (٩) أحد : جبل قريب من المدينة ، كانت فيه غزوة أحد المعروفة .  
 (١٠) أرضده : أجعله معداً لسداد دين .  
 وهذا الحديث في الصحيحين وشروحهما . ( صحيح مسلم : ٦٨٧ ) .  
 (١١) في ب : وبقى منها بقية .  
 (١٢) ما بين القوسين كتب عليه في ا ، ب : ليس من الرواية .

ومات ودرعهُ مرهونةٌ في نَفَقَةِ عِيَالِهِ (١) .

واقصر من نَفَقَتِهِ وملبسه ومسكنه على ما تدعو ضرورته إليه .

وزهد فيما سواه (٢) ، فكان يلبس ما وجده ؛ فيلبس في الغالب الشَّمْلَةَ (٣) ،

والكساء الخشن ، والبُرْدَ (٤) الغليظ ، ويقسم على من حضره أقبية الديباج

المخوَّصة (٥) بالذهب ، ويرفع لمن لم يحضره (٦) ؛ إذ المَبَاهَاةُ (٧) في الملابس والتزين

بها ليست من خصال الشرف والجلالة ، وهي من سمات (٨) النساء .

والمحمودُ منها نقاوة (٩) الثوب ، والتوسط في جنسه (١٠) ، وكونه لبس مثله (١١) ،

(١) عياله : من تازمه مؤونته والإنفاق عليه . وحديث رهن الدرع مذكور في صحيح

البخاري ( ٤ - ٤٩ ) ، وهو : عن عائشة قالت : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه

مرهونة عند يهودى بثلاثين صاعا من شعير . (٢) أى فيما سوى مقدار الضرورة .

(٣) الشملة : كساء يشتمل به . (٤) البرد : ثوب فيه خطوط .

(٥) الأقبية : جمع قباء ، وهو المخيط من اللباس . والديباج : نوع من أقبية الحرير .

والمخوَّصة : المنسوجة بأعلام من ذهب كالخوص .

(٦) ويرفع لمن لم يحضره : أى يرفعها من مجلسه حتى يعطيها لمن لم يحضر القسمة . وهو

إشارة لقصة مخرمة التي رواها الشيخان عن مسور بن مخرمة ؛ (صحيح مسلم : ٧٣١ ، ٧٣٢ ،

وصحيح البخاري : ٨ - ٣٨ ) ؛ قال : قال لى أبى : يا مسور ، بلغنى أنه صلى الله عليه وسلم

جاءته أقبية ، فاذهب بنا إليه ، فذهبنا فوجدناه في منزله ، فقال : ادعه لى . فأعظمت ذلك ؛

فقال : يا بنى ، إنه ليس بجبار . فدعوته صلى الله عليه وسلم ، فخرج ومعه قباء من ديباج مزرور

بالذهب ؛ فقال : يا مخرمة ، خبأت لك هذا ؛ فجعل رسول الله يريه محاسنه ، ثم أعطاه له . فنظر

إليه وقد رضى . وفى ب : لم يحضر :

(٧) المباهاة : إظهار الفخر . (٨) سمات النساء : خصال النسوة ، وعلامتهن .

(٩) منها : من الملابس . ونقاوة الثوب : كونه نقياً من الوسخ والنجاسة .

(١٠) أى لا يكون نفيساً جداً ولا خسيساً .

(١١) أى كونه مما يلبسه أمثاله من جنسه . قال في نسيم الرياض ( ١ - ٥٩٠ ) : واللازم

أن يلبس كل أحد على قدر حاله ؛ فلا يلبس الغنى ما هو دون حاله ، ولا الفقير ما هو فوق حاله .

غير مُسْقِطٍ لمروءة جنسِهِ (١) تَمَّا لَا بُودَى إِلَى الشُّهُرَةِ فِي الطَّرَانِينِ (٢) .  
 وقد ذمَّ الشرعُ ذلكَ (٣) ؛ وغايةُ الفخْرِ فيه في العادة عند الناس إنما يعودُ إلى  
 الفخر بكثرةِ الموجود ، ووفورِ الحال (٤) .  
 وكذلك التَّبَاهِي بِجُودَةِ المسكن ، وسعةِ المنزل ، وتكثيرِ (٥) آلاته وخدمته  
 ومركوباته .

وَمَنْ مَلَكَ الأَرْضَ ، وَجَبِي (٦) إِلَيْهِ مَا فِيهَا ، فَتَرَكَ ذَلِكَ زُهْدًا وَتَنَزُّهًا (٧) ، فَهُوَ  
 حَائِزٌ لفضيلةِ المالِ ، وَمَالِكٌ لِلْفَخْرِ بِهذهِ النِّخْصَةِ إِنْ كَانَتْ فَضِيلَةً زَائِدَةً عَلَيْهَا فِي الْفَخْرِ ،  
 وَمُعْرِقٌ (٨) فِي الْمَدْحِ بِإِضْرَابِهِ عَنْهَا ، وَزُهْدٌ فِي فَانِيهَا ، وَبَدَلُهَا فِي (٩) مَظَانِّهَا .

## فصل

وَأَمَّا الْخِصَالُ الْمَكْتَسِبَةُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ [ ٣١ ] وَالْآدَابِ الشَّرِيفَةِ  
 الَّتِي اتَّفَقَ جَمِيعُ الْعُقَلَاءِ عَلَى تَنْضِيلِ صَاحِبِهَا ، وَتَعْظِيمِ الْمُتَّصِفِ بِالْخُلُقِ الْوَاحِدِ مِنْهَا ،

(١) فِي ب : لمروءة حسبه .

(٢) فِي الطَّرَفَيْنِ : غَايَةُ التَّعْظِيمِ ، وَغَايَةُ الْخِصَةِ ؛ فَيَكُونُ بَيْنَ بَيْنٍ ، وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا .  
 وَالشُّهُرَةُ : اسْمٌ مِنَ الْإِشْتِهَارِ ؛ وَهُوَ الظُّهُورُ بَيْنَ النَّاسِ . وَقَالَ النُّوَوِيُّ : كَانُوا يَكْرَهُونَ الشُّهُرَتَيْنِ :  
 الشِّيَابَ الْجَدِّدَ ، وَالشِّيَابَ الرِّذْلَةَ ؛ إِذِ الْأَبْصَارُ تَمْتَدُّ إِلَيْهِمَا جَمِيعًا .

(٣) ذَلِكَ : إِشَارَةٌ إِلَى الْمُبَاهَاةِ فِي الْمَلَابِسِ وَالتَّزِينِ بِهَا .

(٤) الْغَايَةُ : النِّهَايَةُ . وَكَثْرَةُ الْمَوْجُودِ : الْمُرَادُ بِهِ كَثْرَةُ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْمَالِ وَالْمَلْبَسِ وَنَحْوِهِ .  
 وَوُفُورُ الْحَالِ : الْمُرَادُ بِهِ قُوَّةُ حَالِهِ وَقُدْرَتُهُ عَلَى مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ .

(٥) وَتَكْثِيرُ آلَاتِهِ : الْمُرَادُ بِالْآلَاتِ هُنَا : الْفَرَاشُ وَالْأَوَانِي .

(٦) جَبِي : جَمْعٌ .

(٧) الزُّهْدُ : الرِّغْبَةُ عَنِ الدُّنْيَا مَعَ الْقُدْرَةِ ، رَغْبَةٌ فِي الْآخِرَةِ . وَهَذَا فِي أ . وَفِي ب : زَاهِدًا

بِالنَّصْبِ وَالرَّفْعِ وَعَلَيْهَا « مَعَا » . (٨) مَعْرِقٌ : أَصْلٌ فِي الْحَسْبِ وَأَكْرَمٌ .

(٩) بَدَلُهَا : إِعْطَائُهَا . مَظَانِّهَا : جَمْعُ مَظَنَّةٍ : الْمَوْضِعُ الَّذِي يَظُنُّ كَوْنَهَا فِيهِ . وَالْمُرَادُ أَنَّهُ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْدُلُهَا فِي مَحَلِّهَا الَّذِي يَرْجَى فِيهِ ؛ كَمَحَالِّ الْبِرِّ وَالصَّدَقَةِ .

فضلاً عما فوقه<sup>(١)</sup> وأثني الشرع على جميعها، وأمر بها، ووعد السعادة الدائمة للمتخلق<sup>(٢)</sup> بها، ووصف بعضها بأنه من أجزاء النبوة<sup>(٣)</sup>، وهي المسماة بحسن الخلق؛ وهو الاعتدال في قوى النفس وأوصافها، والتوسط فيها دون الميل إلى منحرف<sup>(٤)</sup> أطرافها؛ فجميعها قد كانت خلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها، والاعتدال إلى غايتها، حتى أثني الله بذلك عليه، فقال تعالى<sup>(٥)</sup>: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ .

قالت عائشة - رضي الله عنها: كان خلقه القرآن، يرضى برضاه، ويسخط بسخطه<sup>(٦)</sup>.

وقال صلى الله عليه وسلم: بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ<sup>(٧)</sup>.

قال أنس<sup>(٨)</sup>: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مثله.

(١) عما فوقه: أي عما زاد على الواحد منه.

(٢) المتخلق بها: الذي اتخذها خلقاً، واتصف بها.

(٣) كما ورد في الحديث: السمات الحسن، والتؤدة، والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين

جزءاً من النبوة (الموطأ: ٩٥٤). والمراد أن هذه الخصال من شمائل الأنبياء وفضائلهم.

(٤) المنحرف: المائل. أي إلى أطرافها المنحرفة. (٥) سورة القلم، آية ٤

(٦) الحديث في صحيح مسلم: ٥١٣؛ أي كان صلى الله عليه وسلم متمسكاً بأوامر القرآن

ونواهيه وما يشتمل عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب لا يتعداها؛ فيرضى بكل ما يرضى

الله ويسخط كل ما لا يرضاه، كل ذلك لله، لا لحظ نفسه. وفي هامش ب: يعني التأدب بأدبه،

والتخلق بحماسنه، والالتزام لأوامره وزواجره.

(٧) الحديث في الموطأ: ٩٠٤، قال ابن عبد البر: هو حديث مدني صحيح

متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره. ومكارم الأخلاق كانت موجودة قبله - لاسيما

في العرب - فتمها صلى الله عليه وسلم بشريعته السمحة، وزاد فيها ما لم يسبق إليه، وجمع ما

تفرق منها فيه وفي أمته. (٨) الحديث في مسلم: ١٨٠٥.



وكان (١) فيما ذكره المحققون مجبولاً (٢) عليها في أصل خلقته وأوّل (٣) فطرته ،  
لم تحصل له باكتساب ولا رياضة إلا بجود إلهي ، وخصوصية ربّانية .  
وهكذا لسائر (٤) الأنبياء ، ومن طالع سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم حَقَّق (٥)  
ذلك ، كما عرّف من حال عيسى وموسى ، ويحيى ، وسليمان ، وغيرهم عليهم السلام .  
بل غرّزت فيهم هذه الأخلاق في الجبلة ، وأودعوا العلم والحكمة في الفطرة ،  
قال الله تعالى (٦) : ﴿ وَأَنبَأَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ .

قال المفسرون : أُعْطِيَ يَحْيَى الْعِلْمَ بكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فِي حَالِ صِبَاهٍ .  
وقال معمر : كان [يحيى] (٧) ابن سنتين أو ثلاث ، فقال له الصّبيان : لِمَ لَا تَلْعَبُ ؟  
فقال : أَلَلَّعِبِ خُفِّتُ (٨) !

وقيل في قوله تعالى (٩) : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ : صدّق يحيى بهيسى ؛ وهو  
ابن ثلاث سنين ، فشهد له أنه كلمة الله وروحه .  
وقيل : صدّقه وهو في بطن أمه ؛ فكانت أم يحيى تقول لمريم : إني أجد ما في  
بطني يسجد لما في بطنك ؛ تحية له .

(١) وكان : أي النبي .

(٢) مجبولا : مخلوقا مطبوعا .

(٣) أي من غير تكلف ولا تعلم . (٤) في ب : وسائر . وسائر : باقي .

(٥) حَقَّق ذلك : عرف أن مكارم الأخلاق فيهم جبليّة طبيعيّة .

(٦) سورة مريم ، آية ١٢ .

(٧) من ب ، وعليها علامة الصحة . وكلمة «معمر» ضبطت في ب بضم الميم الأولى وتشديد

الميم الثانية المفتوحة . وفي التبصير ( ١٣٠٣ ) : بفتح الميم وسكون الميم .

(٨) قال السيوطي : رواه الديلمي عن معاذ بن جبل ولم يسنده . والحاكم في التاريخ ، عن ابن

عباس مرفوعا ، وسنده واه . وأخرجه أحمد في الزهد ، وابن أبي حاتم في تفسيره عن معمر .

(٩) سورة آل عمران ، آية ٣٩ .

وقد نصر الله تعالى على كلام عيسى لأمه عند ولادتها إياه بقوله لها (۱) :  
« أَلَا تَحْزَنِي » - على قراءة « من قرأ » من تحتها ، وعلى قول من قال : إن المنادى  
عيسى .

ونص على كلامه في مهده (۲) ، فقال (۳) : ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي  
نَبِيًّا ﴾ .

وقال (۴) : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ .

وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة المرجومة (۵) ، وفي قصة

(۱) سورة مريم ، آية ۲۴

(۲) المهدي كالمهاد بمعنى الفراش المهد للنوم ، ثم خص بما ينام فيه الطفل ويقر فيه .

(۳) سورة مريم ، آية ۳۰

(۴) سورة الأنبياء ، آية ۷۹ . آتيناه حكما : أي معرفة بموجب الحكومة . وعلمنا : بسائر

التضاييا الشرعية . قال في نسيم الرياض : فهذا وأشباهه مما يدل على أنها أمور جبلية غير كسبية .

(۵) قال في نسيم الرياض ( ۱ - ۶۰۲ ) : قصة المرجومة كما حكها التمسالي أن امرأة كانت

بارعة الجمال - وهي من أهل الدين ، ولها حق ، فرفعت أمرها لأحد قضاة بني إسرائيل ،

فلما رآها افتتن بها وراودها عن نفسها فامتنعت ؛ ثم ذهبت لثان وثالث ورابع فكل راودها

عن نفسها ؛ فأتت نبي الله داود فحجبت عنه ، فأجمع الأربعة أن يقولوا لداود : إن لها كلبا

تمكنه من نفسها ويزني بها ، ففعلوا فأمر برجمها فرجمت .

فبينما داود عليه السلام يوما في عليه له مشرفا على صبيان يلعبون مع سليمان ، وفيهم صبي

جميل ، فجعلوا سليمان قاضيا ، والصبي كامرأة ذات حق وأربعة منهم قضاة ، وفعلوا مثل تلك

القصة بعينها من الراودة والتهمة ؛ وذلك برأى من داود عليه السلام - كما في قصة المرجومة -

ففرقهم سليمان ، وقال لأحدهم : مالونه ؛ فذكر لونا ، ودعا كلابا بانقراده فذكر كل منهم لونا

مخالفا للآخر ؛ فأمر الصبيان فضربوهم .

فقال داود : لعل القضية هكذا ، فبعث للقضاة وسألهم عن لون الكلب على الانفراد ،

فاختلفوا كالصبيان فأمر بهم فقتلوا . ( وانظر أيضا القصة في شرح القاري : ۱ - ۲۲۶ ) .

الصبي<sup>(۱)</sup> ما اقتدى به داودُ أبوه .

وحكى الطبرى أن عمره كان حين أوتى الملك اثني عشر عاما .

وكذلك قصة موسى مع فرعون وأخذُه بِلِحِيَّتِهِ وهو طفل .

وقال المفسرون - في قوله تعالى<sup>(۲)</sup> : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ ﴾<sup>(۳)</sup> من قبل ؛

أى هَدَيْنَاهُ صغيرا<sup>(۴)</sup> ؛ قاله مجاهد وغيره .

وقال ابن عطاء : اصطفاه قبل إبداء خلقه .

وقال بعضهم : لما وُلِدَ إبراهيم عليه السلام بعث الله تعالى إليه ملكا يأمره

عن الله أن يعرفه بقلبه ، ويدكره بلسانه ؛ فقال : قد فعلتُ ، ولم يقل أفعَل ؛

فذلك رُشْدُهُ<sup>(۵)</sup> .

(۱) في نسيم الرياض ( ۱ - ۶۰۲ ) : وقصة الصبي رواها البخارى ومسلم عن أبي هريرة

رضى الله تعالى عنه ؛ قال : كانت امرأتان ممهما ابنان لها ، فأخذت أحدهما ، فتحاكما إلى

داود عليه السلام ، فقضى به للكبرى . فدعاها سليمان ، وقال : هاتوا سكيننا أشقه بينكما ؛

فقلت الصغرى : رحمك الله ، هو ابنها لا تشقه ، فقضى به لها لشفقتها عليه ، ورضيت الأخرى

بشقه لتتشارك في المصيبة . ونص الحديث في ( صحيح مسلم : ۱۳۴۴ ، والبخارى : ۸ - ۱۹۵ ) .

ثم قال الحفاجى : وهذا مما لا شبهة في صحته . وأما الحديث الأول ( قصة المرجومة ) فالله أعلم

بصحته ، وقد ورد في الإسرائيليات على غير رواية ابن عساكر .

(۲) سورة الأنبياء ، آية ۵۱

(۳) الرشد : الاهتداء لوجوه الصلاح .

(۴) هذا أحد التفاسير لقوله تعالى : من قبل . وقيل : قبل موسى وهارون . وقيل : قبل

محمد عليه السلام .

(۵) يعنى عبر بالماضى الدال على وقوعه قبل أمره ؛ فيكون المعنى آتيناه رُشْدَهُ قبل أمره ،

فيدل ذلك على أن الإيمان واشتغاله بذكر ربه أمر محبوب عليه ؛ وقيل : إنه بالغ في الامتثال

حتى عبر بالماضى عن الحال .

وقيل : إن إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار ومحنته<sup>(۱)</sup> كانت وهو ابن ست عشر سنة ، وإن ابتلاء إسحاق<sup>(۲)</sup> بالذبيح كان وهو ابن سبع سنين ؛ وإن استدلال إبراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا<sup>(۳)</sup> .

وقيل : أوحى إلى يوسف وهو صبي<sup>(۴)</sup> عندما هم إخوته بإلقائه في الجُب ، يقول الله تعالى<sup>(۵)</sup> : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ ﴾<sup>(۶)</sup> بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ﴿ .

[ ۳۲ ] إلى غير ذلك مما ذكرنا من أخبارهم<sup>(۷)</sup> .

وقد حكى أهل السير أن<sup>(۸)</sup> آمنة بنت وهب أخبرت أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطاً يديه إلى الأرض ، رافعا رأسه<sup>(۹)</sup> إلى السماء .

وقال في حديثه - صلى الله عليه وسلم<sup>(۱۰)</sup> : لَمَّا نَشَأْتُ بَغِضْتُ إِلَى الْأَوْثَانِ ، وَبَغِضْتُ إِلَى الشُّعْرِ ، وَلَمْ أَهْمْ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ تَفْعَلُهُ إِلَّا مَرَّتَيْنِ<sup>(۱۱)</sup> ؛ فعصمني الله منهما ، ثم لم أعد .

(۱) ومحنته : التي وقعت له مع نمرود .

(۲) قال في نسيم الرياض : وهذا بناء على أن الذبيح إسحاق ، كما عليه أهل الكتاب وكثير من المفسرين والمحدثين . والمشهور - وهو مذهب الجمهور - أن الذبيح إسماعيل ؛ وهو قول أكثر الصحابة ، كابن عباس ، وابن عمر ، ومعاوية ، وهو الظاهر .

(۳) في ب : سنة ، وفي هامشه : الصواب شهرا .

(۴) وعن الحسن : وله سبع عشرة سنة .

(۵) سورة يوسف ، آية ۱۵ (۶) لتنبئهم : لتخبرن إخوتك .

(۷) من أخبارهم : أي أخبار الأنبياء الدالة على أنهم محبوبون على الكمال من ابتداء أمرهم

في صغرهم . (۸) مما يدل على هذه الصفة في الأنبياء .

وهذا رواه ابن الجوزي في الوفا ، عن أبي الحسين مرسلا .

(۹) في ب : رافعا يديه ينظر إلى السماء .

(۱۰) هذا الحديث رواه أبو نعيم في الدلائل عن شداد بن أوس (الدلائل لأبي نعيم: ۲۳۶)

(۱۱) في نسيم الرياض : ( ۱ - ۶۰۹ ) : وهذا إشارة إلى حديث صحيح رواه البزار مسندا

عن علي كرم الله وجهه ، ولفظه : ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون غير مرتين =

ثم يَتَمَكَّنُ الأَمْرُ لَهُمْ ، وَتَرَادَفُ نَفَعَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ <sup>(۱)</sup> ، وَتُشْرِقُ أَنْوَارُ الْمَعَارِفِ فِي قُلُوبِهِمْ ، حَتَّى يَصِلُوا الْغَايَةَ ، وَيَبْلُغُوا بِاصْطِفَاءِ اللهِ تَعَالَى لَهُم بِالنَّبُوَّةِ فِي تَحْصِيلِ هَذِهِ الْخِصَالِ الشَّرِيفَةِ - النِّهَايَةِ دُونَ مُمَارَسَةِ وَلَا رِيَاضَةٍ <sup>(۲)</sup> ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى <sup>(۳)</sup> : ﴿وَمَا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتِنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا <sup>(۴)</sup>﴾ .

وَقَدْ نَجِدُ غَيْرَهُمْ يُطَبِّعُ عَلَى بَعْضِ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ دُونَ جَمِيعِهَا ، وَيُوَادُّ عَلَيْهَا ، فَيَسْرِبُ عَلَيْهِ اِكْتِسَابُ تَمَامِهَا عِنَايَةً مِنَ اللهِ تَعَالَى ، كَمَا نَشَاهِدُ مِنْ خَلْقَةٍ بَعْضِ الصَّبِيَّانِ عَلَى حُسْنِ السَّمْتِ ، أَوِ الشَّهَامَةِ <sup>(۵)</sup> ، أَوْ صِدْقِ اللِّسَانِ ، أَوِ السَّمَّاحَةِ ؛ وَكَمَا نَجِدُ بَعْضَهُمْ عَلَى ضِدِّهَا ؛ فَبِالْاِكْتِسَابِ بِكَمَلِ نَاقِصِهَا ، وَبِالرِّيَاضَةِ وَالْمُجَاهِدَةِ يُسْتَجَابُ <sup>(۶)</sup> مَمْدُومُهَا ،

= كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد؛ ثم ما هممت بمدهما بشيء حتى أكرمني الله تعالى برسالته. ورواه الحاكم في المستدرک بلفظ آخر : قلت ليلة لفتى من قريش كان بأعلى مكة يرعى غنما لأهله : أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الصبيان ، فجت أدنى دار من دور مكة فسمعت غناء وصوت دفوف ومزامير ، فقلت : ما هذا ؟ فقيل : فلان يتزوج فلانة . فلهوت بذلك الغناء وذلك الصوت حتى غلبتني عيني ، فما أيقظني إلا حر الشمس . ثم رجعت إلى صاحبي ، فقال لي : ما فعات ؟ فأخبرته .

ثم فعات الليلة الأخرى كذلك . والله ما هممت بغيرها مما تفعله الجاهلية . قال في نسيم الرياض : وروى أن الله ألقى عليه النوم في المرتين صيانة له ، وليس في هذا ارتكابه لمحرم . وكذلك جاء في شرح القارى : ۱ - ۲۲۹

- (۱) لهم : أى للأنبياء . ويتمكن : يقر ويثبت . والمراد بالأمر ما أودع فيهم من السكال . وترادف : المراد تتوالى . والنفعات : جمع نفعة ، وهى بمعنى الهبة والعطية .
- (۲) دون ممارسة : أى من غير تكرار عمل ومزاولته . والرياضة : التمرين فى العمل .
- (۳) سورة يوسف ، آية ۲۲ (۴) حكما : نبوة . وعلماء : معرفة بالدين وسياسة الأمة .
- (۵) السمت : الطريقة ، وهيئة أهل الخير . يقال : ما أحسن سمته . أى هديه وسيرته . والشهامة : حدة الفؤاد والذكاء والجلادة والنفاز فى الأمور . يقال : رجل شهيم إذا كان سيدا نجيبا نشيطا فى اكتساب المعالى ، وعدم الالتفات للملاحاة والخصومة .
- (۶) يستجاب : يكتب ويحصل لمن لم يطبع على شيء منها وطبع على ضدها .

وإمتدلاً مُنَحَرَفُهَا ، وباختلاف<sup>(١)</sup> هذين الحالين يتفاوتُ الناسُ فيها<sup>(٢)</sup> . وكلُّ  
مُيسَّرٍ لما خُلِقَ له<sup>(٣)</sup> . ولهذا ما [ قد ]<sup>(٤)</sup> اختلف السلف<sup>(٥)</sup> فيها : هل هذا  
الخلق جِبِلَّةٌ أو مُكْتَسِبَةٌ<sup>(٦)</sup> ؟

فحكى الطبري عن بعض السلف أن الخلق الحسن جِبِلَّةٌ و غريزة في العبد، وحكاها  
عن عبد الله بن مسعود ، والحسن ، وبه قال هو .  
والصواب ما أصْلَنَاهُ<sup>(٧)</sup> .

وقد روى سعد بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : كلُّ الخِلالِ<sup>(٨)</sup> يُطَبَعُ عليها  
للمؤمن إلا الخيانة والكذب<sup>(٩)</sup> .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديثه : والجُرْأَةُ ، والجُبْنُ<sup>(١٠)</sup> غرائز  
يضعها الله حيث يشاء .

وهذه الأخلاق الحمودة والنخصال الجميلة<sup>(١١)</sup> كثيرة ، ولكننا نذكر أصولها ،  
ونشير إلى جميعها ، ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها إن شاء الله تعالى .

(١) هذين الحالين : أي الجبلي والكسبي . (٢) فيها : أي في الصفات الحميدة .  
(٣) هذا بعض من حديث صحيح : اعملوا فكل ميسر لما خلق له . . . وهو في صحيح  
مسلم : ٢٠٤١ ، وميسر : معد مهياً . (٤) ليس في ب . (٥) السلف : من تقدم من العلماء .  
(٦) الخلق : أي الحسن الذي يحمد به الناس . وهذا في ب . وفي أ : جيله أو مكتسبه . . .  
- بالهاء .

(٧) ما أصْلَنَاهُ : قدمناه وجعلناه أصلاً وقاعدة ؛ من أن منها ما هو جبلة غير مكتسبة ،  
ومنها ما هو مكتسب بالعلم والرياضة . (٨) الخلال : الخصال والصفات .

(٩) في نسيم الرياض ( ١ - ٦١٣ ) : هو حديث صحيح رواه أحمد في مسنده ، والبيهقي  
في شعب الإيمان ، وابن أبي شيبة في المصنف . والخيانة : ضد الأمانة . يعني أن هذين لا يكون  
كل منهما طبيعة مخلوقة في المؤمن مطلقاً ؛ لأن المؤمن جبلة وفطرته سليمة ، وهاتان الخصلتان  
في غاية القبح . (١٠) الجبن : عدم الإقدام للخوف .

(١١) عليها علامة الصحة في أ ، وأمامها في هامشه : الشريفة .

## فصل ۱۱

[ في بيان أصول هذه الأخلاق وتحقق وصف النبي بها<sup>(۱)</sup> ]

أما أصلُ فروعها<sup>(۲)</sup> ، وعنصرُ بناييعها<sup>(۳)</sup> ، ونقطةُ دائرتها - فالعقلُ الذي منه ينبعث<sup>(۴)</sup> العلمُ والمعرفةُ ، ويتفرّع عن هذا ثقبُ<sup>(۵)</sup> الرأي ، وجودةُ الفطنة<sup>(۶)</sup> ، والإصابةُ ، وصدقُ الظنِّ ، والنظرُ للعواقبِ ومصالحِ النفسِ ، ومجاهدةُ الشهوة<sup>(۷)</sup> ، وحسنُ السياسةِ والتدبيرِ ، واقتناءُ الفضائلِ<sup>(۸)</sup> ، وتجنبُ الرذائلِ .

وقد أشرنا إلى مكانه<sup>(۹)</sup> منه عليه السلام ، وبلوغه منه ومن العلمِ الغايةَ التي لم يبلغها بشرٌ سواه ، وإذ جلاله محله من ذلك ، ومما تفرّع منه<sup>(۱۰)</sup> - متحقق<sup>(۱۱)</sup> عند من تتبّع مجارى أحواله<sup>(۱۲)</sup> ، وأطراد سيره ، وطالعَ جوامعِ كلامه<sup>(۱۳)</sup> . وحسنَ شمائله ، وبدائعِ سيره ، وحِكَمِ حديثه ، وعلمه بما في التوراة والإنجيل والكتبِ المنزلة ، وحِكَمِ الحكماءِ ، وسيرِ الأممِ الخالية<sup>(۱۴)</sup> ، وأيامها<sup>(۱۵)</sup> وضربِ الأمثالِ ،

(۱) هذا الفصل معقود لبيان أصول الأخلاق صريحاً، والإشارة إلى جميعها تلويحاً؛ لتحقيق وصفه صلى الله عليه وسلم بها توضيحاً .

(۲) فروعها : أى الأخلاق . (۳) عنصر : أصل . (۴) ينبعث : ينشأ ويخرج .

(۵) ثقبُ الرأي : نفاذُ الرأي فيما يفكر فيه ويدرك به عواقب الأمور .

(۶) الفطنة : الحدق ، وحسن الفهم .

(۷) مجاهدةُ الشهوة : مداومتها وممانعتها عما تريده ؛ فإنه جهادٌ أكبر .

(۸) اقتناءُ الفضائلِ : اكتسابها والتحلى بها .

(۹) إلى مكانه منه : إلى مكانِ النبي ومحلّه من كمالِ العقل .

(۱۰) ما تفرّع منه من الأخلاق الشريفة وثمراتها . (۱۱) هذا فى ا ، ب .

(۱۲) مجارى أحواله : المراد ما جرت به عادته فى أحواله .

(۱۳) جوامع كلامه : الكتب الجامعة للحديث الشريف . أو كلماته الجامعة للحكم التي

تتجيز فيها عقول البلغاء والحكماء .

(۱۴) الخالية : الماضية . (۱۵) وأيامها : أى وقائعها فى حروبها ومجادلاتها .

وسياسات الأنام<sup>(١)</sup>، وتقرير الشرائع، وتأصيل الآداب<sup>(٢)</sup> النفيسة، والشيم الحميدة<sup>(٣)</sup> إلى فنون العلوم التي اتخذ أهلها كلامه عليه السلام فيها قدوة، وإشاراتِه حجة؛ كالعبارة<sup>(٤)</sup>، والطب، والحساب، والفرائض، والنسب<sup>(٥)</sup>، وغير ذلك مما سنبيته في معجزاته إن شاء الله، دون تعليم ولا مدارس<sup>(٦)</sup>، ولا مطالعة كتب من تقدم، ولا الجلوس إلى علماءهم؛ بل نبي أمي<sup>(٧)</sup> لم يعرف بشيء [٣٣] من ذلك، حتى شرح الله صدره، وأبان أمره، وعلمه، وأقرأه<sup>(٨)</sup>، يعلم ذلك<sup>(٩)</sup> بالمطالعة والبحث عن حاله ضرورة، وبالبرهان القاطع على نبوته نظراً؛ فلا تطول بسرد<sup>(١٠)</sup> الأقاويص، وآحاد القضايا؛ إذ مجموعها مالا يأخذه حصر، ولا يحيط به حفظ جامع، وبحسب عقله كانت مآرغه صلى الله عليه وسلم إلى سائر ما علمه الله تعالى، وأطلع عليه من علم ما يكون وما كان، وعجائب قدرته، وعظيم ملكوته<sup>(١١)</sup>، قال تعالى<sup>(١٢)</sup> : ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ

(١) الأنام : الخلق .

(٢) وتأصيل : وتأسيس؛ أي بيان أصول الآداب التي تتأدب بها الناس في مجالسهم ومحاوراتهم .

(٣) والشيم الحميدة : الشيم : جمع شيمة ؛ وهي العادة ، والخلق .

(٤) العبارة : المراد تعبير الرؤيا . وفي ١ : العبادة - بالدال .

(٥) الفرائض : علم يعرف به أحوال الموارث . والنسب : معرفة أنساب الناس .

(٦) ولا مدارس : أي لم يعرفه بأخذه من الأفواه وحفظه لشيء من العلوم عن غيره .

(٧) الأمي : منسوب إلى الأم ؛ لأنه كيوم ولدته أمه : من غير قراءة وكتابة ؛ أو إلى أم

القرى . أو أمة العرب ؛ لأن القراءة والكتابة كانت عزيزة فيهم . والأمي : الذي لا يكتب ولا يقرأ الكتب .

(٨) أقرأه : أقدره على القراءة بما أوحاه إليه بواسطة الملك ؛ إذ قال الله له : اقرأ وربك الأكرم . . .

(٩) يعلم ذلك : أي ما بلغه صلى الله عليه وسلم من العقل والعلم من غير تعلم .

(١٠) السرد : تعداد أمور من القصص ونحوها متتابعة متوالية .

(١١) المراد ما أطلع الله عليه في الإسراء من خلق الملائكة والسموات وإقداره على ذلك

في برهة من الزمن . (١٢) سورة النساء ، آية ١١٣



تَكُنْ تَعْلَمُ ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا <sup>(١)</sup> .  
حَارَتِ الْعُقُولُ فِي تَقْدِيرِ <sup>(٢)</sup> فَضْلِهِ عَلَيْهِ ، وَخَرِسَتِ الْأَلْسُنُ دُونَ وَصْفِ يَحِيطُ  
بِذَلِكَ أَوْ يَنْتَهِي إِلَيْهِ .

## ١٢ فصل

وَأَمَّا الْحِلْمُ <sup>(٣)</sup> وَالْإِحْتِمَالُ ، وَالْعَفْوُ مَعَ الْقُدْرَةِ ، وَالصَّبْرُ عَلَى مَا يُكْرَهُ ؛ وَبَيْنَ  
هَذِهِ الْأَقْبَابِ فَرْقٌ ، فَإِنَّ الْحِلْمَ حَالَةٌ تَوْقُرُ <sup>(٤)</sup> وَثَبَاتٌ عِنْدَ الْأَسْبَابِ الْمَحْرُكَاتِ <sup>(٥)</sup> .  
وَالْإِحْتِمَالُ <sup>(٦)</sup> : حَبْسُ النَّفْسِ <sup>(٧)</sup> عِنْدَ الْأَلَامِ وَالْوُؤْدِيَّاتِ . وَمِثْلُهَا الصَّبْرُ ، وَمَعَانِيهَا  
مُتَنَارِبَةٌ .

وَأَمَّا الْعَفْوُ فَهُوَ تَرْكُ الْمُؤَاخَذَةِ <sup>(٨)</sup> .  
وَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا أَدَّبَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ <sup>(٩)</sup> : ﴿ خُذِ  
الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ <sup>(١٠)</sup> ۝ ﴾ .  
رَوَى <sup>(١١)</sup> أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ سَأَلَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ  
السَّلَامُ عَنْ تَأْوِيلِهَا <sup>(١٢)</sup> ، فَقَالَ لَهُ : حَتَّى أَسْأَلَ الْعَالِمَ <sup>(١٣)</sup> .

- (١) أَي عَمَلِكَ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ شَأْنِكَ وَمِمَّا لَمْ يَكُنْ فِي قُدْرَتِكَ عَلَيْهِ .
- (٢) فَضْلُهُ عَلَيْهِ الْمَذْكُورُ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ .
- (٣) الْحِلْمُ : ضَبْطُ النَّفْسِ وَالطَّبْعِ عِنْدَ هَيْجَانِ الْغَضَبِ وَعَدَمُ إِظْهَارِهِ .
- (٤) تَوْقُرُ : إِظْهَارُ الْوَقَارِ ، وَهُوَ السُّكُونُ . (٥) الْأَسْبَابُ الْمَحْرُكَاتُ ، كَالغَضَبِ مِثْلًا .
- (٦) ضَبَطَتِ اللَّامُ فِي بٍ بِالْفَتْحَةِ وَالضَّمَّةِ وَعَلَيْهَا « مَعَا » .
- (٧) الْمُرَادُ بِحَبْسِ النَّفْسِ ضَبْطُهَا حَتَّى تَخْضَعَ لِسُلْطَانِ الْعَقْلِ وَتَطْمَئِنَّ لِمَا يَأْمُرُهَا بِهِ .
- (٨) الْمُؤَاخَذَةُ : الْجُزَاءُ عَلَى مَا فَعَلَ غَيْرَهُ . (٩) سُورَةُ الْأَعْرَافِ ، آيَةٌ ١٩٩ .
- (١٠) الْعَفْوُ : الْمَسَاهَلَةُ وَالْمَسَاحَةُ . وَالْعُرْفُ : الْمَعْرُوفُ . وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ : بِتَرْكِ الْمَقَابِلَةِ .
- (١١) هَذَا الْحَدِيثُ - كَمَا قَالَ السِّيُوطِيُّ - رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، وَأَبُو الشَّيْخِ ، فِي تَفْسِيرِهِمْ .
- (١٢) عَنْ تَأْوِيلِهَا : عَنْ تَفْسِيرِهَا .
- (١٣) يَعْنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

ثم ذهب فأتاه<sup>(۱)</sup> ، فقال : يا محمد ، إن الله يأمرك أن تصل من قطعك ،  
وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك .

وقال له<sup>(۲)</sup> : ﴿ واصبر على ما أصابك ، إن ذلك من عزم الأمور ﴾ .

وقال تعالى<sup>(۳)</sup> : ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ .

وقال<sup>(۴)</sup> : ﴿ وابعفوا وليصغحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ، والله غفورٌ

رحيم ﴾ .

وقال<sup>(۵)</sup> : ﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾<sup>(۶)</sup> .

ولا خفاء بما يؤثر<sup>(۷)</sup> من حمله واحتماله ، وأن كل حلیم قد عرفت منه زلة<sup>(۸)</sup> ،  
وحفظت عنه هفوة<sup>(۹)</sup> ، وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبرا ،  
وعلى إسراف الجاهل<sup>(۱۰)</sup> إلا حلما .

حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن علي التتلي<sup>(۱۱)</sup> وغيره ، قالوا : حدثنا محمد  
ابن عتاب ، حدثنا أبو بكر بن وafd<sup>(۱۲)</sup> القاضي وغيره ، حدثنا أبو عيسى ، حدثنا

(۱) في ب : ثم أتاه .

(۲) سورة لقمان ، آية ۱۷ . من عزم الأمور ؛ أي مفروضاتها وواجباتها التي لا رخصة  
في إهمالها لأرباب كمالها .

(۳) سورة الأحقاف ، آية ۳۵ ، وأولو العزم : أصحاب الثبات والحزم من الرسل .

(۴) سورة النور ، آية ۲۲ (۵) سورة الشورى ، آية ۴۳

(۶) لمن عزم الأمور : من أهم الأمور التي ينبغي التصميم والعزم عليها .

(۷) يؤثر : ينقل ويروى من حمله وتحمله للأذى ، فإنه شائع غير خفي على أحد .

(۸) الزلة : السقطة والخطيئة . (۹) هفوه : سقطة .

(۱۰) المراد بالجاهل هنا السبيء الخلق المجازف في أموره ، فهو خلاف الحلم . والإسراف :

الزيادة ومجاوزة الحد .

(۱۱) في ا : التتلي . والتتلي في ب ، عليها علامة الصحة . وقال القاري ( ۱ - ۲۳۶ ) :

وقع في بعض النسخ بالشاء المثناة والعين المهملة ؛ وهو تصحيف في البني وتحريف .

(۱۲) بالفاء ، وعليها علامة الصحة في ا ، ب .

عُبَيْدِ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ ، عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ (۱) : مَا خَيْرَ رَسُولٍ لَللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَمْرٍ قَطُّ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا (۲) مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا ، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا (۳) كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ (۴) إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى ، فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ (۵) بِهَا .

وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا كَسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ (۶) وَشَجَّ وَجْهُهُ (۷) يَوْمَ أُحُدٍ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ شَدِيدًا ، وَقَالُوا : لَوْ دَعَوْتَ عَلَيْهِمْ ! فَقَالَ : إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ لَعَانًا (۸) ، وَلَكِنِّي بَعِثْتُ دَاعِيَا وَرَحْمَةً (۹) . اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .  
وَرَوَى عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (۱۰) أَنَّهُ قَالَ فِي بَعْضِ (۱۱) كَلَامِهِ : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ (۱۲) ! لَقَدْ دَعَا نُوحٌ عَلَى قَوْمِهِ ، فَقَالَ : رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ

(۱) الحديث في الموطأ : ۹۰۳ ، والبخارى : ۴ - ۲۳۰ ، ومسلم : ۱۸۱۳

(۲) في هذا الحديث الأخذ بالأسهل والأرفق . ما لم يكن حراماً أو مكروهاً .

(۳) أى موجب إثم من حرام أو مكروه .

(۴) أى لا يعاقب أحداً بتقصير وقع منه في حقه هو .

(۵) حرمة الله : ما حرمه وجعله محرماً ممنوعاً . وانتهاكه : التعدي والتجاوز فيه .

والحديث في صحيح مسلم : ۱۸۱۳ ، ۱۸۱۴

(۶) رباعيته : سن بين الثنية والناصية . والرباعيات أربع . وقد كسرها عتبة بن أبي وقاص .

(۷) شج وجهه : الشجوة : جراحة في الوجه أو الرأس . وقد شججه عبد الله بن شهاب

الزهري .. وارجع في تفصيل ذلك إلى سيرة ابن هشام : ۳ - ۲۷ ، ۲۸ إن أردت .

(۸) لعانا : داعياً على الناس بالطرد والبعد عن رحمة الله .

(۹) داعياً ورحمة : أى داعياً للناس إلى الله ، ورحمة للناس أجمعين ، بإخراجهم من

الكفر للإيمان ، وتأخير العذاب عنهم كفر؛ لا يطردهم عن رحمة الله ، وإبعادهم عنه . والحديث

في صحيح مسلم : ۲۰۰۶ ، وصحيح البخارى : ۸ - ۱۵

(۱۰) قال السيوطي : إن هذا لا يعرف عن عمر في شيء من كتب الحديث .

(۱۱) أى حين رأى ما أصابه صلى الله عليه وسلم من كسر رباعيته وشججه في غزوة أحد .

(۱۲) معناه : إني أجمل أبوي فداءً دونك وأبذلها في حمايتك .

الكافرين دياراً<sup>(۱)</sup> . ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا<sup>(۲)</sup> ، فلقد  
وطئ ظهرك ، وأدمى وجهك<sup>(۳)</sup> ، وكسرت رباعيتك ، فأبيت أن تقول إلا خيراً ،  
فقلت : اللهم اغفر لقومي ، فإنهم لا يعلمون .

قال القاضي أبو الفضل<sup>(۴)</sup> وفقه الله : انظر في هذا القول من جماع<sup>(۵)</sup> الفضل ،  
و درجات الإحسان ، وحسن الخلق ، وكرم النفس ، وغاية الصبر [ ۳۴ ] والحلم ،  
إذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا عنهم ، ثم أشفق<sup>(۶)</sup>  
عليهم ورحمهم ، ودعا وشفع لهم ، فقال : اغفر ، أو اهد ، ثم أظهر سبب الشفقة  
والرحمة بقوله : لتوئى<sup>(۷)</sup> ، ثم اعتذر عنهم بجهلهم ، فقال : فإنهم لا يعلمون .  
ولما قال له الرجل<sup>(۸)</sup> : اعدل ، فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله - لم يزد  
في جوابه أن بين له ما جهله .

ووعظ نفسه ، وذكرها<sup>(۹)</sup> بما قال له ، فقال : ويحك<sup>(۱۰)</sup> ! إن لم أعدل  
خبثت وخسرت<sup>(۱۱)</sup> ! إن لم أعدل ! ونهى من أراد من أصحابه<sup>(۱۲)</sup> قتله .

- (۱) لاتذر : لاتترك . ديارا : أحدا . ( سورة نوح ، آية ۲۶ ) .  
(۲) لهلكنا من عند آخرنا : المراد لهلكنا من أولنا إلى آخرنا ؛ أى جميعنا .  
(۳) أدمى وجهك : جرح وجهك وسال منه الدم . ( ۴ ) هو المؤلف .  
(۵) جماع الفضل : ما يجمع كل فضل . ( ۶ ) أشفق عليهم : أبدى شفقتهم ورحمتهم لهم .  
(۷) فإن الطبع البشرى يقتضى العطف والحنو على الأهل والأقارب بأى حال كانوا .  
(۸) هو ذو الحويصرة التميمي ، وهو حرقرقص بن زهير . وفي صحيح البخارى : هو  
عبد الله بن ذى الحويصرة التميمي . قال في نسيم الرياض : الصواب أن والده هو القائل .  
وهو حديث صحيح رواه مسلم : ۷۳۹ ، وأبو داود : ۲ - ۱۸۵ ، والبخارى : ۸ - ۴۷ .  
وأخرجه البيهقي أيضا . ( ۹ ) أي عدل عن وعظ القائل إلى وعظ نفسه ؛ وهو نهاية الحلم .  
(۱۰) ويح : كلمة ترحم وتوجع لمن وقع فيما لا يرضى . أو كلمة مدح وتعجب . فترحم له  
لما خالف رضاء الله تعالى عليه ، أو تعجب من صدور مثله من مسلم .  
(۱۱) ضببت التاء في « خبت » ، و « خسرت » - بالضم والفتح ، في ا ، ب ، و طى كل  
منها في النسختين « معا » . وفي هامش ا : الصواب بالفتح .  
(۱۲) عمر بن الخطاب هو الذى أراد قتله وقيل : خالد بن الوليد .

ولما تصدَّى (۱) له غورث بن الحارث ليفتك به (۲) ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُنتَبِذٌ (۳) تحت شجرةٍ وحده قائلًا ، والناسُ قائلون (۴) ، في غزاةٍ ، فلم ينتبه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو قائم والسيف صلتاً (۵) في يده ، فقال : مَنْ يَمْنَعُكَ مني ؟ فقال : الله . فسقط السيفُ من يده ، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : مَنْ يَمْنَعُكَ مني ؟ قال : كُنْ خَيْرَ آخِذٍ (۶) ، فتركه وعفا عنه . فجاء إلى قومه فقال : جئْتُكم من عند خَيْرٍ (۷) الناسِ .

وَمِنْ عَظِيمِ خَيْرِهِ فِي الْعَنْوِ عَنُوهُ عَنِ الْيَهُودِيَّةِ (۸) الَّتِي سَمَّتهُ فِي الشَّاةِ بَعْدَ اعْتِرَافِهَا - عَلَى الصَّحِيحِ مِنَ الرَّوَايَةِ . وَأَنَّهُ لَمْ يُوَاخِذْ لَبِيدَ بْنَ الْأَعْصَمِ (۹) إِذْ سَجَرَهُ ، وَقَدْ أَعْلَمَ بِهِ وَأَوْحَى إِلَيْهِ بِشَرْحِ أَمْرِهِ ، وَلَا عَتَبَ عَلَيْهِ فَضْلاً عَنِ مَعَاقِبَتِهِ .

وَكذَلِكَ لَمْ يُوَاخِذْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ (۱۰) أَبِي وَأَشْبَاهَهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بِعَظِيمِ مَا نُقِلَ عَنْهُمْ فِي جِهَتِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا ؛ بَلْ قَالَ لِمَنْ أَشَارَ بِقَتْلِ (۱۱) بَعْضِهِمْ : لَا يُتَحَدَّثُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ .

(۱) تصدى : تعرض .

(۲) هذه القصة كانت في غزوة ذات الرقاع في السنة الرابعة من الهجرة .

(۳) منتبذ : جالس في ناحية منفرد .

(۴) قائلًا : أي مستريحًا في وقت القيولة ، وهي وسط النهار إذا اشتد الحر .

والناس قائلون : أي كل منهم في قيولة منفردًا عن أصحابه .

(۵) صلتًا : مسلولا مجردًا من غمده .

(۶) غير آخذ : أي خير رجل أخذ خصمه وتمكن منه فتركه عليه ، أي متصفا بالحلم

والعفو والكرم . (۷) صحيح مسلم : ۱۷۸۶ ، والبخاري : ۵ - ۱۴۷ ، ۴ - ۴۸

(۸) هي زينب بنت الحارث بن سلام ، وحديثها في « أبو داود » : ۲ - ۱۵۹

(۹) هو رجل من بني زريق ، وهم بطن من الأنصار وحديث هذا السحر في البخاري : ۷ - ۱۷۶

(۱۰) كان رأس المنافقين . (۱۱) هو عمر بن الخطاب .

وعن أنس رضي الله عنه<sup>(١)</sup> : كنتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم، وعليه بُردٌ<sup>(٢)</sup> غليظ الحاشية، فجبَّذَه الأعرابي<sup>(٣)</sup> بردائه جبَّذَةً شديدة حتى أثرت حاشية البُرْدِ في صفحة عاتقه<sup>(٤)</sup>، ثم قال : يا محمد، أحمِلْ لي على بعيري هذين من مالِ الله الذي عندك، فإنك<sup>(٥)</sup> لا تحمِلُ لي من مالكَ ومالِ أبيك .

فسكت النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال : المالُ مالُ الله، وأنا عبده<sup>(٦)</sup>، ثم قال : ويُقَادُ<sup>(٧)</sup> منك يا أعرابي ما فعلتَ بي . قال : لا . قال : لمَ؟ قال : لأنك لا تكفي بالسيئة السيئة .

فضحك النبي صلى الله عليه وسلم؛ ثم أمر أن يُحمَلَ له على بعير شعير، وعلى الآخر تمر .

قالت عائشة رضي الله عنهما : مارأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم منتصرا<sup>(٨)</sup> من مظالمه ظلمها قطُّ ما لم تكن حُرمةً من محارم الله . وما ضرب بيده شيئا قطُّ إلا أن يُجاهِدَ في سبيل الله وما ضرب خادما قطُّ ولا امرأة .

- 
- (١) قال السيوطي : هذا الحديث رواه الشيخان إلى قوله الآتي : من مال الله الذي عندك . قال : فضحك وأمر له بعطاء . وأخرجه بلفظ المصنف البيهقي في الأدب من حديث أبي هريرة . وارجع إلى الحديث أيضا في سنن النسائي : ٨ - ٣٠ ، وأبو داود : ٢ - ١٨٥ .
- (٢) برد : كساء كانت العرب تلتحف به . والحاشية : جانب الثوب .
- (٣) جبَّذَه : جذبَه . وفي ب : أعرابي .
- (٤) صفحة عاتقه : الصفحة : الجانب . والعاتق : ما بين العنق والكتف .
- (٥) لا تحمِلُ لي : لا تعطيني .
- (٦) وأنا عبده : أتصرف في ماله بإذنه، وأعطى من يأمرني بإعطائه . وهذا اللفظ رد .
- (٧) يقاد منك : ويقتص منك؛ والمراد تجازي على ترك أدبك .
- (٨) منتصرا : منتقما وناصر النفسه على غيره .

وجيء إليه برجل<sup>(١)</sup>، فقيل: هذا أراد أن يقتلك. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:  
 لن تُرَاعَ، لن تُرَاعَ<sup>(٢)</sup>، ولو أردتَ ذلك لم تسلطَ عليَّ<sup>(٣)</sup>.  
 وجاءه زيد بن سَعْنَةَ<sup>(٤)</sup> قبل إسلامه يتقاضاه ديناً عليه، فجبَذَ ثوبه عن منكبِهِ،  
 وأخذ بمجامع ثيابه، وأغلظ له، ثم قال: إنكم، يا بني عبد المطلب، مُطَّل<sup>(٥)</sup>،  
 فانتهره<sup>(٦)</sup> عُمر، وشدَّد له في القول، والنبي صلى الله عليه وسلم يتسم.  
 فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: أنا وهو كُنَّا إلى غير<sup>(٧)</sup> هذا أُخْوج منك  
 يا عمر، تَأْمُرني بِحُسْنِ القضاء، وتَأْمُرهُ بِحُسْنِ التقاضى<sup>(٨)</sup>.  
 ثم قال: لقد بقيَ من أَجَلِهِ ثلاثٌ، وأمر عُمرَ بِقَضِيهِ<sup>(٩)</sup> ماله ويزيده عشرين  
 صاعاً لما رَوَّعَهُ<sup>(١٠)</sup>؛ فكان سببَ إسلامه.

(١) قال السيوطي: هذا الحديث أخرجه أحمد، والطبراني بسند صحيح؛ ولم يسمي الرجل.  
 (٢) لن ترَاع: أى لا تخف منى ولا من غيرى، وكرره ليطمئن قلبه. والروع: الخوف  
 والفرع.

(٣) لم تسلط على: لأن الله عصمى، فلن ينالني ما أردته أنت ولا غيرك.  
 (٤) هو جبر من أحبار اليهود. وفي ب: سَعْنَةَ، وسَعِيَّة، وعليها «معا». وفي ا: سَعِيَّة،  
 وفوقها «معا» أيضاً. وفي هامشه: سَعْنَةَ - بالنون، وكان من أحبار يهود، وبنو سَعِيَّة -  
 بالياء باثنتين: من أهل الكتاب أيضاً.

وأسيد بن سَعِيَّة منهم، رويت عنه المغازى، وهو من أسلم، وعنه يروى ابن إسحاق.  
 ويقال في زيد بن سَعِيَّة - بالياء أيضاً، والدارقطنى ذكره بالنون.  
 (٥) مطَّل: جمع ماطل، ومطول. والمطل: التطويل في تأخير الحق، أو خالف الوعد  
 فيه مراراً، والتسويق في العدة والدين.

(٦) انتهره: زجره، والانتهار: الإغلاظ في القول مع صياح.

(٧) إلى غير هذا: أى غير هذا المقال.

(٨) بحسن التقاضى: الطاب بلطف.

(٩) فى ب: يقضيه - بكسر الضاد، وبتشديده.

(١٠) لما روعه: أى لأجل ترويع عمر وتخويفه له.

وذلك أنه كان يقول<sup>(١)</sup> : ما بقي من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في<sup>(٢)</sup> محمد إلا اثنتين لم أخبرهما<sup>(٣)</sup> : يسبق حِلْمُهُ جهله [٣٥] ، ولا تزيده شدة الجهل إلا حِلْمًا . فاخبره<sup>(٤)</sup> بهذا ، فرجده كما وُصِف .

والحديث عن حِلْمِهِ عليه السلام وصَبْرِهِ وَعَفْوِهِ عند القدرة<sup>(٥)</sup> أكثر من أن نأتى عليه ، وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة إلى ما بلغ متواتراً مبلغ اليقين : من صبره على مقاساة<sup>(٦)</sup> قريش ، وأذى الجاهلية<sup>(٧)</sup> ، ومصابرته الشدائد الصعبة معهم إلى أن أظفروه<sup>(٨)</sup> الله عليهم ، وحكّمه فيهم ، وهم لا يشكّون في استئصال شأفتهم<sup>(٩)</sup> ، وإبادة خضرائهم<sup>(١٠)</sup> ؛ فإزاد على أن عفا وصفح ، وقال : ما تقولون<sup>(١١)</sup> أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ؛ أخ كريم ، وابن أخ كريم ، فقال : أقول كما قال أخى يوسف : لا تثريب<sup>(١٢)</sup> عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، اذهبوا فأنتم الطلقاء<sup>(١٣)</sup> .

- (١) كان يقول : الذي كان يقول هو يزيد بن سعة اليهودي المتقدم . (٢) في ب : من .  
 (٣) لم أخبرهما : لم أعرفها . (٤) في ب : فاخبرته بهذا فوجدته كما وصف .  
 (٥) في ب : القدرة . (٦) مقاساة قريش : المقاساة : معالجة أمور صعبة شاقة بحيث لا يتحمل مثلها ، وهذا في أول بعثه .  
 (٧) وأذى الجاهلية : أى أذى أهل الجاهلية ، وهم الكفار . (٨) في ب : أظفروه .  
 (٩) استئصال شأفتهم : الاستئصال : قطع الشيء من أصله وإزالته بالكلية . والشأفة : قرحة تخرج في أصل القدم فتكوى فتذهب . والمراد : إهلاكهم أجمعين .  
 (١٠) وإبادة خضرائهم : الإبادة : الإهلاك . والحضرة كالسواد تطلق على الناس والقوم .  
 والمراد هلاكهم جميعاً ، وتفريق جمعهم . والمعنى أنه صلى الله عليه وسلم ظفر بهم في حال تيقنوا هلاكهم بأسرهم بحيث لا يبقى منهم أحد . (١١) ما تقولون : ماتظنون .  
 (١٢) سورة يوسف ، آية ٩٢ . والتثريب : التعمير والتوبيخ ؛ أى لا أوبخكم وأعيركم بما ينجالكم . أو لا عتب عليكم .  
 (١٣) الطلقاء : جمع طليق ، وهو الأسير يطلق ويخلى سبيله . وقد قال النبي هذا القول لما فتح مكة . وارجع - فى ذلك - إلى سيرة ابن هشام : ٤ - ٣٢ إن أردت .



وقال أنس : هبط ثمانون رجلا من التنعيم <sup>(١)</sup> صلاة الصبح لِيَقْتُلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخَذُوا ، فَأَعْتَبَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى <sup>(٢)</sup> : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِيَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ <sup>(٣)</sup> ، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ .

وقال لأبي سفيان - وقد سبق إليه بعد أن جاب إليه الأحزاب <sup>(٤)</sup> ، وقتل عمه وأصحابه ومثّل بهم <sup>(٥)</sup> ؛ فعفا عنه ، ولاطفه في القول : وَيَحْكُ يَا أبا سفيان ! أَلَمْ يَأْنِ <sup>(٦)</sup> لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ : فقال : يَا أَبِى أَنْتَ وَأُمِّى ! مَا أَحْلَمَكَ وَأَوْصَلَكَ وَأَكْرَمَكَ ؟

وكان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبعدَ الناسِ <sup>(٧)</sup> غضبا ؛ وأسرعهم <sup>(٨)</sup> رِضًا ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ .

(١) التنعيم : موضع على أربعة أميال من مكة ، وهو طرف الحرم من جهة المدينة .

(٢) سورة الفتح ، آية ٢٤

(٣) بطن مكة : الحديبية . أظفركم عليهم : أظهركم ونصركم عليهم .

قال السيوطي : وحديث أنس هذا رواه مسلم والترمذي وأبو داود .

(٤) جلب : ساق وجمع . الأحزاب : جمع حزب : الناس المجتمعة من قبائل شتى للحرب ، وذلك في غزوة الخندق .

(٥) مثل بهم : شوه خلقهم بقطع الأطراف وشق البطن وإخراج القلب ونحوه . وكان قتل عمه في أحد .

وقاتل حمزة هو وحشى بن حرب ، والتي مثات به زوجة أبي سفيان هند ؛ ونسب هذا وذاك لأبي سفيان ؛ لأنه الباعث عليه والسبب لذلك القتال والمهيج له .

(٦) ألم يأن لك : ألم يدن وقت علمك ؟

(٧) أى غضبه بعيد لا يكون منه إلا بعد أمور كثيرة ، بخلاف رضاء فإنه يرضى بأقل شيء .

(٨) فى ١ : وأسرعه ، وعليها علامة الصحة . وفي الهامش أمامها : وأسرعهم ، وعليها علامة الصحة أيضا .

### فصل ١٣

وأما الجودُ والكرمُ ، والسخاءُ والسماحةُ - فمعانيها متقاربة . وقد فرّق بعضهم بينها بفروق ؛ فجعلوا الكرمَ الإنفاقَ بطيبِ النفسِ فيما يعظمُ خطره<sup>(١)</sup> ونفعه ، وسمّوه أيضا حرّية<sup>(٢)</sup> ، وهو ضدُّ النذالة<sup>(٣)</sup> .

والسماحةُ : التجافى<sup>(٤)</sup> عما يستحقُّ المرءُ عند غيره بطيبِ نفسٍ ، وهو ضدُّ الشكاسة<sup>(٥)</sup> .

والسخاءُ : سهولةُ الإنفاقِ ، وتجنُّبُ اكتسابِ ما لا يُحمدُ ، وهو الجودُ ، وهو ضدُّ التقدير<sup>(٦)</sup> .

وكان صلى الله عليه وسلم لا يُوازى في هذه الأخلاقِ الكريمةِ ، ولا يُبارى<sup>(٧)</sup> ، بهذا وصفه كلُّ من عرفه .

حدثنا القاضي الشهيد أبو علي الصدّاق رحمه الله ، حدثنا القاضي أبو الوليد الباجي ، حدثنا أبو ذرّ الهروي ، حدثنا أبو الهيثم الكشمي<sup>(٨)</sup> ، وأبو محمد السرخسي ،

(١) يعظم خطره : خطره : قدره ووقعه .

(٢) في نسيم الرياض ( ٢ - ٣٩ ) : أما تسمية الكرم حرية فلأن الحر خلاف العبد ؛ فالحرية الخلاص من منن الناس ، فإذا طوقهم مننه خلصت له الحرية ، لأن الإنسان عبد الإحسان .

(٣) النذالة : الخسة والحقارة ، وهي من لوازم البخل المقابل للكرم .

(٤) التجافى : التباعد والترفع .

(٥) الشكاسة : سوء الخلق . وقيل : البخل . وفي هامش ب : أى صعب الخلق .

(٦) التقدير : التضييق في الإنفاق . قال الشهاب ( ٢ - ٤٠ ) : واعلم أن كلام المصنف هنا

غير موافق للغة ولا للعرف ، ولا أدري من أين أخذه ؛ فالمعروف في اللغة أن الجود ضد البخل .

والتقدير : التضييق في الإنفاق ، وهو ضد الإسراف والتبذير .

(٧) لا يوازي : لا يساوى ولا يقابل . ولا يبارى : لا يعارض . والمعارضة : أن تفعل مثل

ما يفعل .

(٨) هذا الضبط في ا ، ب . وضبطه اللباب ، والشهاب ( ٢ - ٤٠ ) بكسر الميم .

وأبو إسحاق البلخي؛ قالوا: حدثنا أبو عبد الله الفربري؛ قال: حدثنا البخاري، قال: حدثنا محمد بن كثير، حدثنا سفيان، عن ابن المنكدر، سمعت جابر بن عبد الله يقول: ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء (١) فقال: لا (٢).

وعن أنس، وسهل بن سعد مثله.

وقال ابن عباس: كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير (٣)، وأجود ما كان (٤) في شهر رمضان، وكان إذا أقيمه جبريل عليه السلام أجود بالخير من الريح (٥) المرسله.

وعن أنس أن رجلاً (٦) سأله فأعطاه غنماً بين جبأين (٧)، فرجع إلى بلده (٨)، وقال: أسلموا؛ فإن محمداً يعطي عطاءً من لا يخشى فاقةً (٩). وأعطى غير واحد (١٠).

(١) عليها علامة الصحة في ١، وفي هامشه: شيئاً وعابها «صح»، و«معا». وفي هامش ب: قال المزني: المعروف شيئاً.

(٢) صحيح مسلم: ١٨٠٥، وفيه: شيئاً.

(٣) بالخير: أي بما فيه نفع للناس.

(٤) في ب: ما يكون. وفي هامشه: ما كان. وفي هامش ب: أجود بالرفع، بل يتعين، وليس للتعجب وجه مستقيم، ذكره ابن الحاجب رحمه الله.

(٥) إرسال الرياح: إطلاقها بإذن الله. والحديث في صحيح مسلم: ١٨٠٣، قال: المراد كالريح في إسراعها وعمومها. (٦) هو صفوان بن أمية الجمحي.

(٧) بين جبأين: مائة واديا بين جبأين. والمراد أنها كثيرة، كأنها تملأ ما بين جبأين، والحديث في صحيح مسلم: ١٨٠٦.

(٨) إلى بلده: مكة. (٩) فاقة: فقرا.

(١٠) ممن أعطاهم النبي مائة ناس كثير، منهم أبوسفيان، وابنه معاوية، والحارث بن هشام، وقيل: إنهم يبلغون ستين من المؤلفات قلوبهم.

مائة من الإبل. وأعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة. وهذه كانت حاله (١) صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث.

وقد قال له ورقة بن نوفل (٢): إنك تحمل الكلال وتكسب المعدوم.

ورد على هوازن سبأياشا، وكانوا ستة آلاف.

وأعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله.

وحمل إليه تسعون ألف درهم، فوضعت على حصير، ثم قام إليها يقسمها، فمرد سائل حتى فرغ منها.

وجاءه رجل، فسأله، فقال: ما عندي شيء، ولكن ابتع (٣) علي، فإذا [٣٦] جاءنا شيء قضيناها...

فقال له عمر: ما كلفك الله ما لا تقدر عليه.

فكرة النبي صلى الله عليه وسلم ذلك. فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله؛ أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالا (٤):

فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم، وعرف البشر في وجهه، وقال: بهذا (٥) أمرت، ذكره الترمذي (٦).

وذكر عن معوذ ابن (٧) عفرأ، قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بتيناع

(١) في ب: خلقه، وعليها علامة الصحة.

(٢) هذا بعض من حديث في صحيح مسلم: ١٤١. والكل: الإعياء والثقل.

(٣) ابتع: اشتر، واستاف مقدار ما تختاره حوالة علي. والمراد اشتر بمن يكون ذلك

التمن علي وفي ذمتي. (٤) الإقلال: الفقر. وذو العرش: هو الله تعالى.

(٥) بهذا أمرت: أي بالإتفاق من غير مخافة فقر.

(٦) ذكره الترمذي في شمائله.

(٧) في هامش ب: صوابه الربيع بنت... وفي نسيم الرياض (٢ - ٤٨): قال السيوطي:

ذكر هذا الحديث الترمذي في الشمائل، والطبراني، عن الربيع بنت معوذ، وسنده حسن.

من رُطْب - يريد طَبَقًا ، وأَجْرٌ زُغْبٌ <sup>(١)</sup> - يريد قِثَاءً ، فأعطاني مِلءَ كَفِّهِ حَلِيًّا  
وَذَهَبًا .

وقال أنس <sup>(٢)</sup> : كان النبي ﷺ لا يدَّخِرُ شَيْئًا لِنَفْسِهِ .

والتَّخْبِرُ بِجُودِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَرَمِهِ كَثِيرٌ .

وعن أبي هريرة : أتى رجلُ النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم يسأله ، فاستَسَلَفَ <sup>(٣)</sup> له

رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِصْفَ وَسْقٍ <sup>(٤)</sup> ، فجاء الرجلُ يتقاضاه ، فأعطاه وَسْقًا ،

وقال <sup>(٥)</sup> : نِصْفُهُ قِضَاءٌ وَنِصْفُهُ نَائِلٌ <sup>(٦)</sup> .

## فصل ١٤

وأما الشجاعةُ والنجدةُ فالشجاعةُ فضيلةُ قوَّةٍ <sup>(٧)</sup> الغضبِ وانقيادِها للعقلِ ،

(١) وأجر : قِثَاءٌ صغار . والزغب : جمع أزغب ؛ أى ذوات زغب ، أى صغار الريش  
والشعر ؛ فشبه به ما يكون على الفاكهة ونحوها .

(٢) أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد : ٤ - ٥٨٠ ، وقال : قال أبو عيسى : هذا حديث غريب .  
وقد روى هذا الحديث عن جعفر بن سليمان عن ثابت ، عن النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم مرسلًا .

(٣) السلف والقرض بمعنى . (٤) الوسق : ستون صاعًا .

(٥) القائل هو الرسول . (٦) نائل : عطاء .

(٧) فى نسيم الرياض ( ٢ - ٥٠ ) : هذا معنى ما قاله الحكماء فى علم الأخلاق : إن الله  
تعالى ركب فى الإنسان قوَّةً هى مبدأ الإقدام على الأهوال والمهلك لتصوره أن من خاطر بالنفس  
ربما يهلك النفس ، وأنه لا يبنى حذر من قدر ، وهى القوَّة الغضبية الشنيعة . والشجاعة : انقياد  
هذه القوَّة لسلطان العقل والنفس الناطقة ؛ ليكون إقدامها على حسب الروية من غير اضطراب  
حتى يكون فعلها جميلًا محمودًا ؛ وإفراطها التهور وهو الإقدام حيث لا يبنى ؛ وتفریطها الجبن .  
وبهذا عرفت معنى الشجاعة .

والجراءة أعم منها . وفسرها ابن القوطية بالإقدام ؛ وهو تفسير لفظى بالأعم .

والنَجْدَةُ<sup>(١)</sup> : ثقة النفس عند استرسالها<sup>(٢)</sup> إلى الموت حيث يُجْمَدُ فعلها دون خوف .  
 وكان صلى الله عليه وسلم منهما<sup>(٣)</sup> بالمكان الذي لا يُجْهَل ؛ قد حضر المواقف الصعبة<sup>(٤)</sup> ، وفر الكُفَاةُ<sup>(٥)</sup> والأبطالُ عنه غير مرة ، وهو ثابت لا يبرح ، ومقبِل لا يُدِر ولا يتزحزح<sup>(٦)</sup> . وما شجاعٌ إلا وقد أُحصيت له فرّةٌ ، وحُفِظت عنه جولة<sup>(٧)</sup> ، سواه .

حدثنا أبو علي الجيّاني<sup>(٨)</sup> فيما كتب لي<sup>(٩)</sup> ؛ قال : حدثنا القاضي سراج ، حدثنا أبو محمد الأصيلي ، قال : حدثنا أبو زيد الفقيه ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا ابن بشار ، حدثنا غندر ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق : سمع البراء وسأله رجل<sup>(١٠)</sup> : أفررتُم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر .

(١) النجدة : شدة البأس .

(٢) استرسالها : انطلاقها ؛ أي إن الشجاعة جراءة وإقدام يخوض به المهالك ، والنجدة : ثباته على ذلك مطمئنا من غير خوف من أن يقع على الموت أو يقع الموت عليه ، حتى يقضى الله له بإحدى الحسينين : الظفر ، أو الشهادة ؛ فيحيا سعيدا أو يموت شهيدا .

(٣) منها : أي من الشجاعة والنجدة . (٤) المواقف الصعبة : مواضع القتال الشديدة .

(٥) الكفأة : جمع كفى ، وهو الشجاع . (٦) لا يتزحزح : لا يزول عن مقره .

(٧) الجولة : المرة من الجولان في المكان ، وقيل الانكشاف والزوال عن الموقف .

(٨) هذا الضبط في نسيم الرياض ( ٢ - ٥٢ ) . وقال : هو الإمام الحافظ أبو علي النساني

الجياني - بفتح الجيم وتشديد التحتانية ثم ألف ونون وياء : نسبة لبلدة جيان .

وقال القاري في شرحه ( ١ - ٢٥٤ ) : حدثنا أبو علي الجياني - بفتح الحاء المهملة وتشديد

التحتية وفي آخره نون ثم ياء النسبة ، وهو الحافظ النساني . وقيل بكسر الجيم ، والظاهر

أنه تصحيف . (٩) في ب : فيما كتب إلى .

(١٠) هذا الحديث في صحيح البخاري (٤ - ٣٩) ، ورواه مسلم في المغازي ( ١٤٠١ ) ،

والترمذي في سننه : ١٩٩

ثم قال : لقد رأيتُه على بَغْلته البيضاء وأبو سفيان <sup>(۱)</sup> آخِذٌ بِلِجَامِهَا ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبُ ، وَزَادَ غَيْرُهُ : أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ <sup>(۲)</sup> .  
قِيلَ : فَمَا رَأَيْتُ يَوْمَئِذٍ أَحَدًا كَانَ أَشَدَّ مِنْهُ .

وَقَالَ غَيْرُهُ <sup>(۳)</sup> : نَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَغْلَتِهِ .

وَذَكَرَ مُسْلِمٌ - عَنِ الْعَبَّاسِ ، قَالَ <sup>(۴)</sup> : فَلَمَّا اتَّقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكَافِرُونَ وَالْمُسْلِمُونَ وَالْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ ، فَطَفِقَ <sup>(۵)</sup> رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْكُضُ بِبَغْلَتِهِ <sup>(۶)</sup> نَحْوَ الْكَافِرِ ، وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِهَا أَكْفَهَا <sup>(۷)</sup> إِرَادَةَ أَلَّا تُسْرِعَ ، وَأَبُو سَفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِهِ ، ثُمَّ نَادَى : يَا لِلْمُسْلِمِينَ <sup>(۸)</sup> . . . . . الْحَدِيثُ .

(۱) هو أبو سفيان بن العمار بن عبد المطلب ، وهو ابن عم النبي ، وأخوه من الرضاع .  
(۲) هذا الضبط في ب ، ومسلم ، والترمذي . وفي أ - بكسر الباء . قال القاري ( ۱ - ۲۵۶ ) :  
هو بسكون الباء ، مع أنها في أصل الإعراب بالجسر . ومن قرأه بالكسر أراد إخراجها من وزن الشعر .

(۳) أي غير البخاري ، ففي رواية مسلم رواه سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ؛ قال : لما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الأرض ، ثم استقبل بها وجوههم ، وقال : شأهت الوجوه ، فلم يبق أحد منهم حتى امتلأت عيناه من تلك القبضة ترابا ، وهزمهم الله .

ولا شك أن النزول في وقت المحاربة فيه من الشجاعة ما لا يخفى .

(۴) صحيح مسلم : ۱۳۹۸

(۵) طفق : جعل ، وشرع .

(۶) يركض بغلته : يسوقها ويسرع بها ، ويضربها برجله لتسرع . وفي صحيح مسلم : قبل الكفار .

(۷) أكفها : أمنعها من السرعة .

(۸) قال في نسيم الرياض ( ۲ - ۵۷ ) : وهذا الحديث نقله المصنف عن مسلم بالمعنى .

وقيل : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب - ولا يغضب إلا الله - لم يَقمُ لغضبه شيءٌ (۱) .

وقال ابنُ عمر : ما رأيتُ أشجع ، ولا أنجِد ، ولا أجود ، ولا أَرْضى (۲) ، [ ولا أَفْضَلَ ] (۳) مِنْ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

وقال عليٌّ رضي الله عنه : إنا كنا إذا حمى البأس (۴) - ويروى : اشتدَّ البأس - واحمرَّت الحُدق (۵) اتقينا برسولِ الله (۶) ؛ فما يكون أحدٌ أقربَ إلى العدوِّ منه ، ولقد رأيتني يومَ بدرٍ ونحن نلوذُ (۷) بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وهو أقربُ بنا إلى العدوِّ ، وكان من أشدِّ الناسِ يومئذٍ بأساً .

وقيل : كان الشجاعُ (۸) هو الذي يَقْرُبُ منه صلى الله عليه وسلم إذا دنا العدوُّ ، لِقْرُبِهِ منه (۹) .

(۱) في هذا إشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم كان يعتريه الغضب والحدة أحياناً ، ولكن ذلك كان غيرَ على حدودِ الله لا لنفسه .  
ومناسبة هذا لما نحن بصدده من ذكر الشجاعة أن الغضب مقتضٍ للبطش والإقدام ، وهو من نَمَطِها .

وهذا بعض من حديث صحيح في شمائل الترمذي .

(۲) ولا أرضى : ولا أكثر رضا منه . (۳) من ب .

(۴) حمى البأس : المراد اشتد القتال . وفي صحيح مسلم : ۱۴۰۱ : احمر البأس .

(۵) الحُدق : جمع حُدقة ، وهي ما تحت الأُجفان . واحمرارها يكون عند الغضب . والمراد : اشتد القتال ودام مدة .

(۶) اتقينا برسول الله : جعلناه وقاية لنا من العدو ، بأن يتقدم علينا ، فيدفع العدو ونحن خلفه .

(۷) نلوذ : نستتر ونلتجئ إليه .

(۸) هذا الضبط في ب . وفي ضبط العين بالفتحة .

(۹) أي لقرب النبي من العدو .



وعن أنس<sup>(۱)</sup> : كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس ؛ لقد فرغ أهل المدينة ليلة ، فانطلق ناسٌ قبل<sup>(۲)</sup> الصوت ، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً ، قد سبقهم إلى الصوت ، واستبرأ الخبر<sup>(۳)</sup> على فرسٍ لأبي طلحة عُرِي<sup>(۴)</sup> ، والسيفُ [ ۳۷ ] في عنقه ، وهو يقول : لن ترأعوا<sup>(۵)</sup> . وقال عمران بن حصين : ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة<sup>(۶)</sup> إلا كان أول من يضرب .

ولما رآه أبي بن خلف يوم أحد وهو يقول : أين محمد ، لا تنجوتُ إن نجأ<sup>(۷)</sup> . وقد كان يقول<sup>(۸)</sup> للنبي صلى الله عليه وسلم - حين افتدى<sup>(۹)</sup> يوم بدر : عندي فرسٌ أعلفها كل يوم فرقاً من<sup>(۱۰)</sup> ذرةٍ أقتلكَ عليها . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أنا أقتلكَ إن شاء الله .

فلما رآه يوم أحد شد<sup>(۱۱)</sup> أبي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاعترضه رجالٌ من المسلمين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هكذا<sup>(۱۲)</sup> ، أي خلوا

(۱) الحديث في صحيح البخارى : ۸ - ۱۶ ، وسنن ابن ماجه : ۹۲۶

(۲) قبل الصوت : جهته ونحوه . (۳) استبرأ الخبر : وقف على حقيقته .

(۴) عرى : ليس على ظهره شيء ، من سرج أو غيره .

(۵) لن ترأعوا : الروع : الخوف ؛ أي ليس هناك شيء تخافونه .

(۶) كتيبة : جماعة عظيمة من الجيش .

(۷) دعاء على نفسه بالهلاك إن نجأ النبي .

وارجع في هذه الحادثة إلى المغازى للواقدي : ۲۵۱ ، وسيرة ابن هشام : ۳ - ۳۲

(۸) القائل هو أبي بن خلف .

(۹) افتدى : أي افتدى أسيراً له ، وهو ابنه عبد الله . والافتداء : إعطاء الفدية لافتكك

الأسير . (۱۰) الفرق : مكيال يسع ستة عشر رطلاً ( النهاية ) .

(۱۱) شد : عدا وأسرع . (۱۲) هكذا : اتركوا سبيله .

طريقه ؛ وتناول الحربة من الحارث بن الصمة ، فانتفض بها انتفاضةً تطايرُوا عنه  
تطايرَ الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض (١) ، ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم ،  
فطعمه في عنقه طعنةً تدأداً منها (٢) عن فرسه مراراً .

وقيل : بل كسر ضاعاً من أضلاعه ، فرجع إلى قريش يقول : قتلتني محمد ،  
وهم يقولون : لا بأس بك . فقال : لو كان (٣) ما بي بجميع الناس لقتلهم ، أليس قد  
قال : أنا أقتلك ، والله لو بصق على لقتلني . فمات بسرف في قفولهم إلى مكة (٤) .

## فصل ١٥

وأما الحياء والإغضاء : فالحياء (٥) رقةٌ تعترى وجه الإنسان عند فعل  
ما يتوقع كراهته (٦) ، أو ما يكون تركه خيراً من فعله .  
والإغضاء : التغافل (٧) عما يكره الإنسان بطبيعته .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس حياءً ، وأكثرهم عن العورات  
إغضاءً (٨) ؛ قال الله سبحانه (٩) : ﴿ إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَجِئْ مِنْكُمْ ،  
وَاللَّهُ لَا يَسْتَجِئُ مِنَ الْحَقِّ . . . ﴾ الآية .

- (١) انتفض بها انتفاضة : قام بها قومة سريعة . تطايروا : تفرقوا فارين مسرعين . والشعراء :  
ذبابه لها إبرة ( هامش ١ ، ب ) . وفي المغازي : تطاير الشعارير ، والشعارير : جمع الشعراء .  
قال ابن هشام : الشعراء : ذباب صغير له لدغ . وفي النهاية : في الحديث : تطاير الشعر - بضم  
السين وسكون العين ، وهو جمع الشعراء . وروى : الشعارير ، وقياس واحده شعور .  
(٢) تدأداً : تدحرج ، وسقط ، ومال . وقال ابن هشام : تدأداً : يقول تقلب عن فرسه  
فجعل يتدحرج . (٣) في المغازي : لو كان الذي بي بأهل ذي المجاز لما اتوا أجمعون .  
(٤) سرف : اسم جبل قريب من مكة . قفولهم : رجوع الكفار إلى مكة .  
(٥) في ١ : والحياء . (٦) ما يتوقع كراهته : المراد ما من شأنه أن يكرهه .  
(٧) التغافل : المراد التجاوز .  
(٨) العورات : كل ما يقبح إظهاره ، وهو جمع عورة . إغضاء : سكوتا وتجاوزا .  
(٩) سورة الأحزاب ، آية ٥٣

حدثنا أبو محمد بن عتاب ، بقراءتي عليه ؛ قال : حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد ، حدثنا أبو الحسن القاسبي ، حدثنا أبو زيد المرؤزي ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا عبدان ، حدثنا عبدُ الله [مولى أنس] <sup>(۱)</sup> ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، سمعتُ عبدَ الله مولى أنس ، يحدثُ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها <sup>(۲)</sup> . وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه .

وكان صلى الله عليه وسلم لطيفَ البشرة <sup>(۳)</sup> ، رقيقَ الظاهر <sup>(۴)</sup> ، لا يشافه <sup>(۵)</sup> أحداً بما يكرهه حياءً وكرم نفس .

وعن عائشة رضي الله عنهما : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن أحدٍ ما يكرهه لم يقل : ما بال <sup>(۶)</sup> فلان يقول كذا؟ ولكن يقول : ما بال أقوام يصنعون ، أو يقولون <sup>(۷)</sup> كذا ! ينهى عنه ، ولا يسمى فاعله <sup>(۸)</sup> .

وروى أنس أنه دخل عليه رجلٌ به أثر صفرة <sup>(۹)</sup> ، فلم يقل له شيئاً - وكان

(۱) من ب .

(۲) الخدر : البيت أو الستر في جانب البيت ، أو قبة تضرب لها . والحديث في ابن

ماجه : ۱۳۹۹ ، وصحيح مسلم : ۱۸۰۹ ، والبخاري : ۸ - ۳۵

(۳) البشرة : ظاهر جلد الوجه والجسد كاه .

(۴) الظاهر : ما يظهر من بدنه رقيق ، يظهر فيه بسرعته آثار الانفعالات النفسية .

(۵) لا يشافه أحداً : لا يكلم أحداً ولا يواجهه .

(۶) بال : هو الحال والشأن .

(۷) إشارة وكناية عما يكره ، فلا يعين الصانع أو القائل .

(۸) ولا يسمى فاعله : أي بصريح اسمه ، بل يكفى عنه . ونهيه عما أنكره مأخوذ من الاستفهام

الإنكارى ، وسياق الكلام في قوله : ما بال فلان . والحديث في سنن أبي داود : ۲ - ۱۸۶

(۹) المراد بالصفرة لون الورد والزعفران ، يعني أنه كان خضب بذلك فبقى عليه بقية منها .

لا يواجهُ أحداً بما يكره - فلما خرج قال : لو قلتُم له : يغسلُ هذا<sup>(١)</sup> - ويُرَوَى :  
يَنْزَعُهَا<sup>(٢)</sup> .

قالت عائشة في الصحيح<sup>(٣)</sup> : لم يكن النبيُّ صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا مُتَفَحِّشاً<sup>(٤)</sup> ،  
ولا سَخَاباً بالأسواق<sup>(٥)</sup> ، ولا يَجْزِي بالسَيْئَةِ السَيْئَةَ ، ولكن يَمْفُو وَيَصْفَحُ .

وقد حَكِيَ مثلُ هذا الكلام<sup>(٦)</sup> عن التوراة ، ومن رواية [عبدالله]<sup>(٧)</sup> بن سلام ،  
وعبد الله بن عمرو بن العاص .

ورَوَى عنه أنه كان من حَيَاتِهِ لَا يُثَبِّتُ بَصَرَهُ فِي وَجْهِ أَحَدٍ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَكْنِي  
عَمَّا اضْطَرَّه الْكَلَامُ إِلَيْهِ مِمَّا يُكْرَهُ .

وعن عائشة : ما رأيتُ فرَجَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قط .

## فصل ١٦

وأما حُسْنُ عَشْرَتِهِ وَأَدَبُهُ وَبَسْطُ خَلْقِهِ<sup>(٨)</sup> صلى الله عليه وسلم مع أصناف الخلقِ  
فبِحَيْثُ انْتَشَرَتْ<sup>(٩)</sup> به الأخبارُ الصحيحة .

(١) هذا : أى أثر الصفرة والحضاب .

(٢) ينزعها : يزيلها . والشك من الراوى . والحديث في سنن أبي داود : ٢ - ١٨٦

(٣) في الحديث الصحيح المروى عنها ، كما أخرجه البخارى : ٨ - ١٥ ، والترمذى : ٤ - ٣٤٩

(٤) الفحش : كل أمر قبيح ، أو شديد القبح قولاً وفهلاً ، والفاحش : من يصدر  
ذلك عنه . والمتفحش : من يتعمده ويبالغ فيه ؛ والظاهر أن المراد به بداءة اللسان هنا .

(٥) سخاب : من الصخب ، وهو رفع الصوت بمبالغة فيه ؛ وخص الأسواق ، لأنه فيها  
أقبح ، ولأنها محله ، وأما في المنزل ونحوه فلا حاجة إليه . وهو بالسین ، والصاد .

(٦) مثل هذا : الذى قالته عائشة . (٧) من ب .

(٨) بسط خلقه : المراد سعة خلقه . وقد ضبطت الطاء بالضم والكسرة وعليها «معا» في ا .

(٩) انتشرت : كثرت واشتهرت .

قال علي رضي الله عنه [٣٨] في وصفه عليه الصلاة والسلام : كان أوسع الناس صدرا ، وأصدق الناس أهجة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة<sup>(١)</sup> .  
حدثنا أبو الحسن علي بن مشرق<sup>(٢)</sup> الأنماطي فيما أجازنيه ، وقرأته على غيره ، قال : حدثنا أبو إسحاق الحبال ، حدثنا أبو محمد بن النحاس ، حدثنا ابن الأعرابي ، حدثنا أبو داود ، حدثنا هشام أبو مروان ، ومحمد بن المثنى : قالوا : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا الأوزاعي ، سمعت يحيى بن أبي كثير يقول : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زراراة ، عن قيس بن سعد ، قال : زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - وذكر قصة في آخرها<sup>(٣)</sup> : فلما أراد الانصراف قرَّب له سعد حماراً ، وطأ عليه<sup>(٤)</sup> بقطيفة ، فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال سعد : يا قيس ؛ اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال قيس : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اركب ، فأبيت . فقال : إماما أن تركب وإماما أن تنصرف . فانصرفت .

(١) المراد بسعة صدره تحمله صلى الله عليه وسلم مشاق الناس وكثرة تكاليفهم . واللهجة : المراد الكلام . أصل العريكة : السنام ، والمراد أنه أسهل الناس طبعا ، وأنه سلس مطاوع منقاد قليل المخالفة لانهور فيه . وفي ١ : أجود ، وعليها علامة الصحة . وفي هامشه : أوسع ، وعليها «صح» أيضا . (٢) هذا الضبط في ١ ، ب . وهو بالفاء في ميزان الاعتدال : ٣-١٥٦ (٣) هي ما وقع له مع عبد الله بن أبي بن سلول ؛ إذ مر به وهو جالس مع أخطاط المسلمين وغيرهم ، فغشى المجلس غبار دابته صلى الله عليه وسلم ، فحمر ابن سلول أنفه بردائه ، وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتفبروا علينا ، ارجع إلى رحلك ، فمن جاءك منا فاقصص عليه ؛ فاستب المسلمون مع المشركين حتى هموا أن يتواثبوا ، فمنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم ركب دابته حتى دخل على سعد رضي الله عنه ، وذكر ذلك له ، فقال له : يا رسول الله ؛ اعف عنه واصفح ، فلقد اتفق أهل هذه البحيرة على أن يعصبوه ، فلما رد الله ذلك بالحق الذي جئت به شرق بذلك ، فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . ( نسيم الرياض : ٢-٧١ ) (٤) وطأ عليه بقطيفة : القطيفة : كساء له وبر وخمل وضعه على ظهر الحمار ليركب عليه .

[ وفي رواية أخرى : اركب أمامي ، فصاحب الدابة أولى بمقدمها ]<sup>(۱)</sup> .  
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ، ولا ينفقهم<sup>(۲)</sup> ، ويكرم كريم  
 كل قوم ويؤليه عليهم ، ويحذر<sup>(۳)</sup> الناس ، ويحترس منهم من غير أن يطوى عن  
 أحد منهم بشره<sup>(۴)</sup> ولا خلقه ؛ يتفقد أصحابه<sup>(۵)</sup> ، ويعطى كل جلسائه نصيبه ،  
 لا يحسب جلساءه أن أحدا أكرم عليه منه . من جالسه أو قاربه لحاجة صابره<sup>(۶)</sup>  
 حتى يكون هو المنصرف عنه ، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها ، أو بميسور<sup>(۷)</sup> من  
 القول ؛ قد وسع الناس بسطه<sup>(۸)</sup> وخلقته ، فصار لهم أباً ، وصاروا عنده في  
 الحق سوا .

بهذا وصفه ابن أبي هالة ؛ قال : وكان دائم البشر<sup>(۹)</sup> ، سهل الخلق ، لين  
 الجانب ، ليس بنظّ ولا غليظ<sup>(۱۰)</sup> ، ولا سخّاب ، ولا فحاش<sup>(۱۱)</sup> ولا عيب ، ولا  
 مدّاح ، يتفاقل عما لا يشبهى ولا يؤيس منه<sup>(۱۲)</sup> .

(۱) ما بين القوسين كتب عليه في ا ، ب : من غير الرواية .

(۲) يؤلفهم : يؤلف المسلمين بإيثارهم ومداراتهم ليزداد إيمان من كان قريب عهد بالإسلام ،  
 وليحس من كان مخلصا بجبره خاطره والتودد إليه .

ولا ينفقهم : أى لا يتأثم بما يصير سبباً لنفورهم .

(۳) فى ا : ويحذر - بتشديد الدال . وفى ا : يحذر - بفتح الياء والذال .

(۴) بشره : بشاشته .

(۵) يتفقد أصحابه : أى من فقدته من أصحابه يسأل عنه أو يزوره ، أو يرسل إليه

من تعهده . (۶) صابره : أى صبر على سؤاله وعلى ذكر حوائجه .

(۷) بميسور من القول : كوعده ، أو تسليته . (۸) بسطه : سرور ظاهره ، وطيب باطنه .

(۹) البشر : طلاقة الوجه وبشاشته ، لا يعبس فى وجه أحد . وابن أبي هالة : هو هند

ربيبته من خديجة . (۱۰) الفظ : الكريه الخلق . والنظّ : ضد الرقة .

(۱۱) سخّاب - بالصاد والسين : كثير الصياح . فحاش : ذا فحش فى قوله أو فعله .

(۱۲) لا يؤيس منه : لا ييأس أحد من فيض جوده وأثر كرمه .

وقال الله تعالى (١) : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا (٢) مِنْ جَوْلِكَ ﴾ .

وقال تعالى (٣) : ﴿ ادْنِعْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ السِّيْتَةِ ، نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ .  
 وكان يُجِيبُ مَنْ دَعَاهُ ، وَيَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَلَوْ كَانَتْ كِرَاعًا (٤) وَيُكْفِي عَلَيْهَا (٥) .  
 قال أنس : خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ ، فَمَا قَالَ لِي أَفَّ قَطُّ (٦) ، وَمَا قَالَ لشيءٍ صَنَعْتُهُ : لَمْ صَنَعْتَهُ ؟ وَلَا لشيءٍ تَرَكْتُهُ : لَمْ تَرَكْتَهُ (٧) ؟  
 وعن عائشة رضي الله عنها : مَا كَانَ أَحَدٌ أَحْسَنَ خُلُقًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَا دَعَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَلَا أَهْلَ بَيْتِهِ إِلَّا قَالَ : لَبَّيْكَ (٨) .  
 وقال جرير بن عبد الله : مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْذُ أُسَلِمْتُ ، وَلَا رَأَى إِلَّا تَبَسَّمَ .

وكان يمازح أصحابه ، وَيُخَالِطُهُمْ وَيُجَادِلُهُمْ ، وَيُدَاعِبُ (٩) صَبِيَّانِهِمْ ، وَيُجْلِسُهُمْ فِي حِجْرِهِ (١٠) ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْحَرِّ وَالْعَبْدِ وَالْأَدَةِ وَالسَّكِينِ ، وَيَعُودُ الْأَرْضِيَّ فِي أَقْصَى (١١) الْمَدِينَةِ ، وَيَقْبَلُ عُدْرَ الْعَتَدْرِ .

(١) سورة آل عمران ، آية ١٥٩

(٢) انفضوا : تفرقوا ولم يجتمعوا عليك ، ولسكنك باين جانبك لهم وشفقتك عليهم تؤلف قلوبهم وتزيد محبتهم .

(٣) سورة المؤمنون ، آية ٩٦

(٤) كراعا : الكراع : ماتحت الركبة إلى الخف والحافر والظاف . وفي هامش ب : الكراع - من الدواب : ما يود الكعب . والمراد أنه يقبل الهدية ولو كانت حقيرة .

(٥) ويكفي عليها : يجازي على الهدية بشيء مثاها أو أكثر .

(٦) أف : كلمة تقال لما يكره ويتضجر منه . وفي مسلم : أفا .

(٧) الحديث في صحيح مسلم ( ١٨٠٤ ) ، وأبو داود : ٢ - ١٨٥

(٨) لبيك : كلمة يجاب بها المنادى . والحديث رواه أبو نعيم في دلائل النبوة بسند واه .

(٩) المداعبة : المازحة مع لعب . ( ١٠ ) هذا في ب . وفي أ : حجزه - بضم الحاء ، والزاي .

وحجر الإنسان - بالفتح والكسر : حوضه وثوبه (اللسان - حجر) . والحجز : الناحية .

(١١) في أقصى المدينة : في أبعد مكان منها .

قال أنس : ما التَّمَّ أَحَدٌ (١) أُذُنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَنْحَى رَأْسَهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَنْحَى (٢) رَأْسَهُ ، وَمَا أَخَذَ أَحَدٌ بِيَدِهِ فَيُرْسِلُ (٣) يَدَهُ حَتَّى يُرْسِلَهَا الْآخِرَ (٤) ؛ وَلَمْ يَرُ مُقَدِّمًا رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ (٥) لَهُ .  
 وَكَانَ يَبْدَأُ مَنْ لَقِيَهِ بِالسَّلَامِ ، وَيَبْدَأُ أَصْحَابَهُ بِالْمُصَافَحَةِ ، وَلَمْ يَرُ قَطُّ مَادًّا رِجْلَيْهِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ حَتَّى يُضَيِّقَ بِهِمَا عَلَى أَحَدٍ . يَكْرَمُ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيْهِ ، وَرَبَّمَا بَسَطَ لَهُ ثَوْبَهُ ، وَيُؤَثِّرُهُ (٦) بِالْوِسَادَةِ الَّتِي تَحْتَهُ ، وَيَعَزِّمُ عَلَيْهِ فِي الْجُلُوسِ عَلَيْهَا إِنْ أَبَى ، وَيُكْنَى أَصْحَابَهُ (٧) ، وَيَدْعُوهُمْ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِمْ تَكْرِمَةً لَهُمْ ، وَلَا يَقْطَعُ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثَهُ حَتَّى يَتَجَوَّزَ (٨) فَيَقْطَعَهُ بِنَهْيٍ أَوْ قِيَامٍ - وَيُرْوَى : بِانْتِهَاءٍ أَوْ قِيَامٍ .  
 وَيُرْوَى أَنَّهُ كَانَ [ ٣٩ ] لَا يَجْلِسُ إِلَيْهِ أَحَدٌ وَهُوَ يَصَلِّي إِلَّا خَنَفَ صَلَاتَهُ ، وَسَأَلَهُ عَنْ حَاجَتِهِ ، فَإِذَا فَرَغَ عَادَ إِلَى صَلَاتِهِ .  
 وَكَانَ أَكْثَرَ النَّاسِ تَبَسُّمًا ، وَأَطْيَبِهِمْ نَفْسًا ، مَا لَمْ يَنْزَلْ عَلَيْهِ قُرْآنٌ أَوْ يَعِظُ أَوْ يَخْطُبُ (٩) .

- (١) ما التَّمَّ أَحَدٌ أُذُنَ رَسُولِ اللَّهِ : مَا جَعَلَ أَحَدٌ أُذُنَهُ مُحَازِيَةً لِنَمِّهِ فَتَحَازِيَهُ ، وَالْمُرَادُ مَا حَدَّثَهُ أَحَدٌ عِنْدَ أُذُنِهِ . وَالْحَدِيثُ فِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ : ١٨٧ .  
 (٢) يَنْحَى رَأْسَهُ : أَيَّ يَبْعُدُهَا وَيَجْعَلُهَا فِي نَاحِيَةِ مَنْهُ .  
 (٣) فَيُرْسِلُ يَدَهُ : أَيَّ يَطْلُقُهَا وَيَفْسِكُهَا مِنْ يَدِهِ .  
 (٤) عَلَيْهَا عِلَامَةُ الصِّحَّةِ فِي أ ، ب . وَفِي هَامِشِهَا : الْآخِذُ .  
 (٥) وَلَمْ يَرُ مُقَدِّمًا رُكْبَتَيْهِ : الْمُرَادُ أَنَّهُ يَخْفِضُ رُكْبَتَيْهِ تَعْظِيمًا لِحُجْرَتِهِ . وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالرُّكْبَتَيْنِ الرَّجْلَيْنِ ؛ أَيَّ كَانَ لَا يَمُدُّ رِجْلَيْهِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ ؛ يَعْنِي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسَاوِي جَلِيسَهُ ، وَلَا يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ بِرُكْبَتَيْهِ حَتَّى كَانَ الْغَرِيبُ يَجِيءُ فَلَا يَعْرِفُهُ وَيَسْأَلُ عَنْهُ .  
 (٦) وَيُؤَثِّرُهُ ، الْإِيثَارُ : تَقْدِيمُ غَيْرِهِ عَلَى نَفْسِهِ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ ؛ أَيَّ يَفْضَلُ غَيْرَهُ .  
 (٧) يُكْنَى أَصْحَابَهُ : يَضَعُ لَهُمْ كُنْيَةً ، كَأَبِي فَلَانٍ ، أَوْ يَدْعُوهُمْ بِالْكُنْيَةِ تَكْرِيمًا لَهُمْ .  
 (٨) حَتَّى يَتَجَوَّزَ : حَتَّى يَكْثُرَ فَيَتَجَاوَزُ الْحُدُودَ . أَوْ يَخْرُجُ إِلَى مَا لَا يَلِيقُ .  
 (٩) هَذَا الضَّبْطُ فِي أ . وَفِي بِ ضَبْطِ الظَّاءِ فِي « يَعِظُ » وَالْبَاءِ فِي « يَخْطُبُ » بِالضَّمِّ .



قال عبدُ الله بن الحارث : ما رأيتُ أحداً أكثر تبسُّماً من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

وعن أنس<sup>(۱)</sup> : كان خَدَمُ المدينةِ يأتون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغدَاةَ<sup>(۲)</sup> بِأَنْيَتِهِمْ فِيهَا الْمَاءُ ، فَمَا بُوَّتِي بِأَنِيَةَ إِلَّا غَسَّ يَدَهُ فِيهَا ، وَرَبَّمَا كَانَ ذَلِكَ فِي الْغَدَاةِ<sup>(۳)</sup> الْبَارِدَةَ - يريدون به التَّبَرُّكَ<sup>(۴)</sup> .

### فصل ١٧

وأما الشفقةُ والرأفةُ والرحمةُ لجميعِ الخلقِ<sup>(۵)</sup> فقد قال الله تعالى فيه<sup>(۶)</sup> : ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(۷)</sup> .  
وقال تعالى<sup>(۸)</sup> : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ .  
قال بعضهم : من فضله عليه السلام أن الله تعالى أعطاه اسمين من أسمائه ، فقال : « بالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ » .

وحكى<sup>(۹)</sup> نحوه الإمام أبو بكر بن فُورَك . حدثنا الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي عليه ، حدثنا إمام الحرميين<sup>(۱۰)</sup> أبو علي الطبري ، حدثنا عبدُ الغافر

(۱) صحيح مسلم : ۱۸۱۲ (۲) الغدَاة : صلاة الصبح .

(۳) الغدَاة : أول النهار .

(۴) بعده في ب : صلى الله عليه وسلم ، كما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الناقلون .

(۵) قال في نسيم الرياض ( ۲ - ۸۴ ) : الفرق بين هذه الثلاثة أن الشفقة رحمة ورقة

قلب وخوف من نزول مكروه بمن يشفق عليه . والرأفة : التلطف بمن يريد إكرامه بالبشر والإيناس ، وليست أشد من الرحمة كما توهمه بعضهم .

(۶) سورة التوبة ، آية ۱۲۸

(۷) ما عنتم : العنت : المشقة ؛ أي يصعب عليه مشقتكم وما يؤلمكم لرأفته ورحمته .

(۸) سورة الأنبياء ، آية ۱۰۷

(۹) في ب : قال : حدثنا نحوه . . .

(۱۰) في ب : إمام الحرميين حدثنا أبو علي الطبري .

الفارسي ، حدثنا أبو أحمد الجلودي ، حدثنا إبراهيم بن سفيان ، حدثنا مسلم  
ابن الحجاج ، حدثنا أبو الطاهر ، أنبأنا يونس ، عن ابن شهاب ، قال : غزا رسول  
الله صلى الله عليه وسلم غزوة<sup>(١)</sup> ، وذكر حنيناً<sup>(٢)</sup> ، قال : فأعطى رسول الله صلى الله  
وسلم صفوان بن أمية مائة من النعم<sup>(٣)</sup> ؛ ثم مائة ، ثم مائة .

قال ابن شهاب ، حدثنا سعيد بن المسيب أن صفوان قال : والله لقد أعطاني  
ما أعطاني وإنه لأبغض الخلق إليّ ، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إليّ<sup>(٤)</sup> .  
وروي أن أعرابيا جاءه يطلب منه شيئا ، فأعطاه ؛ ثم قال : أحسنت إليك ؟  
قال الأعرابي : لا ، ولا أجمت<sup>(٥)</sup> .

فغضب المسلمون وقاموا إليه<sup>(٦)</sup> ، فأشار إليهم أن كفوا ، ثم قام ودخل منزله ،  
وأرسل إليه ، وزاده<sup>(٧)</sup> شيئا ، ثم قال : أحسنت إليك ؟ قال : نعم ، فجزاك الله من  
أهل<sup>(٧)</sup> وعشيرة خيرا .

(١) من غزوات الرسول . وحنين : واد بين مكة والطائف . وكانت هذه الغزوة في شوال  
سنة ثمان ( شرح القارى : ١ - ٢٧٥ ) . والحديث في صحيح مسلم : ١٨٠٦ .

(٢) النعم : اسم جامع للإبل ، لا واحد له من لفظه ، وجمعه أنعام : وقال العريزي :  
هو الإبل والبقر والغنم .

(٣) كان أشد الناس عداوة له لقتل أبيه يوم بدر ، ولما شهد وهو كافر حنيناً ثم رجع  
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجمرانة ؛ فبينما هو يسير في الغنائم ينظر إليها ومعه صفوان -  
جعل صفوان ينظر إلى شعب مليء نعما وشاء - وأدام النظر إليها ، ورسول الله صلى الله عليه  
وسلم يرمقه . فقال له : أبا وهب ؛ يمجبك هذا الشعب ؟ قال : نعم . قال : هو لك وما فيه .  
فقال صفوان : ما طابت بهذا إلا نفس نبي ! أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا عبده  
ورسوله . وارجع إلى الإصابة ( ٣ - ٤٣٣ ) . (٤) أجمت : فعات فعلا جميلا محمودا .

(٥) وقاموا إليه ليضربوه ويجازوه بما يستحقه .

(٦) زاده شيئا : أى على ما أعطاه أولا .

(٧) من أهل وعشيرة خيرا : المراد بدلا من أهل وعشيرتي الذين لم يحسنوا إلى .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إنك قلت ما قلت وفي أنف أصحابي من ذلك شيء ، فإن أحببت فتسل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك .

قال : نعم . فلما كان الغد أو العشي<sup>(۱)</sup> جاء ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن هذا الأعرابي قال ما قال ، فزدناه فزعم أنه رضي ، أ كذلك ؟ قال : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا .

فقال صلى الله عليه وسلم : مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت<sup>(۲)</sup> عليه ، فاتبعها الناس فلم يزدوها إلا نفورا ، فناداهم صاحبها : خلوا بيني وبين<sup>(۳)</sup> ناقتي ، فإنني أرفقُ بها منكم وأعلم<sup>(۴)</sup> ، فتوجه لها بين يديها<sup>(۵)</sup> ، فأخذ لها من قمام الأرض<sup>(۶)</sup> ، فردّها حتى جاءت واستناخت<sup>(۷)</sup> ، وشدّ عليها رحلها<sup>(۸)</sup> ، واستوى<sup>(۹)</sup> عليها ، وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار<sup>(۱۰)</sup> .

(۱) فلما كان الغد أو العشي : المراد بالغد صبيحة اليوم الذي بعد اليوم الذي كلف فيه النبي . والغداة من طلوع الفجر إلى الزوال . والعشي : ما بعد الزوال إلى الغروب . والشك هنا من الراوي .

(۲) شردت ناقته : نقرت منه وذهبت في الأرض .

(۳) خلوا بيني وبين ناقتي : لا تتبعوها واتركوني أحتال في إمساكها .

(۴) أي أنا أشفق عليها وأعلم بحالها منكم .

(۵) قمام الأرض : القمام : جمع قمامة : كناسة . والمراد بها النبات الذي ترعاه الدواب .

(۶) استناخت : بركت ومكثت عنده .

(۷) رحلها : الرحل للابل كالسرج للفرس .

(۸) واستوى عليها : ركبها .

(۹) دخل النار عقوبة له بإساءته إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

قال في نسيم الرياض : وهذا الحديث رواه البزار ، وأبو الشيخ بسند ضعيف عن أبي هريرة

رضي الله عنه ، وابن حبان في صحيحه ، وابن الجوزي في الوفا .

وروي عنه<sup>(١)</sup> أنه صلى الله عليه وسلم قال : لا يُبْلَغُنِي<sup>(٢)</sup> أحدٌ منكم عن أحدٍ من أصحابي شيئاً ، فإني أحبُّ أن أخرج إليكم وأنا سليمُ الصدر<sup>(٣)</sup> .  
ومن شفقتَه على أمته عليه السلام تخفيفُه وتسهيله عليهم ، وكرهتُه أشياءً مخافةً أن تُفرضَ عليهم ، كقوله : لولا أن أشقَّ على أمتي<sup>(٤)</sup> لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء<sup>(٥)</sup> .

وخبِرُ صلاةِ الليل<sup>(٦)</sup> ، ونَهْيُهُم عن الوصال<sup>(٧)</sup> ، وكرهتُه دخولَ الكعبةِ اثلاً يعنتُ<sup>(٨)</sup> أمته ، ورغبتُه لربه أن يجعلَ سببَهُ ولعنه لهم رحمةً بهم ، وأنه كان يسمعُ بكاءَ الصبي فيتجوَّز<sup>(٩)</sup> في صلاته .

ومن شفقتَه صلى الله عليه وسلم [ ٤٠ ] أن دعا ربه وعاهده ، فقال : أيُّمَّا رجلٍ

(١) الزاوي له أبو داود والترمذي عن ابن مسعود ( سنن أبي داود : ٢ - ١٩٢ ) .

(٢) ضبطت الباء بالسكون وبالفتحة ، وكتب عليها « معا » في ب .

(٣) سلامة الصدر كناية عن كونه ليس في قلبه بغض ولا غضب على أحد .

(٤) لولا أن أشق على أمتي : لولا مخافة المشقة عليهم .

(٥) بهذا الحديث رواه أصحاب الكتب الستة . ( صحيح مسلم : ٢٢٠ )

(٦) قال لهم النبي : خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها .

(٧) الوصال في الصوم : هو أن يصوم يومين أو أكثر من غير أكل وشرب بينها ، ونهيه

عن الوصال ثابت في الصحيحين ( صحيح مسلم : ٧٧٤ )

(٨) يعنت : من العنت ؛ وهو المشقة والإثم . وفي ب ضبطت : يعنت كما أثبتنا ، وضبطت

أيضا بكون المين وكسر النون ، وكتب عليها « معا » . وفي هامشه : خ : يعتب . وفي :

يعنت كما أثبتنا ، وعليها علامة الصحة .

وحديث كراهته دخول الكعبة في حديث رواه أبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله

عنها وصححاه ، وكذا رواه ابن خزيمة ، والحاكم عنها أيضا مصححا مسندا . ( سنن أبي

داود : ١ - ٢٠١ )

(٩) المراد هنا أنه يخففها ويسرع فيها .

سَبَبَتْهُ أَوْ لَعْنَتْهُ (١) فَاجْعَلْ ذَلِكَ لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً (٢) ، وَصَلَاةً وَطَهْرًا ، وَوُجُوهًا تَقَرَّبُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٣) .

وَمَا كَذَّبَ بِهِ (٤) قَوْمُهُ أَتَاهُ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ (٥) السَّلَامُ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ أَمَرَ مَلَكُ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ، فَنَادَاهُ مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : مُرْنِي بِمَا شِئْتَ ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ (٦) .

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا يَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا .

وَرَوَى ابْنُ الْمُنَكِّدِرِ أَنَّ جَبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالَ أَنْ تُطِيعَكَ . فَقَالَ : أَوْخَرُ عَنْ أُمَّتِي لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ (٧) .

قَالَتْ عَائِشَةُ : مَا خَيْرُ رَسُولٍ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أُمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا (٨) .

(١) اللعن : أصل معناه الطرد والإبعاد ، ثم خص بالبعد من رحمة الله .

(٢) زكاة : تطهيرا له مما ارتكبه . (٣) صحيح مسلم : ٢٠٠٧

(٤) وهذا من عظيم شفقتة أيضا . وهذا الحديث في البخارى : ٤ - ١٤٠

(٥) في ب : عليهما .

(٦) الأخشبان : مثنى أخشب : جبلان يضافان تارة لمكة وتارة لمنى ، فيقال : أخشبا مكة ، وأخشبا منى ، وهما أبو قبيس وقميقعان . وفي هامش ا : الأخشب : جبال مكة ، وقد يقال لكل جبل أخشب . وأنشد أبو عبيد : كأن فوق منكبيه أخشبا .

(٧) أى يرجعوا عن المعاصي ، ويقبل الله منهم ذلك .

(٨) أيسرها : أسهلها وأهونها على الأمة شفقة ورحمة منه عليهم . وبقية الحديث : ما لم يكن إنما ، فإن كان إنما كان أبعد الناس منه . والحديث في صحيح مسلم : ١٨١٣ ، وصحيح

البخارى : ٤ - ٢٣٠

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا<sup>(۱)</sup> بالموعظة مخافة السامة علينا .

وعن عائشة أنها ركبت بعيرا وفيه صعوبة ، فجملت تردده<sup>(۲)</sup> ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عليك بالرفق<sup>(۳)</sup> .

### فصل ۱۸

وأما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء ، وحسن العهد ، وصلة الرحم<sup>(۴)</sup> - فحدثنا القاضى أبو عامر محمد بن إسماعيل بقراءتى عليه ؛ قال : حدثنا أبو بكر محمد بن محمد ، حدثنا أبو إسحاق الحبال ، حدثنا أبو محمد بن النحاس ، حدثنا ابن الأعرابى ، قال : حدثنا أبو داود ؛ قال : حدثنا محمد بن يحيى ؛ قال : حدثنا محمد بن سنان ؛ قال : حدثنا إبراهيم بن طهمان ، عن بدليل ، عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق ، عن ابنه ، عن عبد الله بن أبي الخمساء<sup>(۵)</sup> ، قال : بايعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يبيع<sup>(۶)</sup> قبل أن يبعث ، وبقيت له بنية ، فوعدته أن آتية بها فى مكانه ، فنسيت<sup>(۷)</sup> ، ثم ذكرتُ

(۱) يتخولنا : يتعهدنا . والحديث فى صحيح مسلم : ۲۱۷۲

(۲) تردده : تمشى به وترجع ؛ وإنما فعات ذلك لتروضه حتى ينقاد لها .

(۳) فهذا دليل على شفقتة . وهذا الحديث فى صحيح مسلم : ۲۰۰۴

(۴) الوفاء : ضد النذر ونقض العهد . وحسن العهد : أى ماعاهد عليه والتزمه .

وصلة الرحم : الإحسان إلى الأقارب والأصهار والرفق بهم والعفو عن زلاتهم ، ونصحهم والتودد لهم .

(۵) فى هامش ب : قال الحافظ المزي : بعضهم يرويه أبى الحساء - بتقديم السين على الميم .

والأول أصح . والله أعلم . وقال القارى ( ۱ - ۲۸۱ ) : وهو بتقديم السين تصحيف .

(۶) أى باع مبيعا للنبي صلى الله عليه وسلم .

(۷) فنسيت : أى الوعد الذى جرى بيننا .

بعد ثلاث ، فجئتُ فإذا هو في مكانه<sup>(١)</sup> ، فقال : يافتي ، لقد شققتَ عليّ ، أنا ها هنا منذ ثلاث أنتَ ظرُّك<sup>(٢)</sup> .

وعن أنس : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى بهدية قال : اذهبوا بها إلى بيتِ فلانة ؛ فإنها كانت صديقةً لخديجة ، إنها كانت تحبُّ خديجة<sup>(٣)</sup> .

وعن عائشة قالت : ما غررتُ على امرأة ما غررتُ على خديجة ، لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذُكُرُهَا ، وَإِنْ كَانَ لِيَذُبِحُ الشاةَ فَيُهْدِيهَا إِلَى خَلَائِهَا<sup>(٤)</sup> .  
واستأذنتُ عليه أختها<sup>(٥)</sup> فارتاحَ إليها .

ودخلت عليه امرأة ، فمَشَّ<sup>(٦)</sup> لها ، وأحسنَ السؤالَ عنها ، فلما خرجت قال :  
إنها كانت تأتينا أيامَ خديجة ، وَإِنْ حُسِنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ<sup>(٧)</sup> .

ووصفه بعضهم ، فقال : كَانَ يَصِلُ ذَوِي رَحِمِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤْثِرَهُمْ<sup>(٨)</sup> عَلَى مَنْ هُوَ  
أَفْضَلُ مِنْهُمْ .

(١) فإذا هو في مكانه : فإذا النبي في مكانه لم يفارقه .

(٢) هذا الحديث رواه أبو داود ( ٢ - ٢٠٣ ) ، وهو من أفرادهِ ، قال السيوطي :  
وأخرجه ابن مندة في المعرفة ، والخرائطي في مكارم الأخلاق .

(٣) هذا الحديث رواه البخاري في الأدب .

(٤) خلائها : جمع خلية ، بمعنى الصاحبة والصديقة .

والحديث في البخاري : ٥ - ٤٨ ، وفيه : وَإِنْ كَانَ لِيَذُبِحُ الشاةَ فَيُهْدِي إِلَى خَلَائِهَا  
منها ما يسمهن .

وخلائها : جمع خلية ، أي صديقاتها .

(٥) أختها : أخت خديجة ، وهي هالة بن خويلد .

(٦) مش لها : فرح وأظهر السرور بدخولها .

(٧) حسن العهد : أي رعاية اليهود القديمة ، ورعاية من يحبك أو يحب من يحبك . من

الإيمان : من مقتضيات الإيمان .

(٨) يؤثرهم : يخلصهم ويقدمهم .

وقال صلى الله عليه وسلم : إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء غير أن لهم رحماً  
سأبلها ببيالها<sup>(١)</sup> .

وقد صلى عليه السلام بأمامة ابنة ابنته يحمله على عاتقه ، فإذا سجد وضعها ،  
وإذا قام حملها<sup>(٢)</sup> .

وعن أبي قتادة : وقد وفد للنجاشي ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم ،  
فقال له أصحابه : نكفيك<sup>(٣)</sup> . فقال : إنهم كانوا لأصحابنا مكرهين<sup>(٤)</sup> ، وإني أحب  
أن أكونهم<sup>(٥)</sup> .

ولما جى بأخته من الرضاعة الشيماء في سبأيا<sup>(٦)</sup> هو آزن ، وتعرفت له بسط لها  
رداءه ، وقال لها : إن أحببت أقمت عندي مكرمة محبة ، أو متعتك<sup>(٧)</sup> ورجعت  
إلى قومك ؛ فاخترت قومها فمتعها .

وقال أبو الطفيل [ ٤١ ] : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا غلام إذ أقبلت

(١) آل : الأهل والأتباع . والمراد هنا أبو العاص بن أمية بن عبد شمس ، وكان منافقاً  
في أول أمره ، ثم حسن إسلامه . والأولياء : جمع ولي ، وهو القريب ومن يتولى أمره ؛  
أى لا أتولاهم ولا أحسبهم من أوليائي لما علمت منهم .

أن لهم رحماً : أى قرابة سأبلها : سأصلها بصلتها اللائقة بها . والبيال : الرطوبة والنداوة  
وكل ما يبل الخلق من المائعات . والمراد الصلة والإحسان . والحديث في صحيح مسلم : ١٩٢ ،  
وصحيح البخارى : ٧ - ٨ ، وقال في البخارى : أبلها ببيالها ؛ يعنى أصلها بصلتها .

(٢) عاتقه : كتفه . وهذا الحديث رواه البخارى في صحيحه ( ١ - ١٣٠ )

(٣) نكفيك : أى نحن نخدمهم ونكفيك من تعاطى خدمتهم .

(٤) لأصحابنا الذين هاجروا لأرض الحبشة .

(٥) قال السيوطى : هذا الحديث رواه البيهقى في دلائله مسنداً .

(٦) هى بنت حليمة السعدية التى أرضعت النبي صلى الله عليه وسلم . والسبأيا : جمع سببية ،

أى مأسورة .

(٧) متعتك : أى يحسن إليها ويعطيها . وهذا منه صلة رحم .



امرأة حتى دنت<sup>(١)</sup> منه ، فبسط لها رداءه ، فجلست عليه ، فقلتُ : مَنْ هذه ؟ قالوا :  
أمه التي أرضعته .

وعن عمر بن السائب<sup>(٢)</sup> - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما ،  
فأقبل أبوه<sup>(٣)</sup> من الرضاعة ، فوضع له بعض ثوبه ، فقعده عليه ؛ ثم أقبلت أمه فوضع  
لها شق<sup>(٤)</sup> ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ، ثم أقبل أخوه من الرضاعة ، فقام  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه .

[ وكان يبعث إلى ثويبة<sup>(٥)</sup> مولاة أبي لهب مرضعته بصيلة وكسوة ، فلما ماتت  
سأل : مَنْ بقي من قرابتها . فقيل : لا أحد ]<sup>(٦)</sup> .

وفي حديث خديجة رضي الله عنها أنها قالت له صلى الله عليه وسلم<sup>(٧)</sup> : أبشِرْ ، فوالله  
لا يُخزبك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب<sup>(٨)</sup> المعدوم ،  
وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

(١) دنت منه : قربت من مكانه الجالس فيه .

(٢) هذا الحديث رواه أبو داود ( ٢ - ٢١٧ )

(٣) هو الحارث بن عبد العزى .

(٤) شق ثوبه : جانبا من ثوبه .

(٥) ثويبة : أول من أرضعته مع ابنها مسروح أياما قبل حليمة . والخبر في الإصابة ( ٧ - ٥٤٩ ) .

(٦) في هامش ما بين القوسين من غير الرواية .

(٧) تقدم هذا وشرحه صفحة ١٤٦ والمحدث في صحيح مسلم : ١٤١

(٨) ضبطت التاء في بالضمة والفتحة ، وعليها « معا » . وفي هامشه : تكسب - بالفتح

التاء - أحسن . يقال ، فلان يكسب المعدوم ، إذا كان مجدودا ينال ما يجرمه غيره . ويقال : هو

آكلكم للمأدوم ، وأكسبكم للمعدوم ، وأعطاكم للمحروم .

وفي هامش ب : تكسب - بفتح التاء - أحسن أيضا .

## فصل ١٩

وأما تواضعه<sup>(١)</sup> صلى الله عليه وسلم ، على علو منصبه<sup>(٢)</sup> ورفعة رتبته - فكان أشد الناس تواضعا ، وأقلهم<sup>(٣)</sup> كبرا .

وحسبك<sup>(٤)</sup> أنه خير بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا ، فاختر أن يكون نبيا عبدا ، فقال له إسرائيل عند<sup>(٥)</sup> ذلك : فإن الله قد أعطاك بما تواضعت<sup>(٦)</sup> له أنك سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من تنشق الأرض عنه ، وأول شافع<sup>(٧)</sup> .

حدثنا أبو الوليد بن العواد الفقيه - رحمه الله - بقراءتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسة ، حدثنا أبو علي الحافظ ، حدثنا أبو عمر ، حدثنا ابن عبد المؤمن ، حدثنا ابن داسة ، حدثنا أبو داود ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا عبد الله بن نمير ، عن مسعر ، عن أبي العنابس ، عن أبي العداس ، عن أبي مرزوق ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة ، قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصا ، فتمنا له . فقال : لا تقوموا كما تقوم الأعاجم<sup>(٨)</sup> ، يعظم بعضها بعضا . وقال : إنما أنا عبد<sup>(٩)</sup> آكل كما يأكل العبد ، وأجاس كما يجلس العبد .

(١) التواضع : إظهار أنه وضيع ، وهو أشرف الناس ( الشهاب الحفاجي ) .

(٢) المنصب : الأصل والحسب .

(٣) في ب : وأعدمهم كبرا ، وعليها علامة الصحة . وقال القاري ( ٢ - ٢٨٧ ) : ذكر

الحجازي أنه رواية . والمعنى أفقدهم كبرا .

(٤) حسبك : يكفيك في إثبات ما ذكر .

(٥) عند ذلك : عند اختياره العبودية .

(٦) بما تواضعت له : أي بسبب تواضعك له .

(٧) في صحيح مسلم ( ١٨٨ ) : أنا أول شفيع في الجنة .

(٨) الأعاجم : من عدا العرب ، وقد يختص بفارس .

(٩) أي لست بسلطان .

وكان يركب الحمار، ويردِّف<sup>(١)</sup> خلفه، ويعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبد، ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم حينما انتهى به المجلس جالساً. وفي حديث عمر عنه: لا تطروني<sup>(٢)</sup> كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدٌ فقولوا: عبدُ الله ورسوله.

وعن أنس<sup>(٣)</sup> أن امرأةً كان في عقلها شيء<sup>(٤)</sup> جاءت، فقالت: إن لي إليك حاجة<sup>(٥)</sup>. قال: اجلسي يا أم فلان في أيِّ طرقِ المدينة شئتِ اجلس إليك حتى أقضيَ حاجتك.

قال: فجلست، فجلس النبيُّ صلى الله عليه وسلم إليها حتى فرغت من حاجتها. قال أنس: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار، ويجيب دعوة العبد؛ وكان يوم بني قريظة<sup>(٦)</sup> على حمارٍ مخطوم<sup>(٧)</sup> بجبلٍ من ليفٍ عليه إكاف<sup>(٨)</sup>. قال: وكان يدعى إلى خبز الشعير، والإهالة السنخة فيجيب<sup>(٩)</sup>.

قال: وحجَّ صلى الله عليه وسلم على رَحْلٍ رَث<sup>(١٠)</sup>، وعليه قَطِيفَةٌ<sup>(١١)</sup> ما تساوى

(١) بردف: يجعله رديفاً له؛ أي راكبا خلفه على دابته التي ركبها.

(٢) أطراه: بالغ في مدحه وجاوز الحد؛ أي لا تمدحوني.

(٣) الحديث في سنن أبي داود: ٢ - ١٨٩ (٤) كان في عقلها شيء: أي من جنون.

(٥) أي لي إليك حاجة أريد أن أنهيها إليك وأعلمك بها.

(٦) يوم بني قريظة: اليوم هنا بمعنى الوقعة والنزوة. وبني قريظة: قوم من اليهود بقرب

المدينة غزاهم النبي قبل غزوة الخندق. (٧) مخطوم: الحطام: ما يقاد به الدابة.

(٨) إكاف: رحل يوضع على ظهر الحمار للركوب عليه، أو البردعة.

(٩) الإهالة: كل ما يؤتدم به من الدهن. أو الدسم الجامد. أو ما يذاب من الإلية،

والسنخة: متغيرة الرائحة.

(١٠) الرحل للجمل كالسرج للفرس، ورت: بال خلق.

(١١) قטיפئة: كساء من صوف له خمل.

أربعة دراهم ؛ فقال : اللهم اجعله حَبًّا لا رِيَاءَ فِيهِ ولا سُمْعَةً<sup>(١)</sup> .

هذا ، وقد فَتِحَتْ عَلَيْهِ الأَرْضُ ، وَأَهْدَى فِي حَبِّهِ ذَلِكَ مائةَ بَدَنَةٍ<sup>(٢)</sup> .

ولما فَتِحَتْ عَلَيْهِ مَكَّةُ ودخلها بجيوش المسلمين طَأْطَأَ على رَحْلِهِ<sup>(٣)</sup> رَأْسَهُ حتى كَادَ

يَمَسُّ قَادِمَتَهُ تَوَاضَعًا لَلَّهِ تَعَالَى<sup>(٤)</sup> .

وَمِنْ تَوَاضَعِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلُهُ<sup>(٥)</sup> : لا تَفَضَّلُونِي على يونسَ بنِ متى ،

ولا تَفَضَّلُوا بَيْنَ الأنبياءِ ، ولا تُخَيِّرُونِي على موسى ، ونحنُ أَحَقُّ بالشُّكِّ من إبراهيمَ ،

ولو لبثتُ ما لبثَ يوسفُ [ ٤٢ ] في السجنِ لأَجَبْتُ الدَّاعِيَ<sup>(٦)</sup> .

وقال للذي قال له : يا خَيْرَ البريةِ : ذاكُ<sup>(٧)</sup> إبراهيمَ .

وسياتى الكلامُ على هذه الأحاديث بعد هذا إن شاء الله .

وعن عائشة ، والحسن ، وأبي سعيد ، وغيرهم - في صِفَتِهِ ، وبعضهم يزيدُ على

(١) الرياء : ما يفعل من عبادة ونحوها لأجل أن يراه الناس فيمدحوا صاحبه به . والسمعة :

ما يفعل ليُدشِعَ ويسمع الناس به .

(٢) أهدي : بعث الهدى ؛ وهو ما يرسل للبيت الحرام لينجر فيه ويتصدق به من الإبل

والبقر ، وكذا البدنة تطلق على الجمل والناقة والبقرة ، وأكثر ما تطلق على الإبل ؛ وسميت

بدنة لكبر بدنها .

(٣) في هامش ا : راحته . وفي ب : راحته ، وفي هامشه : رحله .

(٤) الرحل له مقدم ومؤخر مرتفع عن محل الراكب . وقادمة الرحل : مقدمه .

(٥) قال في نسيم الرياض : قال السيوطي : لم أقف عليه بهذا اللفظ ؛ والذي في البخاري ،

عن ابن مسعود رضي الله عنه : لا يقولن أحدكم أنا خير من يونس بن متى . وفي سنن أبي

داود : ما ينبغي لني أن يقول : أنا أفضل من يونس بن متى .

(٦) لبث في السجن بضع سنين . والمراد بإجابة الداعي : رسول الملك الذي دعاه للخروج .

(٧) خص إبراهيم ؛ لأن الله أمره باتباع ملة إبراهيم .

بعض : كان في بيته في مهنة<sup>(۱)</sup> أهله يفلى ثوبه<sup>(۲)</sup> ، ويحلب شاته ، ويرقع ثوبه ، ويخصف نعله<sup>(۳)</sup> ، ويخدم نفسه ، ويقم البيت<sup>(۴)</sup> ، ويعقل البعير ، ويعلف ناضجه<sup>(۵)</sup> ، ويأكل مع الخادم ، ويعجن معها ، ويحمل بضاعته من السوق .

وعن أنس : إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى عليه وسلم فتنتطق به حيث شاءت حتى يقضى حاجتها .

ودخل عليه رجل فأصابته من هيبتته رعدة<sup>(۶)</sup> ، فقال له : هوّن عليك ، فإني لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد<sup>(۷)</sup> .

وعن أبي هريرة : دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فاشترى سراويل<sup>(۸)</sup> وقال للوزان : زن وأرجح<sup>(۹)</sup> . وذكر القصة - قال : فوثب<sup>(۱۰)</sup> إلى

(۱) مهنة أهله : المهنة : الخدمة . وكامة « مهنة » ضبطت ميمه بالفتحة والكسرة ، وكتب فوقها « معا » في ا ، ب . وفي هامش ب : بفتح الميم ، وخفضها خطأ ؛ قاله شمر عن مشايخه . وقال غيره : بالكسر وأنكر الفتح . قال الحافظ المزي : كسر الميم أحسن ، لأن مهنة على وزن خدمة ومعناه . وفي البخاري ( ۸ - ۱۷ ) : . . . سألت عائشة : ما كان النبي يصنع في أهله ؟ قالت : كان في مهنة أهله ، وإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة .

(۲) قيل : المراد بفليه : تفتيشه لحرق فيه ، أو تعلق شيء به من شوك ونحوه ، وكل ذلك للتشريع وإظهار التواضع .

(۳) يخصف نعله : يخرزها .

(۴) يقم البيت : يكدسه ويزيل قمامته .

(۵) ويعلف ناضجه : الناضح : البعير الذي يستقي عليه .

(۶) رعدة : الرعدة : أن يرجف الإنسان ويضطرب .

(۷) القديد : هو اللحم الذي يقطع ويجعل في الشمس حتى يبس .

(۸) قال السيوطي : قد رأيت الذي ذكره المصنف في معجم الطبراني الأوسط ، ومسند

أبي يعلى ؛ وفيه أنه صلى الله عليه وسلم لبسها . والسراويل تذكر وتؤنث .

(۹) للوزان : أي الذي يزن الدراهم وينقدها وهو الصيرفي . وأرجح : أي زد له حتى

يترجح الميزان بزيادة الكفة التي فيها الدراهم ، فالرجحان : نزول كفة الميزان لزيادة ما فيها .

(۱۰) الذي وثب هو الوزان كما في القاري ( ۱ - ۲۹۴ ) .

يَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْبَلُهَا، فُجَذِبَ يَدَهُ، وَقَالَ: هَذَا تَفْعَلُهُ<sup>(۱)</sup> الْأَعَاجِمُ بِمَلُوكِهِمْ،  
وَلَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ. ثُمَّ أَخَذَ السَّرَاوِيلَ، فَذَهَبَتْ لِأَجْمَلِهِ، فَقَالَ:  
صَاحِبُ الشَّيْءِ أَحَقُّ بِشَيْئِهِ أَنْ يَحْمِلَهُ.

## فصل ۲۰

وَأَمَّا عَدُوُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَانَتُهُ وَعَفَّتُهُ وَصِدْقُ لَهْجَتِهِ<sup>(۲)</sup> - فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمَنَ النَّاسَ، وَأَعْدَلَ النَّاسَ، وَأَعْفَى النَّاسَ، وَأَصْدَقَهُمْ لَهْجَةً مَنْذُ كَانَ،  
اعْتَرَفَ لَهُ بِذَلِكَ مُحَادُّوهُ<sup>(۳)</sup> وَعِدَاؤُهُ.

وَكَانَ يُسَمَّى قَبْلَ نُبُوَّتِهِ الْأَمِينِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ<sup>(۴)</sup>: كَانَ يُسَمَّى الْأَمِينَ بِمَا جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الصَّالِحَةِ.

وَقَالَ تَعَالَى<sup>(۵)</sup>: ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾: أَكْثَرُ الْمَفْسُرِينَ<sup>(۶)</sup> عَلَى أَنَّهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَمَّا اخْتَلَفَتْ قُرَيْشٌ وَتَحَازَبَتْ<sup>(۷)</sup> عِنْدَ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ فِيمَنْ يَضَعُ الْحُجْرَةَ

حَكَمُوا<sup>(۸)</sup> أَوَّلَ دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَاخِلًا - وَذَلِكَ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ؛

فَقَالُوا: هَذَا مُحَمَّدُ الْأَمِينِ قَدْ رَضِينَا بِهِ.

(۲) اللهجة: اللسان والكلام.

(۱) هذا: أي التقبيل.

(۳) محادوه: جمع محاد - بتشديد الدال المهملة؛ وهو المعادي والمخالف له؛ وهو المحارب

أيضا. وعداه: أعداؤه ومعادوه.

(۴) قال السيوطي: هذا حديث صحيح رواه أحمد في مسنده، والحاكم، والطبراني

عن علي كرم الله وجهه.

(۵) سورة التكاوير، آية ۲۱. مطاع: مكرم. ثم: عند الملأ الأعلى. أمين: موصوف

بالأمانة. (۶) وكثير منهم على أنه جبريل.

(۷) تحازبت: صارت أحزابا وفرقا لاختلاف آرائهم. وفي ۱: تحاربت - بالراء.

(۸) حكموا: ارتضوا بأن يكون الحاكم في ذلك أول داخل.

وعن الربيع بن خثيم : كان يتتبعكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الإسلام .

وقال صلى الله عليه وسلم : وآلله إني لأميين في السماء أميين في الأرض (١) .  
حدثنا أبو علي الصّدفي الحافظ بقراءتي عليه ، حدثنا أبو الفضل بن خيرون ،  
حدثنا أبو يعلى ابن زوج الحرّة ، حدثنا أبو علي السنّجبي ، حدثنا محمد بن محبوب  
المروزي ، حدثنا أبو عيسى (٢) الحافظ ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا معاوية بن هشام ،  
عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن ناجية بن كعب ، عن عليّ - أن (٣) أبا جهل قال  
للنبيّ صلى الله عليه وسلم : إنا لا نكذبك ، ولكن نكذب بما جئت به ، فأنزل الله  
تعالى (٤) : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (٥) .  
وروى غيره : لا نكذبك ولا أنت فينا بـمـكذب .

وقيل : إن الأحنس بن شريق لقي أبا جهل يوم بدر ، فقال له : يا أبا الحكم ،  
ليس هنا غيري وغيرك بسمع كلامنا ، تخبرني عن محمد ؛ صادق [ هو ] (٦) أم كاذب؟  
فقال أبو جهل : والله إن محمدا لصادق ، وما كذب محمد قط .  
وسأل هرقل (٧) عنه أبا سفيان ، فقال : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن  
يقول ما قال ؟ قال : لا .

(١) يعني أنه مشهور بذلك بين الملأ الأعلى وبين أهل الأرض ؛ لأنه لم يتهم قط بكذب وجور في أحكامه . وهذا الحديث رواه ابن أبي شيبة في مسنده عن أبي رافع .

(٢) هو الترمذي . (٣) سنن الترمذي : ٤ - ٢٦١ (٤) سورة الأنعام ، آية ٣٣

(٥) المراد : لا يكذبونك : لا يحكمون عليك بأن سجيتك الكذب ، لأنك موصوف بالصدق عندهم في جميع شؤونك ما عدا قولك الذي جئت به من عند الله - وهو الآيات - فإنهم يجحدونه . (٦) من ب .

(٧) قصة أبي سفيان مع هرقل مروية في الصحيحين مفصلة . وارجع إليها في صحيح البخاري : ١ - ٧ إن أردت .

وقال النضر بن الحارث <sup>(١)</sup> لقريش : قد كان محمد فيكم غلاما حدثا <sup>(٢)</sup> ،  
أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثا ، وأعظمكم أمانةً حتى [ ٤٣ ] إذا رأيتم  
في صدغيه الشيب <sup>(٣)</sup> ، وجاءكم بما جاءكم به قاتم : ساحر . لا ، والله ، ما هو بساحر .  
وفي الحديث عنه : ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك ريقها <sup>(٤)</sup> .

وفي حديث عليّ - في وصفه صلى الله عليه وسلم : أصدق الناس لهجةً .  
وقال في الصحيح : وَيَحْك ! فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ ، خِبتُ وَخَسِرْتُ إِنْ  
لَمْ أَعْدِلْ <sup>(٥)</sup> .

قالت عائشة <sup>(٦)</sup> : ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرين إلا اختار  
أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه .  
قال أبو العباس المبرّد : قسم <sup>(٧)</sup> كسرى أيامه ؛ فقال : يصلح يومُ الريح للنوم <sup>(٨)</sup> ،  
ويومُ الغيم للصيد <sup>(٩)</sup> ، ويومُ المطر للشرب واللّهو <sup>(١٠)</sup> ، ويومُ الشمس للحوائج <sup>(١١)</sup> .

(١) في حديث رواه ابن إسحاق ، والبيهقي ، عن ابن عباس . وكان النضر شديد الأذية  
للمسلمين . (٢) حدثنا : شابا .

(٣) كنى بذلك عن أنه تمت رجوليته ، وكمل عقله بمجاوزته سن الشباب .

(٤) وهذا من عفته . وهذا الحديث رواه الشيخان عن عائشة : صحيح البخارى : ٩-٩٩

(٥) قد تقدم ذكر هذا الحديث ، وشرح غريبه صفحة ١٣٨ ، وقد ضبطت التاء في الكلمتين

هنا أيضا بالضمّة والفتحة وعليها « معا » في ا ، ب .

(٦) تقدم أن هذا الحديث في صحيح مسلم صفحة ١٨١٣

(٧) ضبطت السين في ا بالفتحة ، وشدت في ب .

(٨) للنوم والتنظية حتى يسلم من مس الريح الشديد .

(٩) لعدم أذية الشمس وحرها .

(١٠) لقلّة المصالح فيه ، والسلامة من البلل ، والنظافة من الوحول . والمراد باللّهو : سماع

الغناء ومنادمة الندماء .

(١١) المراد بالحوائج : مصالح الناس ، وإنما اختير ذلك اليوم للحوائج لعدم المانع فيه .



قال ابن خالويه : ما كان أعرفهم بسياسة دُنْيَاهُمْ ، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون ، ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزأً نهاره ثلاثة أجزاء ، جزءاً لله<sup>(١)</sup> ، وجزءاً للأهله<sup>(٢)</sup> ، وجزءاً لنفسه ، ثم جزءٌ جزأه بينه وبين الناس ، فكان يستمعين بالخاصة على العامة ، ويقول : أبلغوا<sup>(٣)</sup> حاجة من لا يستطيع إبلاغى ؛ فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع [إبلاغها]<sup>(٤)</sup> آمنه الله يوم الفزع الأكبر<sup>(٥)</sup> .  
وعن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذُ أحداً بقرفٍ أحد<sup>(٦)</sup> ، ولا يصدقُ أحداً على أحد .

وذكر أبو جعفر الطبري<sup>(٧)</sup> عن عليّ عنه صلى الله عليه وسلم : ما هممتُ بشيء مما كان أهلُ الجاهلية يعملون به غير مرتين ، كلُّ ذلك يحولُ الله بيني وبين ما أريدُ من ذلك ، ثم ما هممتُ بسوء حتى أكرمني الله برسالته ؛ قلت ليلةً لفلان كان يرعى معي : لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فأشهر بها كما يسمر<sup>(٨)</sup> الشباب ه  
فخرجتُ كذلك حتى جئتُ أولَ دارٍ من مكة سمعتُ عزفاً بالدُفوف والمزامير العرسِ بعضهم . فجلستُ أنظر ، فضرب عليّ أذني<sup>(٩)</sup> فميت ، فما أيقظني إلا مسٌ

- (١) جزءاً لله : أى لعبادة الله وتلقى وحيه . (٢) وجزءاً لأهله : لمصالح أهل بيته .  
(٣) فى ١ : أبلغونى .  
(٤) من ب .  
(٥) يوم الفزع الأكبر : هو يوم البعث والحشر ، وحيث يكون الناس كلهم فى فزع وخوف من العذاب . وسيأتى هذا الحديث بعد . وهو فى شمائل الترمذى ، وغيره ، كما سيأتى .  
(٦) قال السيوطى هذا الحديث رواه أبوداود فى مراسيله . والأخذ : المراد به هنا العقوبة . والقرف : التهمة . والذنب ، والكسب . وهذا من عدله . وفى هامش ١ ، ب : قرفت الرجل بسوء : ظننته به ، أو رميته به . وقرفه بالأمر ، إذا أضافه إليه .  
(٧) قد تقدم هذا الحديث صفحة ١٣٠ ؛ وإنما أعاده المصنف هنا لبيان عفته صلى الله عليه وسلم عن اللهو ، وأن الله عصمه عن ذلك من أول أمره . وهو هنا فيه زيادة (دلائل النبوة للبيهقى : ١ - ٣٨٠) . (٨) السمر : التحدث بالليل . (٩) ضرب عليّ أذنى : نمت .

الشمس <sup>(١)</sup> ، فرجعت ولم أقض شيئاً . ثم عرّاني <sup>(٢)</sup> مرة أخرى مثل ذلك ، ثم لم أقم بعد ذلك بسوء .

## فصل ٢١

وأما وقاره <sup>(٣)</sup> صلى الله عليه وسلم وصمته وتوّدته ومروءته وحسن هديه <sup>(٤)</sup> فحدثنا أبو علي الجيّاني الحافظ إجازةً ، وعارضت بكتابه <sup>(٥)</sup> ؛ قال : حدثنا أبو العباس الدّلائى ، أنبأنا أبو ذر الهروى ، أخبرنا أبو عبد الله الوراق ، حدثنا اللؤلؤى ، حدثنا أبو داود ، حدثنا عبد الرحمن بن سلام ، حدثنا حجاج بن محمد ، عن عبد الرحمن ابن أبي الزناد عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب <sup>(٦)</sup> : سمعتُ خارجةَ بن زبّد يقول : كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم أوقر الناس في مجلسه <sup>(٧)</sup> ، لا يكاد يُخرج شيئاً من أطرافه <sup>(٨)</sup> .

وروى أبو سعيد الخدرى : كان <sup>(٩)</sup> رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المجلس احتبى بيديه ، وكذلك كان أكثرُ جاوسيه صلى الله عليه وسلم مُحْتَبِيًا <sup>(١٠)</sup> .

(١) مس الشمس : مس حرها . (٢) عرّاني : طرأ على ، وعرض لى .

(٣) وقاره : سكونه وطمانينته ورزاقته .

(٤) حسن هديه : سيرته وطريقته .

(٥) وعارضت بكتابه : قابلت نسختى بنسخته حال القراءة . فالعنى أنه حدثه به قراءة

منه ، وهو مقابل له ، وفي يده كتابه .

(٦) عليها علامة الصحة فى ا ، وفي هامشه : أهيب .

(٧) أى أعظهم وقارا إذا برز للناس وجلس معهم ، بخلاف ما إذا خلا مع أهله أو مع

خاصته فإنه يلبس معهم ويلطفهم .

(٨) من أطرافه : أى أطراف بدنه كرجليه . (٩) سنن أبي داود : ٢ - ١٩٠

(١٠) الاحتباء : أن يجمع ظهره وساقيه بيديه أو عمامته ونحوه . وفي هامش ب : الحبوّة :

ضم الساق إلى البطن بثوب . وفي ب : احتبى بثوبه .

وعن جابر بن سُمرة أنه تَرَبَّعٌ <sup>(١)</sup> ، وربما جلس القُرْفُصَاءُ <sup>(٢)</sup> ، وهو في حديث قَبِيلَةَ <sup>(٣)</sup> ؛ وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة ؛ يُعْرِضُ عَنْ تَكَلُّمٍ بغير جميل ، وكان ضَحِكُهُ تَبَسُّمًا ، وكلامه فَصْلًا <sup>(٤)</sup> ، لا فُضُولَ ولا تَقْصِيرَ <sup>(٥)</sup> ، وكان ضحك أصحابه عنده التَّبَسُّمُ ؛ توقيراله ، واقتداء به . مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ حَيْلٍ وَحَيَاءٍ [ ٤٤ ] ، وخَيْرٌ وَأَمَانَةٌ <sup>(٦)</sup> ، لا تُرْفَعُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ ، ولا تُؤَبَّنُ فِيهِ الْحَرَمُ <sup>(٧)</sup> ، إذا تكلم أَطْرَقَ جِلْسَاؤُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رِءُوسِهِمُ الطَّيْرُ <sup>(٨)</sup> .

وفي صفته : يَخْطُو تَكْفَأً <sup>(٩)</sup> ، وَيَمْشِي هَوْنًا ، كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ <sup>(١٠)</sup> .  
وفي الحديث الآخر : إذا مشى مشى مجتمعا <sup>(١١)</sup> ، يُعْرِفُ فِي مِشْيَتِهِ أَنَّهُ غَيْرُ غَرَضٍ وَلَا وَكِلٍ <sup>(١٢)</sup> ؛ أي غير ضَجِرٍ وَلَا كَسْلَانٍ .

(١) تربع : جلس متربعًا ، وهو أن يعقد الرجل على وركيه ، ويمد ركبته اليمنى إلى جانب يمينه ؛ وقدمه اليمنى إلى جانب يساره ، وركبته اليسرى إلى جانب يساره ، وقدمه اليسرى إلى جانب يمينه ، وهذا في خارج الصلاة .

(٢) جلس على أليته بجلوس المحتجب بيديه من غير احتباء . وفي هامش ب : القرفصاء : جلسة المحتجب بيديه ، يقال : قرفص اللص : إذا شد يديه تحت رجله .

(٣) أي ورد في حديثها ، وانظر سنن أبي داود : ٢ - ١٩١

(٤) فصلا : فاصلا بين الحق والباطل . أو مفصلا لتمهله فيه .

(٥) لا فضول : لازيادة . ولا تقصير ولا نقصان فيه عن قدر الحاجة ؛ فيدخل بفهم السامع .

(٦) وأمانة : يأمن المتكلمون فيه على أسرارهم .

(٧) تؤبن : أبته : عابه ورماه بقبیح . والحرم : جمع حرمة ؛ وهي كل ما يحرم هتكه .

(٨) وصفهم بالسكون وعدم الخفة والطيش . (٩) تكفأ : مال إلى قدام . أو مال

يمينًا وشمالًا كمشي المختال . (١٠) الصبب : هو الموضع المنحدر .

(١١) مجتمعا : ينقل أعضائه كلها دفعة واحدة من غير تحريك لرأسه ويديه .

(١٢) غرض : من الغرض ، وهو الضجر والمال ، وسيأتي للمؤلف . وفي ضبطت الكاف

في « وكل » بالفتحة والكسرة وعليها « مما » . وفي ب ضبطت الكاف بالفتحة فقط . وفي

هامشه : الوكل - بالفتح : الرجل الذي يتكل على غيره .

وقال عبد الله بن مسعود : إن أحسن الهدى هدى<sup>(۱)</sup> محمد صلى الله عليه وسلم .  
وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما : كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ترتيل أو ترسيل<sup>(۲)</sup> .

قال ابن أبي هالة : كان سكوتُه على أربع : على الحلم ، والحذر ، والتقدير ،  
والتفكير<sup>(۳)</sup> .

قالت عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عدّه العادّ  
أحصاه<sup>(۴)</sup> .

وكان صلى الله عليه وسلم يحبُّ الطيبَ والرائحةَ الحسنة ، ويستعملها<sup>(۵)</sup> كثيرا ،  
ويحضُّ عليهما<sup>(۶)</sup> ، ويقول<sup>(۷)</sup> : حُبِّبَ إِلَىَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءُ ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي  
فِي الصَّلَاةِ .

ومن مروءته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب<sup>(۸)</sup> ، والأمر

(۱) الهدى : السمّة والسيرة والطريقة والحالة التي يكون عليها .

(۲) ترتيل أو ترسيل : يبين الكلام من غير عجلة ولا غموض حتى يسبق فهم السامع إليه .  
وقيل الترتيل : التبيين . والترسيل : التؤدة .

(۳) أى يقع على أربع خصال فيه : على الحلم : أى يسكت تارة لحلمه ، أو الاحتراس من  
كلام ربما أدى لأمر يخشى منه ، أو ليقدر النبي في نفسه وسكوته ما يليق به وبنيته ، أو للتفكير  
في مصنوعات الله .

(۴) وذلك لقلته ؛ ولثبته ، وعدم سرعته فيه .

(۵) هذا في ا ، ب . وفي هامش ب : ويستعملهما .

(۶) في ب : ويحض عليها .

(۷) قد تقدم هذا الحديث ، وتخرجه : صفحة ۱۱۷

(۸) مروءته : إنسانيته ، ومعناها التلبس بما يليق بالرجال ، وترك ما يخل به ؛ فارتكاب  
ما يكرهه الصاحب محل بالمروءة . والنفخ في الطعام والشراب قد يخرج منه ريق فيكره تناوله .

بالأكلِ تَمَّ يَلِي ، والأمرُ بالسواك<sup>(۱)</sup> ، وإنتقاء البراجم والرواجب<sup>(۲)</sup> ، واستعمال خِصَالِ الْفِطْرَةِ<sup>(۳)</sup> .

## فصل ۲۲

وأما زُهْدُهُ<sup>(۴)</sup> في الدنيا فقد تقدّم من الأخبار أثناء هذه السيرة ما يكفي . وحسبك<sup>(۵)</sup> من تَقَلُّلِهِ مِنْهَا ، وإعراضِهِ عن زَهْرَتِهَا<sup>(۶)</sup> ؛ وقد سَمِّقَتْ إِلَيْهِ بِحَدِّ أَفِيرِهَا<sup>(۷)</sup> ، وترادفت<sup>(۸)</sup> ،

(۱) الأمر بالسواك : أمر ندب . وعده من المروءة لما فيه من النظافة وطيب رائحة الفم .  
(۲) إنتقاء : أنتقاء : إذا نظفه . البراجم : مفاصل الأصابع التي بينها ، والسلاميات من ظهر الكف : التي ترتفع إذا قبض الإنسان كفه ، فهي المفاصل الظاهرة ، والبراجم : الباطنة . والرواجب : هي المفاصل التي تلي الأنامل . ونقل عن أبي عبيد أن البراجم والرواجب جميعا : مفاصل الأصابع كلها . قال في نسيم الرياض : وهو اللائق بكلام المصنف .  
وفي هامش ۱ : البراجم : رءوس السلاميات من ظاهر الكف ؛ إذا قبض القابض كفيه نشرت ، واحدها برجمة .

والرواجب : بطون السلاميات ، واحدها راجبة . والسلاميات : واحدها سلامي ، وهي العظام التي بين كل مفصلين من مفاصل الأصابع .  
(۳) الفطرة : الحلقة ، والمراد السنة التي أمر بها النبي صلى الله عليه وسلم . وخصال الفطرة - فيما رواه الشيخان : الحتان ، والاستحداد ، وقص الشارب ، وتقليم الأظفار ، ونشف الإبط : (صحيح مسلم : ۲۲۱) .

(۴) قال في نسيم الرياض ( ۲ - ۱۳۸ ) : الزهد : معناه ترك الدنيا رغبة فيما عند الله ؛ وهو ثلاثة أقسام : ترك الحرام وهو زهد العوام ، وترك فضول الحلال وهو زهد الخواص ، وترك كل ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين .  
(۵) حسبك : يكفيك .

(۶) عن زهرتها : أي تركه صلى الله عليه وسلم ما يرغب فيه الناس من زخرف الحياة الدنيا .  
(۷) بحدافيرها : يجملتها وكليتها من جميع نواحيها ، وجوانبها .

(۸) ترادفت : تتابعت وتوالت ؛ فأنته الدنيا راغمة بما يسر الله له من الفنائم والأموال والأرزاق الواسعة الطيبة ، بحيث لو أراد توسع فيها وأنفق واقتطف زهرتها ، ولكنه لم يرضها ، واكتفى بأقل قليل منها .

عليه فتوحها إلى أن توفي صلى الله عليه وسلم ودرزعه مرهونةً عند يهودى في نفقة عياله<sup>(۱)</sup>، وهو يدعو ويقول: اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً<sup>(۲)</sup>.

حدثنا سفيان بن العاصي، والحسين بن محمد الحافظ، والقاضي أبو عبد الله التميمي؛ قالوا: حدثنا أحمد بن محمد بن عمر، قال: حدثنا أبو العباس الرازي، قال: حدثنا أبو أحمد الجلودي، حدثنا ابن سفيان، حدثنا أبو الحسين [مسلم]<sup>(۳)</sup> بن الحجاج؛ حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة<sup>(۴)</sup>، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة<sup>(۵)</sup>؛ قالت: ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعاً<sup>(۶)</sup> من خبز حتى مضى لسبيله<sup>(۷)</sup>.

وفي رواية أخرى: من خبز شعير يومين متواليين، ولو شاء الله لأعطاه مالا يخطر ببال<sup>(۸)</sup>.

وفي رواية أخرى: ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز رُّ حتى لقي الله تعالى.

وقالت عائشة: ما ترك<sup>(۹)</sup> رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهماً ولا شاةً ولا بعيراً.

(۱) العيال: أهل البيت ومن تلزمه نفقته. وهذا الحديث في صحيح البخاري: ۴-۴۹، وفي هامش ب: اليهودي اسمه أبو النجم.

(۲) القوت: كل ما يتقوت به الإنسان من الطعام؛ أي اجمله بما يسد الرمق من غير زيادة. والحديث في سنن الترمذي: ۴- ۵۸۰، وصحيح البخاري: ۸- ۱۲۲.

(۳) من ب. (۴) في هامش ب: ابن أبي شيبة صاحب المصنف.

(۵) الحديث في صحيح مسلم: ۲۲۸۴، والبخاري: ۸- ۱۲۱، وسنن الترمذي: ۴- ۵۷۹.

(۶) تباعاً: متتابعة متوالية. (۷) مضى لسبيله: توفي.

(۸) البال: القلب والعقل والفكر. وخطر: ذكر وتصور؛ أي يعطيه منها كل نفيس لم يتصوره أحد من الناس لجلالته وعظمته.

(۹) ما ترك: ما خلف تركه.

وفي حديث عمرو بن الحارث<sup>(١)</sup> : ما ترك إلا سلاحه وبنقلته وأرضاً جعلها صدقة .

قالت عائشة : واقدمات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد<sup>(٢)</sup> إلا شطر شعير<sup>(٣)</sup>

في رفا لي<sup>(٤)</sup> .

وقال لي : إني عرض علي أن تجعل لي بطحاء مكة<sup>(٥)</sup> ذهباً . فقلت : لا، يارب،

أجوع يوماً وأشبع يوماً ، فأما اليوم الذي أجوع فيه فأترضع إليك وأدعوك ،  
وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك .

وفي حديث<sup>(٦)</sup> آخر إن جبريل نزل عليه ، فقال له : إن الله تعالى يقربك

السلام ، ويقول لك : أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهباً ، وتكون معك حينما كنت ،

فأطرق<sup>(٧)</sup> ساعة ، ثم قال : يا جبريل ، إن الدنيا دار من لا دار له<sup>(٨)</sup> ، ومال من

(١) الحديث في البخاري : ٨ - ١١٩

(٢) ذو كبد : ذو حياة .

(٣) أراد به نصف مكوك ، أو نصف وسق . والمكوك : المد ، وقيل : الصاع . وضبطت

الراء في شطر بالفتحة والضمة وعليها « معا » في ب .

(٤) في رفا لي : الرف : شبه الطاق في الحائط . ويطلق على خشبة عريضة ترفع عن

الأرض تمد لوضع ما يراد حفظه .

(٥) البطحاء والأبطح : واد تجري فيه السيول . أو بطن واد فيه رمل وحصى . والمراد

بجعله ذهباً أن يملأه به ، أو أن يقلب حصاه ورماله ذهباً .

(٦) في نسيم الرياض ( ٢ - ١٤٣ ) : قال السيوطي : لم أجده هكذا . ولكن البيهقي

أخرجه في الزهد من طريق عطاء ، عن ابن عباس - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوماً :

ما أمسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق ، فأتاه إسرافيل عليه السلام ، فقال : إن الله

سمع ما ذكرت ، فبعثني إليك بمفاتيح الأرض ، وأمرني أن أعرض عليك إن أحببت أن أسير

معك جبال تهامة يا قوتا وذهباً وفضة ، فقلت . . .

قال : فما ذكره المصنف رحمه الله رواية بالمعنى من عدة أحاديث .

(٧) أطرق ساعة : طأطأ رأسه يفكر فيما يجيبه به صلى الله عليه وسلم .

(٨) دار من لا دار له : لأنها فانية لا يقيم فيها أحد .

لا مال<sup>(۱)</sup> له ، قد يجمعها من لا عقل له .

فقال له جبريل : ثبَّتَكَ اللهُ يا محمدُ بالقول الثابت<sup>(۲)</sup> .

وعن عائشة<sup>(۳)</sup> قالت : إن كنا آل محمد كنمكثُ شهرا ما نستوقد<sup>(۴)</sup> نارا ؛  
إن هو إلا التمرُ والماء .

وعن عبدالرحمن بن عوف<sup>(۵)</sup> : هلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم [٤٥] ، ولم يشبع  
هو وأهلُ بيته من خبزِ الشعير .

وعن عائشة وأبي أمامة<sup>(۶)</sup> ، وابن عباس نحوه .

قال ابن عباس : كان صلى الله عليه وسلم يبيتُ هو وأهله الليالي المتتابعةَ  
طاوياً<sup>(۷)</sup> لا يجدون عشاءً .

وعن أنس<sup>(۸)</sup> : ما أكل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على خوانٍ  
ولا في سُكْرُجَةٍ<sup>(۹)</sup> ، ولا خُبْزِ له مَرَّقٍ<sup>(۱۰)</sup> ، ولا رأى شاةً سَمِيطاً<sup>(۱۱)</sup> قط .

(۱) ومال من لا مال له : أى إن ما يملكه المرء فيها يسلب منه ، فهو عارية أو ودیعة ،  
فصاحبه لا ملك له حقيقة ، فكل غنى فيها فقير . (۲) بالقول الثابت : الحق ؛ لأنه دائم لا يزول .

(۳) فى حدیث صحیح فى البخارى : ۸ - ۱۲۱

(۴) هذا كناية عن أنهم ليس عندهم ما يطبخ .

(۵) هذا الحديث رواه الترمذی فى سننه : ۴ - ۵۸۰

(۶) حدیث أبى أمامة فى سنن الترمذی : ۴ - ۵۸۰ ، وحدیث ابن عباس هو الآتى

بعد ، وهو فى سنن الترمذی أيضا : ۴ - ۵۸۰

(۷) طاوياً : جائعاً . (۸) فى حدیث رواه البخارى : ۸ - ۱۲۱

(۹) خوان : مائدة . والسكْرُجَةُ : قصعة صغيرة يوضع فيها الكوامخ .

(۱۰) المرقق : رقيق الخبز . كالرقاق . وفى ب : مرقق - بالرفع والنصب ، وعابها كلمة «معا» .

(۱۱) فى نسیم الرياض (۲-۱۴۷) : أى لم يطبخ له صلى الله عليه وسلم شاة بتامها بعد ستمطها -

أى غلبها فى الماء الحار حتى يذهب شعرها ، ثم تشوى . وظاهر كلامهم أنها لم تسليخ ، وأن ما ذكر

فى الحملان الصغيرة . وقال القارى ( ۱ - ۳۱۰ ) : سميطا ؛ أى مسموطا ، يعنى مشويا بجلده .



وعن عائشة <sup>(١)</sup> : إنما كان فراشه الذي ينام عليه أدماً <sup>(٢)</sup> حشوه ليف .  
 وعن حفصة <sup>(٣)</sup> قالت : كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته <sup>(٤)</sup>  
 مسحاً <sup>(٥)</sup> نثنيه ثنيتين <sup>(٦)</sup> ، فينام عليه ، فثيناه له ليلة بأربع ، فلما أصبح قال :  
 ما فرشتم <sup>(٧)</sup> لي الليلة ؟ فذكرنا ذلك له ، فقال : ردوه بحاله ، فإن وطأته <sup>(٨)</sup> منعتني  
 الليلة صلاتي .

وكان صلى الله عليه وسلم ينام أحياناً على سرير مرمول <sup>(٩)</sup> بشريط حتى يؤثر  
 في جنبه <sup>(١٠)</sup> .

وعن عائشة قالت : لم يمتلي جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعاً قط ، ولم يبت <sup>(١١)</sup>  
 شكوى إلى أحدٍ ، وكانت الفاقة <sup>(١٢)</sup> أحب إليه من الغنى ، وإن كان ليظل جاثماً

- 
- (١) الحديث في البخارى : ٨ - ١٢١ (٢) آدم : جلد مدبوغ لين .  
 (٣) حديث حفصة رواه الترمذى في الشمائل منقطعا . قال في نسيم الرياض : وحديثها  
 لا ينافى حديث عائشة المتقدم ، لجواز أن كلا منها ذكرت فراشه الذي كان عندها .  
 (٤) في ب : في بيتي . وفي هامشه : في بيته .  
 (٥) مسحاً : المسح : ثوب للفراش شبه الكساء . وقيل : من شعر أسود . قال الشهاب  
 ( ٢ - ١٤٧ ) : وهو على كل حال شيء غليظ يتنزه عن مثله أهل الترفه .  
 (٦) ضبطت التاء في الكسرة . وفي ب : ثنين . وضبطت التاء بالفتحة والكسرة ،  
 وكتب فوقها « معا » .  
 (٧) في ا ، ب : ما فرشتهوني . وفي هامش ب : ما فرشتمو لي .  
 (٨) وطأته : لينه تحت جنبي . وضبطت الواو في ب بالكسرة . وفي ا : وطأته -  
 بفتح الواو وسكون الطاء .  
 (٩) مرمول ، ومرمل ، ورمال : ينسج في وجهه بالسعف وغيره ويشد بشريط ونحوه .  
 (١٠) كان يؤثر في جنبه لكونه بغير فراش يحول بينه وبينه . وهذا الحديث في صحيح  
 مسلم : ١٩٤٤ ، والترمذى : ٤ - ٥٨٨ ، وابن ماجه : ١٣٩٠ .  
 (١١) لم يبت : لم يذكر ويظهر .  
 (١٢) الفاقة : الحاجة والفقر .

يَلْتَوِي طَوْلَ لَيْلَتِهِ مِنَ الْجُوعِ فَلَا يَمْنَعُهُ صِيَامَ يَوْمِهِ ، وَلَوْ شَاءَ سَأَلَ رَبَّهُ جَمِيعَ كَنْوَزِ  
الْأَرْضِ وَثَمَارِهَا وَرَعْدِ عَيْشِهَا ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي لَهُ رَحْمَةً تَمَّا أَرَى بِهِ ، وَأَمْسَحُ  
بِيَدِي عَلَى بَطْنِهِ تَمَّا بِهِ مِنَ الْجُوعِ ، وَأَقُولُ : نَفْسِي لَكَ الْفِدَاءُ ؛ لَوْ تَبَلَّغْتَ مِنَ الدُّنْيَا  
بِمَا يَقُوتُكَ <sup>(۱)</sup> ! فَيَقُولُ : يَا عَائِشَةُ ؛ مَا لِي وَلِلدُّنْيَا ، إِخْوَانِي مِنَ أَوْلَى الْعِزْمِ مِنَ الْمُرْسَلِ  
صَبْرُوا عَلَى مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا ، فَمَضَوْا عَلَى حَالِهِمْ <sup>(۲)</sup> ، فَقَدِمُوا عَلَى رَبِّهِمْ ، فَأَكْرَمَ  
مَآبِهِمْ <sup>(۳)</sup> ، وَأَجْزَلَ ثَوَابِهِمْ <sup>(۴)</sup> ؛ فَأَجِدُنِي أَسْتَحْيِي إِنْ تَرَفَّهْتَ <sup>(۵)</sup> فِي مَعِيشَتِي أَنْ يُقَصِّرَ  
بِي غَدَا دُونَهِمْ <sup>(۶)</sup> ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ اللُّحُوقِ بِإِخْوَانِي وَأَخْلَائِي <sup>(۷)</sup> .  
قَالَتْ : فَمَا أَقَامَ بَعْدُ إِلَّا شَهْرًا حَتَّى تُوَفِّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

### فصل ۲۳

وَأَمَّا خَوْفُهُ رَبَّهُ ، وَطَاعَتُهُ لَهُ ؛ وَشِدَّةُ عِبَادَتِهِ ، فَعَلَى قَدْرِ عِلْمِهِ بِرَبِّهِ <sup>(۸)</sup> ، وَلِذَلِكَ  
قَالَ فِيهَا حَدِيثُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ بِنِ عَتَّابٍ قَرَأَةَ مِنِّي عَلَيْهِ . قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الطَّرَافُ بَلَسِي ،

(۱) التَّبْلُغُ : مِنَ الْبَلَغِ ، وَهُوَ مَقْدَارُ الْكِفَايَةِ . وَالْمُرَادُ : لَوْ أَكْتَفَيْتَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْكَفَافِ  
مِنَ الْقُوَّةِ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ وَمَحْمَصَةٍ .

(۲) مَضَوْا عَلَى حَالِهِمْ : اسْتَمَرُّوا عَلَيْهِ رَاضِينَ بِقَضَاءِ اللَّهِ لَهُمْ إِلَى أَنْ مَاتُوا .

(۳) مَآبِهِمْ : مَرَجَمَهُمْ إِلَيْهِ .

(۴) أَجْزَلَ ثَوَابِهِمْ : أَكْثَرَ لَهُمُ الْعَطَاءَ وَالْجِزَاءَ فِي دَارِ الْمَقَامِ .

(۵) إِنْ تَرَفَّهْتَ : تَنَعَّمْتَ وَتَوَسَّعْتَ فِي الْعَيْشِ .

(۶) فَيَكُونُ مَقَامِي دُونَ مَقَامِهِمْ ، وَتَنْزِلُ مَرْتَبَتِي عَنْ مَرْتَبَتِهِمْ .

(۷) الْمُرَادُ بِالْإِخْوَانِ وَالْأَخْلَاءِ : الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

(۸) فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ ( ۲ - ۱۵۳ ) : قَالَ الْقَشِيرِيُّ : مِنْ عَرَفَهُ صَدَقَ فِي مَعَامِلَاتِهِ ، وَتَنَقَّى

مِنْ رَدِيءِ أَخْلَاقِهِ وَآفَاتِهِ ؛ وَمِنْ أَمَارَاتِ الْعُرْفَةِ حُصُولِ الْخَوْفِ مَعَ الْإِجْلَالِ .

وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ الْمُصَنِّفُ ؛ فَإِنَّ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ حَقَّ قَدْرُهُ اشْتَدَّ خَوْفُهُ مِنْهُ ، وَأَطَاعَهُ وَعَبَدَهُ

عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ ؛ وَإِنَّمَا يَعْصِي اللَّهَ مَنْ جَهِلَ رَبَّهُ وَنَفْسَهُ ؛ فَإِنَّ الْإِيمَانَ مَحَبَّةُ اللَّهِ ، وَمَنْ أَحَبَّهُ  
أَطَاعَهُ .

حدثنا أبو الحسن القاسبي ، حدثنا أبو زيد المرؤزي ، حدثنا أبو عبد الله الفربري ،  
حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا يحيى بن بكير ، عن الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ،  
عن سعيد بن المسيب - أن أبا هريرة كان يقول <sup>(١)</sup> : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ، ولبكيتم كثيرا .

زاد في روايتنا ، عن أبي عيسى الترمذي <sup>(٢)</sup> - رفعه إلى أبي ذر : إني أرى  
ما لا ترون ، وأسمع ما لا تسمعون ، أظت السماء وحق لها أن تئط <sup>(٣)</sup> ، ما فيها موضع  
أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم  
قليلا ولبكيتم كثيرا ، وما تلذذتم بالنساء على الفراش ، ولا تخرجتم إلى الصعدات  
تجأرون إلى الله <sup>(٤)</sup> ، لو ددت أني شجرة تعضد <sup>(٥)</sup> .

رؤي هذا الكلام : وددت أني شجرة تعضد - من قول أبي ذر نفسه <sup>(٦)</sup> ،  
وهو أصح .

وفي حديث المغيرة <sup>(٧)</sup> : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه <sup>(٨)</sup>

(١) هذا الحديث في سنن الترمذي : ٥٥٧ - ٤ (٢) سنن الترمذي : ٤ - ٥٥٦

(٣) أظت السماء : أصل معنى الأظيط : صوت الإبل إذا حنت ، والتهب إذا ضغطه ثقل ما  
عليه ، ونحو ذلك ؛ أي إن السماء لكثرة ما عليها من الملائكة إذا تحركوا يسمع لها صوت  
سمعه النبي صلى الله عليه وسلم . وحق لها أن تئط : أي تصوت ، ويسمع لها صرير لثقل ما  
عليها . وهذا إيذان بكثرة ما في السماء من الملائكة . والمراد تقرير عظمة الله .

(٤) الصعدات : الطرقات . تجأرون : تضجون وتصيحون ، وتستغيثون الله ، وتتركون  
أهلكم ومساكنكم . وفي هامش ا : تجأرون : ترفمون أصواتكم بالدعاء .

(٥) تعضد : تقطع من أصلها . والمراد تمنيه أن يكون غير ذي روح فلا يبعث ولا يسأل .

(٦) أي هذه العبارة من قول أبي ذر لا من الحديث وكلام النبي .

(٧) صحيح مسلم : ٢١٧١

(٨) انتفخت قدماه : ورمت من طول القيام .

وفي رواية<sup>(١)</sup> : كان يصلي حتى تريمَ قدماه ؛ فقيل له : أتكلف<sup>(٢)</sup> هذا وقد غفر  
لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ا قال : أفلا أكون عبداً شكوراً<sup>(٣)</sup> .  
ونحوه عن أبي سلمة ، وأبي هريرة .

وقالت عائشة<sup>(٤)</sup> : كان عملُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ديمةً<sup>(٥)</sup> ، وأبيكم

يُطبق [٤٦] ما كان يُطبق !

وقالت : كان يصوم حتى نقول : لا يفطر . ويُفطر حتى نقول : لا يصوم .

ونحوه عن ابن عباس ، وأم سلمة ، وأنس<sup>(٦)</sup> .

وقالت<sup>(٧)</sup> : كنت لا تشاء أن تراه من الليل مُصلياً إلا رأيتَه مُصلياً ، ولا نأتما

إلا رأيتَه نائماً .

وقال عوف بن مالك : كنتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستأكَ ثم

توضاً ، ثم قام يُصلي ، فقمتُ معه ، فبدأ فاستفتح<sup>(٨)</sup> البقرة ، فلا يمرُّ بآية رحمة إلا

وقف فسأل<sup>(٩)</sup> ، ولا يمرُّ بآية عذاب إلا وقف فتعوذ ، ثم ركع ، فمكث بقدر قيامه ،

يقول : سبحان ذي الجبروت<sup>(١٠)</sup> والمللكوت والعظمة ، ثم سجد وقال مثل ذلك ؛

ثم قرأ آل عمران ، ثم سورة سورة ، يفعل مثل ذلك<sup>(١١)</sup> .

(١) صحيح مسلم : ٢١٧٢ (٢) أتكلف : أتسكف ؛ أي تتحمل مشقته وكلفته .

(٣) أي أترك الصلاة لمغفرته ، وهي سبب موجب للعبادة لا لتركها .

(٤) صحيح مسلم : ٥٤١ (٥) ديمة : دائماً متصلاً .

(٦) قال في نسيم الرياض : والأحاديث التي رواها هؤلاء بمعنى ما تقدم مع اختلاف في

بعض ألفاظها ، وكلها صحيحة مروية في الصحيحين وابن حبان .

(٧) في ١ : وقال ؛ أي قال كل منهم . وفي ب : وقالت ؛ أي عائشة فيما رواه عنها أيضاً .

(٨) استفتح البقرة : شرع في قراءتها . (٩) فسأل : سأل الله الرحمة .

(١٠) الجبروت والمللكوت : مبالغة في الجبر ، وهو القهر . والمللكوت : الملك العظيم .

(١١) سنن أبي داود : ١ - ٨٨

وعن حذيفة مثله ، وقال : سجد نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ ، وجلس بين السجدة تين نحواً منه ، وقال : حتى قرأ البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة (۱) .

وعن عائشة : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من (۲) القرآن ليلة .

وعن عبد الله بن السخيري : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ، ولجوفه أزيزٌ كأزيزِ المرجل (۳) .

وقال ابن أبي هالة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الأحران ، دائم الفكرة (۴) ، ليست له راحة .

وقال عليه السلام : إني لاستغفرُ الله في اليوم مائة مرة - ورؤي سبعين مرة .  
وعن علي رضي الله عنه ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته (۵) ، فقال : المعرفة رأس مالي (۶) ، والعقل أصل ديني (۷) ، والحب أساسي (۸) ، والشوق

(۱) أي قرأ في كل ركعة بسورة من هذه السور : ستين أبي داود : ۱ - ۸۸

(۲) الآية التي رددتها طول ليله هي من سورة المائدة : إن تمذّبهم فإنهم عبادك . . . . (شرح القاري : ۱ - ۳۱۷) .

(۳) جوف كل شيء : باطنه ، والمراد به ما تحت صدره وأضلاعه ، والأزيز : صوت الغليان إذا اشتد . والمرجل : القدر . والمراد أنه صلى الله عليه وسلم - لشدة خوفه وخشيته من الله - يسمع حركة قلبه .

(۴) دائم الفكرة : يفكر دائماً في أمره وأمramته ، وفي عاقبة الأمر .

(۵) سنته : طريقته التي هو عليها .

قال في نسيم الرياض : وهذا الحديث ذكره في الإحياء . وقال الحافظ العراقي : إنه لا أصل له . وقال السيوطي : إنه موضوع ، وآثار الوضع لائحة عليه ، وهو يشبه كلام الصوفية (نسيم الرياض : ۲ - ۱۶۱) .

(۶) للمعرفة : المراد بها معرفة الله وصفاته والوقوف على غوامض الأمور مما لم يكن يعلمه .

(۷) أي دينه وشرعه ، أي ما تعبد به وتدين قبل البعثة مبني على ما أودعه الله تعالى فيه من كمال عقله الذي هداه إلى النظر في مصنوعات الله الدالة على وحدانيته وعظمته .

(۸) والحب : محبة الله أساس ما يبني عليه أمره في اتباع أوامر الله ونواهيه .

مَرْكَبِي<sup>(۱)</sup>، وَذِكْرُ اللَّهِ أَنِيسِي<sup>(۲)</sup>، وَالثِّقَةُ كَنْزِي، وَالْحَزْنُ رَفِيقِي، وَالْعِلْمُ سِلَاحِي،  
وَالصَّبْرُ رِدَائِي، وَالرِّضَا غَنِيمَتِي، وَالْعَجْزُ فَيْخَرِي، وَالزُّهْدُ حِرْفَتِي<sup>(۳)</sup>، وَالْيَقِينُ  
قُوَّتِي، وَالصَّدَقُ شَفِيعِي، وَالطَّاعَةُ حَسْبِي، وَالْجِهَادُ خُلُقِي، وَقُرَّةُ عَيْنِي<sup>(۴)</sup> فِي الصَّلَاةِ.  
وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: وَتَمْرَةٌ فَوَادِي فِي ذِكْرِهِ، وَغَمِّي لِأَجْلِ أُمَّتِي، وَشَوْقِي إِلَى رَبِّي.

## فصل ۲۴

اعلم وفقنا الله وإياك أن صفات جميع الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم؛ من  
كمال الخلق، وحسن الصورة، وشرف النسب، وحسن الخلق، وجميع المحاسن،  
هي هذه الصفة؛ لأنها صفات الكمال<sup>(۵)</sup>، والكمال والتمام البشري والفضل<sup>(۶)</sup>  
الجميع لهم صلوات الله عليهم؛ إذ رتبهم أشرف الرتب، ودرجاتهم أرفع الدرجات،  
ولكن فضل الله بعضهم على بعض؛ قال الله تعالى<sup>(۷)</sup>: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم  
على بعض﴾. وقال<sup>(۸)</sup>: ﴿ولقد اخترناهم على علم على العالمين﴾.

وقد قال عليه السلام<sup>(۹)</sup>: إن أول زمرة<sup>(۱۰)</sup> يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر<sup>(۱۱)</sup>؛

(۱) والشوق مركبي: أي شوق إلى المطالب العالية، وإلى لقاء الله تعالى - هو الذي حركني  
حتى وصلت لمراذي.

(۲) وذكر الله أنيسي: يعني أنه يأنس في خلوقه وجلوته بذكر الله؛ لأنه إذا أكثر من  
ذكره صار نصب عينيه حتى كأنه معه، ومن كان الله معه أنس به، واستوحش بما عداه.

(۳) الحرفة: الصناعة التي يرتزق منها الإنسان.

(۴) قرّة عيني: مسرتها وفرحتها في الصلاة.

(۵) المعنى أن كمال الخلق، وحسن الصورة، وشرف النسب، وحسن الخلق - صفات جامعة  
لجميع المحاسن، وهي صفة الرسل عليهم السلام، وهي على الوجه الآتم الأكل لا يجتمع في غيرهم.

(۶) والفضل الجميع: أي الفضل جميعه.

(۷) سورة الدخان، آية ۳۳ (۹) في حديث رواه مسلم: ۲۱۷۸، ۲۱۷۹.

(۱۰) زمرة: طائفة؛ وجماعة. والمراد بهذه الزمرة: الأنبياء، أو الأنبياء والأولياء.

(۱۱) على صورة القمر: أي وجوههم مشرقة مضيئة. والقمر ليلة البدر يكون أضواءه يكون.

ثم قال آخر الحديث : على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ، طولهُ ستون ذراعا في السماء .

وفي حديث أبي هريرة<sup>(۱)</sup> : رأيتُ موسى فإذا هو رجلٌ ضَرْبٌ رَجَلٍ ، أَقْنَى كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَاءَ<sup>(۲)</sup> ورأيتُ عيسى فإذا هو رجلٌ رُبْعَةٌ ، كَثِيرُ خَيْلَانَ الْوَجْهِ ، أَحْمَرٌ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ<sup>(۳)</sup> .

وفي حديث آخر : مُبْطَنٌ مِثْلُ السِّيفِ<sup>(۴)</sup> ؛ قال : وأنا أشبههُ وَوَلَدِ إِبْرَاهِيمَ بِهِ . وقال في حديثٍ آخر في صِفَةِ موسى : كَأَحْسَنَ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ مِنْ أَدَمِ<sup>(۵)</sup> الرِّجَالِ . وفي حديث أبي هريرة ، عنه صلى الله عليه وسلم : ما بعث الله تعالى من بعدِ لوطٍ نبيا إلا في ذُرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ<sup>(۶)</sup> .

(۱) في صحيح مسلم : ۱۵۳

(۲) ضرب : جسمه بين الهزال والسمن ، رجل : شعره متكسر قليلا . ليس بسيط .  
أقنى : طويل الأنف دقيق أرنبته . شنوءة : اسم قبيلة .

(۳) رُبْعَةٌ : بين الطول والقصر ، معتدل القامة . والخيلان : جمع خال ، وهو الشامة السوداء المعروفة . الديماس : الحمام . والمراد صفاء لونه مع حمرة فيه . وكامة « ديماس » ضبطت الدال فيها بالفتحة والكسرة ، وعليها « معا » في ۱ .

وفي هامش ۱ ، عن الثريبين للهروي : الديماس : الكن ؛ أي كأنه مخدر لم ير شمسا . وقال بعضهم : الديماس : السرب . ومنه يقال : دمسته ؛ إذا قبرته . ويقال : الديماس : الحمام .

وانظر أيضا : النهاية : ۲ - ۳۲ ، والفائق : ۱ - ۴۱۱

(۴) مبطن : ضامر البطن ، مثل السيف : في استوائه ودقته .

وفي هامش ۱ : والبطان ضده . والبطون : الذي يشتكى بطنه .

(۵) آدم الرجال : من الأدمة ، وهي سمرة اللون . وجمع آدم : آدم .

(۶) الذروة : أعلى شيء ؛ أي بين قوم له ، ذوى جدة وسعة وشرف ، لا غرباء ، ولا

من قوم ليسوا كذلك . وأشار بهذا الحديث إلى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم شاركوا نبينا صلى الله عليه وسلم في علو النسب ، وشرف القوم .

ويروى [ ٤٧ ] : في ثُرْوَةٍ ؛ أَي كَثْرَةٍ وَمَنْعَةٍ (١) .

وحكى الترمذى (٢) ، عن قتادة ، ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن أنس : ما بعث الله نبيا إلا حسن الوجه ، حسن الصوت ، وكان (٣) نبيكم أحسنهم وجها ، وأحسنهم صوتا .

وفي حديث هرقل (٤) : وسألتك عن نسبه ، فذكرت أنه فيكم ذو نسب (٥) ، وكذلك الرسل تبعث في أنساب (٦) قومها .

وقال تعالى في أيوب (٧) : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٨) .  
وقال تعالى (٩) : ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ (١٠) وآتيناه الحُكْمَ صَبِيحًا .  
وحنانًا من لدنا وزكاة (١١) وكان تقيا . وبرًا بوالديه ولم يكن جبارًا عصيا .  
وسلامٌ عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا .

(١) ومنعة : أى قوم يمنعونه ويحمونه .

(٢) الحديث المذكور فى الشئائل وغيرها مرسلًا .

(٣) فى ب : فكان .

(٤) هذا الحديث رواه البخارى : ١ - ٧ ، وكان هذا حين أرسل هرقل إلى أبى سفيان وهو بالشام للتجارة فى ركب من قريش فى مدة محادة رسول الله لكفار قريش ، فأتوه بإيليا ، فدعاهم وحوله عظماء الروم ، فسألهم عن أحوال النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فكان أول ما سأله عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؛ فقال : هو فينا ذو نسب .

(٥) ذو نسب : ذو نسب عظيم .

(٦) أى كل نبي له نسب عال فى قومه . (٧) سورة ص ، آية ٤٤

(٨) أواب : كثير الرجوع لربه بمراجعة دعائه ، وامتنال أوامره ونواهيها .

(٩) سورة مريم ، الآيات من ١٢ - ١٥

(١٠) بقوة : أى بقوة فهم ، وعزيمة على العمل بما فيه .

(١١) حنانا : فى طبعه الرحمة . وزكاة : مطهرا من النقائص .



وقال (١): ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِصِدْقٍ مِمَّا بَكَرْتَهُ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ (٢)  
وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ .

وقال (٣): ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ .  
ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ .

وقال - في نوح (٤): ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ .

وقال (٥): ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا  
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (٦) وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ . وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ .  
وقال (٧): ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا . وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا  
كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ .

وقال تعالى (٨): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأهُ﴾ (٩)  
اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا .

قال النبي صلى الله عليه وسلم: كان موسى رجلاً حَيِّياً سَتِيراً (١٠) مَا يُرَى مِنْ جَسَدِهِ  
شَيْءٌ اسْتَحْيَاءٌ . . . الحديث (١١) .

(١) سورة آل عمران ، آية ٣٩

(٢) وحصورا : الحصور الذي لا يأتي النساء ، إما من العنة وإما من العفة والاجتهاد  
في إزالة الشهوة ، والثاني أظهر في الآية لأنه بذلك يستحق المحمدة ( المفردات ١٢٠ ) .

(٣) سورة آل عمران ، آية ٣٣ ، ٣٤ (٤) سورة الإسراء ، آية ٣

(٥) سورة آل عمران ، آية ٤٥ ، ٤٦ ، وهذه الآية في عيسى .

(٦) وجيها : شريفا قدره في الدارين . (٧) سورة مريم ، آية ٣٠

(٨) سورة الأحزاب ، آية ٦٩

(٩) عابوه - لشدة تستره حياء من الله ، بأن في بدنه برصا أو به أدرة ، فبرأه الله من  
ذلك وبين أنه كامل الخلق والخلق .

(١٠) حياء : كثير الحياء . ستيرا : شديد التستر لبدنه .

(١١) الحديث رواه الترمذي في صحيحه : ٥-٣٥٩ ، وتمته أنه كان يكثر التستر ويفتسل =

وقال تعالى - عنه (١) : ﴿ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا ﴾ (٢) وجعلني مِنَ المرسلين ﴿ .  
وقال في وصف جماعة منهم (٣) : ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ .  
وقال (٤) : ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ التَّوَى الْأَمِينُ ﴾ .  
وقال (٥) : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ .  
وقال (٦) : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ  
وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي  
الْمُحْسِنِينَ . وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلَىٰ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ . وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ  
وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ . وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ  
وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ  
عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ  
وَالْحِكْمَ وَالنَّبُوءَةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوًّا بِهَا بِكَاْفِرِينَ .  
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاؤِهِمْ اقْتَدِه . . . ﴾ .  
فوصفهم بأوصافٍ جمَّةٍ من الصَّلاح والهدى والاجتباء والحكم والنبوة (٧) .

= وحده؛ قالوا: إنه إنما يفعل هذا لبرص أو أدرة، فذهب مرة ليفتسل ووضع ثوبه على حجر،  
فلما أراد أن يلبسه فر الحجر، وجرى خلفه يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى مر على  
بنى إسرائيل، فرأوه أكمل الناس وأصعهم بدنا، فبرى مما سموه وآذوه به .

(١) سورة الشعراء، آية ٢١ (٢) حكما: علما ونبوة .

(٣) سورة الشعراء، آية ١٠٧، وغيرها .

(٤) القائل هو موسى لشعيب . سورة القصص، آية ٢٦

(٥) سورة الأحقاف، آية ٣٥

(٦) سورة الأنعام، الآيات من ٨٤ - ٩٠

(٧) جمَّة: كثيرة . والصَّلاح: صفة جامعة لكل خير . والاجتباء: الاصطفاء والاختيار

للمرسلة . والحكم: الحكمة، أو فصل الأمر على مقتضى الحق .

- وقال (۱) : فَبَشِّرْ نَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ . وَعَلِيمٍ .  
 وقال (۲) : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا (۳) قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ . أَنْ أَدُّوا  
 إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ .  
 وقال (۴) : ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (۵) .  
 وقال (۶) - في إسماعيل : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا . وَكَانَ  
 يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ .  
 وفي موسى (۷) : ﴿ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ﴾ (۸) .  
 وفي سليمان (۹) : ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ .  
 وقال (۱۰) : ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي  
 وَالْأَبْصَارِ (۱۱) . إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (۱۲) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ  
 الْأَخْيَارِ ﴾ (۱۳) .

- (۱) سورة الصافات ، آية ۱۰۱ . وفي الداريات ، آية ۲۸ : وبشروه بغلام عليم .  
 والمبشر : هو إسحاق .  
 (۲) سورة الدخان ، آية ۱۷ ، ۱۸ (۳) فتنا : المراد بالفتنة الاختبار والامتحان .  
 (۴) سورة الصافات ، آية ۱۰۲ ، والقائل هو إسماعيل لوالده إبراهيم .  
 (۵) من الصابرين على الذبح مسلما لله ، ولذلك سلمه الله وفداه .  
 (۶) سورة مريم ، آية ۵۴ ، ۵۵ (۷) سورة مريم ، آية ۵۱  
 (۸) ضبطت اللام في « مخلصا » بالكسرة في ۱ ، قال القاري ( ۱ - ۷۲۳ ) : وفي قراءة  
 للبيعة بفتح اللام ؛ أي أخلصه الله واختاره ، واصطفاه .  
 (۹) سورة ص ، آية ۳۰ ، ۴۴ . والأواب : كثير الرجوع إلى ربه .  
 (۱۰) سورة ص ، آية : ۴۵ - ۴۷  
 (۱۱) الأيدي : جمع يد ، بمعنى القوة . والأبصار : جمع بصر ، بمعنى بصيرة .  
 (۱۲) جعلناهم خالصين بسبب أنهم لا يذكرون إلا الدار الآخرة .  
 (۱۳) الأخيار : جمع خير .

وفي داود<sup>(۱)</sup> : ﴿ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ . ثم قال<sup>(۲)</sup> : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾<sup>(۳)</sup> .

وقال - عن يوسف<sup>(۴)</sup> : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ .

وفي موسى<sup>(۵)</sup> : ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ﴾ .

[ وقال تعالى<sup>(۶)</sup> - عن شعيب : ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ]<sup>(۷)</sup> .

وقال<sup>(۸)</sup> : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ

مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ .

وقال<sup>(۹)</sup> : ﴿ وَلَوْ طَآءَنَّا بِنَاكُمْ حَكْمًا وَعِلْمًا ﴾ .

وقال<sup>(۱۰)</sup> : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا

لَنَا خَاشِعِينَ ﴾<sup>(۱۱)</sup> .

قال سفيان : هو<sup>(۱۲)</sup> الحزنُ الدائمُ .

(۱) سورة ص ، آية ۱۷ ، ۱۹ (۲) سورة ص ، آية ۲۰

(۳) شددنا ملكه : قويناه . وفصل الخطاب : الكلام الفاصل بين الحق والباطل .

(۴) سورة يوسف ، آية ۵۵ (۵) سورة الكهف ، آية ۶۹

(۶) سورة القصص ، آية ۲۷ ، والمخاطب في قوله تعالى : « ستجدني » - هو موسى .

(۷) ما بين القوسين ساقط في ۱ .

(۸) سورة هود ، آية ۸۸ . أخالفكم : من قولهم : خالفت فلانا إلى كذا ، إذا قصدته مع

إعراضه عنه . والمعنى : ما أريد أن آتي ما نهيتكم عنه لأستبد به لعلني أنه خطأ ، وفي ارتكابه

خطر ، فلو كان صوابا لآثرته ، ولم أتركه فضلا عن أن أنهي غيري عنه .

(۹) سورة الأنبياء ، آية ۷۴

(۱۰) الأنبياء : ۹۰ ، إنهم : أي الأنبياء المذكورون في سورتهم .

(۱۱) شأنهم المبادرة إلى فعل أنواع الخير ، وسؤال الله تعالى في الرغبة والرغبة ؛ أي للرغبة

في المثوبة والقربة ، والرغبة عن العقوبة .

(۱۲) هو تفسير الحشوع في قوله تعالى : وكانوا لنا خاشعين .

في آي كثيرة، ذكر فيها من خصالهم ومحاسن أخلاقهم الدالة على كمالهم .  
وجاء من ذلك في الأحاديث كثير، كقوله<sup>(۱)</sup> : إنما الكريم ابن الكريم .  
ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، نبي ابن نبي  
ابن نبي ابن نبي .

وفي حديث أنس<sup>(۲)</sup> : وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم .  
وروى أن سليمان<sup>(۳)</sup> كان مع ما أعطى من الملك لا يرفع بصره إلى السماء تخشعاً  
وتواضعاً لله تعالى . وكان يطعم الناس لذائذ الأطعمة ويأكل خبز الشعير .  
وأوحى الله إليه : يا رأس العابدين<sup>(۴)</sup> ، وابن محجة الزاهدين<sup>(۵)</sup> .  
وكانت العجوز تعترضه<sup>(۶)</sup> - وهو على الریح في جنوده، فيأمر الریح فتقف فينظر  
في حاجتها ويمضي .

وقيل ليوسف: مالك تجوع وأنت على خزائن الأرض؟ قال: أخاف أن أشبع  
فأنسى الجائع [ ٤٨ ] .

وروى أبو هريرة عنه<sup>(۷)</sup> صلى الله عليه وسلم : خفف على داود القرآن<sup>(۸)</sup> ، فكان  
يأمر بدوابه ، ففسرج ، فيقرأ القرآن قبل أن تسرج<sup>(۹)</sup> ، ولا يأكل إلا من عمل يده .

(۱) هذا الحديث في صحيح البخاري بدون: «إنما» (صحيح البخاري : ٤ - ٢٢٤) .

(۲) في حديث رواه البخاري : ٤ - ٢٣٢

(۳) رواه الطبراني ، عن أبي هريرة . (٤) رأس العابدين : أعلام ورئيسهم .

(٥) محجة الزاهدين : مقصدهم ومقصداهم الذي يأنسون بسنته ومسلكه .

(٦) تعترضه : تجيء له وتقف مقابلته .

(٧) رواه البخاري : ٦ - ١٠٧

(٨) المراد قراءة كتابه ، وهو الزبور . والمراد بتخفيفه سرعة قراءته في زمن يسير .

(٩) قيل هذا من البركة في الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير .

قال الله تعالى (۱): ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ . أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾ (۲) .  
وكان (۳) سأل ربه أن يرزقه عملاً بيده يُغنيه عن بيت المال .

وقال عليه السلام (۴): «أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ . وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ : كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ ، وَيَصُومُ يَوْمًا وَيَفْطُرُ يَوْمًا . وَكَانَ يَلْبَسُ الصُّوفَ ، وَيَفْتَرِشُ الشَّعْرَ ، وَيَأْكُلُ خُبْزَ الشَّعِيرِ بِالْمِلْحِ وَالرَّمَادِ ، وَيَمْزُجُ شَرَابَهُ بِالدموعِ» (۵) ، ولم ير ضاحكاً بعد الخطيئة (۶) ، ولا شاخصاً يبصره إلى السماء ، حياً من ربه ، ولم يزل با كيا حياته كلها .  
وقيل : بَكَى حَتَّى نَبَتَ العُشْبُ مِنْ دَموعِهِ (۷) ، وَحَتَّى اتَّخَذَتِ الدَّموعُ فِي خَدِّهِ أُخْدُودًا (۸) .

وقيل : كَانَ يَخْرُجُ مُتَنَكِّراً يَتَعَرَّفُ سِيرَتَهُ ، فَيَسْتَمِعُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ ، فَيَزِدَادُ تَوَاضَعًا .  
وقيل لعيسى عليه السلام : لَوْ اتَّخَذْتَ حِمَارًا . قَالَ : أَنَا أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يَشْغَلَنِي بِحِمَارٍ .

وكان يلبس الشعر ، ويأكل الشجر ، ولم يكن له بيت أينما أدركه النوم نام .  
وكان أحبُّ الأسامي إليه أن يُقال له مِسْكِينٌ (۹) .

(۱) سورة سبأ ، آية ۱۰ ، ۱۱

(۲) سابغات : دروعا طويلة تامة . السرد : سرده : نسجه وعمله . ومضى تقديره جعل ثقوب طرفي الحلق على قدر المسامير ، وكون المسامير غير رقيقة فتفلق ، ولا غايظة فتكسر الحلق .  
(۳) وكان : أي داود . (۴) صحيح مسلم : ۸۱۶ (۵) لكثرة بكائه .  
(۶) الخطيئة : تزوجه بامرأة أوريا . قال في نسيم الرياض : وليست هذه خطيئة ، ولكن علو مقامه وزهده يقتضى خلاف ذلك ؛ فلذا عوتب عليه .

(۷) هذا رواه ابن أبي حاتم عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً ، وعن مجاهد وغيره موقوفاً .

(۸) الأخدود : الشق المستطيل في الأرض . والمراد أثرت أثرا في خده .

(۹) رغبة في التواضع لمظامة الله . وقد ضبطت الباء في «أحب» بالضمه وعليها علامة الصحة في ا .

وقيل : إن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين كانت تُرَى خُضْرَةُ الْبَقْلِ<sup>(١)</sup> في بطنه من الهزال .

وقال عليه السلام : لقد كان الأنبياء قبلي يُبْتَلَى أَحَدُهُمْ بِالْفَقْرِ وَالْقَمَلِ ، وَكَانَ ذَلِكَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْعَطَاءِ إِلَيْكُمْ .

وقال عيسى عليه السلام - لِحَنْزِيرٍ لَقِيَهُ : اذْهَبْ بِسَلَامٍ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : أَكْرَهُ أَنْ أَعُوذَ لِسَانِي الْمُنْطَقَ بِسُوءٍ .

وقال مجاهد : كَانَ طَعَامُ يُحْيِي الْعُشْبَ .

وَكَانَ يَبْكِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى اتَّخَذَ الدَّمْعَ<sup>(٢)</sup> مَجْرَى فِي خَدِّهِ ، وَكَانَ يَأْكُلُ مِنَ الْوَحْشِ لئَلَا يُخَالِطَ النَّاسَ .

وَحكى الطبريُّ ، عن وَهْبٍ ، أَنَّ مُوسَى كَانَ يَسْتِظِلُّ بِعَرِيْشٍ<sup>(٣)</sup> ، وَيَأْكُلُ فِي ثُقْرَةٍ مِنْ حَجَرٍ ، وَيَكْرَعُ فِيهَا<sup>(٤)</sup> إِذَا أَرَادَ أَنْ يَشْرَبَ كَمَا تَكْرَعُ الدَّابَّةُ ، تَوَاضَعَا لِلَّهِ بِمَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ كَلَامِهِ .

وَأَخْبَارُهُمْ فِي هَذَا كَلَّهُ مَسْطُورَةٌ ، وَصِفَاتُهُمْ فِي الْكَمَالِ وَجَمِيلِ الْأَخْلَاقِ ، وَحَسَنِ الصُّوَرِ وَالشَّمَائِلِ مَعْرُوفَةٌ مَشْهُورَةٌ ؛ فَلَا نَطَوَّلُ بِهَا ، وَلَا تَلْتَفِتُ إِلَى مَا تَجِدُهُ<sup>(٥)</sup> فِي كُتُبِ بَعْضِ جَهْلَةِ الْمُؤَرِّخِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ مِمَّا يَخَالِفُ هَذَا .

(١) البقل : ما ليس بشجر من النبات مما تبقى أرومته وأصوله بعد أخذه .

(٢) في ب : الدموع .

(٣) العريش : هو ما يستظل به خيمة كانت أو خشبا أو نباتا .

(٤) يكرع فيها : أي يضع ما يشرب في ثقرة يكب عليها ويشرب منها بفيه .

(٥) في هامش ب : تجده - بالنون .

فصل ٢٥

قد أتيناك - أكرمك الله - من ذكر الأخلاق الحميدة، والفضائل المجيدة،  
وخصال الكمال العديدة، وأريناك صحتها<sup>(١)</sup> له صلى الله عليه وسلم، وجلينا<sup>(٢)</sup> من  
الآثار ما فيه منافع، والأمر أوسع؛ فجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم ممتدًا،  
تنقطع دون نفاذه الأدلاء<sup>(٣)</sup>، وبحر علم خصائصه زاخر لا تُكدره الأدلاء<sup>(٤)</sup>،  
لكننا أتينا فيه بالمعروف<sup>(٥)</sup> مما أكرهه في الصحيح والمشهور من المصنفات؛ واقتصرنا  
في ذلك بقول من كل<sup>(٦)</sup>، وغيب من فيض<sup>(٧)</sup>، ورأينا أن نختم هذه النصول  
بذكر حديث الحسن<sup>(٨)</sup>، عن أبي هالة، لجمعه من شمائله وأوصافه كثيرًا، وإدماجه  
جملة كافية من سيره وفضائله، وأنصله بتنبئه لطيف على غريبه ومُشكلة.

حدثنا القاضي أبو علي الحسين بن محمد الحافظ - رحمه الله - بقرائه عليه سنة ثمان  
وخمسة مائة [٤٩]؛ قال: حدثنا الإمام أبو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي قراءة عليه،  
أخبركم الفقيه الأديب أبو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري، والشيخ الفقيه  
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن الحمدي، والقاضي أبو علي الحسن بن علي بن جعفر

(١) أي كونها صحيحة في حقه صلى الله عليه وسلم.

(٢) جلينا: روينا ونقلنا، وأوردنا وشرحنا.

(٣) الأدلاء: جمع دليل، وهو من يتقدم الركب ليهديهم إلى الطريق.

(٤) الدلاء: جمع دلو. وهو ما يؤخذ به الماء. وعدم تكديره: عبارة عن عدم بلوغ

آخره؛ لأنه إذا بلغه حرك طينه فيتكدر ماؤه. (٥) المعروف: المشهور الذي يعرفه الناس.

(٦) القل: القليل، بمعنى القلة؛ أي ذكرنا أمرا قليلا منه لا كثيرا، أو دون الجميع،

لأنه لا يمكن الإحاطة به. وكامة «كل» فوقها علامة الصحة في ب. وفي هامشه: كثير.

(٧) الفيض: المراد القليل. الفيض: المراد به الكثير.

(٨) رواه الترمذي في شمائله صفحة ٤ من نسختي المخطوطة. وهو في دلائل النبوة للبيهقي



الوَحْشِيِّ؛ قالوا: حدثنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن الحسن أنخزاعي، أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، أنبأنا أبو عيسى بن سورة الحافظ؛ قال: حدثنا سُفْيَانُ بن وَكَيْعٍ، حدثنا جَمِيعُ بن عُمر بن عبد الرحمن العجلي إمامنا؛ من كتابه؛ قال: حدثني رجلٌ من بني تميم من وُلْدِ أَبِي هَالَةَ زَوْجِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، يَكْنَى أبا عبد الله، عن ابنِ لَأْبِي <sup>(۱)</sup> هَالَةَ، عن الحسن بن علي بن أبي طالب رَحِمَهُ اللَّهُ؛ قال: سألتُ خالي هِنْدَ بنَ أَبِي هَالَةَ .

قال القاضي أبو علي رَحِمَهُ اللَّهُ <sup>(۲)</sup>: وقرأتُ علي الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن ابن أحمد بن خُذَادَادِ <sup>(۳)</sup> السَّكْرَجِيِّ <sup>(۴)</sup> الباقِلَانِي؛ قال: وأجاز لنا الشيخُ الأجلُّ أبو النضل أحمد بن الحسين بن خيرٌون؛ قالوا: حدثنا أبو علي الحسن بن أحمد ابن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي قراءةً عليه فأقرَّ به، قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر ابن عبید الله <sup>(۵)</sup> بن الحسين بن علي بن [الحسين بن علي] <sup>(۶)</sup> بن أبي طالب المعروف بابن أخي طاهر العلوي، قال: حدثنا إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد

(۱) قال الذهبي: إن هذا الرجل لا يعرف اسمه؛ فهذا الحديث منقطع، لأن فيه راويًا مجهولًا (نسيم الرياض: ۲ - ۱۸۳).

(۲) فروى هذا الحديث من طريقين. والقاضي هذا هو ابن سكرة.

(۳) في ب: خذاداد. وفي هامشه: معناه بالفارسية: عطاء الله. وقال الشهاب (۲ - ۱۸۳): إنه خذادادا - بألف مقصورة آخره.

(۴) عليه علامة الصحة في ب. وقال في هامشه: كذا وقع السكرجي - بالجيم. وضبطه كذلك الشهاب (۲ - ۱۸۳). وفي أ: السكرخي - بالخاء. وضبطه القاري (۱ - ۳۳۵) بسكون الراء، ورواه بالجيم.

(۵) هذا في أ، ب. وفي شرح القاري، وشرح الخفاجي: عبد الله.

(۶) من ب، وعليه علامة الصحة.

ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ؛ قال : حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين ، عن أخيه موسى بن جعفر ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن علي بن الحسين ، قال : قال الحسن بن علي - واللفظ لهذا السند (١) : سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية (٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان وصافاً (٣) - وأنا أَرْجُو أَنْ يَصِفَ لِي مِنْهَا شَيْئًا أَتَعَلَّقُ (٤) بِهِ ، قَالَ (٥) :

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخْمًا مُفَخَّمًا (٦) ، يَتَلَأَلُ وَجْهَهُ تَلَأُلًا الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ (٧) ، أَطْوَلَ مِنَ الْمَرْبُوعِ (٨) ، وَأَقْصَرَ مِنَ الْمَشَدَّبِ ، عَظِيمِ الْهَامَةِ (٩) ، رَجُلٍ الشَّعْرُ ؛ إِنْ انْفَرَقَتْ عَقِيْقَتُهُ فَرَّقَ ، وَإِلَّا فَلَا يَجَاوِزُ شَعْرَهُ شَحْمَةَ أُذُنِهِ (١٠) ، إِذَا هُوَ وَفَّرَهُ ، أَزْهَرَ اللَّوْنَ ، وَاسْعَ الْجَبِيْنَ ، أَزَجَّ الْحَوَاجِبَ ، سَوَابِغَ ، مِنْ غَيْرِ قَرْنٍ ، بَيْنَهُمَا عِرْقٌ يُدْرُهُ (١١) الْغَضَبُ ، أَقْنَى الْعِرْوَيْنِ ، لَهُ نُورٌ يَعْلُوهُ ، وَيَحْسِبُهُ (١٢) مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ

(١) وهو الطريق الثاني في الإسناد، وهو في شمائل الترمذي صفحة ٤ من مخطوطاتي المحققة،

وصفحة ١٨ من المواهب ، وسنن الترمذي : ٥ - ٥٩٢

(٢) الحلية : ما يتحلى به من الصفات .

(٣) كان وصافاً : كان فصيحاً له خبرة بوصف الناس لحذقه . أو كان معروفاً بذكر صفات

الذي صلى الله عليه وسلم . (٤) أتعلق به : أحفظه وأتمسك به تبركاً .

(٥) سيأتي تفسير لغريب هذا الحديث في الفصل التالي ؛ ولهذا لن نشرح إلا ما تركه

المصنف - فيما يأتي في ذلك الفصل .

(٦) الفخم : العظيم ، والمراد أن أعضاءه صلى الله عليه وسلم تامة الحلقة واسعة سعة غير

مفرطة . مفخماً : المراد أنه معظم في العيون الناظرة إليه .

(٧) يتلألأ وجهه : يشرق ويضيء .

(٨) المربع : الذي بين الطول والقصر . (٩) الهامة : الرأس .

(١٠) شحمة الأذن : مالان منها حيث يعلق القرط .

(١١) سوابغ : أطوال كاملة . قرن : اقتران واتصال . يدره الغضب : المراد أنه يظهره لغليان

الدم بالغضب بعد ما كان خفياً . (١٢) يحسبه : يظنه .

أَشْمٌ ، كَثَّ اللَّحْيَةِ (۱) ، أَدْعَجٌ ، سَهَّلَ الْخَدَيْنِ (۲) ، ضَلِيعَ الْفَمِ ، أَشْنَبٌ ، مُفْلَجٌ ،  
 الْأَسْنَانُ ، دَقِيقَ الْمَسْرُوبَةِ ، كَأَنَّ عُنُقَهُ جِيدٌ دُمِيَّةٌ فِي صَفَاءِ الْفِضَّةِ (۳) ، مَعْتَدِلَ الْخَلْقِ ،  
 بَادِنًا ، مُتَمَسِّكًا ، سِوَاءَ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ ، مُشِيحَ الصَّدْرِ ، بَعِيدًا مَا بَيْنَ الْمَنكَبَيْنِ ،  
 ضَخْمَ الْكَرَادِيسِ ، أَنْوَرَ الْمُتَجَرِّدِ (۴) ، مَوْصُولًا مَا بَيْنَ اللَّبَّةِ وَالسَّرَةِ بِشَمْرِ يَجْرِي  
 كَالْحَطِّ ، عَارِي الثَّدْيَيْنِ ، مَا سِوَى ذَلِكَ (۵) ، أَشْعَرَ الذَّرَاعَيْنِ (۶) وَالْمَنكَبَيْنِ وَأَعَالَى  
 الصَّدْرِ ، طَوِيلَ الزُّنْدَيْنِ ، رَحْبَ الرَّاحَةِ ، شَتْنِ الْكَفَّيْنِ (۷) وَالْقَدَمَيْنِ ، سَائِلَ الْأَطْرَافِ -  
 [ أَوْ قَالَ : سَائِنَ الْأَطْرَافِ ] (۸) ، سَبِطَ الْعَصَبِ (۹) ، خُمَصَانَ الْأَخْمَصَيْنِ ، مَسِيحَ  
 الْقَدَمَيْنِ ، يَنْبُو عَنْهُمَا الْمَاءُ ، إِذَا زَالَ زَالَ تَقْلَعًا ، وَيَخْطُو تَكْفًا ، وَيَمْشِي هَوْنًا ،  
 ذَرِيعَ الْمَشْيَةِ ، إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ ، وَإِذَا التَفَتَ التَفَتَ جَمِيعًا (۱۰) ،  
 خَافِضَ الطَّرْفِ (۱۱) ، نَظَرَهُ إِلَى الْأَرْضِ أَطْوَلَ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، جُلُّ نَظَرِهِ

(۱) كَثَّ اللَّحْيَةِ : لِحْيَتُهُ كَثِيرَةٌ الشَّعْرُ مِنْ غَيْرِ طَوْلٍ وَلَا دَقَّةٍ شَمْرٌ .

(۲) سَهَّلَ الْخَدَيْنِ : غَيْرُ مَرْتَفِعٍ الْوَجْنَةُ وَكَثِيرُ اللَّحْمِ فِيهَا .

(۳) جِيدٌ : عُنُقٌ . وَالْدُمِيَّةُ : الصُّورَةُ مِنْ رِخَامٍ أَوْ عَاجٍ ، وَالْمَرَادُ شِدَّةُ بَيَاضِهِ وَطَوْلُهُ .

(۴) أَنْوَرَ الْمُتَجَرِّدِ : يَعْنِي مَا خَفِيَ مِنَ الْبَدَنِ . وَأَنْوَرَ : نِيرٌ ، مَشْرُقٌ .

(۵) مَا سِوَى ذَلِكَ : أَيُّ مَا سِوَى الشَّعْرِ الَّذِي بَيْنَ السَّرَةِ وَاللَّبَّةِ . وَاللَّبَّةُ : النَّحْرُ . وَقِيلَ الصَّدْرُ .

وَقِيلَ مَوْضِعُ الْقَلَادَةِ . وَفِي ب : مِمَّا سِوَى ذَلِكَ .

(۶) أَشْعَرَ الذَّرَاعَيْنِ : أَيُّ كَثِيرٌ شَعْرُهُمَا .

(۷) شَتْنِ الْكَفَّيْنِ : الشَّتْنُ : الضَّخْمُ الْمُتَلَيُّ لِحْمًا .

(۸) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ كَتَبَ أَمَامَهُ ، فِي هَامِشٍ أ : لَيْسَ مِنَ الرَّوَايَةِ . وَفِي ب : أَوْ قَالَ :

هُوَ سَائِنٌ .

(۹) سَبِطَ الْعَصَبِ : سَبِطٌ : مُمْتَدٌّ لَيْسَ بِهِ تَعْقِدٌ .

(۱۰) التَفَتَ جَمِيعًا : إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدُورَ إِلَى خَلْفِهِ أَوْ فِي جَانِبِهِ لَا يَلْوِي عُنُقَهُ ؛ بَلْ يَصْرِفُ

جَمِيعَ بَدَنِهِ فَيَقْبَلُ جَمِيعًا وَيُدْبِرُ جَمِيعًا .

(۱۱) خَافِضَ الطَّرْفِ : الطَّرْفُ : الْعَيْنُ .

الملاحظة<sup>(۱)</sup>، يسوق أصحابه<sup>(۲)</sup>، [۵۰] ويبدأ من لقيه<sup>(۳)</sup> بالسلام.

قلت: صِف لي منطِقَه<sup>(۴)</sup>.

قال: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم متواصلَ الأحرانِ<sup>(۵)</sup>، دائمَ الفِكْرَةِ، ليست له راحةٌ، ولا يتكلمُ في غير حاجةٍ، طويلَ السكوتِ، يفتح الكلامَ ويختمه بأشداقِه، ويتكلمُ بجوامع الكلمِ فصلاً<sup>(۶)</sup>، لا فضولَ<sup>(۷)</sup> فيه ولا تقصيرٍ، دَمِثاً ليس بالجافِي ولا المُهينِ<sup>(۸)</sup>، يعظُمُ النعمةَ وإن دقت<sup>(۹)</sup>، لا يذمُّ شيئاً، لم يكن يذمُّ ذواقاً<sup>(۱۰)</sup>، ولا يمدحُه، ولا يُقامُ لغضبه إذا تعرضَ للحق بشيءٍ<sup>(۱۱)</sup> حتى يلتصِرَ له، ولا يفضبُ نفسه ولا يلتصِرَ لها، إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها<sup>(۱۲)</sup> وإذا تحدثَ

(۱) جل نظره الملاحظة: جل: معظم، وأكثر. والملاحظة: النظر باللحظ، وهو طرف العين مما يلي الصدغ.

(۲) يسوق أصحابه: يمشی خلفهم، ولا يدع أحدا منهم يمشی خلفه، كما هي عادة المتكبرين.

(۳) في ب: لقي. (۴) منطقه: نطقه وكلامه.

(۵) أي لم يكن كلامه بفرح وبطر، بل بحزن وأصف. وفي نسيم الرياض (۲ - ۱۹۲):

قال ابن قيم الجوزية: قول أبي هالة: متواصل الأحران - لم يثبت عنه، وفي سنده مجهول؛ كيف وقد صانه الله عن الحزن وأسبابه، ونهاه عنه بقوله: لا تحزن، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فلا خوف عليه، ولا حزن في الدنيا والآخرة؛ فمن أين يأتيه الحزن؟

(۶) فصلاً: كلاماً فاصلاً للخصومة، وفارقاً بين الحق والباطل.

(۷) لا فضول: لا زيادة.

(۸) دمث: من الدمثة، وهي سهولة الخلق. والجافي: غليظ الطبع. وقد ضبطت اليم

في كلمة «المهين» في ب - بالضم. وفي النهاية: بالضم من الإهانة؛ أي لا يهين أحدا من الناس، وبالفتح من المهانة؛ أي الحقارة.

(۹) دقت: صغرت.

(۱۰) ذواقا: ما يذاق من مأكول ومشروب.

(۱۱) أي لا يثبت له أحد إذا غضب. إذا تعرض: إذا تعرض أحد للحق بما يبطله.

(۱۲) في ب ضبطت اللام بالتشديد.

اتَّصَلَ<sup>(١)</sup> بها، فضرب يانها مه اليمنى راحته اليسرى ، وَإِذَا غَضِبَ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ<sup>(٢)</sup> ،  
وإذا فرح غَضَّ طَرْفَهُ ، جَلَّ<sup>(٣)</sup> ضَحِكُهُ التَّبَسُّمُ ، وَيَفْتَرُّ<sup>(٤)</sup> عَنِ<sup>(٥)</sup> مِثْلِ حَبِّ الْغَمَامِ .  
قال الحسن : فَكَتَمْتَهَا الْحُسَيْنَ بن علي زمانا ، ثم حَدَّثْتُهُ فوجدته قد سبقني إليه<sup>(٥)</sup> ،  
فسأل أباه عن مَدْخَلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَخْرَجِهِ وَمَجْلِسِهِ وَشَكْلِهِ<sup>(٦)</sup> ،  
فلم يَدَعْ مِنْهُ شَيْئًا .

قال الحسين : سألتُ أَبِي عن دُخُولِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال :  
كان دُخُولُهُ لِنَفْسِهِ مَأْذُونًا لَهُ فِي ذَلِكَ<sup>(٧)</sup> ، فَكَانَ إِذَا أَوَى إِلَى مَنْزِلِهِ جُزْأً  
دُخُولُهُ<sup>(٨)</sup> ثَلَاثَةَ أَجْزَاءَ : جُزْأَ اللَّهِ ، وَجُزْأَ الْأَهْلِ ، وَجُزْأَ لِنَفْسِهِ ، ثُمَّ جُزْأَ جُزْأَهُ بَيْنَهُ  
وَبَيْنَ النَّاسِ ، فَيَرُدُّ ذَلِكَ عَلَى الْعَامَّةِ بِالْخَاصَّةِ<sup>(٩)</sup> ، وَلَا يَدْخِرُ عَنْهُمْ شَيْئًا ، فَكَانَ مِنْ  
سِيرَتِهِ فِي جُزْأِ الْأُمَّةِ<sup>(١٠)</sup> إِيْثَارُ أَهْلِ الْفَضْلِ بِإِذْنِهِ<sup>(١١)</sup> وَقِسْمَتُهُ عَلَى قَدْرِ فَضْلِهِمْ

(١) اتصل بها : لا يزال يحركها ، أو وصل إحدى يديه بالأخرى . والمراد أنه كان إذا  
حدث وصل حديثه بالإشارة بيده توكيداً له .

(٢) أشاح : صرف وجهه ، أو مال وانقبض . (٣) جل : أكثر ، وممّظم .

(٤) يفتّر : من قولهم : افتّر ضاحكاً ، إذا أبدى أسنانه . (٥) إليه : إلى الحديث .

(٦) المراد خروج وجه صلى الله عليه وسلم للناس ، ودخول بيته ؛ وجلسه عندهم . وشكله :  
أى هيئته ، أو هى بكسر الشين بمعنى الهدى والسمت .

(٧) دخوله لنفسه : أى دخوله منزله ليجتمع بأهله لمصاحبه وقضاء مآربه وقبولته .  
مأذونا له فى ذلك : من الله إذنا عاما بحيث يدخل أى بيت من بيوته فى أى وقت .

(٨) جزأ دخوله : قسم زمن دخوله لبيته .

(٩) العامة : ما عدا الخاصة . ويرد : يوصل ويعطى ، كأنه لما كان لهم حق فى الجملة أخذ  
منهم ثم رد إليهم . والمراد أن الخاصة كانت تخبر العامة بما سمعته منه صلى الله عليه وسلم إذا  
لم يكن مما لا ينبغى كتبه عنهم . (١٠) وهو الجزء الذى جعله للناس .

(١١) الإيثار : تقديم ما يؤثره على غيره . والمراد بإذنه أنه يأذن لهم فى الدخول فى  
خلوته فى بيته .

فی الدین<sup>(۱)</sup>؛ منهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتین، ومنهم ذو الخواصج، فیتشاغل بهم، ویشغلهم فیما أصلحهم<sup>(۲)</sup>، والأمة من مسأله عنهم وإخبارهم بالذی ینبغی لهم؛ ویقول: لیبلغ الشاهد منكم الغائب، وأبأونی حاجة من لا یستطیع إبلاغی حاجته، فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لا یستطیع إبلاغها ثبت الله قدمیه یوم القيامة<sup>(۳)</sup>، لا یدرک عنده إلا ذلك، ولا یقبل من أحد غیره.

وقال<sup>(۴)</sup> فی حدیث سفیان بن وکیع: یدخلون روادا<sup>(۵)</sup>، ولا یتفرقون إلا عن ذواق<sup>(۶)</sup>، ویخرجون أدلة - یعنی فقهاء<sup>(۷)</sup>.

قلت<sup>(۸)</sup>: فأخبرنی عن مخرجه<sup>(۹)</sup> کیف كان یصنع فیہ؟

قال: كان رسول الله صلى الله علیه وسلم یخزن لسانه إلا مما یعنیهم<sup>(۱۰)</sup> ویؤلفهم ولا یفرقهم؛ یكرم کریم کل قوم، ویؤایه علیهم، ویحذر الناس، ویحترس منهم،

(۱) أى قسمته جزأه فی حدیثه معهم واشتغاله بأحوالهم على قدر تفاوتهم فی الدین، لأن أكرمهم عند الله أتقاهم.

(۲) أى مافیہ صلاحهم.

(۳) على الصراط یوم تزل الأقدام، والمراد نجاته من أهوال الموقف.

(۴) وقال: أى على رضى الله عنه فی رواية فی حدیث سفیان بن وکیع.

(۵) روادا: جمع رائد، والمراد طالبین محتاجین للإرشاد. أو هی رواد - بكسر الراء

وتخفيف الواو؛ أى ملتجئین لأنذین به. وفی هامش ا: لوادا. ولوادا: ملتجئین إلیه، ومتخصنین محتتمین به، أو متقربین عنده.

(۶) ولا یتفرقون إلا عن ذواق: لا یتفرقون من مجلسه إلا عن علم وأدب هو غذاء

لأرواحهم. وفی ب: لا یتفرقون.

(۷) فقهاء: عالمین بأمور الدین، هداة مرشدين للناس، یرتدى بهم غیرهم.

(۸) قلت: قاله الحسین لأبیہ رضى الله عنه.

(۹) عن مخرجه: عن حاله صلى الله علیه وسلم بعد خروجه من منزله.

(۱۰) یخزن لسانه: یصونه. یعنیهم: یرحمهم وینفعهم.

مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْوِيَ عَنْ أَحَدٍ بَشْرَهُ <sup>(۱)</sup> وَخُلُقَهُ ، وَيَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ <sup>(۲)</sup> ، وَيَسْأَلُ النَّاسَ  
عَمَّا فِي النَّاسِ ، وَيَحْسِنُ الْحَسْنَ وَيُصَوِّبُهُ . وَيَقْبَحُ الْقَبِيحَ وَيُوهِّنُهُ <sup>(۳)</sup> ، مَعْتَدِلَ الْأَمْرِ  
غَيْرِ مُخْتَلَفٍ <sup>(۴)</sup> ، لَا يَغْفُلُ مَخَافَةَ أَنْ يَغْفُلُوا أَوْ يَمَلُّوا ، لِكُلِّ حَالٍ عِنْدَهُ عَتَادٌ <sup>(۵)</sup> ،  
لَا يُقَصِّرُ عَنِ الْحَقِّ ، وَلَا يَجَاوِزُهُ إِلَى غَيْرِهِ ، الَّذِينَ يَلُونَهُ <sup>(۶)</sup> مِنَ النَّاسِ خِيَارُهُمْ ،  
وَأَفْضَاؤُهُمْ عِنْدَهُ أَعْمَهُمْ <sup>(۷)</sup> نَصِيحَةٌ ؛ وَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةٌ أَحْسَنُهُمْ مَوَاسَاةً  
وَمُؤَاوِزَةً <sup>(۸)</sup> .

فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَجْلِسِهِ : عَمَّا كَانَ يَصْنَعُ فِيهِ .

فَقَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَجْلِسُ وَلَا يَقُومُ إِلَّا عَلَى ذِكْرِ <sup>(۹)</sup> ،  
وَلَا يُؤْتِنُ الْأَمَاكِنَ ، وَيَنْتَهِي عَنِ إِطْلَاقِهَا <sup>(۱۰)</sup> ، وَإِذَا انْتَهَى إِلَى قَوْمٍ جَلَسَ حَيْثُ  
يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ ، وَيَأْمُرُ بِذَلِكَ ، وَيُعْطِي كُلَّ جُلُوسَاتِهِ نَصِيبَهُ حَتَّى لَا يَحْسِبَ <sup>(۱۱)</sup> ،  
جَلِيسُهُ أَنْ أَحَدًا أَكْرَمُ عَلَيْهِ فِيهِ ، مَنْ جَالَسَهُ أَوْ قَاوَمَهُ لِحَاجَةِ صَابِرِهِ حَتَّى [ ۵۱ ] يَكُونَ  
هُوَ الْمُنْصَرَفَ عَنْهُ <sup>(۱۲)</sup> .

- (۱) يطوي : يخفي ويمنع . وبشره : طلاقة وجهه وانبساطه معه تأنيدا له وتأليفا لقلبه  
وإذهابا لخوف مهابته . (۲) يتفقّد أصحابه : يسأل عمن لم يحضر عنده منهم .  
(۳) يوهنه : أي يقول هو فعل قبيح وضعيف وساقط تنفيرا وتحذيرا ونصحا .  
(۴) غير مختلف : على سنن واحد في جميع أوقاته .  
(۵) العتاد : العدة ، والحاضر المعد لإصلاحه وتداركه إذا وقع .  
(۶) الذين يلونه : أي يقربون منه في مجلسه .  
(۷) في ب : أحسنهم . وفي هامشه : أعمهم .  
(۸) المواساة : إعطاء من يريد ما يحتاج إليه . والموازية : إعانة من يلجأ إليه .  
(۹) على ذكر الله ، أو إفادة علم ، أو بيان حمد وشكر .  
(۱۰) المراد أنه لا يلزم مكانا بخصوصه في غير بيته . (۱۱) لا يحسب : لا يظن .  
(۱۲) قاومه : قام مع قيامه لعرض حاجته أو لغير ذلك . صابره : صبر عليه ، فلا ينصرف  
عنه حتى ينصرف هو ؛ كل ذلك لتطيب قلوبهم .

مَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَرُدَّهُ إِلَّا بِهَا أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ <sup>(۱)</sup> . قَدْ وَسَّعَ النَّاسَ ،  
بَسَطَهُ وَخُلِقَهُ <sup>(۲)</sup> ؛ فَصَارَ لَهُمْ أَبَا ، وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، مَتَقَارِبِينَ مَتَفَاضِلِينَ  
فِيهِ بِالتَّقْوَى .

وَفِي الرَّوَايَةِ الْآخَرَى : صَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ ،  
وَصَبْرٍ وَأَمَانَةٍ ؛ لَا تُرْفَعُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ ، وَلَا تُؤْتَبَنُ فِيهِ الْحُرْمُ <sup>(۳)</sup> ، وَلَا تُتْنَى  
فَلْتَاتُهُ <sup>(۴)</sup> ، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ <sup>(۵)</sup> ، مِنْ غَيْرِ الرَّوَايَتَيْنِ . .

يَتَعَاطُونَ فِيهِ بِالتَّقْوَى مُتَوَاصِفِينَ <sup>(۶)</sup> ، يُؤَقَّرُونَ فِيهِ <sup>(۷)</sup> الْكَبِيرُ ، وَيَرْحَمُونَ  
الصَّغِيرَ ، وَيَرْفِدُونَ <sup>(۸)</sup> ذَا الْحَاجَةِ ، وَيَرْحَمُونَ <sup>(۹)</sup> الْغَرِيبَ .  
فَسَأَلْتُهُ عَنْ سِيرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَلْسَانِهِ .

فَقَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَائِمَ الْبِشْرِ <sup>(۱۰)</sup> ، سَهْلَ الْخُلُقِ ، أَيْنَ

- 
- (۱) بميسور من القول : أى رده بقول لين سهل لاغلظة فيه .  
(۲) بسطه : أى بسط يده ، وسماحته ، وطلاقة وجهه ، وإبداء سروره ، وحسن خلقه .  
(۳) لاتؤبن فيه الحرم : لاتذكر بسوء . والحرم : جمع حرمة ، وهى ما لا  
يجل ، والمراد النساء .  
(۴) لاتننى : لاتذكر . فلتاته : جمع فلتة ؛ وهى الزلة ، أى القبيح الذى يقع بفتة .  
والمراد أنه لا قبيح فيه حتى يذكر . أو أن الفلتة إذا وقعت لا تذكر ؛ بل تستر .  
(۵) وهذه الكلمة : يريد قوله : لاتننى فلتاته - من غير روايتى الحسن عن خاله ، ورواية  
الحسين عن أبيه .  
(۶) يتعاطون بالتقوى : يعطف بعضهم على بعض ، ويشفق عليه ويرحمه بسبب تقوى الله ،  
لأرياء ولا سمعة ولا خوفاً واتقاءً شر .  
(۷) فيه : أى فى المجلس .  
(۸) يرفدون : يعينون ويواسون . وفى ب : يرفدون - بضم الياء ، ويرفدون  
بفتحها وعليها « معا » .  
(۹) فى ب : ويحفظون . وفى هامشه : ويرحمون . ويؤثرون .  
(۱۰) البشر : طلاقة الوجه وبشاشته ، وإظهار السرور .



الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ<sup>(۱)</sup> ، ولا سخاب<sup>(۲)</sup> ، ولا فحاش ، ولا عياب  
 ولا مداح<sup>(۳)</sup> ، يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤس منه<sup>(۴)</sup> ، قد ترك نفسه من ثلاث :  
 الرياء<sup>(۵)</sup> ، والإكثار ، ومالا يعنيه . وَتَرَكَ النَّاسَ مِنْ ثَلَاثٍ : كَانَ لَا يَذُمُّ أَحَدًا ،  
 وَلَا يُعَيِّرُهُ ، وَلَا يَطْلُبُ عَوْرَتَهُ<sup>(۶)</sup> ، وَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فِيمَا يَرْجُو ثَوَابَهُ ، إِذَا تَكَلَّمَ أُطْرَقَ  
 جِلْسَاؤُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ<sup>(۷)</sup> ، وَإِذَا سَكَتَ تَكَلَّمُوا ، لَا يَتَنَازَعُونَ عِنْدَهُ  
 الْحَدِيثَ<sup>(۸)</sup> . مَنْ تَكَلَّمَ عِنْدَهُ أَنْصَتُوا لَهُ حَتَّى يَفْرُغَ ، حَدِيثُهُمْ حَدِيثٌ أَوَّلُهُمْ<sup>(۹)</sup> ،  
 يَضْحَكُ مِمَّا يَضْحَكُونَ مِنْهُ ، وَيَتَعْجَبُ مِمَّا يَتَعْجَبُونَ<sup>(۱۰)</sup> مِنْهُ ، وَيَصْبِرُ لِلْغَرِيبِ عَلَى

(۱) الفظ : السيء الخلق . والغليظ : الشديد المتوعد .

(۲) ولا سخاب - بالسين والصاد : لا يرفع صوته جدا في خصومة ونحوها .

(۳) ولا فحاش : لا يتكلم بقبیح كالشتم . ولا عياب : ولا يذكر عيوب الناس  
 وتقائصهم . ولا مداح : أى لا يكثر المدح لغيره وبطريه بمبالغة .

(۴) ولا يؤس منه : يعنى إذا سئل عما لا يليق تغافل عنه ولم يرد السائل حتى يئأس ،  
 أو يبين له أنه سأل ما لا يليق فيخرجل سائله . وهذا الضبط فى ا . وفى ب : يؤس - وضبطت  
 الهمزة بالفتحة والكسرة ، وكتب فوقها « معا » . وقال فى هامشه : فى نسخة يؤس -  
 مبنى لما لم يسم فاعله . والصحيح ما فى الأصل .

(۵) ترك نفسه : نزهها ، وأبعدها ، ومنعها . والرياء : إظهار ما فيه من الصفات الحميدة  
 والأفعال الجميلة للناس حتى يحمدها ويشيع ذلك عنه .

(۶) لا يطلب عورته : لا يتجسس عن معائب الناس ويبحث عنها .

(۷) كأنما على رؤوسهم الطير : بسكون ووقار من غير طيش ولا خفة .

(۸) لا يتنازعون عنده الحديث : إذا كانوا فى مجلسه لا يديرون الحديث بينهم ، فيحدث

بعضهم بعضا كما هو جار بين الناس إذا اجتمعوا فى ناد .

(۹) حديثهم حديث أولهم ؛ أى حديث كل واحد منهم إنما هو حديث من قبله ، يعنى

أنه لا حديث له معه يقطعه . وفى ب : حديث أوليتهم . وفى هامشه : أولهم .

(۱۰) فى ب : يعجب مما يعجبون .

الجفوة<sup>(١)</sup> في المنطق ، ويقول : إذا رأيتمُ صاحبَ الحجَّةِ يطلبها فأرْفِدُوهُ<sup>(٢)</sup> ، ولا يطلب الثناء إلا من مُكافئ ، ولا يقطعُ على أحد حديثه حتى يتجاوزَه فيقطعهُ بانتهاء أو قيام .

هنا انتهى حديثُ سفيان بن وكيع .

وزاد الآخر<sup>(٣)</sup> : قلتُ : كيف كان سكوتُه صلى الله عليه وسلم ؟

قال : كان سكوتُه على أربع : على الجِلْمِ ، والحذر ، والتقدير ، والتفكير . فأما تقديرُه ففي تسوية النظرِ والاستماعِ بين الناس<sup>(٤)</sup> ، وأما تفكيرُه فقيل : يَبْقَى وَيُنْفَى .

وُجِعَ له الجِلْمُ صلى الله عليه وسلم في الصبر ، فكان لا يُغْضِبُهُ شيءٌ يستفزُه<sup>(٥)</sup> . وُجِعَ له في الحذر أربعٌ : أخذُه بالحسن<sup>(٦)</sup> ليقتدى به ، وتركُه القبيحِ لِيذْهَبَ عنه ، واجتهادُ الرأى<sup>(٧)</sup> بما أصلح أُمَّتَه ، والقيامُ<sup>(٨)</sup> لهم بما جمع لهم أمرَ الدنيا والآخرة . انتهى الوصف بحمدِ الله وعونه .

(١) الجفوة : الغلظة والتكلم بما لا يليق ، أو بما يؤلم .

(٢) أرْفِدُوهُ : أعينوه وأعطوه . وفي ١ : فارْفِدُوهُ - بهمزة وصل .

(٣) الآخر : صاحب الرواية الأخرى التي هي من رواية أبي علي الحافظ ابن سكرة .

(٤) تسوية النظر بين الناس : جعلهم متساوين في النظر إليهم ، والاستماع إلى حديثهم ؛

وفي ب : من الناس .

(٥) يَسْتَفْزِهُ : يستخفه ، بحيث يبدو منه خفة وقلق لأمور الدنيا .

(٦) أخذُه بالحسن : تمسكه بكل أمر مستحسن مشروع .

(٧) واجتهاد الرأى : أى اجتهاده فيما يراه رأياً يصلح أُمَّتَه .

(٨) والقيام لهم : القيام : التعهد والالتزام والاجتهاد وبذل ما في وسعه وطاقته من أجل

إصلاحهم . ولا خلاف في أنه صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في أمور الدنيا ويرجع إلى رأى

غيره في ذلك .

## فصل ٢٦

في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله

قوله : المُشَدَّب ، أي البائن <sup>(١)</sup> الطول في نحافة ، وهو مثلُ قوله في الحديث الآخر : ليس بالطويل المَمْفِط <sup>(٢)</sup> .

والشَّعْر الرَّجِلِ : الذي كأنه مُشِط فتكسَّر قليلا ؛ ليس بسَبِطٍ ولا جَعْدٌ <sup>(٣)</sup> .  
والعَقِيَّة : شعر الرأس <sup>(٤)</sup> ، أراد إن انفردت من ذاتِ نفسها <sup>(٥)</sup> فرَقها ،  
وإلا تركها مَعْقُوصَةً <sup>(٦)</sup> . ويرُوى : عَقِيصَتَه <sup>(٧)</sup> .

وأزهر اللّون : نيره . وقيل : أزهر : حسن . ومنه زهرة الحياة الدنيا ، أي زينتها .

وهذا كما قال في الحديث الآخر <sup>(٨)</sup> : ليس بالأبيض الأمهق ، ولا بالآدم .  
والأمهق : هو الناصع البياض . والآدم : الأسمر اللّون .

(١) البائن : الظاهر . وفي هامش ١ : لم يكن بالطويل المنمط ؛ أي لم يكن بالبائن الطول .  
قال أبو زيد : يقال : امنط النهار ؛ أي امتد ، ومنمطت الجبل فأنمط وامنط . وقال أبو تراب في كتاب الاعتقاب : ممط وممط - بالنين والعين ( من الغريبين - للهروى ) .  
(٢) المنمط : الذي ليس بفائق الطول .

(٣) السبب : المرسل . والجمد : الذي فيه التواء وتقبض . وهو ضد المسترسل . وفي ب ضبطت الباء في « سبط » بالسكون والكسرة ، وعليها « معا » .

(٤) أصله شعر المولود ، ثم أطلق على غيره . (٥) في ب : من ذاتها .  
(٦) معقوصة : المعص : ضفر الشعر على الرأس وليه ؛ أي إن لم تنفرق بنفسها والتفت واجتمعت تركها على حالها .

(٧) أي بدل عقيقته ، وهي الشعر المعقوص ، أي المظفور .

(٨) الحديث الآخر عن أنس ، في صحيح مسلم : ١٨٢٤

ومثله في الحديث الآخر: أبيض مُشرب (١)؛ أي فيه حُمْرة .

والحاجبُ الأزج : المقوَّس الطويل الوافر الشعر .

والأقنى : السائل الأنف ، المرتفع وسطه .

والأشم : الطويل قصبه الأنف .

والقرن : اتصال شعر الحاجبين (٢) . وضده البالج .

ووقع في حديث أم معبد وصفه بالقرن .

والأذعج : الشديد سواد الخدقة .

وفي الحديث الآخر (٣) : [ ٥٢ ] أشكَل العين ، وأسجَر العين (٤) ، وهو الذي

في بياضها حُمْرة .

والضليع : الواسع .

والشنب : رَوْنقُ الأسنان ، وماؤها (٥) .

ووقيل : رِقَّتْها ومَحزِرٌ (٦) فيها ، كما يُوجدُ في أسنانِ الشباب .

والفلمج : فرَّق بين الثنايا .

ودقيقُ المسرِّبة : خيط الشعر الذي بين الصدرِ والسُرَّة .

(١) مشرب : الإشراب : خلط لون بلون ، وأكثر ما يقال في الحُمْرة .

(٢) قال في نسيم الرياض ( ٢ - ٢٠٨ ) : المشهور خلافه ، ويؤيده أن العرب تكبره .

وقال القارى ( ١ - ٣٥٣ ) : وقد جمع بينهما بأن أم معبد رآته من بعد ، فظنت أنه أقرن ، لقرب طرفيهما التقاء ، فوصفته بالقرن ؛ وعلى كرم الله وجهه - حقهها من قرب ، فرآهما كادا يلتقيان فوصفه بالباج .

(٣) صحيح مسلم : ١٨٢٠

(٤) في هامش ١ : عين سجراء - بالجيم : إذا كانت في بياضها حُمْرة . وفي صحيح مسلم

( ١٨٢٠ ) قال : قلت : ما أشكل العين ؟ قال : طويل شق العين . قال شارحه : هذا وهم

من سماك باتفاق وغلط ظاهر ، وصوابه - كما قال القاضى - أن الشكلة حُمْرة في بياض العين ،

وهو محمود . (٥) ماؤها : صفاؤها . (٦) أو المراد بتحزيرها كون أطرافها دقيقة .

بَادِن : ذُو لَحْمٍ مُتَمَاسِكٍ ، مَعْتَدِلٌ اَتَخَلَّقُ ، يَمْسِكُ بَعْضُهُ بَعْضًا ، مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ : لَمْ يَكُنْ بِالْمُطَهَّمِ ، وَلَا بِالْمُكَلَّمِ ؛ أَي لَيْسَ بِمُسْتَرْخِي اللَّحْمِ <sup>(١)</sup> .  
وَالْمُكَلَّمِ : الْقَصِيرِ الذَّقْنِ .

وَسَوَاءُ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ ؛ أَي مُسْتَوِيهِمَا .

وَمُسِيحِ الصَّدْرِ ؛ إِنْ صَحَّتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ فَتَكُونُ مِنَ الْإِقْبَالِ ، وَهُوَ أَحَدُ مَعَانِي <sup>(٢)</sup> « أَشَاح » ؛ أَي إِنْهَ كَانَ بَادِي الصَّدْرِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي صَدْرِهِ قَعَسٌ ، وَهُوَ تَطَامُنٌ فِيهِ <sup>(٣)</sup> ، وَبِهِ يَتَضَحَّ <sup>(٤)</sup> قَوْلُهُ قَبْلَ : سَوَاءُ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ ؛ أَي لَيْسَ بِمُتَقَاعَسِ الصَّدْرِ ، وَلَا مُفَاضِ الْبَطْنِ <sup>(٥)</sup> .

وَلَعَلَّ اللَّفْظَةَ <sup>(٦)</sup> : مَسِيحٌ - بِالسِّينِ ، وَفَتْحِ اللَّيْمِ ، بِمَعْنَى عَرِيضٍ ، كَمَا وَقَعَ فِي الرَّوَايَةِ الْآخَرَى . وَحِكَاةُ ابْنِ دُرَيْدٍ .

وَالْكَرَادِيْسُ : رِءُوسُ الْعِظَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ : جَلِيلٌ <sup>(٧)</sup> الْمَشَاشِ وَالْكَتْدِ <sup>(٨)</sup> .

وَالْمَشَاشُ : رِءُوسُ الْمَنَاكِبِ . وَالْكَتْدُ : مَجْتَمَعُ الْكَتْفَيْنِ .

وَشَتْنُ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ : لَحِيمُهُمَا .

وَأَرْنَدَانُ : عَظْمَا الذَّرَاعَيْنِ <sup>(٩)</sup> .

(١) المطهَّم : فاحش السمن منتفخ الوجه .

(٢) ومن هذه المعاني أعرض .

(٣) فيه ؛ أي في الصدر . والتطامن : الانخفاض .

(٤) في ب : وبه يضح . وفي هامشه : وبه يتضح .

(٥) مفاض البطن : ضخم البطن . (٦) في ب : اللفظ . والمثبت في ا .

(٧) جليل : عظيم . والمشاش : رؤوس العظام ، كالمرفقين والكتفين والركبتين .

(٨) ضبطت التاء في كلمة « الكتد » بالفتح والكسر ، وعليها « معا » في ب .

(٩) في ب : عظام الذراع . وفي هامشه : الذراعين .

وسائل الأطراف ؛ أى طويل الأصابع .  
 وذكر ابن الأنبارى أنه روى سائل الأطراف ؛ وقال : سائن - بالنون ؛  
 [قال] <sup>(۱)</sup> : وهما بمعنى ، تُبدل اللام من النون ، إن صححت الروايةُ بها <sup>(۲)</sup> .  
 وأما على الرواية الأخرى : وسائر الأطراف - فإشارة إلى نفاثة جوارحه ،  
 كما وقعت مُفصَّلةً في الحديث .

ورحَب الراحة ؛ أى واسِعها . وقيل : كنى به <sup>(۳)</sup> عن سعة العطاء والجود .  
وخصان <sup>(۴)</sup> الأخصين : أى متجافى أخص القدم ؛ وهو الموضع الذى لاتناله  
 الأرض من وسط القدم .

مسيح القدمين : أى أماسهما ، ولهذا قال : يَنْبُو عنهما الماء .  
 وفي حديث أبي هريرة خلاف هذا ؛ قال فيه : إذا وطئَ بقدمه وطئَ بكلمها ،  
 ليس له أخص <sup>(۵)</sup> .

وهذا يوافق معنى قوله : مسيح القدمين ، وبه قالوا : سُمى المسيح [عيسى] <sup>(۶)</sup>  
 ابن مريم ، أى [إنه] <sup>(۶)</sup> لم يكن له أخص .  
 وقيل مسيح : لالحم عليهما .

(۱) ليس فى ب . (۲) فى ب : بهما .  
 (۳) فى ب : كناية . وأثبت فى هامشه الرواية هنا : كنى به .  
 (۴) ضبطت الحاء فى ب بالفتحة ، وعليها علامة صح . والضبط للمثبت فى ا ، والنهابة لابن  
 الأثير ، وشرح القارى ، والقاموس . وقال الخفاجى ( ۲ - ۱۹۰ ) : بضم الحاء وفتحها .  
 (۵) قال القارى ( ۱ - ۳۵۶ ) : ويمكن الجمع بينهما بأن مراد أبي هريرة أنه وطئ بكلمها  
 لا يعضها كما يفعله بعض أرباب الخيلاء ؛ وأن قوله : ليس له أخص محمول على نفي المبالغة . أو  
 أنه مدرج من الراوى بحسب ما فهمه من الحديث ؛ وهذا الجمع أولى مما اختاره المصنف حيث  
 قال : وهذا . . . (۶) من ب .

وهذا أيضا يخالف قوله: شَنَّ الْقَدَمِينَ <sup>(۱)</sup>.

والتقلع: [هو] <sup>(۲)</sup> رَفَعَ الرَّجْلَ بِقُوَّةٍ.

والتكفؤ: الميل إلى سنن المشي، وقصده.

والهون: ارتفق والوقار.

والذريع: الواسع الخطو؛ أي إن مشيه كان يرفع فيه رجله بسرعة، ويمد

خطوه، خلاف مشية المختال، ويتصيد سمته؛ وكل ذلك برُفْقٍ وثبُت دون عجلة،

كما قال: كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ <sup>(۳)</sup>.

وقوله: يَفْتَتِحُ الْكَلَامَ وَيَخْتَمُهُ بِأَشْدَاقِهِ: أي لسعة فمه. والعرب تتماحح بهذا

وتدُمُّ بِصِفَرِ الْفَمِ.

وأشاح: مال وانقبض.

وحب الغمام: البرد.

وقوله: فِيرِدُ ذَلِكَ بِالْخَاصَةِ عَلَى الْعَامَةِ؛ أي جعل من جزء نفسه ما يوصلُ الخاصة

إليه فتوصلُ عنه للعامة.

وقيل: يجعل منه للخاصة، ثم يبدؤها في جزء آخر بالعامية.

ويدخلون رواداً؛ أي محتاجين إليه وطالبيين لما عنده.

ولا يتفرقون إلا عن ذواق: قيل: عن علم يتعلمونه؛ ويشبهه أن يكون على ظاهره،

أي في الغالب والأكثر.

والعتاد: العدة، والشيء الحاضر المعد.

والموازرة: المعاونة.

(۱) في نسيم الرياض (۲ - ۲۱۰): إذا فسر بلحييمها. وأما إذا فسر بعيلها إلى الغلظ

والقصر، أو بغلظ الأصابع فلا. (۲) من ب.

(۳) صبب: منحدر.

وقوله : لا يُوطِنُ<sup>(١)</sup> إلا ما كن ؛ أى لا يتخذ لمصلاها موطئا معلوما .  
وقد [ ٥٣ ] وردَ نَهْيُهُ عن هذا مفسِّرا<sup>(٢)</sup> فى غير هذا الحديث .  
وصابِرَه : أى حبس نفسه على ما يريدُ صاحبُه .  
ولا تُؤبِنُ فيه الحرام : أى لا يُذْكَرَنَّ<sup>(٣)</sup> فيه بسوء .  
ولا تُنثَى فلتاته ؛ أى لا يُتحدَّثُ بها ؛ أى لم تكن فيه فلتة ، وإن كانت من  
أحدٍ سترت .

ويُرْفِدُونَ<sup>(٤)</sup> : يُعِينُونَ .

والسَخَّابُ : الكثير الصِّيَّاح .

وقوله : ولا يَقْبَلُ<sup>(٥)</sup> الثناء إلا من مُكافٍ . قيل مقتصد فى ثنائه ومدحه .

وقيل : إلا من مسلم .

وقيل : إلا من مُكافٍ على يَدِ<sup>(٦)</sup> سبقت من النبى صلى الله عليه وسلم له .

ويستغزُّه : يستخفه .

وفى حديث آخر فى وصفه<sup>(٧)</sup> : منهوس العقب ؛ أى قليل لَحْمِهَا .

وأهدب الأشفار<sup>(٨)</sup> ؛ أى طويل شعرها<sup>(٩)</sup> .

(١) هذا الضبط فى ا ، ب . وفى القارى ( ١ - ٣٥٨ ) : بتشديد الطاء وتخفيفها .

(٢) مفسرا : مصرحاً به ومبيناً .

(٣) فى ا بالتاء ، وفى ب بالياء .

(٤) يعينون ذا الحاجة . وقد ضبطت الياء فى ا بالفتحة ، وفى ب بالضم .

(٥) فى هامش ب : ولا يطاب . (٦) اليد - هنا : النعمة .

(٧) فى صحيح مسلم : ١٨٢٠ .

(٨) الأشفار : حروف الأجنان التى ينبت عليها الشعر المسمى بالهدب .

(٩) هنا فى ب : انتهى التفسير . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين ،



## البَابُ الثَّالِثُ

فما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه (۱) ومنزله، وما خصه به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم لا خلاف أنه أكرم البشر، وسيد ولد آدم، وأفضل الناس (۲) منزلةً عند الله، وأعلام درجة، وأقربهم زلفي (۳) .  
واعلم أن الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جداً، وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومُنْتَشِرِهَا (۴) وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلاً (۵) :

### الفَصْلُ الْأَوَّلُ

فما ورد من ذكر مكانته عند ربه، والاصطفاء (۶)، ورفعته الذِّكْر، والتفضيل وسيادة ولد آدم، وما خصه به في الدنيا من مزايا (۷) الرُّتَبِ وَبَرَكَاتِهِ اسْمِهِ الطَّيِّبِ : أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد المدلِّ إذناً بلفظه ؛ قال : حدثنا أبو الحسن (۸) الفرغاني ، حدثنا أم القاسم بنت أبي بكر بن يعقوب ، عن أبيها ، قال : حدثنا حاتم - هو ابن عقيل ، عن يحيى - هو ابن إسماعيل ، عن يحيى الحماني ، قال : حدثنا قيس ، عن الأعمش ، عن عباية بن ربيعي ، عن ابن عباس ؛ قال (۹) : قال رسول

(۱) عليها في ب علامة « صح » . وفي هامشه : الله .

(۲) في هامش ب : وأفضل الخلق .

(۳) زلفي : قربي . (۴) منتشرها : مشهورها .

(۵) بمد هذا في ا : والحمد لله وحده .

(۶) والاصطفاء : أي اختياره صلى الله عليه وسلم على غيره وتقديمه .

(۷) مزايا : جمع مزية ، وهي الفضيلة التي تقدمه على غيره .

(۸) هذا في ب ، والقارى ( ۱ - ۳۵۹ ) . وقال الشهاب ( ۲ - ۲۱۴ ) : أبو الحسين ،

ووقع في بعض النسخ : أبو الحسن . والأصح الأول . ( ۹ ) دلائل النبوة للبيهقي : ۱ - ۱۱۳

الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قسم الخلق قسمين ، فجعلني من خيرهم قسماً (۱) ؛  
فذلك قوله (۲) : ﴿أصحاب اليمين﴾ ، و﴿أصحاب الشمال﴾ ؛ فأنا من أصحاب اليمين ،  
وأنا خير أصحاب اليمين .

ثم جعل القسمين أثلاثاً ؛ فجعلني في خيرها ثلثاً ، وذلك قوله تعالى (۳) : ﴿فأصحاب  
اليمين﴾ . و﴿أصحاب المشأمة﴾ ، و﴿السابقون السابقون﴾ (۴) ، فأنا من السابقين ،  
وأنا خير السابقين ، ثم جعل الاثلاث قبائل ؛ فجعلني من خيرها قبيلة ، وذلك قوله (۵) :  
﴿وجعلناكم شعوباً﴾ (۶) وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴿ .  
فأنا أتقى ولد آدم ، وأكرمهم على الله ولا فخر (۷) .

ثم جعل القبائل بيوتاً ، فجعلني من خيرها بيتاً (۸) ؛ فذلك قوله تعالى (۹) :  
﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس (۱۰) أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ .  
وعن أبي سلمة ، عن أبي هريرة (۱۱) ، قال : قالوا : يا رسول الله ، متى وجبت  
لك النبوة ؟ قال ؛ وآدم بين الروح والجسد .

وعن وائلة بن الأسقع قال (۱۲) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله  
اصطفى (۱۴) من ولد إبراهيم إسماعيل . واصطفى من ولد إسماعيل بن كنانة ، واصطفى

(۱) من خيرهم قسماً : أى من القسم الذى هو خير - يعنى أصحاب اليمين .

(۲) سورة الواقعة ، آية ۲۷ ، ۴۱ (۳) سورة الواقعة ، آية ۸ ، ۹

(۴) سورة الواقعة ، آية ۱۰ (۵) سورة الحجرات ، آية ۱۳

(۶) شعوباً : جمع شعب ، وهو أكثر من القبيلة .

(۷) ولا فخر : أى لا أقول هذا تفاخراً ومباهاة .

(۸) فى ب : فجعلني خيرها . (۹) سورة الأحزاب ، آية ۳۳

(۱۰) الرجس : النجس المستقذر ، والمراد المعاصى . وأهل البيت : الأقرباء .

(۱۱) سنن الترمذى : ۵ - ۵۸۵ (۱۲) وجبت لك النبوة : فى أى زمان ثبتت لك .

(۱۳) سنن الترمذى : ۵ - ۵۸۳ ، ودلائل النبوة للبيهقى : ۱ - ۱۰۸

(۱۴) اصطفى : اختار .

من بنی کِنَانَةَ قُرَيْشَا ، واصطفي من قُرَيْشِ بنی هاشم ، واصطفاني من بنی هاشم .  
 ومن حديث أنس <sup>(۱)</sup> : أَنَا أَكْرَمُ <sup>(۲)</sup> وَلِدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَيْخَرُ .  
 وفي حديث ابن عباس <sup>(۳)</sup> : أَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّابِينَ وَالْآخِرِينَ وَلَا فَيْخَرُ .  
 وعن عائشة <sup>(۴)</sup> ، عنه عليه السلام . أتاني جبريل ، فقال : قَلْبَتُ <sup>(۵)</sup> مُشَارِقَ  
 الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَلَمْ أَرَ رَجُلًا أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ ، وَلَمْ أَرَ بَنِي أَبِ أَفْضَلَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ .  
 وعن أنس <sup>(۶)</sup> : أَنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِي بِالْبُرَاقِ <sup>(۷)</sup> لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ ،  
 فَاسْتَصْعَبَ <sup>(۸)</sup> عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ جَبْرِيْلُ : بِمُحَمَّدٍ تَفْعَلُ [ ٥٤ ] هَذَا ؟ فَمَا رَكِبَكَ أَحَدٌ  
 أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ ، فَارْفُضْ <sup>(۹)</sup> عِرْقًا .  
 وعن ابن <sup>(۱۰)</sup> عباس ، عنه عليه السلام : لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ أَهْبَطَنِي فِي ضَلْبِهِ إِلَى  
 الْأَرْضِ ، وَجَعَلَنِي فِي ضَلْبِ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ ، وَقَذَفَنِي فِي النَّارِ فِي ضَلْبِ إِبْرَاهِيمَ ،  
 ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَنْقُلُنِي فِي الْأَصْلَابِ الْكَرِيمَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ حَتَّى أَخْرَجَنِي بَيْنَ أَيْدِي  
 لَمْ يَلْتَمِيَا عَلَى سِفَاحِ <sup>(۱۱)</sup> قَطُ .

- (۱) سنن الترمذی : ۵ - ۵۸۵ ✓  
 (۲) أكرم ولد آدم : أعزهم وشرفهم .  
 (۳) سنن الترمذی : ۵ - ۵۸۸ ✓  
 (۴) رواه الطبرانی ، وأبو نعیم ، والبيهقي في الدلائل مسندا (دلائل النبوة للبيهقي : ۱ - ۱۲۱) .  
 (۵) قلبت : فتشت . وقد ضبطت اللام مشددة في ب ، وبالفتح في ا .  
 (۶) قد تقدم .  
 (۷) البراق - كما سبق : على شكل دابة فوق الحمار ودون البغل ؛ سمي به لسرعته كالبرق الخاطف .  
 (۸) استصعب عليه : لم ينقد له وامتنع منه .  
 (۹) ارفض عرقا : سال عرقه .  
 (۱۰) رواه ابن الجوزي في الوفا ، وأبو نعیم في الدلائل ( ۱ - ۶۶ ) ، وقال السيوطي :  
 رواه ابن عمرو المعدني في مسنده . ( نسيم الرياض : ۲ - ۲۱۹ ) .  
 (۱۱) على سفاح : المراد بالسفاح نكاح بغير عقد (دلائل النبوة لأبي نعیم : ۶۵) ✓

وإلى هذا أشار العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه بقوله (١) :

مِنْ قَبْلِهَا طُبَّتَ فِي الظَّلَالِ وَفِي      مَسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يَخْصَفُ الْوَرَقُ (٢)  
 ثُمَّ هَبَّتْ الْبِلَادَ لَا بَشَرَ      أَنْتَ وَلَا مُضْفَةً وَلَا عَلَقَ (٣)  
 بِلَ نُظْفَةٍ تَرْكَبُ السَّفِينِ وَقَدْ      الْأَجْمَ نَسْرًا وَأَهْلَهُ الْفَرْقَ (٤)  
 تَنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَحِمٍ      إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَا طَبَقَ (٥)

(١) هذا الشعر رواه الطبرانى . وقد أنشد العباس هذا الشعر حين رجع النبي من غزوة تبوك . وهو فى الاستيعاب : ٤٤٧ — (مشروح المترمذى لابن العربى ٩٥/١٣) .  
 (٢) من قبلها : من قبل هذه النشأة . طبت : تطهرت من الأدناس البشرية لطيب عنصرك . والظلال : جمع ظل : يعنى فى ظلال الجنة فى صلب آدم قبل أن يهبط إلى الأرض . والمستودع : المحل الذى كان فيه آدم من الجنة . أو المراد به الرحم . وخصف الورق : إلصاق بعضه ببعض . والورق ورق الجنة الذى كان يستتر به آدم .

(٣) هببت البلاد : هبطت ونزلت فى صلب آدم من الجنة إلى الدنيا . لا بشر : أى لم تكن جسدا كأجساد البشر . والمضفة : قطعة لحم غير مخلقة . والعلق : جمع علقة ؛ وهى دم متجمد .

(٤) النطفة : الماء الحامى ، والمنى فى الأصلاب . والسفين : جمع سفينة ، وهى المركب . وأجم : وصل إلى الفهم ، وعلا محلا يوضع فيه لجام الفرس . والنسر : الطائر المعروف ، سمي به صنم كان يعبده قوم نوح . والمراد بالفرق : الماء الفرق . وفى الاستيعاب : وأهلها . والمثبت فى اللسان أيضا — نسر . وقال : قال ابن الأثير : يريد الصنم الذى كان يعبده قوم نوح .

(٥) صالب : صاب ؛ أى فئار الظهر . والرحم : مقر الولد من المرأة . العالم : المراد به هنا : قرن من القرون . بدا : ظهر ووجد . وطبق : بمعنى قرن أيضا ؛ أى لاتزال تظهر فى عالم بعد عالم .

وفى نسيم الرياض : ويروى هنا بيت هو :

وردت نار الحليل مكنتفا      تجول فيها ولست تحترق  
 مكنتفا : محفوظا فى كنف ؛ أى تحيط بك نارها ؛ ولست تحترق .

في بعض النسخ أبيات أخر ، وهي قوله<sup>(١)</sup> :  
 حتى احتوى بيتك المهيم من خندف علياء تحتها النطق<sup>(٢)</sup>  
 وأنت لما ولدت أشرقت ال أرض وضأت بنورك الأفق  
 فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشد نخترق<sup>(٣)</sup>  
 يبرد نار الخليل ياسبباً لعصمة النار وهي تحترق<sup>(٤)</sup>  
 [ النطق : أوسط الجبال العالية<sup>(٥)</sup> ] .

وروى<sup>(٦)</sup> عنه صلى الله عليه وسلم ، أبو ذر ، وابن عمر ، وابن عباس ، وأبو هريرة ، وجابر بن عبد الله - أنه قال : أعطيت خمسا ، وفي بعضها<sup>(٧)</sup> ستا لم يعطهن نبي قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر<sup>(٨)</sup> ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ،

(١) في ب : تمام الأبيات من غير الرواية . وذكر الأبيات الثلاثة الأولى وحدها في الهامش . وفي هامشه : ذكر ابن عبد البر هذه الأبيات ، وزاد عليها ثلاثة الأبيات . وفي الاستيعاب ذكرت الأبيات الثلاثة الأولى وحدها .

(٢) احتوى : حاز . والبيت بمعنى الشرف والنسب . والمهيم : الشاهد على فضلك ، أو الأمين . وخندف : يريد القبيلة . والنطق : جمع نطق ، وهو ما يشد في الوسط كالمنطقة ، استمارته العرب لجبال واسعة ؛ أي إن شرفك وعلو نسبك وأصلك من خندف اشتمل على عليا دونها الجبال الشاهقة . أو المراد أنه أعلى قومه ، وهم دونه كالنطاق له .

(٣) نخترق : نقطعها ونجاوزها .

(٤) هذا البيت ليس في ١ ، ولا في الاستيعاب كما تقدم . وفي شرح القاري : وزاد بعضهم بيتا آخر وجد بخط أبي علي النسائي ، وهو : يبرد نار . . .

(٥) من ١ . (٦) صحيح مسلم : ٣٧٠

(٧) أي في بعض طرق هذا الحديث المعلومة من تعدد روايتها . والحديث في صحيح

مسلم : ٣٧١

(٨) أي نصرني الله تعالى على أعداء الدين الكفرة بشدة الخوف الذي ألقاه الله في قلوبهم ، فإذا سمع بي من بيني وبينه مسيرة شهر ارتعد وخاف من غزوى له .

وأَيُّمَا<sup>(١)</sup> رجلٍ من أمتي أدركته الصلاةُ فليصل<sup>(٢)</sup>، وأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ<sup>(٣)</sup>،  
ولم تُحَلَّ لِنَبِيِّ قَبْلِي، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأَعْطِيتِ الشَّفَاعَةَ.

وفي رواية - بدل هذه الكلمة<sup>(٤)</sup> : وقيل لي : سَلْ تُعْطَهُ .

وفي رواية أخرى : وَعَرِضَ عَلَيَّ أُمَّتِي فَلَمْ يَخَفْ عَلَيَّ التَّابِعُ مِنَ التَّبَوُّعِ<sup>(٥)</sup> .

وفي رواية<sup>(٦)</sup> : بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ . قِيلَ : السُّودُ : الْعَرَبُ ؛ لِأَنَّ الْغَالِبَ

عَلَى أَلْوَانِهِمُ الْأُدْمَةُ<sup>(٧)</sup> ؛ فَهَمَّ مِنَ السُّودِ . وَالْحُمْرُ : الْعَجَمُ .

وقيل : الْبَيْضُ وَالسُّودُ مِنَ الْأُمَّمِ .

وقيل : الْحُمْرُ : الْإِنْسُ . وَالسُّودُ : الْجَنُّ .

وفي الحديث الآخر<sup>(٨)</sup> - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : نُهِرْتُ بِالرَّعْبِ ، وَأُتِيتُ جَوَامِعَ

الْكَلِمِ<sup>(٩)</sup> ، وَبَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ جِيءَ بِمِفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ<sup>(١٠)</sup> فَوُضِعَتْ فِي يَدِي<sup>(١١)</sup> .

(١) هذا في ١ ، ب . وفي هامش ب : فَأَيُّمَا . وفي صحيح مسلم : فَأَيُّمَا رَجُلٍ .

(٢) قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : هَذَا مِمَّا خَصَّ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلَهُ إِنَّمَا أُبِيحَتْ لَهُمُ الصَّلَاةُ فِي مَوَاضِعٍ مَخْصُوصَةٍ كَالْبَيْعِ وَالْكُنَائِسِ . وَقَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ ( ٢ - ٢٢٢ ) : الْخَاصُّ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ مَجْمُوعُ الْأُمُورِ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ السَّالِفَةَ وَأُمَّهَمُ كَانَتْ لَهُمْ صَلَاةٌ مَفْرُوضَةٌ ، وَكَانُوا يَسَافِرُونَ ، فَلَوْلَمْ تَجْزَلْ لَهُمُ الصَّلَاةُ إِلَّا فِي مَسَاجِدِهِمْ لَزِمَهُمْ إِمَاتُ الصَّلَاةِ ، أَوْ عَدَمُ صِحَّتِهَا ، وَهُوَ مُخَالَفٌ لِلظَّاهِرِ ، فَالْخَاصُّ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ مَجْمُوعُ الْأُمُورِ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا .

(٣) الْغَنَائِمُ : جَمْعُ غَنِيمَةٍ : مَا يُؤْخَذُ مِنَ الْكُفَّارِ بِقِتَالٍ وَنَحْوِهِ .

(٤) أَرَادَ بِالْكَلِمَةِ قَوْلَهُ : وَأَعْطِيتِ الشَّفَاعَةَ .

(٥) التَّابِعُ مِنَ التَّبَوُّعِ : أَيُّ الشَّرِيفِ مِنَ الْوَضِيعِ .

(٦) صَحِيحُ مُسْلِمٍ : ٣٧١ (٧) الْأُدْمَةُ : السَّمْرَةُ . (٨) صَحِيحُ مُسْلِمٍ : ٣٧٢

(٩) جَوَامِعُ الْكَلِمِ : جَوَامِعُ : جَمْعُ جَامِعَةٍ ؛ لَجَمْعِهَا الْحِكْمَ وَالْمَنَافِعَ فِي لَفْظٍ قَلِيلٍ . وَقَالَ

الْهَرَوِيُّ : يَعْنِي بِهِ الْقُرْآنَ .

(١٠) الْمُرَادُ مَا فِي الْأَرْضِ مِنَ السُّكُونِ وَالْأَمْوَالِ .

(١١) فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : بَيْنَ يَدَيَّ . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى لَهُ : فِي يَدِي - كَمَا هُنَا .

وفي رواية<sup>(۱)</sup> - عنه : وختم<sup>(۲)</sup> بي النبيون .

وعن عُبَيْدَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنِّي فَرَطُ<sup>(۳)</sup> لَكُمْ ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ . وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ<sup>(۴)</sup> ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مِفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ . وَإِنِّي - وَاللَّهِ - مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي<sup>(۵)</sup> ، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا<sup>(۶)</sup> .

وعن<sup>(۷)</sup> عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَنَا مُحَمَّدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ<sup>(۸)</sup> ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي ، أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ ، وَعَلِمْتُ خَزَائِنَ<sup>(۹)</sup> النَّارِ وَحَمَلَةَ الْمَرْتَشِ .

(۱) في صحيح مسلم أيضا : ۳۷۱

(۲) في ب : وختم - بالبناء للمعلوم ، وبالبناء للمجهول ، وكتب عليها « معا » .

(۳) فرط : الفراط ، والفارط : الذي يتقدم القوم ليهي لهم في منازل أسفارهم الماء والكلأ ونحوه مما يحتاجون إليه . والحديث في صحيح البخاري : ۴ - ۲۴۰ ، وفيه : إني فرطكم .  
(۴) لأنظر إلى حوضي الآن : أي أشاهده الآن .

(۵) بعدى : بعد موتي ؛ لأن من ذاق حلاوة الإيمان لا يرجع عنه .

(۶) فيها : أي في الدنيا ؛ أي أخاف عليكم من رغبتكم في نفائس الدنيا وانهماكم في تحصيلها حتى يؤدي بكم ذلك إلى الهلاك وارتكاب ما يلهيكم عن الله تعالى .

(۷) قال السيوطي : رواه الإمام أحمد بسند حسن (مسند أحمد : ۲- ۱۷۲، ۲۱۲، وغيرها) .

(۸) هو الذي لا يقرأ ولا يكتب ، نسبة لأمه ؛ كأنه على حاله يوم ولدت أمه ؛ أو إلى أم القرى ؛ لأن الكتابة كانت عزيزة في أهلها ، أو إلى أمة العرب . قال في نسيم الرياض ( ۲ - ۲۲۷ ) : وهذه الصفة في حقه صلى الله عليه وسلم من أجل النعم عليه ، وأعظامها ؛ إذ أعطاه علم الأولين والآخرين وحفظ هذا الكتاب الذي لم يعادله كتاب ، وهو لا يقرأ ولا يكتب ؛ ولم يدرس ، ولم يلاق أحدا له شغل بذلك .

(۹) خزانة النار : الملائكة الموكلون بها . وضبط كلمة « علمت » بالتخفيف في ۱ : وفي

هامش ب : قال الحافظ المزي رحمه الله : يجوز « علمت خزانة النار » مخففا ، ولكن التضمين أحسن ، كلفظ القرآن في قوله تعالى : « وعلمك ما لم تكن تعلم » .

وعن ابن عمر : بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ (۱) .

ومن رواية ابن وهب (۲) - أنه عليه السلام قال : قال الله تعالى : سَأَلَ يَا مُحَمَّدُ .  
فَقُلْتُ : مَا أَسْأَلُ يَا رَبُّ ؟ أَخَذْتَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (۳) ، وَكَلَّمْتَ مُوسَى تَكَلِيمًا ، وَأَصْطَفَيْتَ  
نُوحًا ، وَأَعْطَيْتَ سُلَيْمَانَ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ (۴) ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى :  
مَا أَعْطَيْتُكَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ ؛ أَعْطَيْتُكَ الْكُوْثَرَ (۵) ، وَجَعَلْتُ اسْمَكَ مَعَ اسْمِي (۶) ،  
يُنَادَى بِهِ فِي جَوْفِ السَّمَاءِ (۷) ، وَجَعَلْتُ الْأَرْضَ طَهْرًا لَكَ وَالْأُمَّتَ ، وَغَفَرْتُ لَكَ  
مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؛ فَأَنْتَ تَمْشِي فِي النَّاسِ مَغْفُورًا لَكَ ، وَلَمْ أَصْنَعْ ذَلِكَ  
لِأَحَدٍ قَبْلَكَ ، وَجَعَلْتُ قُلُوبَ أُمَّتِكَ مَصَاحِفَهَا (۸) ، وَخَبَأْتُ لَكَ شَفَاعَتَكَ ، وَلَمْ أَخْبَأَهَا  
لِنَبِيٍّ غَيْرِكَ .

وفي حديث آخر رواه حذيفة (۹) . بَشَّرَنِي - يَعْنِي رَبَّهُ : أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ

(۱) قال السيوطي : رواه أحمد بسند حسن . والمراد بكونه صلى الله عليه وسلم بين يدي الساعة أنه قدامها وقريب من وقوعها .

(۲) هذا بعض من حديث الإسراء الطويل الذي رواه البيهقي في الدلائل وغيره عن أبي هريرة . وسيأتي بعد حديث الإسراء مفصلاً .

(۳) أخذت إبراهيم خليلًا : اصطفيته وخصصته بالخلقة وكرامتها .

(۴) لا ينبغي لأحد من بعده : لا يتيسر لغيره من الرسل والملوك ؛ لتسخير الجن والإنس والريح . . .

(۵) الكوثر : نهر في الجنة . وقيل هو القرآن ، وقيل النبوة ، وقيل غير ذلك .

(۶) جعلت اسمك مع اسمي : مقرونا باسم الله في التشهد والأذان . وكلمة الشهادة وغير ذلك .

(۷) تنادى الملائكة به في السماء .  
(۸) أي مننت عليك بأن جعلت في أمتك حفظة لم يكن في غيرهم من الأمم السالفة ، حتى إن حفظة القرآن والحديث من هذه الأمة لا يحصون في كل عصر . والمراد أنه جعل قلوبهم كالمصاحف التي تحفظ القرآن .

(۹) قال الحفاجي : هذا الحديث رواه ابن عساكر في تاريخه . وارجع إلى ابن ماجه : ۱۴۳۳



وَمَعَى مِنْ أُمَّتِي [ ۵۵ ] سَبْعُونَ أَلْفًا ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا لَيْسَ عَلَيْهِمْ حِسَابٌ ؛  
وَأَعْطَانِي إِلَّا تَجْوَعُ أُمَّتِي وَلَا تُغْلَبُ ، وَأَعْطَانِي النُّصْرَ وَالْعِزَّةَ وَالرُّغْبَ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيِ  
أُمَّتِي <sup>(۱)</sup> شَهْرًا ، وَطَيَّبَ لِي وَلِأُمَّتِي الْمَغَانِمَ <sup>(۲)</sup> ، وَأَحَلَّ لَنَا كَثِيرًا مِمَّا شَدَّدَ عَلَى مَنْ  
قَبْلَنَا ، وَلَمْ يَجْعَلْ عَلَيْنَا فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ <sup>(۳)</sup> .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ <sup>(۴)</sup> ، عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ  
مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ <sup>(۵)</sup> ؛ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَى اللَّهُ  
إِلَيْهِ ، فَارْجُوا أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ <sup>(۶)</sup> .

معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا ، وسائر معجزات الأنبياء  
ذهبت للحين <sup>(۷)</sup> ، ولم يشاهدها إلا الحاضر لها ، ومعجزة القرآن يقف عليها قرن  
بعد قرن عيانا <sup>(۸)</sup> لا خبراً إلى القيامة .

وفيه <sup>(۹)</sup> كلامٌ يعاين هذا نخبته <sup>(۱۰)</sup> . وقد بسطنا القول فيه ، وفيما ذكر فيه  
سوى هذا آخر باب المعجزات .

(۱) أى العدو الذى بينه وبينهم مسافة شهر يخافهم خوفاً شديداً .

(۲) طيب لى : أحل لى ولأمتى . (۳) من حرج : من ضيق وشدة .

(۴) الحديث فى ابن ماجه : ۱۴۳۸ ، وصحيح مسلم : ۱۸۸

(۵) أى كل نبي جعل الله له معجزة أظهرها على يديه أطاعه بها الناس ، كصاموسى ،

وإحياء الموتى لميسى .

(۶) وذلك لأن هذه المعجزة - وهى القرآن - لما كانت باقية إلى يوم القيامة ، وهى باهرة

ظاهرة يؤمن بها كل من وقف عليها من الناس لزم أكثرية من آمن به واتبعه عليه السلام

على من آمن بنبيه من الرسل ، وصدق بمعجزته المخصوصة بعصره ، فإذا مات انقطع التحدى

بمعجزته . (۷) ذهبت للحين : المراد ذهبت بذهابه ولم تبق بعده .

(۸) عيانا : مشاهدة ؛ أى يطلع عليها جميع القرون والناس الذين حدثوا بعد عصر

النبوة بخلاف غيرها .

(۹) وفيه : أى فى هذه الحديث ومعناه . (۱۰) نخبته : مختاره وزبدته .

وعن علي رضي الله<sup>(١)</sup> عنه : كل نبي أُعطي سبعة نجباء ، وأُعطي نبيكم صلى الله عليه وسلم أربعة عشر نجيباً<sup>(٢)</sup> ، منهم أبو بكر ، وعمر ، وابن مسعود ، وعمار . وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> : إن الله قد حبس عن مكة الفيل<sup>(٤)</sup> ، وسلط عليها رسوله والمؤمنين ؛ وإنها لا تحل<sup>(٥)</sup> لأحدٍ بعدي ، وإنما أُحلت لي ساعة من نهار<sup>(٦)</sup> . وعن العريضي<sup>(٧)</sup> بن سارية : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إني عبدُ الله وخاتمُ النبيين ؛ وإن آدمَ مُنجدِل<sup>(٨)</sup> في طينته ، وعدةُ أبي إبراهيم<sup>(٩)</sup> ، وبشارةُ عيسى ابن مريم<sup>(١٠)</sup> .

- (١) في حديث رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه . ( سنن الترمذي : ٥ - ٦٦٢ ) .  
 (٢) النجيب : الكريم الحبيب ، ويكون بمعنى الرفيق المعين في المهمات والشدائد ؛ وهو المراد هنا . وفي هامش ب كمل عددهم - من الاستيعاب - فقال : وعلي ، والحسن ، والحسين ، وسلمان ، وحمزة ، وأبو ذر ، وحذيفة ، والمقداد ، وجعفر ، وبلال .  
 ولفظ الترمذي : قلنا : من هم ؟ قال : أنا وابناي ، وجعفر ، وحمزة ، وأبو بكر ، وعمر ، ومصعب بن عمير ، وبلال ، وسلمان ، وعمار ، وابن مسعود .  
 ولم يذكر ابن عبد البر : مصعبا . وزاد تكملة لهم : حذيفة ، وأبا ذر ، والمقداد .  
 وارجع في ذلك أيضا إلى شرح القاري ( ١ - ٣٧٠ ) إن أردت .  
 (٣) حديث رواه مسلم عن أبي شريح ؛ قاله يوم فتح مكة ( صحيح مسلم : ٩٨٨ ) .  
 (٤) حبس : منع .  
 (٥) ضبطت كلمة « تحل » في ب بضم التاء - بالبناء للمجهول ، و « تحل » بفتح التاء وكسر الحاء وكتب عليها « معا » . والغبط الأخير في صحيح مسلم .  
 (٦) كان حل القتال للنبي في ساعة من نهار يوم الفتح .  
 (٧) قال الخفاجي : في حديث رواه أحمد ، والبيهقي ، والحاكم ، وقال : إنه صحيح الإسناد ( مسند أحمد : ٤ - ١٢٧ ) . (٨) لئجدل في طينته : أي مختلط في تربته ، أو ساقط فيها ، أو مطروح على الجدالة ، وهي الأرض الصلبة ، والمراد بطينته .  
 (٩) وعدة أبي إبراهيم ؛ أي وعده بمقتضى دعائه بقوله : ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ...  
 (١٠) وبشارة عيسى ابن مريم : يعني في قوله تعالى - حكاية عنه : ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد .

وعن ابن عباس<sup>(۱)</sup> ، قال : إن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على أهل السماء ، وعلى الأنبياء صلوات الله عليهم ؛ قالوا : فما فضله على أهل السماء ؟ قال : إن الله تعالى قال لأهل السماء<sup>(۲)</sup> : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ، كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ .

وقال لحمد صلى الله عليه وسلم<sup>(۳)</sup> : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا . لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ .

قالوا : فما فضله على الأنبياء ؟ قال : إن الله تعالى قال<sup>(۴)</sup> : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ .

وقال محمد<sup>(۵)</sup> : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾ .

وعن خالد بن معدان أن نقرأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا<sup>(۶)</sup> : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك .

وقد روى نحوه عن أبي ذر ، وشداد بن أوس ، وأنس بن مالك ، فقال : نعم ، أنا دعوة أبي إبراهيم - يعني قوله<sup>(۷)</sup> : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ .

(۱) قال الحفاجي والقاري : في حديث رواه البيهقي ، والدارمي ، وابن أبي حاتم .

(۲) سورة الأنبياء ، آية ۲۹ (۳) منهم : من أهل السماء

(۴) سورة الفتح ، آية ۱ ، ۲ . ووجه الفضل أنه جملة مغفورا له غير مؤاخذ بما صدر منه .

أو وجه الفضل أنه هددهم على سبيل الفرض بعذاب جهنم ودخولها ولم يهدده بمثله ، وهذا يدل على علو رتبته فوق رتبته .

(۵) سورة إبراهيم ، آية ۴

(۶) سورة سبأ ، آية ۲۸ ، وهذه الآية تدل على عموم رسالته ، والآية التي قبلها تدل على

تخصيص رسالة كل رسول بقومه .

(۷) قال الحفاجي : هذا الحديث روى من طرق ، كما أشار إليه المصنف .

(۸) سورة البقرة ، آية ۱۲۹

وَبُشْرَى<sup>(۱)</sup> عَيْسَى . وَرَأَتْ أُمَّي حِينَ حَمَلَتْ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهُ قُصُورُ  
بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، وَاسْتَرْضِعَتْ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ<sup>(۲)</sup> ، فَبَيْنَا أَنَا مَعَ أَخِي  
لِي خَلْفَ بَيْوتِنَا رَعَى بِهِمَا<sup>(۳)</sup> لَنَا إِذْ جَاءَ بِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيْضٌ .  
وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : ثَلَاثَةُ رِجَالٍ بَطَسَتْ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ<sup>(۴)</sup> ثَلْجًا ، وَأَخَذَانِي  
فَشَقًّا بَطْنِي .

قَالَ فِي غَيْرِ هَذَا الْحَدِيثِ : مِنْ تَحْرِي إِلَى مَرَاقٍ بَطْنِي<sup>(۵)</sup> ، ثُمَّ اسْتَخْرَجَا مِنْهُ  
قَلْبِي ، فَشَقَّاهُ ، فَاسْتَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَةً سَوْدَاءَ<sup>(۶)</sup> فَطَرَحَاهَا ، ثُمَّ غَسَلَا قَلْبِي وَبَطْنِي  
بِذَلِكَ الثَّلْجِ حَتَّى أَنْقِيَاهُ<sup>(۷)</sup> .

قَالَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ : ثُمَّ تَنَاوَلَ أَحَدُهُمَا شَيْئًا فَإِذَا بِخَاتَمٍ فِي يَدِهِ مِنْ نُورٍ<sup>(۸)</sup> يَجَارُ  
النَّاطِرُ دُونَهُ ، فَخَمَّ بِهِ قَلْبِي ، فَامْتَلَأَ إِيمَانًا وَحِكْمَةً ، ثُمَّ أَعَادَهُ مَكَانَهُ ، وَأَمَرَ الْآخَرَ  
يَدَهُ عَلَى مَفْرَقِ صَدْرِي فَالتَّمَامُ<sup>(۹)</sup> .

وَفِي رِوَايَةٍ : إِنَّ جَبْرِيلَ قَالَ : قَلْبٌ وَكَيِّعٌ ؛ أَيُّ شَدِيدٍ ، فِيهِ عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ ،  
وَأُذُنَانِ سَمِيعَتَانِ ؛ ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا [ ٥١ ] لِصَاحِبِهِ : زِنَهُ بِعَشْرَةِ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنَنِي  
فَرَجَحْتَهُمْ<sup>(۱۰)</sup> ، ثُمَّ قَالَ : زِنَهُ بِمِائَةِ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ ؛ ثُمَّ قَالَ : زِنَهُ

(۱) فِي هَامِشِ ب : خ : وَبُشْرَى بِي . (۲) أَرْضُهُ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةِ .

(۳) بِهِمَا : جَمْعُ بِهِمَةِ : اسْمٌ لِأَوْلَادِ الضَّانِ .

(۴) هِيَ بِالتَّاءِ فِي ١ ، ب . قَالَ الْقَارِي ( ١ - ٣٧٣ ) : لَعَلَّ التَّاءَ لِلْمُبَالَغَةِ أَوْ بِإِعْتِبَارِ كَوْنِهِ آتِيَةً .

(۵) النَّحْرُ : أَعْلَى الصَّدْرِ . وَمَرَاقُ الْبَطْنِ : مَارِقٌ وَوَلَانٌ مِنَ الْبَطْنِ . وَفِي هَامِشِ أ :

المراق - بتشدید القاف : أسفل البطن وما حوله حين استرق الجلد .

(۶) العَلَقَةُ : دَمٌ مَتَجَمِّدٌ كَالْعَلَقَةِ الْمَعْرُوفَةِ فِي دُودِ الْمَاءِ . (۷) أَنْقِيَاهُ : جَمَلَاهُ نَقِيًّا نَظِيفًا .

(۸) مِنْ نُورٍ : يَتَلَأَلُ وَيُضِيءُ إِضَاءَةً زَائِدَةً ، حَتَّى كَأَنَّهُ مَجْسَمٌ مِنْ نُورٍ .

(۹) مَفْرَقُ صَدْرِي : مَحَلُّ الشَّقِّ وَالِافْتِرَاقِ الَّذِي كَانَ مِنْهُ . التَّمَامُ : انْضَمَّ وَاجْتَمَعَ حَتَّى

لَمْ تَبْقَ فَرَجَةٌ مِنَ الشَّقِّ . وَانظُرْ فِي ذَلِكَ أَيْضًا دَلَائِلَ النُّبُوَّةِ لِأَبِي نَعِيمٍ : ١ - ٢٠٢ .

(۱۰) رَجَحْتَهُمْ : الرَّجْحَانُ : زِيَادَةُ مَا فِي الْكِفْتَيْنِ وَثِقَلُهُ ، فَيُنزَلُ الرَّاجِحُ وَيَعْلُو مُقَابِلُهُ .

وَالْمُرَادُ بِأُمَّتِهِ : مَنْ اتَّبَعَهُ وَآمَنَ بِهِ .

بألفٍ من أُمَّته ، فوزنتني بهم فوزنتهم ؛ ثم قال : دَعَا عَنْكَ ، فلو وزنته بأُمَّته لوزنها (۱) .

قال في الحديث الآخر : ثم ضموني (۲) إلى صدورهم ، وقبّلوا رأسي ، وما بين عيني ، ثم قالوا : يا حبيب ، لم تُرَع (۳) ، إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك (۴) . وفي بقية هذا الحديث من قولهم (۵) : ما أكرمك على الله إن الله معك وملائكته .

قال في حديث أبي ذرّ : فما هو إلا أن ولياً عنى (۶) ، فكأنما أرى الأمر معاينة (۷) .

وحكى أبو محمد مكي ، وأبو الليث السمرقندي وغيرهما - أن آدمَ عند معصيته قال : اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي .

ويروي (۸) : تقبل توبتي . فقال له الله : من أين عرفت محمداً؟ فقال : رأيتُ في كل موضع من الجنة مكتوباً : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

ويروي : محمد عبدي ورسولي ؛ فعلتُ أنه أكرمُ خلقك عليك ، فتاب الله عليه ، وغفر له .

(۱) لوزنها : لرجحها وغلبها في الوزن .

(۲) ضموني إلى صدورهم : عانقوني إظهاراً لمحبّتهم وتكريمهم لي .

(۳) لم ترع : لم تحف وتفرع . أي إنه حصل لك من قوة القلب ما لا يمتريك بعده خوف من شيء . والمراد تطمين قلبه بعد ما وقع من الشق له . وفي هامش ب : لن ترع .

(۴) لقرت عيناك : لسررت سرورا عظيماً .

(۵) من قولهم : أي قول الملائكة . (۶) ولياً عنى : رجماً وانصرفاً عنى .

(۷) كأنما أرى الأمر معاينة : المراد بالأمر هنا ما أكرمه الله به ، وما سيكرمه به ، من

مقدمات النبوة وإرهاصاتها ، وما زاد في فطنته وعلمه .

(۸) هذا الحديث رواه البيهقي والطبراني عن عمر بسند فيه ضعف .

وهذا (۱) عند قائله تأويلُ قوله تعالى (۲) : ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ .

وفي روايةِ الآجُرِّي (۳) [ قال ] (۴) : فقال آدم ، لما خَلَعَتْنِي رَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى عَرْشِكَ فَإِذَا فِيهِ مَكْتُوبٌ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ؛ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَعْظَمَ قَدْرًا عِنْدَكَ مِمَّنْ جَعَلْتَ اسْمَهُ مَعَ اسْمِكَ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي ، إِنَّهُ لِأَخِرُ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ وَلَوْلَاهُ مَا خَلَقْتُكَ .

قال : وكان آدمُ يُكْنَى بِأَبِي مُحَمَّدٍ ، وقيل : بأبي البشر .  
وروى عن سُرَيْجِ بْنِ يُونُسَ أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ (۵) عِيَادَتِهَا (۶) كُلِّ دَارٍ فِيهَا أَحْمَدٌ ، أَوْ مُحَمَّدٌ ، إِكْرَامًا مِنْهُمْ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .  
وروى ابنُ قانِعٍ (۷) القاضِي ، عن أَبِي الْحَمْرَاءِ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَّا أُسْرِي بِي إِلَى السَّمَاءِ إِذَا عَلَى الْعَرْشِ مَكْتُوبٌ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، أَيْدِيَهُ بَعْلِي (۸) .

(۱) وهذا : أى الحديث المذكور . تأويل : تفسير . (۲) سورة البقرة ، آية ۳۷  
(۳) هذا فى ا ، ب . قال القارى : قال الحلبي : الظاهر أنه الإمام القدوة أبو بكر محمد ابن الحسين بن عبد الله البغدادي مصنف كتاب الشريعة فى السنة ، والأربعين ، وغيرها . روى عنه أبو نعيم الحافظ ، وكان عالما عاملا ، سكن مكة ، ومات بها سنة ستين وثلاثمائة .  
(۴) من ب .

(۵) سياحين : من السياحة ، وهى السير الطويل ، والمشى فى الأرض ، والسفر من غير مقصد وللنظر فى المصنوعات وغير ذلك .

(۶) عيادتهم : زيارتهم . وفى ب : عبادتها - بالباء الموحدة . وفى هامشه : عيادتها . وقال : زيارتها - تفسير لقوله : عيادتها . وفى ا : على كل دار .

(۷) ابن قانع : اسمه عبد الباقي بن مرزوق ، صاحب معجم الصحابة ، وكتاب اليوم والليلة ، وتاريخ الوفيات من أول سنة الهجرة ، فروى معجم الصحابة له هذا .

(۸) التأييد : التقوية والنصر .

وفي التفسير ، عن ابن عباس - في قوله تعالى (١) : ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ -  
قال : لَوْحٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ مَكْتُوبٌ : عَجَبًا لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْقَدَرِ كَيْفَ يَنْصَبُ (٢) !  
عَجَبًا لِمَنْ أَيْقَنَ بِالنَّارِ كَيْفَ يَضَعُكَ (٣) ! عَجَبًا لِمَنْ رَأَى الدُّنْيَا وَتَقَلَّبَهَا بِأَهْلِهَا كَيْفَ يَطْمَئِنُّ  
إِلَيْهَا ! أَنَا اللَّهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، مُحَمَّدٌ عَبْدِي وَرَسُولِي .

وعن ابن عباس (٤) : على باب الجنة مكتوب : إني أنا الله ، لا إله إلا أنا ،  
محمد رسول الله ، لا أعذب من قالها .

وذكر أنه وجد على الحجارَةِ القَدِيمَةِ مكتوب : محمد تَقِيٌّ مُصْلِحٌ ، وَسَيِّدٌ أَمِينٌ .  
وذكر السَّمْنَطَارِيُّ (٥) أنه شاهد في بعض بلاد خراسان مولوداً وُلِدَ على أحد  
جَنَبِيَّةِ مَكْتُوبٌ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَعَلَى الْآخِرِ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ .

وذكر الأَخْبَارِيُّونَ (٦) أَنَّ بِيَلَادَ الْهِنْدِ وَرَدًّا أَحْمَرَ مَكْتُوبًا عَلَيْهِ بِالْأَبْيَضِ : لَا إِلَهَ  
إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ .

(١) سورة الكهف ، آية ٨٢ . تحته : أي الجدار . كنز لها : لليتيمين .

(٢) النصب : التعب . أي كيف يتعب نفسه في تحصيل رزقه ، وما قدر له لا يتخاف عنه  
مقدار ذرة أو لحظة .

(٣) أي من تيقن وجود النار ، وعلم أنه لا يخلو من زلة يعاقب عليها كيف لا يخاف منها  
ويكون ضاحكاً مسروراً ، وهو لا يعلم أشقى هو أم سعيد ، والموت أقرب له من جبل الوريد .

(٤) قال القاري ( ١ - ٣٧٧ ) : قال الدلجي : لا أعلم من رواه عنه .

(٥) هذا الضبط في ب ، توفي سنة ٤٦٤ هـ وقال الشهاب ( ٢ - ٢٤٧ ) : قال التلمساني :

إنه من الاجلة ، ومن قال : لم أر له ترجمة ونحن في غنية عما نقل عنه - فقد شهد على نفسه  
بقلة الاطلاع ، وقد ضبط بفتح السين في ا .

وكذلك ضبطه ياقوت ( ٥ - ١٣١ ) ، ضبط قلم ، وقال : سمنطار : قيل : هي قرية في

جزيرة صقلية . وارجع إلى ياقوت إن شئت .

أما ضبط السين بالكسر فهو في ب ، وأيده القاري ( ١ - ٣٧٨ ) ، والخفاجي : ( ٢ - ٢٤٦ )

(٦) المراد بهم المؤرخون الذين لهم اعتناء بأخبار الأمم السالفة .

وروى عن جعفر بن محمد ، عن أبيه : إذا كان يومُ القيامة نادى منادٍ : أَلَا لِيَقُمَ  
من اسمه محمد ، فليدخل الجنة لكرامةِ اسمه عليه السلام .  
وروى ابنُ القاسم<sup>(١)</sup> في سماعه ، وابنُ وهب في جامعه ، عن مالك : سمعتُ أهلَ  
مكة يقولون : ما من بيتٍ فيه اسمُ محمدٍ إلا قد وقوا<sup>(٢)</sup> .  
وعنه عليه السلام<sup>(٣)</sup> : ما ضرَّ أحدكم أن يكونَ في بيته محمدٌ ومحمدان وثلاثة<sup>(٤)</sup> .  
وعن عبدِ اللهِ بن مسعود : إن الله نظر إلى قلوب العباد ، واختار منها قلبَ محمد  
عليه السلام ، فاصطفاه لنفسه<sup>(٥)</sup> ، فبعثه برسالته .

وحكى النقَّاشُ أنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم لما نزلت<sup>(٦)</sup> : ﴿ وما كان لكم أن تُؤذوا رسولَ اللهِ ولا أن تنكحُوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عندَ اللهِ  
عظيماً ﴾ - قام خطيباً ، فقال : يا معشرَ أهلِ الإيمانِ ، إنَّ الله تعالى فضَّاني عليكم  
تفضيلاً ، وفضلَ نساءي على نساءكم تفضيلاً ... الحديث .

(١) ابن القاسم اسمه عبد الرحمن ، جمع بين الزهد والعلم ، وصحب مالكا عشرين سنة ،  
ومات بمصر . أخرج له البخاري ، وأبو داود ، والنسائي .

(٢) في هامش ١ ، ب : وفي نسختين صحيحتين : إلا نما ورزقوا . وفي هامش ب : خ :  
إلا رزقوا ورزق جيرانهم .

(٣) في حديث مرفوع مسند ، كما قاله السيوطي ، وذكره سنده .

(٤) ونفي الضرر المراد به وجود النفع .

(٥) اصطفاه لنفسه : جملة صفيا له مقربا عنده .

(٦) سورة الأحزاب ، آية ٥٣

(٧) وما كان لكم : لا ينبغي لكم ، ولا يحل ، ولا يجوز .



## فصل ۲

في تفضيله بما تضمنته كرامة الإسراء من المناجاة والرؤية<sup>(۱)</sup>، وإمامة الأنبياء،  
والعروج به إلى سِدْرَةِ<sup>(۲)</sup> المنتهى، وما رأى من آيات رَبِّهِ الكُبْرَى

ومن خصائصه - عليه السلام قصة الإسراء وما انطوت عليه من درجات  
الرِّفْعَةِ مما نبه عليه الكتاب العزيز، وشرحته صحاح الأخبار؛ قال الله تعالى<sup>(۳)</sup> :  
﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي  
بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ .

وقال تعالى<sup>(۴)</sup> : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ . وَمَا يَنْطِقُ  
عَنِ الْهَوَىٰ ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ . عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ . ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ .  
وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ . فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ  
مَا أَوْحَىٰ . مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ . أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً  
أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ . عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ . إِذْ يَفِشَى السِّدْرَةَ مَا يَفِشَى . مَا زَاغَ  
الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ . لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ .

فلا خلاف بين المسلمين في صحة الإسراء به عليه السلام، إذ هو نص القرآن،  
وجاءت بتفصيله، وشرح عجائبه، وخواص نبينا محمد عليه السلام فيه أحاديث كثيرة

(۱) المناجاة : الكلام سرا . وتختص المناجاة في العرف بكلام العبد مع ربه . والرؤية :  
أي رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه . أو رؤية ما في الملائكة الأعلى من العجائب .

(۲) العروج : الصعود في جهة العلو . وسدرة المنتهى : شجرة في السماء السابعة ، وسميت  
سدرة المنتهى ؛ لأنه ينتهي إليها ما يهبط من فوقها وما يصدر من تحتها . وقيل : إنه ينتهي إليها  
علم الخلائق . وقيل : لأن من وصل إليها انتهى لأقصى الكرامة .

(۳) سورة الإسراء ، آية ۱ ، والمسجد الأقصى : بيت المقدس .

(۴) سورة النجم ، آية ۱ - ۱۸

منتشرة - رأينا أن نقدم أكملها<sup>(۱)</sup>، ونشير إلى زيادة من غيره<sup>(۲)</sup> يجب ذكرها :  
 حدثنا القاضي الشهيد أبو علي ، والفقير أبو بحر بسامى عليهما ، والقاضي  
 أبو عبد الله التميمي ، وغير واحد من شيوخنا ؛ قالوا : حدثنا أبو العباس المذري ،  
 [قالوا]<sup>(۳)</sup> : حدثنا أبو العباس الرازي ، حدثنا أبو أحمد الجلودي ، حدثنا ابن سفيان ،  
 حدثنا مسلم بن الحجاج ، حدثنا شيبان بن فروخ ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا ثابت  
 البناني ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال<sup>(۴)</sup> :  
 أتيت بالبراق ، وهو دابة<sup>(۵)</sup> أبيض طويل ، فوق الحمار ، ودون البغل ، يضع حافره  
 عند منتهى طرفه<sup>(۶)</sup> - قال : فركبته حتى أتيت بيت المقدس ، فربطته بالحلقة التي  
 يربط بها الأنبياء ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت ، فجاءني  
 جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن ، فاخترت اللبن ، فقال جبريل : اخترت الفطرة<sup>(۷)</sup> .

(۱) أى الحديث الذى هو أكملها وأجمعها لهذه القصة وأصحها . وهذا الحديث رواه

مسلم : ۱ - ۱۴۵

(۲) من غيره : من غير هذا الحديث . وقعت روايتها لغير مسلم ، ولكنها مهمة .

(۳) من ب .

(۴) حديث الإسراء هذا فى صحيح مسلم : ۱۴۵ ، وصحيح البخارى : ۴ - ۱۳۳ ،

ومسند أحمد : ۲۵۷ ، ۳۰۹ ، ۳۱۰ ، وسنن الترمذى : ۵ - ۳۰۰ وما بعدها ، ۳۰۷ ،

وسيرة ابن هشام : ۲ - ۳۶ ، وطبقات ابن سعد : ۱ - ۱۴۲ ، وتفسير ابن كثير : ۳ - ۱۰۸ ،

والنويرى : ۱۶ - ۲۸۳ ، والسيرة الحلبية : ۱ - ۴۷۸ ، وغيرها .

(۵) وهو دابة : على صورتها . والدابة : تذكر وتؤنث .

(۶) منتهى : انتهاء . والطرف : العين ، والمراد به النظر .

(۷) الفطرة : الجبلة والطبيعة التى فطر عليها الناس ، أى ما اخترته هو الموافق للخلقة

الإنسانية التى خلق الناس عليها ، وللطباع المستقيمة ؛ فإن اللبن شراب لذيذ ، وطعام نافع

موافق للإنسان . وقيل : المراد بالفطرة هنا الإسلام والاستقامة ، وجعل اللبن علامة لكونه

سهلا طيبا سائفا للشاربين سليم العاقبة ، بخلاف الخمر .

ثم عَرَجَ <sup>(۱)</sup> بنا إلى السماء ، فاستفتَحَ <sup>(۲)</sup> جبريلُ ، فقيل : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : جبريل .  
قيل : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قال : محمد . قيل : وقد بُعِثَ إليهِ ؟ قال : قد بُعِثَ إليهِ ، ففتَحَ  
لنا ، فإذا أنا بآدم صلى الله عليه وسلم ، فرحَّبَ بي ، ودعا لي بخير .

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الثانية ، فاستفتَحَ جبريلُ ، فقيل : مَنْ أَنْتَ ؟ قال :  
جبريل . قيل : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قال : محمد . قيل : وقد بُعِثَ إليهِ ؟ قال : قد بُعِثَ إليهِ .  
فتَحَ لنا ، فإذا أنا بابِئني الخالة : عيسى ابن مريم ، ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما ؛  
فرحَّبَا بي ، ودعوا لي بخير .

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الثالثة ، فذكر مثل الأول ، ففتَحَ لنا ، فإذا أنا بيوسف  
صلى الله عليه وسلم ، وإذا هو قد أُعْطِيَ شَطْرَ الحُسْنِ <sup>(۳)</sup> ، فرحَّبَ بي ، ودعا لي بخير .  
ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الرابعة ، وذكر مثله ، فإذا أنا بإدريس ، فرحَّبَ بي ،  
ودعا لي بخير ، قال الله تعالى <sup>(۴)</sup> : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ .

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الخامسة ، فذكر مثله ، فإذا أنا بهارون ، فرحَّبَ بي ،  
ودعا لي بخير .

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء السادسة ، فذكر مثله ، فإذا أنا بموسى ، فرحَّبَ بي ،  
ودعا لي بخير .

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء السابعة ، فذكر مثله ، فإذا أنا بإبراهيم مُسْنِدًا ظَهْرَهُ  
إلى البيت المعمور <sup>(۵)</sup> ، وإذا هو يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، لا يعودون <sup>(۶)</sup> إليه .

(۱) في ب : ثم عرج بي . والمثبت في صحيح مسلم أيضا : وعرج : صعد .

(۲) فاستفتح جبريل : أي طلب فتحها من الملائكة الموكلين بها .

(۳) الشطر : النصف . (۴) سورة مريم ، آية ۵۷

(۵) في نسيم الرياض ( ۲ - ۲۶۰ ) : وهو بيت تطوف به الملائكة وتحج له للعبادة ،

وهو محاذ للكعبة . وسمى معمورا لكثرة الملائكة فيه .

(۶) لا يعودون إليه : لأن حجه مرة كفرض الحج علينا ، أو لاشتغال غيرهم .

ثم ذهب بن إلى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى<sup>(۱)</sup> ، وإذا ورقها كآذانِ الفِئَلَةِ ، وإذا تمرُّها كالقَلَالِ<sup>(۲)</sup> ، قال : فلما غَشِيَهَا من أمر الله ما غَشِيَ تَغَيَّرَتْ<sup>(۳)</sup> ، فما [ ۵۸ ] أَحَدٌ من خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أن يَنْتَعِمَها من حُسْنِها ؛ فأوحى اللهُ إلى ما أَوْحَى ، ففرضَ على خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، فنزلتُ إلى موسى ، فقال : ما فرضَ ربُّكَ على أُمَّتِكَ؟ قلت : خمسين صلاة . قال : ارجع إلى ربِّكَ فاسأله التَّخْفِيفَ ، فإن أُمَّتِكَ لا يُطِيقون<sup>(۴)</sup> ذلك ، فإني قد بَلَوْتُ<sup>(۵)</sup> بني إسرائيل وخَبَرْتُهُمْ .

قال : فرجعتُ إلى رَبِّي ، فقلتُ : يارب ، خَفِّفْ عن أُمَّتِي . فَحَطَّ عني خَمْسًا ، فرجعتُ إلى موسى ، فقلتُ : حَطَّ عني خَمْسًا ، قال : إنَّ أُمَّتِكَ لا يُطِيقون ذلك ، فارجع إلى ربِّكَ فاسأله التَّخْفِيفَ . قال : فلم أزلُ أَرْجِعُ بين ربِّي تعالى وبين موسى حتى قال : يا محمد ، إنَّهنَّ خَمْسُ صَلَواتٍ كلَّ يومٍ وليلةٍ لكلِّ صلاةٍ عَشْرٌ ، فتلِكَ<sup>(۶)</sup> خمسون صلاة<sup>(۷)</sup> ؛ ومن هَمَّ بِحَسَنَةٍ فلم يعملها كُتِبَتْ له حَسَنَةٌ<sup>(۸)</sup> ، فإن عملها كُتِبَتْ له عَشْرًا . ومن هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فلم يعملها لم تُكْتَبْ شَيْئًا ، فإن عملها كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ واحدة .

(۱) في صحيح مسلم : إلى السدرة المنتهى .  
(۲) القلال : جمع قلة ، وهي الجرة الكبيرة .  
(۳) غشيتها : طرأ عليها وغطاها . من أمر الله : الظاهر أن المراد بأمر الله وحيه ، أو بجليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإنها بذلك أشرق عليها نور إلهي ، فزهت به ، وحسنت حسنًا لا ينمت ، وظهر عليها نور لا يمكن أن تقابله الأبصار . تغيَّرت : أي عن حالها التي كانت عليه .

(۴) لا يطيقون ذلك : يشق عليهم فيقصرون فيه .  
(۵) بلوت بني إسرائيل : خبرتهم . (۶) في صحيح مسلم : فذلك خمسون صلاة .  
(۷) في الثواب والاعتبار ، لأن الحسنة بعشر أمثالها .  
(۸) لئيبته عمائها . والهم : القصد .

قال : فنزلتُ حتى انتهيتُ إلى موسى ، فأخبرته ، فقال : ارجع إلى ربك فاسألهُ  
التخفيف .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقلت<sup>(۱)</sup> : قد رجعتُ إلى ربي حتى  
استجيبتُ<sup>(۲)</sup> منه .

قال القاضي - رضى الله عنه : جوّد ثابتٌ رضى الله عنه هذا الحديث عن أنس  
ما شاء ، ولم يأتِ أحدٌ عنه بأصوب من هذا .

وقد خلطَ فيه غيره عن أنس تخليطاً<sup>(۳)</sup> كثيراً ، لا سيما من رواية شريك  
ابن أبي نمرٍ ؛ فقد ذكر في أوله مجيء الملك له ، وشقّ بطنه ، وغشاه بماء زمزم ؛ وهذا  
إمّا كان وهو صبيّ ، وقبّل الوحي .

وقد قال شريك في حديثه : وذلك قبل أن يُوحى إليه ؛ وذكر قصة الإسراء .  
ولا خلاف أنها كانت بعد الوحي .

وقد قال غير واحد : إنها كانت قبل الهجرة بسنة ، وقيل : قبل هذا .  
وقد روى<sup>(۴)</sup> ثابت عن أنس ، من رواية حماد بن سامة أيضا مجيء جبريل إلى  
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره<sup>(۵)</sup> ، وشقّه قلبه - تلك  
القصة مفردة من حديث الإسراء كما رواه الناس ، فجوّد في القصتين ، وفي أن الإسراء  
إلى بيت المقدس وإلى سِدْرَةِ المنتهى كان قصة واحدة ، وأنه وصل إلى بيت

(۱) في ب : قلت . والمثبت في ا ، وصحيح مسلم .

(۲) في ا : استجيت منه . والمثبت في ب ، وصحيح مسلم ؛ أى استجيت منه أن  
أراجعه في السؤال بعد ذلك .

(۳) المراد أنهم أدخلوا في حديث الإسراء ما ليس منه كشق الصدر ؛ كما يأتي .

(۴) صحيح مسلم : ۱۴۷

(۵) عند ظئره : الظئر : المرضة التي ليست بأم ؛ وهى حليمة السعدية .

المقدس ، ثم عرج<sup>(۱)</sup> به من هناك ، فأزاح كل إشكال أو همه غيره<sup>(۲)</sup> .  
 وقد روى يونس ، عن ابن شهاب ، عن أنس ، قال<sup>(۳)</sup> : كان أبو ذر يحدث  
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فرج<sup>(۴)</sup> سنف بيتي ، [ وأنا بمكة ]<sup>(۵)</sup> ،  
 فنزل جبريل ، ففرج صدرى ، ثم غسله من<sup>(۶)</sup> ماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب  
 ممتلئ حكمة وإيماناً ، فأفرغها في صدرى ، ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدي فعرج بنا إلى  
 السماء . . . فذكر القصة .

وروى قتادة<sup>(۷)</sup> الحديث ، بمثله ، عن أنس ، عن مالك بن صعصعة ، وفيها  
 تقديم وتأخير وزيادة ونقص ، وخلاف في ترتيب الأنبياء في السموات .  
 وحديث ثابت ، عن أنس - أتقن وأجود .  
 وقد وقعت في حديث الإسراء زيادات نذكر منها نكتة مفيدة<sup>(۸)</sup> في غرضنا :  
 منها في حديث ابن شهاب ، وفيه : قول كل نبي له : مرحبا بالنبي الصالح ،  
 والأخ الصالح ، إلا آدم وإبراهيم فقالا له : والابن الصالح<sup>(۹)</sup> .

(۱) في ب : عرج - بالبناء للمجهول .

(۲) أو همه غيره : أوقعه في ذهن الناس ووههمهم . غيره : غير ثابت .

(۳) هذا الحديث في صحيح مسلم : ۱۴۸

(۴) فرج : شق ، أو رفع جانب منه حتى صار مكشوفاً .

(۵) من صحيح مسلم :

(۶) في ب : بماء زمزم . والمثبت في ا ، وصحيح مسلم . .

(۷) في صحيح مسلم : ۱۴۹

(۸) النكتة : جمع نكتة . والمراد كل معنى دقيق يحصل بالفكر .

(۹) في صحيح مسلم : ۱۴۹

وفيه - من طريق<sup>(۱)</sup> ابن عباس : ثم عرج بي حتى ظهرت<sup>(۲)</sup> بمستوى أسمع فيه صريف<sup>(۳)</sup> الأقلام .

وعن أنس<sup>(۴)</sup> : ثم انطلق بي حتى أتيتُ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى ، ففَشِيهَا ألوانٌ لأدري ما هي ؟ قال : ثم أدخِلتُ الجنةَ .

وفي حديث مالك بن صعصعة : فلما جاؤزته<sup>(۵)</sup> - يعني [ ۵۹ ] موسى - بكى ، فنودي : ما يُبْكِيكَ ؟ قال : رب ، هذا غلامٌ بعثته بعدي يدخلُ من أمتي الجنةَ أكثرَ مما يدخلُ من أمتي<sup>(۶)</sup> !

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه<sup>(۷)</sup> : وقد رأيتني في جماعةٍ من الأنبياء ، فعانت<sup>(۸)</sup> الصلاةُ ، فأمتهم<sup>(۹)</sup> ، فقال قائل : يا محمد ، هذا مالكٌ خازنُ النار ، فسلمَ عليه . فالتفت<sup>(۱۰)</sup> فبدأني بالسلام .

وفي حديث أبي هريرة : ثم سار حتى<sup>(۱۱)</sup> أتى إلى بيت المقدس ، فنزل فربط فرسه إلى صخرةٍ ، فصلى مع الملائكة ، فلما قضيت الصلاة قالوا : يا جبريل ؛ مَنْ هذا معك ؟ قال : هذا محمد رسولُ الله خاتم النبيين . قالوا : وقد أُرْسِلَ إليه ؟ قال :

(۱) في ب : حديث . وهو في صحيح مسلم : ۱۴۹ (۲) ظهرت : علوت وصعدت .

(۳) صريف الأقلام : الصريف : المراد به صوت القلم على الورق ؛ أي انتهى - صلى الله

عليه وسلم إلى محل سمع فيه صرير أقلام الملائكة الكتبة . وهي تكتب ما تنقله من اللوح ،

أو ما يؤمر بكتابته من الوحي وغيره . صحيح مسلم : ۱۴۹

(۴) فيما رواه مسلم : ۱۴۹ (۵) جاؤزته : فارقته .

(۶) صحيح مسلم : ۱۵۰

(۷) في حديث الإسراء الذي رواه البيهقي وغيره .

(۸) حانت الصلاة : دخل وقتها ، وجاء حينها .

(۹) فأمتهم : صليت بهم جماعة وأنا إمام لهم .

(۱۰) فالتفت : أي إلى مالك . (۱۱) ثم سار : أي جبريل .

نعم . قالوا : حياهُ اللهُ<sup>(١)</sup> مِنْ أَخٍ وَخَلِيفَةٍ ، فَنِعْمَ الْأَخُ وَنِعْمَ الْخَلِيفَةُ ! ثُمَّ لَقُوا أَرْوَاحَ الْأَنْبِيَاءِ فَأَثْنُوا عَلَى رَبِّهِمْ ، وَذَكَرَ كَلَامَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، وَهُمْ إِبْرَاهِيمُ ، وَمُوسَى وَعِيسَى ، وَدَاوُدُ ، وَسُلَيْمَانُ .

ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : وَإِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ : كَلِمَتِي أَثْنَى عَلَى رَبِّي ، وَأَنَا أَثْنَى عَلَى رَبِّي . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، وَكَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا<sup>(٢)</sup> ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الْفُرْقَانَ فِيهِ تَبْيَانٌ كُلُّ شَيْءٍ<sup>(٣)</sup> . وَجَعَلَ أُمَّتِي خَيْرَ أُمَّةٍ ، وَجَعَلَ أُمَّتِي أُمَّةً وَسَطًا<sup>(٤)</sup> ، وَجَعَلَ أُمَّتِي هُمَ الْأَوَّلُونَ ، وَهُمْ الْآخِرُونَ<sup>(٥)</sup> ، وَشَرَحَ لِي صَدْرِي ، وَوَضَعَ عَنِّي وَزْرِي<sup>(٦)</sup> ، وَرَفَعَ لِي ذِكْرِي<sup>(٧)</sup> ، وَجَعَلَنِي فَاتِحًا وَخَاتِمًا<sup>(٨)</sup> .

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : بِهَذَا فَضَّلَكُمْ مُحَمَّدٌ .

(١) حياهُ اللهُ : هِيَ تَحِيَّةٌ وَدَعَاءٌ بِالْبَقَاءِ وَالسَّلَامَةِ .

(٢) بَشِيرًا وَنَذِيرًا : مَبَشِيرًا بِالْخَيْرِ لِمَنْ آمَنَ وَاتَّقَى ، مَحْذَرًا مِنْ كُفْرٍ وَعَصَى .

(٣) تَبْيَانٌ كُلُّ شَيْءٍ : مُبِينٌ لِكُلِّ شَيْءٍ .

(٤) أُمَّةٌ وَسَطًا : عَدُولًا أَخْيَارًا جَامِعِينَ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ، وَسَائِرِ الصِّفَاتِ الَّتِي بَيْنَ

التَفْرِيطِ وَالِإِفْرَاطِ .

(٥) عَلَّقَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ حَسَنِينٌ مَخْلُوفٌ هُنَا - فِي النُّسْخَةِ - قَالَ : الْأَوَّلُونَ ؛ أَيُّ فِي دُخُولِ

الْجَنَّةِ ، وَالْآخِرُونَ ؛ أَيُّ فِي الْوُجُودِ فِي الدُّنْيَا . وَقَالَ الشَّهَابُ الْحَفَاجِيُّ : هُمُ الْأَوَّلُونَ وَهُمْ

الْآخِرُونَ : مَعْنَى أَوْلِيَّتِهِمْ سَبَقَهُمُ النَّاسُ فِي الْقِيَامِ مِنَ الْقُبُورِ وَفِي دُخُولِ الْجَنَّةِ وَفَصَلَ الْقَضَاءِ .

وَتَأَخَّرَهُمْ بِاعْتِبَارِ الْوُجُودِ الْحَارِجِيِّ .

(٦) وَوَضَعَ عَنِّي وَزْرِي : طَهَّرَ قَلْبِي مِنْ حِظِّ الشَّيْطَانِ ، وَعَصَمَنِي فَلَا أُرْتَكِبُ مَا لَا يَرْضَى اللَّهُ .

(٧) وَرَفَعَ ذِكْرِي : جَعَلَنِي مَذْكُورًا فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى ، وَجَعَلَ اسْمِي مَقْرُونًا مَعَ اسْمِهِ عَلَى

كُلِّ لِسَانٍ ، وَعَلَى النَّارِ فِي كُلِّ إِقَامَةٍ وَأَذَانٍ .

(٨) وَجَعَلَنِي فَاتِحًا وَخَاتِمًا : لِلنَّبُوَّةِ ؛ إِذْ خَلَقَ رُوحِي تَجَلُّبِ الْأَرْوَاحِ ، وَبَنَاهَا قَبْلَ كُلِّ نَبِيٍّ .

وَجَعَلَنِي خَاتِمَ النَّبِيِّينَ .



ثم ذكر أنه عرج به إلى السماء الدنيا ، ومن سماء إلى سماء ، نحو ما تقدم .  
 وفي حديث ابن مسعود<sup>(١)</sup> : وانتهى بي إلى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ، وهي في السماء  
 السادسة ، إليها ينتهى ما يعرج<sup>(٢)</sup> به من الأرض فيقبض<sup>(٣)</sup> منها ، وإليها ينتهى  
 ما يهبط من فوقها<sup>(٤)</sup> فيقبض منها ؛ قال<sup>(٥)</sup> : ﴿ إِذْ يَفْشَى السِّدْرَةَ مَا يَفْشَى ﴾ ،  
 قال : فراش من ذهب<sup>(٦)</sup> .

وفي رواية<sup>(٧)</sup> أبى هريرة ، من طريق الربيع بن أنس : فقيل لى : هذه السِّدْرَةُ<sup>(٨)</sup>  
 الْمُنتَهَى يَنْتَهَى إِلَيْهَا كُلُّ أَحَدٍ مِنْ أُمَّتِكَ خَلَا عَلَى سَبِيلِكَ<sup>(٩)</sup> ، وهي السِّدْرَةُ الْمُنتَهَى ،  
 يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن<sup>(١٠)</sup> ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار  
 من خمر لذة للشاربين<sup>(١١)</sup> ، وأنهار من عسل مصفى ، وهي شجرة يسير الراكب  
 في ظلها سبعين عاما ، وإن ورقة منها مظلة الخلق<sup>(١٢)</sup> ، ففشيها نور ، وغشيها  
 الملائكة .

(١) الذى رواه ابن عرفة فى جزأيه ، وأبو نعيم فى الدلائل . وهو فى صحيح مسلم : ١٥٧

(٢) ما يعرج به : ما تصعد به الملائكة من أمور الأرض .

(٣) فيقبض منها : تقبضه الكتبة وتكتبه .

(٤) من فوقها : من العرش بواسطة الملائكة المقربين .

(٥) سورة النجم ، آية ١٦

(٦) الفراش : دويبه ذات جناحين تنهافت فى ضوء السراج ، واحدته فراشة .

(٧) فى ب : وفى حديث أبى هريرة . . . (٨) هذا فى ا ، ب .

(٩) خلا : مضى . على سبيلك : على طريقتك وسنتك ؛ أى من مات من أمتك مؤمنا بك

عرج بروحه مع الملائكة إليها . وفى ا : خلى - بضم الحاء وتشديد اللام المكسورة .

(١٠) غير آسن : لا يتغير طعمه ولونه ورأحتة أصلا ، وإن طال مكثه وعدم جريانه .

(١١) لذة للشاربين : أى ليس نكح الدنيا المستكره شربها .

(١٢) مظلة الخلق : كناية عن سعة ظلها .

قال : فهو قوله <sup>(١)</sup> : ﴿ إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴾ .  
 فقال الله تبارك وتعالى له : سأل . فقال : إنك اتخذت إبراهيم خليلا وأعطيتَه  
 ملكا عظيما . وكلمت موسى تكليما ، وأعطيت داود ملكا عظيما ، وأنت له  
 الحديد ، وسخرت له الجبال ، وأعطيت سليمان ملكا عظيما ، وسخرت له الجن  
 والإنس والشياطين والرياح <sup>(٢)</sup> ، وأعطيتَه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ، وعلمت  
 موسى التوراة والإنجيل <sup>(٣)</sup> ، وجعلته يُبْرِئُ الأَكْمَةَ والأَبْرَصَ <sup>(٤)</sup> ، وأعدته وأمه  
 من الشيطان <sup>(٥)</sup> الرَّجِيمَ ، فلم يكن له عليهما سبيل .

فقال له ربُّه تعالى : قد اتخذتك خليلا <sup>(٦)</sup> . فهو مكتوبٌ في التوراة <sup>(٧)</sup> : محمد  
 حبيب الرحمن ، وأرسلتك إلى الناس كافةً ، وجعلتُ أمتك هم الأولون ، وهم  
 الآخرون ، وجعلتُ أمتك لا تجوزُ لم خُطبة <sup>(٨)</sup> حتى يشهدوا <sup>(٩)</sup> أنك عبدي ورسولي ،  
 وجعلتُك أوَّلَ النبيين خَلْقًا . وآخرهم بَعَثًا ، وأعطيتُك سبعا من المثاني <sup>(١٠)</sup> ،  
 ولم أُعْطِها نبيا قبلك ، وأعطيتُك خواتيم سورة البقرة من كنزٍ تحت عرشى لم أُعْطِها  
 نبيا قبلك [٦٠] ، وجعلتُك فاتحا وخاتما .

(١) سورة النجم ، آية ١٦ (٢) فكانت تجرى بأمره كما يشاء .

(٣) قال القارى : علمت موسى التوراه تبعية والإنجيل أصلية .

(٤) الأكمة : الذى ولد أعمى . ويروى : وعلمت موسى التوراة وعيسى الإنجيل .

(٥) وأعدته : حفظته وأجرته .

(٦) هذا فى ١ ، وعليها علامة الصحة . وفي هامشه : حبيبا ، وبجانبا « صح » وكلمة

« معا » . وفي ب بالعكس . (٧) هذا من كلام الراوى كالشاهد لصحة الزيادة المذكورة .

(٨) خطبة : هى كلام يقال على رموس الأشهاد للإعلام بأمر مهم .

(٩) حتى يشهدوا . . . : أى لا يعتد بخطبهم إلا إذا أتوا فيها بكلمة الشهادة .

(١٠) سبعا من المثاني : أى الفاتحة ، لأنها سبع آيات ، أو هي ثنى وتكرر فى كل ركعة .

أو السبع الطوال : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والتوبة  
 وحدها أو مع الأنفال بناء على أنهما سورة واحدة لعدم البسمة بينها ؛ لتكرير المواظو والمبرفيا .

وفي الرواية الأخرى<sup>(١)</sup> قال : فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا :  
أُعْطِيَ الصَّلَاةَ الْخَمْسَ ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ  
شَيْئًا مِنْ أُمَّتِهِ الْمُقْتَحِمَاتِ<sup>(٢)</sup> .

وقال<sup>(٣)</sup> : ﴿ مَا كَذَبَ<sup>(٤)</sup> اللَّهُ إِذْ مَا رَأَى . أَفْتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى . ﴾ : رأى  
جبريل في صورته له ستمائة جناح .

وفي حديث شريك أنه رأى موسى في السابعة - قال : بتفضيل كلام الله<sup>(٥)</sup> .  
قال<sup>(٦)</sup> : ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله ؛ فقال موسى : لم أظن أن يرتفع  
على أحد .

وقد روى عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالأنبياء بيت المقدس .  
[ وعن أنس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينما أنا  
قاعد ذات يوم إذ دخل جبريل ، فوكز<sup>(٧)</sup> بين كتفَيَّ ، فقامتُ إلى شجرة فيها  
مثل وَكْرِي الطائر<sup>(٨)</sup> ، فقامتُ في واحدةٍ وقعدتُ في الأخرى<sup>(٩)</sup> ، فممت حتى سددت

(١) التي رواها مسلم : ١٥٧

(٢) المقحمتات : المراد الكبائر التي تلتقي صاحبها في النار . وبين السطور فوقها في ب : المهلكات .

(٣) وقال : أي ابن مسعود في الحديث الذي رواه .

(٤) سورة النجم ، آية ١١ ، ١٢

(٥) بتفضيل كلام الله ؛ أي علو مرتبته عليه الصلاة والسلام ، وصموده للسابعة إنما هو

لفضله على غيره بكونه كلام الله . (٦) قال : شريك في الحديث .

(٧) وكز بين كتفي : وكز : ضرب ضربا خفيفا كما يفعل من يوقظ غيره . وقيل :

الوكز : الضرب بجمع الكف .

(٨) الوكر للطير كالبيت للإنسان : العش .

(٩) قال في نسيم الرياض : قيل أنه لأنه كالعش يذكر ويؤنث ، والغالب على السنة أهل

مكة تأنثه . أو لتأويله بالزاوية والطاقة ونحوها .

الخافقين<sup>(١)</sup>. ولو شئتُ أمسستُ<sup>(٢)</sup> السماء، وأنا أقلبُ طرفي<sup>(٣)</sup>، ونظرتُ جبريلَ كأنه  
حائسٌ لا طي<sup>(٤)</sup>، فعرفتُ فضلَ علمه بالله على<sup>(٥)</sup>، وفتُح لي بابُ السماء، ورأيتُ  
النورَ<sup>(٦)</sup> الأعظم، ولطَّ دوني<sup>(٧)</sup> الحجاب، وفرجُه الدرُّ والياقوت<sup>(٨)</sup>.  
ثم أوحى اللهُ إليَّ ما شاء أن يُوحى<sup>(٩)</sup>.

وذكر البرزاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه<sup>(١٠)</sup>: لما أراد اللهُ تعالى أن  
يعلمَ رسوله الأذان جاء جبريلُ بدابةٍ يقال لها البراق، فذهب يركبها، فاستصعبت  
عليه، فقال لها جبريل: استكيني، فوالله ما ركبتُ عبدٌ أكرم على الله من محمد  
صلى الله عليه وسلم؛ فركبها حتى أتى إلى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى، فبينما هو  
كذلك إذ خرج ملكٌ من الحجاب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا جبريل،  
من هذا؟

(١) فتمت: فزادت الشجرة وارتفعت. والخافقان: المشرق والمغرب.

(٢) لملوها وقربى منها. (٣) تقلاب طرفه: نظره في جوانبها.

(٤) جلس لا طي: المجلس: كساء رقيق يوضع تحت القتب والبردعة ويبسط في البيت.

لاطي: لاصق بالأرض. والمراد أنه لما قرب من السماء غشيتها مهابة حتى خضع والتصق  
بالأرض من الغشي الذي هو فيه، والنبي صلى الله عليه وسلم لم تمسه روعة كما غشى جبريل  
عليه السلام. وفي ١: لا طئا.

(٥) الملائكة المقربون قد يعرفون من أحوال المالكوت ما لا يعرفه غيرهم.

(٦) النور الأعظم: قيل هو نور العرش، أو الله تعالى.

(٧) لط دوني الحجاب: أرخى (هامش ب) يعني أنه صلى الله عليه وسلم بعد ما شاهد

النور أرخى بينه وبينه حجاب ستره عنه. وفي ١: وإذا دوني . . .

(٨) وفرجه: جمع فرجة؛ وهي ما بين الشيتين من خلاء، أو بين أجزاء شيء مفتوحة؛

أي فرج الحجاب. وطاقتاه التي يخرج منها نوره.

(٩) ما بين القوسين في هامش ب تحت كلمة: حاشية. وهو في الأصل.

(١٠) هذا الحديث رواه بسند متصل لعلي رضي الله عنه، قال القاري (١ - ٣٩٩):

وفي سنده زياد بن المنذر، وهو كذاب.

قال : والذي بعثك بالحق ، إني لأتقرب الخلق مكاناً ، وإن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه . فقال الملك : الله أكبر . الله أكبر . فقيل له من وراء الحجاب : صدق عبدى ، أنا أكبر . أنا أكبر .

ثم قال الملك : أشهد أن لا إله إلا الله . فقيل له من وراء الحجاب : صدق عبدى ، أنا الله لا إله إلا أنا .

وذكر<sup>(۱)</sup> مثل هذا فى بقية الأذان ، إلا أنه لم يذكر جواباً عن قوله : حتى على الصلاة . حتى على الفلاح .

وقال<sup>(۱)</sup> : ثم أخذ الملك بيد محمد ، فقدمه ، فأمر أهل<sup>(۲)</sup> السماء ، فيهم آدم ونوح .

قال أبو جعفر محمد بن على بن الحسين ، راويه<sup>(۳)</sup> : أ كمل الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على أهل السموات والأرض<sup>(۴)</sup> .

قال القاضى - رضى الله عنه : ما فى هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو فى حق المخلوق لا فى حق الخالق ، فهم المحجوبون ، والبارى جل اسمه منزّه عما يحجب به ، إذ الحجب إنما تحيط بمقدّر محسوس<sup>(۵)</sup> ، ولكن حجبته على أبصار خلقه وبصائرهم

(۱) وذكر : أى الراوى . (۲) فأمر : صار إماماً يؤم .

(۳) روايه : أى راوى هذا الحديث الذى رواه عن أبيه ، عن جده .

(۴) قال فى نسيم الرياض ( ۲ - ۲۸۳ ) : بقى هنا أن ما ذكر يدل على أن الأذان شرع ليلة الإسراء قبل الهجرة مع أنهم جزموا بأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى بغير أذان منذ فرضت الصلاة إلى أن هاجر إلى المدينة ، ثم رأى بعض الصحابة من دله على الأذان ، فأمر الرسول بلالا أن يؤذن . وذلك يدل على أن الأذان كان بدؤه فى المدينة ، وهما متعارضان . قال : إلا أن الثانى صحيح ، والاول ضعيف .

(۵) بمقدّر محسوس : أى بذى مقدار له طول وعرض فى جهة تحس بتوجه الناظر ؛ فيقتضى الجهة ، وهو - تعالى - منزّه عن ذلك .

وإدراكاتهم بما شاء<sup>(۱)</sup> وكيف شاء ، ومتى شاء ، كقوله تعالى<sup>(۲)</sup> : ﴿ كَذَلِكُمْ أَنْبَأْنَاهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّا جَحَّجُوا بِوَنَ ﴾ .

فقوله في هذا الحديث : « الحجاب » ، « وإذ خرج ملائكة من الحجاب » - يجب أن يقال<sup>(۳)</sup> : إنه حجابٌ جَبَّ به<sup>(۴)</sup> مَنْ وَرَّاهُ من ملائكته عن الإطلاع على ما دونه<sup>(۵)</sup> من سُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَعَجَائِبِ مَلَكُوتِهِ وَجَبْرُوتِهِ<sup>(۶)</sup> .

ويدل<sup>(۷)</sup> عليه من الحديث قولُ جبريل - عن الملك الذي خرج من ورائه : إن هذا الملك ما رأيتُهُ منذ خُلِقْتُ قبل ساعتي هذه .

فدلَّ على أن هذا الحجابَ لم يختصَّ بالذات<sup>(۸)</sup> .

ويدلُّ عليه قولُ كعب في تفسير : « سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى » - قال : إليها ينتهي عِلْمُ الملائكة ، وعندها يجدون أمرَ الله ، لا يجاوزها علمُهُمْ .

وأما قوله : الذي بيلي الرحمن فيُحْمَلُ على حَذْفِ الضَّافِ ، أي بيلي عَرْشِ الرحمن ، أو أمراً ما من عظيم آياته ، أو مبادئ حقائق معارفه<sup>(۹)</sup> ، مما هو أعلمُ به ، كما قال تعالى<sup>(۱۰)</sup> : ﴿ وَاسْأَلِ الْقُرْآنَ ﴾ ؛ أي أهلها .

(۱) الحجب : جمع حجاب ، أي منهم عن رؤيته وإدراك ذاته ، ومعرفة حقيقته ، ليس بحجاب كحجاب البشر ؛ بل بسبب إرادة وكيفية لا يدركها ، في أي زمان أَرَادَهُ .

(۲) سورة المطففين ، آية ۱۵ (۳) أن يقال في تفسيره . (۴) حجب به الله .

(۵) على مادونه : أي ما خلفه وما وراءه من جانب الغيب وباطنه ، فهو الباطن الظاهر .

(۶) المراد بملكوته عالم غيب الغيب ؛ أي ما غيب عن الملائكة . ويجبروته : عظمته

الملسكوت وغرائبه مما احتجب عن غيره .

(۷) ويدل عليه : يدل على أن الحجاب لغيره لا لذاته .

(۸) بالذات : أي بذات الله .

(۹) أي أمراً يكون مبدأ لما يتحقق به معرفة الله .

(۱۰) سورة يوسف ، آية ۸۲

وقوله : فقيل من وراء الحجاب : صدق [ ٦١ ] [ عُبْدِي ] <sup>(١)</sup> ، أنا أكبر -  
 فظاهره أنه سمع في هذا الموطن كلام الله ، ولكن من وراء حجاب ، كما قال <sup>(٢)</sup> :  
 ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾ ؛ أي وهو <sup>(٣)</sup> لا يراه ،  
 حجب بصره عن رؤيته .

فإن صحَّ القول <sup>(٤)</sup> بأنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه - عز وجل - فيحتمل  
 أنه في غير هذا الموطن بعد هذا أو قبله ، رُفِعَ الحجابُ عن بصره حتى رآه .  
 والله أعلم .

### فصل <sup>٣</sup>

ثم اختلف الساف <sup>(٥)</sup> والعلماء : هل كان إسراء بروحه أو جسده ؟ على ثلاث  
 مقالات <sup>(٦)</sup> :

فذهبت طائفة إلى أنه إسراء بالروح ، وأنه رؤيا منام ، مع اتفاقهم أن رؤيا  
 الأنبياء حق ووحي ، وإلى هذا ذهب معاوية <sup>(٧)</sup> .

وحكى عن الحسن <sup>(٨)</sup> ، والمشهور عنه خلافه <sup>(٩)</sup> ، وإليه أشار محمد بن إسحاق ،  
 وحجتهم قوله تعالى <sup>(١٠)</sup> : ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ .

(١) ليس في ١ . (٢) سورة الشورى ، آية ٥١ (٣) وهو ؛ أي البشر .  
 (٤) ارجع إلى صحيح مسلم في ذلك : ١٥٨ ، وما بعدها . وشرح القارى : ١ - ٤٠٢ .  
 (٥) المراد بالسلف الصحابة ومن عاصروهم ، وبالعلماء من بعدهم . وهذا الفصل تحقيق  
 في الإسراء . (٦) أي الاختلاف واقع على ثلاثة أقوال للسلف والخلف .  
 (٧) معاوية بن أبي سفيان ، كما رواه عنه ابن جرير ، وابن إسحاق . وهو صحابي ابن صحابي .  
 (٨) الحسن البصرى .  
 (٩) له قولان : أشهرهما أنه كان يقظة . وحديث الإسراء في الطبقات الكبرى : ١ - ١٤٢ .  
 كما تقدم .

(١٠) سورة الإسراء ، آية ٦٠

وما حَكَّوْا<sup>(١)</sup> عن عائشة رضی اللہ عنہا : ما فقدت<sup>(١)</sup> جسد رسولِ اللہ صلی اللہ علیہ وسلم .

وقوله : بينا أنا نائم .

وقول أنس : وهو نائم في المسجد الحرام ... وذكر القصة ، ثم قال في آخرها<sup>(٢)</sup> : فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام .

وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة ، وهذا هو الحق ، وهو قول ابن عباس ، وجابر ، وأنس ، وحذيفة ، وعمر ، وأبي هريرة ، ومالك بن صعصعة ، وأبي حبة البدرى ، وابن مسعود ، والضحاك ، وسعيد بن جبيرة ، وقتادة ، وابن المسيب ، وابن شهاب ، وابن زيد ، والحسن ، وإبراهيم ، ومسروق ، ومجاهد ، وعكرمة ، وابن جريج ، وهو دليل قول عائشة<sup>(٣)</sup> ، وهو قول الطبري ، وابن حنبل ، وجماعة عظيمة من المسلمين . وقول<sup>(٤)</sup> أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين .

(١) وما حكوا : أى وما احتجوا به أنها رؤيا منام . وستأتى الإشارة إلى هذا بعد . قال في نسيم الرياض (٢ - ٢٨٨) : وفي نسخة : ما فقد - بالبناء للمفعول . وفي رواية : لم يفقد - مجهول أيضا . قال التلمساني : وهي الأشبه بالصواب ؛ فهو إخبار منها عن غيرها ، لأنها لم تكن حينئذ زوجته ؛ بل لم توجد .

(٢) في حديث الإسراء الذى رواه البخارى : ٤ - ١٣٣ ، وهو يدل على أنه كان مناما . (٣) قال في نسيم الرياض (٢ - ٢٨٩) : قيل : كيف يكون الإسراء يقظة دليل قول عائشة : ما فقدت جسده الشريف الدال على أنه كان مناما لا يقظة ؟ فهذا سهو منه بلا ريب . وقد يقال : إنه سقط منه شيء ؛ وأصله دليل على عدم صحة قول عائشة ، لأنه لم يثبت نقله عنها .

وقد يقال : مراده أنه دليل على قول عائشة قولا موافقا لما عليه أكثر الصحابة ، وأنها قائلة بأنه يقظة كالجمهور ، كما سيأتى ؛ فالمراد بإبطال ما نقلوه عنها . وهذا الرد الأخير أسهل من تغليب المصنف ؛ وهو الأنسب بقوله بعد : وهو قول الطبري . (٤) في ١ : وهذا .



وقالت طائفة<sup>(١)</sup> : كان الإسراء بالجسد يَقَظَةً إلى بيت<sup>(٢)</sup> المقدس ، وإلى السماء بالروح ، واحتجوا بقوله تعالى<sup>(٣)</sup> : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ ، فجعل « إلى المسجد الأقصى » غاية<sup>(٤)</sup> الإسراء الذي وقع التمجُّبُ فيه بعظيم القُدرة ، والتمدُّح بتشريف النبي محمد صلى الله عليه وسلم به<sup>(٥)</sup> ، وإظهار الكرامة له بالإسراء إليه .

قال هؤلاء<sup>(٦)</sup> : ولو كان الإسراء بجسده إلى زائدٍ على المسجد الأقصى لذكَّره ؛ فيكون أبلغ في المدح .

ثم اختلفت هذه الفرقتان<sup>(٧)</sup> : هل صلى ببيت المقدس أم لا ؟  
ففي حديث أنس وغيره ما تقدم من صلواته فيه . وأذكر ذلك حذيفة بن اليمان ، وقال : والله ما زال<sup>(٨)</sup> عن ظهر البراق حتى رجعا .

- 
- (١) هذا هو القول الثالث . (٢) في ب : إلى المسجد الأقصى . وعليها علامة الصحة .  
(٣) سورة الإسراء ، آية ١  
(٤) أي إنه لما جعل المسجد الأقصى غاية اقتضى أنه لم يجاوزه إلى السماء بيدنه الشريف .  
قال في نسيم الرياض ( ٢ - ٢٩٠ ) : ولا حجة فيه ، لأن كونه غاية مسيره في الأرض لا ينافي صعوده لما يجازيه في جهة الملو .  
وقيل : إن الحكمة في تخصيص المسجد الأقصى أن تسأل قريش على سبيل الامتحان - عن الأعلام التي عرفوها ، والصفات التي شاهدوها في بيت المقدس ؛ وقد علموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يسافر إليها قط ، فيجيبهم بما عاين ، ويوافق ما يعلمون ؛ فتقوم الحجة عليهم ؛ وكذلك وقع . ولذا لم يسألوه صلى الله عليه وسلم عما رأى في السماء ؛ إذ لا علم لهم بذلك .  
(٥) به : بالإسراء .  
(٦) قال هؤلاء : أي قال هؤلاء الناهبون إلى أن الإسراء بجسده إلى المسجد الأقصى ، وهم أصحاب المذهب الثالث .

(٧) الفرقتان الثانية والثالثة . وفي هامش ب أمام هذه : خ : هاتان .

(٨) ما زال : لم ينفصلا وينزلا . والضمير لجبريل وللنبي .

قال القاضي <sup>(١)</sup> : والحق من هذا والصحيح إن شاء الله - أنه إسراء بالجسد والروح في القصة ككلمها ، وعليه تدل الآية ، وصحيح الأخبار ، والاعتبار <sup>(٢)</sup> ، ولا يُعدّل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة ، وإيس في الإسراء بجسده وحال بتمظته استحالة ؛ إذ لو كان مناماً لقال <sup>(٣)</sup> : بِرُوحِ عَبْدِهِ ، ولم يَقُلْ : « بِعَبْدِهِ » . وقوله تعالى <sup>(٤)</sup> : لِمَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَفَى ، ولو كان مناماً لما كانت فيه آية ولا معجزة ، ولما استبعده الكفار ، ولا كذبوه فيه ، ولا ارتدّ به ضعفاء من أسلم ، وافتتنوا به <sup>(٥)</sup> ؛ إذ مش هذا من المنامات لا يُنكر ؛ بل لم يكن منهم <sup>(٦)</sup> ذلك [ ٦٢ ] إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه وحال بتمظته ، إلى ما ذكر في الحديث من ذكر صلواته بالأنبياء بيت المقدس في رواية أنس - أو في السماء على ما روى غيره ، وذكر مجي جبريل له بالبراق ، وخبر المعراج ، واستفتاح <sup>(٧)</sup> السماء ؛ خيقل : من معك ؟ فيقول : محمد ، ولقائه الأنبياء فيها <sup>(٨)</sup> ، وخبرهم معه ، وترحيبهم به ، وشأنه في فرض الصلاة ومراجعتهم مع موسى في ذلك .

(١) هو المؤلف .

(٢) والاعتبار : المراد به التبع لأقوال السلف أو دقيق الفكر والتأمل في الأحاديث المروية والقصة . بمعنى أنه يدل على ذلك العقل والنقل . وفسر القارى الاعتبار بالمقايمة ، وقال (١ - ٤٠٥) : يعنى إذا ثبت إسراؤه من الحرم إلى الحرم معجزة بدلالة الآية فيجوز إسراؤه إلى السماء بالمقايمة المقرونة بالأحاديث الثابتة ؛ إذ لا فرق .

(٣) أى فى قوله تعالى : سبحانه الذى أسرى بعبده - سورة الإسراء ، آية ١

(٤) سورة النجم ، آية ١٧ ؛ إذ ليس للروح بصر . ومعنى الآية : ما مال بصره يمينا ولا

شمالا فى مقام أدبه مع ربه ، وما جاوز ما أمره . ( القارى : ١ - ٤٠٦ ) .

(٥) افتتنوا به : وقعوا فى فتنة وبلية عظيمة توقعهم فى العذاب ، لردتهم ، وتكذيبهم له ،

وإنكارهم لما أخبر به النبي بما هو خارق للمادة ؛ وهو قد أخبر به لأنه معجزة تحدهم بها .

(٦) فى ١ : ذلك منهم . (٧) واستفتاح السماء : أى طلب فتحها له .

(٨) فيها : أى فى السماء .

وفي بعض هذه الأخبار<sup>(۱)</sup> : فأخذ - يعني جبريل - بيدي فعرج بي إلى السماء... إلى قوله : ثم عرج بي حتى ظهرت<sup>(۲)</sup> مُسْتَوِيَّ أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ ، وَأَنَّهُ وَصَلَ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، وَأَنَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَرَأَى فِيهَا مَا ذَكَرَهُ .

قال ابن عباس : هي رؤيا عينٍ رآها النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام .  
وعن الحسن<sup>(۳)</sup> فيه : بينا أنا نائم في الحجر<sup>(۴)</sup> جاءني جبريل فهمزني بعقبه<sup>(۵)</sup> ، فتمت فجلست فلم أر شيئا ، فعُدت لمضجعي<sup>(۶)</sup> - ذكر ذلك<sup>(۷)</sup> ثلاثا ، فقال في الثالثة : فأخذ بعضدي<sup>(۸)</sup> فجزني إلى باب المسجد فإذا بدابة... وذكر خبر البراق<sup>(۹)</sup> .

وعن أم هاني : ما أُسْرِي برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي ، تلك الليلة صلى العشاء الآخرة<sup>(۱۰)</sup> ، ونام بيننا ، فلما كان قبيل الفجر أهبنا<sup>(۱۱)</sup> رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما صلى الصبح وضمينا قال : يا أم هاني ، لقد صليت معكم

(۱) في الحديث الذي رواه الشيخان عن أنس ، وقد تقدم .

(۲) ظهرت : علوت وصعدت .

(۳) رواه ابن إسحاق وابن جرير مرسلا عن الحسن البصري .

(۴) الحجر : بجانب البيت الشريف كنصف دائرة عليه جدار قصير . وفي ب : جالس ، وفي هامشه : نائم . والعكس في أ .

(۵) همزني : منى بشدة لينهني - والعقب : مؤخر الرجل .

(۶) لمضجعي : أي رجعت لما كنت عاياه من هيئة النائم .

(۷) في ب : فذكر ، والمثبت في أ . (۸) المضد : ما فوق المرفق .

(۹) وهذا رواه ابن إسحاق ، وابن جرير ، والطبراني . وعلق القاري ( ۱ - ۴۰۷ ) على

هذا بقوله : قال الهلبي : الله أعلم بصحة هذا الحديث لنزاهة جبريل عن أن يفعل ذلك .

(۱۰) العشاء الأولى : المغرب . (۱۱) أهبنا : أيقظنا ( هامش ب ) .

العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي<sup>(۱)</sup>، ثم جئتُ بيتَ المقدسِ فصلَّيتُ فيه، ثم صلَّيتُ  
الغدَاةَ معكم الآن كما ترون .  
وهذا بيِّنٌ في أنه بجسْمه .

وعن أبي بكر من رواية شدَّاد بن أوس عنه - أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم  
ليلةَ أسرى به : طلبتُك يا رسولَ الله البارحةَ في مكانك فلم أجِدْكَ<sup>(۲)</sup> . فأجابَه : إن  
جبريلَ عليه السلام حملني<sup>(۳)</sup> إلى المسجد الأقصى .

وعن عُمر رضى الله عنه<sup>(۴)</sup> ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : صلَّيتُ

---

(۱) بهذا الوادي : بمكة ، وهي واد لإحاطة الجبل بها وانخفاضها .

قال في نسيم الرياض ( ۲ - ۲۹۵ ) : قالوا : وهذا مشكل من وجوه ؛ لأنها إنما أسلت  
عام الفتح ، فكيف تكون قد صلت معه العشاء . وأيضاً إن الصلاة إنما فرضت في الإسراء ؛  
ولهذا أشار المصنف لتضمين هذا في الفصل الذي يليه . وأيضاً المغرب لا تسمى عشاء لغة وشرعاً .  
ثم قال : أقول الذي يظهر لي في التوفيق بين الآراء والجواب عما ذكر - أن النبي صلى الله  
وسلم كان ببيت أم هانيء ، ثم خرج إلى الحرم للصلاة ، فغشيته نوم ، ثم استيقظ وعرج به .  
وأما قول أم هانيء : «وصاينا» فيدفع إشكاله المذكور أنها بنت أبي طالب ، وأبو طالب  
وآله كانوا محبين له صلى الله عليه وسلم معتقدين صدقه ولم يظهروا ذلك ؛ ولذا أسلم على في  
صباه ، فلما خرج النبي من بيتها تلك الليلة وصلى بالحرم ومعه على فلاشك أنه كان يصلى قبل  
الإسراء بالغدَاة والعشي صلاة غير الخمس المفروضة ؛ فقولها : «صاينا» كقولهم : بنو فلان  
قتلوا قتيلاً ، والقائل واحد منهم ؛ لأن الفعل الرضى لجماعة إذا وقع من أحدهم ينسب للجميع ؛  
أى صلى معه بعض آلنا ، وهو على .

أو يقال : إنها كانت مسلمة سرا ، كما نقل عن العباس .

فاندفاع الإيراد الذي ظنوه غير مندفع ظاهر .

(۲) البارحة : الليلة الماضية قبل ليلتك . ومعنى طلبتُك : إني تفقدت جسدك في مضجعتك .

(۳) في ۱ : حملة . (۴) كما رواه ابن مردويه من طرق .

ليلة أُسرى نبي في مقدم المسجد (١) ، ثم دخلت الصخرة (٢) فإذا ملك (٣) قائم معه آنية ثلاث (٤) ... وذكر الحديث .

وهذه التصريحات ظاهرة (٥) غير مستحيلة ، فتحمّل على ظاهرها (٦) .

وعن أبي ذر (٧) ، عنه صلى الله عليه وسلم : فرج سقف بيتي وأنا بمكة ، فنزل جبريل ، فشرح صدري ، ثم غسله بماء زمزم ... إلى آخر القصة (٨) ، ثم أخذ بيدي ، فعرّج بي .

وعن أنس : أتيت فانطلق (٩) بي إلى زمزم ، فشرح عن صدري .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : لقد رأيتني في الحجر ، وقريش تسألني عن مسراي (١٠) ، فسألني عن أشياء لم أثبتها ، فكربت بكراباً ما كربت مثله قط (١١) ، فرفعه الله لي أنظر إليه .

ونحوه عن جابر .

(١) المسجد : المسجد الأقصى .

(٢) ثم دخلت الصخرة : أي دخلت للمسجد الذي تحت الصخرة .

(٣) في ١ : فإذا ملك .

(٤) يعني إناء من خمر ، وإناء من لبن ، وإناء من ماء ، وأنه خير فيه فاختر اللبن ، وقيل له : اخترت الفطرة ، ولو اخترت الخمر غوت أمتك - وقد تقدم .

(٥) ظاهرة : في أنه كان يقظة .

(٦) أي ولا يعدل إلى التأويل مع عدم الحاجة إليه .

(٧) يؤيد ظهور الرأي بأن الإسراء كان يقظة .

(٨) فرج : كشف من السقف اجانب حتى انفتحت منه فرجة ، ولم يبق حائل بينه وبين السماء . وقد تقدمت .

(٩) في ١ : أتاني آت فانطلقوا بي .

(١٠) عن مسراي : أي يسأله كفار قريش عن علاماته بعد ما كذبوه .

(١١) الكرب : الغم والحزن الشديد ، مع القلق والاضطراب .

(١٢) الكرب : الغم والحزن الشديد ، مع القلق والاضطراب .

(١٣) الكرب : الغم والحزن الشديد ، مع القلق والاضطراب .

وقد رَوَى عُمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حديث الإسراءِ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى خَدِيجَةَ وَمَا تَحَوَّلَتْ عَنْ جَانِبِهَا <sup>(١)</sup> .

## فصل

في إبطال حُجَجٍ من قال إنها نوم

احتجُّوا بقوله تعالى <sup>(٢)</sup> : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَبْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ ،

فسيما رؤيا ؟

قلنا : قوله سبحانه وتعالى <sup>(٣)</sup> : ﴿ الَّذِي أُسْرِيَ بَعْدَهُ ﴾ - يردُّه ؛ لأنه لا يُقَالُ في النوم : أُسْرِيَ <sup>(٤)</sup> .

وقوله : ﴿ فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ . يؤيدُ أنها رؤيا عَيْنٍ ، وإسراءُ بِشَخْصٍ <sup>(٥)</sup> ؛ إذ ليس في الحِلْمِ فِتْنَةٌ . ولا يكذبُ به أحدٌ ؛ لأنَّ كلَّ أحدٍ يرى مثلَ ذلك في منامه من الكونِ في ساعةٍ واحدةٍ في أقطارٍ متباينةٍ [ ٦٣ ] .

على أنَّ المفسِّرين قد اختلفوا في هذه الآية ؛ فذهب بعضهم إلى أنها نزلت في قَضِيَّةِ الحَدِيدِيَّةِ ، وما وقع في نفوسِ الناسِ من ذلك <sup>(٦)</sup> . وقيل غيرُ هذا .

(١) وما تحولت عن جانبها : الذي كانت عليه حين فارقتها النبي . وهذا يقتضئ أنه كان في بيت خديجة . وقد تقدم أنه كان في بيت أم هانيء . وفي رواية إنه كان في الحجر ، وفي أخرى : في الحطيم .

قال القاري ( ١ - ٤٠٩ ) : وفيه إشعار بتقليل زمن الإسراء . ثم قل : ولعله أول ما رجع دخل على خديجة ، ثم ذهب إلى أم هانيء في بيتها .

(٢) سورة الإسراء ، آية ٦٠ (٣) سورة الإسراء ، آية ١

(٤) إذ الإسراء هو السير ليلا ، وهذا إنما يكون يقظة . (٥) في ١ : وإسراء شخص .

(٦) من ذلك : من صالح الحديدية حتى راجعه في ذلك عمر مرارا . وقضية الحديدية أنه

صلى الله عليه وسلم رأى في المنام أنه دخل المسجد الحرام ؛ فصدده المشركون في ذلك . ولكن النبي لم يقل : في هذا العام ، ودخل من قابل المسجد الحرام .

وأما قولهم : إنه قد سَمَّاهَا في الحديث مَنَامًا .

وقوله في حديث آخر : بين النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ .

وقوله أيضا : وهو نائم . وقوله : ثم استيقظتُ - فلا حجةَ فيه<sup>(١)</sup> ؛ إذ قد يحتملُ  
أنَّ أول وصولِ الملكِ إليه كان وهو نائم<sup>(٢)</sup> ، أو أولَ حمله والإسراءِ به وهو نائم ،  
وليس في الحديث أنه كان نائما في القصة كلها إلا ما يدلُّ عليه : ثم استيقظتُ وأنا  
في المسجد الحرام ؛ ففعل قوله : استيقظتُ بمعنى أصبحت<sup>(٣)</sup> ، أو استيقظ من نومٍ  
آخر بعد وصوله بيته .

ويدل عليه أن مَسْرَاهُ لم يكن طولَ ليله ، وإنما كان في بعضه .

وقد يكون قوله : استيقظتُ وأنا في المسجد الحرام لِمَا كان غَمْرَهُ<sup>(٤)</sup> من عجائب  
ما طالع<sup>(٥)</sup> من ملكوتِ السموات والأرض ، وخابَرَ باطنه<sup>(٦)</sup> من مُشاهدةِ الملأ  
الأعلى ، وما رأى من آياتِ رَبِّهِ الكبرى ، فلم يستفِقْ<sup>(٧)</sup> ويرجع إلى حالِ البشرية  
إلا وهو بالمسجد الحرام .

ووجه ثالث أن يكونَ نومه واستيقاظه حقيقةً على مقتضى لفظه ، ولكنه أُسْرِي  
بجسده وقلبه حاضر ، ورؤيا الأنبياء حق ، تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم .

(١) فلا حجة فيه بأنها رؤيا منام . (٢) بدليل قوله في الحديث : فهمزني بعقبه . . .

(٣) أصبحت : دخلت في وقت الصباح .

(٤) كان غمره : أى لاجل القدى عرض له مما يدهشه ويستغرق لبه وفكره .

(٥) ما طالع : ما شاهد .

(٦) خابَرَ باطنه : بازرجه وخالطه ، والمراد بباطنه : قلبه وحواسه الباطنة .

(٧) فلم يستفِق : لم يتنبه ويستيقظ من نومه .

وقد مال بعض أصحاب الإشارات<sup>(١)</sup> إلى نحو من هذا . قال : تغميض عينيه  
لئلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله تعالى .  
ولا يصح هذا أن يكون<sup>(٢)</sup> في وقت صلاته بالأنبياء<sup>(٣)</sup> ، وأعله كانت له في هذا  
الإسراء حالات<sup>(٤)</sup> .

ووجه رابع ، وهو أن يعبر بالنوم ها هنا عن هيئة النائم من الاضطجاع ؛  
ويقوي به قوله في رواية عبد بن حميد ، عن همام : بينما أنا نائم - وربما قال :  
مضطجع .

وفي رواية هُدبة ، عنه : بينما أنا نائم في الحطيم<sup>(٥)</sup> - وربما قال : في الحجر -  
مضطجع . وقوله في الرواية الأخرى : بين النائم واليقظان .  
فيكون سمي هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا .

وذهب بعضهم إلى أن هذه الزيادات : من النوم ، وذكر شق البطن ، ودنو  
الرب عز وجل الواقعة في هذا الحديث<sup>(٦)</sup> إنما هي من رواية شريك عن أنس ، فهي  
مذكورة<sup>(٧)</sup> من روايته ؛ إذ شق البطن في الأحاديث الصحيحة إنما كان في صغره  
صلى الله عليه وسلم وقبل النبوة ؛ ولأنه قال في الحديث : « قبل أن يبعث » ، والإسراء

(١) أصحاب الإشارات : يعني بهم مشايخ الصوفية ؛ والمراد بالإشارة ما يأخذونه من  
الحقائق من النصوص القرآنية وغيرها ، وهم لا يقصدون بتفسيرهم أنه صريح النص .

(٢) من أن الإسراء بجسده صلى الله عليه وسلم وهو نائم ، ليوفق بين الروايتين . وقال  
القارى (١ - ١٢) : هذا ؛ أى تغميض العين . (٣) لأن النائم لا يصلى ، ولا تصح صلاته .

(٤) فكان في بعضها نائما غاضا لبصره تأدبا ، أو لئلا يرى سوى ربه ، وفي بعضها :  
مستيقظا ، ووقت صلاته بهم قائما ، وفي بعضها بين النائم واليقظان ، وبهذا يجمع بين الروايات .

(٥) الحطيم : بين الركن والباب . (٦) في هذا الحديث : أى حديث الإسراء .  
(٧) قال في نسيم الرياض (٢ - ٣٠٣) : وشريك طمن فيه ابن حبان وغيره ، وقالوا :



بإجماع<sup>(١)</sup> كان بعد المبعث ؛ فهذا كله يوهن<sup>(٢)</sup> ما وقع في رواية أنس<sup>(٣)</sup> ، مع أن أنسا قد بين من غير طريق أنه إنما رواه عن غيره ، وأنه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال - مرة : عن مالك بن صعصعة ، وفي كتاب مسلم<sup>(٤)</sup> : لعنه عن مالك ابن صعصعة - على الشك . وقال مرة<sup>(٥)</sup> : كان أبو ذرٍّ يحدث .

وأما قول عائشة : ما فقد جسده ؛ فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة ؛ لأنها لم تكن حينئذ زوجة<sup>(٦)</sup> ، ولا في سنٍّ من يضبط<sup>(٧)</sup> ، واعلمها لم تكن وُلدت بعد ، على الخلاف في الإسراء متى كان ؛ فإن الإسراء كان في أول الإسلام على قول الزُّهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف<sup>(٨)</sup> ، وكانت عائشة في الهجرة بنت نحو ثمانية أعوام<sup>(٩)</sup> .

وقد قيل : كان الإسراء لخمس قبل الهجرة . وقيل : قبل الهجرة بعام . والأشبه<sup>(١٠)</sup> أنه لخمس .

والحجة لذلك تطول ، [ ٦٤ ] وليست من غرضنا ؛ فإذا لم تشهد ذلك عائشة دل على أنها حدثت بذلك عن غيرها ، فلم يرجح خبرها على خبر غيرها ؛ ونحوها يقول خلافه مما وقع نصاً في حديث أم هانئ وغيره .

(١) في ١ : كان بإجماع . (٢) يوهن : يضعف . (٣) وهي التي رواها شريك .  
 (٤) صحيح مسلم : ١٥٠ (٥) صحيح مسلم : ١٤٨ (٦) في ١ : زوجة .  
 (٧) أي لم يكن سنّها وعمرها حينئذ سن ضبط وإتقان لعدم تمييزها لصغرها ؛ فالرواية عنها ليست مسلمة ؛ أو هي حدثت به عن غيرها .  
 (٨) قال القاري ( ١ - ٤١٤ ) : وهذا مخالف لما نقله النووي من أنه بعد المبعث بخمسة أعوام ، وسيأتي .

(٩) فعلى هذا لم تكن ولدت في زمن الإسراء .

(١٠) الأشبه : أي القول الأصح الأول والأحسن .

وأیضا فلیس حدیث عائشة رضی الله عنها بانثابت ، والأجادیثُ الأخرُ أُثبتت ،  
وَأَسْنَا<sup>(۱)</sup> تعنی حدیثَ أم هانی ، وما ذُکرت<sup>(۲)</sup> فیهِ خدیجة .

وأیضا فقد رُوی فی حدیثِ عائشة<sup>(۳)</sup> : « ما فقدتُ » ، ولم یدخلُ بها النبیُّ  
صلی الله علیه وسلم إلا بالمدينة .

وَكُلُّ هَذَا یُوهِنُهُ<sup>(۴)</sup> ؛ بل الذی یدلُّ علیه صحیحُ قوالها : إنه<sup>(۵)</sup> یجسده ،  
لإنكارها أن تكون رؤیاه لرَبِّه رؤیا عین ، ولو كانت عندها مناجاة لم تُنكره .

فإن قيل : فقد قال تعالی<sup>(۶)</sup> : ﴿ ما كذبَ الفُؤادُ ما رَأى ﴾ - فقد جعل ما رآه  
للقلب ، وهنا یدلُّ علی أنه رؤیا نَوْمٍ ووَخی ، لا مشاهدة عینٍ وحس .

قلنا : یقابله قوله تعالی<sup>(۷)</sup> : ﴿ ما زاعَ البصرُ وما طغى ﴾ - فقد أضاف الأمرَ للبصرِ .

وقد قال أهلُ التفسیر فی قوله تعالی<sup>(۶)</sup> : ﴿ ما كذبَ الفُؤادُ ما رَأى ﴾ ؛ أی

بِیَوْمِهِمُ الْقَلْبُ الْعَیْنُ غَیْرَ الْحَقِیْقَةِ ؛ بل صدق رؤیتها .

وقیل : ما أنكر قلبه ما رآته عینه .

(۱) ضبطت هذه الكلمة في ا : بفتح اللام وسكون السين ، وفي ب بفتح اللام وضم السين .  
وفي القاموس : اللسن - بكسر اللام وسكون السين : اللغة والكلام .

(۲) أی ولا تعنی حدیث عمر الذی ذکرت فیهِ خدیجة لعدم ورودها فی الصحیح .

(۳) كما روى : ما فقدت - بالبناء للمجهول .

وقد تقدمت هذه الرواية صفحة . . .

(۴) یوهنه : يضعفه : أی یضعف حدیث : ما فقدت .

(۵) إنه : أی الإسراء . (۶) سورة النجم ، آية ۱۱

(۷) سورة النجم ، آية ۱۷

## فصل ٥

وأما رؤيته (١) - صلى الله عليه وسلم لرَبِّه جَلَّ وعَزَّ - فاختلف اللفظ فيها ؛ فانكرته عائشة .

حدثنا أبو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءة أبي عليه ؛ قال : حدثني أبي وأبو عبد الله بن عتاب الفقيه ؛ قالوا : حدثنا القاضي يونس بن مغيث ، حدثنا أبو الفضل الصقلي ، حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت ، عن أبيه وجدّه ؛ قالوا : حدثنا عبد الله بن علي ، قال : حدثنا محمود بن آدم ، حدثنا وكيع ، عن ابن أبي خالد ، عن عامر ، عن مسروق (٢) - أنه قال لعائشة رضي الله عنها - يا أمّ المؤمنين ؛ هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : لقد قفّ شعري (٣) مما قلت ثلاث من حديثك بهن فقد كذب : من حديثك أنّ محمدا رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت (٤) : لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير (٥) ؛ وذكر الحديث .

وقال جماعة يقول عائشة رضي الله عنها ، وهو المشهور عن ابن مسعود .  
ومثله عن أبي هريرة أنه [ قال ] (٦) : إنما رأى جبريل . واختلف عنه (٧) .

- (١) رؤيته بعينه يقظة في إسرائه بجسد . (٢) صحيح مسلم : ١٦٠ .  
(٣) قف شعري : قام وانتصب ؛ واقشعر ، وإنما يكون هذا غالبا عند الفزع والخوف القوي . والمراد إنكار ما قاله واستفظاعه . مما قلت : أي خفت من كلامه أن يهلك الله من قاله واستمعه ؛ لأنه أمر منكر لا يرضاه الله ، ولم يثبت عندها . (٤) ثم قرأت : أي مستدلة لما قالته .  
(٥) سورة الأنعام ، آية ١٠٣ (٦) ليس في ب . وهذه الرواية في صحيح مسلم : ١٥٨ .  
(٧) قال مسروق : وكنت متكئا جلست وقات : يا أمّ المؤمنين ، أنظريني ولا تعجلي ، ألم يقل الله تعالى : ولقد رآه بالأفق المبين . ولقد رآه نزلة أخرى . فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام . فقال : إنما هو جبريل ؛ لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين - كما رواه مسلم : ١٥٩ .

وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين، وبالفقهاء والمتكلمين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رآه بعينه<sup>(۱)</sup>.

وروى عطاء عنه .. أنه رآه بقلبه .

وعن أبي المالبة ، عنه<sup>(۲)</sup> : رآه بنوآده مرتين .

وذكر ابن إسحاق أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله :

هل رأى محمد ربه ؟ فقال : نعم .

والأشهر عنه أنه رأى ربه بعينه ، روى ذلك عنه<sup>(۳)</sup> من طريق ، وقال : إن

الله تعالى اختص موسى بالكلام<sup>(۴)</sup> ، وإبراهيم بالخلة<sup>(۵)</sup> ، ومحمدا بالرؤية .

وحجته<sup>(۶)</sup> قوله تعالى<sup>(۷)</sup> : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى . أَفَتُمَارُونَهُ<sup>(۸)</sup> عَلَى مَا يَرَى .

وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى<sup>(۹)</sup> .

قال لناوردي : قيل : إن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله

عليه وسلم ؛ فرآه محمد مرتين ، وكلمه موسى مرتين .

وحكى أبو الفتح الرازي ، وأبو الليث السمرقندي الحكاية<sup>(۱۰)</sup> عن كعب .

(۱) في صحيح مسلم ( ۱۵۸ ) : عن ابن عباس ، قال : رآه بقلبه .

(۲) عنه : عن أبي هريرة ، والذي في صحيح مسلم ( ۱۵۸ ) : أن هذا عن ابن عباس :

قال : ما كذب الفؤاد ما رأى . ولقد رآه نزلة أخرى ؛ قال : رآه بنوآده مرتين .

(۳) عنه : عن ابن عباس . ( ۴ ) لقوله تعالى : وكلم الله موسى تكليماً .

( ۵ ) لقوله تعالى : واتخذ الله إبراهيم خليلاً .

( ۶ ) وحجته : أي دليله على الرؤية .

( ۷ ) سورة النجم ، آية ۱۱ ، ۱۲ ، ۱۳ .

( ۸ ) أفتمارونه : أتجادلون في رؤيته لما رآه .

( ۹ ) نزلة أخرى : مرة أخرى .

( ۱۰ ) الحكاية : أي التي ذكرها لناوردي .

وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ ، قَالَ : اجْتَمَعَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَكَعْبٌ ؛ فَقَالَ  
ابْنُ عَبَّاسٍ : أَمَا نَحْنُ بَنُو هَاشِمٍ فَنَقُولُ : إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ رَأَى رَبَّهُ مَرَّتَيْنِ ؛ فَكَبَّرَ كَعْبٌ <sup>(۱)</sup>  
حَتَّى جَاوَبَتْهُ الْجِبَالُ <sup>(۲)</sup> ، وَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ رُؤْيَيْتَهُ وَكَلَامَهُ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَمُوسَى ؛ فَكَلَّمَهُ  
مُوسَى ، وَرَأَاهُ مُحَمَّدٌ بِقَلْبِهِ .

وَرَوَى شَرِيكٌ [ ۶۵ ] عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ <sup>(۳)</sup> ؛ قَالَ : رَأَى  
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ .

وَحَكَى السَّمَرَقَنْدِيُّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ ، وَرَبِيعِ بْنِ أَنَسٍ - أَنَّ النَّبِيَّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ : هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُهُ بِهَوَادِي ، وَلَمْ أَرَهُ بِعَيْنِي .  
وَرَوَى مَالِكُ بْنُ يُحَايِرٍ ، عَنْ مُعَاذٍ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ قَالَ <sup>(۴)</sup> :  
رَأَيْتُ رَبِّي . . . وَذَكَرَ كَلِمَةً ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ؛ فِيمَ <sup>(۵)</sup> يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى . . .  
الْحَدِيثُ .

وَحَكَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَنَّ الْحَسَنَ <sup>(۶)</sup> كَانَ يَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ .

(۱) فكبر كعب : لسروره بمقالته الموافقة لما عنده .

(۲) حتى جاوبته الجبال : أي رفع صوته بالتكبير حتى سمع صدها من الجبال .

(۳) الآية : ما كذب الفؤاد ما رأى . . .

(۴) في حديث رواه أحمد بن حنبل وغيره ، وهو حديث صحيح أوله : قال معاذ رضي

الله عنه : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفداة ثم أقبل علينا فقال : إني سأحدثكم أني  
قمت من الليل فصليت ما قدر لي ونعست . . .

الحديث بتامه في المسند : ۲۴۳-۵ ، ونسيم الرياض : ۲-۳۱۲ ، وشرح القاري : ۱-۴۲۱

(۵) أي فيم يسأل الملائكة بعضهم بعضاً عن المراتب المقربة إلى الله ، المكفرة للخطايا .

(۶) هو الحسن البصري . (كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ۲۰۰)

وحكاه أبو عمر الطلمنكي<sup>(۱)</sup> عن عكرمة .

وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب<sup>(۲)</sup> عن ابن مسعود .

وحكى ابن إسحاق أن مروان سأل أبا هريرة . هل رأى محمد ربه ؟ فقال : نعم .

وحكى النقاش ، عن أحمد بن حنبل - أنه قال : أنا أقولُ بحديث ابن عباس

بمعينه رآه - حتى انقطع نفسه - يعنى نفس أحمد .

وقال أبو عمر : قال أحمد بن حنبل : رآه بقلبه ، وجبُنَ عن القول برؤيته

في الدنيا<sup>(۳)</sup> بالإبصار .

وقال سعيد بن جبیر : لا أقول رآه ، ولا لم يره<sup>(۴)</sup> .

وقد اختلف في تأويل الآية<sup>(۵)</sup> عن ابن عباس ، وعكرمة ، والحسن ،

وابن مسعود ؛ فحكى عن ابن عباس وعكرمة : رآه بقلبه<sup>(۶)</sup> . وعن الحسن

وابن مسعود : رأى جبريل .

وحكى عبد الله بن أحمد بن حنبل ، عن أبيه ، أنه قال : رآه<sup>(۷)</sup> .

وعن ابن عطاء في قوله تعالى<sup>(۸)</sup> : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ - قال : شرح

صدره للرؤية ، وشرح صدر موسى للكلام .

(۱) في هامش ب : قوله : الطلمنكى - بفتح الطاء المهملة ، واللام والميم ، وسكون النون

وكسر الكاف : الحافظ المقرئ أبو عمر .

روى عنه ابن عبد البر ، وابن حزم ، وغيرها . وكان رأسا في علم القراءات ذا عناية تامة

بالحديث ، إماما في السنة ، توفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة ( شرح القارى : ۱ - ۴۲۲ ) .

(۲) وهو رؤية الله بمعينه . (۳) أى لم يجترئ تأديبا .

(۴) أى توقف في ذلك ، ولم يعمل لأحد القولين .

(۵) يعنى قوله تعالى : ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدره المنتهى . (۶) صحيح مسلم : ۱۵۸

(۷) أى بمعينه ؛ لأنه المتبادر . وقد روى عنه التصريح به ، ولا ينافى ذلك ما مر من أنه

جبُنَ عن القول بذلك ؛ لأنه قد يخفيه في بعض المجالس . (۸) سورة الشرح ، آية ۶

وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رضي الله عنه وجماعة من أصحابه أنه رأى الله تعالى ببصره وعيني رأسه ، وقال : كل آية أوتيتها نبي من الأنبياء عليهم السلام فقد أوتي مثلها نبينا ، وخص من بينهم بتفضيل الرؤية (۱) .

ووقف (۲) بعض مشايخنا في هذا ، وقال : ليس عليه دليل واضح ؛ ولكنه جائز أن يكون .

قال القاضي أبو الفضل (۳) : والحق الذي لا امتراء (۴) فيه - أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا ، وليس في العقل ما يحيلها (۵) .

والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها (۶) . ومحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه ؛ بل لم يسأل إلا جائزا غير مستحيل ، ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا من علمه الله ، فقال له الله تعالى (۷) : **إِن تَرَانِي** ؛ أي لن تطيق ، ولا تحمل رؤيتي (۸) ؛ ثم ضرب له مثلا مما هو أقوى من بنية موسى وأثبت ، وهو الجبل (۹) .

(۱) بتفضيل الرؤية : أي بتفضيله برؤية ربه عيانا في الدنيا ، فلم يره غيره فيها .

(۲) ووقف بعض مشايخنا : أي توقف فيه فلم يعتقد ثبوته ولا نفيه .

(۳) هو المؤلف . (۴) لا امتراء فيه : لاشك فيه ولا شبهة .

(۵) ما يحيلها : ما يقتضي أنها مستحيلة .

(۶) سؤال موسى : بقوله : رب أرني أنظر إليك . وموسى من أولى العزم لا يسأل من

الله تعالى ما لا يجوز ، فلم يعتقد صحة ذلك ما سأله ، وإلا كان جهلا منه بأحوال الربوبية ،

وهو مبرأ منه . (۷) سورة الأعراف ، آية ۱۴۳

(۸) لن تراني : أي الرؤيا جائزة ، ولكنك لاتصل إليها في الدنيا .

(۹) في قوله تعالى : ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني - فلما لم يثبت

الأقوى علم عدم ثباته بالطريق الأولى ؛ ولما كان استقرار الجبل ممكنا كان ما علق به ممكنا

أيضا ؛ فعلم منه جواز الرؤية .

وكلُّ هذا ليس فيه ما يُحِيلُ <sup>(۱)</sup> رؤيته في الدنيا ؛ بل فيه جوازها على الجملة ؛  
وليس في الشرع دليلٌ قاطعٌ على استحالتها ولا امتناعها ؛ إذ كلُّ موجودٍ فرؤيته  
جائزةٌ غيرٌ مستحيلة .

ولا حجةٌ لمن استدَلَّ على مَنعها بقوله تعالى <sup>(۲)</sup> : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ ،  
لاختلاف التأويلات في الآية ، وإذ ليس يقتضِي قولُ مَنْ قال في الدنيا <sup>(۳)</sup> الاستحالة .  
وقد استدَلَّ بعضهم بهذه الآية <sup>(۴)</sup> نَفْسِهَا على جواز الرؤية وعدم استحالتها  
على الجملة .

وقد قيل : لا تدركه أبصار الكفار . وقيل : لا تدركه الأبصار : لا تُحيط به ،  
وهو قولُ ابن عباس . وقد قيل : لا تدركه الأبصار ، وإنما يدركه المبصرون .  
وكلُّ هذه التأويلات لا تقتضِي مَنع الرؤية ولا استحالتها .

وكذلك لا حجةٌ لهم بقوله تعالى <sup>(۵)</sup> : ﴿ لَنْ تَرَانِي ﴾ . وقوله <sup>(۶)</sup> : ﴿ تَبَّتْ  
إِلَيْكَ ﴾ <sup>(۶)</sup> - إِمَّا قَدَمْنَاهُ [ ٦٦ ] ؛ ولأنها ليست على العموم <sup>(۷)</sup> ؛ ولأن مَنْ قال :  
معناها : لَنْ تَرَانِي في الدنيا - إِمَّا هُوَ تَأْوِيلٌ .

وأيضاً فليس فيه نصُّ الامتناع ؛ وإنما جاءت في حق موسى ؛ وحيث تنطرقُ  
التأويلات وتساطُ الاحتمالات ، فليس للقطعِ إليه سبيلٌ .

(۱) ما يحيل رؤيته : أى يقتضِي استحاله فيها .

(۲) سورة الأنعام ، آية ١٠٣

(۳) قول من قال في الدنيا : أى قول من قال بمنعها في الدنيا ، بل تخصيص الدنيا يقتضِي  
وقوعه في الآخرة ، فيدل على الجواز في الدنيا .

(۴) آية : لا تدركه الأبصار - الأنعام ، آية ١٠٣

(۵) سورة الأعراف ، آية ١٤٣

(۶) تبت إليك من سؤال الرؤية ، لانه محال وطلب ما لا يليق ، فهو ذنب .

(۷) ليست على العموم : بل مخصوصة بموسى عليه السلام . والضمير للآية .



وقوله: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾؛ أي من سوء إلى ما لم تُقدِّره لي (۱).  
 وقد قال أبو بكر الهذلي - في قوله: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾؛ أي ليس إبشِّرْ أَنْ يُطِيقَ  
 أَنْ يَنْظَرَ إِلَيَّ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّهُ مَنْ نَظَرَ إِلَيَّ مَاتَ.  
 وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه: إن رؤيته تعالى في الدنيا مُتَمَنِّعَةٌ،  
 لضعف تركيب أهل الدنيا، وقواهم، وكونها (۲) متغيرة غرضاً (۳) للآفات والفناء،  
 فلم تكن لهم قوة على الرؤية؛ فإذا كان في الآخرة ورُكِبُوا تركيباً آخر، ورزقوا  
 قوًى ثابتة (۴) باقية، وأنتم أنوار أبصارهم (۵) وقلوبهم قووا بها على الرؤية.  
 وقد رأيت نحو هذا لمالك بن أنس رحمه الله؛ قال: لم يُرَ في الدنيا؛ لأنه باقٍ،  
 ولا يُرَى الباقي بالفاني؛ فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصاراً باقيةً رُئِيَ الباقي بالباقي.  
 وهذا كلام حسن مَلِيح، وليس فيه دليل على الاستحالة إلا من حيث ضعف  
 القدرة (۶)؛ فإذا قوى الله تعالى من شاء من عباده، وأقدَّره على حمل أعباء (۷) الرؤية  
 لم تَمْتَنِعْ في حقِّه.

وقد تقدّم ما ذكر في قوة بصير موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، ونفوذ  
 إدراكهما بقوة إلهية مُنِحَاها (۸) لإدراك ما أدركاه، ورؤية ما رآياه. والله أعلم.

(۱) ما لم تقدِّره لي: في الدنيا في ذلك الوقت لحكمة خفية، لما غشيه من أنوار عظيمة حتى صمق.

(۲) وكونها متغيرة: ولكون التراكيب والقوى متغيرة بالازدياد والضعف.

(۳) غرضاً: هدفاً. وفي أ: عرضاً - بالعين المهملة. وفي هامش أ: وكونها متمرضة. وعابها علامة الصحة.

(۴) في أ: ثابته. وفي ب: ثابته، وعابها «معا».

(۵) أي جمعاً تاماً كاملة مستمدة للبقاء السرمدى.

(۶) ضعف القدرة: أي البشرية في الدنيا.

(۷) الأعباء: جمع عبء، وهو الحمل الثقيل. (۸) منحأها: أعطياها.

وقد ذكر القاضي أبو بكر (١) - في أثناء أجوبته عن الآيتين (٢) - ما معناه :  
 إن موسى عليه السلام رأى الله ؛ فلذلك خرَّ صعقاً (٣) ، وإن الجبل رأى ربه فصار (٤)  
 دكاً بإدراك خاقه الله له . واستنبط (٥) ذلك ، والله أعلم ، من قوله (٦) : ﴿ وَاسْكِنِ  
 الْبَلَدَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ .  
 ثم قال (٦) : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾ .  
 وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه - على هذا القول (٧) .  
 وقال جعفر بن محمد : شغله بالجبل حتى تجلَّى (٨) ، ولولا ذلك لامت صعقاً  
 بلا إفاقة (٩) .

وقوله هذا يدلُّ على أن موسى رآه (١٠) .

وقد وقع لبعض المنسرين - في الجبل - أنه رآه ، وبرؤية الجبل له (١١) استدلال  
 من قال بروية محمد نبينا له (١١) ؛ إذ جعله دليلاً على الجواز .

(١) يعني الباقلائي ، لأن القاضي أبا بكر بن العربي معاصر للمصنف ؛ إذ مولده سنة ثمان  
 وستين وأربعمائة . ومماته سنة ثلاث وأربعين وخمسة . ومولد المصنف سنة ست وسبعين  
 وأربعمائة ، ومماته سنة أربع وأربعين وخمسة ( هامش ب ، وشرح القارى : ١ - ٤٢٧ ) .

(٢) الآيتان هما : « لا تدركه الأبصار » . و « لن ترانى » .

(٣) صعقاً : منغشياً عليه .

(٤) فصار دكاً : انهد حتى صار تراباً من هيبة الله .

(٥) واستنبط : استخرج .

(٦) سورة الأعراف ، آية ١٤٣ .

(٧) على هذا القول : أى قول أبى بكر الباقلائي السابق بأن موسى والجبل رأياه معاً .

(٨) تجلَّى : ظهر ظهوراً تاماً لموسى عليه السلام .

(٩) بلا إفاقة : من صعقته وغشيه .

(١٠) رآه : كالجبل ، لأنه معنى التجلى ؛ لأنه لا يقال تجلَّى له إلا إذا شاهده .

(١١) له : لله عز وجل . وإنما دكه ليعلم موسى عدم طاقته لمشاهدة نور الأنوار .

ولا مِرْيَةَ فِي الْجَوَازِ<sup>(١)</sup>؛ إذ ليس في الآيات نصٌّ بالمنع .  
 وأما وجوبه<sup>(٢)</sup> لنبينا صلى الله عليه وسلم ، والتولُّ بأنَّه رآه بعينه - فليس فيه  
 قاطع<sup>(٣)</sup> أيضا ولا نصٌّ ؛ إذ المَعْوَلُ فيه على آيتي «النَّجْمِ»<sup>(٤)</sup> ، والتنازعُ فيهما مأثور<sup>(٥)</sup> ،  
 والاحتمالُ لهما مُمكن ، ولا أثرَ قاطعٍ مُتواترٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك .  
 وحديثُ ابن عباس<sup>(٦)</sup> خبرٌ عن اعتقاده لم يُسنِّده إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛  
 فيجِبُ العملُ باعتقادِ مُضمَّنه<sup>(٧)</sup> .

ومثله حديثُ أبي ذرٍّ في تفسير الآية<sup>(٨)</sup> .

وحديثُ معاذ<sup>(٩)</sup> محتملٌ للتأويل ، وهو مضطرب الإسناد والمُتَن .  
 وحديثُ أبي ذرٍّ الآخر مختلفٌ محتملٌ مُشكِلٌ . فرُوي : نورٌ أني<sup>(١٠)</sup> أراه .

- 
- (١) لامرية : لاشك . في الجواز : أي جواز الرؤية .  
 (٢) وأما وجوبه : أي وجوب وقوع رؤيته لربه في الإسراء بعين رأسه .  
 قال في نسيم الرياض ( ٢ - ٣٢٢ ) : الظاهر أن يقال : إن الوجوب هنا بمعنى الاصطلاح ؛  
 لأنه لو ورد مصرحا به في نص قطعي من القرآن أو الحديث المتواتر أو المشهور وجب علينا اعتقاده ،  
 ولا يسع أحدا من أهل الملة أن يخالف فيه . أو هو الوجوب بمعنى اللغوي ، وهو الوقوع .  
 (٣) فليس فيه قاطع : أي دليل قطعي .  
 (٤) آيتي النجم : هما : ما كذاب الفؤاد ما رأى . ولقد رآه نزلة أخرى .  
 (٥) والتنازع فيهما مأثور : أي النزاع في المراد منها منقول عن سلف المفسرين والمتكلمين .  
 (٦) الذي ذكر فيه أنه رآه بعينه . وقد تقدم .  
 (٧) مضمونه : أي ما تضمنه ودل عليه لفظه من رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه بعينه .  
 (٨) الآية هي آية سورة النجم . وحديث أبي ذرٍّ القاري رواه مسلم ( ١٦١ ) : قال :  
 سألته صلى الله عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ قال : رأيت نورا . . .  
 (٩) حديث معاذ : إني رأيت ربي في أحسن صورة .  
 (١٠) أني أراه : كيف أراه ؛ أي رأيت نورا غشياني فكيف أرى ذات الله ، وقد حال  
 بيني وبينه سبحات النور المانعة من الرؤية في جاري المادة . وحديثه هذا في صحيح مسلم : ١٦١ .  
 هذا ما قاله الحفاجي . وقال القاري ( ١ - ٤٢٨ ) : أي قوله : رأى النبي صلى الله عليه وسلم لربه .

وحكى بعضُ شيوخنا أنه رُوِيَ : نَوَّرَ أَنِّي أَرَاهُ <sup>(۱)</sup> .

وفي حديثه الآخر: سألتُه ، فقال: رأيتُ نوراً. وليس يمكن الاحتجاجُ بواحدٍ <sup>(۲)</sup> منها على صحةِ الرؤية ؛ فإن كان الصحيحُ رأيتُ نوراً فهو قد أخبر أنه لم يرَ الله ؛ وإنما رأى نوراً منعه وحجبه عن رؤية الله .

وإلى هذا يرجعُ قوله: نوراً أَنِّي أَرَاهُ؛ أى كيف أراه مع حجابِ النورِ المُغشَى <sup>(۳)</sup> للبصر ؛ وهذا مثلُ [ ۱۶۷ ] ما فى الحديث الآخر : حجابُه النور <sup>(۴)</sup> .

وفي الحديث الآخر : لم أره بعيني ، ولكن رأيتُه بقلبي مرتين ، وتلا <sup>(۵)</sup> :  
﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ . والله قادرٌ على خَلْقِ الإدراكِ الذى فى البَصَرِ فى القلب ،  
أو كيف شاء ، لا إلهَ غيره .

فإن ورد حديثٌ نصٌّ بينُ فى البابِ اِئْتِقَادِ ووجِبَ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ <sup>(۶)</sup> ؛ إذ لا استِحَالَةَ  
فيه ، ولا مانعَ قطعى يردُّه ، والله اِنْفِوْقِ <sup>(۷)</sup> .

(۱) فى نسيم الرياض : قال المصنف فى شرح مسلم : هذه الرواية لم تثبت . وفى (ب) ضبطت  
النون بالضم . (۲) فى ب : منهما . (۳) المغشى للبصر : السائر والمانع له من الرؤية .  
(۴) فى نسيم الرياض ( ۲ - ۳۲۵ ) : هذا الحديث رواه مسلم ، والطيالسى ، والبخارى ،  
عن أبى موسى الأشعري ؛ وهو : إن الله لا ينام ، ولا ينبغى له أن ينام ، ولكنه يخفض القسط  
ويرفعه ، ويرفع عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل ، حجابُه النور ، لو كشفه  
أحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه . وهو فى صحيح مسلم : ۱۶۲  
(۵) سورة النجم ، آية ۹

(۶) ووجِبَ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ ؛ أى وجِبَ عَيْنَا أَنْ نَذْهَبَ لِاعْتِقَادِهِ وَلَا نَعْدِلُ عَنْهُ .

(۷) قال القارى فى شرحه ( ۱ - ۳۰ ) : أقول ، والله سبحانه وتعالى أعلم : إنه يمكن  
الجمع بين الأدلة فى هذه المسألة المشككة بأن ما ورد مما يدل على إثبات الرؤية إنما هو باعتبار  
تجلى الصفات ، وما جاء مما يشير إلى نفي الرؤية فهو محمول على تجلى الذات ؛ إذ التجلى للشيء  
إنما يكون بالكشف عن حقيقته ، وهو محال فى حق ذاته تعالى باعتبار إحاطته وحياطته ،  
كما يدل عليه قوله تعالى : لا تدركه الأبصار . وقوله سبحانه وتعالى : لا يحيطون به علماً .

## فصل ۶

وأما ما ورد في هذه القصة<sup>(۱)</sup> من مُنَاجَاةِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَلَامِهِ مَعَهُ بِقَوْلِهِ<sup>(۲)</sup> :  
﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ - إلى ما تَضَمَّنَتْهُ الْأَحَادِيثُ - فَأَكْثَرُ الْمَفْسَرِينَ عَلَىٰ  
أَنَّ الْمَوْحَىٰ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَىٰ جِبْرِيْلَ ، وَجِبْرِيْلُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
إِلَّا شُدُوذًا<sup>(۴)</sup> مِنْهُمْ ؛ فَذُكِرَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ ، قَالَ : أَوْحَىٰ إِلَيْهِ  
بِلَا وَاسِطَةٍ<sup>(۵)</sup> ، وَنَحْوَهُ عَنِ الْوَاسِطِيِّ ؛ وَإِلَىٰ هَذَا ذَهَبَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ - أَنَّ مُحَمَّدًا كَلَّمَ  
رَبَّهُ فِي الْإِسْرَاءِ .

وَحُكِيَ عَنِ الْأَشْعَرِيِّ ، وَحِكْوُهُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ ؛ وَأَنْكَرَهُ  
آخَرُونَ<sup>(۶)</sup> .

وَذَكَرَ النَّقَّاشُ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - فِي قِصَّةِ الْإِسْرَاءِ ، عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
فِي قَوْلِهِ<sup>(۷)</sup> : ﴿ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ - قَالَ : فَارَقَنِي جِبْرِيْلُ<sup>(۸)</sup> ، وَانْقَطَعَتِ الْأَصْوَاتُ عَنِّي ،  
فَسَمِعْتُ كَلَامَ رَبِّي وَهُوَ يَقُولُ : ائْبَهُدْ أَرْوَعَكَ<sup>(۹)</sup> يَا مُحَمَّدُ ، اذْنُ ، اذْنُ<sup>(۱۰)</sup> .

(۱) في هذه القصة ؛ أي قصة الإسراء .

(۲) من مناجاته لله ؛ أي مخاطبته له ومحادثته . (۳) سورة النجم ، آية ۱۰ .

(۴) إلا شذوذا ؛ إلا جماعة من المفسرين قليلة شاذة خالفوهم فيه فشدوا .

(۵) أوحى إليه بلا واسطة ؛ أي كالم الله محمدًا بلا واسطة ملك أو غيره ، فالمراد بالوحي

هنا الكلام . (۶) وأنكره ؛ أي أنكروا تكليم الله له بلا واسطة قوم آخرون .

(۷) سورة النجم ، آية ۸ .

(۸) فارقني جبريل ؛ أي تخلف عني في مقام معين ؛ لأن له مقامًا لا يتعداه .

(۹) الروع ؛ الخوف ؛ أي ليذهب خوفك . أو هي بضم الراء . والروع ؛ القلب . والمراد

ليقر قلبك ولا يضطرب من الخوف .

(۱۰) اذن ؛ أي تقدم ، وادخل إلى حظائر القدس ؛ وإنما قال له ذلك تشريفًا له ، وإعلاء

لمنزله ، وتأنيسًا لاستيحاشه لما انقطعت عنه الأصوات ، ولذلك أمره باطمئنان قلبه أولاً ،  
وكرر أمره تأكيدياً .

وفي حديث أنس في الإسراء نحو منه .

وقد احتجوا في هذا <sup>(۱)</sup> بقوله تعالى <sup>(۲)</sup> : ﴿ وَمَا كَانَ ابْشِرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ ؛ فقالوا <sup>(۳)</sup> : هي ثلاثة أقسام : من وراء حجاب <sup>(۴)</sup> كتكليم موسى ؛ وإرسال الملائكة <sup>(۵)</sup> كحال جميع الأنبياء وأكثر أحوال نبينا صلى الله عليه وسلم . الثالث : قوله : وَحِيًّا <sup>(۶)</sup> ، ولم يبق من تقسيم الكلام إلا المشافهة مع المشاهدة <sup>(۷)</sup> .

وقد قيل : الوحي هنا <sup>(۸)</sup> : هو ما يُلقِيهِ في قلب النبي دون واسطة .

وقد ذكر أبو بكر البزار، عن علي في حديث الإسراء ما هو أوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الآية : فذكر فيه : فقال الملك : الله أكبر . الله أكبر - فقيل لي من وراء الحجاب : صدق عبدي ، أنا أكبر ، أنا أكبر . وقال في سائر كلمات الأذان مثل ذلك <sup>(۹)</sup> .

ويجوز الكلام في مُشْكَل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يُشبهه .

وفي أول فصلٍ من الباب منه .

(۱) احتجوا في هذا : أي استدلوا على أنه تعالى كالمه بلا واسطة .

(۲) سورة الشورى ، آية ۵۱

(۳) هي : أي أقسام الكلام المثبتة في هذه الآية .

(۴) أي يسمع كلامه من غير واسطة ، وهو لا يراه .

(۵) وإرسال الملائكة إلى رسل البشر ليبلغوهم كلامه تعالى ووحية النبي أوحاه إليهم .

قال القاري ( ۱ - ۴۳۱ ) : الأظهر « الملك » - بصيغة الإفراد ؛ لأن المشهور أن جبريل هو

صاحب الوحي . (۶) قوله : وحيا ؛ أي إلقاء في قلبه بإلهام ونحوه .

(۷) مع المشاهدة : أي معاينة المخاطب لمن كلمه من غير واسطة ولا حجاب مانع من

الرؤية ؛ فيخص الله بها من شاء من خاص عباده المقربين كنبينا صلى الله عليه وسلم .

(۸) أي في الآية السابقة . (۹) قد تقدم : إلا قوله : حتى على الصلاة . حتى على الفلاح .

وكلامُ الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ومن اختصه من أنبيائه ، جائزٌ غيرُ ممتنع عقلاً ، ولا ورد في الشرع قاطعٌ<sup>(۱)</sup> يمنعه ، فإن صحَّ في ذلك خبر احتِمِلَ<sup>(۲)</sup> عليه ، وكلامه تعالى لموسى كائنٌ حقٌّ مقطوعٌ به ، نصٌّ ذلك في الكتاب<sup>(۳)</sup> ، وأكَّده بالمصدر<sup>(۴)</sup> دلالةً على الحقيقة ، ورفع مكانه<sup>(۵)</sup> على ما رُود في الحديث : في السماء السابعة<sup>(۶)</sup> بسبب كلامه<sup>(۷)</sup> . ورفع محمداً فوق هذا كله حتى بلغ مستوى ، وسمع صريف الأقلام<sup>(۸)</sup> ؛ فكيف يستحيل في حقِّ هذا أو يبعدُ سماعُ<sup>(۹)</sup> الكلام ؛ فسبحان من خصَّ من شاء بما شاء ، وجعل بعضهم فوق بعضٍ درجاتٍ !

### فصل

وأما ما ورد في حديث الإسراء وظاهر الآية : من الدُّنُوِّ والتُّرْبِ من قوله<sup>(۱۰)</sup> : ﴿ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾<sup>(۱۱)</sup> . فكان قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿<sup>(۱۲)</sup> — وأكثُرُ المفسرين أن الدُّنُوِّ

- (۱) قاطع : دليل قطعي يمنعه . (۲) هذا في ا، ب . وفي هامش ب : خ : اعتمد .
- (۳) في الكتاب : في القرآن الكريم في قوله تعالى : وكلم الله موسى تكليماً .
- (۴) وأكَّده بالمصدر : أى أكَّده الله تعالى . والمصدر : هو « تكليماً » ، والتأكيد بالمصدر في قوله تعالى : « وكلم الله موسى تكليماً » لدفع الشك .
- (۵) رفع مكانه : أى مكان موسى . (۶) على بعض الروايات ، وقد سبق أنه في السماء السادسة .
- (۷) بسبب كلامه : أى بسبب رفعة عليه السلام على غيره كونه شرفه بكلامه في الدنيا .
- (۸) صريف الأقلام : صوتها عند الكتابة .
- (۹) سماع الكلام : من كلام الله تعالى بغير واسطة .
- (۱۰) سورة النجم ، آية ۸ ، ۹ .
- (۱۱) الدُّنُوُّ : القرب . والتدلى : الامتداد من علو إلى أسفل ، كما يلقي الدلو في البئر . هذا أصله ، ثم استعمل في القرب من علو حصاً ، أو معنى .
- (۱۲) فكان قَابَ قَوْسَيْنِ : القاب : ما بين مقبض القوس وموضع ربط الوتر من طرفيه . ولكل قوس قابان . وقيل معناه : قدر . وقيل : هى هنا الذراع ؛ لأنه يقاس به ؛ فالعنى قدر ذراعين . وكان قَابَ قَوْسَيْنِ : أى الله تعالى .

والتدلی مُنتَسِم ما بین محمد وجبریل علیہ السلام ، أو مختصُّ بأحدهما من الآخر (۱) ،  
أو من السِّدْرَةِ الْمُنتَهَى (۲) .

قال الرازی : وقال ابن عباس : هو محمد دنا فتدلی من رَبِّهِ .

وقیل : معنی [ ۶۸ ] دنا قُرْب ، وتدلی زاد فی القُرْب . وقیل : هما بمعنى واحد ،  
أی قُرْب (۳) .

وحكى مَكِّي ، والماوردی - عن ابن عباس : هو الرَّبُّ دنا محمد ، فتدلی (۴)  
إليه ؛ أی أمرُهُ وحُكْمُهُ .

وحكى النقاش عن الحسن ، قال : دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم ، فتدلی ؛  
فقرب منه ، فأراه ماشاء أن يُرِيه من قُدْرَتِهِ وعِظَمَتِهِ .

قال : وقال ابن عباس : هو مقدم ومؤخر (۵) : تدلی الرَّفْرِفِ (۶) نحمد صلى الله  
وسلم ليلة المِعْرَاج ، فجلس عليه ، ثم رُفِع فدنا من رَبِّهِ .

قال : فارقني جبريل ، وانتطعت عنی الأصوات ، وسمعتُ كلامَ رَبِّي عز وجل .  
وعن أنس في الصحيح : عرج بي جبريلُ إلى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ، ودنا الجبارُ

(۱) أی مختص بمحمد صلى الله عليه وسلم ، أو بجبريل ؛ وللمعنى دنا وتدلی محمد من جبريل ؛  
أو دنا وتدلی جبريل من محمد . وفي هامش ب : دون الآخر .

(۲) أی يختص الدنو والتدلی من السدرة ، لامن الآخر .

(۳) ودنوه منه : كناية عن قرب منزلته ومشاهدته من قدسه مالم يتيسر لغيره .

(۴) فتدلی إليه : أی نزل الرب لمحمد صلى الله عليه وسلم . أو نزل إليه صلى الله عليه وسلم

كما قال القارى . قال ( ۱ - ۴۳۴ ) : والأنسب في معناه : قرب الرب منه فتقرب إليه .

(۵) مقدم ومؤخر : أی أصله فتدلی فدنا .

(۶) الرفرف : البساط مطلقا . وقيل : البساط الأخضر . وقيل : ما كان من الديباج

والمراد به مركب له صلى الله عليه وسلم كالبراق ( نسيم الرياض : ۲ - ۳۳۴ )



رَبُّ الْعِزَّةِ ، فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ <sup>(۱)</sup> مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ بِمَا شَاءَ ،  
 وَأَوْحَى إِلَيْهِ خَمْسِينَ صَلَاةً... وَذَكَرَ حَدِيثَ الْإِسْرَاءِ .  
 وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ : هُوَ <sup>(۲)</sup> مُحَمَّدٌ دَنَا مِنْ رَبِّهِ ، فَكَانَ كَقَابِ قَوْسَيْنِ .  
 قَالَ : وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ : أَدْنَاهُ رَبُّهُ مِنْهُ حَتَّى كَانَ مِنْهُ كَقَابِ قَوْسَيْنِ <sup>(۳)</sup> .  
 وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ : وَالِدُنُو مِنْ اللَّهِ لَا حَدَّ لَهُ <sup>(۴)</sup> ، وَمِنَ الْعِبَادِ بِالْحُدُودِ <sup>(۵)</sup> .  
 وَقَالَ أَيْضًا : انْقَطَعَتِ الْكَيْفِيَّةُ عَنِ الدُّنُو <sup>(۶)</sup> ، أَلَا تَرَى كَيْفَ حَجَبَ جِبْرِيلُ  
 عَنِ دُنُوهِ <sup>(۷)</sup> ، وَدَنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَا أُوْدِعَ <sup>(۸)</sup> قَلْبُهُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِيمَانِ ،  
 فَتَدَلَّى بِسُكُونٍ قَلْبُهُ إِلَى مَا أَدْنَاهُ <sup>(۹)</sup> ، وَزَالَ عَنِ قَلْبِهِ الشُّكُّ وَالْارْتِيَابُ <sup>(۱۰)</sup> .  
 قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ <sup>(۱۱)</sup> - : اعْلَمْ أَنَّ مَا وَقَعَ مِنْ إِضَافَةِ الدُّنُو وَالقُرْبِ هُنَا  
 مِنْ <sup>(۱۲)</sup> اللَّهُ ، أَوْ إِلَى اللَّهِ - فَلَيْسَ بِدُنُوٍّ مَكَانًا ، وَلَا قُرْبٍ مَدًى <sup>(۱۳)</sup> ؛ بَلْ كَذَلِكَ نَاهِ -

- (۱) حَتَّى كَانَ رَبُّ الْعِزَّةِ .  
 (۲) فِي ۱ ، ب . هُوَ ؛ أَيُّ الْمَوْصُوفِ بِأَنَّهُ دَنَا .  
 (۳) أَيُّ مَقْدَارِ قَابِ قَوْسَيْنِ فِي الْقُرْبِ مِنْهُ .  
 (۴) أَيُّ الدُّنُوِّ مِنْ جَانِبِ اللَّهِ لَيْسَ دُنُوًّا مَكَانِيًّا مَحْدُودًا بِحَيْزِ كَالْأَجْسَامِ ؛ بَلْ دُنُوٌّ مَعْنَوِيٌّ .  
 (۵) وَمِنَ الْعِبَادِ بِالْحُدُودِ الْمَكَانِيَّةِ الْحَاصِرَةِ لَهُمْ .  
 (۶) عَنِ الدُّنُوِّ : مِنْ جَانِبِ اللَّهِ ؛ أَيُّ دُنُوِّهِ مِنْ عِبَادِهِ ، لَيْسَ لَهُ كَيْفِيَّةٌ مَخْصُوصَةٌ ، وَحَالَةٌ  
 مَعْرُوفَةٌ ؛ لِأَنَّهُ أَمْرٌ مَعْنَوِيٌّ غَيْرٌ مَحْسُوسٌ .  
 (۷) عَنِ دُنُوِّهِ : إِلَى رَبِّهِ .  
 (۸) فِي ۱ : مَا أُوْدِعَ - بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ بِالْبِنَاءِ لِلْمَعْلُومِ وَفِي بِ بِالْبِنَاءِ لِلْمَعْلُومِ ، وَبِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ  
 وَعَلَيْهَا « مَعَا » .  
 (۹) إِلَى مَا أَدْنَاهُ إِلَى رَبِّهِ لَمَّا اطْمَأَنَّ قَلْبُهُ .  
 (۱۰) وَالْارْتِيَابُ فِي أَنَّهُ هَلْ يَصِلُ إِلَى حَضْرَةِ الْقُرْبِ وَيُنَالُ إِتَابَتَهُ بِالْإِكْرَامِ وَالْإِنْعَامِ وَيَتَرَقَّى  
 إِلَى أَعْلَى مَقَامٍ ، فَاتَّبَحَّ اللَّهُ تَعَالَى أَمْنِيَّتَهُ .  
 (۱۱) هُوَ الْمُؤَلَّفُ . (۱۲) هُنَا : فِي هَذِهِ الْآيَةِ . (۱۳) مَدًى : غَايَةٌ أَوْ نِهَآيَةٌ .

عن جعفر الصادق : ليس بدنو حدّ، وإنما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه  
منه إبانة<sup>(۱)</sup> عظيم منزلة، وتشريف رتبته، وإشراق أنوار معرفته<sup>(۲)</sup>، ومشاهدة  
أسرار غيبه وقدرته، ومن الله تعالى له مبرة<sup>(۳)</sup> وتأنيس<sup>(۴)</sup>، وبسط<sup>(۵)</sup>، وإكرام<sup>(۶)</sup>؛  
ويَتَأَوَّلُ فِيهِ مَا يَتَأَوَّلُ فِي قَوْلِهِ: يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا<sup>(۶)</sup> - عَلَى أَحَدِ الْوُجُوهِ: نَزُولُ  
إِفْضَالٍ وَإِجْمَالٍ<sup>(۷)</sup>، وَقَبُولٍ وَإِحْسَانٍ .

قال الواسطي : مَنْ تَوَهَّمَ أَنَّهُ بِنَفْسِهِ<sup>(۸)</sup> دَنَا جَعَلَ تَمَّ مَسَافَةً<sup>(۹)</sup>، بَلْ كَلِمًا دَنَا<sup>(۱۰)</sup>  
بِنَفْسِهِ مِنَ الْحَقِّ تَدَلَّى بَعْدًا<sup>(۱۱)</sup> - يَعْنِي عَنِ دَرَكِ حَقِيقَتِهِ؛ إِذْ لَا دَنُوَ لِلْحَقِّ  
وَلَا بَعْدٌ<sup>(۱۲)</sup> .

وقوله : « قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى » - فَمَنْ جَعَلَ الضَّمِيرَ عَائِدًا إِلَى اللَّهِ، لَا إِلَى  
جِبْرِيلَ عَلَى<sup>(۱۳)</sup> هَذَا - كَانَ عِبَارَةً عَنِ نَهَابَةِ الْقُرْبِ، وَأُطْفِئِ الْمَحَلَّ<sup>(۱۴)</sup>، وَإِبْضَاحَ

(۱) إبانة : إظهار . (۲) أى إظهار آثار معرفة الله عليه . (۳) مبرة : قبول وإحسان .  
(۴) وتأنيس : لطف به يذهب استيحاظه لما انقطعت عنه الأصوات وغاب أليفه وهو جبريل .  
(۵) وبسط : توسعة ومسرة . والمراد تأنيسه بما يسره من مخاطبته صلى الله عليه وسلم .  
(۶) أى كما أول النزول المسند إلى الله تعالى فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه المتفق على  
صحته أنه صلى الله عليه وسلم ؛ قال : ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل  
الأخير يقول : من يدعوني فأستجيب له، من يسألنى فأعطيه ؟ من يستغفرنى فأغفر له بالإقبال  
عليهم بإنعامه وإجابة دعائهم ، ومغفرة ذنوبهم ، ، وإفاضة مواهبه عليهم .  
(۷) وإجمال : أى فعل جميل بهم على عادته .

(۸) بنفسه دنا : دنوا حقيقياً محسوساً بذاته، لا دنوا لطف وإكرام . (۹) تم : هناك .  
(۱۰) دنا أحد من المخلوقات . من الحق : تعالى . وفى ب : كل ما - برفع كل .  
(۱۱) تدلى بعدا : نزل من علو إلى أسفل ، لبعده عما قصده .  
(۱۲) لا دنو للحق ولا بعد : بالمعنى المكاني ، لاستحالة ذلك عليه تعالى .  
(۱۳) على هذا التأويل السابق .

(۱۴) ولطف المحل : أى هو عبارة عن دنو معنوى ومنزلة معنوية لا تحس بالأبصار .

المعرفة<sup>(١)</sup> ، والإشراف على الحقيقة عن محمد صلى الله عليه وسلم ، وعبارة عن إجابة الرغبة ، وقضاء المطالب ، وإظهار التحقفي<sup>(٢)</sup> ، وإنافة<sup>(٣)</sup> المنزل والمرتبة من الله له .  
وَيَتَأَوَّل فِيهِ مَا يَتَأَوَّل فِي قَوْلِهِ<sup>(٤)</sup> : مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبَتْ مِنْهُ ذِرَاعًا<sup>(٥)</sup> ،  
وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً<sup>(٦)</sup> ؛ قُرْبٌ بِالْإِجَابَةِ وَالْقَبُولِ ، وَإِتْيَانٌ بِالْإِحْسَانِ  
وَتَعْجِيلُ الْمَأْمُولِ<sup>(٧)</sup> .

## فصل<sup>٨</sup>

في ذكر تفضيله في القيامة<sup>(٨)</sup> بخصوص الكرامة

حدثنا [ القاضي ]<sup>(٩)</sup> ، أبو علي ، حدثنا أبو الفضل ، وأبو الحسين ؛ قالوا :  
حدثنا أبو يعلى السنجي ، حدثنا ابن محبوب ، حدثنا الترمذي ، حدثنا الحسين  
ابن يزيد الكوفي ، حدثنا عبد السلام ابن حرب ، عن ليث ، عن الربيع بن أنس ،  
عن أنس رضي الله عنه ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ ٦٩ ] : أَنَا أَوْلُ

(١) وإيضاح المعرفة الإلهية لمن خصه برفعة المنزلة من خاص عباده . وفي ١ : واتضح  
المعرفة .

(٢) وإظهار التحقفي : التحقفي : البالغة في البر .

(٣) إنافة : إعلاء ورفع .

(٤) في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري على طريق التمثيل . (صحيح مسلم : ٢٠٦١) .

(٥) من تقرب مني : من أطاعني وسمعي في أمثال أوامري .

(٦) هرولة : هي المشي والجرى بسرعة . والمراد أنني أعجل له جزائي وأوصل إليه إحساني

سريعا .

(٧) هذا بعض من حديث قدسي صحيح رواه أبو هريرة رضي الله عنه . وهو بتمامه

في نسيم الرياض : ٢ - ٣٣٨

(٨) أي بما خصه الله يوم القيامة وفضله به على سائر الأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة

والسلام . (٩) ليس في ١ .

الناس خروجاً إذا بعثوا<sup>(۱)</sup>، وأنا خطيبهم إذا وفدوا<sup>(۲)</sup>، وأنا مبشرهم إذا أيسوا<sup>(۳)</sup>؛  
لواء الحمد بيدي<sup>(۴)</sup>، وأنا أكرمُ ولدِ آدمَ على ربي ولا فخر<sup>(۵)</sup> .

وفي رواية ابنِ زحر ، عن الربيع<sup>(۶)</sup> بن أنس - في لفظ هذا الحديث : أنا أولُ  
الناسِ خروجاً إذا بعثوا ، وأنا قائدُهم إذا وفدوا ، وأنا خطيبُهم إذا أنصتوا<sup>(۷)</sup> ،  
وأنا شفيعُهم إذا حبسوا<sup>(۸)</sup> ، وأنا مبشرهم إذا أبلسوا<sup>(۹)</sup> ؛ لواء الكرمِ بيدي ،

(۱) إذا بعثوا : إذا خرجوا من قبورهم إلى المحشر .

قال في نسيم الرياض : وهذا الحديث انفرد به الترمذی ، وقال : إنه حسن غريب . سنن

الترمذی : ۵ - ۵۸۵

(۲) إذا وفدوا : إذا قدموا على الله ، وقاموا بين يديه للحساب . وأصل الوفد : الجماعة  
تقدم إلى من لهم فيه رجاء وعنده قضاء أمورهم وعطاياهم . ولما كان رسول الله صلى الله عليه  
وسلم هو الشفيع المشفع في المحشر ، للأذون له في التكلم وفصل القضاء كان ثمة كالمخطيب في المجمع  
على عادتهم ؛ إذ لكل وفد خطيب غالباً .

(۳) مبشرهم : بالخلاص من المحشر وطول موقفه . إذا أيسوا : إذا يسوا من النجاة من  
شدة ذلك اليوم وهوله إذا أزفت الآزفة ، وبلغت القلوب الحناجر .

(۴) أي يوم القيامة ، ليعرفه صلى الله عليه وسلم ويتبعه كل من في الموقف ، واللواء معروف :  
هو لواء حقيقي ؛ قال في نسيم الرياض ( ۲ - ۳۳۹ ) : سمي لواء الحمد ، لأنه حمد الله بحامد  
لم يحمد به غيره . فهو إشارة لتقدمه صلى الله عليه وسلم وعظمته وكثرة حمده . وفي الترمذی :  
لواء الحمد يومئذ بيدي .

(۵) ولا فخر : أي أنا لا أذكره للفخر ؛ بل للتحدث بنعم الله ؛ أو لا أفخر بهذا ؛  
إذ لي عند الله ما هو أعظم وأشرف من هذا . (۶) في ب : عن أنس .

(۷) الإنصات : السكوت ؛ أي أنا التسلّم بين يدي ربي في أمرهم والشفاعة لهم وقد  
سكتوا ولم يطبقوا نطقاً لحيرتهم .

(۸) إذا حبسوا في الموقف ، واضطربوا ، وفزعوا للأنبياء ؛ فقال كل منهم : نفسي ،  
نفسى ، فيشفع لهم صلى الله عليه وسلم الشفاعة العظمى في فصل القضاء .

(۹) مبشرهم إذا أبلسوا : مبشرهم : أي بالخلاص من هول الموقف ، والحبس فيه . أبلسوا :  
انقطعت حاجتهم ، وتحيروا وسكتوا ليأسهم من النجاة . وفي ا : أبلسوا - بالبناء للمعلوم . وفي  
النهاية . أبلسوا : تحيروا .

وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرُ ؛ وَيَطُوفُ عَلَى أَلْفِ خَادِمٍ <sup>(۱)</sup> كَأَنَّهُمْ  
لَوْ لَوْ مَكْنُونٌ <sup>(۲)</sup> .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه <sup>(۳)</sup> : وَأُكْسِي حَلَّةً مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ أَقُومُ  
عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ <sup>(۴)</sup> يَقُومُ ذَلِكَ الْتِمَامَ غَيْرِي .

وعن أبي سعيد <sup>(۵)</sup> ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ  
آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَبِيَدِي لُؤَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرُ ، وَمَا نَبِيٌّ <sup>(۶)</sup> يَوْمَئِذٍ ، آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ ،  
إِلَّا تَحْتَ لُؤَائِي ؛ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ <sup>(۷)</sup> عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرُ .

وعن أبي هريرة <sup>(۸)</sup> ، عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَا سَيِّدُ <sup>(۹)</sup> وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،  
وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ <sup>(۱۰)</sup> .

وعن ابن عباس <sup>(۱۱)</sup> رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَا حَامِلُ لُؤَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرُ

(۱) أى فى الجنة . قال فى نسيم الرياض : رواه الترمذى وصححه .

(۲) مكنون : محفوظ مستور لم تمسه الأيدي ، فهو كناية عن كونها بكر ذات بهاء ،

لم ير مثلها . (۳) فى حديث رواه الترمذى وصححه - سنن الترمذى : ۵ - ۵۸۵

(۴) الخلائق : جمع خليفة ؛ أى جماعات من المخلوقين .

(۵) فى حديث رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه . سنن الترمذى : ۵ - ۵۸۷

(۶) هذا فى ا ، ب ، والترمذى . وفى هامش ا : وما من نبى . وضطبت كلمة « آدم »

بفتح الميم فى ب .

(۷) تنشق عنه الأرض : أى يوم تبعثر القبور وتنشق بقدره الله تعالى .

(۸) فى صحيح مسلم : ۱۷۸۲

(۹) أى أشرفهم وأقربهم عند الله فى يوم لا يسود فيه غيرى .

(۱۰) أول شافع : يشفع للناس فى الموقف . وأول مشفع : أول من يؤذن له فى الشفاعة ،

وتقبل شفاعته .

(۱۱) فى حديث رواه الترمذى ، والدارمى : سنن الترمذى : ۵ - ۵۸۸ ، وقال : قال

أبو عيسى : هذا حديث غريب .

وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ ، وَلَا فَخْرَ ؛ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَحْرُكُ حَلْقَ (۱) الْجَنَّةِ ،  
فِيُفْتَحُ لِي فَأَدْخِلُهَا (۲) وَمَعِيَ فَقَرَاءُ (۳) الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ ؛ وَأَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ  
وَالْآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ .

وعن أنس : أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يُشَفَّعُ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَنَا أَكْثَرُ النَّاسِ تَبَعًا (۴) .  
وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (۵) ؛ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ وَتَدْرُونَ بِمِ ذَلِكِ ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ - وَذَكَرَ حَدِيثَ  
الشفاعة (۶) .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَطْمَعُ (۷)  
أَكُونَ أَعْظَمَ الْأَنْبِيَاءِ أَجْرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .  
وفي حديثٍ آخر : أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمَ وَعِيسَى فِيكُمْ (۸) يَوْمَ الْقِيَامَةِ !  
ثم قال : إِنَّهُمَا فِي أُمَّتِي (۹) يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ أَمَّا إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ : أَنْتَ دَعَوْتَنِي وَذُرِّيَّتِي (۱۰) ،

(۱) حلق : جمع حلقة .

(۲) هذا في ب . وفي ا : فَيَدْخُلُهَا ، وفي هامشه : فَأَدْخِلُهَا وَمَعِيَ ، وَعَلَيْهَا عِلَامَةُ الصِّحَّةِ .  
وفي الترمذي : فَيَدْخُلْنِيهَا .

(۳) المراد بالفقراء : الفقراء الصابرون .

(۴) يعني أن أمته صلى الله عليه وسلم أكثر من سائر الأمم .

(۵) كما رواه الشيخان : صحيح مسلم : ۱۸۴

(۶) قال في نسيم الرياض ( ۲ - ۳۴۲ ) : ولم يذكر حديث الشفاعة هنا ، لأنه سيأتي

في باب الشفاعة .

(۷) أطمع : أرجو من الله تعالى طمعا ورجاء حققه لي .

(۸) فيكم : محسوبان من جملةكم ومحشوران معكم .

(۹) في أمتي : أي يمدان فيها .

(۱۰) أَمَا دَعَوْتَهُ فَقَوْلُهُ : رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ، وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نَسْلِ وَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ ؛ فَهُوَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ .

فاجعلني من أمتك . وأما عيسى فالأنبياء إخوة<sup>(۱)</sup> بنو علات ، أمهاتهم شتى ؛  
وإن عيسى أخى ليس بينى وبينه نبي<sup>(۲)</sup> ، وأنا أولى الناس به<sup>(۳)</sup> .

قوله<sup>(۴)</sup> : أنا سيّد الناس<sup>(۵)</sup> يوم القيامة : هو سيّدهم في الدنيا ، ويوم القيامة .  
ولكن أشار<sup>(۶)</sup> صلى الله عليه وسلم لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون غيره ؛  
إذ لجأ الناس إليه في ذلك<sup>(۷)</sup> ، فلم يجدوا سواه .

والسيّد : هو الذى يلجأ الناس إليه فى حوائجهم<sup>(۸)</sup> ؛ فكان حينئذ سيّدا  
مُنفردا<sup>(۹)</sup> من بين البشر ، لم يُزاحمه أحدٌ فى ذلك ، ولا ادّعاه ؛ كما<sup>(۱۰)</sup> قال تعالى<sup>(۱۱)</sup> :  
﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ .

والمُلكُ له تعالى فى الدنيا والآخرة ، لكن فى الآخرة انقطعت دعوى المدعى  
لذلك فى الدنيا<sup>(۱۲)</sup> .

(۱) أى كالأخوة . والمراد بالعلات : الزوجات الضرائر . والمراد أن الأنبياء بعثوا  
متفقين فى أصول التوحيد مختلفين فى فروع الشرائع .

(۲) لأنه لم يبعث فى الفترة التى كانت بينهما أحد من الأنبياء .

(۳) وهذا من حديث رواه البخارى ومسلم ، وهو : أنا أولى الناس بعيسى بن مريم فى  
الأولى والآخرة ، الأنبياء بنو علات ، أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد ، وليس بيننا نبي . قال فى  
نسيم الرياض : وهو حديث صحيح : صحيح مسلم : ۱۸۳۷ .

(۴) فى الأحاديث السابقة .

(۵) فى هامش ب : خ : ولد آدم .

(۶) أشار : أى بقوله هذا - كما تقدم .

(۷) فى ذلك الوقت ، أو ذلك الأمر .

(۸) أى يعتمدون عليه إذا قصدوه لقضاء مصالحهم .

(۹) حينئذ : أى فى وقت التجأهم إليه . منفردا ؛ أى عن جميع الناس حتى الأنبياء بهذه السيادة .

(۱۰) أى لئن قوله صلى الله عليه وسلم : أنا سيّد ولد آدم اليوم ، كقوله تعالى : « لمن الملك  
اليوم » ؛ ووجه الشبه أنه خص بالملك بذلك اليوم كما خص رسوله بسيادته به .

(۱۱) سورة غافر ، آية ۱۶ .

(۱۲) المراد أن ملوك الدنيا لما تصرفوا فيها تصرف الملوك ظنوا أن لهم ملكا حقيقة ، فلما قهرهم  
بالموت وكشف الغطاء ظهر أنهم عبید عاجزون ليس لهم من الأمر شيء ؛ فانكشفت الدعوى .

وكذلك لجأ إلى محمد صلى الله عليه وسلم جميع الناس في الشفاعة ؛ فكان سيدهم في الآخرة<sup>(١)</sup> دون دعوى .

وعن أنس رضي الله عنه<sup>(٢)</sup> ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
آتى باب الجنة يوم القيامة ، فاستفتح<sup>(٣)</sup> ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد .  
فيقول : بك<sup>(٤)</sup> أمرت ألا أفتح لأحد قبلك .

وعن عبد الله بن عمرو<sup>(٥)</sup> ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حوضي  
مسيرة شهر<sup>(٦)</sup> ، وزواياه سوا<sup>(٧)</sup> [٧٠] ، وماؤه أبيض من الورق<sup>(٨)</sup> ، وريحه<sup>(٩)</sup>  
أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء<sup>(١٠)</sup> ؛ من شرب منه لم يظمأ أبدا .

وعن أبي ذر نحو<sup>(١١)</sup> ؛ وقال : طوله<sup>(١٢)</sup> ما بين عمان إلى أيلة ، يشخب فيه ميزابان  
من الجنة<sup>(١٢)</sup> .

(١) الآخرة : الآخرة . (٢) في حديث رواه مسلم ( صحيح مسلم : ١٨٨ ) .

(٣) استفتح : أطلب الفتح بتحريك الحلقة .

(٤) بك أمرت : أى بسبيك أمرت بالفتح إذا قرع الباب .

(٥) حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ١٧٩٣ .

(٦) الحوض : مجمع الماء ، معروف . وهذا الحوض العظيم مخصوص به .

(٧) يعنى أنه مربع . (٨) الورق : الفضة . وفي هامش ١ ، ب : من اللبن .

(٩) وريحه : ورائحته .

(١٠) كيزان : الكيزان : جمع كوز ؛ وهو إناء صغير يتناول به الماء للشرب . والمراد بقوله :

كيزانه كنجوم السماء - أى هى تشبه نجوم السماء فى كثرتها ، وإشراقها ، وإضاءتها .

(١١) صحيح مسلم : ١٨٠١ ، طوله : طول الحوض كطول ما بين هاتين البلديتين . وقد

ضبطت عمان فى ب بضم أوله وفتح الليم ، وضطبت فى ا بفتح العين وتشديد الميم . وهما بلدتان

مختلفتان كما هو معروف . وأيلة : فى آخر طرف الشام بساحل البحر متوسطة بين المدينة

ودمشق ، بينها وبين مصر عمان مراحل . وفى صحيح مسلم ( ١٨٠١ ) ضبطت عمان كما

ضبطت فى ا . (١٢) يشخب : ينصب مع صوت . والميزاب : مسيل الماء .



وعن ثوبان مثله ؛ وقال : أحدهما<sup>(۱)</sup> من ذهب ، والآخر من ورق .  
وفي رواية حارثة بن وهب : كما بين المدينة<sup>(۲)</sup> وصنعاء .  
وقال أنس<sup>(۳)</sup> : أيلة وصنعاء .

وقال ابن عمر : كما بين الكوفة والحجر الأسود .  
وروى حديث الحوض أيضا أنس ، وجابر ، وسمرة ، وابن عمر ، وعقبة<sup>(۴)</sup>  
ابن عامر ، وحارثة بن وهب الخزاعي ، والمستورد ، وأبو برزّة الأسلمي ، وحذيفة  
ابن اليمان ، وأبو أمامة ، وزيد بن أرقم ، وابن مسعود ، وعبدالله بن زيد ، وسهيل  
ابن سعد ، وسويد بن جبلة ، [ وأبو بكر ، وعمر بن الخطاب ، وابن بريدة ]<sup>(۵)</sup> ،  
وأبو سعيد الخدري ، وعبدالله الصنابحي ، وأبو هريرة ، والبراء ، وجندب ،  
وعائشة ، وأسماء بنت أبي بكر ، وأبو بكر ، وخولة بنت قيس ، وغيرهم .

## فصل

في تفضيله بالحبة والنخلة<sup>(۶)</sup>

جاءت بذلك الآثار الصحيحة ، واختص على السنة المسلمين بحبيب الله<sup>(۷)</sup> ؛  
أخبرنا<sup>(۸)</sup> أبو القاسم بن إبراهيم الخطيب وغيره ، عن كريمة بنت أحمد<sup>(۹)</sup> ،

(۱) أحدهما : أحد الميزابين .

(۲) صحيح مسلم : ۱۸۰۱ (۳) صحيح مسلم : ۱۸۰۰

(۴) حديث عقبة في البخاري : ۷-۱۱۲ ، وحديث أنس في صحيح البخاري : ۵- ۴۱

(۵) ما بين القوسين أمامه في هامش ۱ : من غير الرواية . وقع في الأم في الطرة دون تعاليم

على موضع تخرج منه ، وكان في الطرة تمر يض على اسم سويد بن جبلة .

(۶) أي بكونه حبيب الله وخيله . والنخلة : الصداقة .

(۷) أي جرى على الألسنة تخصيصه صلى الله عليه وسلم بذلك دون خليل الله ، لإطلاقه

على إبراهيم عليه السلام . (۸) هذا الحديث مسند عن البخاري - صحيح البخاري : ۵- ۴، ۵

(۹) عليها علامة الصحة في ۱ ، وفي هامشه : مجد .

حدثنا أبو الهيثم ، وحدثنا حسين بن محمد الحافظ سماعاً عليه ، حدثنا القاضي أبو الوليد ، حدثنا عبد بن أحمد ، حدثنا أبو الهيثم ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل<sup>(۱)</sup> ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا أبو عامر ، حدثنا فليح ، حدثنا أبو النضر ، عن بسر بن سعيد ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال : لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر<sup>(۲)</sup> .

وفي حديث آخر<sup>(۳)</sup> : وإن صاحبكم<sup>(۴)</sup> خليل الله .

ومن طريق عبد الله بن مسعود : وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً .  
وعن ابن عباس<sup>(۵)</sup> ، قال : جلس ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه<sup>(۶)</sup> ؛ قال : فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون ؛ فسمع حديثهم ، فقال بعضهم : عجباً ! إن الله اتخذ من خلقه خليلاً ، اتخذ إبراهيم خليلاً .  
وقال آخر : ماذا بأعجب من كلام موسى ؛ كلمة الله تكليماً<sup>(۷)</sup> .  
وقال آخر : فعيسى كلمة<sup>(۸)</sup> الله وروحه .

(۱) هو الإمام البخاري صاحب الصحيح .

(۲) في نسيم الرياض : هذا حديث صحيح رواه البخاري وغيره من طرق متعددة .  
والعنى : لا أصل في محبة أحد من الخلق إلى مرتبة الخلقة ؛ فإنها مختصة بربي ، فلو فرض جعلها لأحد كان أبو بكر اليق بها من جميع الخلق لبذل نفسه وماله ووطنه وأهله في طاعته ؛ وهذا صريح في تفضيله على غيره وتقدمه عنده .

(۳) وسنن الترمذي : ۵ - ۶۰۶ (۴) يعني نفسه صلى الله عليه وسلم .

(۵) في رواية الدارمي ، والترمذي - سنن الترمذي : ۵ - ۵۸۷

(۶) ينتظرونه : أي ينتظرون خروجه من بيته لمجلس أصحابه .

(۷) أي ليس اتخذ الله إبراهيم خليلاً أعجب من كلام موسى حين ناجاه ربه في الدنيا وكلمه تكليماً ، مع أنه تعالى لم يكلم أنبياءه إلا بواسطة ملك الوحي .

(۸) سمى عيسى كلمة الله ؛ لأن الله خلقه من دون أب بمجرد قوله : كن . والمراد : إذا ذكرتم خليل الرحمن ، وكليمه ، وتمجبتهم من ذلك ، فاذا كروا عيسى وكونه كلمة الله وروحه .

وقال آخرُ : وآدمُ اصطفاهُ اللهُ .

فخرج عليهم فسلم ، وقال : قد سمعتُ كلامكم وعجببكم ؛ أن الله تعالى اتخذ إبراهيمَ خليلًا ، وهو كذلك <sup>(۱)</sup> ؛ وموسى نبيُّ <sup>(۲)</sup> اللهُ ، وهو كذلك <sup>(۳)</sup> ؛ وعيسى رُوحُ <sup>(۴)</sup> اللهُ ، وهو كذلك ؛ وآدمُ اصطفاهُ اللهُ ، وهو كذلك ؛ ألا وأنا حبيبُ <sup>(۵)</sup> اللهُ ولا فخر ؛ وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مُشفَعٍ ولا فخر ، وأنا أولُ مَنْ يحرُّكُ حلقَ الجنةِ فيفتحُ اللهُ لي فيدخلنيها ومعى فقراءُ المؤمنين ولا فخر ؛ وأنا أكرمُ الأولين والآخرين ولا فخر .

وفي حديث أبي هريرة <sup>(۶)</sup> رضى اللهُ عنه من قولِ اللهُ تعالى لنبيهِ صلى اللهُ عليه وسلم : إني اتخذتُكَ خليلًا ، فهو مكتوبٌ في التوراة : أسب <sup>(۷)</sup> حبيبُ الرحمن .

(۱) وهو كذلك : أى اتخذته خليلًا .

(۲) نبيُّ اللهُ بكليمه ، والمناجاة : المكالمة .

وضبطت الياء في كلمة « نبيُّ » بالضم والفتحة وعليها « معا » في ۱ .

(۳) وهو كذلك : أى هو نبيُّ اللهُ وكليمه .

(۴) في سنن الترمذى : وعيسى رُوحُ اللهُ وكلمته . وقد ضبطت الحاء في « رُوح »

بالضمة والفتحة وعليها « معا » في ۱ .

(۵) قرر أولاً ما ذكره من فضائلهم بقوله : هو كذلك ؛ ثم نبه على أنه أفضل منهم كلهم

بقوله : وأنا حبيبُ الرحمن .

(۶) رواه البيهقي ، وصححه .

(۷) في نسيم الرياض : هى لفظة عبرانية بمعنى أنت . ثم قال : وقيل : إن بعد السين تاء

مشناة فوقية ، ومعناها أنت . وقال القارى ( ۱ - ۴۴۸ ) : كذا فى نسخة صحيحة

من غير ضبط على هذه الصورة وهى ألف بعدها سين مهملة ثم جرة . وفى بعض النسخ

مكتوب بإزائها على الطرة : ذكر ابن جبير بخطه فى كتابه أن هذه اللفظة وقعت فى الأم

المبيضة بخط المؤلف كما هى هنا مبهمه ، فكيفيتها كما وقعت .

وفى ب : انبب محمد . وفى ا : انست حبيب الرحمن ، وقال فى هامش ا : است - كذا

وقعت هذه اللفظة فى طرة الأم المبيضة بخطه رحمه اللهُ مبهمه غير جاية خايتها كما وقعت ، قاله =

قال القاضي أبو الفضل<sup>(١)</sup> : اختلف في تفسير الخلة ، وأصل اشتقاقها ؛ فقيل : الخليل : المنقطع إلى الله<sup>(٢)</sup> الذي ليس في انقطاعه إليه ومحبة له اختلال<sup>(٣)</sup> .  
وقيل : الخليل المختص<sup>(٤)</sup> ، واختار هذا القول غير واحد .  
وقال بعضهم : أصل الخلة الاستصفاء<sup>(٥)</sup> : وسمى إبراهيم [٧١] خليل الله ؛ لأنه يوالي فيه ويؤادي فيه<sup>(٦)</sup> ؛ وخلة الله له نصره ، وجعله إماما<sup>(٧)</sup> لمن بعده .

وقيل : الخليل : أصله الفقير المحتاج المنقطع<sup>(٨)</sup> ، مأخوذ من الخلة وهي الحاجة ؛ فسمى بها إبراهيم ؛ لأنه قصر حاجته على ربه<sup>(٩)</sup> ، وانقطع إليه بهممه ، ولم يجعله

= ابن جعفر - نقلت من خطه . وفي هامش ب : كذا وقعت هذه اللفظة في طرة الام للبيضا في فكيت كما وقعت ، وهي بخط المصنف رحمه الله مهمة غير جلية . قال القارى ( ١ - ٤٤٨ ) : ولا يبعد أن يكون بالتاء الفوقية في آخر الكلمة ، وهي للربط في الجملة بالفارسية . وفي نسخة ضبط بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وضم الموحدة . وقيل : بفتح الهمزة وسكون السين وضم المثناة فوق ؛ أى أنت .

(١) هو المصنف .

(٢) المنقطع إلى الله : الذي قطع رجاءه واعتماده عما عدا الله .

(٣) اختلال : خال ونقص يحتاج إلى جبر وتكميل .

(٤) أى المختص بمن خالله ، وقال القارى ( ١ - ٤٤٨ ) : المختص ؛ أى بوصف الخلة ، سواء كان مشتقا من الخلة - بضم الخاء ، كما سبق ، أو من الخلة - بالفتح ، بمعنى الفقر والحاجة ، من الخلل ؛ إذ كل خليل محتاج إلى أن يسد خال صديقه .

(٥) الاستصفاء : أى كون محبته ومودته صافية ؛ أى خالصة .

(٦) الموالاة : المحبة : أى لا يحب إلا من أحبه الله من المؤمنين أهل الطاعة ، ولا يبغض

إلا أهل المعصية والضلال .

(٧) إماما : مقتدى به ، متبعا لجميع من بعده .

(٨) المنقطع : المنفرد .

(٩) قصر حاجته : أى لم يكن له حاجة إلا إلى ربه ؛ فلا يؤمل نفعا من غيره .

قَبْلَ غَيْرِهِ<sup>(۱)</sup> ؛ إِذْ جَاءَهُ جَبْرِيْلُ وَهُوَ فِي الْمَنْجَنِيْقِ<sup>(۲)</sup> ، لِيُرْمِيَ بِهِ فِي النَّارِ ، فَقَالَ : أَلَيْكَ حَاجَةٌ ؟ قَالَ : أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ فُورَكَ : الْخُلَّةُ : صِفَاءُ الْمُوَدَّةِ الَّتِي تَوْجِبُ الْاِخْتِصَاصَ بِتَخَلُّلِ الْأَسْرَارِ<sup>(۳)</sup> .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَصْلُ الْخُلَّةِ الْمَحَبَّةُ ؛ وَمَعْنَاهَا الْإِسْعَافُ ، وَالْإِلْطَافُ ، وَالتَّرْفِيعُ ، وَالتَّشْفِيعُ<sup>(۴)</sup> ؛ وَقَدْ بَيَّنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ تَعَالَى بِقَوْلِهِ<sup>(۵)</sup> : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ . فَأَوْجِبُ لِلْمَحْبُوبِ أَلَّا يُؤَاخِذَ بِذُنُوبِهِ .

قَالَ : هَذَا ، وَالْخُلَّةُ أَقْوَى مِنَ الْبِنُوَّةِ ؛ لِأَنَّ الْبِنُوَّةَ قَدْ تَكُونُ فِيهَا الْعِدَاوَةُ<sup>(۶)</sup> ، كَمَا قَالَ تَعَالَى<sup>(۷)</sup> : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ، وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

وَلَا يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ عِدَاوَةٌ مَعَ خُلَّةٍ<sup>(۸)</sup> ؛ فَإِذَا تَسَمَّيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

(۱) وَلَمْ يَجْعَلْهُ قَبْلَ غَيْرِهِ : لَمْ يَطْلُبْ شَيْئًا مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَمْ يُؤْمَلْهُ .

(۲) الْمَنْجَنِيْقُ - بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِهَا : آلَةٌ لِرَمْيِ الْعَدُوِّ ، وَهُوَ فَارِسِيٌّ مَعْرَبٌ .

(۳) تَخَلُّلِ الْأَسْرَارِ : دَخُولُهَا فِي بَاطِنِهَا لِاطْلَاعِهَا عَلَيْهَا وَعِلْمِهَا بِهَا ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِهَا .

(۴) الْإِسْعَافُ : الْإِعَانَةُ وَالنَّصْرَةُ وَالْإِمْدَادُ بِكُلِّ مَا أَرَادَ . وَالْإِلْطَافُ : الْإِنْعَامُ وَالْإِحْسَانُ .

وَالتَّرْفِيعُ : بِإِعْلَاءِ رَتْبَتِهِ بِالْكَلِمَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ . وَالتَّشْفِيعُ : بِإِذْنِهِ لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ وَقَبُولِهَا .

(۵) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ، آيَةٌ ۱۸

(۶) ضَبَطَتْ التَّاءُ فِي كَلِمَةِ « الْعِدَاوَةُ » بِالْفَتْحَةِ ، وَعَلَيْهَا عَلَامَةُ الصَّحَّةِ فِي أ .

(۷) سُورَةُ التَّغَابُنِ ، آيَةٌ ۱۴

(۸) لِأَنَّ الْخُلَّةَ ضِدُّ الْعِدَاوَةِ ، فَلَا يَجْتَمِعَانِ ، بِخِلَافِ الْبِنُوَّةِ فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ الْفِطْرَةَ تَتَّقِضِي

الْمَحَبَّةَ لَكِنْ قَدْ تَتَخَافُ لِعَارِضٍ .

بالخلة إِمَّا بانقطاعهما<sup>(١)</sup> إلى الله وَوَقَفَ حَوَائِجِهِمَا عَلَيْهِ ، وَالانقطاع عَمَّنْ دُونَهُ ،  
وَالإِضْرَابُ<sup>(٢)</sup> عَنِ الْوَسَائِلِ وَالْأَسْبَابِ ؛ أَوْ لَزِيذَةَ الْإِخْتِصَاصِ مِنْهُ تَعَالَى لَهَا<sup>(٣)</sup> ،  
وَخَفِي<sup>(٤)</sup> أَلْطَافِهِ عِنْدَهُمَا ، وَمَا خَالَ<sup>(٥)</sup> بِوَاطِنِهِمَا مِنْ أَسْرَارِ الْإِهْيَتَةِ ، وَمَكْنُونِ غُيُوبِهِ  
وَمَعْرِفَتِهِ ، أَوْ لاسْتِصْفَاءِهِ<sup>(٦)</sup> لَهَا ، وَاسْتِصْفَاءِ قُلُوبِهِمَا عَمَّنْ سِوَاهُ<sup>(٧)</sup> ، حَتَّى لَمْ يُخَالِلْهُمَا<sup>(٨)</sup>  
حَبٌّ لغيره ؛ وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ : الْخَلِيلُ مَنْ لَا يَتَّسِعُ قَلْبُهُ لِسِوَاهُ<sup>(٩)</sup> وَهُوَ عِنْدَهُمْ مَعْنَى  
قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(١٠)</sup> : وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ؛ لَكِنَّ  
أَخُوَّةَ الْإِسْلَامِ .

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ وَأَرْبَابُ الْقُلُوبِ<sup>(١١)</sup> : أَيُّهُمَا أَرْفَعُ دَرَجَةً : الْخُلَّةُ ، أَوْ دَرَجَةُ الْمَحَبَّةِ ؟  
فَجَعَلَهُمَا بَعْضُهُمْ سِوَاءً ؛ فَلَا يَكُونُ الْحَبِيبُ إِلَّا خَلِيلًا ، وَلَا الْخَلِيلُ إِلَّا حَبِيبًا ؛ لَكِنَّهُ  
خَصَّ إِبْرَاهِيمَ بِالْخُلَّةِ ، وَمُحَمَّدًا بِالْمَحَبَّةِ .

وَبَعْضُهُمْ قَالَ : دَرَجَةُ الْخُلَّةِ أَرْفَعُ ؛ وَاحْتَجَّ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(١٠)</sup> :  
لَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ . فَلَمْ يَتَّخِذْهُ .

(١) هذا على أن معنى الخلة : الحاجة .

(٢) الإضراب : الإعراض والترك .

(٣) وهذا على أن معنى الخلة : المحبة .

(٤) في ا : وحفي - بالحاء المهملة . وفي ب : وحفي ، وخفي : أي بالحاء المهملة ، والخاء  
المعجمة ، وعليها « معا » . وخفي - بالخاء : مستور . وحفي - بالحاء : زيادة مبالغة في إكرامه .

(٥) خال : تخال وداخل ، وخالط .

(٦) استصفائه : اختياره لهما من دون خلقه وجعلهما صفوة له حتى يستحقا وصف الخلة .

(٧) بحيث لا يكون فيها غير معرفته وحببه . (٨) يخالها : يدخل في خالها .

(٩) لا متلأه بمحبته ومشاهدة جلاله ، بحيث لا يبقى في قلبه سواه ، وسوى مراقبته .

(١٠) في حديث البخاري - كما تقدم . صفحة ٢٨٠ .

(١١) أرباب القلوب : أصحاب القلوب الكامة الصافية .

وقد أطلق المحبة لفاطمة ، وابنيها<sup>(١)</sup> ، وأسامة وغيرهم<sup>(٢)</sup> .  
 وأكثرهم جعل المحبة أرفع من الخلة ؛ لأن درجة الحبيب [ نبينا ]<sup>(٣)</sup> أرفع  
 من درجة الخليل إبراهيم<sup>(٤)</sup> .  
 وأصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحب ؛ ولكن هذا في حق من يصح الميل  
 منه والانتفاع بالوفق<sup>(٥)</sup> ؛ وهي درجة المخلوق ؛ فأما الخالق - جل جلاله - فنزهة  
 عن الأغراض ؛ فحبه لعبده تمكينه من سعادته<sup>(٦)</sup> ، وعصمته وتوفيقه وتهيئته  
 أسباب القرب<sup>(٧)</sup> ، وإفاضة رحمته<sup>(٨)</sup> عليه ؛ وقصاها<sup>(٩)</sup> كشف الحجب عن قلبه  
 حتى يراه بقلبه<sup>(١٠)</sup> ، وينظر إليه ببصيرته ؛ فيكون كما قال في الحديث : فإذا أحببته  
 كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به<sup>(١١)</sup> .

- (١) وابنيها : الحسن والحسين .  
 (٢) في ا : وغيرها . وفي هامشه : وغيرهم ، وعليها علامة الصحة .  
 (٣) ليس في ا .  
 (٤) فيقتضى أن صفته - وهي المحبة - أفضل من صفة إبراهيم ، وهي الخلة .  
 (٥) الوفق : الموافقة . وفي ضبطت الواو بالضممة . ولم أقف عليه .  
 (٦) تمكينه من سعادته : إقداره على ما يفيد سعادة الدارين بتوفيقه لطاعته وعبادته .  
 (٧) وعصمته : من ارتكاب الذنوب . وتوفيقه : في أموره بجمالها على وفق رضاه .  
 وتهيئة أسباب القرب : ييسر له كل سبب يقربه إلى ربه من صلاة وجهاد ومعرفة .  
 (٨) إفاضة رحمته عليه : إيصال للخيرات الدنيوية والأخروية اتصالا كثيرا متواليا .  
 (٩) قصاها : غايتها .  
 (١٠) يراه بقلبه : يعلمه علما يقينيا كالمشاهدة المحسوسة .  
 (١١) هذا حديث قدسي رواه البخاري : صحيح البخاري : ٨ - ١٣١ ، ومعناه : إذا  
 صفي قلبه ، وشغل نفسه بالله أحبه الله ؛ ومحبة الله : عنايته ولطفه به ، وإفاضة نعمه على ظاهره  
 وباطنه ، فتكون حواسه وإدراكها ، وأعضاؤه وحركاتها ، كلها متوجهة لله ، ولما فيه رضاه ،  
 من غير تصنع ومشقة ؛ فيقويه على ذلك ؛ حتى كأن أفعالها صادرة عن الله .

ولا ينبغي أن يفهم من هذا سوى التجرد لله<sup>(۱)</sup>، والانقطاع إلى الله، والإعراض عن غير الله، وصفاء القلب لله، وإخلاص الحركات لله<sup>(۲)</sup>، كما قالت عائشة رضي الله عنها: كان خلقه<sup>(۳)</sup> القرآن؛ برضاه برضى، وبسخطه بسخط<sup>(۴)</sup>؛ ومن هذا عبر بعضهم عن الخلّة بقوله:

قد تخلّت مسلك الروح مني وبذا سُمّي الخليل خليلاً

فإذا ما نطقتُ كنتُ حديثي وإذا ما سكّنتُ كنتُ الغليلاً<sup>(۵)</sup>

[۷۲] فإذا مزية الخلّة، وخصوصية المحبة حاصلّة لنا صلّى الله عليه وسلم بما دلّت

عليه الآثار الصحيحة المنتشرة<sup>(۶)</sup>؛ المتلقاة بالقبول من الأمة، وكفى بقوله تعالى<sup>(۷)</sup>:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ

رَحِيمٌ﴾

حكى أهل التفسير أن هذه الآية لما نزلت قال الكفار: إنما يريد محمد أن

(۱) التجرد لله: أي تجريد أفعاله وإحساسه عما يشغله عن الله.

(۲) وإخلاص الحركات لله: ألا يحرك عضواً من أعضائه إلا لعبادته، أو لما يعين عليها.

(۳) أي كانت أخلاقه كلها على وفق ما أمر به في القرآن.

(۴) بسخطه بسخط: أي يكره ما ذكر فيه أن الله يكرهه.

(۵) في نسيم الرياض: وفي رواية: كنت الدخيل. قال: المراد بالغليل ما كان داخل

القاب، من قولهم: تغفل المَاء بين النبات، إذا جرى تحتها مستتراً. والمراد بالدخيل:

ما هو داخل القلب والبدن، لا الأجنبي.

(۶) المنتشرة: الشائعة المشهورة.

(۷) سورة آل عمران، آية ۳۱.

قال في نسيم الرياض (۲ - ۳۶۴): ووجه الدلالة في هذه الآية أنه لما جعل من اتبعه

محبوباً لله علم أنه محبوب عند الله محبة ليس فوقها محبة، ومقرب تقرباً لا يبدانيه أحد؛ فعلم

منه خلته وجهه.



نَتَّخِذُهُ حَنَانًا<sup>(۱)</sup> كما اتخذت للنصارى عيسى بن مريم؛ فأنزل الله - غَيْظًا<sup>(۲)</sup> لهم ،  
وَرَغْمًا<sup>(۳)</sup> على مَقَالَتِهِمْ هذه الآية<sup>(۴)</sup> : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ ، فزاده شرفاً  
بأمرهم بطاعته ، وقرنها بطاعته ، ثم توعدهم على التَّوَلَّى<sup>(۵)</sup> عنه بقوله<sup>(۶)</sup> : ﴿ فَإِنْ  
تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ .

وقد نقل الإمام أبو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاماً في الفرق بين  
المحبة والنخلة بطول<sup>(۷)</sup> ، جملة إشاراتِهِ إلى تفضيل مقام المحبة على النخلة ؛ ونحن نذكر  
منه طرفاً<sup>(۸)</sup> يهْدِي إلى ما بعده :

فمن ذلك قولهم : الخليلُ يَصِلُ بالواسطة<sup>(۹)</sup> ، من قوله تعالى<sup>(۱۰)</sup> : ﴿ وَكَذَلِكَ  
نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكَوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ . والحبيبُ  
يَصِلُ لحبيبه<sup>(۱۱)</sup> به ، من قوله<sup>(۱۲)</sup> : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ .

(۱) حنانا : رحمة . والمراد : أن نعطف عليه ونجمله موضع الحنان والرحمة ؛ أى نتبرك  
به وتنضرع .

(۲) غيظاً لهم : أى لينغيظهم ويعلمهم بنضبه عليهم .

(۳) رغماً : الرغم : النذل والحزى والإساءة ، والمراد أذلم بتوبيخهم ورد مقالتهم هذه .

(۴) سورة آل عمران ، آية ۳۲

(۵) التولى عنه : الإعراض عن طاعته .

(۶) سورة آل عمران ، آية ۳۲

(۷) فى هامش ب : ترجع . (۸) طرفاً : بعضاً قليلاً .

(۹) بالواسطة : بتوسط آخر بينه وبين خليله .

(۱۰) سورة الأنعام ، آية ۷۵

(۱۱) أى بذاته من غير واسطة . وفى هامش ا : إليه به . والمثبت فى ا عليه علامة الصحة .

(۱۲) سورة النجم ، آية ۹

وقيل : الخليل : الذي تكون مغفرته في حد الطمع<sup>(۱)</sup> ، من قوله<sup>(۲)</sup> : ﴿ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾ . والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين<sup>(۳)</sup> ، من قوله<sup>(۴)</sup> : ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويؤتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ﴾ .

والخليل قال<sup>(۵)</sup> : ﴿ ولا تخزني يوم يُبعثون ﴾ . والحبيب قيل له<sup>(۶)</sup> : ﴿ يوم لا يخزي الله النبي ﴾ ؛ فابتدىء بالبشارة قبل السؤال<sup>(۷)</sup> .

والخليل قال في المحنة<sup>(۸)</sup> : ﴿ حسبي الله ﴾ . والحبيب قيل له<sup>(۹)</sup> : ﴿ يا أيها النبي حسبك الله ﴾ .

والخليل قال<sup>(۱۱)</sup> : ﴿ اجعل لي لسان صدق في الآخرين ﴾ . والحبيب قيل له<sup>(۱۲)</sup> : ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ ، أعطى بلا سؤال .

(۱) مغفرته : أي مغفرة الله له ما قد يصدر عنه محتاجا إلى عفو عنه - واقعة في حال يطمع صاحبها في التجاوز عنها ؛ لأن الخليل لا يؤاخذ خليله بزلاته .

(۲) سورة الشعراء ، آية ۸۲ (۳) في حد اليقين : مستيقنة .

(۴) سورة الفتح ، آية ۳

(۵) سورة الشعراء ، آية ۸۷ ، والخليل : إبراهيم . وسيأتي : والحبيب : محمد .

(۶) سورة التحريم ، آية ۸

(۷) ابتدىء بالبشارة بنبي الحزبي عنه برؤية ما يكره قبل سؤاله لذلك .

(۸) المحنة : الابتلاء ، والمراد بذلك قصته مع نمرود حين ألقاه في النار ، فكانت برده

وسلاما .

(۹) سورة الزمر ، آية ۳۸

(۱۰) سورة الأنفال ، آية ۶۴

(۱۱) سورة الشعراء ، آية ۸۴

(۱۲) سورة الشرح ، آية ۴

والخليل قال (١) : ﴿ وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ . والحبيب قيل له (٢) :  
﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ .  
وفيما ذكرناه (٣) تنبيهه على مقصد أصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات (٤)  
والأحوال ؛ وكلُّ يعمل على شاكلته (٥) ؛ فرُبُّكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا .

## فصل

في تفضيله بالشفاعة والمقام (٦) المحمود

قال الله تعالى (٧) : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ .  
أخبرنا الشيخ أبو علي القسائي الجبائي (٨) فيما كتب إلى بخطه ، حدثنا سراج  
ابن عبد الله القاضي ، حدثنا أبو محمد الأصيلي ، حدثنا أبو زيد ، وأبو أحمد ؛ قالوا :  
حدثنا محمد بن يوسف ؛ قال : حدثنا محمد بن إسماعيل ؛ قال : حدثنا إسماعيل بن أبان ،  
حدثنا أبو الأحوص ، عن آدم بن علي ؛ قال : سمعت ابن عمر يقول (٩) : إن الناس

(١) سورة إبراهيم ، آية ٣٥ (٢) سورة الأحزاب ، آية ٣٣

(٣) وفيما ذكرنا : من تفسير الحجة والحلة واشتقاقهما والخلاف في أيهما أرفع درجة . . .

(٤) المراد بالمقام هنا أمر يكون عليه العارف بالله تعالى من الأنبياء والأولياء يرتفع به

من حضيض البشرية في درجات العبودية حتى يرقى المقام الأعلى .

(٥) كل يعمل على شاكلته : لسكل أحد طريقة مختارها .

(٦) المراد بالمقام المحمود : كل مقام يتضمن كرامة محمد .

(٧) سورة الإسراء ، آية ٧٩ (٨) في ١ : حدثنا الجبائي .

(٩) هذا الحديث رواه البخاري موقوفا على ابن عمر : وحديث الشفاعة في صحيح

البخاري : ٩ - ١٤٩ ، وصحيح مسلم : ١٨٠ ، وابن ماجه : ١٤٤٠ ، والترمذي : ٤ - ٦٢٨

وأبو داود : ٢ - ٢١٦

وانظر هذه الأحاديث وغيرها في تفسير ابن كثير : ٥ - ٩٨ ، وما بعدها .

يصيرون يوم القيامة جُنِي (١) ، كلُّ أمةٍ تَتَّبِعُ نَبِيَّهَا ، يقولون : يا فلانُ ، اشفعْ لنا ؛  
يا فلانُ اشفعْ لنا (٢) ، حتى تنتهي الشفاعةُ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه  
اللهُ المقامَ المحمود .

وعن أبي هريرة : سُئِلَ عنها (٣) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - يعني قوله (٤) :  
عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ، فقال : هي الشفاعة (٥) .

وروى كعبُ بن (٦) مالك ، عنه صلى الله عليه وسلم : يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ وَيَكْسُونِي رَبِّي حِلَّةً خَضْرَاءَ ، ثُمَّ يُؤْذَنُ لِي فَأَقُولُ مَا شَاءَ  
اللَّهُ أَنْ أَقُولَ ؛ فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ .

وعن ابن عمر [ ٧٣ ] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وذكر حديثَ الشفاعةِ - قال : فَيَمُتُّنِي  
حَتَّى يَأْخُذَ بِحِلْمَةِ الْجَنَّةِ ، فَيَوْمِئِذٍ يَبْعَثُهُ اللهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي وَعَدَهُ (٨) .  
وعن ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم أنه (٩) قِيَامُهُ عَنِ الْيَمِينِ الْعَرْشِ مَقَامًا  
لَا يَقُومُهُ غَيْرُهُ ، يَغِيْبُهُ (١٠) فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ .

(١) بضم الجيم - مقصور منون . وجوز كسر جيمه أيضا : جمع جنوة ( مثلث الأول ) ،  
وأصله الكوم المجتمع من تراب ونحود ؛ والمراد يجتمعون جماعات ، كل أمة جماعة تابعة لنبيها .  
(٢) أى تنادى كل أمة نبيها باسمه ، يسألونه أن يشفع لهم عند ربهم فى الخلاص من  
هول الموقف .  
(٣) عنها : عن الآية المذكورة .

(٤) سورة الإسراء ، آية ٧٩ (٥) هذا الحديث رواه أحمد ، والبيهقى .

(٦) هذا الحديث رواه أحمد بن حنبل مسندا ( ٣ - ٤٥٦ ) .

(٧) يؤذن لى : يأذن الله لى فى التسكلم بين يديه .

(٨) الذى وعده به فى القرآن فى قوله تعالى : « عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » .

(٩) أنه : أى المقام المحمود . ورواه أحمد .

(١٠) الغيبة : تمنى المرء أن ينال مثل ما رآه عند غيره من النعم ، وكل أمر محمود ، من

غير أن يحب زوالها ؛ فإن أحب زوالها فهو الحسد المذموم .

وَنَحْوَهُ عَنِ كَعْبٍ وَالْحَسَنِ .

وفي رواية : هو <sup>(۱)</sup> المقام الذي أشفع لأمتي فيه .

وعن ابن مسعود <sup>(۲)</sup> ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لقائم المقام المحمود . قيل : وما هو ؟ قال : ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى [ على كرسية ] <sup>(۳)</sup> . . . الحديث .

وعن أبي موسى رضي الله عنه <sup>(۴)</sup> ، عنه صلى الله عليه وسلم : خيِّرتُ بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترتُ الشفاعة ؛ لأنها أعم <sup>(۵)</sup> ؛ أترونها <sup>(۶)</sup> للمتقين ؟ لا ، ولكنها للمذنبين الخطائين <sup>(۷)</sup> .

وعن أبي هريرة <sup>(۸)</sup> رضي الله عنه ؛ قال : قلتُ : يا رسول الله ؛ ماذا ورد <sup>(۹)</sup> عليك في الشفاعة ؟ فقال : شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مُخلصاً ، يصدق لسانه قلبه .

وعن أم حبيبة <sup>(۱۰)</sup> ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أريتُ <sup>(۱۱)</sup> ما تلقى أمتي من بعدى ، وسفك <sup>(۱۲)</sup> بعضهم دماء بعض ، وسبق لهم من الله ما سبق للأمم قبلهم ؛ فسألتُ الله أن يوثقني شفاعة يوم القيامة فيهم ، ففعل <sup>(۱۳)</sup> .

(۱) هو : أي المقام المحمود . (۲) في حديث رواه أحمد في مسنده .

(۳) ليس في ب . (۴) هذا الحديث رواه ابن ماجه في سننه : ۱۴۴۱

(۵) في سنن ابن ماجه : لأنها أعم وأكفى .

(۶) أترونها : أظنون الشفاعة خاصة للمتقين .

(۷) في ابن ماجه : الخطائين للتلوئين . (۸) في حديث صحيح رواه الحاكم ، والبيهقي .

(۹) ماذا ورد عليك : ورد جاء . أي ما أجابك به الله ، أو الملك ، لما سأله الشفاعة في

أمتك ؟ وفي شرح القاري ( ۱ - ۴۶۰ ) : ماذا ورد ؛ من الورد ، أي نزل .

(۱۰) في حديث رواه الحاكم ، والبيهقي .

(۱۱) أريت : أعلمني الله ، وأخبرني بواسطة الملك . (۱۲) سفك الدم : إراقته وصبه .

(۱۳) ففعل : أي أعطاه الله تعالى ما سأله فشفعه في المذنبين منهم .

وقال حذيفة<sup>(١)</sup> : يجمعُ اللهُ الناسَ في صعيدٍ واحدٍ<sup>(٢)</sup> حيثُ يُسمعهم الداعي ،  
وَيُنْفِذهم البصرَ ، حُفَاةَ عُرَاةٍ كما خُلِقُوا ، سُكُوتًا لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَيُنَادِي  
مُحَمَّدٌ فيقولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ<sup>(٣)</sup> ، وَالتَّخَيْرُ في يَدَيْكَ ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ ، وَالْمُهْتَدِي  
مَنْ هَدَيْتَ ، وَعَبْدُكَ<sup>(٤)</sup> بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَلَكَ وَإِلَيْكَ<sup>(٥)</sup> ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ  
إِلَّا إِلَيْكَ ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ<sup>(٦)</sup> ، سُبْحَانَكَ رَبَّ الْبَيْتِ - قال : فَذلكَ المَقَامُ المَحْمُودُ  
الَّذِي ذَكَرَ اللهُ .

وقال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : إِذَا دَخَلَ أَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ،  
فَتَبَقِيَ آخِرُ زُمْرَةٍ<sup>(٧)</sup> مِنَ الْجَنَّةِ وَآخِرُ زُمْرَةٍ مِنَ النَّارِ ؛ فَتَقُولُ زُمْرَةُ النَّارِ لَزُمْرَةِ الْجَنَّةِ :  
مَا نَفَعَكُمُ إِيمَانُكُمْ ، فَيَدْعُونَ رَبَّهُمْ وَيَضْجُونَ<sup>(٨)</sup> ، فَيَسْمَعُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَيَسْأَلُونَ  
آدَمَ وَغَيْرَهُ بَعْدَهُ فِي الشَّفَاعَةِ لَهُمْ ؛ فَكُلٌّ يَعْتَذِرُ حَتَّى يَأْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،  
فَيَسْفَعُ لَهُمْ ، فَذلكَ المَقَامُ المَحْمُودُ<sup>(٩)</sup> .

وَنَحْوَهُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَيْضًا ، وَبِجَاهِدٍ .

وَذَكَرَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) في حديث رواه البيهقي ، والنسائي .

(٢) في صعيد واحد : في مكان يجتمعون فيه غير متفرقين . وأصل معنى للصعيد : التراب ؛

فأريد به هنا أرض المحشر .

(٣) أي أجبته بعد إجابة ، وأسألك بطاعتك لك ، وأنا مقيم على ذلك لأنصرف عنه .

(٤) وعبدك : يريد نفسه الشريفة .

(٥) ولك وإليك : أي أمره كله لك ، فإنه عبدك ، وأمره موكل إليك .

(٦) تباركت وتعاليت : أكثر خيرا وزادا عن كل شيء ، وعلا قدرك في ذاتك وصفاتك ،

وتنزهت عما لا يليق بك . (٧) الزمرة : الجماعة القليلة .

(٨) وبضجون : ويرفعون أصواتهم فزعوا مما لحقهم من تعيير أهل النار لهم .

(٩) هذا الحديث موقوف على ابن عباس .

وقال جابر بن عبد الله ليزيدَ الفقير<sup>(١)</sup> : سَمِعْتُ بِمَقَامِ<sup>(٢)</sup> مُحَمَّدٍ - يَعْضِي الَّذِي يَبْعَثُهُ اللهُ فِيهِ ؟

قلتُ : نعم . قال : فإنه مَقَامُ مُحَمَّدِ الْمُحْمُودِ الَّذِي يُخْرِجُ اللهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ - يَعْنِي مِنَ النَّارِ - وَذَكَرَ<sup>(٣)</sup> حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ فِي إِخْرَاجِ الْجَهَنَّمِيِّينَ<sup>(٤)</sup> .

وعن أنس نحوه ، وقال : فهذا المَقَامُ الْمُحْمُودُ الَّذِي وَعِدَهُ .

[ وعن سلمان : المَقَامُ الْمُحْمُودُ هُوَ الشَّفَاعَةُ فِي أُمَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

ومثله عن أبي هريرة رضى الله عنه .

وقال قتادة : كان أهلُ العِلْمِ يَرَوْنَ المَقَامَ الْمُحْمُودَ هُوَ شَفَاعَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ وَعَلَى

أَنَّ المَقَامَ<sup>(٥)</sup> الْمُحْمُودَ مَقَامُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِلشَّفَاعَةِ مَذَاهِبُ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَعَامَّةُ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ .

وبذلك جاءت الشَّفَاعَةُ مُفَسَّرَةً فِي صَحِيحِ الْأَخْبَارِ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ؛

وَجَاءَتْ مَقَالَةٌ فِي تَفْسِيرِهَا شَاذَّةٌ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ<sup>(٦)</sup> ، يَجِبُ أَلَّا تُثَبَّتَ ؛ إِذَا لَمْ يَعْضِدْهَا صَحِيحُ أَثَرٍ ، وَلَا سَنَدَ نَظَرٍ .

ولو صحَّتْ لكان لها تأويلٌ غيرُ مُسْتَنَكِرٍ ؛ لَكِنْ مَا فَتَّرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَحِيحِ الْأَثَارِ يَرُدُّهُ ؛ فَلَا يَجِبُ أَنْ يُلْتَفَتَ إِلَيْهِ ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ

(١) هذا الحديث رواه مسلم : صحيح مسلم : ١٧٩

(٢) سمعت : أى رويت فيه شيئاً يفسره . ورواية مسلم : هل سمعت ؟

(٣) وذكر : أى جابر . والحديث بتمامه فى مسلم : ١٧٩

(٤) المنسوبون للجهنم ؛ لأنهم المؤمنون الذين دخلوا النار بما صيهم . وهذا بعض الحديث

الذى رواه مسلم كما تقدم .

(٥) وعلى أن المَقَامَ الْمُحْمُودَ : أى وكانوا على أن المَقَامَ الْمُحْمُودَ . . .

(٦) وهو مجاهد ؛ يقول : إنه يجلسه معه على العرش .

في كتاب ولا سنة ، ولا اتفق على المقال أمة ؛ وفي إطلاق ظاهره منكر من القول  
وشنعة [١] .

وفي رواية أنس وأبي هريرة وغيرهما (٢) ، دخل حديث بعضهم في حديث بعض :  
قال صلى الله عليه وسلم : يجمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة فيهتمون (٣) -  
أو قال : فيأهمون ؛ فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا (٤) .

ومن طريق آخر ، عنه : ماج (٥) الناس بعضهم في بعض .

وعن أبي هريرة (٦) : وتدنو الشمس (٧) ، فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون  
ولا يحتملون ؛ فيقولون : ألا تنظرون من يشفع لكم ؛ فيأتون آدم فيقولون ؛  
زاد بعضهم : أنت آدم أبو البشر ، خلقك الله بيده (٨) ، ونفخ فيك من روحه ،  
وأسكنك الجنة ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ، اشفع لنا عند  
ربك حتى يريحنا من مكاننا (٩) ؛ ألا ترى [٧٤] ما نحن فيه ؟

(١) ما بين القوسين ليس في ١ ، وهو في هامش ب ، وعليه علامة الصحة ، وقد أثبت  
هذه الزيادة القارى في شرحه أيضا : ١ - ٤٦٣

(٢) في حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : وصحيح البخارى : ٩ - ١٤٩ ، وابن  
ماجه : ١٤٤٢

(٣) فيهتمون : من الهم والحزن ، أو من العزم والتصميم . ويأهمون : من الإلهام ؛ أى  
ينهمهم الله سؤال ذلك .

(٤) لو استشفعنا إلى ربنا : لو طلبنا من يشفع لنا عند الله في أن يخلصنا من هول هذا  
الموقف وشدة - وهذا ما تمنوه .

(٥) ماج الناس بعضهم في بعض : دخل بعضهم في بعض واختلطوا لاضطرابهم .

(٦) في حديث الشفاعة الذى رواه الشيخان : صحيح البخارى : ٩ - ١٤٩ ، وصحيح

مسلم : ١٨٠ (٧) تدنو الشمس : تقرب من رؤوس أهل الموقف . وفي ١ : فتدنو .

(٨) بيده : أى أوجدك من العدم بقدرته من غير واسطة أم ولا أب .

(٩) من مكاننا : مكانهم هو المحشر .



فَيَقُولُ : إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضِبًا لَمْ يَغْضَبْ مِثْلَهُ <sup>(۱)</sup> ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ،  
 وَنَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُ ؛ نَفْسِي ، نَفْسِي ؛ اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ .  
 فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ : أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ <sup>(۲)</sup>  
 عَبْدًا شَكُورًا ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؛ أَلَا تَرَى مَا بَلَّغْنَا <sup>(۳)</sup> ! أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى  
 رَبِّكَ ؟ فَيَقُولُ : إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضِبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ  
 مِثْلَهُ ، نَفْسِي ! نَفْسِي !

قال - في رواية أنس : ويذكر خطيئته التي أصاب <sup>(۴)</sup> : سؤاله ربه بغير علم <sup>(۵)</sup> .  
 وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه : وقد كانت لي دعوةٌ دعوتها على قومي ؛  
 اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي . اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ؛ فَإِنَّهُ خَلِيلُ اللَّهِ .  
 فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ <sup>(۶)</sup> ، اشفع  
 لنا إلى ربك ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟  
 فَيَقُولُ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضِبًا . . . فذكر مثله ؛ ويذكر ثلاثاً

(۱) أي أظهر شدة غضبه وسخطه على من عصاه ، مريدا إيقاع العذاب الذي في الآخرة  
 بإدخالهم النار؛ وهذا لم يكن قبل يوم القيامة ولا بعده؛ فلهذا خاف آدم عليه السلام، وقال: ونهاني...  
 (۲) في الآية ۳ من سورة الإسراء: « ذرية من حملنا مع نوح ، إنه كان عبدا شكورا » .  
 على الأصح من أن الضمير راجع إلى نوح . (۳) ما بلغنا : ما وصل إلينا منه .  
 (۴) الأنبياء عليهم السلام معصومون ، ولكن لشدة تعظيمهم لله ، وخوفهم منه ،  
 يمدون ما صدر منهم نسيانا وسهوا ذنبا عظيما ، والمراد بخطيئته ما فسره بقوله: سؤاله ربه...  
 (۵) سؤاله هو قوله : « رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق . . . » .  
 (۶) وخليته من أهل الأرض : أي انفردت من بينهم بالخلقة - كما تقدم .

کلمات کذبہن<sup>(۱)</sup> . نفسی ، نفسی ، لستُ لها<sup>(۲)</sup> ، ولکن علیکم بموسیٰ ؛ فإنه  
کَلِیمُ اللّٰهِ .

وفی روایۃ : فإنه عَبْدُ آتَاهُ اللّٰهُ التَّوْرَةَ ، وَکَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِیًّا<sup>(۳)</sup> .  
قال : فِیَاتُونَ مُوسَىٰ ؛ فِیَقُولُ : لَسْتُ لَهَا ، وَیَذْکُرُ خَطِیئَتَهُ الَّتِیْ أَصَابَ<sup>(۴)</sup> ،  
وَقَتَّلَهُ<sup>(۵)</sup> النَّفْسَ ، نَفْسِی ، نَفْسِی ؛ وَلَکِنْ عَلَیْکُمْ بِعِیْسَىٰ ؛ فَإِنَّهُ رُوحُ اللّٰهِ وَکَلِمَتُهُ .  
فِیَاتُونَ عِیْسَىٰ ؛ فِیَقُولُ : لَسْتُ لَهَا ، وَلَکِنْ عَلَیْکُمْ بِحَمْدِ ، عَبْدِ غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ  
مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ<sup>(۶)</sup> .  
فَأَوْتَى<sup>(۷)</sup> ، فَأَقُولُ : أَنَا لَهَا<sup>(۸)</sup> .

فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَىٰ رَبِّی ، فِیُؤْذَنُ لِی ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا .  
وفی روایۃ ، فَأَتِیْتُ تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَأَخِرْتُ سَاجِدًا .

(۱) هی قولہ : إني سقیم - لمادعی إلى الخروج مع قومه . وقوله لزوجته - لما طلبها الملك  
منه : إنها أختی . ولقوله فی حق الأصنام : لعله کبیرهم . وهذا کله مخالف للواقع ولاعتقاده .  
وهی فی الصورة کذبات ، فقد أراد بقوله : إني سقیم : سأسقم ؛ لأن من عاش یسقم أو یهرم  
ویموت . وقوله أختی : أختی فی الإسلام . وبقوله : لعله کبیرهم : التبکیت ، بدلیل قوله : إن كانوا  
ینطقون .

- (۲) لست لها : لست أهلاً للشفاعة لغيری .  
(۳) قربه نجياً : أى جملة قریباً منه ، مناجیاً له ، ومخاطباً . والقرب لیس مکانیاً .  
(۴) هی التي وقعت منه وعاتبه الله علیها بقوله : « وما أعجلک عن قومک یاموسىٰ ! »  
(۵) هو القبطی الذی استغاثه الإسرائیلی علیہ فوکره موسیٰ فمات .  
(۶) غفر الله له کل ما صدر منه مما يعاتب علیه ، وإن لم یکن معصیة ؛ لعصمته من الذنوب .  
ومن كان كذلك فهو جدير بقبول الشفاعة منه .  
(۷) فأوتى : فیاتینی أهل الموقف لسؤال الشفاعة لهم .  
(۸) أنا لها : أنا أهل للشفاعة ، مدخر لها .

وفي رواية : فأقوم بين يديه ، فأحمده بمحامد لا أقدر عليها<sup>(١)</sup> إلا أن يُلهمنيها الله<sup>(٢)</sup> .

وفي رواية : فيفتح الله عليّ من محامده ، وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحهُ عليّ أحدٍ قبلي<sup>(٣)</sup> .

قال - في رواية أبي هريرة : فيقال : يا محمدُ ، ارفع رأسك ، سل<sup>(٤)</sup> ، تُعطه ، واشفعْ تشفعْ ؛ فأرفعُ رأسي ، فأقول : يارب ، أمتي<sup>(٥)</sup> ؛ يارب ، أمتي . فيقول : أدخل من أمتك من لا حسابَ عليه<sup>(٦)</sup> من الباب الأيمن من أبواب الجنة ؛ وهم شركاء الناس فيما سيوي ذلك من الأبواب .

ولم يذكر في رواية أنس هذا الفصل ، وقال - مكانه : ثم أخيراً ساجداً؛ فيقال لي : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقلْ يُسمع لك ، واشفعْ تشفعْ ، وسلْ تُعطه . فأقول : يارب ، أمتي ، أمتي . فيقال : انطلق<sup>(٧)</sup> ، فمن كان في قلبه مثقالُ حبةٍ من برّةٍ أو شعيرةٍ من إيمان<sup>(٨)</sup> فأخرجهُ ، فأنطلقُ فأفعلُ .

ثم أرجعُ إلى ربي ، فأحمده بتلك المحامد<sup>(٩)</sup> . . . وذكر مثل الأول ؛ وقال

- 
- (١) لا أقدر عليها : أي لا أحسنها ، ولا أعرف كيفيتها في الدنيا .  
 (٢) إلا أن يُلهمنيها الله : أي إلا أن يوقعها الله في قلبي بإلهام منه .  
 (٣) المراد أنه لم يقميس لغيره من الرسل قبله ولا بعده .  
 (٤) سل : اسأل ما شئت من الشفاعة وغيرها .  
 (٥) أي ارحم أمتي ، أو أبع أمتي .  
 (٦) من لا حساب عليه : أي خواص أمتك المتقين الذين لا ذنب لهم يحاسبون بسببه .  
 (٧) انطلق : اذهب من مقام الشفاعة المقرب . . .  
 (٨) مثقال : موازن ، مواز ، ومقابل ، مقدار ؛ أي من كان في قلبه أقل قليل من الإيمان والبرّة : حبة من البر ، وهو القمح .  
 (٩) بتلك المحامد التي ألهمتها .

فيه : مثقال حبة من خردل<sup>(١)</sup> . قال : فأفعل ، ثم أرجع ... وذَكَرَ مِثْلَ مَا تَقَدَّمَ ،  
وقال فيه<sup>(٢)</sup> : مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أُذُنِي أُذُنِي أُذُنِي<sup>(٣)</sup> مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ؛  
فَأَفْعَلُ .

وذَكَرَ فِي الْمَرَّةِ الرَّابِعَةِ<sup>(٤)</sup> : فَيُقَالُ لِي : ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعُ ، وَاشْفَعْ  
تَشْفَعُ ، وَسَلْ<sup>(٥)</sup> تُعْطَى .

فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ؛ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ<sup>(٦)</sup> : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . قَالَ : لَيْسَ ذَلِكَ  
إِلَيْكَ<sup>(٧)</sup> .

وَلَكِنْ وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَاثِي وَعِظَمَتِي وَجِبْرِيَاثِي<sup>(٨)</sup> لِأُخْرِجَنَّ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ :  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وَمِنْ رِوَايَةِ قَتَادَةَ عَنْهُ ؛ قَالَ : فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ  
الْقُرْآنُ ، أَيْ وَجِبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ<sup>(٩)</sup> .

(١) حبة من خردل : حب معروف في غاية الصغر . وهو كناية عن غاية قلة الإيمان .

(٢) كما رواه مسلم في صحيحه : ١٨٣

(٣) أذنى : أقل ، وأصغر .

(٤) في المرة الرابعة : من رجوعه إلى ربه ومراجعته له في الشفاعة ، فإنه وقع مرارا في

رواية البخاري : صحيح البخاري : ٩ - ١٤٩

(٥) في ١ : وأسأل .

(٦) أي من نطق بكلمة التوحيد .

(٧) ليس ذلك إليك : ليس ذلك مفوضا إليك ، بل إلى .

(٨) العزة : الغلبة والقهر . والكبرياء : الترفع عن الانقياد . والمعظمة : ظهور ذلك وزيادته ،

وجبريائي : وجبروتي .

(٩) في صحيح البخاري ( ٩ - ١٤٨ ) : ووجب عليه الخلود ؛ أي لم يبق بمد هؤلاء

الخارجين إلا من حكم الله في القرآن بخلوده في العذاب ، ولم يؤذن في الشفاعة لهم .

وعن أبي بكر ، وعقبة بن عامر ، وأبي سعيد<sup>(۱)</sup> ، وحذيفة مثله ؛ قال<sup>(۲)</sup> :  
 فيأتون [۷۵] محمدا فيؤذن له ، وتأتي الأمانة والرحم فتقومان جنبتي<sup>(۳)</sup> الصراط .  
 وذكر في رواية أبي مالك<sup>(۴)</sup> ، عن حذيفة : فيأتون محمدا فيشفع ؛ فيضرب<sup>(۵)</sup>  
 الصراط ، فيمرون : أولهم<sup>(۶)</sup> كالبرق ، ثم كالريح ، والطير ، وشدة الرجال<sup>(۷)</sup> ،  
 ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول : اللهم سلم سلم ، حتى يجتاز<sup>(۸)</sup>  
 الناس . وذكر آخرهم جوازا<sup>(۹)</sup> . . . الحديث .

وفي رواية أبي هريرة : فأكون أول من يجيز<sup>(۱۰)</sup> .

وعن ابن عباس ، عنه صلى الله عليه وسلم : يوضع<sup>(۱۱)</sup> للأنبياء منابر<sup>(۱۱)</sup> يجلسون عليها ،  
 ويبقى منبري لا أجلس عليه قائما<sup>(۱۱)</sup> ، بين يدي ربي منتصبا ، فيقول الله تبارك  
 وتعالى : ما تريد أن أصنع بأمتك ؟ فأقول : يا رب ، عجل حسابهم ؛ فيدعى  
 بهم ، فيحاسبون .

(۱) برواية الترمذي : ۵ - ۳۰۸

(۲) قال : أي كل واحد منهم .

(۳) جنبتي : ناحيتي . والأمانة : ضد الخيانة . والرحم : القرابة . يعني أنهما يمثلان أو يجسمان  
 بقدرة الله ، ليشهدا على العائن ، وقاطع الرحم .

(۴) في سنن أبي داود : ۲ - ۲۱۶

(۵) يضرب الصراط : يوضع على متن جهنم جسرا ممدودا ( شرح القاري : ۱ - ۴۷۰ ) .

(۶) أولهم كالبرق : في السرعة .

(۷) قال الخفاجي : يروى بالجيم جمع رجل . وبالحاء أي بالرجال : جمع راحلة . والشدة :

سرعة الجري . وقال القاري : قد خطيء من رواه بالحاء المهملة .

(۸) يجتاز الناس : يمر الناس .

(۹) وذكر آخرهم جوازا : أي سمى آخر من يمر على الصراط .

(۱۰) فهو أول من يجيز أمته من الرسل .

(۱۱) قائما : أي تاركا جلوس حال قيامي .

فمنهم مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ ، ومنهم مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِي ، وَلَا أُزَالُ أَشْفَعُ حَتَّى أُعْطَى صِكَاكَ<sup>(۱)</sup> بِرَجَالٍ قَدْ أَمَرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ ، حَتَّى إِنْ خَازِنَ النَّارِ لِيَقُولَ : يَا مُحَمَّدُ ، مَا تَرَكْتَ لِغَضَبِ رَبِّكَ فِي أُمَّتِكَ مِنْ نِقْمَةٍ<sup>(۲)</sup> .

وَمِنْ طَرِيقِ زِيَادِ النُّمَيْرِيِّ ، عَنْ أَنَسٍ<sup>(۳)</sup> - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْفَلِقُ الْأَرْضَ<sup>(۴)</sup> عَنْ جُمُعَتِهِ وَلَا فَخْرَ ، وَأَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ، وَمَعَى لَوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ<sup>(۵)</sup> ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تُفْتَحُ لَهُ الْجَنَّةُ وَلَا فَخْرَ ، فَآتَى فَآخِذَ بَحَلْقَةِ الْجَنَّةِ ، فَيَقَالُ : مَنْ هَذَا ؟ فَأَقُولُ : مُحَمَّدٌ ؛ فَيُفْتَحُ لِي ، فَيَسْتَقْبِلُنِي الْجَبَّارُ تَعَالَى ، فَآخِرُهُ لَهُ سَاجِدًا . . . وَذَكَرَ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ .

(۱) صكك : جمع صك ، وهو الورقة التي تكتب للمصالح ؛ والمراد : كتبنا .

(۲) الغضب : إرادة الانتقام . والنقمة : العذاب ؛ أي لم تدع أحدا ممن استحق العذاب

يعذب .

(۳) هذا الحديث رواه البيهقي ، وأبو نعيم في الحلية .

(۴) تنفلق : تنشق . والفلق : شق الشيء وإبانه بفضه من بعض .

(۵) المراد لواء الرياسة العظمى الذي يحمده وينبطه به سائر الخلق ، لتفرد به - صلى الله

عليه وسلم - به ، وهو على حقيقته ، أو كناية عن تقدمه على غيره .

وفي هامش ب : قيل إنما نفي الفخر الذي هو الكبر الواقع في الناس المنهي عنه .

قال الخطابي - رحمه الله : وما زلت أسأل عن قوله : « لواء الحمد بيدي » حتى وجدته

في حديث روى عن عقبة بن عامر : إن أول من يدخل الجنة الحمدون لله تعالى على كل حال ؛

يعقد لهم لوائه فيدخلون الجنة .

وقوله - صلى الله عليه وسلم : « ولا فخر » - ساكنة الخاء ؛ يريد أنه لا يذكر ذلك على

مذهب الفخر الذي هو الكبر ؛ وعامة الناس يفتخون بالخاء ، وهو خطأ ، وصوابه سكونها ،

والله أعلم .

ومن رواية أنس<sup>(١)</sup> : سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : لأشْفَعَنَ يومَ القيامةِ لأكثرِ مما في الأرضِ من حَجَرٍ وشَجَرٍ .

فقد اجتمع من اختلافِ ألفاظِ هذه الآثارِ أن شفاعته - صلى الله عليه وسلم ، ومقامه المحمودَ من أولِ الشفاعاتِ إلى آخرِها<sup>(٢)</sup> ، من حين يجتمعُ الناسُ للحَشْرِ ، وتَضيقُ بهم الحناجرُ ، ويبلغُ منهم العرقُ والشمسُ والوقوفُ مَبْلَغَهُ<sup>(٣)</sup> ، وذلك قبلَ الحسابِ ، فيشْفَعُ حينئذٍ لإراحةِ الناسِ من الموقفِ ، ثم يُوضَعُ الصِّرَاطُ ، ويحاسبُ الناسُ ، كما جاء في الحديثِ عن أبي هريرة وحذيفة .

وهذا الحديثُ أَتَقَنَّ<sup>(٤)</sup> ؛ فيشْفَعُ في تعجيلِ مَنْ لا حسابَ عليه من أُمَّتهِ إلى الجنةِ - كما تقدم في الحديثِ - ثم يشْفَعُ فيمن وجب عليه العذابُ ، ودخلَ النارَ منهم حَسَبَ<sup>(٥)</sup> ما تقتضيه الأحاديثُ الصحيحةُ ، ثم فيمن قال : لا إله إلا الله . وليس هذا لسِوَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وفي الحديثِ المُنتَشَرِ الصحيح<sup>(٦)</sup> : لكلِّ نبيٍّ دَعْوَةٌ يدْعُو بها ، واختبأتُ دَعْوَتِي شفاعَةً لأُمَّتِي يومَ القيامةِ .

(١) هكذا في أ ، ب ، وفي هامش أ : أنيس ، وعليها علامة الصحة . وقال القارى : هو الصواب . وفي الاستيعاب ( ١ - ١١٤ ) : أنيس : رجل من الأنصار ، روى عنه شهر ابن حوشب ، ولم ينسبه ، ولم يرو عنه غيره - حديثه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : إني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر - إسناده ليس بقوى .

(٢) الشفاعات : هي شفاعته العظمى في الخلاص من كرب الموقف لجميع الناس ؛ وشفاعته لدخول أهل الجنة الجنة ؛ وللمذنبين في العفو عن ذنوبهم ، ولمن أمر به إلى النار ، ولمن قال : لا إله إلا الله ؛ ولإخراج من دخل النار منها ، ولرفع درجات أهل الجنة - كما مر جميع ذلك في الأحاديث السابقة .

(٣) مبلغه : نهايته .

(٤) أتقن : أكثر إتقاناً من غيره .

(٥) حسب : مثل .

(٦) المنتشر : الشائع . وقد رواه الشيخان : صحيح مسلم : ١٨٨

قال أهل العلم: معناه (۱) دعوةٌ أُعْلِمَ أنها تُستجابُ لهم ، ويبلغُ فيها مرغوبهم (۲) ،  
وإلا فكم لكل نبيٍّ منهم من دعوةٍ مستجابةٍ ، ولنبيِّنا صلى الله عليه وسلم منها  
ما لا يعدُّ ؛ لكن حالم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف (۳) ، وضمنت لهم  
إجابةً دعوةٍ فيما شاءوه ، يدعون بها على يقينٍ من الإجابة .

وقد قال محمد بن زياد ، وأبو صالح ، عن أبي هريرة في هذا الحديث (۴) : لكل  
نبيٍّ دعوةٌ دعا بها في أمته (۵) ، فاستجيب له ؛ وأنا أريدُ أن أدخر (۶) ، دعوتي  
شفاة لأمتي يوم القيامة .

وفي رواية أبي صالح (۷) : لكل نبيٍّ دعوةٌ مستجابةٌ ، فتعجل كلُّ نبيٍّ  
دعوته .

ونحوه في رواية أبي زرعة عن أبي هريرة [۷۶] .

وعن أنس مثل رواية ابن زياد ، عن أبي هريرة .

فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصةً بالأمة مضمونة الإجابة ؛ وإلا فقد  
أبخر صلى الله عليه وسلم أنه سأل لأمة أشياء من أمور الدين الدنيا وأعطى بعضها ،

(۱) معناه : معنى هذا الحديث : المقصود منه .

(۲) مرغوبهم : مطلوبهم .

(۳) بين الرجاء والخوف : بين الرجاء لإصابتها ، والخوف من عدم قبولها .

(۴) في هذا الحديث وتفسيره .

(۵) سواء كانت لهم أو عليهم .

(۶) في ۱ : أؤخر : وللتبئة في ب .

(۷) وهذا مما رواه الشيخان عنه : صحيح مسلم : ۱۸۹



وَمُنِعَ<sup>(۱)</sup> بَعْضُهَا ، وَاذْخَرَهُمْ هَذِهِ الدَّعْوَةَ لِيَوْمِ الْفَاقَةِ<sup>(۲)</sup> ، وَخَاتَمَةَ الْمِحْنِ<sup>(۳)</sup> ، وَعَظِيمِ السُّؤَالِ وَالرَّغْبَةِ .

جَزَاهُ اللهُ أَحْسَنَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ ، وَصَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا .

## فصل

في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة<sup>(۴)</sup>

حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي ، والفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد ، بقراءتي عليهما<sup>(۵)</sup> ؛ قالوا : حدثنا أبو علي الفسائي ، حدثنا النعمري<sup>(۶)</sup> ، حدثنا ابن عبد المؤمن ، حدثنا أبو بكر التمار ، حدثنا أبو داود ، حدثنا محمد بن سلمة ، حدثنا ابن وهب ، عن ابن لهيعة ، وحيوة ، وسعيد بن أبي أيوب ، عن كعب<sup>(۷)</sup> ابن علقمة ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص - أنه سمع

(۱) هذا إشارة إلى ما في الصحيح من أنه صلى الله عليه وسلم قال : سألت الله عز وجل ثلاث خصال ؛ فأعطاني ثنتين ، ومنعني واحدة ؛ سألته ألا يهلكنا بما أهلك به الأمم ، فأعطانيها ؛ وسألته ألا يظهر علينا عدوا من غيرنا ، فأعطانيها ؛ وسألته ألا يلبسنا شيئا - وفي رواية : يذيق بعضنا بأس بعض ، فمنعها .

(۲) الفاقة : شدة الحاجة . والمراد به يوم القيامة .

(۳) المحن : جمع محنة ؛ وهي البلية المحيرة ؛ يعني هول الموقف ؛ إذ لا بلية بعده إلا النار .

(۴) بالوسيلة : حقيقة الوسيلة إلى الله مراعاة سبيله بالعلم والعبادة ، وتحري مكارم الشريعة ، والمراد بها منزلة عالية في الجنة . والدرجة الرفيعة : المنزلة . والفضيلة : من الفضل ضد النقص .

(۵) في ۱ : عليه . والمثبت في ب .

(۶) هو ابن عبد البر .

(۷) في ب : عن كعب ، عن عاقمة : قال القاري ( ۱ - ۴۷۴ ) : والمثبت في الأصل هو

الصواب .

النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول (١) : إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول (٢) ، ثم صلوا عليّ ؛ فإنه من صلى عليّ مرة صلى الله عليه عشرا ؛ ثم سلوا الله لي الوسيلة (٣) ؛ فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي (٤) إلا لعبد من عباد الله ؛ وأرجو أن أكون أنا هو . فمن سأل الله لي الوسيلة حلت (٥) عليه الشفاعة .

وفي حديث آخر - عن أبي هريرة (٦) : الوسيلة أعلى درجة في الجنة . وعن أنس (٧) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينا أنا أسير (٨) في الجنة إذ عرض لي نهرٌ حافظاه قباب (٩) الأولو . قلت لجبريل : ما هذا ! قال : هذا الكوثر الذي أعطاكه الله . قال : ثم ضرب بيده إلى طينه ، فاستخرج مسكاً (١٠) .

(١) صحيح مسلم : ٢٨٨ ، وصحيح البخاري ١ - ١٥٠ ، وسنن أبي داود : ١ - ٥٥ ، وسنن الترمذي : ١ - ٤٠٧

(٢) قال في نسيم الرياض (٢ - ٣٩٣) : غير الحيملتين (حى على الصلاة ، حى على الفلاح) ؛ فإنه يقال عند سماعهما : لا حول ولا قوة إلا بالله . ويقول عند قوله : قد قامت الصلاة : أقامها الله وأدامها . وهذا الاستثناء الذي ذكره الحفاجي في حديث مسلم : ٢٨٩ ، وصحيح البخاري :

١ - ١٥٠

(٣) أى ادعوا الله أن يؤتينيها فقولوا : اللهم آت محمدًا الوسيلة . وفي ب : اسألوا .

(٤) لا تنبغي : لا يليق إعطاؤها .

(٥) حلت عليه الشفاعة : وجبت . أو نزلت عليه . (٦) رواه الترمذي : ١ - ٤٠٧

(٧) في حديث رواه البخاري : صحيح البخاري : ٦ - ٢١٩

(٨) الظاهر أن سيره هذا كان مناماً . ويحتمل أن يكون يقظة في الإسراء ( نسيم الرياض :

٢ - ٣٩٤ ) .

(٩) قباب : جمع قبة . وفي صحيح البخاري : حافظاه قباب الأولو مجوزاً .

(١٠) أى أخرج من قعره - ليعرفه بفضلته ، وأن طينه مسك . وفي ن : طينة ، طينة ،

وعليها معاً ، والمثبت في ا .

وعن عائشة وعبد الله بن عمرو مثله ؛ قال : ومجرأه<sup>(۱)</sup> على الدرّ والياقوت ،  
وماؤه أحلى من العسل ، وأبيض من الثلج .

وفي رواية - عنه : فإذا هو يجرى ، ولم يشق شقاً<sup>(۲)</sup> ، عليه حوض ترد عليه  
أمّتي<sup>(۳)</sup> . . . وذكر حديث الحوض .  
ونحوه عن ابن عباس<sup>(۴)</sup> .

وعن ابن عباس أيضاً ، قال : الكوثر<sup>(۵)</sup> الخير الذي أعطاه الله إياه .  
وقال سعيد بن جبیر : والنهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله .  
وعن حذيفة - فيما ذكر صلى الله عليه وسلم عن ربه : وأعطاني الكوثر ، وهو  
نهر في الجنة ، يسيل في حوضي<sup>(۶)</sup> .

وعن ابن عباس - في قوله تعالى<sup>(۷)</sup> : ﴿ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ ؛  
قال : ألف قصر من لؤلؤ ترأبهن المسك ، وفيه<sup>(۸)</sup> ما يصلحهن .  
وفي رواية أخرى : وفيه ما ينبغى<sup>(۹)</sup> له من الأزواج والخدم .

(۱) أى إن طينه مسك وحصاه الدر والياقوت .

(۲) أى لا يشق الأرض بشدة جريه ؛ وكذا صائر أنهار الجنة تجرى من غير أن تتخذ  
أخدودا .

(۳) ترد عليه أمّتي : يأتونه للشرب منه .

(۴) سيأتي .

(۵) لعل ابن عباس أراد بيان المعنى اللغوي للكوثر - ( نسيم الرياض : ۲ - ۳۹۶ ) .

والحديث في صحيح البخارى : ۶ - ۲۱۹

(۶) كان يفسره بالحوض ، لأن ماءه منه .

(۷) سورة الضحى ، آية ۵ (۸) وفيه : في كل قصر .

(۹) ما ينبغى له : ما يناسبه ويليق به .

## فصل

[ فی بیان شبہہ ترد علی ما تقدم ]<sup>(۱)</sup>

فإن قلت : إذا تقرر من دليل القرآن ، وصحيح الأثر ، وإجماع الأمة - كونه  
أكرم<sup>(۲)</sup> البشر ، وأفضل الأنبياء - فما معنى الأحاديث الواردة بنهيه عن<sup>(۳)</sup> التفضيل ؟  
كقوله<sup>(۴)</sup> - فيما حدثنا الأسدي ؛ قال : حدثنا السمرقندي ، حدثنا الفارسي ،  
حدثنا الجلودي ، حدثنا ابن سفيان ، حدثنا مسلم ، حدثنا ابن مثنى ، حدثنا محمد بن  
جعفر ، حدثنا شعبة ، عن قتادة : سمعتُ أبا العالية يقول : حدثني ابن عمِّ نبيِّكم  
صلى الله عليه وسلم - يعني ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال :  
ما ينبغي<sup>(۵)</sup> لعبدٍ أن يقول : أنا خيرٌ من يونس بن مَتَّى .

وفي غير هذا الطريق عن أبي هريرة [ ۷۷ ] قال - يعني رسول الله صلى الله

عليه وسلم : ما ينبغي لعبدٍ . . . الحديث .

وفي حديث أبي هريرة<sup>(۶)</sup> - في اليهودي الذي قال : والذي اصطنى موسى على

البشر ؛ فلطمه رجلٌ من الأنصار ، وقال : تقولُ ذلك ورسولُ الله صلى الله عليه  
وسلم بين أظهرنا<sup>(۷)</sup> .

فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : لا تفضلوا بين الأنبياء .

(۱) من نسيم الرياض ( ۲ - ۳۹۷ ) . (۲) أكرم البشر : أشرف بني آدم .

(۳) عن التفضيل بين الأنبياء ، والناهية عن تفضيله عليهم .

(۴) في حديث رواه الشيخان ، ورواه المصنف من طريق مسلم ( صحيح مسلم : ۱۸۴۶ ) .

(۵) ما ينبغي : ما يصح ، ولا يجوز .

(۶) الذي رواه الشيخان في رجل من الأنصار تنازع مع يهودي بالمدينة ( صحيح مسلم : ۱۸۴۳ ) .

(۷) بين أظهرنا : أي مع وجود النبي صلى الله عليه وسلم بيننا ، وهو أفضل من موسى وغيره .

وفی رواية (۱) : لا تَخَيَّرُونِي عَلَى مُوسَى - فَذَكَرَ الْحَدِيثَ .  
 وفيه : وَلَا أَقُولُ : إِنْ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى .  
 وعن أبي هريرة (۲) : مَنْ قَالَ : أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى فَقَدْ كَذَبَ .  
 وعن ابنِ مسعود : لَا يَقْوَانُ أَحَدٌ كُمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى .  
 وفي حديثه الآخر (۳) : فَجَاءَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ ، فَقَالَ لَهُ : يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ (۴) ؛  
 فَقَالَ : ذَاكَ إِبْرَاهِيمَ . . . .  
 فاعلم (۵) أَنَّ لِلْعُلَمَاءِ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ تَأْوِيلَاتٌ :  
 أَحَدُهَا - أَنَّ نَهْيَهُ عَنِ التَّفْضِيلِ كَانَ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ ؛ فَنَهَى  
 عَنِ التَّفْضِيلِ ؛ إِذْ يَحْتَاجُ إِلَى تَوْقِيفٍ (۶) ؛ وَأَنَّ مَنْ فَضَّلَ بِلَا عِلْمٍ فَقَدْ كَذَبَ .  
 وكذلك قوله : لَا أَقُولُ إِنْ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْهُ (۷) - لَا يَقْتَضِي تَفْضِيلَهُ هُوَ ؛ وَإِنَّمَا  
 هُوَ فِي الظَّاهِرِ كَفٌّ (۸) عَنِ التَّفْضِيلِ .  
 الوجه الثاني - أَنَّهُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى طَرِيقِ التَّوَاضُعِ ، وَتَنَى التَّكْبُرَ  
 وَالْعُجْبَ (۹) ؛ وَهَذَا (۱۰) لَا يَسْلَمُ مِنَ الِاعْتِرَاضِ .

- 
- (۱) وهذه الرواية في الصحيحين ، وصنن أبي داود ، والنسائي (صحيح مسلم: ۱۸۴۴) .  
 (۲) في حديث رواه البخاري .  
 (۳) أي حديث ابن مسعود الذي رواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذي (صحيح مسلم: ۱۸۳۹) .  
 (۴) البرية : الخلق كلهم .  
 (۵) فاعلم - جواب الشرط في قوله أول الفصل : فإن قلت . . . وهو شروع من المصنف  
 في تحقيق المسألة والجمع بين الأحاديث المتعارضة في التفضيل وعدمه .  
 (۶) توقيف : إعلام به من الله وسماع وإذن فيه .  
 (۷) أفضل منه : من يونس .  
 (۸) كف : امتناع ، أو منع لغيره .  
 (۹) العجب : أي عجبه وخيلاؤه بنفسه ومدحه لها . والتواضع : لين الجانب ، وخفض  
 جناحه لغيره .  
 (۱۰) وهذا الجواب .

الوجه الثالث : أَلَّا يُفَضَّلَ بَيْنَهُمْ تَفْضِيلاً يُؤَدِّي إِلَى تَنْقُصٍ <sup>(۱)</sup> بَعْضِهِمْ ،  
 أَوْ الْغَضِّ <sup>(۲)</sup> مَعَهُ ، لَأَسْمَاءَ فِي جِهَةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ إِذَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَا أَخْبَرَ <sup>(۳)</sup>  
 لَثَلَا يَقَعُ فِي نَفْسٍ مَن لَّا يَعْلَمُ <sup>(۴)</sup> مِنْهُ بِذَلِكَ غَضَاةً <sup>(۵)</sup> وَانْحِطَاطًا مِنْ رُتْبَتِهِ الرَّفِيعَةِ ؛  
 إِذَا قَالَ تَعَالَى عَنْهُ <sup>(۶)</sup> : ﴿ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ . ﴿ إِذْ <sup>(۷)</sup> ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ  
 أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ - فَرَبَّمَا يُخَيَّلُ لِمَنْ لَّا عِلْمَ عِنْدَهُ حَطِيطَةً <sup>(۸)</sup> ، بِذَلِكَ .  
 الوجه الرابع - مَنَعُ التَّفْضِيلِ فِي حَقِّ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ <sup>(۹)</sup> ؛ فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ فِيهَا <sup>(۱۰)</sup>  
 عَلَى حَدِّ وَاحِدٍ ؛ إِذْ هِيَ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا يَتَفَاضَلُ ؛ وَإِنَّمَا التَّفَاضُلُ فِي زِيَادَةِ الْأَحْوَالِ  
 وَالْخُصُوصِ ، وَالْكَرَامَاتِ ، وَالرُّتْبِ ، وَالْأَلْطَافِ <sup>(۱۱)</sup> ؛ وَأَمَّا النُّبُوَّةُ فِي نَفْسِهَا فَلَا  
 تَتَفَاضَلُ ؛ وَإِنَّمَا التَّفَاضُلُ بِأُمُورٍ أُخْرَى زَائِدَةٌ عَلَيْهَا ؛ وَلِذَلِكَ مِنْهُمْ رُسُلٌ ، وَمِنْهُمْ أَوْلُو  
 عَزْمٍ <sup>(۱۲)</sup> مِنَ الرُّسُلِ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ رُفِعَ مَكَانًا عَلَيَّا ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ أُوْتِيَ الْحُكْمَ

(۱) تنقص : وصفهم بما فيه نقص لهم ودم .

(۲) الغض منه : الغض : النقص والعيب .

(۳) أخبر عنه في قوله تعالى : « وَلَا تَكُنْ كصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ » .

(۴) من لا يعلم منه : من يونس وماقص من قصته .

(۵) غضاة : نقص وحقارة يتوهمها من لا علم عنده .

(۶) سورة الصافات ، آية ۱۴۰ . وأبق إلى الفلك المشحون : خرج إلى سفينة مملوءة بما

فيها من الناس والمتاع . والإباق : هروب العبد من سيده ، أطلق على يونس إذ خرج بغير

إذن ربه .

(۷) سورة الأنبياء ، آية ۸۷ : مغاضبا لقومه لما لم يجيبوا دعوته . لن نقدر عليه : لن نريد عقوبته .

(۸) حطيطته : نقصه ، ونزول مقامه عن مقام غيره من الرسل .

(۹) في حق النبوة والرسالة نفسها لا الأنبياء والرسل . (۱۰) فيها : في النبوة .

(۱۱) الأحوال : العوارض الطارئة عليها . والخصوص : أي ماخص به بعضهم دون بعض .

والألطاف : العطايا التي أعطها الله بعضهم .

(۱۲) العزم : القوة والشدة والتصميم على تنفيذ ما يراه أولى به وبغيره .

صِدِّيًّا<sup>(۱)</sup>؛ وَأُوتِيَ بَعْضُهُم الزُّبُرَ، وَبَعْضُهُم البَيِّنَاتِ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ؛ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضِ دَرَجَاتٍ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى<sup>(۲)</sup> : ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ .

وَقَالَ<sup>(۳)</sup> : ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ .

قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ : وَالتَّفْضِيلُ الْمُرَادُ لَمْ هُنَا فِي الدُّنْيَا؛ وَذَلِكَ بِثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ : أَنْ تَكُونَ آيَاتُهُ وَمُعْجَزَاتُهُ أَبْهَرَ<sup>(۴)</sup> ، وَأَشْهَرَ؛ أَوْ تَكُونَ أُمَّتُهُ أَرْكَى<sup>(۵)</sup> وَأَكْثَرَ؛ أَوْ يَكُونَ فِي ذَاتِهِ أَفْضَلَ وَأَطْهَرَ<sup>(۶)</sup> ، وَفَضْلُهُ فِي ذَاتِهِ رَاجِعٌ إِلَى مَا خَصَّهُ اللهُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ ، وَاخْتِصَاصِهِ مِنْ كَلَامٍ أَوْ خُلَّةٍ أَوْ رُؤْيَا أَوْ مَا شَاءَ اللهُ مِنْ أَلْطَافِهِ<sup>(۷)</sup> ، وَتُحَفِّ وَوَلَايَتِهِ ، وَاخْتِصَاصِهِ .

وَقَدْ رُوِيَ<sup>(۸)</sup> أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ لِلنَّبِوَةِ أَثْقَالَ<sup>(۹)</sup>؛ وَإِنْ يُونُسَ تَفْسَخَ مِنْهَا تَفْسُخَ الرَّبِيعِ<sup>(۱۰)</sup>؛ فَحَفِظَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْضِعَ الْفِتْنَةِ<sup>(۱۱)</sup>،

(۱) هُوَ يَحْيَى ، أَوْ عِيسَى . (۲) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ، آيَةٌ ۵۵

(۳) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، آيَةٌ ۲۵۳ (۴) أَبْهَرَ : أَقْوَى وَأَغْلَبَ .

(۵) أَرْكَى : أَنْقَى ، وَأَطْهَرَ . (۶) فِي ۱ : وَأَطْهَرَ .

(۷) أَلْطَافُهُ : الْأَلْطَافُ : الْعَطَايَا .

(۸) وَهَذَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ - وَهُوَ رَجُوعٌ إِلَى تَنْزِيهِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَمَّا ذَكَرَ مِنَ الْأَوْهَامِ .

(۹) أَثْقَالًا : أَحْمَالًا ثَقِيلَةً ، أَيْ تَسْكَالِيفَ مَثْقَلَةً .

(۱۰) تَفْسَخَ : أَيْ تَقَطَّعَتْ أَعْضَاؤُهُ ، وَتَفْسَكَتْ ، لِعَدَمِ طَاقَتِهِ بِحَمْلِهَا . أَوْ انْسَلَخَ مِنْهَا وَتَجَرَّدَ عَنْهَا . وَالرَّبِيعُ : الْفَصِيلُ ؛ أَيْ وَلَدُ النَّاقَةِ الصَّغِيرِ الَّذِي يُولَدُ فِي الرَّبِيعِ . وَالْمُرَادُ أَنَّهُ لَمْ يَطَّقْ مَشَاقِبَهَا ، وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَيْهَا .

(۱۱) مَوْضِعَ الْفِتْنَةِ : أَيْ مَا يَقَعُ النَّاسُ بِسَبَبِهِ فِي فِتْنَةٍ وَأَمْرٍ مَحْذُورٍ ؛ مِنْ تَقْيِصِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، فَحَفِظَ رَسُولُ اللهِ بِنَهْيِهِ عَنِ التَّفْضِيلِ بَيْنَهُمْ .

مِنْ أَوْهَامٍ مَنْ يَسْبِقُ إِلَيْهِ بِسَبَبِهَا حَرَجٌ فِي نُبُوَّتِهِ<sup>(۱)</sup> ، أَوْ قَدْحٌ فِي اصْطِفَائِهِ<sup>(۲)</sup> ،  
وَحَطٌّ عَنِ رُتْبَتِهِ ، وَوَهْنٌ فِي عَصْمَتِهِ<sup>(۳)</sup> ، شَفَقَةٌ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمَّتِهِ<sup>(۴)</sup> .  
وقد يتوجه على هذا الترتيب<sup>(۵)</sup> ، وجه [۷۸] خامس ؛ وهو أن يكون « أنا »  
راجعا إلى القائل نفسه ؛ أي لا يظنُّ أحدٌ - وإن بلغ من الذِّكْرِ والعِصْمَةِ والطَّهَارَةِ<sup>(۶)</sup> ،  
ما بلغ - أنه خيرٌ من يونس ، لأجل ما حكى الله عنه<sup>(۷)</sup> ؛ فإن درجة النبوة  
أفضل وأعلى ، وإن تلك الأقدار لم تحطه<sup>(۸)</sup> ، عنها حبة خرد دل ولا أدنى .

وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا إن شاء الله تعالى .

فقد بان لك الغرض ، وسقط بما حررناه شبهة المعترض ؛ [ وباللَّهِ التَّوْحِيْقُ ،  
وهو المستعان لا إله إلا هو ]<sup>(۹)</sup> .

- 
- (۱) أي صانه مما يتوهم من يسبق إليه - بسبب الفتنة ، أو بسبب قصة يونس - حرج ؛  
أي ذكر ما لا يليق بمقام النبوة مما يقتضى عدم العصمة .
- (۲) قدح : القدح : ذكر المعايير والنقائص . والاصطفاء : الاختيار ، والتفضيل .
- (۳) الحط : تنزيل له من علو مقامه . والوهن : الضعف . أي عد عصمته فيها ضعفا لما توهمه  
من ظاهر قصته السابقة ؛ فلذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تفضيله عليه فضلا عن تنقيصه ؛  
لتساويهم في حقيقة النبوة وإن تفاوتت أحوالهم وصفاتهم .
- (۴) خوفا أن يقع منهم ما لا يليق بمقام النبوة ، فيكون منهم وزر يستحقون به سوء العاقبة  
بسخط الله تعالى وعقابه .
- (۵) على هذا الترتيب : على ما رتبناه من الاختصاص بأمر أكرم الله تعالى بها .
- (۶) العصمة : الحفظ من الذنوب . والطهارة : البراءة من الأوزار .
- (۷) ما حكى الله عنه : ما قصه في قصته من لومه على تضجره وعدم صبره على قومه ، لتماذيرهم  
في غيهم وعدم إجابتهم دعوته للإيمان .
- (۸) الأقدار : جمع قدر ؛ أي ما قدره الله عليهم لحكمة باهرة . لم تحطه : لم تنزل  
بيونس عن درجته .
- (۹) ليس في ا .



## فصل

في أسمائه<sup>(١)</sup> : صلى الله عليه وسلم ، وما تضمنته من فضيلته

حدثنا أبو عمران موسى بن أبي تليد الفقيه ؛ قال : حدثنا أبو عمر<sup>(٢)</sup> الحافظ ،  
حدثنا سعيد بن نصر ، حدثنا قاسم بن أصبغ ، حدثنا محمد بن وضاح ، حدثنا يحيى ،  
حدثنا مالك ، عن ابن شهاب ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لي خمسة<sup>(٣)</sup> أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي ،  
الذي يمحو الله بي الكفر<sup>(٤)</sup> ، وأنا الحاشير الذي يحشر الناس على قدمي<sup>(٥)</sup> ،  
وأنا العاقب<sup>(٦)</sup> .

وقد سماه الله تعالى في كتابه محمداً ، وأحمد<sup>(٧)</sup> .

(١) كان الفصل المتقدم في فضائله ؛ ولما كانت أسماءه صلى الله عليه وسلم دالة على فضائله  
أيضاً ذكرها عقبه .

(٢) هو ابن عبد البر .

(٣) في نسيم الرياض ( ٢ - ٤٠٧ ) : قال السيوطي في كتاب الرياض الأنيقة في أسماء  
خير الخليقة : إنه قبل أن يطلعه الله تعالى على بقية أسمائه . وقال المصنف فيما يأتي : قيل إنها  
موجودة في الكتب القديمة وعن الأمم السالفة .

ورد بأن فيها أكثر ؛ فالحق أن مفهوم العدد غير معتبر ؛ فلا يفيد الحصر . وقيل : المراد  
خسة سماني بهاربي ، وبقايا أوصاف .

(٤) يمحو بي الكفر : يزيله ، وقيل : يمحو به سيئات من تبعه .

(٥) على قدمي : يحشرون على أثرى .

(٦) وأنا العاقب : وأنا الآتي عقب الأنبياء عليهم السلام . وفي صحيح مسلم : العاقب :

الذي ليس بعده نبي . وحديث أسمائه في صحيح مسلم : ١٨٢٨ ، وصحيح البخاري : ٤-٢٢٥

(٧) كتابه : هو القرآن . فقال : « ما كان محمد أباً أحدهم من رجالكم » ؛ وقال : « يأتي

من بعدى اسمه أحمد » .

فمن خصائصه تعالى له أن ضمنَ أسماءه ثناءه ؛ وَطَوَى<sup>(١)</sup> أثناء ذِكْرِهِ عظيم  
شُكْرِهِ .

فأما اسمه أحمد فأفعل مبالغة من صفة الحمد .

ومحمد : مفعَلٌ ، مبالغة من كثرة الحمد ؛ فهو - صلى الله عليه وسلم - أجلُّ  
مَنْ حَمِدَ ، وأفضل مَنْ حَمِدَ ، وأكثرُ الناسِ حَمْدًا ؛ فهو أَحْمَدُ المحمودين ، وأَحْمَدُ  
الحامدين ، ومعه لواء الحمد<sup>(٢)</sup> يومَ القيامة ليَمَّ له كالُ الحمدِ ، ويتشهر<sup>(٣)</sup> في تلك  
العِصَاتِ<sup>(٤)</sup> بصفة الحمدِ ، ويبعثه ربُّه هناك<sup>(٥)</sup> مقاما محمودا كما وعده<sup>(٦)</sup> ؛ يَحْمَدُهُ  
فيه الأولون والآخرون بشفاعته لهم ، ويُفتح عليه فيه<sup>(٧)</sup> من المحامد - كما قال

(١) طوى : كتم وأخفى . والمراد أخفى داخل ذكر النبي ؛ أي في أسمائه التي سماه بها  
شكره العظيم . وفي ب : فطوى .

(٢) اللواء : علم الجيش ، وهو أكبر من الراية : أي إنه تحت أمره أو في قبضته ، وهذا  
يحتمل أنه على حقيقته ؛ ليعلم أنه صلى الله عليه وسلم نال هذه للرتبة بتفوقه على كل مخلوق في  
كونه حامدا محمودا . ومعنى لواء الحمد أنه لواء يتبعه كل حامد ومحمود ؛ ويعلم ذلك بإلهام الله ،  
أو بندا الملائكة .

ويحتمل أنه تمثيل لشهرته صلى الله عليه وسلم في أهل الموقف .

قال في نسيم الرياض ( ٢ - ٤١٠ ) : وعدم التأويل أسلم .

وانظر الهامش السابق .

(٣) هذا الضبط في ا . وفي ب : ضبط بفتح الياء ، وكتب عليه « معا » .

(٤) العرصات : جمع عرصة ؛ وعرصة الدار : ساحتها . والمراد أرض الموقف والمحشر .

(٥) هناك : في العرصات .

(٦) كما وعده في قوله تعالى : « عسى أن يعثبك ربك مقاما محمودا » .

(٧) فيه : في ذلك المقام .

صلى الله عليه وسلم - ما لم يُعْطَ غيره ، وسمي أُمَّتَهُ في كتب أنبيائه بالحمادين (١) ؛  
فحقيق أن يسمي محمدا واحدا (٢) .

ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه ، وبدائع آياته - فن (٣) آخر ؛ وهو  
أن الله جل اسمه حمي (٤) أن يسمي بهما أحدا قبل زمانه (٥) .  
أما أحمد الذي أتى في الكتب وبشّرت به الأنبياء فمنع الله تعالى بحكمته أن  
يسمي به أحدا غيره ، ولا يدعى (٦) به مدعو قَبْلَهُ حتى لا يدخل لبس على ضعيف  
القلب (٧) أو شك .

وكذلك محمد أيضا لم يُسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل  
وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده أن نبيا يُبعث اسمه محمد ؛ فسمي قوم قليل من  
العرب أبناءهم بذلك ؛ رجاء أن يكون أحدهم هو . والله أعلم حيث يجعل رسالاته ؛  
وهم : محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسى ، ومحمد بن مسلمة الأنصاري ، ومحمد

(١) بالحمادين : للبالغين في الحمد . كما في حديث الدارمي عن كعب يحكي عن التوراة ؛  
قال : نجد مكتوبا فيها : محمد رسول الله ، عبدى المختار ، لافظ ولا غليظ . . . . وأمته  
الحمادون يحمدون الله في السراء والضراء ، يحمدون الله في كل منزل ، ويكبرونه على كل شرف ،  
رعاة للشمس ، يصلون الصلاة إذا جاء وقتها . . . . ( شرح القارى : ١ - ٤٨٧ ) .  
(٢) خليق : جدير ، وذلك لأنه إذا حمد بما لم يحمده غيره ، وجمده الأولون والآخرون ،  
وكثر حمد أمته كان جديرا بذلك .

(٣) فن آخر : نوع آخر ، غير ما تقدم .

(٤) حمي : منع ، وصان ، وحفظ .

(٥) ليعلم إذا سمي بها أنه النبي الموعود به .

(٦) يدعى : يسمي .

(٧) لبس : التباس واشتباه ، لعدم تمييزه . وضعيف القلب : من لا عقل له تام ، ورأى

حائب ونظر مفرق بين الحق والباطل ؛ فيتردد في صدق مدعى النبوة بمجرد شيء سبق له .

ابن بَرَاهٍ<sup>(۱)</sup> البکری ، ومحمد بن سُفیان بن مُجاشع ، ومحمد بن حُران الجعفی ، ومحمد  
ابن خُزاعی السُلَی ، لا سابع<sup>(۲)</sup> لهم .

ويقال: أول من تسمى بمحمد محمد بن سُفیان. واليمينُ تقول: بل محمد بن اليَحْمَدِ<sup>(۳)</sup>  
من الأزد .

ثم حَمَى اللهُ كُلَّ مَنْ تَسَمَّى بِهِ<sup>(۴)</sup> أَنْ يَدَّعِيَ النَّبُوَّةَ أَوْ يَدَّعِيَهَا أَحَدٌ لَهُ ، أَوْ يَظْهَرُ  
عَلَيْهِ سَبَبٌ يَشْكُكَ أَحَدًا فِي أَمْرِهِ<sup>(۵)</sup> حَتَّى تَحْقُقَتِ السَّمَتَانِ<sup>(۶)</sup> لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،  
وَلَمْ يَنَازِعْ فِيهِمَا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِي الْكُفْرَ فَمُفْرَدٌ  
فِي الْحَدِيثِ : وَيَكُونُ مَحْوُ الْكُفْرِ إِمَّا مِنْ مَكَّةَ<sup>(۷)</sup> وَبِلَادِ الْعَرَبِ ؛ وَمَا زَوَى<sup>(۸)</sup> لَهُ  
مِنَ الْأَرْضِ ، وَوُعِدَ أَنْهُ يَبْلُغُهُ مُلْكُ أُمَّتِهِ ؛ أَوْ يَكُونُ الْمَحْوُ عَامًّا ، بِمَعْنَى الظُّهُورِ  
وَالغَلْبَةِ ؛ كَمَا [ ۷۹ ] قَالَ تَعَالَى<sup>(۹)</sup> : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ .  
[ وَقَدْ وَرَدَ تَفْسِيرُهُ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ الَّذِي يُحْيِي بِهِ سَيِّئَاتٍ مِنْ أَتْبَعِهِ ]<sup>(۱۰)</sup> .

(۱) فِي شَرْحِ الْقَارِي ( ۱ - ۴۸۸ ) : مُحَمَّدُ بْنُ بَدَاءٍ - بِيَاءٌ مُوَحَّدَةٌ ، فَرَاءٌ مَمْدُودَةٌ . أَوْ  
هُوَ ابْنُ بَدَاءٍ - بِيَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَفْتُوحَةٌ ، وَتَشْدِيدُ دَالٍ مَهْمَلَةٌ بَعْدَهَا أَلِفٌ مَمْدُودَةٌ .  
(۲) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ ( ۲ - ۴۱۴ ) : وَفِي سِيرَةِ مَنْطَلَايَ زَادَ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً . وَسَيَأْتِي  
كَلَامٌ فِي هَذَا الْعَدَدِ بَعْدَ قَلِيلٍ .

(۳) ضَبَطَتِ الْمِيمُ فِي الْفَتْحِ ، وَفِي بٍ : بِالضَّمِّ .

(۴) فِي أ : مِنْ تَسَمَّى بِمُحَمَّدٍ . . . .

(۵) أَيْ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ يَكُونُ سَبَبًا مَوْقِعًا لِلنَّاسِ فِي شَكِّ أَنْهُ النَّبِيُّ الْمَوْعُودُ .

(۶) السَّمَتَانِ : أَيْ الصَّفَتَانِ اللَّتَانِ هُمَا الْمُحَمَّدِيَّةُ وَالْأَحْمَدِيَّةُ .

(۷) مِنْ مَكَّةَ : بَعْدَ الْفَتْحِ ؛ إِذْ أَظْهَرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَبْقَ بِهَا مِنْهُ عَيْنٌ وَلَا آثَرٌ .

(۸) زَوَى : جَمَعَ . (۹) سُورَةُ التَّوْبَةِ ، آيَةُ ۳۳

(۱۰) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ كَتَبَ أَمَامَهُ فِي أ ، ب : مِنْ الْأَمِّ ، مِنْ غَيْرِ الرَّوَايَةِ .

وَرَوَى هَذَا التَّفْسِيرَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ لِلْمَاحِي - الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ ، وَأَبُو نَعِيمٍ ، وَالْبَيْهَقِيُّ .

وقوله : وأنا الحاشِرُ الذي يُحشَرُ الناسُ على قَدَمِي ؛ أي على زَمَانِي <sup>(١)</sup> وَعَهْدِي ؛  
أي ليس بعَدِي نبيٌّ ، كما قال : وخاتم النبيين .  
وسُمِّي عاقِباً ؛ لأنه عَقَبَ <sup>(٢)</sup> غَيْرَهُ من الأنبياء .

[ وفي الصحيح : أنا العاقِبُ الذي ليس بعدي نبيٌّ ] <sup>(٣)</sup> .

وقيل : معنى على قَدَمِي ؛ أي يُحشَرُ الناسُ بِمُشَاهَدَتِي <sup>(٤)</sup> ؛ كما قال تعالى <sup>(٥)</sup> :  
﴿ لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ .

[ وقيل على قَدَمِي : على سَابِقَتِي ؛ قال الله تعالى <sup>(٦)</sup> : ﴿ إِنَّ لَكَ لَأَنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ صِدْقٌ  
عند رَبِّهِمْ ﴾ .

وقيل : على قَدَمِي : أي قُدَّامِي ، وَحَوْلِي ؛ أي يجتمعون إلى يوم القيامة .

وقيل : على قَدَمِي : على سُنَّتِي ] <sup>(٧)</sup> .

ومعنى قوله : لي خمسة أسماء : قيل : إنها موجودةٌ في السُّكُتِ المتقدمة ، وعند  
أولى العِلْمِ من الأمم السالفة ، [ والله أعلم ] <sup>(٨)</sup> .

= وقال ابن حجر في شرح الشائل : معناه أن من آمن به صلى الله عليه وسلم يمحي ذنب كفره ،  
وما عمله فيه ؛ قال الله تعالى : « قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف » . وفي  
الحديث : الإسلام يجب ما قبله ؛ أي يهدم ما قبله . ( نسيم الرياض : ٢ - ٤١٦ ) .

(١) قال السيوطي : حشر الناس في زمان نبوته ؛ لأن ملته باقية ، لا تنسخ ، وليس بمدّها  
شرع آخر .

(٢) عقب غيره من الأنبياء : خلفهم في الخير . أو العاقب : الآخر ، يعني أنه لا نبي بعده . وسيأتي .

(٣) ما بين القوسين ليس في أ ، وهو في هامش ب ، وعليه علامة الصحة .

(٤) بمشاهدتي : أي بقربي ، ومعنى ، بمرأى مني .

(٥) سورة البقرة ، آية ١٤٣ (٦) سورة يونس ، آية ٢

(٧) ما بين القوسين ليس في ب .

(٨) ليس في أ .

وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم<sup>(۱)</sup> : لى عشرة أسماء ، وذاكر منها : طه ،  
ويس ؛ حكاه مكى .

وقد قيل فى بعض تفسير طه : إنه<sup>(۲)</sup> يا طاهر ، يا هادى وفى يس : ياسيد ؛ حكاه  
السلمى عن الواسطى ، وجعفر بن محمد .

وذاكر غيره : لى عشرة أسماء ؛ فذاكر الخمسة التى فى الحديث الأول ؛ قال<sup>(۳)</sup> :  
وأنا رسول الرحمة ، ورسول الراحة ، ورسول الملاحم<sup>(۴)</sup> ، وأنا المقتنى ؛ قفيت<sup>(۵)</sup>  
النبين .

وأنا قيم ؛ والقيم : الجامع الكامل<sup>(۶)</sup> ؛ كذا وجدته<sup>(۷)</sup> ، ولم أره<sup>(۸)</sup> .  
وأرى أن صوابه قثم - بالثاء<sup>(۹)</sup> كما ذكرناه بعد عن الحربى ؛ وهو أشبه بالتفسير .

(۱) فى حديث رواه أبو نعيم فى الدلائل ( ۱ - ۶۸ ) ، وابن مردويه فى تفسيره ، من طريق  
أبى يحيى التيمى . قال القارى ( ۱ - ۴۹۰ ) : وهو وضاع .

(۲) أى الطاء من كلمة « طاهر » ، والهاء من كله : « هادى » .

(۳) وهذا رواه البيهقى مسندا .

(۴) الملاحم : جمع ملحمة ؛ وهى الحرب والقتال ، سميت بذلك لالتحام الناس فيها ؛ أى  
ازدحامهم فيها ؛ لأنه - صلى الله عليه وسلم أرسل بالسيف ، وأمر بالجهاد .

(۵) قفيت : تبع ، والمراد أنه خاتمهم .

(۶) أى الجامع لمكارم الأخلاق الكامل فيها . أو الجامع لشمل الناس بتأليفه بينهم وجمع  
شأنهم ؛ لأن القيم يكون بمعنى السيد ، لقيامه بأمر الناس وأمر الدين .

(۷) كذا وجدته : أى تسميته صلى الله عليه وسلم بالقيم .

(۸) وقد رواه الديلمى فى مسند الفردوس ، وفى النهاية لابن الأثير حديث : أتانى ملك

فقال : أنت قيم ، وخلقك قيم ؛ أى حسن مستقيم .

(۹) فى نسيم الرياض ( ۲ - ۴۲۱ ) : فى اشتقاقه معنيان : أحدهما من القثم ؛ وهو

الإعطاء ، فسمى رسول صلى الله عليه وسلم بذلك لجوده وعطائه . والثانى من القثم ؛ وهو

الجمع ؛ وقد كان صلى الله عليه وسلم جامعا للفضائل .

وقد وقع أيضا في كتب الأنبياء؛ قال داود عليه السلام: اللهم ابعث لنا محمدا  
مُقيمَ السنَّة بعد الفِترَةِ (١)؛ فقد يكون القِيمُ بمعناه (٢).

وروى النقاش عنه صلى الله عليه وسلم: لي في القرآن سبعة أسماء: محمد، وأحمد،  
وبس، وطه، والمدثر، والمزمل، وعبد الله.

[وفي حديث - عن جبير بن مطعم رضى الله عنه: هي (٣) ست: محمد، وأحمد،  
وخاتم، وعاقب، وحاشر، ومآح (٤)] (٥).

وفي حديث أبي موسى الأشعري (٦) - أنه كان صلى الله عليه وسلم يُسمي لنا  
نفسه أسماء، فيقول: أنا محمد، وأحمد، والمُتقى، ونبي التوبة، ونبي المَلْحَمَةِ، ونبي  
الرحمة (٧).

ويروى: المَرْحَمَةُ، والراحة (٨).

وكلُّ صحيح إن شاء الله.

ومعنى المُتقى معنى العاقب (٩).

(١) السنة: الطريقة الشرعية، والدين. والفِترَةُ: انقطاع الوحي والرسول، أو الفِترَةُ  
في الطاعة. وضمير «نا» للناس.

(٢) بمعناه: أي بمعنى المقيم للسنَّة، أو بمعنى القِيم.

(٣) هي: أي أسماء.

(٤) سبقت معانيها: صفحة ٣١١، ٣١٥.

(٥) ما بين القوسين ليس في أ، وهو في هامش ب، وعليه علامة الصحة.

(٦) الحديث في صحيح مسلم: ١٨٢٨.

(٧) في أ: ونبي الرحمة والرحمة. والمثبت في صحيح مسلم: ١٨٢٩.

(٨) في ب: ويروى: الرحمة، والراحة، والرحمة.

(٩) قال في نسيم الرياض (٢-٤٢٣): الأولى تفسير كل منها بمعنى؛ هربا من التكرار؛

فمعنى المُتقى: التابع لهدى النبيين وسنتهم. والعاقب: الخاتم لباب النبوة والرسالة.

وَأَمَّا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ وَالتَّوْبَةِ ، وَالْمَرْحَةِ وَالرَّاحَةِ - فَقَالَ تَعَالَى (۱) : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ، وَكَأَوْصَفَهُ بِأَنَّهُ يُزَكِّيهِمْ (۲) وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ . وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (۳) . وَ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ (۴) رَهُوفٌ رَّحِيمٌ .  
وَقَالَ فِي صِفَةِ (۵) أُمَّتِهِ : إِنَّهَا أُمَّةٌ مَّرْحُومَةٌ (۶) .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ (۷) : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ ﴾ ؛ أَي يَرْحَمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ؛ فَبِعَثَّةِ رَبِّهِ تَعَالَى رَحْمَةٌ لِأُمَّتِهِ ، وَرَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ ، وَرَحِيمًا بِهِمْ ، وَمُتَرَحِّمًا وَمُسْتَغْفِرًا لَهُمْ ، وَجَعَلَ أُمَّتَهُ أُمَّةً مَّرْحُومَةً ، وَوَصَفَهَا بِالرَّحْمَةِ .  
وَأَمْرُهَا (۸) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرَّاحِمِ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ (۹) : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحِيمَاءَ .

وَقَالَ (۱۰) : الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ . اِرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ (۱۱) مَنْ فِي السَّمَاءِ .  
وَأَمَّا رَوَايَةُ نَبِيِّ الْمَلْحَمَةِ فإِشَارَةٌ إِلَى مَا بُعِثَ بِهِ مِنَ الْقِتَالِ وَالسَّيْفِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَهِيَ (۱۲) صَحِيحَةٌ .

- (۱) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، آيَةٌ ۱۰۷  
(۲) يَزَكِّيهِمْ : يَطْهَرُهُمْ مِنَ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ وَالْآثَامِ الْمُدْنَسَةِ . وَالكِتَابُ : الْقُرْآنُ . الْحِكْمَةُ : الْمَعْلُومُ النَّافِعُ ، وَالْعَقَائِدُ الْحَقَّةُ ، وَإِصَابَةُ الْحَقِّ قَوْلًا وَفِعْلًا .  
(۳) يَهْدِيهِمْ : يَهْدِيهِمْ . الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ : الطَّرِيقُ الَّذِي لَا عُوجَ فِيهِ .  
(۴) سُورَةُ التَّوْبَةِ ، آيَةٌ ۱۲۸ (۵) الْقَائِلُ هُوَ الرَّسُولُ .  
(۶) مَرْحُومَةٌ : فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فِي الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ .  
(۷) سُورَةُ الْبَلَدِ ، آيَةٌ ۱۷ (۸) وَأَمْرُهَا : أَي أَمْرُ الْأُمَّةِ .  
(۹) فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ ( ۲ - ۴۲۴ ) : حَدِيثٌ صَحِيحٌ مَشْهُورٌ . وَالْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : ۶۳۶ ، وَصَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : ۲ - ۹۶ (۱۰) سَنَنُ التِّرْمِذِيِّ : ۴ - ۳۲۴  
(۱۱) ضَبَطْتُ الْمِيمَ فِي « يَرْحَمَكُم » بِالضَّمِّ وَالسَّكُونِ وَكُتِبَ فَوْقَهَا « مِمَّا » .  
(۱۲) أَي الرِّوَايَةُ .



وَرَوَى حُدَيْبَةُ مِثْلَ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى ، وَفِيهِ : وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ ؛ وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ ، وَنَبِيُّ الْمَلَأَمِ .

وَرَوَى <sup>(۱)</sup> الْحَرْبِيُّ فِي حَدِيثِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : أَتَانِي مَلَكٌ فَقَالَ لِي : أَنْتَ قُتْمٌ ؛ أَيُّ مُجْتَمِعٍ <sup>(۲)</sup> قَالَ : وَالْقُتْمُ : الْجَامِعُ لِلْخَيْرِ ؛ وَهَذَا اسْمٌ هُوَ فِي أَهْلِ <sup>(۳)</sup> بَيْتِهِ مَعْلُومٌ .

وَقَدْ جَاءَتْ مِنْ أَلْقَابِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسِمَاتُهُ <sup>(۴)</sup> فِي الْقُرْآنِ عِدَّةٌ كَثِيرَةٌ سِوَى مَا ذَكَرْنَاهُ ؛ كَالنُّورِ ، وَالسَّرَاجِ الْمُنِيرِ <sup>(۵)</sup> ، وَالْمُنْذِرِ ، وَالنَّذِيرِ <sup>(۶)</sup> ، وَالْمُبَشِّرِ ، وَالْبَشِيرِ ، وَالشَّاهِدِ ، وَالشَّهِيدِ <sup>(۷)</sup> ، وَالْحَقُّ الْمُبِينِ ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ <sup>(۸)</sup> ، وَالرَّءُوفِ الرَّحِيمِ ، وَالْأَمِينِ ، وَقَدَّمَ الصَّدَقُ [ ۸۰ ] ، وَرَحْمَةُ الْعَالَمِينَ <sup>(۹)</sup> ، وَنِعْمَةَ اللَّهِ ، وَالْعُرْوَةَ الْوَثْقَى ، وَالصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ <sup>(۱۰)</sup> ، وَالنَّجْمَ الثَّاقِبَ ، وَالكَرِيمَ ، وَالنَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ،

(۱) رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الدَّلَائِلِ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ مَيْسَرَةَ . وَفِي هَامِشِ ب ، أ : وَقِيلَ هُوَ مُتَشَقِّقٌ مِنَ الْقُتْمِ ، وَهُوَ الْإِعْطَاءُ ، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَجُودَ بِالْحَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْهَابَةِ ( مِنْ كَشْفِ الْمَشْكَلِ لِابْنِ الْجَوْزِيِّ ) . (۲) مُجْتَمِعٌ : أَيُّ مَجْمُوعٍ فِيكَ كُلِّ كَالِ وَخَيْرٍ .

(۳) أَيُّ سَمِيَّ بِهِ غَيْرُهُ . وَهُوَ قُتْمُ بْنُ الْعَبَّاسِ . وَقُتْمٌ عَمُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . (۴) سِمَاتُهُ : صِفَاتُهُ .

(۵) فِي الْقُرْآنِ ( الْمَائِدَةُ : ۱۵ ) : « قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ » . وَفِيهِ ( الْفِرْقَانُ : ۶۱ ) : « وَسِرَاجًا مُنِيرًا » .

(۶) قَالَ تَعَالَى : « إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ » . وَقَالَ تَعَالَى : « إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ » .

(۷) قَالَ تَعَالَى : « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا » . وَقَالَ تَعَالَى : « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا » . وَقَالَ : « يَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » .

(۸) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ ، وَرَسُولٌ مُبِينٌ » . وَقَالَ : « وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ » .

(۹) قَالَ تَعَالَى : « مَطَاعٌ ثُمَّ أَمِينٌ » . وَقَالَ : « وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ عِنْدَ رَبِّهِمْ » . « وَقَالَ : وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » .

(۱۰) قَالَ تَعَالَى : « بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا » . وَقَالَ : « فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوَثْقَى » . وَقَالَ : « أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ » .

وداعی اللہ<sup>(۱)</sup> - فی أوصافٍ كثيرةٍ ، وسماتٍ جليلةٍ<sup>(۲)</sup> .

وجرى منها في كتب الله المتقدمة، وكتب أنبيائه، وأحاديث رسوله، وإطلاق الأمة جملة شافية؛ كتسميته بالمصطفى، والمجتبي<sup>(۳)</sup>، وأبي القاسم، والحبيب، ورسول رب العالمين، والشفيع المشفع، والمتقى، والمصلح، والطاهر، والمهيمن، والصادق، والمصدوق، والهادي، وسيد واد آدم، وسيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الفرّ المحجّلين<sup>(۴)</sup>، وحبيب الله، و خليل الرحمن، وصاحب الحوض<sup>(۵)</sup> المورود، والشفاعة، والمقام المحمود، وصاحب الوسيلة<sup>(۶)</sup> والفضيلة والدرجة الرفيعة، وصاحب التاج<sup>(۷)</sup>، والمفراج، واللواء، والقضيب<sup>(۸)</sup>، وراكب البراق، والناقة، والنجيب<sup>(۹)</sup>، وصاحب الحجة والسلطان، والخاتم، والعلامة والبرهان، وصاحب الهراوة والنعلين<sup>(۱۰)</sup> .

(۱) قال تعالى: « والنجم الثاقب » . وقال: « وبالنجم هم يهتدون » . وقال: « إنه لقول رسول كريم » . وقال: « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي » . وقال: « داعيا إلى الله بإذنه » .  
(۲) أي ورد ما ذكر في القرآن والآثار من صفات أخر كثيرة أطلقت عليه كإطلاق الاسم على مسماه .  
(۳) المجتبي : المختار .

(۴) الفرّ : جمع أغر ، مطلق بياض الوجه . والتعجيل : بياض في القوائم .

(۵) قال السيوطي : حديث الحوض مروى عن أكثر من خمسين صحابيا .

(۶) الوسيلة : السبب الموصل لأمر عظيم ، سمي به ؛ لأنه سبب لكل خير .

(۷) قيل المراد بالتاج هنا العمامة . والعمائم : تيجان العرب ، فكفى به عن أنه من صميم

العرب وأشرفهم حسبا ونسبا .

(۸) صاحب اللواء : المراد : لواء الحمد الذي تقدم . أو اللواء الذي كان يعقده صلى الله

عليه وسلم للحرب ، فهو كناية عن القتال . والقضيب : السيف ، كناية عن جهاده وكثرة قتاله .

(۹) ركب الناقة في حجة الوداع . والنجيب : الجمل ؛ كناية عن تواضعه . أو لهجرته

عليه ، أو كونه من صميم العرب .

(۱۰) والعلامة : علامة النبوة ، وهي الخاتم أيضا . الهراوة : العصا . قال ابن الأثير : سمي بذلك

لأنه - صلى الله عليه وسلم - كان يمسك بيده القضيب ، ويمشي بالعصا بين يديه ، وتفرز له ليصلى إليها .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ فِي السُّكُتِبِ (١) : التَّوَكُّلُ ، وَالْمُخْتَارُ (٢) ، وَمُتَقِيمُ السَّنَةِ (٣) ،  
وَالْمُقَدَّسُ (٤) ، [وَرُوحُ الْقُدُّوسِ] (٥) ، وَرُوحُ الْحَقِّ ؛ وَهُوَ مَعْنَى الْبَارَقَلِيطِ فِي الْإِنْجِيلِ .  
وَقَالَ ثَعْلَبُ : الْبَارَقَلِيطُ : الَّذِي يَفْرِقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ (٦) .  
وَمِنْ أَسْمَائِهِ فِي السُّكُتِبِ السَّالِفَةِ : مَاذُ مَاذُ (٧) ؛ وَمَعْنَاهُ طَيِّبٌ ، طَيِّبٌ ،  
وَحَمَّطَايَا (٨) ، وَالْحَاتِمُ ، وَالْحَاتِمُ (٩) ؛ حَكَاهُ كَعَبُ الْأَحْبَارِ .  
قَالَ ثَعْلَبُ : فَالْحَاتِمُ الَّذِي خَتَمَ [اللَّهُ بِهِ] (١٠) الْأَنْبِيَاءَ . وَالْحَاتِمُ : أَحْسَنُ الْأَنْبِيَاءِ  
خَلْقًا وَخَاتَمًا .

- 
- (١) فِي السُّكُتِبِ : أَيِ السُّكُتِبِ الْإِلَهِيَّةِ الْمُنزَلَةِ عَلَى مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ .  
(٢) سُمِّيَ بِهِمَا فِي التَّوْرَةِ . (٣) سُمِّيَ بِهِ فِي التَّوْرَةِ وَالزَّبُورِ .  
(٤) الْمُقَدَّسُ : الْمَطْهَرُ الْمُنْقَى مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ ، أَوْ الْمَفْضَلُ عَلَى غَيْرِهِ .  
(٥) وَرُوحُ الْقُدُّوسِ : الرُّوحُ الْمُقَدَّسَةُ لِلْمَطْهَرَةِ مِنَ النَّقَائِصِ : وَمَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ لَيْسَ فِي أ .  
(٦) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ ( ٢ - ٤٣٨ ) : الَّذِي عَلَيْهِ أَصْحَابُ الْإِنْجِيلِ أَنْ مَعْنَاهُ الْمَخْلُصُ .  
وَهَذَا الضَّبْطُ فِي أ ، ب . وَفِي شَرْحِ الْقَارِي ( ١ - ٤٩٦ ) : الْبَارَقَلِيطُ - بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَيَفْتَحُ  
الرَّاءَ وَتَكْسِرُ وَبِسُكُونِ الْقَافِ ، وَقَدْ تَسَكَّنَ الرَّاءَ وَتَفْتَحُ الْقَافَ ، وَتَكْسِرُ اللَّامَ ، بِمَدِّهَا يَاءُ  
مِثْلَةَ سَا كُنَّةِ فِطَاءِ مَهْمَلَةٍ . وَرَوَى بِالْفَاءِ الْفَصِيحَةَ وَبِالْبَاءِ غَيْرَ صَافِيَةً .  
(٧) فِي ب : بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ ، وَالذَّالِ الْمَهْمَلَةِ ، وَعَلَيْهَا « مَعَا » .  
(٨) فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ ( ٢ - ٤٣٩ ) : هَذَا وَمَا قَبْلَهُ رَوَاهُ أَبُو نَسِيمٍ فِي الدَّلَائِلِ عَنْ ابْنِ  
عَبَّاسٍ . قَالَ : وَمَعْنَاهُ : يَمْنَعُ مِنَ الْحَرَامِ ، وَيَحْمِي الْحَرَمَ ؛ أَيُ يَمْنَعُ مَا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ  
الْإِنْكَحَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَحْرَمَاتِ . وَقَدْ ضَبَطْتُ الْحَاءَ فِي أ بِالْكَسْرِ . وَضَبَطْتُ فِي ب :  
بِالْفَتْحَةِ . وَفِي شَرْحِ الْقَارِي ( ١ - ٤٩٧ ) تَسَكَّنَ الْمِيمَ وَتَشَدَّدَ .  
(٩) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ : الظَّاهِرُ أَنَّهُ مِنَ الْحَتْمِ ؛ وَهُوَ الْإِحْكَامُ ؛ لِإِحْكَامِ الْقَضَاءِ وَالْأَحْكَامِ .  
وَالْحَاتِمُ : الْقَاضِي - كَمَا فِي الصَّحَاحِ .  
(١٠) لَيْسَ فِي أ .

ويسمى بالسريانية : مُشَفَّحٌ <sup>(۱)</sup> وَالْمُنْحَمِنَا <sup>(۲)</sup> ؛ واسمه في التوراة أُحِيدٌ <sup>(۳)</sup> -

رَوَى ذَلِكَ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ .

ومعنى صاحب القضيبة ؛ أى السيف ؛ وقع ذلك مفسراً في الإنجيل ؛ قال : معه

قَضِيبٌ مِنْ حَدِيدٍ يُقَاتِلُ بِهِ ، وَأُمَّتُهُ كَذَلِكَ .

وقد يحمل على أنه القضيبة المشوق <sup>(۴)</sup> الذى كان يُمَسِّكُهُ صلى الله عليه وسلم ؛

وهو الآن عند الخلفاء <sup>(۵)</sup> .

وَأَمَّا الْهَرَاوَةُ الَّتِي وَصِفَ بِهَا فِيهِ فِي اللُّغَةِ الْعَصَا ؛ وَأَرَاهَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - الْعَصَا

الْمَذْكُورَةُ فِي حَدِيثِ الْحَوْضِ <sup>(۶)</sup> : أَذُودُ النَّاسِ عَنْهُ بَعْصَايَ - لِأَهْلِ الْيَمِينِ .

وَأَمَّا التَّاجُ فَالْمُرَادُ بِهِ الْعِمَامَةُ ، وَلَمْ تَكُنْ حِينَئِذٍ إِلَّا لِلْعَرَبِ ؛ وَالْعَامُّ تَيْجَانُ

الْعَرَبِ .

وَأَوْصَافُهُ ، وَأَلْقَابُهُ ، وَسِمَاتُهُ فِي الْكُتُبِ كَثِيرَةٌ ؛ وَفِي ذِكْرِنَا مِنْهَا مَقْنَعٌ

إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

[ وَكَانَتْ كُنْيَتُهُ الْمَشْهُورَةُ أَبُو الْقَاسِمِ .

وَرَوَى <sup>(۷)</sup> عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ لَمَّا وُلِدَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ جَاءَهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ

يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ ] <sup>(۸)</sup> .

(۱) سمي به في كتاب شعيا . وقيل معناه محمد . وهذا الضبط في ب . وفي ا بالقاف .

(۲) قيل معناه : محمد . وقيل : روح القدس . وهذا الضبط في ب . وفي ا ضبطت

الميم بالفتحة .

(۳) هذا الضبط في ب . وفي ا : بفتح الهمزة وكسر الحاء المهملة .

(۴) مشوق : طويل دقيق . (۵) عند الخلفاء : يمسكونه تبركا به .

(۶) صحيح مسلم : ۱۷۹۹ ، وأذود : أدفع ، وأطرد . لأهل اليمن ؛ أى لأجاءهم حتى

يتقدموا . (۷) كما روى في مسند أحمد ، والبيهقي .

(۸) في هامش ا ، ب : من الأم بخطه ، من غير الرواية .

## فصل

في تشریف اللہ تعالیٰ له بما سماه من اسمائه الحسنی ووصفه به  
من صفاته العُلا

قال القاضي أبو الفضل<sup>(۱)</sup> وفقه الله تعالى: ما أحرى هذا الفصل<sup>(۲)</sup> بفصول الباب  
الأول؛ لانخراطه<sup>(۳)</sup> في سلك مضمونها، وامتزاجه بعذب معينها<sup>(۴)</sup>؛ لكن لم يشرح  
الله الصدر للهداية<sup>(۵)</sup> إلى استنباطه، ولا أنار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه  
إلا عند الخوض في الفصل الذي قبله؛ فرأينا أن نضيفه إليه، ونجمع به شمله<sup>(۶)</sup>.  
فاعلم أن الله تعالى خص كثيرا من الأنبياء بكرامة خلعها عليهم<sup>(۷)</sup> من اسمائه؛  
كتسمية إسحاق، وإسماعيل بعليم، وحليم<sup>(۸)</sup>؛ وإبراهيم بحليم<sup>(۹)</sup>، ونوح بشكور<sup>(۱۰)</sup>،  
وعيسى ويحيى ببر<sup>(۱۱)</sup> وموسى بكريم، وقوى<sup>(۱۲)</sup>؛ ويوسف بحفيظ عليم<sup>(۱۳)</sup>؛

(۱) هو المصنف .

(۲) وهو العقود لثناء الله عليه، وإظهار عظيم قدرته . أخرى : أحق وأولى .

(۳) لا نخراطه : أي لدخوله ، وانضمامه .

(۴) امتزاجه : اختلاطه . والمعين : الجارى . يريد بحلو مأها .

(۵) أي لم يفتح الله عليه به أولا بإخراجه في محله .

(۶) نجمع به شمله : أي نضمه إليه .

(۷) بكرامة : بأمر أكرمه وشرفه بها . والأصل في الخلعة أنها ثوب يلقيه الملك على من

يكرمه أو يوليه ولاية ، وشاع في عرف الكتاب تسمية الخلعة تشريفا . يريد ألقاها عليهم .

(۸) في قوله تعالى : « وبشروه بغلام عليم » - يعني إسحاق . وقوله تعالى : « فبشرناه

بغلام حليم » - يعني إسماعيل . (۹) في قوله تعالى : « إن إبراهيم لأواه حليم » .

(۱۰) في قوله تعالى : « ذرية من حملنا مع نوح ، إنه كان عبدا شكورا » .

(۱۱) في قوله تعالى : « وبرا بوالديه » . « وبرا بوالدتي » .

(۱۲) في قوله تعالى : « وقد جاءهم رسول كريم » . وقوله : « إن خير من استأجرت القوي

الأمين » . (۱۳) في قوله تعالى : « اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم » .

وأيوب بصائر<sup>(۱)</sup>؛ وإسماعيل بصادق الوعد<sup>(۲)</sup>؛ كما نطق بذلك [ ۸۱ ] الكتاب العزيز من مواضع ذكركم<sup>(۳)</sup>.

وفضّل نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم: بأن حلاؤه منها في كتابه العزيز، وعلى السنة أنبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد إعمال الفكر، وإحضار الذكركر، إذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين، ولا من تفرغ فيها لتأليف فصاين. وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسماً؛ ولعل الله تعالى - كما ألهم<sup>(۴)</sup> إلى ما علم منها وحققه - يتمّ النعمة بإبانه<sup>(۵)</sup> ما لم يُظهره لنا الآن، ويفتح غلقه<sup>(۶)</sup>.

فمن أسمائه تعالى: الحميد؛ ومعناه المحمود؛ لأنه حمّد نفسه، وحمّده عباده، ويكون أيضاً بمعنى الحامد لنفسه ولأعمال الطاعات:

وسمّى الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم محمداً، وأحمد؛ فحمّد بمعنى محمود، وكذا وقع اسمه في زبور داود.

وأحمد بمعنى أكبر من حمّد؛ وأجلّ من حمّد<sup>(۸)</sup>؛ وأشار إلى نحو هذا حسان بقوله<sup>(۹)</sup>:

(۱) في قوله تعالى: «إنا وجدناه صابراً نعم العبد».

(۲) في قوله تعالى: «واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد». وذلك لشهرته بوفاء ما وعد به من صبره على الذبح.

(۳) من مواضع ذكركم: أي استفاداً من مواضع ذكركم. وفي ب: في مواضع...

(۴) بعد أن اجتهد في جمعها، وبذل فيها جهده وطاقته.

(۵) ألهم: يريد أرشد وهدى.

(۶) إبانه: إظهاره. (۷) غلقه: ما يفلق ويقفل به.

(۸) في بتشديد الميم المكسورة. وفي ب بكسر الميم غير المشددة.

(۹) هو حسان بن ثابت، والبيت من قصيدة له يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم. في ديوانه: ۷۸

وَشَقَّ لَهُ مِنْ إِسْمِهِ لِیُجِلَّهُ فذو العرشِ محمودٌ وهذا محمدٌ (۱)  
 ومن أسمائه تعالى : الرؤوف الرحيم ؛ وهما بمعنى متقارب .  
 وقد سماه في كتابه بذلك ؛ فقال (۲) : ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ .  
 ومن أسمائه تعالى الحقُّ المبين . ومعنى الحقُّ : الموجود ، والمتحقق أمره (۳) ،  
 وكذلك المبين ؛ أي البين (۴) أمره وإلهيته .  
 بان ، وأبان بمعنى واحد . ويكون بمعنى المبين لعباده أمر دينهم ومعادهم (۵) .  
 وسمي النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بذلك في كتابه ؛ فقال (۶) : ﴿ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ ﴾  
 ورسولٌ مبينٌ ﴿ . وقال تعالى (۷) : ﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴾ . وقال تعالى (۸) :  
 ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ . وقال (۹) : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ ؛ قيل :  
 محمدٌ . وقيل القرآن . ومعناه هنا ضدُّ الباطلِ ، والمتحققُ صدقُه وأمره - وهو بمعنى  
 الأوّل .

والمبين : البينُ أمره ورسالته ، أو المبين عن الله ما بعثه به ؛ كما قال تعالى (۱۰) :  
 ﴿ لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ .

(۱) في شرح ديوان حسان : هذا البيت ليس من قول حسان ، وإنما هو لأبي طالب ،  
 ضمنه حسان شعره . وفي نسيم الرياض ( ۲ - ۴۴۷ ) : والبيت المذكور رواه البخاري في  
 تاريخه ، وعزاه لأبي طالب ؛ وهو منقول عن طلي بن زيد ؛ فحسان رضى الله تعالى عنه توارد  
 معه ، أو ضمنه ، واستعان به .

(۲) سورة التوبة ، آية ۱۲۸

(۳) أي المتصف بالوجود الأزلي الأبدى . والمتحقق بمعنى المتيقن وجوده لثبوته بالبراهين  
 القاطعة . (۴) البين : الظاهر . (۵) معادهم : في الآخرة .

(۶) سورة الزخرف ، آية ۲۹ (۷) سورة الحجر ، آية ۸۹

(۸) سورة يونس ، آية ۱۰۸ (۹) سورة الأنعام ، آية ۵

(۱۰) سورة النحل ، آية ۴۴

ومن أسمائه تعالى : النور ؛ ومعناه ذو النور ، أى خالقه ، أو مُنَوَّرَ السمواتِ والأرضِ بالأنوار<sup>(١)</sup> ، و مُنَوَّرَ قلوبِ المؤمنين بالهداية .  
وسماه نورا ؛ فقال<sup>(٢)</sup> : ﴿ قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مُبينٌ ﴾ ؛ قيل محمد .  
وقيل القرآن .

وقال فيه<sup>(٣)</sup> : « وسراجاً مُنيراً » ؛ سُمِّيَ بذلك لوضوح أمره ، وبيان نبوته ،  
وتنوير قلوبِ المؤمنين والعارفين بما جاء به .  
ومن أسمائه تعالى : الشَّهِيد ؛ ومعناه العالم<sup>(٤)</sup> . وقيل : الشاهدُ على عباده يومَ  
القيامة .

وسماه شهيداً وشاهداً ؛ فقال<sup>(٥)</sup> : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً ﴾ . وقال تعالى<sup>(٦)</sup> :  
﴿ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ ؛ وهو بمعنى الأول<sup>(٧)</sup> .  
ومن أسمائه تعالى : الكَرِيم ؛ ومعناه الكثير الخَيْرِ . وقيل : المُفْضِل<sup>(٨)</sup> . وقيل :  
العَفْوُ<sup>(٩)</sup> . وقيل : العَلِيّ .

وفي الحديث المَرْوِيُّ<sup>(١٠)</sup> في أسمائه تعالى : الأكرم<sup>(١١)</sup> .

- 
- (١) بالأنوار الفائضة عليها بوامطة السكواكب .  
(٢) سورة المائدة ، آية ١٥ (٣) سورة الأحزاب ، آية ٤٦  
(٤) لأن من شاهد شيئاً علمه علماً تاماً .  
(٥) سورة الأحزاب ، آية ٤٥ ، وسورة الفتح ، آية ٨  
(٦) سورة البقرة ، آية ١٤٣ (٧) بمعنى الأول : أى الشاهد .  
(٨) المفضل : الذى يعطى عفواً بغير وسيلة وسؤال .  
(٩) العفو : الذى يعفو عن السيئات ويمحوها .  
(١٠) الذى رواه ابن ماجه فى سننه ( ١٢٧٠ ) فيه : الكريم . وقد جاء فى القرآن  
الكريم : « اقرأ وربك الأكرم » .  
(١١) الأكرم : الزائد على غيره فى صفة الكرم .



وسماه تعالى كريما بقوله<sup>(١)</sup> : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ ؛ قيل : محمد .  
وقيل : جبريل .

وقال صلى الله عليه وسلم : أنا أكرمُ ولدِ آدمَ .  
ومعاني الاسمِ صحيحة<sup>(٢)</sup> في حقِّه صلى الله عليه وسلم .  
ومن أسمائه تعالى : العظيمُ ؛ ومعناهُ الجليلُ الشَّانُ ، الذي كلُّ شئٍ دونَه<sup>(٣)</sup> .  
وقال في النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .  
ووقع في أوَّلِ سفرِ<sup>(٥)</sup> من التَّوراةِ - عن إسماعيل : وستلِدُ عَظِيمًا لِأُمَّةٍ [٨٢]  
عَظِيمَةٍ ؛ فهو عَظِيمٌ وَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ .

ومن أسمائه تعالى : الجَبَّارُ ، ومعناه المَصْلِحُ ، وقيل القاهر . وقيل العَلِيُّ العَظِيمُ  
الشَّانُ . وقيل المتكبر .

وسُمِّي النبيُّ - صلى الله عليه وسلم في كتاب داود<sup>(٦)</sup> بِجَبَّارٍ ؛ فقال<sup>(٧)</sup> :  
تَقَلَّدُ<sup>(٨)</sup> أَيُّهَا الْجَبَّارُ سَيْفَكَ ؛ فَإِنَّ نَامُوسَكَ<sup>(٩)</sup> وَشِرَائِعَكَ مَقْرُونَةٌ بِهَيْبَةِ يَمِينِكَ<sup>(١٠)</sup> .

(١) سورة الحاقة ، آية ٤٠ ، والتكوير ، آية ١٩

(٢) صحيحة لاتصافه بنهاية الكرم .

(٣) دونَه : قاصر عن بلوغ رتبته إذ لا كمال يدنو من كماله في ذاته وصفاته .

(٤) سورة القلم ، آية ٤

(٥) سفر : كتاب . عن إسماعيل : أي سفر يصدر عن إسماعيل عليه السلام ، أو المراد :

في حق إسماعيل . (٦) كتاب داود : أي الصحف الإلهية المنزلة عليه .

(٧) فقال : أي الله تعالى مخاطبا له صلى الله عليه وسلم لتنزيهه منزلة الموجود لتحققه في علمه .

(٨) تقلد السيف : إذا جعل حمائله على عاتقه وحمله كالقلادة . وفيه إشارة إلى أنه سيؤمر

بالمقاتلة .

(٩) ناموسك : الوحي المنزل عليك ؛ أو عظمتك في قلوب الناس . وأصل معنى الناموس

صاحب السر المطلع على باطن أمرك .

(١٠) بهيبة يمينك : أي بالخوف من سيفك .

ومعناه<sup>(۱)</sup> في حق النبي - صلى الله عليه وسلم : إماماً لإصلاح الأمة بالهداية والتعليم ،  
أو لِقَهْرِهِ أَعْدَاءَهُ ، أو لَعْلَوْ مَنَزِلَتِهِ عَلَى الْبَشَرِ ، وَعَظِيمِ خَطَرِهِ<sup>(۲)</sup> .  
ونفى عنه تعالى - في القرآن - جَبْرِيَّةَ التَّكْبُرِ الَّتِي لَا تَلِيْقُ بِهِ ؛ فقال<sup>(۳)</sup> :

﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ - تعالى : الْخَبِيرُ ؛ ومعناه الْمُطَّلِعُ بِكُنْهِ الشَّيْءِ<sup>(۴)</sup> ، الْعَالِمُ بِحَقِيقَتِهِ .  
وقيل معناه الْخَبِيرُ<sup>(۵)</sup> .

وقال الله تعالى<sup>(۶)</sup> : ﴿ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾ .

قال القاضي بَكْرُ بْنُ الْعَلَاءِ : الْمَأْمُورُ بِالسُّؤَالِ غَيْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .  
وَالْمَسْتَوَلُ الْخَبِيرُ هُوَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقال غيره : بل السائل النبي صلى الله عليه وسلم . والمستول هو الله تعالى ؛

فالنبي خبيرٌ بِالْوَجْهِينِ الْمَذْكُورَيْنِ<sup>(۷)</sup> ؛ قيل : لأنه عالمٌ عَلَى غَايَةِ مِّنَ الْعِلْمِ بِمَا أَعْلَمَهُ  
اللَّهُ مِنْ مَكْنُونِ عِلْمِهِ ، وَعَظِيمِ مَعْرِفَتِهِ ، نُخْبِرُ لِأُمَّتِهِ بِمَا أَدْرِنَ لَهُ فِي إِعْلَامِهِمْ بِهِ .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى : الْفَتَّاحُ ؛ ومعناه الْحَاكِمُ بَيْنَ عِبَادِهِ ، أَوْ فَاتِحُ أَبْوَابِ<sup>(۸)</sup>

(۱) ومعناه : معنى الجبار . (۲) خطره : شرفه وقدره .

(۳) سورة ق ، آية ۴۵

(۴) المطلع بكنه الشيء : الواقف على حقائق الأشياء .

(۵) الخبير أنبياءه ورسله بكلامه المنزل عليهم . أو الخبير عباده يوم القيامة بأعمالهم ؛ فإنه

لا يعزب عن علمه شيء .

(۶) سورة الفرقان ، آية ۵۹

(۷) أما على الوجه الأول فظاهر لإطلاقه عليه ، ولأنه لو لم يكن خبيراً لم يأمر بسؤاله .

وأما على الثاني فلأن إذنه له في السؤال دال على إعلامه به .

(۸) بتيسير أرزاقهم لهم وتهيئة أسبابها وفتح أفعال موانعها . والرحمة : الإِنْعَامُ ؛ أي

النعيم عليهم ، الرزق لهم .

الرِّزْقِ وَالرَّحْمَةِ ، وَالْمُنْفَلِقِ مِنْ أُمُورِهِمْ عَلَيْهِمْ <sup>(۱)</sup> ؛ أَوْ يَفْتَحُ قُلُوبَهُمْ وَبَصَائِرَهُمْ لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ ؛ وَيَكُونُ أَيْضًا بِمَعْنَى النَّاصِرِ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى <sup>(۲)</sup> : ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ﴾ ؛ أَيْ إِنْ تَسْتَنْصِرُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ النَّصْرُ ؛ وَقِيلَ : مَعْنَاهُ مُبْتَدَى الْفَتْحِ وَالنَّصْرِ .

وَسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْفَاتِحِ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ الطَّوِيلِ - مِنْ رِوَايَةِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ وَغَيْرِهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ وَفِيهِ <sup>(۳)</sup> : مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : وَجَعَلْتُكَ فَاتِحًا وَخَاتِمًا <sup>(۴)</sup> .

وَفِيهِ <sup>(۳)</sup> - مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ثَنَائِهِ عَلَى رَبِّهِ ، وَتَعْدِيدِ مَرَاتِبِهِ <sup>(۵)</sup> : وَرَفَعَ لِي <sup>(۶)</sup> ذِكْرِي ، وَجَعَلَنِي فَاتِحًا وَخَاتِمًا ؛ فَيَكُونُ الْفَاتِحُ هُنَا بِمَعْنَى الْحَاكِمِ ، أَوْ <sup>(۷)</sup> الْفَاتِحِ لِأَبْوَابِ الرَّحْمَةِ عَلَى أُمَّتِهِ ، أَوْ <sup>(۷)</sup> الْفَاتِحِ لِبَصَائِرِهِمْ لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ ؛ أَوْ النَّاصِرِ لِلْحَقِّ ، أَوْ الْمُبْتَدَى بِهَدَايَةِ الْأُمَّةِ ، أَوْ الْمُبْدَأُ الْمُقَدَّمُ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْخَاتِمَ لَهُمْ ؛ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كُنْتُ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْخَلْقِ ، وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى <sup>(۸)</sup> فِي الْحَدِيثِ <sup>(۹)</sup> : الشُّكُورُ ؛ وَمَعْنَاهُ <sup>(۱۰)</sup> الْمُنِيبُ عَلَى الْعَمَلِ

(۱) فاتح المنفلق ، أى ميسر كل صعب ومسهله . (۲) سورة الأنفال ، آية ۱۹

(۳) وفيه : أى فى حديث الإسراء - وقد تقدم هذا الحديث صفحة ۲۴۰

(۴) أى أول الأنبياء وخاتمهم .

(۵) وتعدد مراتبه : أى مقاماته بين يدي ربه .

(۶) رفع لى ذكرى : يجعله قرينا لذكره - كما تقدم . (۷) فى ۱ : والفايح .

(۸) فى الحديث الصحيح الذى رواه الترمذى وغيره عن أبى هريرة فى تعداد الأسماء

الحسنى ( سنن الترمذى : ۵ - ۵۳۰ ، وصحيح مسلم : ۵۰۶۲ ) .

(۹) وذلك فى قوله تعالى : « إن ربنا لغفور شكور » .

(۱۰) ومعناه : أى فى حق الله تعالى .

الْقَلِيلِ . وَقِيلَ الْمُثْنِي عَلَى الْمُطِيعِينَ <sup>(۱)</sup> ؛ وَوَصَفَ بِذَلِكَ نَبِيَّهٖ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ <sup>(۲)</sup> :  
﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ .

وَقَدْ وَصَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسَهُ بِذَلِكَ ؛ فَقَالَ <sup>(۳)</sup> : أَفَلَا أكونُ عَبْدًا  
شَكُورًا ؛ أَي مُعْتَرِفًا بِنِعْمِ رَبِّي ، عَارِفًا بِقَدْرِ ذَلِكَ ، مُثْنِيًا عَلَيْهِ ، مُجْهِدًا <sup>(۴)</sup> نَفْسِي  
فِي الزِّيَادَةِ مِنْ ذَلِكَ ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى <sup>(۵)</sup> : ﴿لئنْ شَكَرْتُمْ لأزِيدَنَّكُمْ﴾ .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى : الْعَلِيمُ ، وَالْعَلَّامُ . وَعَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ <sup>(۶)</sup> .  
وَوَصَفَ نَبِيَّهٖ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْعِلْمِ ؛ وَخَصَّهُ بِمَزِيَّةٍ <sup>(۷)</sup> مِنْهُ ؛ فَقَالَ تَعَالَى <sup>(۸)</sup> :  
﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ . وَقَالَ <sup>(۹)</sup> : ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ  
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى : الْأَوَّلُ ، وَالْآخِرُ ؛ وَمَعْنَاهُمَا السَّابِقُ [ ۸۳ ] لِلْأَشْيَاءِ قَبْلَ  
وَجُودِهَا ، وَالْبَاقِي بَعْدَ فَنَائِهَا .

وَتَحْقِيقُهُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَوَّلٌ وَلَا آخِرٌ <sup>(۱۰)</sup> .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كُنْتُ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْخَلْقِ <sup>(۱۱)</sup> ؛ وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ ؛

(۱) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ ( ۲ - ۴۵۶ ) : وَهَذَا أَنْسَبُ بِمَعْنَى الشُّكْرِ الْحَقِيقِيِّ وَأَقْرَبُ .

(۲) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ، آيَةٌ ۳ (۳) وَالْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : ۶ - ۱۶۹

(۴) مُجْهِدًا نَفْسِي : بِإِذْلا جَهْدِي وَطَاقَتِي وَمَتَعِبًا نَفْسِي . (۵) سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ ، آيَةٌ ۷

(۶) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ : أَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مِمَّا غَابَ وَخَفِيَ ، وَمَا حَضَرَ وَظَهَرَ ،

وَدَقَّ وَجَلَ .

(۷) مَزِيَّةٌ : فَضِيلَةٌ . (۸) سُورَةُ النَّسَاءِ ، آيَةٌ ۱۱۳ (۹) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، آيَةٌ ۱۵۱

(۱۰) وَلَا ابْتِدَاءَ وَلَا انْتِهَاءَ ؛ فَلَا سَابِقَ عَلَيْهِ ، وَلَا بَاقِيَ عِنْدَهُ .

(۱۱) يَعْنِي فِي عَالَمِ الذَّرِّ وَالْأَرْوَاحِ ؛ خَلَقْتَ رُوحَهُ ، وَنَبِيَّ قَبْلَهُمْ . وَالْحَدِيثُ فِي ابْنِ كَثِيرٍ :

۶ - ۳۸۳ ، وَأَخْرَجَهُ السُّيُوطِيُّ فِي الذَّرِّ الْمَشُورِ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَفْيَانَ ، وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ،

وَابْنِ مَرْدُويَه ، وَأَبِي نَعِيمٍ فِي الدَّلَائِلِ ، وَالدَّيْلَمِيِّ .

وقُفِّرَ بهذا قوله تعالى (۱): ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ (۲) وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾؛  
فقدّم محمداً صلى الله عليه وسلم (۳).

وقد أشار إلى نحوٍ منه عمرُ بن الخطاب (۴) رضى الله عنه .

ومنه قوله : نحن الآخرون السابقون .

وقوله (۵) : أنا أوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، وَأَوَّلُ

شَافِعٍ ، وَأَوَّلُ مُسْتَفْعٍ ؛ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَأَخِي الرُّسُلِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى : الْقَوِيُّ . وَذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ (۶) ؛ وَمَعْنَاهُ : الْقَادِرُ .

وَقَدْ وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ ؛ فَقَالَ (۷) : ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ ؛

قِيلَ مُحَمَّدٌ . وَقِيلَ جِبْرِيلُ .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى : الصَّادِقُ ، فِي الْحَدِيثِ الْمَأْثُورِ (۸) .

وَوُرِدَ فِي الْحَدِيثِ أَيْضاً اسْمُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ (۸) .

(۱) سورة الأحزاب ، آية ۷

(۲) الميثاق : هو أن يؤمنوا بالله ويوحدوه .

(۳) قال في نسيم الرياض ( ۲ - ۴۵۸ ) : قدم محمداً في الذكر لتقدمه في الخلق ، بل

ولبعث ؛ وهذا التفسير رواه قتادة عن الحسن ، عن أبي هريرة رضى الله عنه ؛ قال : سئل

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ . . .

فقال : كنت أولهم في الخلق ، وآخرهم في البعث .

(۴) في قوله - كما تقدم : لما بكى على النبي صلى الله عليه وسلم إذ توفي : بأبي أنت وأمي

يا رسول الله ! لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك أولهم ، فقال : وإذ

أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح . . .

(۵) سنن الترمذى : ۵ - ۳۰۸ ، ۵۸۷

(۶) سورة الداريات ، آية ۵۸ (۷) سورة التكويم ، آية ۲۰

(۸) المصدوق : المصدق بما جاء به . في الحديث المأثور المروي بسند صحيح - كما رواه

ابن ماجه ۱۲۷۰ ، وقد تقدم .

ومن أسمائه تعالى : الْوَلِيُّ ، وَالْمَوْلَى ؛ ومعناها الناصِرُ ؛ وقد قال الله تعالى (۱) :  
﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ .  
وقال صلى الله عليه وسلم (۲) : أَنَا وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ .  
وقال الله تعالى (۳) : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (۴) .  
وقال صلى الله عليه وسلم (۵) : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيَّْ مَوْلَاهُ (۶) .  
ومن أسمائه تعالى : الْعَفْوُ (۷) ؛ ومعناه الصَّفْوَحُ .  
وقد وصف الله تعالى بهذا نبيّه في القرآن ، والتوراة ، وأمره بِالْعَفْوِ ؛ فقال  
تعالى (۸) : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ .  
وقال (۹) : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ﴾ .  
وقال له جبريلُ - وقد سأله عن قوله (۸) : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ ؛ قال (۱۰) : أَن تَعْفُو  
عَمَّنْ ظَلَمَكَ .

(۱) سورة المائدة ، آية ۵۵

(۲) رواه البخارى عن أبي هريرة ، ورواه أحمد ، وأبو داود : أَنَا أَوْلَىٰ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ .  
وفي البخارى أيضا : أَنَا أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ، فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاء فعلى  
قضاؤه . والحديث في صحيح البخارى : ۶ - ۱۴۵

(۳) سورة الأحزاب ، آية ۶

(۴) أى أحق بهم من أنفسهم ؛ فإنه يتولى صلاحهم ، وينصرهم ، ويقضى ديونهم ، ويخلصهم  
بما يكرهون في الدنيا والآخرة .

(۵) فى حديث رواه الترمذى وحسنه ( سنن الترمذى : ۵ - ۶۳۳ ) .

(۶) المراد ولاء الإسلام ونصرته .

(۷) العفو : مبالغة فى العفو عن السيئات ، وهو محوها وإزالتها .

(۸) سورة الأعراف ، آية ۱۹۹ (۹) سورة المائدة ، آية ۱۳

(۱۰) هذا التفسير على غير رأى الأكثرين من المفسرين ؛ فهم يرون أن معنى العفو : المال

الفاضل عن نفقة العيال .

وقال - في التوراة والإنجيل في الحديث المشهور<sup>(۱)</sup> ، في صِفَتِهِ : لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَصْفَحُ .

ومن أسمائه تعالى : الهادي ؛ وهو بمعنى توفيق الله لمن أراد من عباده ، وبمعنى الدلالة والدعاء<sup>(۲)</sup> . قال الله تعالى<sup>(۳)</sup> : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾<sup>(۴)</sup> . وأصل الجميع<sup>(۵)</sup> من الميل<sup>(۶)</sup> . وقيل : من التقديم . وقيل في تفسير ﴿ طه ﴾ إنه يا طاهر ، يا هادي<sup>(۷)</sup> ؛ يعني النبي صلى الله عليه وسلم . وقال الله تعالى له<sup>(۸)</sup> : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

وقال فيه<sup>(۹)</sup> : ﴿ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ﴾ .

فالله تعالى مختص بالمعنى الأول<sup>(۱۰)</sup> ؛ قال تعالى<sup>(۱۱)</sup> : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ . وبمعنى الدلالة ينطلق على غيره تعالى .

ومن أسمائه تعالى : المؤمن المهيمن ؛ قيل : هما بمعنى واحد ؛ فمعنى المؤمن

(۱) هذا الحديث تقدم عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

(۲) الدعاء : الدعوة . (۳) سورة يونس ، آية ۲۵

(۴) أي يرشدهم إلى طريق مستقيم يوصلهم إلى الجنة بما خلقه فيهم من العقل وأرسل من

الرسول ، ووقفهم لاتباعهم .

(۵) الجميع من معاني الهداية .

(۶) فمعنى هداه إلى كذا : صرفه إليه ، وأماله عن غيره .

(۷) على طريق الرمز والاكتفاء بحرفين من الاسمين بدلان على الباقي . فهو طاهر من

كل دنس ، وهو هداية لخلق .

(۸) سورة الشورى ، آية ۵۲

(۹) سورة الأحزاب ، آية ۴۶

(۱۰) وهو التوفيق بخلق الاهتداء ؛ فإنه لا يقدر عليه سواه .

(۱۱) سورة القصص ، آية ۵۶

في حقه تعالى : المُصَدِّقُ وَعَدَهُ عِبَادَهُ (١) ، وَالْمُصَدِّقُ قَوْلَهُ الْحَقُّ (٢) ، وَالْمُصَدِّقُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَرُسُلِهِ (٣) . وَقِيلَ : الْمُوَحَّدُ نَفْسَهُ (٤) . وَقِيلَ : الْمُؤْمِنُ عِبَادَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ ظُلْمِهِ (٥) ، وَالْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ عَذَابِهِ .  
 وَقِيلَ : الْمُهَيِّمِينَ بِمَعْنَى الْأَمِينَ ، مُصَغَّرٌ مِنْهُ ، فَقُلِبَتِ الْهَمْزَةُ هَاءً .  
 وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ قَوْلَهُمْ فِي الدُّعَاءِ : آمِينَ - إِنَّهُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى (٦) ،  
 وَمَعْنَاهُ مَعْنَى الْمُؤْمِنِ .

وَقِيلَ : الْمُهَيِّمِينَ بِمَعْنَى الشَّاهِدِ (٧) وَالْحَافِظِ .  
 وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِينٌ ، وَمُهَيِّمِينَ ، وَمُؤْمِنٌ (٨) ، وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَمِينًا ؛ فَقَالَ (٩) : ﴿ مُطَاعٍ سَمَّ أَمِينٌ ﴾ .  
 وَكَانَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُعْرَفُ بِالْأَمِينِ ، وَشُهِرَ بِهِ قَبْلَ النَّبُوَّةِ وَبَعْدَهَا ؛  
 وَسَمَّاهُ الْعَبَّاسُ (١٠) ، فِي شِعْرِهِ مُهَيِّمِنَا فِي قَوْلِهِ [ ٨٤ ] :

(١) أَي مَا وَعَدَ بِهِ عِبَادَهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الثَّوَابِ ، وَنَعِيمِ الْآخِرَةِ ، وَالنَّصْرَ الْعَزِيزَ فِي الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ . . . .

(٢) أَي الَّذِي صَدَقَ مَا قَالَهُ مِنَ الْحَقِّ .

(٣) أَي يَصَدِّقُ مَا قَالُوهُ ، أَوْ جَاعِلُهُمْ صَادِقِينَ فِي قَوْلِهِمْ مُلتَزمِينَ لِلصِّدْقِ فِي أَقْوَابِهِمْ وَعَهْوَدِهِمْ .

(٤) الْمُوَحَّدُ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » . وَقَوْلُهُ : « إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا » - فَصَدَّقَ مَا نَطَقَتْ بِهِ السَّكَّانَاتُ وَحِكْمَتُهُ الْبَرَاهِينُ مِنْ تَوْحِيدِهِ فِي أَلْوَهِيَّتِهِ ؛ وَهَذَا كُلُّهُ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَعْنَى التَّصَدِيقِ .

(٥) مِنْ ظُلْمِهِ : لِتَنَزُّهِهِ عَنْهُ : « وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ » .

(٦) قَالَ الْحَسَنُ . مَعْنَاهُ اسْتَجَبَ ، أَوْ لَا تَخَيَّبَ .

(٧) الشَّاهِدُ : الْحَاكِمُ ، وَالَّذِي يَشْهَدُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ .

(٨) أَي يَسْمَى بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ الثَّلَاثَةِ . (٩) سُورَةُ التَّكْوِينِ ، آيَةُ ٢١

(١٠) هُوَ فِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمِ النَّبِيِّ ، وَالْبَيْتُ فِي اللِّسَانِ - نَطَقَ . وَقَدْ تَقَدَّمَ صَفْحَةَ ٢١٩



ثم (۱) احتوى بيتك المهيم من خندق علينا تمنها النطق  
 قيل : المراد : بأبيها المهيم ، قاله القتيبي (۲) ، والإمام أبو القاسم القشيري .  
 وقال تعالى (۳) : ﴿ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ؛ أى يصدق .  
 وقال صلى الله عليه وسلم : أنا أمانة لأصحابي (۴) ؛ فهذا بمعنى المؤمن .  
 ومن أسمائه تعالى : القدوس (۵) ، ومعناه المنزلة عن النقائص المطهر من سمات  
 الخدث ؛ وسمى بيت المقدس ، لأنه يتطهر فيه من الذنوب (۶) ؛ ومنه : الوادى  
 المقدس ، وروح القدس (۷) .

(۱) فى اللسان : حتى احتوى . . . قال : والنطق : جمع نطاق ، وهى أعراض من جبال  
 بعضها فوق بعض ؛ أى نواح وأوساط ، شبت بالنطق التى يشد بها أوساط الناس ، ضربه مثلا  
 فى ارتفاعه وتوسطه فى عشيرته وجمالهم تحته بمنزلة أو ساط الجبال . وأراد بيته شرفه . والمهيم  
 نعت ؛ أى حتى احتوى شرفك الشاهد على فضلك أعلى مكان من نسب خندق .

(۲) هذا فى ۱ ، ب (۳) سورة التوبة ، آية ۶۱

(۴) هذا طرف من حديث : النجوم أمانة فى السماء ، فإذا ذهبت أى السماء ما توعد ،  
 وأنا أمانة لأصحابي ، فإذا ذهبت أى أصحابي ما يوعدون . وأصحابي أمانة لأمتي فإذا ذهب أصحابي  
 أى أمتي ما يوعدون . يعنى أن النجوم إذا رفعت قرب وقت فنائها وانشاقها ؛ ولذا كثر سقوطها عند  
 بعثته ؛ إشارة إلى قرب الساعة ، فهو صلى الله عليه وسلم أمان لأصحابه من وقوع بأسهم بينهم  
 ووقوع الفتن ؛ فإذا توفاه الله ابتداء وقوع ذلك ؛ كقصة عثمان ، وعلى ، والحسين . وأصحابه  
 صلى الله عليه وسلم أمان للناس من ظهور الفساد فى البر والبحر ؛ فإذا ذهبوا بدأ ظهور ذلك .  
 والحديث فى صحيح مسلم : ۱۹۶۱ ، والشرح من شرح الشهاب (۲-۴۶۶) . وأمانة : أمان .  
 (۵) القدوس : من القدس ؛ وهو الطهارة والنزاهة .

(۶) يتطهر فيه من الذنوب : بزيارته والعبادة فيه . روى النسائي بإسناد صحيح عن النبي  
 صلى الله عليه وسلم : إن سليمان بن داود عليهما السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خلا لا ثلاثا :  
 حكما يصادف حكمه . وما سكا لا ينبغى لأحد من بعده . وألا يأتى بيت المقدس أحد لا ينهره إلا  
 الصلاة فيه يخرج منه خطيئته كيوم ولدته أمه ، فأعطى جميع ذلك ( شرح الشهاب : ۲-۴۶۶ ) ،  
 قال : ولهذا تشد إليه المطى ، كما تشد إلى مكة .

(۷) الوادى المقدس : هو طوى كلم الله فيه موسى . وروح القدس : جبريل .

ووقع في كتب الأنبياء في أسمائه صلى الله عليه وسلم : المقدّس ؛ أي المطهّر من الذنوب ، كما قال تعالى (١) : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ .  
 أو الذي يُتَطَهَّرُ به من الذنوب ، ويُتَنَزَّهُ بِاتِّبَاعِهَا عنها ، كما قال (٢) : « وَيُزَكِّيهِمْ » .  
 وقال تعالى (٣) : ﴿ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ .  
 أو يكون مقدّساً بمعنى مطهّراً (٤) ، من الأخلاق الذميمة والأوصاف الدنيئة .  
 ومن أسمائه تعالى : العزيز ، ومعناه : المُتَمَنِّع (٥) الغالب ، أو الذي لا نظير له ،  
 أو المُعَزَّز لغيره ؛ وقال تعالى (٦) : ﴿ وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ ﴾ ؛ أي الامتناعُ وجمّالة القدر .

وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والندارة ، فقال (٧) : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبَّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ ﴾ .

وقال (٨) : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِإِيجَابٍ ﴾ ؛ و (٩) ﴿ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ﴾ .  
 وسماه الله تعالى مُبَشِّراً ، ونذيراً ؛ أي مُبَشِّراً لأهل طاعته ، ونذيراً لأهل معصيته .

ومن أسمائه تعالى فيما ذكره بعضُ المُفسِّرين : طه ، ويس . وقد ذكر بعضهم أيضاً أنهما من أسماء محمدٍ صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم .

(١) سورة الفتح ، آية ١  
 (٢) سورة البقرة ، آية ١٢٩ . ومعنى يزكّيهم : يطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ، ويعلمهم ما يكفهم عن الآثام .  
 (٣) سورة المائدة ، آية ١٦ ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور : من الكفر والمعاصي إلى الإيمان وتقوى الله وطاعته بإرشادهم وتوفيق الله لهم ببركته .  
 (٤) في ١ : مطهر . (٥) المتنع : الذي لا ينال ولا يدرك .  
 (٦) سورة « المنافقون » ، آية ٨ (٧) سورة التوبة ، آية ٢١  
 (٨) سورة آل عمران ، آية ٣٩ (٩) سورة آل عمران ، آية ٤٥

فصل

قال القاضي أبو الفضل <sup>(١)</sup> : وفقه الله ، وهأنا <sup>(٢)</sup> أذكرُ نِكْتَةَ <sup>(٣)</sup> أذْيَلُ بها هذا الفصلَ ، وأختمُ بها هذا القسمَ ، وأزيجُ الإشكالَ بها فيما تقدم عن كلِّ ضعيف الوهم <sup>(٤)</sup> ، سقيم الفهم ، تخلصه من مهاوى التشبيه <sup>(٥)</sup> ، وترجزه عن شبه التمويه <sup>(٦)</sup> ؛ وهو أن يعتقد أن الله تعالى جلَّ اسمه في عظمته وكبريائه وملاكوته ، وحسنِ أسمائه ، وعلى صفاته ، لا يشبه شيئا من مخلوقاته ، ولا يشبه به <sup>(٧)</sup> ؛ وأن ما جاء مما أطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق ؛ فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي ؛ إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق ؛ فكما أن ذاته لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين ؛ إذ صفاتهم لا تنفك <sup>(٨)</sup> عن الأغراض والأغراض ؛ وهو تعالى - منزّه عن ذلك ؛

(١) هو المؤلف : القاضي عياض . (٢) هذا في ١ ، ب .

(٣) النكته : الأمر الدقيق المحتاج إلى فكر وتأمل ، سميت بها لأن صاحبها كثيرا ما يبحث في الأرض بقضيب ونحوه .

(٤) المراد بالوهم هنا : الذهن ، والإدراك ( الشهاب : ٢ - ٤٦٩ ) .

(٥) مهاوى : جمع مهواة ؛ وهي كالمهاوية : الحفرة العميقة التي من يقع فيها يصعب طلوعه . والتشبيه : المراد به تشبيه الله وصفاته بغيرها ؛ لأن إطلاق بعض الأسماء على الله وعلى غيره قد يوهم ذلك .

(٦) والتمويه : المراد بالتمويه : زخرفة الكلام الذي لا حقيقة له وتحسينه حتى يروج على من لا علم عنده .

(٧) لا يشبه به : لا يمثل به شيء لسكال ذاته وجلال صفاته .

(٨) لا تنفك : لا تفارق الأغراض ، والله تعالى - منزّه عن الأغراض المحسوسة والكيفيات النفسانية ، لأنها تابعة للمزاج ، المستلزم للتركيب ، المستلزم للحدوث ، المنافي لوجوب الوجود الذاتي . وأفعاله تعالى لا تعمل بالأغراض ، وإن كان لها ثمرات وحكم كثيرة جليلة ، وهي تسمى غرضا ، أيضا ، ولكنه ليس محل خلاف .

بل لم يزل<sup>(۱)</sup> بصفاتِه وأسمائه ، وكفى في هذا قوله<sup>(۲)</sup> : ﴿ ليس كمثلِه شيء ﴾ .  
 والله درُّ مَنْ قال من العلماء العارفين<sup>(۳)</sup> المحققين : التوحيدُ إثباتُ ذاتٍ غيرِ  
 مُشبهة<sup>(۴)</sup> للذوات ولا معطلة عن الصفات<sup>(۵)</sup> .

وزاد هذه النكته<sup>(۶)</sup> الواسطيُّ - رحمه الله - بيانا ؛ وهي<sup>(۷)</sup> مقصودنا ؛ فقال :  
 ليس كذاته ذاتٌ ، ولا كاسمِه اسمٌ ، ولا كفعله فعلٌ ، ولا كصِفَتِه صِفَةٌ ، إلا من  
 جهة موافقة اللفظ اللفظ ؛ وجلَّتِ الذَّاتُ القديمةُ أن تكون لما صِفَةٌ حديثةٌ ،  
 كما استحال أن تكون للذاتِ المُحدثة صِفَةٌ قديمةٌ .

وهذا كله مذهبُ أهلِ الحقِّ والسنةِ والجماعةِ رضِيَ اللهُ عنهم .

وقد فسَّرَ الإمامُ أبو القاسمِ القشيريُّ رحمه الله - قوله<sup>(۸)</sup> [ ۱۵ ] هذا ، ليزيده  
 بيانا ؛ فقال : هذه الحكاية<sup>(۹)</sup> تشتملُ على جوامع مسائل التوحيد<sup>(۱۰)</sup> ، وكيف  
 تُشبهُ ذاتُ ذات<sup>(۱۱)</sup> المُحدَثاتِ ؛ وهي بوجودها<sup>(۱۲)</sup> مستغنية ؛ وكيف يُشبهُ فعلُه فعلَ

(۱) لم يزل موجودا أبدا بصفاته وأسمائه الدالة على ذاته وصفاته ؛ فهي قديمة .

(۲) سورة الشورى ، آية ۱۱

(۳) يقال : لله دره : للثناء عليه والتعجب من محاسنه .

قال في نسيم الرياض ( ۲ - ۴۷۲ ) : أراد بالعارفين مشايخ الصوفية .

(۴) هذا الضبط في ا ، وفي ب ضبطت بضم الميم وصكون الشين ، وبضم الميم وفتح الشين

ولشديد الباء ، وكتب عليها « معا » .

(۵) المراد غير منفي عنها الصفات . (۶) النكته : يريد معنى التوحيد الذي قاله المشايخ .

(۷) وهي : أى الزيادة . (۸) قوله : أى الواسطي المتقدم .

(۹) هذه الحكاية : أى المحكى المنقول عن الواسطي .

(۱۰) وهو اعتقاد أن الله تعالى واحد في ذاته وصفاته لا مثله ولا ضد ، ولا ند ولا شريك

له في ألوهيته واستحقاقه للعبادة .

(۱۱) في ب : ذوات . (۱۲) مستغنية : مستقلة غير محتاجة لغيرها .

الخلق ، وهو لغير جلب<sup>(١)</sup> أنس ، أو دفع نقص حصل ، ولا لخواطر وأغراض<sup>(٢)</sup> ووجد ، ولا بمباشرة ومعالجة ظهر ؛ وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه<sup>(٣)</sup> .  
وقال آخر - من مشايخنا<sup>(٤)</sup> : ما توهتموه بأوهامكم ، أو أذركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم .

وقال الإمام أبو المعالي الجويني : من اطمان إلى موجود انتهى إليه فكره ؛ فهو مشبه<sup>(٥)</sup> ، ومن اطمان إلى النفي المحض فهو معطل<sup>(٦)</sup> وإن قطع بموجود<sup>(٧)</sup> اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد<sup>(٨)</sup> .  
وما أحسن قول ذى النون المصرى<sup>(٩)</sup> : حقيقة التوحيد أن تعلم أن قدرة الله تعالى

(١) جلب : تحصيل ؛ والأنس : دفع الوحشة .

(٢) أى ليس شيء من أفعاله لدفع نقص حصل له ، أو لخواطر ، أو غرض ، وجد في نفسه .

(٣) هذه الوجوه هي : جلب النفع ، ودفع الضرر ، والأغراض ، والمباشرة ، والمعالجة .

(٤) أى يخاطب مردييه .

(٥) اطمان إلى موجود : تيقن أمرا موجودا على وجه معين ارتسم في ذهنه أنه الله . فهو

مشبه : معتقد لتشبيهه الله تعالى بغيره مما في خزانة فكره ؛ وهو خطأ ، لأنه ليس كمثل شيء ، وفكره إنما هو مدركاته المشاهدة ؛ فيأتيه التشبيه منها .

(٦) المحض : الخالص ؛ بأن نفي ذات الباري حقيقة أو حكما . معطل : ناف للصانع .

(٧) قطع : جزم . بموجود : بإله واجب الوجود .

(٨) فهو موحد : لأنه عرف الله ووحده ، واعترف بأنه لا يقدر على معرفته بكنهه وهو

التوحيد الصرف .

(٩) هو الزاهد الواعظ ؛ كان أبوه نوبيا ، وصار عالما فصيحا حكما ، توفي سنة ٥٢٤٥ هـ .

في الأشياء بلا علاج<sup>(۱)</sup> ، وصنعه لها بلا مزاج<sup>(۲)</sup> ؛ وعلة كل شيء صنعه<sup>(۳)</sup> ،  
ولا علة لصنعه ، وما تصور في وهمك فالله بخلافه<sup>(۴)</sup> .  
وهذا كلام عجيب نفيس محقق ، والفصل الآخر<sup>(۵)</sup> ، تفسير لقوله<sup>(۶)</sup> :  
« ليس كمثله شيء » .

والثاني<sup>(۷)</sup> ، تفسير لقوله<sup>(۸)</sup> : « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » . والثالث<sup>(۹)</sup> ،  
تفسير لقوله<sup>(۱۰)</sup> : « إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » .  
ثبتنا الله وإياك على التوحيد والإثبات<sup>(۱۱)</sup> ، والتنزيه ، وجنبنا طرفي الضلالة  
والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته .

(۱) في الأشياء : أي في إيجادها وإبداعها . بلا علاج : بلا معالجة ومكابدة واستعمال آلة .  
(۲) بلا مزاج : المراد أن إيجادها لها لا يحتاج إلى مادة ومعاونة ؛ بل قدرته تعالى العلية  
أوجدته ابتداء من العدم بعد أن لم تكن ، بمجرد قوله : « كن فيكون » .  
(۳) صنعه : أي بمجرد قدرته ، وبمجرد قدرته . وفي ا : ضبطت التاء في « علة » بالفتحة  
والضمة ، وكتب عليها « معا » .  
(۴) فإن ذاته لا تشبه الذوات ، وأفعاله لا تشبه أفعال غيره ؛ فهو منزه عن أن تتصوره  
الأوهام .

- (۵) من كلام « ذو النون » وهو قوله : وما تصورره وهمك .  
(۶) سورة الشورى ، آية ۱۰۱ .  
(۷) والثاني : أي الفصل الثاني ؛ وهو قوله : وعلة كل شيء صنعه .  
(۸) سورة الأنبياء ، آية ۲۳ .  
(۹) والثالث هو قوله : حقيقة التوحيد . . .  
(۱۰) سورة النحل ، آية ۴۰ .  
(۱۱) والإثبات : أي إثبات ما يليق بذاته .

## البَابُ الرَّابِعُ

فَمَا أَظْهَرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ<sup>(۱)</sup>.

وَشَرَّفَهُ بِهِ مِنَ الْخِصَائِصِ وَالْكَرَامَاتِ

قال القاضي أبو الفضل : حَسْبُ التَّأَمُّلِ أَنْ يُحَقِّقَ أَنْ كِتَابَنَا هَذَا لَمْ يَجْمَعْهُ  
لَمُنْكَرِ نَبْوَةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا لَطَاعِنٍ فِي مَعْجَزَاتِهِ ؛ فَنَحْتَاجُ إِلَى  
نَصْبِ<sup>(۲)</sup> الْبِرَاهِينِ عَلَيْهَا ، وَتَحْصِينِ حَوَازِئِهَا<sup>(۳)</sup> ، حَتَّى لَا يَتَوَصَّلَ الْمَطَاعِنُ إِلَيْهَا<sup>(۴)</sup> ،  
وَنَذْكُرَ شُرُوطَ الْمَعْجِزِ<sup>(۵)</sup> وَالتَّحَدَّى<sup>(۶)</sup> وَحَدَّهُ ، وَفَسَادَ قَوْلِ مَنْ أَبْطَلَ نَسْخَ الشَّرَائِعِ ،  
وَرَدَّهُ ؛ بَلِ الْفَنَاءُ لِأَهْلِ مِلَّتِهِ<sup>(۷)</sup> ، الْمُلَبِّينَ لِدَعْوَتِهِ ، الْمُصَدِّقِينَ لِنَبْوَتِهِ ؛ لِيَكُونَ  
تَأْكِيداً فِي مَحَبَّتِهِمْ لَهُ ، وَمَنْمَاءً لِأَعْمَالِهِمْ<sup>(۸)</sup> ؛ وَابْتِزَازاً لِيَمَانَتِنَا مَعَ إِيْمَانِهِمْ .

وَنَبِّتُنَا أَنْ ثَبَتَ فِي هَذَا الْبَابِ أُمَمَاتٍ<sup>(۹)</sup> مَعْجَزَاتِهِ ، وَمَشَاهِيرَ آيَاتِهِ ؛ لِتَدَلُّ<sup>(۱۰)</sup> ،

(۱) المعجزات : هي الأمور الخارقة للعادة التي يظهرها الله تعالى على يد أنبيائه لإلزام من  
كذبهم إذا عجزوا عن الإتيان بالمثل .

(۲) نصب البراهين : أي إقامة البراهين وإيضاحها وإثبات الأدلة القاطعة الملزمة لمن أنكرها  
أو طعن فيها .

(۳) الحوزة : الناحية والجانب . وتحصينها : جعلها حصينة محفوظة كأن عليها حصناً يحميها .

(۴) المطاعن : جمع مطعن ، وهو الطعن ، والرد بالأباطيل الفاسدة التي تصدر عن أهل الإلحاد .

والضمير في « إليها » للحوزة ، أو للمعجزة ( شرح الحفاجي : ۲ - ۴۷۶ ) . وفي ب ،

وشرح القاري : الطاعن . ( ۵ ) في ب : المعجزة . ( ۶ ) حده : تعريفه .

( ۷ ) أي إنما الفناء لأهل ملة محمد من المؤمنين به .

( ۸ ) مناة : زيادة ؛ أي يزيدهم رغبة في أعمالهم الصالحة ، أو من نمت الحديث إذا بلغت ،

ويكون المعنى : يبلغ أعمالهم إلى الله تعالى .

( ۹ ) أممات معجزاته : كبارها وعظمتها .

( ۱۰ ) في ب : لتدل - بالنون .

على عظيم قدره عند ربه . وأتينا منها بالحقق والصحيح الإسناد ؛ وأكثره مما بلغ القطع (١) ، أو كاد ؛ وأضفنا إليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الأئمة (٢) .

وإذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل أثره ، وحميد سيره ، وبراعة (٣) علمه ، ورجاحة عقله وحلمه ، وجملة كماله ، وجميع خصاله ، وشاهد حاله ، وصواب مقاله - لم يمتد (٤) في صحة نبوته ، وصدق دعوته .

وقد كفى هذا غير واحد في إسلامه والإيمان به .

فرأينا عن الترمذی (٥) ، وابن قانع وغيرها بأسانيدهم - أن عبد الله بن سلام ؛

قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جثته لأنظر إليه ؛ فلما استبنت (٦) وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب .

حدثنا به القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله ؛ قال : حدثنا أبو الحسين الصيرفي ،

وأبو الفضل بن خيرون ، عن أبي يعلى البغدادي ، عن أبي علي [١٦٦] السنجبي ،

عن ابن محبوب ، عن الترمذی ؛ حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا عبد الوهاب الثقفي ،

ومحمد بن جعفر ، وابن أبي عدي ، ويحيى بن سعيد ، عن عوف بن أبي جميلة

الأعرابي ، عن زرارة بن (٧) أوفى ، عن عبد الله بن سلام . . . الحديث .

(١) أي وصل إلى رتبة القطع ، بحيث لا يقبل التشكيك .

(٢) الأئمة : يريد أئمة الحديث الذين تلقى الأئمة كتبهم بالقبول ؛ كدلائل النبوة للبيهقي ،

والسنن ، وغيرها .

(٣) براعة علمه : علمه الفائق به على غيره .

(٤) لم يمتد : لم يشك ، ويقع له تردد .

(٥) الحديث في سنن الترمذی : ٤ - ٦٥٢ ، قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح .

(٦) استبنت وجهه : رأيت ظاهر وجهه الدال على صدق سريره وباطنه . وفي الترمذی

استبنت .

(٧) هذا في ١ ، ب ، و سنن الترمذی ( ٤ - ٦٥٢ ) . وفي هامش ب : ابن أبي أوفى .



وعن أبي رَمَثَةَ التَّمِيمِيِّ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَعِيَ ابْنُ لِي ، فَأَرَيْتُهُ <sup>(۱)</sup> ؛ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ قُلْتُ : هَذَا نَبِيُّ اللَّهِ <sup>(۲)</sup> .

وَرَوَى مُسْلِمٌ <sup>(۳)</sup> وَغَيْرُهُ أَنَّ ضِمَامًا لَمَّا وَفَدَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ أَحْمَدَ اللَّهُ ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ <sup>(۴)</sup> لَهُ ؛ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ - قَالَ لَهُ : أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ ، فَلَقَدْ بَلَغَنَ قَامُوسَ الْبَحْرِ <sup>(۵)</sup> ، هَاتِ يَدَكَ أَبَايَعُكَ <sup>(۵)</sup> .

وَقَالَ جَامِعُ بْنُ شَدَّادٍ <sup>(۶)</sup> : كَانَ رَجُلٌ مَنَا يُقَالُ لَهُ طَارِقٌ ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ ، فَقَالَ : هَلْ مَعَكُمْ شَيْءٌ تَبِيعُونَهُ؟ قُلْنَا : هَذَا الْبَعِيرُ .

(۱) أَرَانِيهِ بَعْضٌ مِنْ يَعْرِفُهُ ، وَعَرَفَنِي بِهِ غَيْرِي .  
 (۲) أَيْ بِمَجْرَدِ تَعَلُّقِ نَظَرِهِ بِهِ اعْتَرَفَ بِنُبُوَّتِهِ لَمَّا شَاهَدَهُ مِنْ عَظَمَتِهِ وَنُورِ نُبُوَّتِهِ ، فَأَوْقَعَ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ عِلْمًا ضَرُورِيًّا بِصِدْقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .  
 (۳) الْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : ۵۹۳ ، فَلَا مُضِلَّ لَهُ : أَيْ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى إِضْلَالِهِ .  
 (۴) قَامُوسُ الْبَحْرِ : وَسَطُهُ ، أَوْ لَجَّتُهُ ، أَوْ قَعْرُهُ . يَرِيدُ اشْتِهَارَ مَقَالَتِكَ هَذِهِ فِي جَمِيعِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ شَرْقًا وَغَرْبًا . يُقَالُ : قَالَ فُلَانٌ قَوْلًا بَلَغَ قَامُوسَ الْبَحْرِ ؛ أَيْ سَمِعَهُ كُلُّ ذِي رُوحٍ حَتَّى دَوَابِّ الْبَحْرِ ، وَهُوَ مِبَالِغَةٌ فِي شَيْوَعِهِ . وَفِي هَامِشِ ۱ ، ب : قَامُوسُ الْبَحْرِ : وَسَطُهُ وَمَعْظَمُهُ . وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ ( ۵۹۳ ) : وَلَقَدْ بَلَغَنَ نَاعُوسُ الْبَحْرِ . وَفِي هَامِشِهِ : نَاعُوسُ الْبَحْرِ : ضَبْطُنَاهُ بِوَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا - نَاعُوسٌ ، وَهَذَا هُوَ الْمَوْجُودُ فِي أَكْثَرِ نَسَخِ بِلَادِنَا . وَالثَّانِي - قَامُوسٌ . وَهَذَا الثَّانِي هُوَ الْمَشْهُورُ فِي رِوَايَاتِ الْحَدِيثِ فِي غَيْرِ مُسْلِمٍ .  
 وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ : أَكْثَرُ نَسَخِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَقَعَ فِيهَا قَامُوسٌ . قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : قَامُوسُ الْبَحْرِ : وَسَطُهُ . وَقَالَ ابْنُ دَرِيدٍ : لَجَّتُهُ . وَقَالَ صَاحِبُ كِتَابِ الْمَيْمَنِ : قَعْرُهُ الْأَقْصَى .  
 (۵) وَجْهٌ اسْتِشْهَادُ الْمُصَنِّفِ بِهِ أَنَّهُ بِمَجْرَدِ رُؤْيِيهِ وَسَمَاعِ كَلَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمَنَ بِهِ مِنْ غَيْرِ تَرَدُّدٍ ، وَلَيْسَ فِي كَلَامِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى صِدْقِ مَدْعَاهُ ، وَلَكِنَّهُ لَمَّا رَأَى نُورَ وَجْهِهِ الشَّرِيفِ وَحَسَنَ بَهْجَتِهِ آمَنَ بِهِ .  
 (۶) فِي حَدِيثِ رِوَاةِ الْبَيْهَقِيِّ .

قال : بكم ؟ قلنا : بكذا وكذا وسقاً<sup>(١)</sup> من تمر ؛ فأخذ بخطامه<sup>(٢)</sup> ، وسار إلى المدينة ؛ فقلنا : بعنا من رجل لا ندري من هو ؛ ومعنا ظعينة<sup>(٣)</sup> ، فقالت : أنا ضامنة لثمن البعير ؛ رأيت وجه رجلٍ مثل القمر ليلة البدر لا يخيس<sup>(٤)</sup> فيكم .

فأصبحنا ، فجاء رجلٌ بتمرٍ فقال : أنا رسولُ رسولِ الله إليكم ، يأمرُكم أن تأكلوا من هذا التمرِ ، وتكثروا حتى تستوفوا<sup>(٥)</sup> . ففعلنا .

وفي خبر الجندى ملكِ عُمان<sup>(٦)</sup> - لما بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام - قال الجندى<sup>(٧)</sup> : والله ؛ لقد دلني على هذا النبي الأُمِّي أنه لا يأمرُ بخَيْرٍ إلا كان أولَ آخِذٍ<sup>(٨)</sup> به ، ولا ينهى عن شيءٍ<sup>(٩)</sup> إلا كان أولَ تاركٍ له ، وأنه يغلبُ فلا يبطرُ<sup>(١٠)</sup> ، ويغلبُ فلا يضجرُ<sup>(١١)</sup> ، ويبي بالمهد ، وينجزُ<sup>(١٢)</sup> الموعد ؛ وأشهدُ أنه نبي -<sup>(١٣)</sup>

(١) وسقا من تمر : الوسق : ستون صاعاً مما يكال .

(٢) الخطام : الزمام الذي يقاد به . (٣) الظعينة : المراد امرأة .

(٤) لا يخيس : لا يفدر ، ويكذب ، فينكس وعده ، ويخلف عهده . فالمراد أن حسن

صورته يدل على حسن سيرته ؛ فمثله لا يصدر عنه ما ظنتموه .

(٥) وتكثروا : أي تكثروا منه ثمن البعير . وتستوفوا : تأخذوا الثمن من التمر الذي

جاء به وافياً كاملاً غير ما أكلتموه ؛ فإنه هبة منه لكم . وفيه من المسكارم وحسن المعاملة

ما لا يخفى .

(٦) هذا الضبط في ب . وفي ا : بضم العين وتشديد الميم . وفي هامش ب : عُمان .

(٧) في حديث رواه ابن إسحاق . (٨) أول آخذ به : أول عامل بما أمر به .

(٩) في ا : عن شر . (١٠) لا يبطر : لا يطنى ولا يفتر ويظهر الفرح .

(١١) فلا يضجر : فلا يقلق ولا يجزع ؛ بل يبصر ويتحمل ما أصابه في سبيل الله احتساباً لأجره

ورضاه بما قدره الله تعالى . (١٢) ينجز الموعد : يعجل ما وعد به لكرمه .

(١٣) لما تحقق من أخلاقه وكمال صفاته . وهذا شاهد لما عقد له الفصل من أن من تأمل

صفاته صلى الله عليه وسلم صدق بنبوته وإن لم يشاهد معجزة .

وقال نِفْطَوْبِه - في قوله تعالى (١) : ﴿ يَكَادُ زَبْطُهَا يُبْضِءُ ، ولو لم تَمَسَّه نَارٌ ﴾ :  
 هذا مثلٌ ضرب به الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ؛ يقول : يَكَادُ مَنْظَرُهُ يَدُلُّ  
 على نبوته وإن لم يتلُ قرآناً (٢) كما قال ابن رَوَاحَةَ (٣) :  
 لو لم تكن فيه آياتٌ مُبَيِّنَةٌ لكان مَنْظَرُهُ (٤) يُنبِئُكَ بِالخَبَرِ  
 وقد آن أن نأخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة ، وبعبده في معجزة القرآن ،  
 وما فيه من مُرْهَانٍ ودلالة .

## فصل

اعلم أن الله جلَّ اسمه قادرٌ على خلق المعرفة في قلوب عباده ، والعلم بذاته  
 وأسمائه وصفاته وجميع تكليفاته (٥) ابتداءً دون واسطة لو شاء ؛ كما حكى عن سنته (٦)  
 في بعض الأنبياء ، وذكره بعض أهل التفسير في قوله (٧) : ﴿ وما كان لبشرٍ أن يكلمه  
 اللهُ إلاَّ وحياً ﴾ .

وجائز أن يُوصَلَ إليهم جميع ذلك بواسطة تَبَلُّغِهِمْ كلامه ، وتكون تلك (٨)  
 الواسطة ؛ إما من غير البشر ، كالملائكة مع الأنبياء ؛ أو من جنسهم ، كالأنبياء  
 مع الأمم ، ولا مانع لهذا من دليل العقل .

(١) سورة النورة ، آية ٣٥

(٢) وإن لم يتل قرآناً : المراد : وإن لم يظهر معجزة . وخص القرآن لأنه أعظم معجزاته .

(٣) البيت في الإصابة : ٤ - ٨٦

(٤) منظره : مرآه وظاهره . ينبئك : يخبرك .

(٥) تكليفاته : التي ألزمهم بها من الأمور الشرعية والعبادات .

(٦) سنته : عاداته وطريقته . عن بعض الأنبياء : إذ عرفهم بعض الأمور السابقة بدون

واسطة ؛ فأوقع ذلك في قلوبهم وكشفه لهم ؛ أو ألهمهم ، أو أراهم ذلك في مناماتهم الصادقة .

(٧) سورة الشورى ، آية ٥١

(٨) في ١ ، ب : ذلك . ونراه تحريفاً .

وإذا جاز هذا ولم يَسْتَحِلْ (١) ، وجاءت الرسلُ بما دَلَّ على صِدْقِهِمْ من مُعْجَزَاتِهِمْ - وجب تصديقُهُمْ في جميع ما أتوا به ؛ لأنَّ المعجزةَ مع التحدُّى (٢) من النبيِّ صلى الله عليه وسلم قائمٌ مقامَ قولِ الله : صَدَقَ عَبْدِي فَأَطِيعُوهُ وَاتَّبِعُوهُ ، وشاهدٌ على صِدْقِهِ فيما يقوله ؛ وهذا كافٍ . والطويلُ فيه خارجٌ عن الغرضِ [٨٧] ؛ فمن أرادَ تَتَبُّعَهُ وجدَّه مستوفى في مصنفاتِ أُمَّتِنَا رَحِمَهُمُ اللهُ .

فالنَّبِيُّ في لغة مَنْ هَمْزٌ مأخوذةٌ من النَّبَأِ ، وهو الخَبَرُ ، وقد لا تُهْمَزُ على هذا التأويلِ تَسْهِيلاً .

والمعنى أَنَّ اللهُ تَعَالَى أَطَّلَعَهُ على غَيْبِهِ ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ؛ فيكونُ نَبِيٌّ (٣) مُنْبَأً ؛ فَعِيلٌ بمعنى مَفْعُولٍ ؛ أو يكونُ مُخْبِراً عما بعثه اللهُ تَعَالَى به ، وَمُنْبَأً بما أطلعه اللهُ عليه فَعِيلٌ بمعنى فاعِلٍ ؛ ويكونُ عِنْدَ مَنْ لَمْ يَهْمَزْهُ مِنَ النَّبِيُّ ؛ وهو ما ارتفع من الأرض ؛ ومعناه أَنَّهُ (٤) رُتِبَهُ شَرِيفَةً ، ومكانةُ نَبِيَّةٍ (٥) عند مولاة (٦) مُنِيفَةٍ (٧) ؛ فالوصفان في حقِّه مُؤْتَلِفَانِ (٨) .

وأما الرسولُ فهو المرسلُ ، ولم يَأْتِ فَعُولٌ بمعنى مُفْعَلٍ في اللغة إلا نادراً . وإرسالُهُ أَمْرٌ اللهُ له بالإبلاغِ (٩) إلى مَنْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ ؛ واشتقاقُهُ من التتابعِ (١٠) ؛

- (١) لم يستحل : أى لم يمد محالاً عقلاً .  
 (٢) أى إظهار النبي معجزة له وطلبه ممن أنكر نبوته الإتيان بما يماثلها .  
 (٣) هذا فى ا ، ب . (٤) له : عند الله . (٥) نبية : عالية مشهورة .  
 (٦) عند مولاة : ربه الذى تولى أمره . (٧) منيفة : عالية .  
 (٨) الوصفان : أى وصفه بمعنى الخبر ، أو بمعنى المرتفع . مؤتلفان : متوافقان بحسب المعنى ؛ لأن من بعثه الله وأطاعه على ما لم يطاع عليه غيره له منزلة عالية . ومن له مقام عال يطاع على ذلك .  
 (٩) أى تبليغهم شريعته ودينه بنفسه أو بواسطة .  
 (١٠) التابع : التوالى والتكرار لتبليغه .

ومنه قولهم : جاء الناسُ أرسالا<sup>(١)</sup> ، إذا تبع بعضهم بعضا ؛ فكأنه أُلزم تكرير التبليغ ، أو أُلزمت الأمةُ انبأه .

واختلف العلماء : هل النبيُّ والرسولُ بمعنى ، أو بمعنىين ؟ فقيل : هما سواء ، وأصله من الإنباء وهو الإعلام ؛ واستدلوا بقوله تعالى<sup>(٢)</sup> : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبيٍّ ﴾ ؛ فقد أثبت لهما معا الإرسال ، قال : ولا يكون النبيُّ إلا رسولا ، ولا الرسولُ إلا نبيا<sup>(٣)</sup> .

وقيل : هما مُفترقان من وجه ؛ إذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطّلاع على الغيب<sup>(٤)</sup> ، والإعلامُ بخواصِّ النبوة أو الرفعة لمعرفة<sup>(٥)</sup> ذلك ، وحوز<sup>(٦)</sup> درجتها ؛ وافترقا في زيادة الرسالة<sup>(٧)</sup> للرسول ، وهو الأمرُ بالإندار والإعلام كما قلنا . وحجَّتْهم من الآية نفسها التفريقُ بين الاسمين<sup>(٨)</sup> ، ولو كانا شيئا واحدا لما حُسنَ تكرارُهما في الكلام البليغ ، قالوا : والمعنى : ما أرسلنا من رسولٍ إلى أمةٍ أو نبيٍّ ليس بمُرسلٍ إلى أحد .

وقد ذهب بعضهم إلى أن الرسولَ من جاء بشرعٍ مبتدأ<sup>(٩)</sup> ، ومن لم يأت به<sup>(١٠)</sup> نبيٌّ غيرُ رسولٍ ، وإن أمرَ بالإبلاغ والإندار .  
والصحيحُ ، والذي عليه الجماعةُ الغفير<sup>(١١)</sup> ، أن كلَّ رسولٍ نبيٌّ ، وليس كلُّ نبيٍّ رسولا .

(١) أرسالا : فرقة بعد فرقة متتابعين ، يتبع بعضهم بعضا .

(٢) سورة الحج ، آية ٥٢ (٣) أي طى هذا المعنى .

(٤) أراد به ما لم يعلمه من أوامر الله تعالى ، وتشريع له ما يختص به ، أو به وبغيره .

(٥) في ب : بمعرفة . (٦) حوز درجتها : حيازتها وتحصيلها .

(٧) الرسالة : الأمر بالتبليغ . (٨) بين الاسمين : النبي ، والرسول .

(٩) أي إن شرعه لم يسبق إليه . (١٠) به : بالشرع المبتدأ الذي لم يسبق إليه .

(١١) الجماعة الغفير : الجماعة للكثيرة .

وأول الرسل آدم ، وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم .  
وفي حديث أبي ذر<sup>(١)</sup> رضي الله عنه : إن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون

ألف نبي .

وذكر أن الرسل<sup>(٢)</sup> ، منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر<sup>(٣)</sup> ؛ أولهم آدم عليه السلام .  
فقد بان لك معنى النبوة والرسالة ، وليستا عند المحققين ذاتاً للنبي ، ولا وصف<sup>(٤)</sup>  
ذات ، خلافاً للكرامية<sup>(٥)</sup> ، في تطويل لهم ، وتهويل<sup>(٥)</sup> ، ليس عليه تعويل .  
وأما الوحي فاصله الإسراع ، فلما كان النبي يعلّق ما يأتيه من ربه بعجل سُمّي  
وحيًا<sup>(٦)</sup> ، وسُمّيت أنواع الإلهامات<sup>(٦)</sup> وحيًا ، تشبيهاً بالوحي إلى النبي ، وسُمّي  
الخطّ وحيًا ، لسرعة حركة يده كاتبه ؛ ووحي الحاجب واللحظ سرعة إشارتهما<sup>(٧)</sup>  
ومنه قوله تعالى<sup>(٨)</sup> : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ ؛ أي أوماً ورمز<sup>(٩)</sup>  
وقيل : كتب ؛ ومنه قولهم : الوحا<sup>(١٠)</sup> ، الوحا ؛ أي السرعة .

(١) رواه أحمد في مسنده (السند : ٥ - ٢٦٦) ، وابن حبان ، والحاكم في مستدرکه .  
وقال الحاكم في مستدرکه : إنه طعن في بعض رواه . وقيل إنه منكر . وقال القرطبي : أنه  
أصح حديث ورد في عدد الأنبياء والرسل عليهم السلام . (نسيم الرياض : ٢ - ٤٩١) .  
(٢) منهم : من الأنبياء . وفي المسند : ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا .  
(٣) ولا وصف ذات : أي ليست صفة قائمة بذاته موجودة فيه - صلى الله عليه وسلم -  
قبل الوحي إليه .

(٤) فهؤلاء قالوا : إنها أمران غير الوحي ، وأمر الله بتبليغ شريعته ؛ فصاحبها متصف  
بهما وإن لم يوح إليه . والكرامية ينسبون إلى محمد بن كرام .  
(٥) وتهويل : أي تخويف وتفزع لمن عدل عن مذهبهم في هذا .  
(٦) كقوله تعالى : وأوحى ربك إلى النحل . والإلهام : إلقاء أمر في الروح باعث على  
الفعل أو الترك .  
(٧) أي حركتهما بسرعة للإشارة بهما .

(٨) سورة مريم ، آية ١١  
(٩) رمز : أشار بالمين أو بأحد أعضائه .  
(١٠) في ١ : الوحا - محدودا . وفي ب : الوحا - مقصور . وهو يمد ، ويقصر .

وقيل أصل الوحي السر والإخفاء ، ومنه سُمِّي الإلهامُ وَحْيًا ، ومنه قوله <sup>(١)</sup> : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ﴾ ، أي يُوسوسون في صدورهم ؛ ومنه قوله <sup>(٢)</sup> : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ ﴾ ؛ أي أُنثِيَ في قلبها .  
وقد قيل ذلك في قوله تعالى <sup>(٣)</sup> : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ [٨٨] ؛ أي ما يُلقيه في قلبه دون واسطة <sup>(٤)</sup> .

### فصل

اعلم أن معنى تسميتنا ما جاءت به الأنبياء معجزة ، هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها ، وهي <sup>(٥)</sup> على ضربين ؛ ضرب هو من نوع قُدرة البشر ؛ فمجزوا <sup>(٦)</sup> عنه ، فمعجزهم عنه فعل الله دل على صدق نبيه ؛ كصرفهم عن تمنى الموت <sup>(٧)</sup> .

(١) سورة الأنعام ، آية ١٢١ . إلى أوليائهم : من يوالونهم ويصادقونهم من المشركين . والمراد بالشياطين مرادة الجن . وبالأولياء : كفرة قريش .

(٢) سورة القصص ، آية ٧ (٣) سورة الشورى ، آية ٥١

(٤) قال في نسيم الرياض ( ٢ - ٤٥٣ ) : والذي رجحوه في هذه الآية أن المراد بالوحي فيها المشافهة بكلام الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ، وكلامه لموسى عليه السلام . وحديث أبي ذر المشار إليه تمامه في نسيم الرياض ( ٢ - ٤٩٣ ) ، وشرح القارى ( ١ - ٥٣٠ ) (٥) وهي : أي المعجزة .

(٦) أي مقدورهم الذي يمكنهم الإتيان بما يمثله من نوعه . فمجزوا عنه : أي فطلب منهم فمجزوا عنه .

(٧) أي صنع الله اليهود عن تمنى الموت لما قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه ؛ وقالوا : « لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى » ؛ فكذبهم الله تعالى ، وألزمهم بقوله : قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين . ثم أخبر عنهم بقوله : ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين وقد قال صلى الله عليه وسلم : لو تمنى اليهود الموت لما تواروا ، ورأوا مقاعدهم من النار .

وتعجيزهم عن الإتيان بمثل القرآن على رأى بعضهم<sup>(١)</sup>، ونحوه .  
 وضرباً هو خارجٌ عن قدرتهم ؛ فلم يقدرُوا على الإتيانِ بمثله ؛ كإحياء الموتى ،  
 وقلبِ العصا حية<sup>(٢)</sup> ، وإخراجِ ناقةٍ من صخرة<sup>(٣)</sup> ، وكلامِ شجرة ، ونبعِ الماءِ من  
 الأصابع ، وانشقاقِ القمرِ<sup>(٤)</sup> ، مما لا يُمكنُ أن يفعله أحدٌ، إلا الله ؛ فكان ذلك على يدِ  
 النبي صلى الله عليه وسلم من فعلِ الله تعالى<sup>(٥)</sup> وتحديده من بُكذبه أن يأتي بمثله  
 تعجيزاً له .

واعلم أن المعجزاتِ التي ظهرتْ على يدِ نبينا صلى الله عليه وسلم دلائلَ نبوته  
 وبراهينَ صدقه - من هذين النوعين<sup>(٦)</sup> معاً ؛ وهو أكثرُ الرسلِ معجزةً ، وأبهرهم آيةً<sup>(٧)</sup> ،

= أى قل لهم يا محمد : إن كنتم أحباب الله تعالى والجنة مختصة بكم فاطلبوا الموت ؛ فإن من أحب  
 الله أحب لقاءه ، ومن كانت داره الجنة يبادر لدخولها ؛ فلم يتمنه أحد منهم ولو بلسانه .  
 لصرف الله لهم عن ذلك .

قال في نسيم الرياض ( ٢ - ٤٩٥ ) : وهذا أعظم حجة على صدقه صلى الله عليه وسلم -

كما قاله المفسرون .

(١) هذا البعض هو القائل بأن إعجازه بالصرقة ؛ أى بصرف العرب الفصحاء عن معارضته  
 مع تحديه لهم وتقربهم بذلك على رؤوس الأشهاد حتى عدلوا عن مجادلة الحروف إلى مجادلة  
 السيوف .

(٢) كإحياء الموتى الذى وقع لإبراهيم وإمبى عليها السلام . وقلب العصا حية معجزة لموسى .

(٣) اقترح على صالح جندع بن عمرو سيد قومه أن يخرج لهم من صخرة ناقة عشراء ،

فصلى ودعا ربه ، فتمنخت تمنخص التوج بولدها ، فانصدعت عن ناقة عشراء وهم ينظرون ؛

فآمن جندع فى جمع من قومه ، وتمادى غيرهم فى الكفر حتى عقروا الناقة ، فأخذتهم الرجفة ...

(٤) وهذه الثلاثة من معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وستأتى مفصلة .

(٥) من فعل الله تعالى : أظهره على يده بقدرته .

(٦) أى ما هو من نوع قدرة البشر ، وما هو خارج عنها .

(٧) الآية : المعجزة . وأبهر : من بهر ؛ أى ظهر وغلب . والمعنى أن معجزاته صلى الله

عليه وسلم أكثر وأظهر وأقوى .



وأظهرهم بُرْهَانًا ؛ كما سُنَّبِيْنُهُ ؛ وهي - في كَثْرَتِهَا - لا يَحِيْطُ بِهَا ضَبْطًا <sup>(۱)</sup> ؛ فَإِنَّ وَاحِدًا مِنْهَا - وهو الْقُرْآنُ ، لا يُحْصَى عِدَدُ مَعْجَزَاتِهِ بِأَلْفٍ وَلَا أَلْفَيْنِ ، وَلَا أَكْثَرَ <sup>(۲)</sup> ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَمَحَّدَى بِسُورَةٍ مِنْهُ فَمُعْجَزَةٌ عَنْهَا .  
 قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ : وَأَقْصَرُ السُّورِ : إِنَّا أُعْطِينَاكَ الْكَوْثَرَ . . . فَكُلُّ آيَةٍ أَوْ آيَاتٍ مِنْهُ بَعْدَهَا <sup>(۳)</sup> وَقَدَرِهَا مُعْجَزَةٌ ؛ ثُمَّ فِيهَا نَفْسِهَا مُعْجَزَاتٌ عَلَى مَا سَنَفَصِّلُهُ فِيمَا انطوى <sup>(۴)</sup> عَلَيْهِ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ .

ثُمَّ مَعْجَزَاتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَسْمَيْنِ : قَسْمٌ مِنْهَا عُلْمٌ قَطْمًا ، وَنُقُلٌ إِلَيْنَا مَتَوَاتِرًا كَالْقُرْآنِ ؛ فَلَا مَرِيَّةَ <sup>(۵)</sup> ، وَلَا خِلَافَ ؛ بِمَجِيئِ النَّبِيِّ بِهِ ، وَظُهُورِهِ مِنْ قَبْلِهِ <sup>(۶)</sup> ؛ وَاسْتِدْلَالِهِ بِحُجَّتِهِ ؛ وَإِنْ أَنْكَرَ هَذَا مُعَانِدٌ جَاحِدٌ <sup>(۷)</sup> ، فَهُوَ كَأِنْكَارِهِ وَجُودَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّنْيَا <sup>(۸)</sup> .

وَإِنَّمَا جَاءَ اعْتِرَاضُ الْجَاحِدِينَ فِي الْحُجَّةِ بِهِ <sup>(۹)</sup> ؛ فَهُوَ فِي نَفْسِهِ وَجَمِيعِ مَا تَضَمَّنَهُ مِنْ مُعْجَزٍ مَعْلُومٍ ضَرُورَةً .

وَوَجْهُُ إِعْجَازِهِ مَعْلُومٍ ضَرُورَةً وَنَظَرًا ، كَمَا سَنَشْرُحُهُ .

- (۱) لا يَحِيْطُ بِهَا ضَبْطًا : لا يَحِيْطُ بِهَا حَصْرًا ، أَوْ عِدًا ، أَوْ حَفْظًا .
- (۲) لَمَّا فِي أَلْفَاظِهِ مِنَ الْبَلَاغَةِ وَفَنُونِهَا ، كَالتَّوَكِيدِ ، وَالتَّمْلِيحِ ، وَالتَّشْبِيهِ ، وَالاسْتِعَارَةِ ، وَالإِبْجَازِ ، وَحَسَنِ الْفَوَاحِشِ وَالْحَوَاتِمِ ، وَالْفَوَاصِلِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُحْصَى .
- (۳) بَعْدَهَا : أَيُّ بَعْدِ سُورَةِ الْكَوْثَرِ آيَاتٍ وَحُرُوفًا وَكَلِمَاتٍ .
- (۴) فِيمَا انطوى : اشْتَمَلَ الْقُرْآنُ .
- (۵) فَلَا مَرِيَّةَ : الْمَرِيَّةُ : الشُّكُّ ، وَالتَّرَدُّدُ ، وَالشُّبْهَةُ .
- (۶) مِنْ قَبْلِهِ : مِنْ جِهَتِهِ وَجَانِبِهِ . (۷) جَاحِدٌ : مَنْكَرٌ لَهُ عِنَادًا مَعَ عِلْمِهِ بِهِ .
- (۸) فَهُوَ إِنْكَارٌ لِلْمَحْسُوسَاتِ ؛ وَذَلِكَ لَا يَصْدُرُ مِنْ عَاقِلٍ .
- (۹) فِي الْحُجَّةِ بِهِ : أَيُّ الْاِحْتِجَاجِ بِهِ وَأَنَّهُ كَلَامُ اللهِ ؛ كَقَوْلِ الْمُشْرِكِينَ : هَذَا سِحْرٌ مَبِينٌ . وَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ .

قال بعضُ أئمتنا (۱) : ويجرى هذا المجرى (۲) على الجملة أنه قد جرى على يديه صلى الله عليه وسلم آياتٌ وخوارقُ عاداتٍ إن لم يبلغْ واحدٌ منها معيناَ القطعَ فيبلغه جميعها ؛ فلا مَرِيبةَ في جريانِ معانيها على يديه ؛ ولا يختلفُ مؤمنٌ ولا كافرٌ - أنه جرتُ على يديه عجائبٌ (۳) ؛ وإنما خلافُ المعانِدِ في كونها من قِبَلِ الله .  
وقد قد منّا كونها من قِبَلِ الله ، وأن ذلك بمثابة قوله (۴) : صدقت .  
فقد علمَ وقوعُ مثلِ هذا أيضا من نبينا ضرورةَ لاتفاقِ معانيها (۵) ، كما يُعلمُ ضرورةَ جودِ حاتمٍ ، وشجاعةَ عنترةَ ، وحلمُ أحنفٍ ، لاتفاقِ الأخبارِ الواردة عن كل واحدٍ (۶) منهم على كرمِ هذا ، وشجاعةِ هذا ، وحلمِ هذا ، وإن كان كلُّ خبرٍ بنفسه (۷) لا يُوجبُ العلمَ ، ولا يُقطعُ بصحته (۸) .  
والقسمُ الثاني (۹) ما لم يبلغْ مَبْلَغَ الضرورةِ والقطعِ ؛ وهو على نوعين : نوعٌ مُشْتَهَرٌ مُنْتَشِرٌ ، رواه العَدَدُ ، وشاعَ الخَبَرُ به عند المحدثين والرؤاةِ و نَقَلَةَ السَّيْرُ والأخبارِ ؛ كَنَبْعِ الماءِ من بين الأصابعِ ، وتكثيرِ الطعامِ (۱۰) .

- (۱) بعضُ أئمتنا : أي علماء الحديث والتفسير ، وفي شرح القارى ( ۱ - ۵۳۶ ) : بعضُ أئمتنا : أي أئمة المالكية .  
(۲) يجرى هذا المجرى : يقارب ما تقدم ويشبهه ؛ أي مجرى القسم الأول من معجزاته لدى علم قطعا ونقل إلينا تواترا .  
(۳) عجائب : أي أمور خارقة للعادة حيرت أبصارهم وألباهم حتى يتمجب المتعجب منها .  
(۴) قوله : قول الله . وقد تقدم صفحة ۳۴۶ .  
(۵) لاتفاق معانيها : لتوفيقها كلها في معنى واحد .  
(۶) حاتم الطائي المعروف بالكرم في الجاهلية . وعنترة العبسي المشهور بشجاعته في الجاهلية أيضا . وأحنف بن قيس المشهور بالحلم - في الجاهلية والإسلام .  
(۷) بنفسه : أي وحده ، وبانفراد .  
(۸) ولا يقطع بصحته لعدم تواتره بانفراده .  
(۹) والقسم الثاني من المعجزات . (۱۰) الذي رواه أنس وغيره . وسيأتي بعد .

ونوعٌ منه اختصَّ به<sup>(١)</sup> الواحدُ والاثنانُ ؛ ورَوَاهُ الْعَدَدُ الْبَسِيرُ ، وَلَمْ يَشْهَرِ  
اشْتِهَارَ غَيْرِهِ ، لَكِنَّهُ إِذَا جُمِعَ إِلَى مِثْلِهِ اتَّفَقَا<sup>(٢)</sup> فِي الْمَعْنَى ، وَاجْتَمَعَا عَلَى الْإِتْيَانِ  
بِالْمُعْجَزِ ، كَمَا قَدْ مَنَاهُ<sup>(٣)</sup> .

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ<sup>(٤)</sup> [ ١٨٩ ] : وَأَنَا أَقُولُ صَدْعًا بِالْحَقِّ : إِنَّ كَثِيرًا مِنْ  
هَذِهِ الْآيَاتِ الْمَأْثُورَةِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْلُومَةٌ بِالْقَطْعِ<sup>(٥)</sup> :

أَمَّا انشِقَاقُ الْقَمَرِ فَالْقُرْآنُ نَصٌّ بِوُقُوعِهِ ، وَأَخْبَرَ عَنْ وُجُودِهِ<sup>(٦)</sup> ، وَلَا يُعَدَّلُ  
عَنْ ظَاهِرٍ إِلَّا بِدَلِيلٍ ، وَجَاءَ بِرَفْعِ<sup>(٧)</sup> اِحْتِمَالِهِ صَحِيحُ الْأَخْبَارِ مِنْ طَرُقٍ كَثِيرَةٍ<sup>(٨)</sup> ،  
وَلَا يُوهِنُ عَزْمَنَا<sup>(٩)</sup> خِلَافُ أُخْرَقِ<sup>(١٠)</sup> مُنْجَلِّ عُرَى الدِّينِ<sup>(١١)</sup> ، وَلَا يُلْتَقَتُ إِلَى

(١) اختص به : أى بروايته .

(٢) اتفقا فى المعنى : فى أصل الإعجاز وثبوته .

(٣) كما قدمناه : أى من جريانها على يديه ، وانضمام بعضها إلى بعض المقوى له .

(٤) هو المصنف .

(٥) المأثورة : المروية . معلومة بالقطع : لتواترها .

(٦) فى قوله تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر » : سورة القمر ، آية ١

(٧) برفع احتمال : أى بدفع احتمال خلاف الظاهر .

(٨) فى نسيم الرياض ( ٢ - ٥٠١ ) : قال خاتمة الحفاظ ابن حجر : إن ما روى فى الصحيحين .

يفيد علما فظريا وإن لم يتواتر .

(٩) يوهن : يضعف . عزمنا : ما عزمنا عليه وقصدناه من إثبات هذه المعجزات وحمل

النصوص الواردة بها على ظاهرها من غير تأويل .

(١٠) خلاف أخرق : مخالفة أحق : والمراد : جاهل لا دراية له ، ولا معرفة بالأحاديث .

(١١) المراد أنه غير متمسك بالدين .

سَخَافَةٌ مُبْتَدِعٌ يُبَلِّغُ الشُّكَّ عَلَى قُلُوبِ ضُعَفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ بَلْ نُرْغِمُ بِهَذَا أَنْفَهُ (۱) ،  
وَنَنْبِذُ بِالْعَرَاءِ سُخْفَهُ (۲) .

وكذلك قصة نَبْعِ الْمَاءِ ، وَتَكْثِيرِ الطَّعَامِ - رَوَاهَا الثَّقَاتُ وَالْعَدَدُ الْكَثِيرُ  
عَنِ الْجَمَاعِ الْغَفِيرِ ، عَنِ الْعَدَدِ الْكَثِيرِ مِنَ الصَّحَابَةِ (۳) .

ومنها ما رَوَاهُ الْكَافَّةُ عَنِ الْكَافَّةِ مُتَّصِلًا عَمَّا حَدَّثَ بِهَا مِنْ جُمْلَةِ الصَّحَابَةِ  
وَإِخْبَارِهِمْ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي مَوْطِنِ اجْتِمَاعِ الْكَثِيرِ مِنْهُمْ فِي يَوْمِ الْخَنْدَقِ ، وَفِي غَزْوَةِ بُوَاطِ (۴) ،

(۱) بل نرغم بهذا أنفه : أى نرد ما قاله ، ونظهر جهله وسخافة عقله ، حتى يفتضح  
ويذل ويخزى . (۲) ننبذ : نطرح ونلقى .

قال فى نسيم الرياض ( ۲ - ۵۰۲ ) : وحاصله أن انشقاق القمر فى الآية على ظاهره ،  
لوروده فى الأحاديث الصحيحة من طرق متعددة ، فمن حملة على أن المراد أنه سينشق إذا قامت  
القيامة يوم تشقق السماء - لم يأت بشيء ؛ وإن ارتضاه جمع ؛ لأنه لو وقع شاع وذاع وملا  
الاسماع لأنه آية عظيمة . وقيل معناه : ظهر الأمر ؛ لأن العرب تضرب المثل بالقمر لما وضع ؛  
كما قال الشنفرى فى لامية العرب :

فقد حمت الحاجات والليل مقمر  
وشدت لطيات مطايا وأرحل  
وقيل معناه انشقاق الظلم عنه بطلوعه ، كما يقال : انفلق الصبح وانشق ، كما قال النابغة :  
فلما أدبروا ولهم دوى دعانا عند شق الصبح داعى  
والداعى لهم على هذا عدم الوقوف على ماورد فى السنة والفهم لأقوال الحكماء الداهيين  
إلى امتناع الخرق والالتئام فى الأجرام الفلكية ونحوه من الخرافات الفلسفية .

(۳) كالشيخين عن أنس ، والبخارى عن ابن مسعود . وستأتى هذه الأحاديث بعد .  
(۴) بواط : اسم جبل من جبال جهنمة بينه وبين المدينة أربعة برد بقرب رضوى ؛ وهو  
جبل أيضا .

وأشار بالأول إلى قصة جابر رضى الله عنه لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعناق ذبيحها  
مع صاع من شعير خبز ، فأناه صلى الله عليه وسلم ومعه ناس كثير ، وكان دعاه وحده فأكلوا  
وشبعوا ؛ وفضل ذلك الطعام وكانوا نحو ألف وأشار بالثانى إلى قصة بواط ؛ وهى أنه وضع  
عنده صلى الله عليه وسلم ماء قليل للوضوء ، فقال لجابر : ادع الناس ، فلما أتوا وضع يده  
الشريفة فى الماء فنبع من بين أصابعه حتى توضعوا كلهم . وسيأتى كل هذا بعد .

وَعُمْرَةَ الْحَدَيْبِيَّةِ ، وَغَزْوَةَ تَبُوكَ <sup>(۱)</sup> ، وَأَمْثَالِهَا مِنْ مُحَافِلِ الْمُسْلِمِينَ <sup>(۲)</sup> وَجَمْعَ الْعَسَاكِرِ ، وَلَمْ يُؤَثَّرَ <sup>(۳)</sup> عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَخَالَفَةً لِلرَّأْيِ فِيهَا حِكَاةً ، وَلَا إِنْكَارًا لِمَا ذُكِرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ رَأَوْهُ كَمَا رَأَاهُ <sup>(۴)</sup> ، فَسَكَوتُ السَّاكِتِ مِنْهُمْ كَنْطُقِ النَّاطِقِ ؛ إِذْ هُمُ الْمَنْزَهُونَ عَنِ السَّكُوتِ عَلَى بَاطِلٍ ، وَالْمُدَاهِنَةُ <sup>(۵)</sup> فِي كَذِبٍ ، وَابْسِ هُنَاكَ رَغْبَةً وَلَا رَهْبَةً تَنْعَمُهُمْ <sup>(۶)</sup> ، وَلَوْ كَانَ مَا سَمِعُوهُ مُنْكَرًا عِنْدَهُمْ وَغَيْرَ مَعْرُوفٍ لَدَيْهِمْ

(۱) الآیة التي كانت في عمرة الحديبية أنه - صلى الله عليه وسلم - خرج من المدينة معتمرا، فلما وصل إليها صده المشركون عن البيت ، وكان بين يديه ركوة فتوضأ منها ، وماء البئر قليل جدا نزح الناس ، وشكوا العطش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فترجع سهما من كنانته وأعطاه اناجية بن عميرة ، فترزه في البئر ؛ فحاش ماؤها ، وجاءت جارية من الأنصار معها دلو ، فأقبلت به طي ناجية ، وهو في القلب ، وقالت :

يأيها المأمح دلوى دونكا إني رأيت الناس يحمدونكا  
يثنون خيرا ويحمدونكا أرجوك للخير كما يرجونكا

أما في تبوك . اسم موضع بين الشام والمدينة، سميت بعين ماء : فقد أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يمسوا ماءها ، فسبق رجلان بسهمين جعلاهما فيها ليكثر ماؤها فزجرهما رسول الله ، وقال لها : ما زلتما تبوكانها ؛ أي تحفرانها ليخرج ماؤها .

وأشار الصنف إلى آية فيها رواها أبو هريرة ؛ وهي أن الناس أصابتهم مجاعة ، فقال عمر - رضي الله عنه : يا رسول الله ، ادع بفضل الأزواد ، فدعا بنطح وبسطه ، ودعا بفضل أزوادهم ، فجعل الرجل يجيء بكف من ذرة ، والآخر بكف من تمر ، والآخر بكف من شعير ؛ فجمع ذلك وبرك عليه ، ثم قال : خذوا ؛ فأخذوا في أوعيتهم حتى ما في العسكر وعاء إلا ملئوه ، وأكوا حتى شبعوا ، وفضلت فضلة .

(۲) المحافل : جمع محفل ، من حفل القوم ؛ إذا اجتمعوا وكثروا .

(۳) لم يؤثر : لم ينقل .

(۴) أي لم ينقل إنكار أنهم رأوا من النبي صلى الله عليه وسلم كما رآه منهم الآخر ، بل سكتوا حين سمعوا من بعض الرواة أنه شاهد بمض آياته صلى الله عليه وسلم .

(۵) المداينة : المطاوعة . (۶) تمنعهم : أي الصحابة .

لأنكروه ، كما أنكر بعضهم على بعض أشياء رواها من السنن والسِّيرِ وحروف القرآن (١) . وخطأ بعضهم بعضاً ، ووهمه في ذلك ، مما هو معلوم ؛ فهذا النوع (٢) كله يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه .

وأبضا فإن أمثال الأخبار التي لا أصل لها ، وبنيت على باطل ، لا بد بعد مرور الأزمان وتداول الناس وأهل (٣) البحث من انكشاف ضعفها ، وخبول ذكرها (٤) ، كما يشاهد في كثير من الأخبار الكاذبة ، والأراجيف (٥) الطارئة . وأعلام (٦) نبينا هذه الواردة من طريق الآحاد لا تزداد مع مرور الزمان إلا ظهوراً (٧) ، ومع تداول الفرق (٨) ، وكثرة طعن العدو ، وحرصه على توهينها ، وتضعيف أصلها ، واجتهاد الملحد (٩) على إطفاء نورها إلا قوة وقبولاً ، وللطاعين عليها إلا حسرة وغليلاً (١٠) .

وكذلك إخباره عن الغيوب ، وإنباؤه بما يكون (١١) وكان (١٢) معلوم من آياته على الجملة بالضرورة .

- 
- (١) وحروف القرآن : يريد قراءاته المتعددة .  
(٢) هذا النوع كله من المعجزات المروية بطريق الآحاد ، ولم يشتهر اشتهاراً يقرب من التواتر .  
(٣) وأهل البحث : المراد علماء الحديث الذين يبحثون عن رواة الحديث صحة وضعفاً .  
(٤) وخبول ذكرها : بأن تنسى ، ولا يشتهر لها ذكر ، لكونها لا أصل لها .  
(٥) والأراجيف : الأكاذيب . (٦) أعلام نبينا : المراد معجزاته المعلومة المشهورة .  
(٧) ولو كانت غير صحيحة ازدادت خفاء وضعفاً .  
(٨) تداول الفرق : تسلم الناس بها فرقة بعد فرقة .  
(٩) الملحد : الإلحاد : الميل عن الاستقامة ، والمدول عن الحق . وفي أ : وإجهاد .  
(١٠) غليلاً : حقداً .  
(١١) الغيوب : جمع غيب ، وهو ما خفي علمه عن الناس ، كالذجال والمهدى وغير ذلك ، وإنباؤه بما يكون في المستقبل من أشرط الساعة ، ومما يقع بين أمته من الفتن وغيرها .  
(١٢) وكان : أي حصل في الماضي .

وهذا حق لا غطاءً عليه<sup>(١)</sup>؛ وقد قال به من أئمتنا القاضي<sup>(٢)</sup>، والأستاذ أبو بكر<sup>(٣)</sup> وغيرهما، رحمهم الله؛ وما عندي أوجب قول القائل: إن هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد إلا قلة مطالعته<sup>(٤)</sup> للأخبار وروايتها، وشغلها بغير ذلك من المعارف؛ وإلا فن اعتنى بطرق النقل، وطالع الأحاديث والسير لم يرتب<sup>(٥)</sup> في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه.

ولا يبعد أن يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر؛ فإن أكثر الناس يعلمون - بالخبر - كون بغداد موجودة؛ وأنها مدينة عظيمة، ودار الإمامة والخلافة؛ وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها؛ فضلاً عن وصفها؛ وهكذا<sup>(٦)</sup> يعلم الفقهاء من أصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه - أن مذهبه إيجاب قراءة [٩٠] أم<sup>(٧)</sup> القرآن في الصلاة للمنفرد والإمام، وإجزائه النية<sup>(٨)</sup> في أول ليلة من رمضان عمّا سواه؛ وأن الشافعي يرى تجديد النية كل ليلة؛ والاقصص في المسح على بعض الرأس، وأن مذهبهما التصاص في القتل بالمحدد<sup>(٩)</sup> وغيره، وإيجاب النية في الوضوء، واشتراط الولي في النكاح؛ وأن أبا حنيفة يخالفهما في هذه المسائل؛ وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى أقوالهم لا يعرف<sup>(١٠)</sup> هذا من مذاهبهم فضلاً عن<sup>(١١)</sup> سواه.

وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا إن شاء الله تعالى.

- (١) لا غطاءً عليه: ظاهر، منكشف، من غير ليس وشبهة، وخفاء.  
 (٢) هو أبو بكر الباقلاني.  
 (٣) أبو بكر: هو ابن فورك من الشافعية.  
 (٤) وما عندي: في اعتقادي وحكمي. وأوجب: اقتضى واستلزم وألجأ؛ أي لم ياجئه لذلك إلا قلة مطالعته للأخبار النبوية. ومطالعته: الاطلاع عليها.  
 (٥) لم يرتب لم يشك.  
 (٦) وهكذا: أي مثل أمر بغداد.  
 (٧) أم القرآن: الفاتحة.  
 (٨) أجزاء النية: نية صوم رمضان كله.  
 (٩) بالمحدد: الذي له حد جرح كالسيف ونحوه.  
 (١٠) في: لا يعلم.  
 (١١) في: ب: عما.

## فصل

### في إعجاز القرآن

[ قال القاضي أبو الفضل رحمه الله (١) :

اعلم - وفقنا الله وإياك - أن كتاب الله العزيز (٢) منطوي (٣) على وجوه من

الإعجاز كثيرة ، وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه :

أولها - حسن تأليفه ، والتثام كليمه (٤) ، وفصاحته ، ووجوه إيجازه ، وبلاغته

الخارقة عادة العرب ؛ وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن (٥) ، وفرسان الكلام ؛

قد خصوا من البلاغة والحكم (٦) بما لم يُخص به غيرهم من الأمم ، وأوتوا من ذرابة

اللسان (٧) ما لم يؤت إنسان ، ومن فضل الخطاب ما يُقيد الألباب (٨) ؛ جعل الله

لهم ذلك طبعاً وخلقة ، وفيهم غريزة وقوة ، يأتون منه على البديهة بالعجب (٩) ،

(١) من ب .

(٢) العزيز : القوى الغالب ، أو الذي لا نظير له .

(٣) منطوي : مشتمل ومحتو .

(٤) حسن تأليفه : أي نظم كلماته مؤلفة متوافقة . والتثام كالمه : كونها متناسبة بحسب

الدلالة ومقتضى مقاماتها .

(٥) الشأن : الأمر العظيم ، والمراد به البلاغة ، وجعلهم أربابها ، أي أصحابها المالكين

لها ، الذين بيدهم أزمته . وفي معترك الأقران : الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن .

(٦) أي خصهم الله تعالى من دون الناس ببلاغة كلامهم المخصوصة بلغاتهم وبما تضرعتهم من

الحكم ؛ أي المعاني المحكمة للتقنة ، وما يحث على مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات .

(٧) الذرابة : أصل معناها حدة السيف والسنان ، والمراد طلاقة اللسان مع خلوه

عن اللسنة .

(٨) من فصل الخطاب : الخطاب البين الفاصل عند الحاجة الذي لا لبس فيه ولا خفاء .

والألباب : جمع لب ، وهو العقل . ويقيد الألباب : يحيرها إذا سمعته ، حتى كأنها قيدت ومنعت

عن الإتيان بمثله لدهشتها من حسنه وبراعته .

(٩) البديهة : الفجاءة . والمعجب : الأمر الذي يمد عجباً لحسنه وسموه معناه ، فكأنه لم يمهده .



وَيُدُّوْنَ بِهِ إِلَى كُلِّ سَبَبٍ <sup>(١)</sup>؛ فَيَخْطُبُونَ بِدِيهَا فِي الْمَقَامَاتِ <sup>(٢)</sup>، وَشَدِيدِ الْخَطْبِ <sup>(٣)</sup>،  
وَيَرْتَجِزُونَ <sup>(٤)</sup> بِهِ بَيْنَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ، وَيَمْدَحُونَ وَيَقْدَحُونَ <sup>(٥)</sup>، وَيَتَوَسَّلُونَ  
وَيَتَوَصَّلُونَ، وَيَرْفَعُونَ وَيَضَعُونَ <sup>(٦)</sup>، فَيَأْتُونَ مِنْ ذَلِكَ بِالسَّحْرِ الْحَلَالِ، وَيَطَوِّقُونَ  
مِنْ أَوْصَافِهِمْ أَجْمَلَ مِنْ سِمَطِ اللَّالِ <sup>(٧)</sup>، فَيَخْدَعُونَ الْأَلْبَابَ، وَيَذُلُّونَ الصَّعَابَ،  
وَيَذْهَبُونَ الْإِحْنَ <sup>(٨)</sup>، وَيُهَيِّجُونَ الدَّمْنَ، وَيَجْرُثُونَ الْجَبَانَ، وَيَبْسُطُونَ يَدَ الْجَعْدِ  
الْبَغَانِ <sup>(٩)</sup>، وَيُصَيِّرُونَ النَّاقِصَ كَامِلًا، وَيَتْرَكُونَ النَّبِيَّ <sup>(١٠)</sup> خَامِلًا.

- (١) ويدلون به : يتوصلون . سبب : طريق ووسيلة إلى تحصيل مهمات أمورهم ؛  
كإلزام الخصوم ، وجلب عجة القلوب ، واستعطاف الملوك والرؤساء .
- (٢) بديةا : من غير تصنع ولا تكلف . والمقامات : محافل الناس ومجامعهم .
- (٣) الخطب : الأمر العظيم الشأن الذي من شأنه أن تقع فيه المخاطبات والمنازعات ؛  
فكان لكل قوم خطيب يقوم بينهم يحثهم على مهماتهم .
- (٤) ويرتجزون به : أي ينشدون رجزا ، وهو نوع من الشعر .
- (٥) يقدحون : يذمون ويهجون .
- (٦) يرفعون من مدحوه بمدائحهم ، فيصير نابه الذكر بعد أن كان خاملا ، ويضعون مقدار  
من ذموه بقدحهم حتى يصير سبة بينهم .
- (٧) أجمل : أزين وأحسن . وأصل السمط : للسلك ما دام فيه الخرز . واللآل : اللآلىء .  
وقد ضبطت سين كلمة السمط بالفتحة والكسرة وكتب عليها معا في ب . وفي ا : ضبطت  
بالفتحة ، وكأنها جمع سمط مع أن القاموس قال : جمع سمط سموط . وضبط السين بالكسر .
- (٨) الإحن : جمع إحنة ، وهي الحقد . ويهيجون : يجرثون ويظهرون . والدمن : جمع دمنة ؛  
وهي في الأصل ما في مبارك الإبل من بمرها المتأبد بما عاياه من أبوالها ، والمراد الحقد المضر  
المجتمع في الباطن .
- (٩) يبسطون يد الجعد البنان : يمدون ، ويذهبون جمودتها ، وهي انقباضها . والمعنى  
أنهم بفصاحتهم يصيرون البخيل كريما .
- (١٠) النبيه : الشريف المشهور .

منهم البدوي ذو اللفظ الجزل<sup>(١)</sup> ، والقول الفصل<sup>(٢)</sup> ، والكلام الفخم ،  
والطبع الجوهري<sup>(٣)</sup> ، والمنزع القوي<sup>(٤)</sup> .  
ومنهم الحضري ذو البلاغة البارة ، والألفاظ الناصعة<sup>(٥)</sup> ، والكلمات الجامعة ،  
والطبع السهل ، والتصرف في القول القليل الكلفة<sup>(٦)</sup> ، الكثير الرنونق ، الرقيق  
الحاشية<sup>(٧)</sup> .

وكلا البابين<sup>(٨)</sup> لها في البلاغة الحجة البالغة ، والقوة الدامغة<sup>(٩)</sup> ، والتدح  
الفالج<sup>(١٠)</sup> ، والمهيج<sup>(١١)</sup> ، لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم ، والبلاغة ملك  
قيادهم ، قد حوزوا فنونها ، واستنبطوا عيونها<sup>(١٢)</sup> ، ودخلوا من كل باب من

(١) اللفظ الجزل : اللفظ المحكم القاطع الفاصل .

(٢) الفصل : الذي يفصل بين الحق والباطل . (٣) الجوهري : النفيس .

(٤) والمنزع القوي : أي يأتون بنوع من الكلام يستخرجونه من بين أنواع الكلام

بطبائعهم السليمة بحيث إذا سمعه السامع شفي غليله .

(٥) الناصعة : الخالصة من الألفاظ الوحشية الغريبة السالمة من الركاكة .

(٦) والتصرف في القول القليل الكلفة : القليل صفة للتصرف ؛ أي يخرج من نوع إلى

نوع من غير تكلف لكونه سجية له . وقد تكون « القليل » صفة للقول : أي لا يورد في

كلام ما يصرف فهمه على السامع لغرابته أو تعقيدته .

(٧) الرنونق : الحسن واللطافة . والحاشية : أصل الحاشية يظرف البرد والثوب . ورقة

حاشيته عبارة عن رفته وحسن نسجه ، وسهولته وسلاسته .

(٨) وكلا البابين : أي كلام البدوي ، والحضري .

(٩) الدامغة : الغالبة لغيرها .

(١٠) القدح : واحد قدح الميسر ؛ وهو سهم بغير ريش ، وقدح الميسر : كانوا يقامرون

بها في الجاهلية ، منها ماله نصيب ، ومنها ما لا نصيب له . والفالج : الفائز ؛ أي لهذه اللغة شرف

وفوز عند سامعها .

(١١) المهيج : الطريق الواسع . الناهج : البين الواضح السلوك .

(١٢) استنبطوا عيونها : استخرجوا خيلها ومحاسنها .

أبوابها ، وعلّوا صرحا لبلوغ أسبابها <sup>(۱)</sup> ؛ فقالوا في الخطير والمهين <sup>(۲)</sup> ، وتفننوا في الفث والسمين <sup>(۳)</sup> ، وتقاولوا في التل والكثير <sup>(۴)</sup> ، وتساجلوا في النظر والنثر <sup>(۵)</sup> ؛ فما راعهم <sup>(۶)</sup> إلا رسول كريم ، بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ؛ أحكمت آياته ، وفصّلت كَلِمَاتُهُ ، وبهرت <sup>(۷)</sup> بلاغته العقول ، وظهرت فصاحته على كل متول ، وتظافر إيجازه وإعجازه ، وتظاهرت حتميته ومجازه ، وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعته <sup>(۸)</sup> [ ۹۱ ] ، وحوّت كل البيان جوامعه <sup>(۹)</sup> وبدائعه ، واعتدل مع إيجازه حسن نظامه ، وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه <sup>(۱۰)</sup> ، وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالا ، وأشهر

(۱) وعلوا صرحا : علوا : صعدوا . والصرح : البيت العالى المزخرف بناؤه ، والبيت المنفرد . لبلوغ أسبابها ؛ أى علوا قصر البلاغة ، ليصلوا إلى ما فيه من الأسباب الموصلة لمهماتهم ومطالبهم النفيسة .

(۲) الخطير : : الأمر العظيم الذى له خطر ؛ أى شرف ومزية . والمهين : الحقير .  
(۳) تفننوا : أتوا بكل فن من فنون الكلام . والفث : أصله المهزول ، والمراد به القبيح والفاسد . وضده السمين .

(۴) تقاولوا : أداروا الكلام بينهم . القل : القليل . والكثير : الكثير .  
(۵) تساجلوا : المراد أنهم تناوبوا أو تفاخروا وتعارضوا فى عد المآثر ، كما هو معروف عندهم .

(۶) فما راعهم : أى بينهم كذلك جاءهم أمر بغتة لم يكن لهم علم به ، ولم يطرق مسامعهم مثله .  
(۷) بهرت : غلبت ، وأدهشت .

(۸) تبارت فى الحسن مطالعه ومقاطعته : تشابهت وتساوت أوائله وأواخره . والمعنى أن مطالعه - وهو مبدؤه كفواتح السور ، ومقطعه - وهو منتهاه وغايته كخواتم السور - يجارى كل منهما الآخر ويسابقه ليحوز قصب السبق من الفصاحة وصحة المعانى . والمراد تشابههما .

(۹) جوامعه : أى جوامع كلمه التى جمعت المعانى الكثيرة فى ألفاظ قليلة .  
(۱۰) انطبق : وافق ، واحتوى . كثرة فوائده : معانيها التى تفيدها . مختار لفظه : لفظه المهدب الذى كأنه انتخب ونقى .

فی الخطابة رجالا ، وأكثر فی السجع والشعر سجالا (۱) ، وأوسع فی الغریب واللغة  
مقالا (۲) ؛ بلغتهم التي بها يتحاورون ، ومنازعتهم التي عنها يتناضلون (۳) ، صارخا  
بهم فی كل حين ، ومقرعا لهم بضعا (۴) وعشرين عاما على رؤس الملأ أجمعين :  
﴿ أَمْ يَقُولُونَ (۵) افترأه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون  
الله إن كنتم صادقين ﴾ (۶) .

﴿ وإن كنتم (۷) فی ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا  
شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا وأن تفعلوا . . . ﴾ .  
و ﴿ قل (۸) آئین اجتمعت الإنس والجن على أن یأتوا بمثل هذا القرآن  
لا یأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهیرا ﴾ .

و ﴿ قل (۹) فأتوا بعشر سور مثله مفتریات ﴾ . وذلك أن المفتری أسهل ،  
ووضع الباطل والمختمق على الاختیار أقرب (۱۰) ، واللفظ إذا تبع المعنی الصحيح  
كان أصعب ؛ ولهذا قيل : فلان یكتب كما یقال له ، وفلان یكتب كما یرید .

(۱) سجالا : المراد بالسجال هنا المحاوره . أو المفاخره . أو سجالا ؛ أى تارة ، تارة ،  
باعتبار المناوبه والمغالبة . وفى ا : ارتجالا ، وفى هامشه : سجالا . وفى ب : سجالا ، وفى  
هامشه : ارتجالا .

(۳) المناضلة : المفاخره ، أو المغالبة بالكلام من النظم والنثر .

(۴) ومقرعا لهم : أى معیرا وموبخا لهم . والبضع : من الثلاث إلى التسع من كسور المدد .

(۵) سورة یونس ، آیه ۳۸

(۶) وادعوا من استطعتم : ادعوا كل من قدرتم على دعوته لبعینكم على اقتراء كلام بضاهیه .

(۷) سورة البقره ، آیه ۲۳ ، ۲۴ (۸) سورة الإسراء ، آیه ۸۸

(۹) سورة هود ، آیه ۱۳ . ومفتریات : محض كذب واختلاق منكم .

(۱۰) المراد بالاختیار ضد الإلجاء والاضطرار ؛ فإن الصادق مضطر إلى اتباع الحق ، وقد

یضیق علیه نطاق البیان بخلاف الكاذب فإنه یجد مجالا واسما .

والأول<sup>(١)</sup> على الثاني فضل ، وبينهما شأو<sup>(٢)</sup> يعيد<sup>(٣)</sup> .

فلم يزل يُقرُّعُهم صلى الله عليه وسلم أشد<sup>(٣)</sup> التقرُّيع ، ويوبِّخهم غاية التوبيخ ،  
ويسِّفه<sup>(٤)</sup> أحلامهم<sup>(٤)</sup> ، ويحط<sup>(٥)</sup> أعلامهم<sup>(٥)</sup> ، ويشتت<sup>(٦)</sup> نظامهم<sup>(٦)</sup> ، ويذم<sup>(٦)</sup> آلهتهم<sup>(٦)</sup>  
وأبائهم ، ويستبيح<sup>(٧)</sup> أرضهم وديارهم وأموالهم ، وهم في كل هذا ناكصون<sup>(٧)</sup> عن  
معارضته ، مُخجِّمون عن مُماثلته<sup>(٨)</sup> ، يُخادِعون أنفسهم بالتشفيب والتكذيب ،  
والإغراء بالافتراء<sup>(٩)</sup> ، وقولهم<sup>(١٠)</sup> : ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴾ ، و﴿ سِحْرٌ<sup>(١١)</sup>  
مستمرٌّ ﴾ ، و﴿ إِنْكَافُوتُ ﴾<sup>(١٢)</sup> افتراء<sup>(١٢)</sup> ، و﴿ أساطير<sup>(١٣)</sup> الأولين ﴾ ؛ والمباهة والرضا

(١) الأول : الذي يكتب كما يقال له . والثاني : الذي يكتب ما يريد . والمراد بالكتابة  
هنا : الكلام ، وإن لم يكتب .

(٢) شأو : غاية وأمد . والمراد التفاوت الزائد .

(٣) في ا : غاية . وفي هامشه : أشد ، وعليها علامة الصحة .  
(٤) يسفه أحلامهم : السفه : الخفة . والأحلام : العقول ؛ أي يصفهم بالسفه وقلة العقل .  
(٥) يحط أعلامهم : ينكس راياتهم ، ويذل ساداتهم ، ويذري بالبابهم . والمراد أنه يحقرهم ،  
ويقهرهم بطعنه فيهم ، وإظهار ضلالهم وسوء حالهم .

(٦) ويشتت نظامهم : يفرق جمعهم ، ويبطل آراءهم بجده وجلاله .

(٧) ناكصون : نكص : أحجم وتأخر . والمراد أنهم لم يعارضوه فيما فعله ، وفيما أتى  
به ، ولم يأتوا بمثله .

(٨) عن مماثلته : عن الإتيان بشيء مماثل أقصر سورة منه لما تحداهم .

(٩) التشفيب : تهيبح الشر والفتن . والتكذيب : أي بادعائهم كذب رسول الله فيما  
جاء به من الحق الذي لا مريبة فيه . وفي ا : بالتكذيب . وفي هامشه : بالأكاذيب . والإغراء  
الحث والتحرُّيس . وفي ا : والافتراء .

(١٠) سورة المدثر ، آية ٢٤ ، يؤثر : ينقل .

(١١) سورة القمر آية ٢ ، وسحر مستمر : دائم باق ، أو محكم متقن .

(١٢) سورة الفرقان ، آية ٤ ، وإفك افتراء : كذب اخترعه واختلقه . والإفك : أسوأ  
الكذب .

(١٣) سورة الأنعام ، آية ٢٥ وغيرها . وأساطير الأولين : شيء أخذه مما سطره الأولون  
وزخرفوه . وقائل هذا هو النضر بن الحارث بن كلدة .

بِالذِّنِّيَّةِ<sup>(١)</sup> ؛ كقولهم<sup>(٢)</sup> : ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ . و ﴿ فِي<sup>(٣)</sup> أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ،  
وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ، وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ ؛ و ﴿ لَا تَسْمَعُوا<sup>(٤)</sup> هَذَا الْقُرْآنَ  
وَالْفَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ .

والادعاء مع العجز بقولهم<sup>(٥)</sup> : ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا ﴾ .

وقد قال لهم الله : وَلَنْ تَفْعَلُوا ؛ فما فعلوا ولا قدروا . وَمَنْ تَعَاطَى ذَلِكَ مِنْ  
سُخْفَانِهِمْ<sup>(٦)</sup> - كَسَيْلَمَةَ - كَشَفَ عَوَارِهِ<sup>(٧)</sup> جَمِيعَهُمْ ؛ وسلبهم الله ما ألقوه<sup>(٨)</sup> ،

(١) المباهتة : الكذب الذي يبهت ويدهش سامعه . والذنية : الخصلة الحقيرة الخسيسة  
المنحطة التي لا يرضى بها من له عقل ومروءة .

(٢) سورة البقرة ، آية ٨٨ ، والنساء ، آية ١٥٥ ، وظاهره الوصف بالحماقة وعدم الفهم ؛  
وهو أمر مذموم لا يرضيه العقل . وغاف : جمع أغلف ، أى فى غلاف .

(٣) سورة فصلت ، آية ٥

والأكنة : جمع كنان ؛ أى غطاء ؛ يريد منغطة ؛ أى لا تفهم ما تقول ، ولا يصل إليها  
الدعوة . وما يدعوم إليه القرآن والإيمان . والوقر : الصمم ، وأصل معناه الثقل .

(٤) سورة فصلت ، آية ٢٦

لا تسمعوا لهذا القرآن : لا تصنوا ولا تنصتوا إليه . والنوا فيه : المراد رفع الصوت بأى كلام  
كان ، حتى يشوش على قارئه ، فيقطع قراءته ، أو يمنع من استماعه . لعلكم تغلبون قارئه بقطع  
قراءته ؛ فغلبتهم إنما هى بالجهل والسفه ، كما هو شأن العاجز الماند .

(٥) سورة الأنفال ، آية ٣١ ، وقائل هذا هو النضر بن الحارث .

قال فى نسيم الرياض ( ٢ - ٥٢٦ ) : وهذه وقاحة لفرط عنادهم ومكابرة ؛ ولو استطاعوا  
مامنعهم أن يشاءوا ، وقد تحداهم وقرعهم بالمعجز عشرين سنة ، ثم قارعهم بالسيوف فلم يقدرُوا  
مع استنكافهم من أن يغلبوا ، خصوصا فى الفصاحة .

(٦) من سخفانهم : ممن فيه طيش وقلة عقل .

(٧) عواره - بفتح العين وضمها : عيبه وحماقته . وقد ضبطت كذلك فى ب ، وكتب

عابها « معا » .

(٨) ما ألقوه : ما اعتادوه بطباعهم .

من فصيح كلامهم ، وإلا فلم يخف على أهل الميز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم (١) ، ولا جنس بلاغتهم ؛ بل وأوا عنه مُدبرين ، وأتوا مُذعنين من بين مُتدبرين وبين مُفتون (٢) .

ولهذا لما سمع الوائد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ . قال : والله ، إن له لحلاوة (٣) ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفله لمفدق ، وإن أعلاه لمثمر ، ما يقول هذا بشر (٥) .

وذكر أبو عبيد (٦) أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ (٧) : ﴿ فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين ﴾ - فسجد ، وقال : سجدت لفصاحته .  
وسمع آخر رجلا يقرأ (٨) : ﴿ فلما استنأسوا منه خلصوا نجيا ﴾ ، فقال : أشهد أن مخلوقا لا يتدبر على مثل هذا الكلام .

(١) الميز : التميز والعقل . ونمط فصاحتهم : نوع فصاحتهم ، وطريقتها .

(٢) مذعنين : منقادين . والمفتون : التحير في أمره المنكر لإعجازه .

(٣) سورة النحل ، آية ٩٠ . (٤) في ١ : حلاوة .

(٥) طلاوة : حسن وقبول ورواق . مفدق : من الفدق ، وهو كثرة الماء .  
لمثمر : له ثمر طيب كثير . والمراد أن كلامه أصله قوى ، ليس من جنس كلام البشر . ومعانيه مفيدة مرشدة لسعادة الدارين وحسن العاقبة . وأراد بأسفله : ماتضمنه من المعاني ، كما يقال : تحت هذا الكلام معان غزيرة . وأراد بأعلاه : ما ينتج من الفوائد والعوائد التي تظهر من فهم معانيه وتيقنها . ما هذا بقول بشر : لا يشبه كلام البشر بوجه من الوجوه . وفي هامش ب :  
أمام هذه الجملة : وكذلك قال خالد بن عتبة . (٦) في هامش ب : خ : أبو عبيدة .  
(٧) سورة الحجر ، آية ٩٤ . واصدع بما تؤمر : اجهر بما أمرت بتبليغه ، ولا تبال بما يقولونه .

(٨) سورة يوسف ، آية ٨٠ ، استنأسوا : يتسوا من يوسف . وخلصوا : اعتزلوا وانفردوا .

نجيا : متناجين في تدبير أمره .

وَحُكِّيَ أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَانَ يَوْمًا نَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ فَإِذَا هُوَ بَقَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ يَتَشَهَّدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ ؛ وَاسْتَخْبِرَهُ ، فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ مِنْ بَطَارِقَةٍ <sup>(۱)</sup> ، الرُّومُ مِنْ يُحْسِنُ كَلَامَ الْعَرَبِ وَغَيْرَهَا ، وَأَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا مِنْ أُسْرَى <sup>(۲)</sup> ، الْمُسْلِمِينَ [۹۲] يَقْرَأُ آيَةً مِنْ كِتَابِكُمْ فَتَأَمَّلْتُهَا ، فَإِذَا [ هِيَ ] <sup>(۳)</sup> قَدْ جُمِعَ فِيهَا مَا أُنزِلَ عَلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى <sup>(۴)</sup> : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَبَيْتَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ .

وَحَكِّيَ الْأَصْمَعِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ كَلَامَ جَارِيَةٍ ؛ فَقَالَ لَهَا : قَاتِلِكِ اللَّهُ مَا أَفْضَحَكَ ! فَقَالَتْ : أَوْ يَمُدُّ هَذَا فَصَاحَةٌ بَعْدَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى <sup>(۵)</sup> : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ؛ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ؛ فَجُمِعَ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ بَيْنَ أَمْرَيْنِ وَنَهْيَيْنِ ، وَخَبْرَيْنِ ، وَبِشَارَتَيْنِ <sup>(۶)</sup> .

فَهَذَا <sup>(۷)</sup> نَوْعٌ مِنْ إِعْجَازِهِ مُنْفَرِدٌ بِذَاتِهِ ، غَيْرُ مُضَافٍ إِلَىٰ غَيْرِهِ عَلَى التَّحْقِيقِ وَالصَّحِيحِ مِنَ الْقَوْلَيْنِ <sup>(۸)</sup> .

(۱) البطارقة : جمع بطريق ، ومعناه الرئيس وقائد الجيش ، وجمعه بطارقة .  
 (۲) في ب : قوما من أسرى المسلمين يقرءون . (۳) من ب .  
 (۴) سورة النور ، آية ۵۲ (۵) سورة القصص ، آية ۷  
 (۶) الأمرين : أرضعيه ، وألقيه . والنهيين : لا تخافي ، ولا تحزني . والخبرين : أوحينا ، وخفت عليه . والبشارتين : رادوه إليك ، وجاعلوه من المرسلين . (۷) فهذا الجمع .  
 (۸) قال في نسيم الرياض ( ۲ - ۵۳۱ ) : الظاهر أن مراده بالقولين هنا - كما قاله بمضمون : القول بأن إعجاز القرآن هل هو بمجموع بلاغته وأسلوب نظمه ؛ أو هو متحقق بكل واحد منهما على حدته وانفراد ، بدون إضافة أحدهما إلى الآخر ؛ فإن كلا منها خارق للعادة ، خارج عن طوق البشر .

وقيل : المراد بالقولين : القول بأن إعجازه ببلاغته التي لا يرتقى أحد إلى مرتبتها ؛ والقول بأنه معجز بغير ذلك كالصرفة ، والإخبار بالمغيبات . والأول هو المتبادر من سياقه .



وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه أُنمى به - معلوم ضرورة ،  
وكونه - عليه السلام - مُتَجَدِّباً به معلوم<sup>(۱)</sup> ضرورة ، وَعَجَزُ الْعَرَبِ عَنِ الْإِتْيَانِ  
به معلوم ضرورة ، وكونه في فصاحته خارقاً للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة  
ووجوه البلاغة ؛ وسبيل<sup>(۲)</sup> مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا عَامِ<sup>(۳)</sup> ذلك بعجز المفكرين من  
أهلها عن معارضته واعتراف المفسرين بإعجاز بلاغته .

وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى<sup>(۴)</sup> : ﴿ وَأَسْكُمُ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةً ﴾ . وقوله<sup>(۵)</sup> :  
﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا فَلَا قُوَّةَ وَأَخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ . وقوله<sup>(۶)</sup> :  
﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ .  
وقوله<sup>(۷)</sup> : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ، وَيَأَسْمَاءُ أَقْلِمِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ  
الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ، وَقِيلَ : بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .  
وقوله<sup>(۸)</sup> : ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ، وَمِنْهُمْ مَنْ

(۱) في هامش ۱ : التحدى : التعمد لنزعة الغاية .

(۲) سبيل : طريق من ليس من أهل الفصاحة الجبلية الموصلة لمعرفة إعجازه ، كالمولدين  
والمعجم .

(۳) في ب : فعل مبني للمعلوم ، وللمجهول ، وكتب عليه معا . وفي ۱ : علم - بكسر العين  
وسكون اللام . (۴) سورة البقرة آية ۱۷۹

(۵) سورة سبأ ، آية ۵۱ ، فزعوا : من حلول الأجل ، أو من بضمهم من القبور ، أو في  
يوم بدر . وأخذوا من مكان قريب : من ظهر الأرض إلى بطنها . أو من الموقف إلى النار ،  
أو من صحراء بدر إلى قليبها .

(۶) سورة فصلت ، آية ۳۴ ، أى ادفع سيئة من أساء إليك بالحسنة التي هي أحسن من  
كل شيء حسن ، أو بأحسن دفع ممكن .

(۷) سورة هود ، آية ۴۴ ، والإفلاع : الإمساك .

(۸) سورة العنكبوت ، آية ۴۰ . حاصبا : أى ريمحا عاصفة فيها .

حصباء ، وهى الحجارة الصغيرة - وهم قوم لوط . ومنهم من أخذته الصيحة : هم قوم  
نمود ومدين . ومن خففنا به الأرض : قارون . ومن أغرقنا : قوم نوح وفرعون .

أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ﴿ .  
 وَأَشْبَاهَهَا مِنَ الْآيِ ، بَلْ أَكْثَرَ الْقُرْآنِ - حَقَّقَتْ مَا بَيَّنَّتْهُ مِنْ إِجَارِ الْفَاطِمَا ؛  
 وَكَثْرَةَ مَعَانِيهَا ، وَدِيْبَاجَةِ (۱) عِبَارَتِيهَا ، وَحُسْنَ تَأْلِيْفِ حُرُوفِهَا ، وَتَلَاوُمِ كَلِمَاتِهَا (۲) ،  
 وَأَنَّ تَحْتَ كُلِّ لَفْظَةٍ مِنْهَا جُمَلًا كَثِيرَةٌ ؛ وَفُصُولًا جَمَّةً (۳) ، وَعِلْمًا زَوَاحِرًا ، مُبَيَّنَّتْ (۴)  
 الدَّوَاوِينَ (۵) مِنْ بَعْضِ مَا اسْتُعِيدَ مِنْهَا ، وَكَثُرَتِ الْمَقَالَاتُ فِي الْمُسْتَنْبَطَاتِ (۶) عَنْهَا .  
 ثُمَّ هُوَ (۷) فِي سَرْدِ الْقِصَصِ الطَّوَالِ ، وَأَخْبَارِ الْقُرُونِ السَّوَالِفِ (۸) ، الَّتِي يَضَعُ  
 فِي عَادَةِ الْفُصَحَاءِ عِنْدَهَا الْكَلَامُ ، وَيَذْهَبُ مَاءَ الْبَيَانِ (۹) - آيَةً (۱۰) لِمَتَأَمَّلِهِ ؛ مِنْ  
 رَبَطِ الْكَلَامِ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ ، وَالتَّمَامِ سَرْدِهِ (۱۱) ، وَتَنَاصُفِ وَجُوهِهِ (۱۲) ؛ كَقِصَّةِ يُوْسُفَ  
 عَلَى طُولِهَا .

- 
- (۱) المراد حسن عبارتها .  
 (۲) تلاؤم كالمها : تناسب وموافقة .  
 (۳) وفصولا جمّة : أنواعا كثيرة من محاسن الكلام .  
 (۴) زواجر : كثيرة ، كالبهار الزواجر ؛ من زجر البحر ؛ إذا كثرت ماؤه وارتفعت  
 أمواجه . (۵) الدواوين : الدفاتر ؛ يريد كتب التفسير وغيره من الفنون .  
 (۶) في المستنبطات عنها : أي في المعاني والأحكام المستخرجة بطريق الإشارة والدلالات .  
 (۷) هو : أي القرآن .  
 (۸) المراد بالقرون السوالمف : الأمم المتقدمة على عصر النبوة . والقرن : مدة من الزمان  
 مختلف فيها - والمراد أهله .  
 (۹) ماء البيان : رونقه وحسنه .  
 (۱۰) آية : علامة .  
 (۱۱) والتام سرده : أي مناسبة كلماته السرودة المتتابعة مع فصاحتها ، وحسن  
 تأليفها .  
 (۱۲) وتناصف وجوهه : المراد بالوجوه بلاغته . وتناصف تفاعل - من النعمة والإنصاف ،  
 يقال أعضاؤه متناصفة حسنا ؛ أي لا ينقص حسن بعضها عن بعض .

ثم إذا (١) ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تُنسى في البيان صاحبها ، وتُناصف في الحُسن وجهه مُقَابَلتها ، ولا نفورَ للنفوس من ترددها ، ولا معاداة للمعادها (٢) .

### فصل

الوجه الثاني من إعجازه صورةُ نظمه العجيب ، والأسلوبُ الغريبُ المخالفُ لأساليب كلام العربِ ومناهج (٣) نظمها ونثرها الذي جاء عليه ، ووقفت مقاطعُ آيه ، وانتهت فواصلُ كلماته إليه (٤) ؛ ولم يوجد قبله ولا بعده نظيرُ له ، ولا استطاع أحدٌ مُماثلةً شيء منه ؛ بل حارت فيه عقولهم ، وتداهمت دونه أحلامهم (٥) ، ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم ، أو سجع أو رجز ، أو شعر . ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليدُ بن المغيرة ، وقرأ عليه القرآن - رقى ؛ فجاءه أبو جهل مُنكرًا عليه [٩٣] - قال : والله ما منكم أحدٌ أعلمُ بالأشعارِ مني ، والله ما يُشبهه الذي يقول شيئًا من هذا .

(١) ترددت : تكررت .

(٢) أي لا تنكره ، ولا تعادي الطباع المعاد في القرآن وللكرر من قصصه .

(٣) المناهج : جمع منهج ، وهو الطريق ؛ أي لا يشبه كلامهم المنظوم ، وهو الشعر ، ولا المشور من الخطب وغيرها .

(٤) المقاطع : جمع مقطع ؛ وهو آخر الكلام الذي يقف عليه القاري . والمراد انتهت ووصلت . والفواصل : جمع فاصلة ؛ وهي الكلمة الأخيرة من الفقرة ونحوها .

(٥) تداهمت : دهشت ونجرت في شأنه . والأحلام : جمع حلم ؛ وهو العقل . يعني أن عقولهم لم تصل إليه ؛ إذ نجرت فيما هو أقل منه ، فكيف به ! وفي ب : وتولمت .

وفي خبره الآخر - حين جمع قُرْبِشًا عند حضور المَوْسِمِ<sup>(۱)</sup> ، وقال : إِنَّ وَفُودَ  
العربِ تَرِدُ<sup>(۲)</sup> فَأَجْمِعُوا فِيهِ رَأْيَا<sup>(۳)</sup> ، لا يَكْذِبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا؛ فقالوا : نقولُ كاهن .  
قال : واللهِ ما هُوَ بِكَاهِنٍ . ما هُوَ بِزَمَزَمَتِهِ<sup>(۴)</sup> ولا سَجْعِهِ .  
قالوا<sup>(۵)</sup> : مجنون . قال : ما هُوَ بِمَجْنُونٍ ، ولا بِخَنْقِهِ<sup>(۶)</sup> ولا وَسْوَستِهِ .  
قالوا : فنقولُ شاعر . قال : ما هُوَ بِشاعر . قد عَرَفْنَا الشُّعْرَ كُلَّهُ ، رَجَزَهُ ،  
وهَزَجَهُ ، وقرِيبَهُ ، ومَبْسُوطَهُ ومَقْبُوضَهُ ، ما هُوَ<sup>(۷)</sup> بِشاعر .  
قالوا : فنقولُ ساحر . قال : ما هُوَ بِساحِرٍ ، ولا نَفْثِهِ ولا عَقْدِهِ<sup>(۸)</sup> .  
قالوا : فما نقولُ : قال : ما أنتم بقائلين من هذا شيئًا ، إلا وأنا أعرفُ أنه باطل ،  
وإنَّ أَقْرَبَ القَوْلِ أَنَّهُ ساحر ؛ فإنه سِحْرٌ يَفْرُقُ بين المرءِ وابنه<sup>(۹)</sup> ، والمرءِ وأخيه ،  
والمرءِ وزَوْجِهِ ، والمرءِ وعَشِيرَتِهِ<sup>(۱۰)</sup> .

- (۱) الموسم : المراد موسم الحج . وهذا الخبر في دلائل أبي نعيم : ۱ - ۳۰۲ .  
(۲) ترد : أى يقدمون من غير البلاد .  
(۳) فأجمعوا فيه : أى فى النبي ؛ أى دبروا وتداركوا . رأيا : أى أمرا يعتقدون أن له  
فائدة ونتيجة . وفى ا : فأجمعوا - بهمزة وصل .  
(۴) الزمزمة : صوت خفى لا يكاد يفهم ؛ أى ليس كلامه مشبها زمزمة الكاهن ، ولا سجعها .  
(۵) فى ا : فقالوا .  
(۶) الخنق - بفتح النون وكسرهما : الجنون . وقال القارى ( ۱ - ۵۵۸ ) : أى ليس  
ممن أصابه الجن وخنقه ، ولا وسوس له فى صدره .  
(۷) الهزج : اسم بحر من بحور الشعر . والقريض : الشعر ، ولعله يريد المقطوعات  
الشعرية . ومبسوطه : مطولات قصائده . ومقبوضه : المراد به مختصر أوزانه .  
(۸) النفث : النفخ مع ريق ، والعقد : عقد حبال أو شعر مضمور ونحوه ؛ وكنى به  
عن أنه ليس له علم بما يعمله السحرة .  
(۹) فى ب : وأبيه ، وابنه ، وعليها « معا » . وفى ا : وابنه ، وعليها علامة الصحة .  
(۱۰) وعشيرته : أى أقاربه الأذنون المعاشرون له .

فتفرقوا وجلسوا على السُّبُل (١) يحذرون الناس؛ فأنزل الله تعالى في الوليد (٢):  
 ذُرْنِي (٣) وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا . وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا . وَبَيْنَ يَدَيْهِ شُهُودًا . وَمَهَّدْتُ  
 لَهُ تَهْيِيدًا . ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ . كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا . سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا . إِنَّهُ  
 فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قَاتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ .  
 ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ . فَقَالَ : إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (٤) .

وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن : يا قوم ؛ قد علمتم أنني لم أترك شيئاً  
 إلا وقد علمته وقرأته وقلته ؛ والله لقد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ؛ ما هو  
 بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة (٥) .

وقال النضر بن الحارث نحوه .

وفي حديث إسلام أبي ذر (٦) ووصف أخاه أنيساً ، فقال : والله ما سمعت بأشعر  
 من أخي أنيس ؛ لقد ناقض (٧) اثني عشر شاعراً في الجاهلية (٨) ، أنا أحدهم ،  
 وإنه انطلق إلى مكة ، وجاء إلى أبي ذر بنحو النبي صلى الله عليه وسلم . قلت : فما يقول  
 الناس ؟ قال : يقولون : شاعر ، كاهن ، ساحر ، لقد سمعت قول الكهنة فما هو

(١) السبل : الطرق . (٢) خبر الوليد في الدلائل لأبي نعيم : ١ - ٣٠٣

(٣) سورة المدثر ، من آية ١١ - ٢٤

(٤) ذرني ومن خلقت وحيداً : دعني معه ، فأنا أكفيه من كيد أعدائه وإن كان وحيداً  
 منفرداً عن أهله وعثرته لتركهم له .

(٥) ضبطت الكاف بالفتحة والكسرة ، وعليها « معا » في ب .

(٦) الغفاري الصحابي ، وهو جندب بن جنادة . وحديث إسلامه في صحيح مسلم : ١٩١٩

(٧) نقاض الشعر في الجاهلية : إذا قال أحدهم شعراً ذكر فيه افتخارا بآبائه وشرفهم  
 على قوم غيره ، أو ذكر فيه هجاء غيره ومثالبه ؛ فيعارضه غيره بشعر يذكر فيه ضد ما قاله ؛  
 فيسمى ذلك مناقضة . ويقال للقوائد نقاض .

(٨) أي عارضهم في قصائدهم ، فأتى بمثلاً ؛ وهذا يدل على فصاحته ومعرفة الشعر .

بِتَوَلُّهُمْ ، وَاقْدِ وَضَعْتُهُ عَلَى (۱) أَقْرَاءِ الشَّعْرِ فَلَمْ يَلْتَمَّ ، وَمَا يَلْتَمُّ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ بَعْدَى  
أَنَّهُ شِعْرٌ (۲) ؛ وَإِنِّهِ لَصَادِقٌ ، وَإِنِّهِمْ لَكَاذِبُونَ .  
وَالْأَخْبَارُ فِي هَذَا صَحِيحَةٌ كَثِيرَةٌ .

وَالْإِعْجَازُ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ النُّوعَيْنِ : الْإِعْجَازُ وَالْبَلَاغَةُ بِذَاتِهَا (۳) ؛ أَوِ الْأَسْلُوبُ  
الْغَرِيبُ بِذَاتِهِ (۴) ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا نَوْعٌ إِعْجَازٍ عَلَى التَّحْقِيقِ ، لَمْ تَقْدِرِ الْعَرَبُ عَلَى  
الْإِتْيَانِ وَاحِدٍ مِنْهُمَا (۵) ؛ إِذْ كُلُّ وَاحِدٍ خَارِجٌ عَنِ قُدْرَتِهَا ، مُبَايِنٌ (۶) لِفَصَاحَتِهَا  
وَكَلامِهَا ؛ وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ أُمَّةِ الْمُحَقِّقِينَ .

وَذَهَبَ بَعْضُ [ الْمُحَقِّقِينَ ] (۷) الْمُقْتَدِي بِهِمْ إِلَى أَنَّ الْإِعْجَازَ فِي مَجْمُوعِ الْبَلَاغَةِ  
وَالْأَسْلُوبِ (۸) ، وَأَتَى عَلَى ذَلِكَ بِتَوَلُّ تَمَجُّهِ الْأَسْمَاعِ ، وَتَنْفِرُ مِنْهُ الْقُلُوبُ .  
وَالصَّحِيحُ مَا قَدَّ مَنَاهُ (۹) ، وَالْعِلْمُ بِهَذَا كُلِّهِ ضَرُورَةٌ قَطْعًا .  
وَمَنْ تَفَنَّنَ فِي عِلْمِ الْبَلَاغَةِ ، وَأَرْهَفَ (۱۰) خَاطِرَهُ وَلِسَانَهُ أَدَبُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ  
لَمْ يَخَفَ عَلَيْهِ مَا قَلَدَاهُ .

(۱) وَضَعْتُهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشَّعْرِ : أَقْرَاءُ الشَّعْرِ : أَنْوَاعُهُ وَأَنْحَاؤُهُ وَأَمْثَالُهُ ، أَوْ قَوَافِيهِ الَّتِي  
يُحْتَمُّ بِهَا ، أَيْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ ، وَقَابَلْتُهُ ، وَقَسْتُهُ بِالشَّعْرِ .  
(۲) فَلَمْ يَلْتَمَّ : فَلَمْ يَتَيْسَّرْ وَيَتَّفَقْ . وَالْمَعْنَى : لَا يَلْتَمُّ لِأَحَدٍ غَيْرِي أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ شِعْرٌ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ  
أَحَدٌ بِأَعْلَمَ بِالشَّعْرِ وَأَقْدَرُ عَلَيْهِ مِنِّي ؛ فَلَوْ أَمْكَنَ لِأَحَدٍ أَنْ يَنْزِلَهُ عَلَى الشَّعْرِ وَيَمَارِضَهُ بِهِ كُنْتَ  
فَعَامًا ، فَحَيْثُ لَمْ يَتَيْسَّرْ لِي لَا يَتَيْسَّرُ لغيرِي . وَالْمُرَادُ إِبْطَالُ كَوْنِهِ شِعْرًا .

(۳) هَذَا فِي أ ، ب .

(۴) يَعْنِي كَوْنَهُ عَلَى نَمَطٍ لَا يَشْبَهُ نَمَطَ كَلَامِهِمُ الْمَنْظُومِ وَلَا الْمَنْشُورِ .

(۵) فِي ب : مِنْهَا . (۶) مُبَايِنٌ : مُخَالَفٌ .

(۷) مِنْ ب . (۸) أَيْ لَا بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا .

(۹) مِنْ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ وَجْهًا فِي الْإِعْجَازِ كَأَنِّيَا فِيهِ .

(۱۰) أَرْهَفَ خَاطِرَهُ : أَرْهَفَ : حَدَدَ ، وَدَقَّقَ ، وَسَنَّ . خَاطِرَهُ : فِكْرَهُ . وَلِسَانَهُ : نَطْقَهُ .

وقد اختلف أئمة أهل السنة في وجه عجزهم عنه ؛ فأكثرهم يقول : إنه ما جمع في قوة جزالته ، ونصاعة ألفاظه<sup>(١)</sup> ، وحسن نظمه ، وإيجازه ، وبديع تأليفه وأسلوبه لا يصح أن يكون في مقدور البشر ، وأنه من باب الخوارق الممتنعة عن إقدار الخلق عليها<sup>(٢)</sup> ؛ كإحياء الموتى ، وقلب العصا ، وتسبيح الحصى .

وذهب الشيخ أبو الحسن<sup>(٣)</sup> إلى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر ، ويُقدرهم الله عليه ؛ ولكنه لم يكن هذا ولا يكون ؛ فمنعهم الله هذا [ ٩٤ ] ، وعجزهم عنه .

وقال به جماعة من أصحابه<sup>(٤)</sup> .

وعلى الطرفين<sup>(٥)</sup> فعجز العرب عنه ثابت ، وإقامة الحجج عليهم بما يصح<sup>(٦)</sup> أن يكون في مقدور البشر ، وتحديثهم بأن يأتوا بمثله - قاطع<sup>(٧)</sup> ؛ وهو أبلغ في التعجيز ، وأخرى<sup>(٨)</sup> بالتقريع ، والاحتجاج بمجىء بشر مشاهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم ؛ وهو أبهر آية ، وأقنع دلالة<sup>(٩)</sup> .

(١) الجزالة : الصلابة والقوة . والمراد إحكام نظمه ، وعدم ركاكته . ونصاعة ألفاظه : وضوحها وخالوصها .

(٢) من باب الخوارق : من جنسها ونوعها . الممتنعة عن إقدار الخلق عليها : أى التى لا يقدرون عليها ، كأنها امتنعت عليهم ، وأبت مطاوعتهم .

(٣) هو أبو الحسن الأشعري : إمام أهل السنة .

(٤) قال القارى ( ٢ - ٥٦١ ) : وهذا هو القول بالصرفة ، وهو مرجوح عند أكابر الأئمة .

(٥) الطرفين : إيجازه ببلاغته وأسلوبه ؛ أو بتمجيزه سببجانه وتعالى إياهم عن معارضته .

(٦) أى بتكليفهم بأقل قليل منه ، وهو ما يمكن أن يكون . . .

(٧) قاطع : أى بتمجيزهم . (٨) أخرى : أحق ، وأولى .

(٩) وهو : أى المذكور من عدم قدرتهم . أبهر آية : أظهر . وأقنع : من قعده ؛ إذا قهره ، وردعه ، وأذله بمجزئه عن معارضته .

وعلى كلِّ حالٍ فما أتوا في ذلك بمقالٍ ؛ بل صبرُوا على الجلاء<sup>(١)</sup> ، والقَتْل ،  
وتجرَّعُوا كأساتِ الصَّغارِ والدُّلِّ ؛ وكانوا من سُموخِ الأنفِ ، وإبابةِ الضَّيمِ<sup>(٢)</sup> ،  
بِحيث لا يُؤثِّرون ذلك اختياراً<sup>(٣)</sup> ، ولا يرضونهُ إلا اضطراراً ، وإلا فالعارضَةُ  
لو كانت من قُدْرهم ، والشغلُ بها أهونُ عليهم ، وأسرعُ بالنُّجْحِ وقَطْعِ العُذْرِ  
وإفحامِ الحُصمِ لديهم<sup>(٤)</sup> ، وهم ممَّن لهم قُدْرَةٌ<sup>(٥)</sup> على الكلامِ ، وقدوةٌ في المعرفةِ به  
لجميعِ الأنامِ ؛ وما منهم إلا من جَهدَ جَهدَهُ<sup>(٦)</sup> ، واستنفد ما عنده في إخفاءِ ظهوره ،  
وإطفاءِ نُورِهِ ، فما جَلَّوا في ذلك خبيثةً من بناتِ شفاهم<sup>(٧)</sup> ، ولا أتوا بنُطفةٍ من مَعينِ  
مِياهم<sup>(٨)</sup> ، مع طولِ الأمدِ ، وكثرةِ العَدَدِ ، وتَظَاهُرِ<sup>(٩)</sup> الوالدِ وما وَاوَدَ ؛ بل  
أَبَسُوا فما نَبَسُوا<sup>(١٠)</sup> ، وَمُنِعُوا فأنقَطَعُوا<sup>(١١)</sup> ؛ فهذان نوعان من إعجازهِ<sup>(١٢)</sup> .

(١) الجلاء : ترك الوطن والمال .

(٢) الأنف : جمع أنف . سموخ الأنف : كناية عن غاية التكبر . والضيم : الذل والتحقير .

(٣) لا يؤثرون : لا يرضون ، ولا يختارون .

(٤) النجح : الظفر والفوز بمطلوبهم . وإفحام الحُصم : إسكاته .

(٥) في ١ : اقتدار .

(٦) جهد جهده : بذل ما عنده من الجهد ، فلم يقدر على شيء منه .

(٧) جلوا : أظهروا . خبيثة : مخبأة في ضمائرهم ، مستورة خلف أستار سرائرهم .

من بنات شفاهم : أي كلمة يتلفظون بها .

(٨) بنطفة : بقطرة قليلة . والمعين : الماء الجاري ظاهراً ، والمراد من أنهار بلاغتهم

وأسرار فصاحتهم ؛ أي لم يقدرُوا على شيء مما طاب منهم .

(٩) مع طول الأمد : أي اتساع زمن التحدي وطول وقته . تظاهر : تعاون ومساعدة .

(١٠) أبسوا : يئسوا . نبسوا : نطقوا .

(١١) فانقطعوا عن المعارضة لمجزهم .

(١٢) أراد إعجازهِ بنص كلامه وخواص تراكيبه ، وبصورة نظمه وأسلوبه . ولم يلتفت

إلى الصرفة لضعف القول بها عنده كما تقدم . وقال القاري ( ١ - ٥٦٣ ) : نوعان من إعجازهِ ؛

أي اجتماعاً وانفراداً .



### فصل

الوجه الثالث من الإعجاز ما انطوى<sup>(۱)</sup> عليه من الإخبار بالمغيبات ، وما لم يكن ولم يقع ؛ فوجد ؛ كما ورد ، وعلى الوجه الذي أخبر به ؛ كقوله تعالى<sup>(۲)</sup> :

﴿ اَتَدْخُلْنَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ ﴾ .

وقوله تعالى<sup>(۳)</sup> : ﴿ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ .

وقوله<sup>(۴)</sup> : ﴿ يُبْظِرْهُمْ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ .

وقوله<sup>(۵)</sup> : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ

فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ،

وَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ

بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

وقوله<sup>(۶)</sup> : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ

أَفْوَاجًا . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ .

(۱) ما انطوى عليه : ما اشتمل عليه .

(۲) سورة الفتح ، آية ۲۷ ، رأى النبي وهو بالمدينة قبل عام الحديبية أنه دخل المسجد الحرام مع أصحابه ، وأخبرهم بذلك ، فظنوا أنه سيقع في ذلك العام ، فلما صدم المشركون عن الدخول شق عليهم ذلك ، فأخبرهم الله بأنه سيقع بعد ذلك ، وكان كما أخبر .

(۳) سورة الروم ، آية ۳ ، أخبر الله تعالى أن الروم تغلب فارس بعد مدة ، وكان كما أخبر الله في كتابه .

(۴) سورة التوبة ، آية ۳۳ ، وعد الله بأن دين رسول الله سيظهر وتغلب أمته جميع الأمم ، وكان كما قال .

(۵) سورة النور ، آية ۵۵ ، ليستخلفهم : أي يجعلهم خلفاء في أرضه ، مالكين لها منصورين على أعدائهم وكان كما قال .

(۶) سورة النصر ، نزلت بمبشرة بفتح مكة ؛ وكان الفتح .

فكان جميعُ هذا ، كما قال ؛ فغلبت الرومُ فارسَ في بضع سنين ، ودخل الناسُ في الإسلام أفواجا<sup>(۱)</sup> ؛ فما مات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضعٌ لم يدخله الإسلام .

واستخلف [الله]<sup>(۲)</sup> المؤمنين في الأرضِ ، ومكنَ فيها<sup>(۳)</sup> دينهم ، ومددكهم إياها من أقصى المشارقِ إلى أقصى المغاربِ<sup>(۴)</sup> ؛ كما قال عليه السلام<sup>(۵)</sup> : « زُوِيَتْ لِي<sup>(۶)</sup> الْأَرْضُ ، فَأَرَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِي مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا » . وقوله<sup>(۷)</sup> : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ<sup>(۸)</sup> ﴾ ؛ فكان كذلك ، لا يكادُ يعدُّ مَنْ سَعَى فِي تَغْيِيرِهِ وَتَبْدِيلِ مُجْرِمِهِ مِنَ الْمَلْحِدَةِ وَالْمُعْطَلَةِ ، لِاسْمِ الْقِرَامِطَةِ<sup>(۹)</sup> ؛ فَأَجْمَعُوا كَيْدَهُمْ وَحَوْلَهُمْ<sup>(۱۰)</sup> وَقَوَّوهُمْ ، الْيَوْمَ نَيْفًا عَلَى خِمْسَاةٍ<sup>(۱۱)</sup> عَامٍ ، فَمَا قَدَرُوا عَلَى إِطْفَاءِ شَيْءٍ مِنْ نُورِهِ ، وَلَا تَغْيِيرِ كَلِمَةٍ مِنْ كَلَامِهِ<sup>(۱۲)</sup> ، وَلَا تَشْكِيكِ الْمَسْلَمِينَ فِي حُرْفٍ مِنْ حُرُوفِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .

(۱) أفواجا : جماعات كثيرة ، بعد جماعات كثيرة .

(۲) ليس في ا . (۳) فيها : في الأرض .

(۴) من أقصى المشارق .. أي أبعد مكان من جانب المشرق إلى أبعد من جانب المغرب .

(۵) في حديث صحيح رواه مسلم : ۲۲۱۵ (۶) زويت لي الأرض : جمعت وطويت .

(۷) سورة الحجر ، آية ۹

(۸) أخبر الله تعالى أنه تولى حفظ القرآن من التبديل والتغيير في سائر الزمان .

(۹) الملحدة : من الإلحاد ، وهو الميل عن الحق ، سموا بذلك لعدولهم عن ظواهر الشريعة ، وتأويلها بأمور سخيفة ، ويسمون باطنية : ( نسيم الرياض : ۲ - ۵۵۳ ) .

والمعطلة : الذين نفوا الصانع . والقرامطة : طائفة من الملحدين أيضا . قال السمعاني في

الأنساب : القرمطي - بكسر القاف نسبة لطائفة خبيثة ، وهم من أهل هجر والحسا ، وأصاهم

رجل من سواد الكوفة يقال له قرمط ، وقيل حمدان بن قرمط .

(۱۰) حولهم : حياهم ، وجهدهم . (۱۱) أي مدة تزيد على خمسمائة عام ،

(۱۲) أي بالنسبة لتاريخ زمن المصنف . (۱۲) في ب : من كاه .

ومنه (١) قوله (٢) : ﴿ سِيْهُزَمِ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ﴾ .  
وقوله (٣) : ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ  
صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ .  
وقوله (٤) : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ  
كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ .  
وقوله (٥) : ﴿ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ، وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَاوِكُمْ الْأُدْبَارَ ﴾ (٦) ثُمَّ  
لَا يُنْصَرُونَ ﴾ . فَكَانَ كُلُّ ذَلِكَ .  
وما فيه (٧) مِنْ كَشْفِ أَسْرَارِ الْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُودِ ، وَمَقَالِهِمْ وَكُذِّبِهِمْ فِي حَافِيهِمْ ،  
وَتَقَرُّبِهِمْ بِذَلِكَ ؛ كَقَوْلِهِ (٨) : ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ .  
وقوله (٩) : ﴿ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ ، يَقُولُونَ : لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ  
شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ، قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى  
مَضَاجِعِهِمْ ، وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَائِمَّحْصَا مَا فِي قُلُوبِكُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ  
الصُّدُورِ ﴾ (١٠) .

- (١) ومنه : أى مما أخبر به من المنىبات المعجزة .  
(٢) سورة القمر ، آية ٤٥ ، أى سينهزم كفار قريش ، وسيجملهم المسلمون يولون أدبارهم  
بالظن والضرب ؛ فعبّر عن شدة انهزامهم بأبلغ عبارة .  
(٣) سورة التوبة ، آية ١٤  
(٤) سورة التوبة ، آية ٣٣  
(٥) سورة آل عمران ، آية ١١١  
(٦) لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ؛ أى لا يقدرُونَ عليكم إلا بأذية يسيرة ، كالظن والتهديد .  
وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَاوِكُمْ الْأُدْبَارَ : أخبر أنهم كلما قاتلوهم غلبوا ، وكان النصر للمسلمين عليهم .  
(٧) وما فيه : ما فى القرآن .  
(٨) سورة المجادلة ، آية ٨  
(٩) سورة آل عمران ، آية ١٥٤  
(١٠) هذا بيان لحال المنافقين ومكرهم ، والذي أخفوه يوم أحد .

وقوله<sup>(١)</sup> : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِحَرْفٍ مِنَ الْكَلِمِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ : إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ ، وَإِنْ لَمْ تَأْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ، وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

وقوله<sup>(٢)</sup> : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ [٩٥] وَيَقُولُونَ : سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ ، وَرَاعِنَا أَيْمًا بِالسَّنْتِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ <sup>(٣)</sup> ﴾ .

وقد قال مُبْدِيًا<sup>(٤)</sup> ، ما قَدَّرَهُ اللَّهُ وَاَعْتَقَدَهُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ بَدْرٍ<sup>(٥)</sup> : ﴿ وَإِذْ يَبْعِدُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوكَةِ<sup>(٦)</sup> تَكُونُ لَكُمْ ﴾ .

ومنه قوله تعالى<sup>(٧)</sup> : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ .

(١) سورة المائدة ، آية ٤١ ، والذين هادوا : اليهود .

(٢) سورة النساء ، آية ٤٦

(٣) راعنا : كانوا يقولون : راعنا ؛ وصفا له صلى الله عليه وسلم بالرعونة ، موهمين التماس نظره ورعايته لهم ، مسكرا منهم ولما بالسنتهم وكلامهم ، وطعنا في الدين بالكذب والاستهزاء والسخرية .

(٤) مبديا : مظهرا . (٥) سورة الأنفال ، آية ٧

(٦) إحدى الطائفتين : العير ، أو النفير . وغير ذات الشوكة : يريد العير ، وكانوا يودون أخذ العير لما فيها من المال ، ولقلة ما عندهم من السلاح والرجال .

(٧) سورة الحجر ، آية ٩٥ ، وهؤلاء المستهزون كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم أشد الأذى ، ويسخرون منه ؛ وهم : الأسود بن عبد يغوث ، والأسود بن عبد المطلب ، والوليد بن المغيرة ، والماص بن وائل السهمي ، وعدى بن قيس . وقيل : منهم الحارث بن عيطلة ، وفكبة بن عامر النهري ، والحارث بن الطلائقة ، فأخبره الله تعالى بهلاكهم سريعا ، وكفايته أمرهم قبل وقوعه ؛ فكان كما قال .

ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أصحابه بأذن الله كفاه إياهم ؛  
وكان استهزئون نفراً بكه بنفرون الناس عنه ويؤذونه فهملكوا .  
وقوله (۱) : ﴿ وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ؛ فكان كذلك على كثرة من رام  
ضره (۲) ، وقصد قتله ؛ والأخبار بذلك معروفةٌ صحيحة .

## فصل

الوجه الرابع (۳) ما أنبأ به من أخبار القرون (۴) السالفة ، والأمم البائدة (۵) ،  
والشرائع الدائرة (۶) ، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا القذ من أخبار (۷)  
أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك ؛ فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على  
وجهه ، وبأتى به على نصه ؛ فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقته ، وأن مثله (۸)  
لم ينله بتعليم .

وقد علموا أنه صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب ، ولا اشتغل بتدريسه

(۱) سورة المائدة ، آية ۶۷ (۲) رام : قصد ضرره .

(۳) من وجوه إعجاز القرآن .

(۴) القرون : جمع قرن ، وهم أهل كل عصر وزمان ؛ أي أخبار الأمم والملل للتقدمة  
والبلاد البعيدة .

(۵) البائدة : الهالكة ( هامش ب ) .

(۶) الدائرة : الدارسة ، التي لم يبق لها أثر . فالمراد معرفته بالشرائع القديمة التي نسيت  
وانسخت أحكامها .

(۷) القذ : الفرد والشاذ . والأخبار : جمع خبر ، وهو العالم الحافظ الواسع علمه . والعرف  
يخصه بعلماء أهل الكتاب .

(۸) مثله : مثل النبي ، أو مثل هذا الكلام لم يصل إليه النبي صلى الله عليه وسلم بتعليم من  
البشر ، بل بوحي من الله تعالى .

ولا مُثَافَنَةً <sup>(۱)</sup> ، ولم يَغِيبْ عَنْهُمْ ، ولا جَهْلَ حاله أحدٌ مِنْهُمْ .  
 وقد كان أهلُ الكتابِ كثيراً ما يسألونه - صلى الله عليه وسلم - عن هذا ،  
 فيُنزِلُ عليه من القرآنِ ما يَتَلَوُ عَلَيْهِمْ مِنْهُ ذِكْرًا <sup>(۲)</sup> ؛ كَقِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ مع قَوْمِهِمْ ،  
 وخَبْرِ مُوسَى وَالْحَضِرِ ، ويوسفَ وإخوته ، وأصحابِ الكهفِ ، وذِي الْقَرْنَيْنِ ، ولُقْمَانَ  
 وابنه ، وأشباه ذلك من الأنبياءِ [ والقصاص ] <sup>(۳)</sup> ، وبدءِ الخلقِ ، وما في التوراة ،  
 والإنجيلِ ، والزَّبُورِ ، وصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ؛ تَمَّا صَدَّقَهُ فِيهِ الْعُلَمَاءُ بِهَا ، ولم يَقْدِرُوا  
 على تَكْذِيبِ ما ذَكَرَ مِنْهَا ؛ بل أذعنوا لذلك <sup>(۴)</sup> ، فَمِنْ مُوَفِّقِ آمَنَ بِمَا سَبَقَ لَهُ  
 مِنْ خَيْرٍ ، وَمِنْ شَقِيٍّ مُعَانِدٍ حَاسِدٍ ؛ ومع هذا لم يُحْكَمْ عَنْ وَاحِدٍ <sup>(۵)</sup> مِنَ النَّصَارَى  
 وَالْيَهُودِ عَلَى شِدَّةِ عداوتِهِمْ لَهُ ، وَحِرْصِهِمْ عَلَى تَكْذِيبِهِ ، وَطُولِ احتجاجِهِ عَلَيْهِمْ  
 بِمَا فِي كُتُبِهِمْ ، وَتَقْرِيْبِهِمْ <sup>(۶)</sup> بِمَا انطوت عليه مصاحفهم <sup>(۷)</sup> ، وكثرةِ سؤَالِهِمْ لَهُ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَعْنِيَتِهِمْ <sup>(۸)</sup> إِيَّاهُ - عن أخبارِ أنبيائِهِمْ ، وأسرارِ علومِهِمْ ،  
 وَمَسْتَوْدَعَاتِ سِيرِهِمْ <sup>(۹)</sup> ، وإعلامِهِ لَهُمْ بِمَكْتُومِ شَرَائِعِهِمْ وَمَضْمَنَاتِ كُتُبِهِمْ ؛ مِثْلُ

(۱) بِمَدَارَسَةٍ : بِحِفْظِ وَتَلَقُّ مِنَ الْأَفْوَاهِ . مُثَافَنَةٌ : مَدَاوِمَةُ طَلَبٍ ، وَبِجَالَسَةِ تَحْتِكَ فِيهَا  
 الرِّكْبَ بِالرِّكْبِ حَتَّى يُوَثِّرَ فِيهَا الْاِحْتِسَاكَ ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ كَثْرَةِ الْجُلُوسِ مَعَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْأَخْبَارِ  
 وَالشَّرَائِعِ لِلتَّعَلُّمِ عَنْهُمْ . وَفِي ب : مُثَافَنَةٌ ؛ قَالَ الْقَارِي ( ۱ - ۵۶۷ ) : وَلَعَلَّهَا مَصْحَفَةٌ ، أَوْ بَرَادٌ  
 بِهَا الْمَزَاحِمَةُ فِي الْمَعْرِفَةِ ، مِنْ ثِقَابِ الذَّهْنِ ، وَهُوَ وَصُولُهُ إِلَى الصَّوَابِ .

(۳) مِنْ ب .

(۲) الْمُرَادُ بِالذِّكْرِ الْقُرْآنَ الْمَذْكُورَ لَهُمْ .

(۴) بَلْ أذعنوا لذلك : أَقْرَأُوا وَاعْتَرَفُوا مُنْقَادِينَ لَهُ .

(۵) فِي أ : عَنْ أَحَدٍ .

(۶) وَتَقْرِيْبِهِمْ : تَوْبِيْخِهِمْ وَتَفْضِيْحِهِمْ .

(۷) مَصَاحِفِهِمْ : يَرِيدُ كُتُبَهُمْ ، وَصُحُفِهِمْ .

(۸) تَعْنِيَتِهِمْ إِيَّاهُ : أَي تَكْلِيْفِهِمْ بِمَا هُوَ شَاقٌّ .

(۹) مَسْتَوْدَعَاتِ سِيرِهِمْ : أَي سؤَالِهِمْ عَمَّا أودع في مصاحفهم من سير أنبيائهم .

سؤالهم عن الروح ، وذی القرنین ، وأصحاب الكهف ، وعيسى ، وحكم الرجم ،  
وما حرّم إسرائيل على نفسه ؛ وما حرّم عليهم من الأنعام ، ومن طيبات أحلت لهم  
فحرّمت عليهم بيغيبهم (۱) .

وقوله (۲) : ﴿ ذلك مثأهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه ،  
فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه . عجيب الزرع ليغيط بهم الكفار ﴾ .

وغير ذلك من أمورهم التي نزل فيها القرآن ؛ فأجابهم وعرفهم بما أوحى إليه  
من ذلك (۳) أنه أنكر ذلك أو كذبه ؛ بل أكثرهم صرح بصحة نبوته ، وصدق  
مقالته ، واعترف بمنأده وحسد إياه ؛ كأهل بجران ، وابن صوريا ،  
وابن أخطب وغيرهم (۴) .

ومن باهت في ذلك بعض المباهة (۵) ، وادعى أن فيما عندهم من ذلك لما حكاه  
مخالفة - دعى إلى إقامة حجته ، وكشف دعوته (۶) ؛ ف قيل له (۷) : ﴿ قل فأتوا  
بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين . فمن افتري على الله الكذب من بعد ذلك  
فأولئك هم الظالمون ﴾ .

(۱) حرمت عليهم بيغيبهم : أي حرمت عليهم عقوبة لهم بسبب ظلمهم .

(۲) سورة الفتح ، آية ۲۹ ، والإشارة إلى قوله في الآية نفسها : سيأثم في وجوههم من  
أثر السجود .

(۳) من ذلك : من السابق ذكره . وفي ب : فما سمع عن أحد منهم أنه أنكر . . .

(۴) هو عبد الله بن صوريا : حبر من أحبار اليهود الذين كانوا بالمدينة . وابنا أخطب :  
هما حي ، وأبو ياسر ؛ وهما يهوديان من يهود المدينة .

(۵) بهته وباهته : إذا كذبه ونسبه للبهتان ، أي من لم يقر بأن ما جاء به محمد صدق ،  
وادعى أنه كذب ؛ مكابرة منه .

(۶) في ب : وكشف عورته . (۷) سورة آل عمران ، آية ۹۳ ، ۹۴

فَقَرَّعَ وَوَبَّخَ ، وَدَعَا إِلَى إِحْضَارِ مَنْ مُمْكِنٍ غَيْرِ مُتَمَنِّعٍ <sup>(۱)</sup> ؛ فَمِنْ مُعْتَرِفٍ  
بِمَا جَعَدَهُ ، وَمُتَوَاقِعٍ <sup>(۲)</sup> يُبَلِّغِي عَلَى فَضِيحَتِهِ مِنْ كِتَابِهِ يَدَهُ .  
وَلَمْ يُؤَثِّرْ <sup>(۳)</sup> أَنْ وَاحِدًا مِنْهُمْ أَظْهَرَ خِلَافَ قَوْلِهِ مِنْ كُتُبِهِ <sup>(۴)</sup> ، وَلَا أَبْدَى  
صَحِيحًا وَلَا سَقِيمًا <sup>(۵)</sup> مِنْ صُحُفِهِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى <sup>(۶)</sup> : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ  
رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ، قَدْ جَاءَكُمْ  
مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم  
مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

### فصل

هذه الوجوه الأربعة من إعجازه بَيِّنَةٌ لَا نِزَاعَ فِيهَا وَلَا مِرْيَةَ <sup>(۷)</sup> .  
وَمِنَ الْوُجُوهِ الْبَيِّنَةِ فِي إِعْجَازِهِ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْوُجُوهِ : آيٌ وَرَدَتْ بِتَعْجِيزِ قَوْمٍ  
فِي قَضَايَا <sup>(۸)</sup> ، وَإِعْلَامِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يَفْعَلُونَهَا فَمَا فَعَلُوا وَلَا قَدَرُوا عَلَى ذَلِكَ ؛ كَقَوْلِهِ  
لِلْيَهُودِ <sup>(۹)</sup> : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً <sup>(۱۰)</sup> مِنْ دُونِ النَّاسِ

(۱) إحضار ممكن غير ممنوع : وهو أمرهم بالإتيان بالتوراة ، وهي حاضرة بين أيديهم .  
(۲) جعده : أنكره . ومتوابع : متكلف للوقاحة ؛ وهي قلة الحياء ، وصلابة الوجه ،  
حتى لا يبالي بافتضاحه . والمراد به ابن صوريا الذي وضع يده على آية الرجم فقال له ابن سلام :  
ارفع يدك يا أعور . . . وذلك يفسر ما يأتي بعد في العبارة .

(۳) ولم يؤثر : لم ينقل . (۴) في ۱ : من كتابه .

(۵) ولا سقيما : محر فالفظه أو مؤولا معناه .

(۶) سورة المائدة ، آية ۱۵ ، ۱۶ . ويعفو عن كثير : لحمله وستره عليهم ، رجاء

هدايتهم بتوفيق الله . (۷) مريية : شبهة وشك .

(۸) قضايا : جمع قضية ، وهي الحادثة الواقعة في حكم قضاء الله تعالى وقدره .

(۹) سورة البقرة ، آية ۹۴ ، قال لهم ذلك لما ادعوا دعاوى باطلة ؛ كقولهم : لن يدخل

الجنة إلا من كان هودا أو نصارى . . . (۱۰) خالصة : خاصة بكم .



فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ<sup>(۱)</sup> . وَأَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبْدًا بِمَا قَدَمَتْ أَيْدِيهِمْ . . . ﴿ . . . ﴾ .  
 قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ : فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَعْظَمُ حُجَّةٍ وَأَظْهَرُ دَلَالَةٍ عَلَى صِحَّةِ  
 الرِّسَالَةِ ؛ لِأَنَّهُ قَالَ : ﴿ فَرَفَعْتُمْوَالْمَوْتَ ﴾ ؛ وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُمْ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبْدًا ، فَلَمْ يَتَمَنَّه  
 وَاحِدٌ مِنْهُمْ .

وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَقُولُهَا رَجُلٌ مِنْهُمْ  
 إِلَّا غَضَّ بَرِيْقَهُ<sup>(۲)</sup> . - يَعْنِي يَمُوتُ مَكَانَهُ .  
 فَصَرَفَهُمُ اللَّهُ عَنْ تَمَنِّيهِ وَجَزَعَهُمْ ؛ لِيُظْهِرَ صِدْقَ رَسُولِهِ ، وَصِحَّةَ مَا أُوحِيَ  
 إِلَيْهِ ، إِذْ لَمْ يَتَمَنَّه أَحَدٌ مِنْهُمْ ؛ وَكَانُوا عَلَى تَكْذِيبِهِ أَحْرَصَ لَوْ قَدَّرُوا ؛ وَلَكِنَّ اللَّهَ  
 يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ ؛ فَظَهَرَتْ بِذَلِكَ مَعْجَزَتُهُ ، وَبَانَ حُجَّتُهُ .

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَصْبَلِيُّ : مِنْ أَعْجَبِ أَمْرِهِمْ أَنَّهُ لَا يَوْجَدُ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ ، وَلَا وَاحِدٌ ،  
 مِنْ يَوْمِ أَمَرَ اللَّهُ بِذَلِكَ نَبِيَّهُ - يُقَدِّمُ عَلَيْهِ<sup>(۳)</sup> ، وَلَا يُجِيبُ إِلَيْهِ .  
 وَهَذَا مَوْجُودٌ مُشَاهِدٌ لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَمَنَّه مِنْهُمْ .

وَكَذَلِكَ آيَةُ الْمُبَاهَلَةِ<sup>(۴)</sup> مِنْ هَذَا الْمَعْنَى ، حَيْثُ وَقَدَّ عَلَيْهِ أَسَاقِفَةُ بَجْرَانَ وَأَبَوَا  
 الْإِسْلَامِ ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ آيَةَ الْمُبَاهَلَةِ بِقَوْلِهِ<sup>(۵)</sup> : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ  
 مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ؛  
 ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾<sup>(۶)</sup> .

(۱) إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي قَوْلِكُمْ : إِنْ كُنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّمَا مَخْصُوصَةٌ بِكُمْ ؛ لِأَنَّ مَنْ تَبَيَّنَ  
 دَخُولَ الْجَنَّةِ اشْتَقَ لَهَا ، وَأَحَبَّ التَّخْلُصَ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ الدُّنْيَا وَأَكْدَارَهَا .

(۲) تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ : ۱ - ۱۸۲ ، الْفِصَّةُ : مَا تَقَفَ فِي الْخَلْقِ ، فَتَمَنَّعَ النَّفْسَ حَتَّى تَهْلِكَ .  
 وَغَضَّ بَرِيْقَهُ : وَقَعَ الْمَوْتُ بِهِ سَرِيعًا .

(۳) يَقْدَمُ عَلَيْهِ : عَلَى تَمَنِّي الْمَوْتِ . وَلَا يُجِيبُ إِلَيْهِ : أَيُّ إِلَى تَمَنِّيهِ ، إِذَا قِيلَ لَهُ : تَمَنَّه .

(۴) الْمُبَاهَلَةُ : الْمَلَاعَنَةُ ، أَيُّ الدَّعَاءُ بِاللَعْنَةِ عَلَى الظَّالِمِ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ .

(۵) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ، آيَةُ ۶۱ .

(۶) وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ : لِيَدْعَ بَعْضُنَا بَعْضًا ، فَالْإِنْسَانُ لَا يَدْعُو نَفْسَهُ .

فامتنعوا منها<sup>(۱)</sup> ، ورضوا بأداء الجزية ؛ وذلك أن « العاقب » عظيمهم قال لهم : قد علمتم أنه نبي<sup>(۲)</sup> ، وأنه ما لآعن قوماً نبي<sup>(۳)</sup> قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم . ومثله قوله<sup>(۴)</sup> : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ، وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَانْتَفَعَلُوا... ﴾ .

فأخبرهم أنهم لا يفعلون ؛ كما كان .

وهذه الآية أدخل في باب الإخبار عن الغيب ، وإلكن فيها من التعجيز

ما في التي قبلها .

## فصل

ومنها الروعة<sup>(۳)</sup> التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه ، والهيبة التي تعتر بهم<sup>(۴)</sup> عند تلاوته لقوة<sup>(۵)</sup> حاله ، وإنافة خطره<sup>(۶)</sup> ؛ وهي<sup>(۷)</sup> على المكذبين به أعظم ، حتى كانوا يستثقبون سماعه ، ويزيدهم نفوراً ؛ كما قال تعالى<sup>(۸)</sup> ؛ وَبَوِّدُونَ انْقِطَاعَهُ لِكِرَاهَتِهِمْ لَهُ .

(۱) منها : من الباهلة .

(۲) سورة البقرة ، آية ۲۳ ، ۲۴ .

(۳) الروعة : المرة من الروع ، وهو الفزع والخوف الذي يطرأ عند سماعه لجلالته وهيئته .

(۴) الهيبة : الخوف . أو الإجلال . تعتر بهم : تطرأ عليهم وتفشاهم .

(۵) لقوة حاله : لما فيه من الحالة القوية باعتبار ما فيه من الواعظ والإنذار .

(۶) وإنافة خطره : علو مرتبته على غيره من الكلام .

(۷) وهي : أي الروعة والهيبة .

(۸) قال تعالى : « وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا » ؛ أي

ولوا معرضين عنه لعدم ذكر آلهتهم فيه .

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: إنَّ القرآنُ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ <sup>(١)</sup> على مَنْ كَرِهَهُ؛ وهو الحَكْمُ <sup>(٢)</sup>، وأما المؤمنُ فلا تزالُ رَوْعَتُهُ بِهِ، وهيبَتُهُ إِيَّاهُ، مع تِلاوَتِهِ - تَوَلِيهِ - انْجِذَا بَاباً <sup>(٣)</sup>، وَتَكْسِبُهُ هَشَاشَةٌ <sup>(٤)</sup>، لَمَيْلِ قَلْبِهِ إِلَيْهِ، وَتَصَدِيقِهِ بِهِ؛ قال تعالى <sup>(٥)</sup>: ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ <sup>(٦)</sup> ﴾.

وقال <sup>(٧)</sup>: ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .  
ويدلُّ على أن هذا <sup>(٨)</sup> شَيْءٌ خُصَّ <sup>(٩)</sup> بِهِ - أَنَّهُ يَعْتَرِي <sup>(١٠)</sup> مَنْ لَا يَفْهَمُ مَعَانِيَهُ، وَلَا يَعْلَمُ [ ٩٦ ] تَفَاسِيرَهُ، كَمَا رُوِيَ عَنِ نَضْرَانِي - أَنَّهُ مَرَّ بِقَارِيٍّ - فَوَقَفَ بِيكِيٍّ؛ فَقِيلَ لَهُ: مِمَّ بَكَيْتَ؟ قَالَ: لِلشَّجَا وَالنَّظْمِ <sup>(١١)</sup>.

(١) صعب: أى لا يقدر أحد على محاكاته، أو شديد. مستصعب: يصرف فهمه وتفسيره بالرأى، ولا يمكن تغييره وتحريفه، لأنه لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولأنه ليس من جنس كلام البشر.

(٢) وهو الحكم: أى الحاكم الفاصل بين الحق والباطل، بما تضمنه من الأحكام.

(٣) فى هامش: نخ: انجباذا.

(٤) هشاشة: مسرة وخفة ولينا لما فيه من البشارة السارة والمعاني التي تجعل المؤمن فى نشاط.

(٥) سورة الزمر، آية ٢٣.

(٦) أى يعرض لجلود أبدانهم قشيرية، أى قيام، من الخوف من هيبته؛ فإذا تأملوه

وتدبروه لانت قلوبهم وجلودهم لأنسهم وسرورهم به. (٧) سورة الحشر، آية ٢١

(٨) هذا: أى ما يحدث فى القلوب والأسماع من الروعة والمهابة.

(٩) به: أى القرآن دون غيره من الكلام.

(١٠) يعتري: يطراً ويصيب.

(١١) الشجا: الطرب، أو الحزن. والتنظم: المراد بالنظم رونق انتظامه وحسن انسجامه.

فأثر ذلك فى نفسه، وهو لا يفهمه حتى أبكاه.

وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الإسلام وبعده ؛ فمنهم من أسلم لها لأول وهلة وآمن به ، ومنهم من كفر <sup>(۱)</sup> .

فحكى في الصحيح <sup>(۲)</sup> ، عن جبير بن مطعم ، قال : سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور ، فلما بلغ هذه الآية <sup>(۳)</sup> : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ . أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ . أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمَصْيطِرُونَ ﴾ - كاد قلبي أن يطير للإسلام .

وفي رواية : وذلك أول ما وقر <sup>(۴)</sup> الإيمان في قلبي .

وعن عتبة بن ربيعة <sup>(۵)</sup> أنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومهم ، فتلا عليهم <sup>(۶)</sup> : ﴿ حَمِّمْ . تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ . وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمَلْ إِنَّا نَحْنُ غَامِلُونَ . قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا لَهُ . وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ . الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ . قُلْ أَنتُمْ كُفْرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيًا

(۱) ومنهم من كفر : أي ومنهم من دام واستمر على كفره ، لإصراره على عناده .

(۲) رواه الشيخان مسندا .

(۳) سورة الطور ، آية ۳۵ - ۳۷ . من غير شيء : من غير خالق لهم ، أم هم الخالقون

لأنفسهم . والمصيطرون : المدبرون للأشياء كما يريدون . والحديث في صحيح مسلم : ۶ - ۱۷۵ ،

وصحيح البخاري : ۶ - ۱۷۵ ، ودلائل النبوة لأبي نعيم : ۱ - ۳۰۸

(۴) وقر : ثبت .

(۵) هذا الحديث رواه ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ۱ - ۳۱۴

(۶) سورة فصلت ، من آية ۱ إلى ۱۳

من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيامٍ سواءٍ للساكنين . ثم استوى إلى السماء وهي دخانٌ فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا : أتينا طائعين . فقضاهنّ سبع سمواتٍ في يومين ، وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقديرُ العزيز العليم . فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقةً مثل صاعقة عادٍ وثمودٍ .

فأمسك عتبةُ بيده علي في النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وناشدةُ الرّحم أن يكف<sup>(١)</sup> .

وفي رواية<sup>(٢)</sup> : فجعل النبيّ صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبةُ مُصغٍ مُلقٍ بيده خلف ظهره ، مُعتمِدٌ عليهما ، حتى انتهى إلى السجدة<sup>(٣)</sup> ؛ فسجد النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وقام عتبةُ لا يدري بما يُراجمه<sup>(٤)</sup> ، ورجع إلى أهله ، ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه ؛ فاعتذّر لهم ، وقال : والله لقد كُلمني بكلامٍ والله ما سمعتُ أذنأى بمثله قطُّ ؛ فما دريتُ ما أقولُ له .

وقد حُكي عن غير واحدٍ ممّن رامَ مُعارضته<sup>(٥)</sup> أنه اعترته روعةٌ وهيبةٌ كَفَّ بها عن ذلك .

فحُكي أن ابنَ المُقفع طلبَ ذلك ورأاه ، وشرع فيه ؛ فمرَّ بصبيّ يقرأ<sup>(٦)</sup> :

(١) أن يكف : أي سأله مقبلاً عليه بالقرابة القريبة المقتضية للرحمة والتمطف عليهم أن يكف عن القراءة ويمتنع عنها .

(٢) وهي لابن إسحاق أيضاً في سيرته عن كعب القرظي .

(٣) السجدة في الآية رقم ٣٧ من سورة فصلت : « لا تسجدوا للشمس وللأقمر واسجدوا

للّٰه الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون » .

(٤) بما يراجمه : بأي شيء يكلمه بعد تلاوته ؛ لروعته التي أدهشته بما سمع منه .

(٥) رام : طلب وقصد . معارضته : أن يأتي بكلام يماثله في البلاغة .

(٦) سورة هود ، آية ٤٤

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ - فرجع فمعا ما عمل؛ وقال: أشهد أن هذا لا يعارض، وما هو من كلام البشر؛ وكان من أفسح أهل وقته .  
 وكان يحيى بن حكيم<sup>(۱)</sup> الغزال بليغ الأندلس في زمنه؛ فحكى أنه رام شيئا من هذا، فنظر في سورة الإخلاص ليحذو على مثالها<sup>(۲)</sup>، وينسخ - بزعمه - على منوالها - قال: فاعتزنتني خشية ورقة حملتني على التوبة والإجابة<sup>(۳)</sup>.

### فصل

ومن وجوه إعجازه المدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه؛ فقال<sup>(۴)</sup>: «إنا نحن نزلنا الذكرو إنا له لحافظون» .  
 وقال<sup>(۵)</sup>: «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه<sup>(۶)</sup>»، تنزيل من حكيم حميد» .

وسائر معجزات الأنبياء انقضت بانقضاء أوقاتها، فلم يبق إلا خبرها؛ والقرآن العزيز، الباهرة آياته، الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم<sup>(۷)</sup> - مدة خمسمائة عام وخمس<sup>(۸)</sup> وثلاثين سنة لأول<sup>(۹)</sup> نزوله إلى وقتنا هذا - حجته

(۱) في المشبه: ابن حكيم . (۲) ليحذو على مثالها: ليقول مثلها .

(۳) الإجابة: الرجوع عن ذلك . وفي ب: والآوبة .

(۴) سورة الحجر، آية ۹ (۵) سورة فصلت، آية ۴۲

(۶) من بين يديه ولا من خلفه: لا يجد إليه سبيلا من جهة من الجهات يطله، ولا يكون قبله ولا بعده ما يكذبه أو ينسخه .

(۷) على ما كان عليه اليوم: أي إلى يومنا هذا، والمراد باليوم عصر المؤلف .

(۸) في ب: وسبع . وفي هامشه: والظاهر: وخمس .

(۹) لأول نزوله: أي من ابتداء الوحي ونزول القرآن إلى وقت تأليف المصنف لهذا

قاهرة<sup>(١)</sup>، ومعارضته مُمتنعة، والأعصارُ كلُّها طافحة<sup>(٢)</sup> بأهلِ البيانِ، وحَمَلَةٌ عِلْمِ  
اللسانِ، وأئمةِ البلاغةِ، وفُرسانِ الكلامِ، وجهابذة<sup>(٣)</sup> البراعةِ؛ والمُلحدُ<sup>(٤)</sup>  
فيهم كثيرٌ، والمُعادي للشرعِ عتيد<sup>(٥)</sup>؛ فما منهم من أتى بشيءٍ يُؤثر<sup>(٦)</sup> في مُعارضتهِ،  
ولا ألفَ كلمتين في مناقضتهِ، ولا قدرَ فيه على مَطْعِنٍ صَحِيحٍ، ولا قدَحَ المتكافئِ  
من ذِهنه في ذلك إلا بزندِ شَحِيحٍ<sup>(٧)</sup>؛ بل الماثورُ عن كلِّ من رامَ ذلك إنقاؤه  
في العجزِ بيديه، والنكوصِ<sup>(٨)</sup> على عَقَبِيهِ.

## فصل

وقد عدَّ جماعةٌ من الأئمةِ ومُقلِّدي الأئمةِ في إعجازِهِ وجوهاً كثيرةً؛ منها أن قارئَهُ لا يعلِّه،  
وسامِعَهُ لا يمجِّه<sup>(٩)</sup>؛ بل الإِكبابُ على [٩٧] تلاوتهِ<sup>(١٠)</sup> يزيدُهُ حلاوةً، وتردُّ يدهُ بوجبه  
حبةً؛ لا يزالُ غضاً طرياً<sup>(١١)</sup>، وغيرُهُ من الكلامِ - ولو بلغ<sup>(١٢)</sup> في الحسنِ والبلاغةِ مبلغه -

- (١) قاهرة : غالبة . وفي ب : ظاهرة .
- (٢) والأعصار : جمع عصر . طافحة : تفيض وتتدفق .
- (٣) جهابذة : جمع جهيد ، والجهيد : للعالم النحرير ، والنقاد البصير ، والصانع الماهر الخبير .
- (٤) الملحد : المائل عن الحق .
- (٥) عتيد : مهياً حاضر باذل جهده في عداوته .
- (٦) يؤثر : يحفظ وينقل .
- (٧) الشحيع : البخيل ؛ أي لم يدهه قدحه شيئاً غير الخيبة .
- (٨) النكوص : الرجوع عما قاله بالاعتراف بمجزه .
- (٩) لا يعلِّه : لا يسأم من كثرة قراءته ، ولو أعاده مرارا . لا يمجِّه : لا يكره تكراره على مسامعه .
- (١٠) الإِكباب على تلاوته : ملازمة قراءته وتكراره .
- (١١) لا يزال : كلما كرر . غضاً : جديداً . طرياً : رطباً ناعماً ، فلا تتغير بهجته ونضارته .
- (١٢) أي لو فرض ذلك .

يَمَلُّ مع التردد، وبعَادَى إذا أُعِيدَ؛ وكتابُنَا<sup>(١)</sup> يُسْتَلَدُّ به في الخلواتِ، وِبُونَسٍ بتلاوته  
في الأزمات<sup>(٢)</sup>؛ وَسِوَاهِ مِنَ السُّكُتِ لَا يُوجَدُ فِيهَا ذَلِكَ؛ حَتَّى أَحَدَثَ أَصْحَابُهَا  
لِحُونًا وَطُرُقًا يَسْتَجِدُّونَ<sup>(٣)</sup> بِتِلْكَ اللَّحُونِ تَنْشِيطَهُمْ عَلَى قِرَائَتِهَا .  
ولهذا وَصَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ بِأَنَّهُ لَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ  
الرَّدِّ<sup>(٤)</sup>، وَلَا تَنْقِضِي عِبْرَهُ<sup>(٥)</sup>، وَلَا تَفْنِي عَجَائِبَهُ؛ هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ<sup>(٦)</sup>،  
لَا يَشْبَعُ<sup>(٧)</sup> مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا تَزْبِغُ<sup>(٨)</sup> بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ<sup>(٩)</sup>؛ هُوَ  
الَّذِي لَمْ تَنْتَهَ الْجِنُّ حِينَ سَمِعْتَهُ أَنْ قَالُوا<sup>(١٠)</sup> : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِي  
إِلَى الرُّشْدِ ﴾ .

ومنها جَمْعُهُ لعلومٍ ومعارِفٍ لم تعهد<sup>(١١)</sup> العربُ عامَّةً ولا محمدٌ صلى الله عليه  
وسلم قَبْلَ نُبُوَّتِهِ خَاصَّةً، بِمَعْرِفَتِهَا، وَلَا الْقِيَامَ بِهَا؛ وَلَا يُحِيطُ بِهَا أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ  
الْأُمَّمِ، وَلَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهَا كِتَابٌ مِنْ كِتَابِهِمْ؛ فَجُمِعَ فِيهِ مِنْ بَيَانِ عِلْمِ الشَّرَائِعِ،

(١) أي القرآن .

(٢) الأزمات : جمع أزمة ؛ وهي الشدة .

(٣) يستجلبون : يطلبون وجودها ، أو يجلبونها لهم ولمن يسمعونهم .

(٤) لا يخلق : لا يبلى ولا يتغير حاله بمرور الزمان . والرد : التردد والتكرار .

(٥) عبره : المراد بها عجائبه ، أو مواعظه التي بها يعتبر .

(٦) هو الفصل : الحد الفاصل بين الحق والباطل . ليس بالهزل : أمره جد كله .

(٧) في ب : ولا يشبع .

(٨) لا تزيغ : لا تميل وتمدل عن منهجه .

(٩) ولا تلتبس به الألسنة : المعنى أنه لا يشبه غيره من الكلام ، فلا يمكن اختلاطه به  
وإدخاله فيه ؛ لأن أسلوبه ونظمه لا يشبه غيره ؛ فالمراد أنه لا يمكن أن يدس فيه دسيسة .

(١٠) سورة الجن ، آية ١ ، ٢ . يهدي إلى الرشد : يدل على الصواب ، من الإيمان  
والتوحيد . والحديث في صحيح الترمذي ، من طريق علي بن أبي طالب : ٥ - ١٧٢ . وفي

هامش ب : وقد خرج هذا الحديث الترمذي من طريق علي بن أبي طالب ، وفي سنده الحارث  
الأعور . هذا من غير النسخة المنقول عنها . وهي نسخة معتقدة .

(١١) لم تعهد العرب : أي لم تعرفه في زمانها وعهداها .



والتنبیه علی طرق الحجج العقلیات<sup>(١)</sup> ، والرّد علی فرّق الأمم ؛ ببراہین قویّة ، وأدلة بینة سهلة الألفاظ ، موجزة المقاصد ، رام المتحدّثون بعدد — أن ينصبوا<sup>(٢)</sup> أدلة مثلها فلم يقدرُوا عليها ؛ كقوله تعالى<sup>(٣)</sup> : ﴿أولئس الذي خلق السموات والأرض بقادرٍ على أن يخلق مثلهم﴾ .

و<sup>(٤)</sup> : ﴿قل يُحييها الذي أنشأها أول مرة﴾ .

و<sup>(٥)</sup> : ﴿لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدنا﴾ .

إلى ما حواه من علوم السّير ، وأنباء الأمم ، والمواعظ ، والحكم ، وأخبار الدار الآخرة ، ومحاسن الآداب والشيم<sup>(٦)</sup> .

قال الله — جلّ اسمه<sup>(٧)</sup> : ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ .

و<sup>(٨)</sup> : ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء﴾ .

و<sup>(٩)</sup> : ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كلِّ مثل﴾ .

(١) والتنبیه علی طرق الحجج العقلیات : أي تنبيه الناس وإرشادهم إلى نصب الأدلة العقلية وكيفية إلزام الخصم بها . وفي هامش ا : خ : العقلية .  
(٢) المتحدّثون : هم أهل الحدق الباحثون عن الأمور ( هامش ب ) . وقال الشهاب : المتحدّثون : الذين يدعون الحدق ، وهو سرعة الفهم ؛ أي قصد الدين يدعون الذكاء في العلم وإقامة البراهين أن ينصبوا أدلة ؛ أن يقيموا أدلة .

(٣) سورة يس ، آية ٨١ (٤) سورة يس ، آية ٧٩

(٥) سورة الانبياء ، آية ٢٢

(٦) الشيم : جمع شيمة ، وهي الطبيعة ، والخلق .

(٧) سورة الأنعام ، آية ٣٨ ، أي لم ترك شيئا يحتاج إليه إلا بيناه في القرآن ، على أن

المراد بالكتاب القرآن لا اللوح المحفوظ .

(٨) سورة النحل ، آية ٨٩ ، تبيان لكل شيء : مبينا لكل شيء يحتاج إليه .

(٩) سورة الروم ، آية ٥٨ ، من كل مثل : أي أتينا لكل أمر مهم بمثال يوضحه .

وقال - صلى الله عليه وسلم (١) : إن الله أنزل هذا القرآن أمراً وزاجراً (٢) ،  
 وسنة خالية (٣) ، ومثلاً مضرّوباً ، فيه نبؤكم (٤) ، وخبر ما كان قبلكم ، ونبأ  
 ما بعدكم ، وحكم ما بينكم (٥) ، لا يُخلقه طول الردّ ، ولا تنقضي عجائبه ؛ هو  
 الحق ليس بالهزل ؛ من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن خصم به فليج (٦) ،  
 ومن قسم به أقسط (٧) ، ومن عمل به أجر (٨) ، ومن تمسك به هدى إلى صراط  
 مستقيم ؛ ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ؛ ومن حكم بغيره قصمه (٩) الله ؛  
 هو الذّكر الحكيم ، والنور المبين ، والصراط المستقيم ، وحبل الله المتين (١٠) ،  
 والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، وتباجة لمن اتبعه ، لا يعوج فيقوم (١١) ،  
 ولا يزيع فيستعتب (١٢) ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الردّ .

- (١) في حديث رواه الترمذى : ٥ - ١٧٢ ، قال أبو عيسى : هذا حديث لانعرفه إلا من  
 هذا الوجه ، وإسناده مجهول ، وفي الحارث مقال . (٢) وزاجراً : مانعاً وناهيماً .  
 (٣) وسنة خالية : طريقة متبعة مستقيمة لمن كان قبلكم من الأمم . (٤) النبأ : الخبر .  
 (٥) وحكم ما بينكم : أى بيان للأحكام فيما يقع ويحدث بينكم معاشر هذه الأمة المحمدية .  
 (٦) من خصم به : من خصم بحجة وأدلة مأخوذة منه . فليج : غلب ، وفاز بالنصر .  
 وفي هامش ب : فليج : انتصر .  
 (٧) أقسط : عدل . أى من تولى قسمة فقسّمها بما فى كتاب الله كقسمة الموارث والغنائم  
 وغيرها عدل . (٨) أجر : نال الأجر والثواب الجزيل .  
 (٩) قصمه الله : قتله وأهلكه هلاكاً شديداً .  
 (١٠) حبل الله المتين : عهده وأمانه الذى يؤمن به العذاب ، وكل ما يكره ويشق على النفس ،  
 ويتوصل به إلى ما ينجى ويوصل إلى المطالب . والمتين : القوى المحكم .  
 (١١) لا يعوج : ليس فيه خلل لفظاً ولا معنى . فيقوم : فيحتاج إلى تقويم يزيل عوجه ؛  
 فليس كغيره من الكلام المحتاج للإصلاح .  
 (١٢) لا يزيع : لا يميل عن الحق والصواب . فيستعتب : لا يستحق الثواب واللوم لعدم خروجه  
 عن الاستقامة .

ونحوه عن ابن مسعود (۱) وقال فيه : ولا يَخْتَلِفُ ، ولا يُتَشَانَا (۲) ،  
فيه نبأ الأولين والآخرين .

وفي الحديث (۳) : قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم : إني منزلٌ عليك  
توراة (۴) حديثه ، تفتحُ بها أعينا عمياً ، وآذانا صمًا ، وقلوباً غلغاً (۵) ، فيها ينابيعُ  
العلم (۶) ، وفهمُ الحكمة ، وربيعُ القلوب (۷) .

وعن كعب : عليكم بالقرآن ، فإنه فهمُ العقول (۸) ، ونورُ الحكمة .  
وقال الله تعالى (۹) : ﴿ إن هذا القرآن يقصُّ على بني إسرائيلَ أكثرَ الذي هم  
فيه يَخْتَلِفُونَ ﴾ .

وقال (۱۰) : ﴿ هذا بيانٌ للناسِ وهدىٌ وموعظةٌ للمتقين ﴾ .

(۱) قال السيوطي : رواه الحاكم من ابن مسعود .

(۲) لا يَخْتَلِفُ : لا يقع فيه ما يخالف بعضه بعضاً مع طوله . وفي ۱ : لا يَخْتَلِقُ - بالقاف .  
يَتَشَانَا : المراد خلوه من تنافر الكلمات وعدم تناسبها ؛ فهو لا يكره ولا يمل . وفي هامش ۱ :  
حوابه : ولا يتشان - بالتشديد ؛ أي لا يخلق على الرد ، مأخوذ من الشن ، وهو الجلد اليابس  
البالي ؛ أي لا تذهب طلاوته ، ولا تبلى طراوته حين تسكّر تلاوته ، لما أودع فيه من بدائع  
الكمال ، وروائع الجمال .

(۳) قال الشهاب : رواه ابن الضريس في فضائل القرآن عن كعب الأحمار . وهو حديث  
قدسي . (۴) توراة حديثه : أي كتاباً سماوياً شبيهاً بالتوراة .  
(۵) غلغاً : لا يصل إليها ما يهديها إلى السعادة ، كأنها في غلاف وغشاء مانع عن وصول  
الحق إليها .

(۶) فيها ينابيع العلم : فيها : في التوراة الحديثه - يعني القرآن . ينابيع . جمع ينبوع ،  
وهو العين التي ينبع منها الماء الجاري ؛ فشبّه العلم بالماء الذي يحيي به النفوس .

(۷) ربيع القلوب : الربيع يكون بمعنى الحصب والطر ؛ أي فيها ما يحيي به القلوب ، وتنمو  
وتخصب ، وتمرح وتسرح ، وتفرح . (۸) فهم العقول : أي مفهم للعقول ما ينفخ عليها .

(۹) سورة النمل ، آية ۷۶ (۱۰) سورة آل عمران آية ۱۳۸

فَجُمِعَ [۹۸] فِيهِ مَعَ وَجَازَةِ الْفَاطِظِ، وَجَوَامِعَ كَلِمِهِ <sup>(۱)</sup> أَضْعَافُ مَا فِي الْكُتُبِ قَبْلَهُ  
الَّتِي الْفَاطِظُ عَلَى الضَّعْفِ مِنْهُ مَرَاتٍ .

وَمِنْهَا <sup>(۲)</sup> بَجْمَعِهِ فِيهِ بَيْنَ الدَّلِيلِ وَمَدْلُوكِهِ <sup>(۳)</sup> ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ احْتَجَّ بِنَظْمِ الْقُرْآنِ ،  
وَحُسْنِ رِصْفِهِ <sup>(۴)</sup> وَإِيجَازِهِ وَبِلَاغَتِهِ ؛ وَأَثْنَاءَ هَذِهِ <sup>(۵)</sup> الْبَلَاغَةِ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ ، وَوَعْدُهُ  
وَوَعِيدُهُ ؛ فَالْتَّالِي <sup>(۶)</sup> لَهُ يَفْهَمُ مَوْضِعَ الْحِجَّةِ وَالتَّكْلِيفِ مَعًا مِنْ كَلَامٍ وَاحِدٍ ،  
وَسُورَةٍ مُنْفَرَدَةٍ .

وَمِنْهَا <sup>(۷)</sup> أَنْ جَعَلَهُ فِي حَيْزِ الْمَنْظُومِ الَّذِي لَمْ يُعْهَدَ <sup>(۸)</sup> ، وَلَمْ يَكُنْ فِي حَيْزِ الْمَنْشُورِ ؛  
لَأَنَّ الْمَنْظُومَ أَسْهَلُ عَلَى النُّفُوسِ ، وَأَوْعَى لِلْقُلُوبِ ، وَأَسْمَحُ <sup>(۹)</sup> فِي الْآذَانِ ، وَأَحْلَى عَلَى  
الْأَفْهَامِ ، فَالنَّاسُ إِلَيْهِ أَمِيلٌ ، وَالْأَهْوَاءُ إِلَيْهِ أَسْرَعُ .  
وَمِنْهَا تَيْسِيرُهُ تَعَالَى حِفْظَهُ لِمُتَعَلِّمِيهِ ، وَتَقْرِيْبُهُ عَلَى مِتَحَفِّظِيهِ <sup>(۱۰)</sup> ؛ قَالَ اللَّهُ  
تَعَالَى <sup>(۱۱)</sup> : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ .

- 
- (۱) جُمِعَ فِيهِ : فِي الْقُرْآنِ . مَعَ وَجَازَةِ لَفْظِهِ : اخْتِصَارُهَا وَقِلَّتُهَا مَعَ كَثْرَةِ مَعَانِيهِ . وَجَوَامِعَ  
كَلِمِهِ : الْجَمَاعَ لِلْمَعَانِي الْجَمَّةِ فِي الْفَاطِظِ قَلِيلَةٍ وَاضِحَةٍ .  
(۲) وَمِنْهَا : مِنْ وَجْهِهِ الْإِعْجَازِ الَّتِي ذَكَرَهَا .  
(۳) الدَّلِيلُ : هُوَ الدَّالُّ الْمُرْشِدُ ؛ أَيْ يَكُنُّ التَّوَصُّلَ بِالنَّظَرِ فِيهِ إِلَى مَطْلُوبِ خَبْرِي .  
وَالْمَدْلُولُ : هُوَ الْمَطْلُوبُ بِالدَّلِيلِ هُنَا . (۴) حَسَنَ رِصْفِهِ : الْمُرَادُ حَسَنَ نَظْمِهِ وَتَأْلِيْفِهِ .  
(۵) وَأَثْنَاءَ هَذِهِ الْبَلَاغَةِ : فِي خِلَالِهَا . (۶) التَّالِي لَهُ : الْقَارِئُ لَهُ يَفْهَمُ وَتَدْبِرُ لِمَعَانِيهِ .  
(۷) وَمِنْهَا : وَمِنْ وَجْهِهِ إِعْجَازِهِ . (۸) لَمْ يُعْهَدَ : لَا يَشَابَهُ شَيْئًا مِنْ كَلَامِهِمُ الْمَنْظُومِ .  
(۹) وَأَسْمَحُ : مِنَ السَّهْلِ ، أَيْ أَسْهَلُ قَبُولًا ، وَأَقْرَبُ وَصُولًا .  
(۱۰) عَلَى مِتَحَفِّظِيهِ : أَيْ تَسْهِيلُ حِفْظِهِ لِمَنْ يَرِيدُ .

(۱۱) سُورَةُ الْقَمَرِ ، آيَةُ ۱۷

وَفِي الْكَشَافِ ( ۲ - ۴۲۱ ) : مَعْنَى الْآيَةِ : سَهَّلْنَا لِلذِّكْرِ وَالِاتِّعَازِ ، بِأَنَّ شَحْنَاهُ  
بِالْمَوَاعِظِ الشَّافِيَةِ ، وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ . وَقِيلَ : سَهَّلْنَا لِلْحِفْظِ ، وَأَعْنَا عَلَيْهِ  
مَنْ أَرَادَ حِفْظَهُ .

وسائرُ الأمم لا يَحْفَظُ كُتُبَهَا الواحدُ منهم ، فكيف الجماء<sup>(۱)</sup> على مُرور السنين عليهم . والقرآنُ مُيسَّرُ حِفْظُهُ لِلْفُلَّانِ فِي أَقْرَبِ مُدَّةٍ .

ومنها مُشَاكَلَةٌ بَعْضِ أَجْزَائِهِ بَعْضًا<sup>(۲)</sup> ، وَحُسْنُ ائْتِلافِ أنواعِها ، وَالتَّامُّ أقسامِها<sup>(۳)</sup> ؛ وَحُسْنُ التَّخْلُصِ مِنْ قِصَّةٍ إِلَى أُخْرَى ، وَالخُرُوجُ مِنْ بَابٍ إِلَى غَيْرِهِ عَلَى اِختِلافِ مَعَانِيهِ ، وَانْقِسامِ السُّورَةِ الْوَاحِدَةِ إِلَى أَمْرٍ وَنَهْيٍ ، وَخَبَرٍ وَاسْتِخْبَارٍ<sup>(۴)</sup> ، وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ ، وَإِثْبَاتِ نُبُوَّةٍ ، وَتَوْحِيدِ وَتَفْرِيدٍ<sup>(۵)</sup> ، وَتَرْغِيبٍ وَتَرْهيبٍ<sup>(۶)</sup> ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فَوَائِدِهِ ، دُونَ خَلَالِ بَتَخَلُّلٍ فَصُولِهِ<sup>(۷)</sup> .

وَالكَلَامُ الْفَصِيحُ إِذَا اعْتَوْرَهُ مِثْلُ هَذَا ضَعْفَتْ قُوَّتُهُ ، وَلا نَتَّ جَزَالَتُهُ ، وَقَلَّ رَوْنَقُهُ<sup>(۸)</sup> ، وَتَقَلَّتْ أَلْفَاظُهُ .

فَتَأَمَّلْ أَوَّلَ «ص» ، وَمَا جُمِعَ فِيهَا مِنْ أَخْبَارِ الْكُفَّارِ وَشِقَاقِ قِهِمْ وَتَقْرِيبِهِمْ بِإِهْلَاكِ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَمَا ذُكِرَ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَعْجَبِهِمْ بِمَا آتَى بِهِ ، وَالْخَبَرِ عَنْ اجْتِمَاعِ مَلَأْتِهِمْ<sup>(۹)</sup> عَلَى الْكُفْرِ ، وَمَا ظَهَرَ مِنَ الْحَسَدِ فِي كَلَامِهِمْ ، وَتَعْجِيزِهِمْ وَتَوْهِينِهِمْ<sup>(۱۰)</sup> ، وَوَعِيدِهِمْ بِخِزْيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَتَكْذِيبِ الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ ،

(۱) الجماء : الكثير . وفي ب : الجم ، وهو بمعنىناه .

(۲) مشاكلة بعض أجزاءه بعضا : مشابهة بعضه لبعض .

(۳) التمام أقسامها : توافيقها ، وانضمام كل قسم إلى مشاكلة .

(۴) استخبار : استفهام . (۵) في ا : وتقرير .

(۶) ترهيب : تخويف .

(۷) دون خلل : أي أمر يخل به وينقصه يكون في أثناء كلامه .

(۸) اعتوره : ورد وطرا عليه . مثل هذا : يريد إذا تضمن أنواعا من المقاصد . جزالته :

صلابته وقوته . رونقه : صفاؤه .

(۹) الملاء : جماعة الأشراف والرؤساء .

(۱۰) توهينهم : إظهار ضعفهم .

وإِهْلَاكِ اللَّهِ لَمْ ، وَوَعِيدِ هَوْلَاءِ مِثْلَ مُصَابِهِمْ <sup>(۱)</sup> ، وَتَصْبِيرِ النَّبِيِّ عَلَى أَذَاهُمْ ، وَتَسْلِيَتِهِ بِكُلِّ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ؛ ثُمَّ أَخَذَ فِي ذِكْرِ دَاوُدَ وَقِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ ؛ كُلُّ هَذَا فِي أَوْجَزِ كَلَامٍ وَأَحْسَنِ نِظَامٍ .

وَمِنْهُ <sup>(۲)</sup> الْجُمْلَةُ الْكَثِيرَةُ <sup>(۳)</sup> الَّتِي انطَوَتْ عَلَيْهَا الْكَلِمَاتُ الْقَلِيلَةُ ؛ وَهَذَا كُلُّهُ وَكَثِيرٌ مِمَّا ذَكَرْنَا أَنَّهُ ذُكِرَ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، إِلَى وَجْهِ كَثِيرَةٍ ذَكَرَهَا الْأُمَّةُ لَمْ نَذْكُرْهَا ؛ إِذَا كَثُرَتْهَا دَاخِلٌ فِي بَابِ بِلَاغَتِهِ ؛ فَلَا يَجِبُ <sup>(۴)</sup> أَنْ يُعَدَّ فَنَّا مِنْفَرِدًا فِي إِعْجَازِهِ ؛ إِلَّا فِي بَابِ تَفْصِيلِ فَنُونِ الْبِلَاغَةِ ؛ وَكَذَلِكَ كَثِيرٌ مِمَّا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ عَنْهُمْ يُعَدُّ فِي خَوَاصِّهِ وَفَضَائِلِهِ ، لَا إِعْجَازِهِ .

وَحَقِيقَةُ الْإِعْجَازِ الْوَجْهُ الْأَرْبَعَةُ الَّتِي ذَكَرْنَا ؛ فَلْيُعْتَمَدْ عَلَيْهَا ، وَمَا بَعْدَهَا مِنْ خَوَاصِّ الْقُرْآنِ وَعَجَائِبِهِ الَّتِي لَا تَنْقُضِي . وَاللَّهُ وَلِيُّ <sup>(۵)</sup> التَّوْفِيقِ .

### فصل

فِي انشِقَاقِ الْقَمَرِ وَحَبْسِ الشَّمْسِ <sup>(۶)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى <sup>(۷)</sup> : ﴿ اقْرَبْتِ السَّاعَةَ وَانشَقَّ الْقَمَرُ . وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا : سِحْرٌ مُدْرِكٌ <sup>(۸)</sup> مُسْتَمِرٌّ ﴾ .

- (۱) بقوله تعالى : وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق .  
 (۲) من وجوه إعجازه . (۳) الكثيرة - يريد الكثيرة المعاني .  
 (۴) في ۱ : فلا يجب . (۵) في ۱ : وباللغة التوفيق .  
 (۶) هذا الفصل في ذكر معجزته صلى الله عليه وسلم بشق القمر له ، وجمعه فلقين . وفي منع الشمس عن سيرها للغروب ، كما سيأتي بيانه .  
 (۷) سورة القمر ، آية ۱  
 اقربت : صارت قريبة من بمثته صلى الله عليه وسلم ؛ كما في ورد في الحديث : بعثت أنا والساعة كهاتين - وأشار بإصبعه الوسطى والسبابة .  
 (۸) سحر مستمر : دائم ، أو محكم .

أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي ، وإعراض الكفرة عن آياته<sup>(۱)</sup>؛ وأجمع  
المفسرون وأهل السنة على وقوعه<sup>(۲)</sup> :

أخبرنا الحسين بن محمد [ ۹۹ ] الحافظ من كتابه ، حدثنا القاضي سراج  
ابن عبد الله ، حدثنا الأصبلي ، حدثنا المروزي ، حدثنا الفريزي ، حدثنا البخاري ،  
حدثنا مسدد ، حدثنا يحيى ، عن شعبة ، وسفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن  
أبي معمر ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ؛ قال : انشق القمر على عهد<sup>(۳)</sup> رسول  
الله صلى الله عليه وسلم فرقتين<sup>(۴)</sup> : فرقة فوق الجبل ، وفرقة دونه<sup>(۵)</sup> ؛ فقال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم : اشهدوا<sup>(۶)</sup> .

وفي رواية مجاهد<sup>(۷)</sup> : ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي بعض طرق الأعمش<sup>(۸)</sup> : ونحن بمي .

(۱) آياته : المراد معجزاته التي لا يمكن للبشر الإتيان بمثها .

(۲) قال في نسيم الرياض ( ۳ - ۳ ) : قال السبكي : إنه متواتر لا يجوز إنكاره ، وردوا  
قول الماوردي : إن الجمهور على خلافه ، وتأويل ينشق بمعنى سينشق ، فإنه لو وقع لم يبق أحد  
إلا رآه .

ولم يعتد المصنف بهذه المقالة ، وهي لا تخرق إجماع السلف من أهل السنة ؛ ومثله ليس من  
أهل التفسير ، بل من أهل التأويل عنده .

(۳) على عهد رسول الله : في زمانه وحياته . ( ۴ ) فرقتين : المراد نصفين .

( ۵ ) الجبل : هو حراء ، أو أبو قبيس . ودونه : أي في مقابلته .

( ۶ ) وذلك بمكة قبل الهجرة - رواه ابن الجوزي في « الوفا » عن ابن عباس . واشهدوا :

أي اشهدوا على معجزتي ونبوتي . ووقوع ما طلبوه ، لأنهم أهل بهتان وجحد .

( ۷ ) سنن الترمذي : ۴ - ۴۷۷

( ۸ ) رويت أحاديث انشقاق القمر في الصحيحين : صحيح البخاري : ۴ - ۲۵۱ ،

۶ - ۱۷۸ ، وصحيح مسلم : ۲۱۵۸ ، ومسند الإمام أحمد : ۳ - ۱۶۵

ورواه أيضا - عن ابن مسعود - الأسود، وقال : حتى رأيتُ الجبلَ بين  
فرجتي القمر (۱) .

ورواه عنه مسروق - أنه كان بمكة - وزاد : فقال كفار قريش : سحرتم  
ابن أبي كبشة (۲) !

فقال رجلٌ منهم : إن محمداً إن كان سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن  
يسحر الأرض كلها ، فاسألوا (۳) من يأتيكم من بلاد آخر : هل رأوا هذا ؟ فأتوا ،  
فسألوهم فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك .

وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه ، وقال : فقال أبو جهل : هذا سحر ؛  
فابعثوا إلى أهل الآفاق (۴) حتى تنظروا : أراؤا ذلك أم لا ؟

فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقاً ؛ فقالوا - يعني الكفار : هذا سحر مستمر .  
ورواه أيضا - عن ابن مسعود - علقمة ؛ فهؤلاء أربعة عن عبد الله (۵) .

وقد رواه غير ابن مسعود ، كما رواه ابن مسعود ؛ منهم أنس ، وابن عباس ،  
وابن عمر ، وحذيفة ، وعلي ، وجبير بن مطعم ؛ فقال علي - من رواية أبي حذيفة  
الأزجي (۶) : انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم .

(۱) فرجتي القمر : أي فلقتيه وقطعته ؛ لبعدهما بينهما .

(۲) ابن أبي كبشة : يعنون النبي صلى الله عليه وسلم . وأبو كبشة : اسم رجل تأله قديماً ،  
وفارق دين الجاهلية ، وعبد الشمرى ، فشبّه المشركون النبي - صلى الله عليه وسلم - به . وقيل :  
بل كانت للنبي صلى الله عليه وسلم أخت من الرضاعة تسمى « كبشة » ؛ وكان أبوه من الرضاعة  
يكنى بها . وقيل : بل كان في أجداده لأمه من يكنى بذلك ( شرح القارى : ۱ - ۵۸۶ )

(۳) في ۱ : فسألوا .

(۴) الآفاق : جمع أفق ، ومعناه هنا الناحية .

(۵) عن عبد الله بن مسعود . وفي هامش ب : الأربعة .

(۶) في ب : الأزجي .



وعن أنس : سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يرِيهم آية ، فأراهم انشقاق القمر فرقتين <sup>(١)</sup> حتى رأوا حِراءَ بينهما .  
رواه عن أنس قتادة .

وفي رواية معمر وغيره ، عن قتادة ، عنه : أراهم القمر مرتين انشقاقه ، فنزلت :  
﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ .

ورواه <sup>(٢)</sup> عن جبير بن مطعم ابنه محمد ، وابن ابنه جبير بن محمد .

ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله <sup>(٣)</sup> بن عتبة .

ورواه عن ابن عمر مجاهد ، ورواه عن حذيفة أبو عبد الرحمن السلمي ومسلم  
ابن أبي عمران الأزدي .

وأكثر طرق هذه الأحاديث صحيحة ؛ والآية مصرية ، ولا يلتفت إلى  
اعتراض مخدول <sup>(٤)</sup> ، بأنه لو كان هذا لم يخف على أهل الأرض ؛ إذ هو شئ ظاهر  
لجميعهم ؛ إذ لم يُنقل لنا عن أهل الأرض أنهم رصدوه <sup>(٥)</sup> تلك الليلة فلم يروه  
انشق ؛ ولو نقل إلينا عن لا يجوز تماؤهم - لكثرتهم - على الكذب <sup>(٦)</sup> ، أما كانت

(١) في ١ : مرتين .

(٢) في نسيم الرياض ( ٣ - ٦ ) : وهذه الروايات كلها في الكتب الستة وغيرها مخرجة ؛  
فرواية أنس وابن عباس في الصحيحين ، ورواية ابن عمر في صحيح مسلم والترمذي ، ورواية  
حذيفة بن اليمان في الدلائل وغيرها ، ورواية ابن مطعم في مسند أحمد والبيهقي .

(٣) في ب : بن عبيد الله بن عتبة .

(٤) مخدول : المراد من لم يكن على الحق وطريق الهداية ، ومن أنكر هذا بقصد  
الطمع في المعجزة .

(٥) رصدوه : ترقبوه ، ونظروا إلى مطلقه .

(٦) ولو نقل إلينا : أنهم رصدوه فلم يروه انشق . تماؤهم على الكذب : اجتماعهم على  
الكذب في خبرهم .

علينا به حجة؛ إذ ليس القمر في حدّ واحدٍ لجميع أهل الأرض؛ فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين؛ وقد يكون من قوم بضدّ ما هو من متابليهم من من أقطار الأرض، أو يحول بين قوم وبينه سحب أو جبال؛ ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض، وفي بعضها جزئية، وفي بعضها كلية، وفي بعضها لا يعرفها إلا المدعوون لعلمها؛ ذلك تقدير العزيز العليم.

وآية القمر كانت ليلاً، والعادة من الناس بالليل الهدوء والسكون وإيجاف<sup>(١)</sup> الأبواب، وقطع التصرف، ولا يكاد يعرف من أمور [١٠٠] السماء شيئاً، إلا من رصد ذلك، واهتبل<sup>(٢)</sup> به.

ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيراً في البلاد، وأكثرهم لا يعلم به حتى يخبر، وكثيراً ما يحدث الثقات بمجائب يشاهدونها من أنوار ونجوم طوّاع عظام تظهر في الأحيان بالليل في السماء، ولا علم عند أحد منها.

وخرج الطحاوي - في مشكل الحديث<sup>(٣)</sup>، عن أسماء بنت عميس من طريقين - أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى إليه، ورأسه في حجر عليّ، فلم يصلّ العصر حتى غربت الشمس؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أصليت يا عليّ؟ قال: لا. فقال: اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولاك فاردد عليه الشمس<sup>(٤)</sup>.

- (١) إيجاف الأبواب: إغلاقها. (٢) اهتبل به: بذل جهده واعتنى به غاية الاعتناء. (٣) مشكل الحديث كتاب للطحاوي. وهذا الحديث، في رد الشمس أو حبسها، رواه الطبراني بأسانيد مختلفة. والطحاوي: مصري من أكابر علماء الحنفية، توفي سنة ٣٢١ هـ. وفي نسيم الرياض (٣ - ١١): قال ابن الجوزي: هذا الحديث موضوع بلا شك، ورواياته مضطربة، وفي روايته رجال متهمون بالكذب والوضع. وقال القاري (١ - ٥٩٠): وتبعه ابن القيم، وشيخه ابن تيمية، وذكروا تضييف رجال الطحاوي ونسبوا بعضهم إلى الوضع. (٤) اردد عليه الشمس: أعدها لمكانها الذي غربت منه ليصلي الصلاة في وقتها. وفي هامش ب: فاردد عليه الشمس مشرقها. وفي هامش ا: فاردد عليه الشمس شرقها. ومشرقها: في محل شروقها.

قالت أسماء : فرأيتها غربت ، ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ، ووقفت على الجبال والأرض ، وذلك بالصهبا<sup>(١)</sup> في خيبر .

قال : وهذان الحديثان ثابتان ورؤايتهما ثقات<sup>(٢)</sup> .

وحكى الطحاوي أن أحد بن صالح كان يقول : لا ينبغي لمن [يكون] <sup>(٣)</sup> سبيله العلم التخلّف عن حفظ حديث أسماء ؛ لأنه من علامات النبوة<sup>(٤)</sup> .

وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي في روايته عن ابن إسحاق : لما أُسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير<sup>(٥)</sup> قالوا : متى تجي ؟ قال : يوم الأربعاء ؛ فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجي ؛ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزيد له في النهار ساعة ، وحُبست عليه الشمس<sup>(٦)</sup> .

(١) الصهبا : قلعة بخير . وخير : أرض بقرب المدينة ، فيها قلاع وقري ، كان بها مساكن اليهود ، ثم خربت .

(٢) قال في نسيم الرياض ( ٣ - ١٢ ) : اعترض عليه بعض الشراح ؛ وقال : إنه حديث موضوع ، ورجاله مطعون فيهم كذابون ووضاعون .

ثم قال : وهذا الحديث صححه المصنف ، وأشار إلى أن تعدد طرقه شاهد صدق على صحته . وقد صححه قبله كثير من الأئمة كالطحاوي . وأخرجه ابن شاهين ، وابن منده ، وابن مردويه ، والطبراني في معجمه ؛ وقال : حسن . وحكاه العراقي في التقريب . وارجع في هذا الحديث إلى بحث قيم في نسيم الرياض ( ٣ - ١٢ ، ١٣ ) إن أردت .

(٤) أي من الآيات الدالة على النبوة . وهذا - في رأيه - مؤيد لصحته .

(٥) الرفقة : جمع رفيق ؛ أي أخبرهم بقافاتهم ومن فيها من الجماعة المترافقين ؛ والعلامة :

هي قوله صلى الله عليه وسلم إنه يقدمها جمل أورق .

(٦) قال في نسيم الرياض ( ٣ - ١٤ ) : الذي ذكر هنا من حبس الشمس ، وأن المسير

قدمت بعد العصر قبيل الغروب ينافية ماورد من أنها قدمت صباحا ، وعليه اقتصر المفسرون ؛ =

## فصل

في نَبْعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ وَتَكَثِيرِهِ بِرُكْعَةٍ (١)

[ قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ ] (٢) :

أَمَّا الْأَحَادِيثُ فِي هَذَا فَكَثِيرَةٌ جِدًّا (٣) .

رَوَى حَدِيثَ نَبْعِ الْمَاءِ مِنْ أَصَابِعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ ؛ مِنْهُمْ

أَنَسٌ ، وَجَابِرٌ ، وَابْنُ مَسْعُودٍ :

حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ جَعْفَرَ الْفَقِيهَ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ ، حَدَّثَنَا الْقَاضِي عَيْسَى

ابْنُ سَهْلٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ حَاتِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ (٤) بْنُ الْفَخَّارِ ، حَدَّثَنَا

أَبُو عَيْسَى ، حَدَّثَنَا يَحْيَى ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَالْحَةَ ، عَنْ

أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٥) : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَحَانَتْ

صَلَاةُ (٦) الْعَصْرِ ؛ فَالْتَمَسَ النَّاسُ الْوَضُوءَ (٧) فَلَمْ يَجِدُوهُ ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبِيضَاوِي فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ . وَقَالَ الْقَارِي (١-٥٩١) : وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ :

حَدِيثُ رَدِّ الشَّمْسِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بِصَحِيحٍ . وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ : الْمَجِبُ مِنَ الْقَاضِي

مَعَ جَلَالَةِ قَدْرِهِ وَعُلُوِّ خَطَرِهِ فِي عُلُومِ الْحَدِيثِ كَيْفَ سَكَتَ عَنْهُ مَوْهَمَا صَحَّتْهُ ، وَنَاقَلَا ثَبُوتَهُ ،

مَوْثِقًا رَجَالَهُ .

(١) فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ ( ٣ - ١٥ ) : وَقَدْ كَانَ هَذَا مَرَاتٍ كَثِيرَةً ، وَرَوَيْتُ بِطَرِيقٍ مُتَمَدِّدَةٍ

فِي الصَّحِيحِينَ وَغَيْرِهِمَا . (٢) مِنْ ب . (٣) قَالَ النَّوَوِيُّ : إِنَّهَا بَلَّغَتْ مَرْتَبَةَ التَّوَاتُرِ .

(٤) قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ ( ٣ - ١٦ ) : فِي كَلَامِ الْمَصْنُفِ رَحِمَهُ اللَّهُ سَهُوٌ مِنْ وَجْهَيْنِ :

إِذْ لَمَّاهُ أَبُو عُمَرَ ، وَهُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ . وَفِي قَوْلِهِ : حَدَّثَنَا أَبُو عَيْسَى ، حَدَّثَنَا يَحْيَى ؛ إِذْ أَسْقَطَ

رَاوِيَا بَيْنَ أَبِي عَيْسَى وَيَحْيَى ، وَهُوَ عَيْدُ اللَّهِ أَبُو مَرْوَانَ .

(٥) الْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : ٤ - ٢٣٣ ، وَصَحِيحِ مُسْلِمَ : ١٧٨٣ ، وَسَنَنِ التِّرْمِذِيِّ :

٥ - ٥٩٦ ، وَقَالَ : حَدِيثُ أَنَسٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

(٦) حَانَتْ : قَرَبَتْ ، أَوْ دَخَلَ وَقْتُهَا .

(٧) الْتَمَسَ النَّاسُ : طَلَبُوا . وَالْوَضُوءَ - بَفَتْحِ الْوَاءِ : الْمَاءَ الَّذِي يَتَوَضَّأُ بِهِ .

عليه وسلم بوضوء، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الإناء <sup>(١)</sup> يده، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه .

قال : فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه ، فتوضأ الناس حتى توضئوا من عند آخرهم <sup>(٢)</sup> .

ورواه أيضا - عن أنس - فتادة <sup>(٣)</sup> ، وقال : بإناء فيه ماء يغمر <sup>(٤)</sup> أصابعه أولا يكاد يغمر .

قال : كم كنتم ؟ قال : كنا زهاء <sup>(٥)</sup> ثلاثمائة .

وفي رواية عنه : وهم بالزوراء <sup>(٦)</sup> عند السوق .

ورواه أيضا حميد ، وثابت ، والحسن ، عن أنس .

وفي رواية حميد : قلت : كم كانوا ؟ قال : ثمانين .

ونحوه عن ثابت عنه .

وعنه أيضا : وهم نحو من سبعين رجلا .

وأما ابن مسعود ففي الصحيح من رواية علقمة : بينما نحن مع رسول الله صلى

الله عليه وسلم ، وايس معنا ماء ، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) في ١ : في ذلك يده . والثبت في صحيح مسلم أيضا ، وصحيح البخاري : ٤ - ٢٣٣

(٢) من عند آخرهم : جميعهم . قال النووي : « من » هنا بمعنى « إلى » ، وهي لفة .

قال في نسيم الرياض : قالوا : إنه يحتمل أن الماء خرج من أصابعه صلى الله عليه وسلم حقيقة ، وهو الظاهر . ويحتمل إنه كثر من غير نبع منها ؛ وإنما وضع يده فيه سترًا عن الناس حتى لا يروه فيفتن بعضهم به ، وتآدبا مع الله الذي لا يوجد للمعدوم سواه .

(٣) كما في صحيح مسلم : ١٧٨٣ ، وصحيح البخاري : ٤ - ٢٣٣

(٤) يغمر أصابعه : يسترها . (٥) زهاء : مقدار .

(٦) في صحيح مسلم ١٧٦٣ ، وقال : والزوراء بالمدينة عند السوق والمسجد فيها هناك .

اطلبوا مَنْ مَعَهُ فَضْلٌ<sup>(١)</sup> ماء؛ فَأَتَى بِمَاءٍ فَصَبَّهُ فِي إِيَّاهُ، ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ فِيهِ، فَجَعَلَ الْمَاءَ [١٠١] يَنْبَعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي الصحيح<sup>(٢)</sup>، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر رضي الله عنه: عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْخُدَيْبِيَّةِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةً<sup>(٣)</sup>، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا، وَأَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ؛ وَقَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ إِلَّا مَا فِي رَكْوَتِكَ؛ فَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فِي الرِّكْوَةِ؛ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَنْزُرُ<sup>(٤)</sup> مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ. وَفِيهِ: فَقُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالُوا: لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَّانَا؛ كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً.

وَرَوَى مِثْلَهُ عَنْ أَنَسٍ، عَنْ جَابِرٍ؛ وَفِيهِ أَنَّهُ كَانَ بِالْخُدَيْبِيَّةِ. وَفِي رِوَايَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبَّادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنْهُ، فِي حَدِيثِ مُسْلِمِ الطَّوِيلِ فِي ذِكْرِ غَزْوَةِ بُوَّاطِ<sup>(٥)</sup> قَالَ<sup>(٦)</sup>:

قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا جَابِرُ، نَادِ، الْوَضُوءُ<sup>(٧)</sup>... وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطَوْلِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ إِلَّا قَطْرَةً فِي عَزْلَاءِ شَجَبِ<sup>(٨)</sup>؛ فَأَتَى بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى

(١) فضل ماء: بقية من ماء. أو زيادة منه على حاجته.

(٢) في صحيح البخاري: ٤ - ٢٣٤

(٣) ركوة: إنياء للماء من جلد. (٤) في صحيح البخاري: يشور بين أصابعه.

(٥) هي ثاني غزواته. وبواط: اسم لجبال جهينة على أبراد من المدينة.

(٦) الحديث في صحيح مسلم: ٢٣٠٣

(٧) ناد، الوضوء؛ ناد الناس وقل لهم: أعطوا، أو ناولوا الوضوء؛ وهو الماء الذي يتوضأ به، وفيه حث لهم عليه. وفي صحيح مسلم: ناد بوضوء.

(٨) قطرة: يسيرا. عزلاء: فم الراوية ومصب الماء منها. شجب - بفتح الشين المعجمة

وقيل بكسرهما، وسكون الجيم، وباء موحدة: القديم من القرب، أو أعواد تعلق عليها

القرب ونحوها.

وفي هامش ١: الشجب: القرية البالية، وسميت بذلك لأنها جلد قد شجب؛ أي عطب.

اللهُ عليه وسلم ، فغمزه وتكلم بشيء لا أدري ما هو ، وقال : نادِ بِجَنَّةِ الرَّكْبِ ،  
فأتيتُ بها ، فوضعتها بين يديه ، وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده  
في الجفنة<sup>(١)</sup> ، وفرق أصابعه ، وصبَّ جابرٌ عليه ، وقال : بسم الله [ كما أمره صلى  
الله عليه وسلم ]<sup>(٢)</sup> ؛ قال : فرأيتُ الماءَ يفورُ من بين أصابعه ، ثم قارت الجفنةُ  
واستدارت<sup>(٣)</sup> حتى امتلأت ، وأمر الناسَ بالاستقاء ، فاستقوا حتى رَوُوا .

قلت : هل بقيَ أحدهُ حاجةً ؟ فرفع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يده من  
الجفنة وهي مَلَأَى .

وعن الشعبيِّ : أتى النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره بِإِدَاوَةٍ<sup>(٤)</sup> ماءً ،  
وقيل : ما معناها رسولُ الله ماءً غيرُها ، فسكبها في رَكْوَةٍ ، ووضع إصبعه وسطها ،  
وغمسها في الماء ، وجعل الناسُ يجيئون ويتوضئون ثم يقومون .  
قال الترمذى : وفي الباب ، عن عمران بن حصين .

ومثلُ هذا في هذه المواطن الحفلة<sup>(٥)</sup> والجموع الكثيرة لا تتطرقُ التهمةُ إلى  
المحدثِ به ؛ لأنهم كانوا أسرعَ شيءٍ إلى تكذيبه ، إما جُبِلت عليه النفوسُ من  
ذلك ؛ ولأنهم كانوا ممن لا يسكتُ على باطل ؛ فهؤلاء قد رَوُوا هذا ، وأشاعوه ،  
ونسبوا حضورَ الجماء الغفير<sup>(٦)</sup> له ، ولم يُنكرْ أحدٌ من الناس عليهم ما حدثوا به  
عنهم أنهم فعلوا<sup>(٧)</sup> وشاهدوه ، فصار كمتصدق جميعهم له .

(١) الجفنة : القصعة التي تشبع عشرة فأكثر . والركب : جمع ركب ، والمراد الناس .

(٢) من ب . (٣) في صحيح مسلم : ودارت .

(٤) الإداوة - بكسر الهمزة : إناء صغير من جلد يتخذ للماء ، ويسمى المطهر .

(شرح القارى : ١ - ٥٩٦) .

(٥) الحفلة : المتلة المجتمعة الغزيرة . وفي ب : الحفيلة ، وهي بمعنى الحفلة .

(٦) الجماء الغفير : الجمع الكثير . (٧) في هامش ب : خ : فعلوه .

## فصل

ومما يُشبهُ هذا مِنْ معجزاته تَفْجِيرُ المَاءِ بِبِرِّ كَتَمِهِ ، وانبعائه <sup>(١)</sup> بِسَّهِّ ودَعْوَتِهِ  
فِيما رَوَى <sup>(٢)</sup> مالِكُ فِي الموطأ <sup>(٣)</sup> عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ فِي قِصَّةِ غَزْوَةِ تَبُوكَ ، وَأَنَّهُمْ  
وَرَدُوا العَيْنَ وَهِيَ تَبِيضٌ بِشَيْءٍ مِنْ ماءٍ مِثْلِ الشَّرَاكِ <sup>(٤)</sup> ، فَفَرَفَرُوا مِنَ العَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ  
حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ ، ثُمَّ غَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ ، وَأَعَادَهُ  
فِيهَا ؛ فَجَرَّتْ بِمَاءٍ كَثِيرٍ ، فَاسْتَقَى النَّاسُ <sup>(٥)</sup> .

قال - فِي حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ : فَانْحَرَقَ مِنَ المَاءِ مَا لَهُ حِسٌّ كَحِسِّ الصَّوَاعِقِ .  
ثُمَّ قَالَ : يُوَشِّكُ يَا مُعَاذُ ؛ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى هَاهُنَا قَدُمِي  
جِنَانًا <sup>(٥)</sup> .

وَفِي حَدِيثِ البراء <sup>(٦)</sup> ، وَسَلَمَةُ بْنُ الأَكْوَعِ - وَحَدِيثُهُ أَيْضًا - فِي قِصَّةِ الحُدَيْبِيَّةِ ،  
وَهُمْ أَرْبَعٌ عَشْرَةَ مِائَةً ، وَبَثُّهَا لَا تَرَوِي خَمْسِينَ شَاةً ، فَنَزَحْنَاهَا فَلَمْ نَتْرِكْ فِيهَا قَطْرَةً ،  
فَقَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَبَاهَا <sup>(٧)</sup> .

قال البراء : وَأَتَيْتِي بِدَلْوٍ مِنْهَا ، فَبَصَقْتُ [ ١٠٢ ] فِدْعًا .  
وَقَالَ سَلَمَةُ : فِيمَا دَعَا ، وَإِمَامًا بَصَقَ فِيهَا ، فَجَاشَتْ <sup>(٨)</sup> ؛ فَأَرَوْا أَنفُسَهُمْ  
وَرَكَابَهُمْ <sup>(٩)</sup> .

(١) انبعائه : ثورانه وجريانه . (٢) فِي ١ : بما روى . (٣) الموطأ : ١٤٤

(٤) تبض : تسيل . والشراك : سير النمل ، ومعناه : ماء قليل جدا .

وَفِي هَامِشِ ب : تبض - بالضاد المعجمة ، والضاد المهملة : تقطر .

(٥) الحديث فِي صحيح مسلم أيضا : ١٧٨٤

(٦) صحيح البخاري : ٤ - ٢٣٤

(٧) جباها : الجبا : ما حول البئر (النهاية) . وَفِي هَامِشِ ب : جبا البئر : جانبها .

(٨) جاشت : أَي فارت البئر . (٩) ركبهم : دوابهم .



وفي غير هذه <sup>(١)</sup> الروایتين - في هذه القصة - من طريق ابن شهاب [في المَدِينَةِ] <sup>(٢)</sup> : فأخرج سَهْمَا من كِنَانَتِهِ ، فوضع في قَعْرِ قَلْبِيسٍ ليس فيه ماء؟ فرَوَى النَّاسُ حتى ضربوا بِعَطْنٍ <sup>(٣)</sup> .

وعن أبي قتادة <sup>(٤)</sup> - وذكر أن النَّاسَ شَكَّوْا إلى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَطَشُ في بعض أسفاره ، فدعا بِالْمِيضَاءِ <sup>(٥)</sup> ، فجعلها في ضَبْنِهِ <sup>(٦)</sup> ، ثم التَّمَّمَ فَمَهَا ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ - نَفَثَ <sup>(٧)</sup> فيها أم لا ؛ فَشَرِبَ النَّاسُ حتى رَوُّوا وملئوا كلَّ إناءٍ معهم ؛ فحُيِّلَ إلى أنها كما أخذها مني ، وكانوا اثنين وسبعين رجلاً .  
ورَوَى مِثْلَهُ عِمْرَانُ بن حُصَيْنٍ .

وذكر الطبري حديثَ أَبِي قَتَادَةَ على غير ما ذَكَرَهُ أَهْلُ الصَّحِيحِ - وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مَعَهُمْ مُمِدًّا لِأَهْلِ مَوْئِئَةٍ <sup>(٨)</sup> عند ما بَلَغَهُ قَتْلُ الْأَمْرَاءِ <sup>(٩)</sup> :  
وذكر حديثاً طويلاً فيسعه مُعْجِزَاتُ وآيَاتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وفيه إعلَامُهُمْ أَنَّهُمْ يَنْقِدُونَ الْمَاءَ في غَدِي .

وذكر حديثَ الْمِيضَاءِ <sup>(١٠)</sup> ؛ قال : والقومُ زُهَاءٌ <sup>(١١)</sup> ثلاثمائة .

(١) هذا في أ، ب . (٢) ليس في أ .

(٣) العطن : منزل الإبل حول الماء لتبرك فيه إذا شربت لتعاد إلى الشرب مرة أخرى .  
والمراد : حتى رووا ورويت إياهم .

(٤) قال القاري ( ١ - ٥٩٨ ) : رواه البيهقي عنه .

(٥) الميضاة : مطهرة كبيرة يتوضأ منها .

(٦) ضبنه : حضنه بين كشطه وإبطه .  
(٧) نفث : نفخ .

(٨) ممددا : معينا . ومؤئة : قرية بين تبوك وحووران من الشام .

(٩) الأمراء : هم زيد بن حارثة مولاه ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة .

(١٠) في هامش أ : الميضاة : مطهرة يتوضأ منها ، مفعلة من الوضوء . وقد تقدم تفسيرها .

(١١) ضبطت الهمزة في « زهاء » بالفتحة في ب ، وبالضمة في أ . وقال القاري ( ١ - ٥٩٩ ) :

زهاء : قدر ، تخميناً . قال الزبي : الوجه نصب « زهاء » ، ولكن أهل الحديث يرفعونه .

وفي كتاب مسلم<sup>(١)</sup> أنه قال لأبي قتادة: احفظ علي<sup>(٢)</sup> مِيضَاتِكَ ، فإنه سيكون لها نَبَأٌ<sup>(٣)</sup> . . . وذكر نحوه<sup>(٤)</sup> .

ومن ذلك حديثُ عُمَرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ حينَ أَصَابَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ عَطَشٌ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِمْ ؛ فَوَجَّهَ رَجُلَيْنِ<sup>(٥)</sup> مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَأَعْلَمَهُمَا أَنَّهُمَا يَجِدَانِ امْرَأَةً بِمَكَانٍ كَذَا مَعَهَا بَعِيرٌ عَلَيْهِ مَزَادَتَانِ<sup>(٦)</sup> . . . الحديث ؛ فوجداهما وَأَتَيَا بِهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَجَعَلَ فِي إِيَّاهُ مِنْ مَزَادَتَيْهَا<sup>(٦)</sup> ، وَقَالَ فِيهِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ ؛ ثُمَّ أَعَادَ الْمَاءَ فِي الْمَزَادَتَيْنِ ، ثُمَّ فَتَحَتْ عَزَالِيَهُمَا<sup>(٧)</sup> ؛ وَأَمَرَ النَّاسَ فَلِشُوا أَسْقِيَتَهُمْ<sup>(٨)</sup> حَتَّى لَمْ يَدْعُوا شَيْئًا إِلَّا مَلِثُوهُ .

قال عُمَرَانُ : وَتَخَيَّلَ إِلَى أَنَّهُمَا لَمْ تَزِدَا إِلا امْتَلَاءً ، ثُمَّ أَمَرَ فُجِّعَ لِلْمَرْأَةِ مِنَ الْأَزْوَادِ<sup>(٩)</sup> حَتَّى مَلَأَتْ نَوْسَهَا . وَقَالَ : اذْهَبِي ؛ فَإِنَّا لَمْ نَأْخُذْ<sup>(١٠)</sup> مِنْ مَائِكَ شَيْئًا ؛ وَلَكِنَّ اللهَ سَقَانَا . . . الحديث بطوله .

وعن سلمة بن الأكوع<sup>(١١)</sup> : قال نبيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ مِنْ وَضوءٍ؟

(١) صحيح مسلم : ٤٧٣ (٢) في صحيح مسلم : احفظ علينا .

(٣) نبأ : خبر عظيم .

(٤) وذكر ، أي الطبري نحوه ؛ أي نحو ما سبق مما ذكر غيره .

(٥) قال القاري ( ١ - ٥٩٩ ) : هما طلي بن أبي طالب ، وعمران بن حصين .

(٦) المَزَادَةُ : ظرف من جلد يحمل فيه الماء ، أكبر من القربة .

(٧) في ب : عزاليها ، وعزاليها - معا - وعزاليها - بفتح العين للمهملة والزاي : ثنية عزلاء ،

وهو فيها الأسفل .

(٨) أسقيتهم : جمع سقاء ، وهو إناء من جلد يتخذ للماء .

(٩) الأزواد : جمع زود ؛ أي من جملتها .

(١٠) في أ : لم نرزا ، وفي هامشه : نأخذ .

(١١) صحيح مسلم : ١٣٥٤

فجاء رجلٌ بِإِدَاوَةٍ فِيهَا نُظْفَةٌ<sup>(١)</sup> فَأَفْرَغَهَا فِي قَدَحٍ ، فَهَوَّضَانَا كُلُّنَا نُدَغِفُّهُ<sup>(٢)</sup> دَغْفَقَةً  
أربع عشرة مائة . . . [ الحديث بطوله ]<sup>(٣)</sup> .

وفي حديث عمر - في جيش العُسرة<sup>(٤)</sup> : وذكر ما أصابهم من العطش ، حتى  
إنَّ الرجلَ لَيَنْحَرُ بِعَيْرِهِ ، فيعصر فرثه<sup>(٥)</sup> فيشرب به ؛ فرغب<sup>(٦)</sup> أبو بكر إلى النبيِّ صَلَّى  
اللهُ عليه وسلم في الدعاء<sup>(٧)</sup> ، فرفع يديه فلم يَرْجعهما حتى قالت<sup>(٨)</sup> السماء فانسكبت ؛  
فلدوا ما معهم من آنيةٍ ، ولم تجاوز المسكر<sup>(٩)</sup> .

وعن عمرو بن شعيب - أن أبا طالب قال للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم ، وهو رديفه  
بذي المجاز<sup>(١٠)</sup> : عَطِشْتُ وليس عندي ماء ؛ فنزل النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم ،

(١) نظفة : قليل من الماء .

(٢) في هامش ا : الدغفقة : الصب الشديد ، ويقال : فلان في نعيم دغفق ، أى واسع .

(٣) ليس في ب .

(٤) جيش المسرة ؛ أى الضيق والشدة ، وهى غزوة تبوك سنة تسع من الهجرة ، وكانت

في نهار حر ، وقلة الثمار . . .

(٥) فرثه : ما فى كرشه . (٦) فرغب أبو بكر : الرغبة : طلب ما يحبه .

(٧) فى الدعاء : فى دعائه صلى الله عليه وسلم ، وتوجهه لربه ليزيل ما بالناس من البأس الذى

علمه منهم .

(٨) قالت السماء : غيمت وظهر فيها سحب . وفى هامش ب : العرب تجعل القول عبارة

عن جميع الأفعال ، وتطلقه على غير الكلام ، فتقول : قال بيده ؛ أى أخذ ؛ وقال برجله ؛ أى

مشى ، وقال بالماء على يديه ؛ أى قلبه ؛ وقال بثوبه ، أى رفعه ؛ قال الشاعر :

\* وقالت العينان سما وطاعة \*

أى أومات ، وكل ذلك على المجاز والاتساع . وارجع فى ذلك إلى النهاية لابن الأثير .

(٩) فانسكبت : انسكب ماؤها . ولم تجاوز المسكر : أى لم تجاوز السماء ، أو السحاب

أو المطر - المعلوم من السياق - المسكر .

(١٠) رديفه : راكب خلفه . ذو المجاز : اسم سوق بقرب عرفة ، كانوا يجتمعون فيه

فى الجاهلية ، كما كانوا يجتمعون بمكاذ . وهذا الحديث رواه ابن سعد عن إسحاق بن الأزرق .

وضربَ بقدَمِهِ الأَرْضَ ، فخرج الماء ، فقال : اشرب .  
والحديثُ في هذا الباب كثيرٌ ؛ ومنه الإجابةُ بدعاء الاستسقاء وما جأسه<sup>(١)</sup> .

## فصل

ومن معجزاته تكثيرُ الطعام ببركته ودُعائه :

حدثنا القاضي الشهيدُ أبو عليٍّ رحمه الله ؛ حدثنا العذريُّ ، حدثنا الرازيُّ ، حدثنا  
أجلودى ، حدثنا ابن سفيان ، حدثنا مسلم بن الحجاج ، حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا  
الحسن بن أعين ، حدثنا معقل ، عن أبي الزبير ، عن جابر - أن رجلاً أتى النبيَّ  
صلى الله عليه وسلم [ ١٠٣ ] <sup>(٢)</sup> ، فَاطْعَمَهُ <sup>(٣)</sup> ، شَطْرَ وَسْقِ شَعِيرٍ <sup>(٤)</sup> ؛ فَمَا زَالَ  
يَأْكُلُ مِنْهُ وَأَمْرَاتُهُ وَضَيْفُهُ حَتَّى كَالَهُ <sup>(٥)</sup> ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُ ،  
فَقَالَ : لَوْلَمْ تَكِلْهُ لِأَكْتُمُ مِنْهُ وَلِقَامِ بَكْمِ <sup>(٦)</sup> .

ومن ذلك حديثُ <sup>(٧)</sup> أبي طلحةَ المشهور ، وإطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين  
أو سبعين رجلاً من أقراصٍ من شعير جاء بها أنسٌ تحت يده ؛ أي إبطه ؛ فأمر بها  
فُقِّتْ ، وقال فيها ما شاء الله أن يقول .

(١) وما جأسه : وما شابه الاستسقاء .

(٢) يستطعمه : يطلب منه طعاماً له ولأهله ، لشدة احتياجه .

(٣) فأطعمه : أي أعطاه الطعام الذي يطلبه .

(٤) شطر وسق شعير : الشطر : النصف ، أو البعض . والوسق - بفتح الواو وكسرهما :

الحمل ، أو مقدار ستين صاعاً .

(٥) حتى كاله : أي استمر أكلهم منه من غير نقص شيء منه إلى أن كاله ، فظهر نقصه بعد

الكيل مما يأخذه منه ، فكانت البركة في ترك كياله حتى لولم يكله لم ينفد .

(٦) لأكتم منه : لاستمر أكلكم منه إلى غير النهاية . ولقام بكم : لكفاكم مدة حياتكم ،

وكان فيه قوام لكم من غير نقص . والحديث في صحيح مسلم : ١٧٨٤

(٧) هذه القصة في صحيح البخاري : ٤ - ٢٣٤

وحدث جابر<sup>(١)</sup> في إطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق<sup>(٢)</sup>.

وقال جابر: فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانصرفوا<sup>(٣)</sup>، وإن برمتنا لتفط كما هي<sup>(٤)</sup>، وإن عجينا ليخبز<sup>(٥)</sup>.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في المعجين والبرمة، وبارك<sup>(٦)</sup> رواه<sup>(٧)</sup> عن جابر سعيد بن ميناء<sup>(٨)</sup>، وأيمن.

[ وعن ثابت مثله، عن رجل من الأنصار وأمرأته، ولم يسمهما؛ قال: وجيء بمثل الكف<sup>(٩)</sup>، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها في الإناء ويقول ما شاء الله، فأكل منه من في البيت والحجرة والدار؛ وكان<sup>(١٠)</sup> ذلك قد امتلأ بمن قدم معه صلى الله عليه وسلم لذلك؛ وبقي بعد ما شبهوا مثل ما كان في الإناء<sup>(١١)</sup>.

(١) في صحيح البخارى : ٥ - ١٣٨ ، وسنن الترمذى : ٥ - ٥٩٥

(٢) عناق : العناق : الأنثى من أولاد المعز ، لم يتم لها سنة . وقيل : هي التي قاربت الحمل ولم تحمل . (٣) وانصرفوا : أى أكلوا حتى شعوا وقاموا وانصرفوا . وفي البخارى : تركوه . (٤) البرمة - بضم الباء الموحدة وسكون الراء : القدر مطلقا ؛ أو من حجارة . وتفط : تغلى غليانا شديدا يسمع لها صوت . وفي ب : تفط : تفور . كما هي : لم ينقص منها شيء مع كثرة من أكل منها .

(٥) وإن عجينا ليخبز : أى إنهم استمروا على خبز المعجين وإيصاله شيئا فشيئا لمن يأكل منه ، ولم ينقص ببركة النبي صلى الله عليه وسلم . وفي ب : بمجينا . والمثبت في صحيح البخارى أيضا .

(٦) وبارك : دعا فيها بالبركة ، والزيادة والنمو . (٧) رواه : روى هذا الحديث .

(٨) فى ١ : ابن مينا - مقصور . والمثبت فى تهذيب التهذيب : ٤ - ٩١ ، وقال القارى

(١ - ٦٠٣) : مينا - بكسر الميم ، ممدودا ويقصر . (٩) بمثل الكف من العجينة .

(١٠) وكان ذلك : الإشارة إلى ما ذكر من الثلاثة ، وهى البيت والحجرة والدار .

(١١) ما بين القوسين ساقط فى ١ . والحديث فى طبقات ابن سعد : ١ - ١١٧

وحدِيثُ أَبِي أَيُّوبَ (١) أَنَّهُ صَنَعَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْأَبِي بَكْرٍ مِنَ الطَّعَامِ زُهَاءً (٢) مَا يَكْفِيهِمَا ؛ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ادْعُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَشْرَافِ الْأَنْصَارِ ؛ فَدَعَاهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكَوْا (٣) ؛ ثُمَّ قَالَ : ادْعُ سِتِّينَ ؛ فَكَانَ مِثْلُ ذَلِكَ (٤) ؛ ثُمَّ قَالَ : ادْعُ سَبْعِينَ فَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكَوْا ، وَمَا خَرَجَ مِنْهُمْ أَحَدٌ حَتَّى أَسْلَمَ (٥) وَبَايَعَ . قَالَ أَبُو أَيُّوبَ : فَأَكَلَ مِنْ طَعَامِي مِائَةٌ وَثَمَانُونَ رَجُلًا .

وَعَنْ سُمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ : أَبِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقِصْعَةٍ فِيهَا لَحْمٌ ، فَتَعَاقَبُوهَا (٦) مِنْ غَدْوَةٍ حَتَّى اللَّيْلِ ؛ يَقُومُ قَوْمٌ وَيَقْعُدُ آخَرُونَ .

وَمِنْ ذَلِكَ (٧) حَدِيثُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثِينَ وَمِائَةً ؛ وَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ عَجِنَ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ ، وَصُنِعَتْ (٨) شَاةٌ ، فَشَوَى سَوَادُ بَطْنِهَا (٩) ؛ قَالَ : وَابِيمُ (١٠) اللَّهُ ؛ مَا مِنْ الثَّلَاثِينَ وَمِائَةٍ إِلَّا وَقَدْ حَزَّ لَهُ حَزَّةٌ (١١) مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا ؛ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا قِصْعَتَيْنِ ، فَأَكَلْنَا [ مِنْهُمَا ] (١٢) أَجْمَعُونَ ، وَفَضَلَ فِي الْقِصْعَتَيْنِ ، فَحَمَلْتُهُ عَلَى الْبَعِيرِ .

(٢) زهاء : مقدار .

(١) رواه عنه الطبراني ، والبيهقي .

(٣) حتى تركوا : أي شبعوا وتركوا الطعام ، أو الأكل منه .

(٤) اللام في « مثل » ضبطت في الافتحة ، وفي ب بالضم .

(٥) أسلموا وبايعوا لما رأوا من تلك المعجزة ، ولطفه بهم .

(٦) فتعاقبوها : دخل جماعة من الصحابة بعد جماعة .

(٧) هذا الحديث رواه الشيخان في صحيحيهما : صحيح مسلم : ١٦٢٧ ، وصحيح البخاري :

٤ - ٢٣٦ (٨) صنعت شاة : طبخت .

(٩) سواد بطنها : المراد به الكبد خاصة ، أو حشوها مطلقا ، والأول أظهر .

(١٠) وايم الله : قسم .

(١١) حز له حزة : الحز : القطع بالسكين . والحزة - بفتح الحاء ، وتضم : القطعة من

اللحم . وفي صحيح مسلم : إلا حز له رسول الله حزة . . . (١٢) من صحيح مسلم .

وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ (١) عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ الْأَنْصَارِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، وَمِثْلُهُ لِسَلْمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ فَذَكَرُوا مَخْمَصَةً (٢) أَصَابَتْ النَّاسَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ ، فَدَعَا بِبَقِيَّةِ الْأَزْوَادِ (٣) ، فَجَاءَ الرَّجُلُ بِالْحَثِيَةِ (٤) مِنَ الطَّعَامِ ، وَفَوْقَ ذَلِكَ ؛ وَأَعْلَاهُمْ الَّذِي أَتَى بِالصَّاعِ مِنَ التَّمْرِ ؛ فَجَمَعَهُ عَلَى نِطْعٍ (٥) .

قَالَ سَلْمَةُ : فَحَزَرْتُهُ كَرِبْضَةَ (٦) الْعَنْزِ ؛ ثُمَّ دَعَا النَّاسَ بِأَوْعِيَتِهِمْ ، فَمَا بَقِيَ فِي الْجَيْشِ وَعِوَاءٌ إِلَّا مَلْئُوهُ وَبَقِيَ مِنْهُ (٧) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (٨) : أَمَرَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَدْعُوَ لَهُ أَهْلَ الصُّنَّةِ (٩) ، فَتَتَّبِعُهُمْ حَتَّى جَمَعْتُهُمْ ، فَوَضَعْتُ بَيْنَ أَيْدِينَا صَحْفَةً (١٠) ، فَأَكَلْنَا مَا شِئْنَا ، وَفَرَّغْنَا وَهِيَ مِثْلُهَا حِينَ وَضَعْتُ إِلَّا أَنَّ فِيهَا أَثَرَ الْأَصَابِعِ .

(١) رواه ابن سعد ، والبيهقي ، وصححه . طبقات ابن سعد : ١ - ١١٩

(٢) مخمصة : المخمص : الجوع ، والمجاعة .

(٣) ببقية الأزواد : أي طلب من كل رجل منهم أن يأتي بما بقي عنده من زاده .

(٤) الحثية : ما يملأ اليدين معا .

(٥) على نطع : النطع : بساط من جلد . وقد ضبطت النون في كلمة « نطع » بالفتحة والكسرة ، وعليها « معا » في ب .

(٦) فحزرته كريبضة العنز : حزرته : قدرته بطريق الحدس والتخمين . كريبضة العنز :

مقدار جثة عنز باركة على الأرض .

(٧) في هامش ب : ح : قدر ما جعل وأكثر ، ولو ورده أهل الأرض لكفاهم .

(٨) في حديث رواه ابن أبي شيبة والطبراني بسند جيد .

(٩) الصفة : محل مرتفع في الدار والمسجد وغيره مفرز عن غيره للجلوس فيه ؛ وكان في

مسجده صلى الله عليه وسلم محل لذلك ، فيه المنقطعون عنده صلى الله عليه وسلم من فقراء الصحابة الأعراب وغيرهم ؛ كسلمان ، وأبي ذر .

(١٠) صحفة : إناء بين الصغير والكبير يعد للطعام .

وعن علي بن أبي طالب<sup>(١)</sup>، رضى الله عنه : جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم  
بنى عبد المطلب ، وكانوا أربعين ، منهم قومٌ يأكلون الجذعة ، ويشربون الفرق<sup>(٢)</sup> ؛  
فصنع لهم مِداً من طعام ، فأكلوا حتى شَبِعُوا ، وبقي كما هو ؛ ثم دعا بعس<sup>(٣)</sup> ،  
فَشَرِبُوا حتى رَوُوا ، وبقي كأنه لم يُشرب منه .

وقال أنس<sup>(٤)</sup> : إن النبي صلى الله عليه وسلم حين ابنتى بزَيْنَبِ أمره<sup>(٥)</sup>  
أَنْ يَدْعُوَ له قوماً سَمَّاهُمْ ، وكلَّ من لقيت ، حتى امتلأ البيت والحجرة ، وقدم إليهم  
تَوْرًا<sup>(٦)</sup> ، فيه قدرٌ [ ٤ ١ ] مُدٍّ مِنْ تَمْرٍ جُعِلَ حَيْسًا<sup>(٧)</sup> ، فوضعه قُدَّامَهُ ، وغمس ثلاث  
أصابعه ، وجعل القومُ يتغدَّون ويخرجون ، وبقي التَّوْرُ نحواً مما كان<sup>(٨)</sup> ، وكان  
التَّوْمُ أحداً ، أو اثنين وسبعين .

[ وفي رواية أخرى في هذه القصة أو مثلها : إن القوم كانوا زهاء ثلاثمائة<sup>(٩)</sup> ،  
وأنهم أكلوا حتى شَبِعُوا . وقال لي : ارفع ، فلا أدري حين وضعتُ كانت أكثر  
أم حين<sup>(١٠)</sup> رَفَعْتُ .

(١) في حديث رواه أحمد ، والبيهقي بسند جيد .

(٢) الجذعة من البفر واللغم : ماتم له سنة . والفرق - بفتح الراء ، وتكونها : مكيال .  
وفي هامش ب : الفرق : اثنا عشر مداً . وقال أبو الهيثم : هو إناء يأخذ ستة عشر رطلاً ،  
وتلك ثلاثة أصع .

(٣) ثم دعا بعس : العس : قدح من خشب يروى الثلاثة والأربعة . وفي هامش ب : العس :  
الإناء الصغير ، والمراد بعس من لبن طلبه من أهله لهم .

(٤) في حديث رواه الشيخان ؛ واللفظ لمسلم ؛ وقريب منه الحديث الآتي عن أنس ،  
وهو في سنن الترمذى : ٥ - ٣٥٧ (٥) ابنتى بزَيْنَبِ : تزوج بها . أمره : أمر أنسا .

(٦) وقدم إليهم تورا : التور : إناء من صفر أو حجارة ، كالإجانة ، أو القدح الذى  
يشرب منه . (٧) جعل حيساً : الحيس : تمر خلط بسمن وأقط ودقيق .

(٨) نحواً مما كان : لم ينقص نقصاً كثيراً . (٩) زهاء ثلاثمائة : مقدار .

(١٠) هذا حديث طويل في مسلم اختصره المصنف اقتصاراً على محل الشاهد منه .



وفي حديث جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن علي رضي الله عنه<sup>(١)</sup> - أن فاطمة طبخت قدرا لغدائها ووجهت عليا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليتخذى معها ، فأمرها ففرقت منها لجميع نساءه صفحة صفحة<sup>(٢)</sup> ، ثم له صلى الله عليه وسلم ولعلي ، ثم لها ، ثم رفعت القدر ، وإنها لتفيض<sup>(٣)</sup> ؛ قالت : فأكأنا منها ما شاء الله<sup>(٤)</sup> . وأمر<sup>(٥)</sup> عمر بن الخطاب أن يزود أربعمائة راكب من أحمس<sup>(٦)</sup> ؛ فقال : يا رسول الله ، ما هي إلا أضوع<sup>(٧)</sup> . قال : اذهب ؛ فذهب فزودهم منه ، وكان قدر الفصيل الرابض<sup>(٨)</sup> ، من التمر ، وبقي بحاله .  
من<sup>(٩)</sup> ، رواية دكين الأحمسي ، ومن رواية جرير .  
ومثله<sup>(١٠)</sup> من رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه ، إلا أنه قال<sup>(١٠)</sup> : أربعمائة راكب من مزينة .

(١) رواه ابن سعد ( الطبقات : ١ - ١٢٤ ) .

(٢) الصفحة : إناء صغير للطعام .

(٣) وإنها لتفيض : المراد بعد ما غرف من القدر بقيت مخلوطة بطعام كثير يسيل من جوانبها ببركته صلى الله عليه وسلم .

(٤) في هامش ١ : من الأم بخطه ، وليس من الرواية . وفي هامش ب : هذا المعلم عليه من الأم بخطه ، وليس من الرواية .

(٥) في ب : وأمر - وضبط بالبناء للمعلوم ، وبالبناء للمجهول ، وكتب عليه « معا » .

(٦) بزودهم : يعطيهم من الزاد ما يكفيهم . أحمس : اسم قوم من العرب ، وهم بطن من ضبيعة يقال لهم بنو أحمس .

(٧) أضوع : جمع صاع : إناء يشرب فيه ، ومكيال . أي قال عمر : ليس التمر الذي عندي يكفي ، فإنه أضوع قليلة .

(٨) وكان قدر الفصيل : وكان التمر قدر ولد الناقة الصغير المبارك الرابض على الأرض .

(٩) من رواية : أي هذا الحديث من رواية . . . وقد رواه أبو داود في الأدب .

(١٠) أخرجه أحمد ، والبيهقي .

ومن ذلك حديثُ جابر<sup>(١)</sup> في دَيْنِ أَبِيهِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَقَدْ كَانَ بَدَلَ لُغْرَمَاءِ أَبِيهِ أَصْلَ مَالِهِ<sup>(٢)</sup> ، فَلَمْ يَقْبَلُوهُ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي تَمْرِهَا<sup>(٣)</sup> سَنِينَ كَفَافٍ<sup>(٤)</sup> دَيْنِهِمْ ؛ فِجَاهَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَدَّانٍ أَمْرَهُ بِجَدِّهَا<sup>(٥)</sup> ، وَجَعَلَهَا بِيَادِرَ فِي أَصُولِهَا<sup>(٦)</sup> ، فَشَى فِيهَا ، وَدَعَا ، فَأَوْفَى مِنْهُ جَابِرٌ لُغْرَمَاءِ أَبِيهِ ، وَفَضَلَ مِثْلَ مَا كَانُوا يَجِدُونَ<sup>(٧)</sup> كُلَّ سَنَةٍ .

وفي روايةٍ مِثْلُ مَا أُعْطَاهُمْ ؛ قَالَ : وَكَانَ الْغُرْمَاءُ يَهُودًا ؛ فَعَجَبُوا مِنْ ذَلِكَ . وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ<sup>(٨)</sup> رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَصَابَ النَّاسَ نَخْمَةٌ<sup>(٩)</sup> ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ مِنْ شَيْءٍ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ؛ شَيْءٌ مِنَ التَّمْرِ فِي الْمِزْوَدِ<sup>(١٠)</sup> . قَالَ : فَأَتَيْتَنِي بِهِ . فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَأَخْرَجَ قَبْضَةً ، فَبَسَطَهَا وَدَعَا بِالْبَرَكَاتِ ؛ ثُمَّ قَالَ : ادْعُ عَشْرَةَ . فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ، ثُمَّ عَشْرَةَ كَذَلِكَ ، حَتَّى أَطْعَمَ الْجَيْشَ كُلَّهُمْ وَشَبِعَهُمْ . قَالَ : خُذْ مَا جِئْتَ بِهِ ، وَأَدْخُلْ بِدَكَ ، وَاقْبِضْ مِنْهُ وَلَا تَكْتَبْ . فَقَبِضْتُ عَلَى أَكْثَرِ مِمَّا جِئْتُ بِهِ ؛ فَأَكَلْتُ مِنْهُ وَأَطْعَمْتُ حَيَاةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَبَى بَكْرٌ ، وَعُمَرُ ، إِلَى أَنْ قُتِلَ عُمَانٌ ، فَانْتَهَبَ مِنِّي<sup>(١١)</sup> ، فَذَهَبَ .

- (١) هذا الحديث رواه البخاري : صحيح البخاري : ٤ - ٢٣٥ ، ٥ - ١٢٣ .  
 (٢) قال في نسيم الرياض (٣ - ٤٠) : أراد بأصل ماله : بستانا ونخله له كان يتقوت منه .  
 (٣) في تمرها : أي في تمر النخيل .  
 (٤) كفاف : ما يفي به ويكفيه .  
 (٥) بجدها : بقطع الثمار وجمعها .  
 (٦) بيادر : جمع بيدر ، وهو الموضع الذي يوضع فيه التمر لينشف ، والبر ونحوه ليخلص من تبته ، والكوم من الطعام والخنطة . والبيدر : الجرن . في أصولها : أي جعلها كوما كوما في أصول الثمار ، وهي النخل ، والمراد أنه كومه في حديقة نخله . وفي ١ : جعلها - فعل ماض .  
 (٧) ما كانوا يجدون : ما كانوا يقطعون من ثمارها . (٨) في حديث رواه البيهقي مسندا .  
 (٩) نخمة : جوع ، أو مجاعة .  
 (١٠) في المزود : المزود : وعاء الزاد .  
 (١١) انتهب مني : أي نهبه الناس ، وأغاروا عليه في زمن الفتنة ، وسلبوه .

وفي رواية<sup>(١)</sup> : فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق<sup>(٢)</sup> في سبيل الله -  
وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك ، وأن التمر كان يضع  
عشرة تمر .

ومنه أيضا حديث أبي هريرة<sup>(٣)</sup> حين أصابه الجوع ، فاستتبعه<sup>(٤)</sup> النبي صلى الله  
عليه وسلم ، فوجد لبنا في قدح قد أهدى إليه ، وأمره أن يدعو أهل الصفة .  
قال : قلت : ما هذا اللبن فيهم<sup>(٥)</sup> ؟ كنت أحمق أن أصيب منه شربة أتقوى  
بها . فدعوتهم .

وذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم له أن يسقيهم ، فجعلت أعطى الرجل فيشرب  
حتى يروى ، ثم يأخذه الآخر حتى يروى جميعهم .  
قال : فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح ، وقال : بقيت أنا وأنت ، أقعد  
فاشرب فشربت ، ثم قال : اشرب ، وما زال يقولها وأشرب حتى قلت : لا ،  
والذي بعثك بالحق ، ما أجده<sup>(٦)</sup> مسككا [ ١٠٥ ] ؛ فأخذ القدح فحمد الله وسمى  
وشرب الفضلة .

(١) رواها الترمذي في سننه وخصنها ، عن أبي هريرة : سنن الترمذي ٥ - ٦٨٥

(٢) الوسق : حمل بعير . في سبيل الله : أي في أسفار غازيا .

(٣) رواه البخاري صحيح البخاري : ٦ - ١٢٠

(٤) فاستتبعه : طلب منه أن يتبعه .

(٥) ما هذا اللبن فيهم : ما مقداره القليل كاف لهم .

(٦) لا أجده مسككا : أي لم يبق في جوفى محلا خاليا يدخله .

وفي ب : ما أجده . وفي هامشه : لا أجده .

وفي حديث<sup>(١)</sup> خالد بن عبدالمزى أنه أجزر<sup>(٢)</sup> النبي صلى الله عليه وسلم شاةً ، وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبدي<sup>(٣)</sup> عياله عظاماً عظماً<sup>(٤)</sup> ؛ وإن النبي صلى الله عليه وسلم أكل من هذه الشاة وجعل فضلها في دلو خالد<sup>(٥)</sup> ، ودعا له بالبركة ، فنثر ذلك لعياله ، فأكلوا وأفضلوا<sup>(٦)</sup> . ذكر خبره الدؤلابي .

وفي حديث الأجرى في إنكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلی فاطمة - أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بلالاً بقصعة<sup>(٧)</sup> من أربعة أمدادٍ أو خمسة ، ويذبح جزورا<sup>(٨)</sup> لوليئها<sup>(٩)</sup> . قال : فأنته بذلك فطعن في رأسها ، ثم أدخل الناس روفة روفة<sup>(١٠)</sup> يأكلون منها حتى فرغوا ، وبقيت منها فضلة ؛ فبرك فيها ، وأمر بحملها إلى أزواجه ؛ وقال : كلن وأطعمن من غشيكن<sup>(١١)</sup> .

وفي حديث أنس<sup>(١٢)</sup> : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصنعت أمتي

(١) رواه البيهقي مسندا عنه ، ولم يذكره أصحاب الكتب السنة .

(٢) أجزره : أعطاه جزرة ، وهي شاة أو نعجة أو كبش أو عرز ، تعطى لتجزر ؛

أي تذبح .

(٣) لا تبدي عياله : يعني أن الشاة إذا فرقت عليهم لا تكفيهم . وفي هامش ١ : أبد الطعام ،

إذا أعطى كل واحد نصيبه على حدة .

(٤) عظما عظما : أي إذا فرقت عليهم قطعة قطعة وعظمة بعد عظمة لا تكفيهم لكثرتهم .

(٥) دلو خالد : الدلو : وعاء من آدم يستقى به الماء .

(٦) وأفضلوا : أي أبقوا بقية زادت على كفايتهم .

(٧) بقصة : أن يأتي بقصة .

(٨) الجزور : رأس من الإبل ناقة أو جملا .

(٩) الوليعة : الدعوة لطعام يصنع في النكاح خاصة .

(١٠) روفة روفة : جماعة بعد جماعة .

(١١) من غشيكن : أي كل من يأتي إليكن من غير أهل البيت .

(١٢) سنن الترمذي : ٥ - ٣٥٧

أُمُّ سُلَيْمٍ حَيْسًا ، فُجِعَلَتْهُ فِي تَوْرِ (١) ، فَذَهَبَتْ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛  
فَقَالَ : ضَعُهُ ، وَادْعُ لِي فَلَانًا وَفَلَانًا ، وَمَنْ لَقَيْتَ .

فَدَعَوْتُهُمْ ، وَلَمْ أَدْعُ أَحَدًا (٢) لَقَيْتُهُ إِلَّا دَعْوَتَهُ ؛ وَذَكَرَ أَنَّهُمْ كَانُوا زُهَاءً (٣)  
ثَلَاثُمِائَةٍ حَتَّى مَلَتْوَا الصَّفَةَ وَالْحِجْرَةَ (٤) ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تَحَلَّقُوا  
عَشْرَةَ عَشْرَةَ (٥) ، وَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى الطَّامَامِ ، فَدَعَا فِيهِ ، وَقَالَ  
مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ؛ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِبُوا كُلُّهُمْ ، فَقَالَ لِي : ارْفَعْ ، فَمَا أَدْرَى حِينَ  
وُضِعَتْ (٦) كَانَتْ (٧) أَوْ كَثُرَ أَمْ حِينَ رُفِعَتْ .

وَأَكْثَرُ أَحَادِيثِ هَذِهِ الْفُصُولِ الثَّلَاثَةِ فِي الصَّحِيحِ (٨) . وَقَدْ اجْتَمَعَ عَلَى مَعْنَى  
حَدِيثِ هَذَا الْفَصْلِ بَضْعَةَ عَشْرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ، رَوَاهُ عَنْهُمْ أَضْعَافُهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ ، ثُمَّ  
مَنْ لَا يَنْعَدُ بَعْدَهُمْ .

وَأَكْثَرُهَا فِي قِصَصِ مَشْهُورَةٍ ، وَتَجَامِعَ مَشْهُودَةٍ ؛ وَلَا يُمْكِنُ التَّحَدُّثُ عَنْهَا  
إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا يَسْكُتُ الْحَاضِرُ لَهَا عَلَى مَا أَنْكَرَ مِنْهَا .

(١) الجيس : طعام من لبن وأقط وتمر وسمن يحاس ؛ أى يخلط بعضه ببعض .

والدور : إناء من صفر أو حجارة واسع رحراح كالصينية القرية القمر .

(٢) ولم أدع أحدا : لم أترك أحدا .

(٣) زهاء : مقدار .

(٤) الصفة : موضع مظال قدام البيت ، أو دكة عليّة فيه . والحجرة : البيت الصغير

المفرز من اللدار

(٥) تحلقوا : استديروا حول الطامام كالحلقة ، طائفة بعد طائفة من غير ازدحام .

وفي الترمذي : ليتحلق عشرة عشرة .

(٦) هذا الضبط في ا ، وفي ب ضبط بفتح الواو وضم التاء .

(٧) في ب : كان .

(٨) الفصول الثلاثة : أى نبع الماء من بين أصابعه ، وانفجاره بدعوته ، وتكثير الطامام

ببركته - في الصحيح : من الأحاديث وكتبها المتعمدة .

## فصل

في كلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته

حدثنا (١) أحمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما أجازنيه عن أبي عمر  
الطلمنكي (٢) ، عن أبي بكر بن المهندس ، عن أبي القاسم البغوي ، حدثنا أحمد  
ابن عمران الأخذسي ، حدثنا أبو حيان التميمي - وكان صدوقا - عن مجاهد ، عن ابن عمر ،  
قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره ، فدنا منه أعرابي ، فقال :  
يا أعرابي ، أين تريد ؟ قال : إلى أهلي . قال : هل لك إلى خير ؟ قال : وما هو ؟  
قال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله .  
قال : من يشهد لك على ما تقول ؟ قال : هذه الشجرة السمرة (٣) ، وهي بشاطئ  
الوادي (٤) ، وادعها فإنها تجيبك (٥) .

فأقبلت تحمداً الأرض (٦) حتى قامت بين يديه ، فاستشهدها (٧) ثلاثاً ، فشهدت

أنه كما قال ، ثم رجعت إلى مكانها .

وعن بريرة (٨) : سأل أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آيةً ، فقال له : قل لتلك

الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك .

(١) رواه البيهقي ، والبرار ، والدارمي مسنداً عن ابن عمر .

(٢) هذا الضبط في شرح الشهاب : ٣ - ٤٧ ، ولب اللباب : ١٦٩ ، قال السيوطي :

بفتحات وسكون الون ، نسبة إلى طلمنكة : مدينة بالأندلس . وقال القاري ( ١ - ٦١٥ ) :

للمنكي : بتشديد لام مفتوحة فميم مفتوحة ونون ساكنة .

(٣) السمرة : شجرة عظيمة ذات شوك .

(٤) شاطئ الوادي : جانبه وطره . والوادي : الأرض الواسعة المستوية .

(٥) هذا في ب ؛ وفي أ : فادعها فإنها تجيب . (٦) تحمداً الأرض : تشقها .

(٧) استشهدها ثلاثاً : طلب منها أن تشهد ثلاث مرات .

(٨) في حديث رواه البرار مسنداً .

قال: فالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها، فتقطعت عروقها، ثم جاءت [١٠٦] تخذ الأرض تجرع عروقها مُفَبَّرَةً<sup>(١)</sup> حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: السلام عليك يا رسول الله.

قال الأعرابي: مرها فلترجع إلى منبئتها، فرجعت، فدلّت عروقها فاستوت<sup>(٢)</sup>. فقال الأعرابي: ائذن لي أسجد لك.

قال: لو أمرت أحدا أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها.

قال: فأذن لي أن أقبل يديك ورجليك؛ فأذن له.

وفي الصحيح - في حديث جابر بن عبد الله الطويل<sup>(٣)</sup>: ذهب رسول الله صلى

الله عليه وسلم يقضي حاجته، فلم ير شيئا يستتر به، فإذا بشجرتين في شاطئ الوادي،

فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداهما، فأخذ بفصن من أغصانها،

فقال: انقادى على<sup>(٤)</sup> بإذن الله؛ فانقادت معه كالبعير المخشوش<sup>(٥)</sup> الذي يصانع

قائده<sup>(٦)</sup>.

وذكر أنه فعل بالأخرى مثل ذلك، حتى إذا كان بالمنصف<sup>(٧)</sup> بينهما قال:

التثما على بإذن الله؛ فالتثمتا<sup>(٨)</sup>.

(١) بتشديد الراء. وفي ب: بتشديد الباء.

(٢) دلت عروقها: أدخلتها في الأرض. فاستوت: انتصبت قائمة من غير ميل بها.

(٣) هذا الحديث في صحيح مسلم: ٢٣٠٦ (٤) انقادى على: طاوعيني وميلى على.

(٥) كالبعير المخشوش: المخشوش: الذي يوضع في أنفه خشاش. والبعير الذي يعسر قوده

يخرق أنفه ويوضع فيه شيء يذلل به؛ فإن كان عودا من خشب فهو خشاش، وإن كان مفتولا

من وبر ونحوه فهو خزام، وإن كان من نحاس ونحوه فهو برة.

(٦) يصانع قائده: المراد به الملاينة وسهولة الانقياد.

(٧) بالمنصف: أى في وسط المكان، أى نصف المسافة. والضبط في ب، وصحيح مسلم.

وضبط في ا بضم اليم. (٨) التثما: انضما واجتمعا.

وفي روايةٍ أخرى : فقال : يا جابرُ ؛ قُلْ لهذه الشجرةِ : يقول لك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اَلْحَقِي بِصَاحِبَتِكَ <sup>(١)</sup> حتى أَجْلِسَ خَلْفَكَ كما . ففعلتُ ، فرجعتُ حتى لَحِقْتُ بِصَاحِبَتِهَا فجلَسَ خَلْفَهُمَا ، فخرَجْتُ أُحْضِرُ <sup>(٢)</sup> ؛ وجلستُ أُحَدِّثُ نَفْسِي ، فالتفتُ فإذا برسولِ الله صلى الله عليه وسلم مُقْبِلًا والشجرتانِ قد افتترقتا ، فقامت كلُّ واحدةٍ منهما على ساقٍ ، فوقف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وَرَفَّةً ، فقال برأسه هكذا <sup>(٣)</sup> يميناً وشمالاً .

ورَوَى أُسَامَةُ <sup>(٤)</sup> بن زَيْدٍ نَحْوَهُ ؛ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في بعضِ مَغَازِيهِ ، هل تَعْنِي <sup>(٥)</sup> مكاناً لِحَاجَةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقلتُ : إن الوادِي ما فيه موضعٌ بالناسِ <sup>(٦)</sup> . فقال : هل ترى من نَخْلٍ أو حِجَارَةٍ ؟ قلتُ : أرى نَخْلَاتٍ مَتَقَارِبَاتٍ . قال : انطلق وقلْ لهنَّ : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يأمرُكنَّ أنْ تَأْتِيَنَ لِمَخْرَجِ رسولِ الله <sup>(٧)</sup> صلى الله عليه وسلم ، وقلْ للحجارةِ مِثْلَ ذَلِكَ .

فقلتُ ذلكَ لهنَّ ؛ فوالذي بعثه بالحق ، لقد رأيتُ النخلاتِ يتقاربنَ حتى اجتمعنَ ، والحجارةُ يتعاقدنَ حتى يصرنَ رُكَّامًا <sup>(٨)</sup> خلفهنَّ .

- (١) الحقى بصاحبتك : تحركى واذهبي حتى تكوني مع الشجرة الأخرى .  
 (٢) أحضر : أسرع في العدو . وفي هامش ب : أحضر : معناه : أسرع في الشيء .  
 (٣) فقال برأسه : حركة هكذا .  
 (٤) في حديث أخرجه البيهقي في الدلائل ، وأبو يعلى بسند حسن . (٥) تعني : تقصد .  
 (٦) ما فيه موضع بالناس : أي ما فيه موضع خال بسبب نزول الناس ؛ فهو مملوء بهم . وقال القاري : ( ١ - ٦١٧ ) : إن الوادى ما فيه موضع بالناس ؛ أي ليس فيه مكان مستقر بهم ؛ بل كله خال عنهم .  
 (٧) لمخرج رسول الله : أي لمكان يخرج إليه الرسول لقضاء حاجته .  
 (٨) يتعاقدن : ينضم بعضها إلى بعض حتى يصرن كالبنيان للعقود بعضه ببعض . ركاماً : بعضها فوق بعض . خلف النخلات ؛ يعني أن الحجارة اجتمعت مع النخل .



فلما قضى حاجته قال لي : قل لمن يفتقرن ، فوالذي نفسي بيده رأيتهم  
والحجارة - يفتقرن حتى عدن إلى مواضعهم .

وقال يعلى بن سيابة<sup>(١)</sup> : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير . . .  
وذكر نحواً من هذين الحديثين ، وذكر : فأمر ودَّيْتَيْن<sup>(٢)</sup> فانضمتا . وفي رواية :  
أشَاءَتَيْن<sup>(٣)</sup> .

وعن غيَّالان بن سلامة الثقفي مثله : في شجرتين .

وعن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة حنين .

وعن يعلى بن مرة - وهو ابن سيابة<sup>(١)</sup> - أيضاً ، وذكر أشياء رآها من رسول  
الله صلى الله عليه وسلم ؛ فذكر أن طلحة أو سمرة<sup>(٤)</sup> جاءت فأطافت<sup>(٥)</sup> به ،

(١) في حديث صحيح رواه أحمد (مسند أحمد : ٤ - ١٧٠) ، والبيهقي ، والطبراني .  
وقد ضبطت السين في سيابة بالفتحة والكسرة في ١ ، وعليها «مما» . وفي الإكمال (٣ - ٢٩٠) :  
سيابة - بسين موهلة بعدها ياء مفتوحة معجمة باثنتين من تحتها وبعد الألف باء معجمة بواحدة .  
وفي الاستيعاب : ٦٩١ ، والإصابة ٢ - ١٠١ ، بكسر أوله والتخفيف ، وبعد الألف موحدة .  
وفي التبصير ( ١٣٤ ) : بمهولة مكسورة . وكذلك ضبطت السين في المؤلف لمبد الفنى بن سعيد  
بالكسر . وضبطه في القاموس بفتح أوله .

ويعلى بن سيابة أبوه اسمه مرة ، أما سيابة فهو اسم أمه .

(٢) الودية : من صغار النخل التي تخرج من أصول كبارها ، فتنتقل وتفرس ، وتسمى  
فسيلا وفراخا . وفي هامش ١ : الودي : صغار النخل ، واحدها ودية ، وكذلك الأشاء ،  
واحدها أشاءة .

(٣) أشاءَتَيْن : مثنى أشاءة ؛ وهي من صغار النخل أيضاً ، لكنها أكبر من الودية  
(شرح الشهاب) .

(٤) طلحة ، أو سمرة : نوعان من شجر البرية ذات شوك .

(٥) فأطافت به : دارت حوله ، وألت به .

ثم رجعت إلى منبئتها<sup>(١)</sup> ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنها استأذنت  
أن تسلم<sup>(٢)</sup> علي .

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه<sup>(٣)</sup> : آذنت<sup>(٤)</sup> النبي صلى الله  
عليه وسلم بالجن ليلة [ ١٠٧ ] استمعوا له - شجرة .

وعن مجاهد ، عن ابن مسعود في هذا الحديث<sup>(٥)</sup> : إن الجن قالوا : من يشهد  
لك؟ قال : هذه للشجرة . تعالني يا شجرة ؛ فجاءت تجرُّ عروقها لها قعاقع<sup>(٦)</sup> . . .

وذكر مثل الحديث الأول أو نحوه .

قال القاضي أبو الفصّل<sup>(٧)</sup> : فهذا ابن عمر ، وبريدة ، وجابر ، وابن مسعود ،  
ويعلّى بن مُرّة ، وأسامة بن زيد ، وأنس بن مالك ، وعلي بن أبي طالب ،  
وابن عباس ، وغيرهم - قد اتفقوا على هذه القصة نفسها أو معناها .

وقد رواها عنهم من التابعين أضعافهم ؛ فصارت في انتشارها من القوة حيث

هي<sup>(٨)</sup> .

(١) إلى منبئتها : موضعها الأول الذي نبتت فيه .

(٢) قال في نسيم الرياض : المعنى أنها طلبت من الله تعالى أن يعطيها قدرة كقدرة  
العقلاء من المشي إليه والسلام عليه .

(٣) رواه الشيخان مسندا - صحيح مسلم : ٣٣٣

(٤) آذنت : أعلمت ، والفاعل كلمة شجرة الآتية بعد . بالجن : أي بحضورهم عنده صلى  
الله عليه وسلم ، واستماعهم منه القرآن ، في الليلة التي استمعوا قراءته .

(٥) رواه الشيخان - صحيح مسلم : ٣٣٣

(٦) قعاقع : صوت قوى كصوت الرحا ؛ وهو جمع قمعة ؛ وهي حكاية صوت الحركة من  
الأجرام الصلبة .

(٧) هو المصنف . وفي ب : قال المؤلف رحمه الله .

(٨) حيث هي : صارت في مرتبة قوية لا يشك فيها أحد من العقلاء .

وذكر ابن فورك أنه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف (١) ليلاً وهو  
وسن (٢) ، فاعترضته سدرية ، فانفرجت له نصفين حتى جاز (٣) بينهما ، وبقيت على  
ساقين إلى وقتنا [ هذا ] (٤) ؛ وهي هناك معروفة مَعْظَمَة .

ومن ذلك (٥) حديث أنس رضي الله عنه - أن جبريل عليه السلام قال للنبي  
صلى الله عليه وسلم - وراه حزينا (٦) : أتحب أن أريك آية ؟ قال : نعم . فنظر رسول  
الله صلى الله عليه وسلم إلى شجرة من وراء الوادي ، فقال : ادع تلك الشجرة ،  
فجاءت (٧) تمشي حتى قامت بين يديه .

قال : مرها فلترجع ، فعادت (٨) إلى مكانها .

وعن علي بن محرز هذا (٩) ؛ ولم يذكر فيها جبريل ؛ قال : اللهم أرني آية لا أبالي  
من كذبتني بعدها ، فدعا شجرة . . . وذكر مثله .

(١) الطائف : اسم بلدة قريبة من مكة كثيرة المياه والأشجار ، وهذه الغزوة كانت في  
السنة الثامنة من الهجرة .

(٢) وسن : الوسن : قريب من النعاس .

(٣) جاز : مر ، وسار .

(٤) في ب عليها علامة الصحة ، وهي ساقطة في أ .

(٥) ومن ذلك : ومن معجزاته . وحديث أنس رواه الدارمي ، وابن ماجه ، والبيهقي .

والحديث في سنن ابن ماجه : ١٣٣٦

(٦) حزينا : كان حزينا لعدم إطاعة قومه له في أول البعثة ، إذ عرض نفسه على القبائل .

وفي ابن ماجه : وهو جالس حزين قد خضب بالدماء ، قد ضربه بعض أهله مكة ، فقال : مالك ؟

قال : فعل بي هؤلاء وفعلوا . قال : أتحب . . .

(٧) في سنن ابن ماجه : فدعاها فجاءت . . .

(٨) في سنن ابن ماجه : فقال لها فرجمت .

(٩) في نسيم الرياض ( ٣ - ٥٨ ) : قال السيوطي : لم أجده عن علي ، وإنما هو عن جابر

رضي الله عنه .

وَحُزْنُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَتَكْذِيبِ قَوْمِهِ وَطَلْبِهِ الْآيَةَ لَهُمْ لَا لَهُ (١) .  
 وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ (٢) أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَى رُكَاةً مِثْلَ هَذِهِ  
 الْآيَةِ فِي شَجَرَةٍ دَعَاها فَأَتَتْ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ ثُمَّ قَالَ : ارْجِعِي ، فَرَجَعْتُ .  
 وَعَنْ الْحَسَنِ (٣) أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَكَا إِلَى رَبِّهِ مِنْ قَوْمِهِ وَأَنَّهُمْ يَخَوِّفُونَهُ (٤) ؛  
 وَسَأَلَهُ آيَةَ يَعْلَمُ بِهَا إِلَّا مَخَافَةَ عَلَيْهِ ؛ فَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنْتِ وَاِدِي كَذَا فِيهِ شَجَرَةٌ ، فَادْعِي  
 عُصْنًا مِنْهَا بِأَتِكَ . فَفَعَلَ ؛ فَجَاءَ يَخْطُ الْأَرْضَ خَطًّا (٥) حَتَّى انْتَصَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ (٦) ،  
 فَجَبَسَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : ارْجِعِي كَمَا جِئْتِ ، فَرَجَعْتُ ؛ فَقَالَ : يَا رَبِّ ؛ عَلِمْتُ  
 أَنَّ لَا مَخَافَةَ عَلَيَّ .

وَنَحْوُ مِنْهُ عَنْ عُمَرَ (٧) ؛ وَقَالَ فِيهِ : أَرِنِي آيَةَ لَا أُبَالِي مَنْ كَذَّبَنِي بَعْدَهَا . . .  
 وَذَكَرَ نَحْوَهُ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (٨) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَعْرَابِيٍّ :  
 أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ هَذَا الْعِدْقَ (٩) مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ،

(١) لَهُمْ : أَيُّ لِقَوْمِهِ الْمَكْذِبِينَ . لَا لَهُ : لِأَنَّهُ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَمْرِهِ ، وَعَلِمَهُ بِقُدْرَةِ رَبِّهِ .  
 وَانظُرِ الْهَامِشَ رَقْمَ ٦ فِي الصَّفْحَةِ السَّابِقَةِ .

(٢) مِمَّا رَوَاهُ فِي السِّيْرَةِ ، وَرَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ ، وَابِيهَيْقَى .

(٣) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ ابِيهَيْقَى .

(٤) إِنَّمَا شَكَا ذَلِكَ لِأَنَّهُ خَافَ الْقُصُورَ فِي تَبْلِيغِ مَا أُرْسِلَ بِهِ . وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ ، وَقَبْلَ

نَزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَاللَّهُ يَعصَمُكَ مِنَ النَّاسِ » .

(٥) يَخْطُ الْأَرْضَ : بِشَقِّهَا شَقًّا .

(٦) انْتَصَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ : قَامَ مُنْتَصِبًا عِنْدَهُ .

(٧) رَوَاهُ الْبِزَارُ ، وَأَبُو يَعْلَى ، وَابِيهَيْقَى بِسَنَدٍ حَسَنٍ . وَفِي ب : عَنْ عُمَرَ . وَفِي أ : عَنْ عُمَرَ وَ

(٨) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ ، وَالدَّارِمِيُّ ، وَابِيهَيْقَى مُسْنَدًا .

(٩) الْعِدْقُ : هُوَ الْعَرَجُونَ مِنَ النَّخْلَةِ وَشَمَارِيخِهَا .

فدعاه فجعل يَنْقِرُ<sup>(١)</sup> حتى أتاه . فقال : ارجع ؛ فعادَ إلى مكانه .  
وخرَّجه الترمذی<sup>(٢)</sup> ، وقال : هذا حديثٌ صحيحٌ .

## فصل

### في قصة حنين الجذع

ويعضد<sup>(٣)</sup> هذه الأخبارَ حديثُ أنين<sup>(٤)</sup> الجذعِ ، وهو<sup>(٥)</sup> في نفسه مشهورٌ  
مُنْتَشِرٌ ، والخبرُ به متواترٌ ، قد خرَّجه أهلُ الصحيح<sup>(٦)</sup> ، ورواهُ من الصحابةِ  
بضعةَ عشرَ ؛ منهم أنسُ بن كعب ، وجابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك ، وعبدُ الله  
ابن عمر ، وعبدُ الله بن عباس ، وسهلُ بن سعد ، وأبو سعيد الخدري ، وبريدة ،  
وأم سلمة ، والمطلب بن أبي وداعة ، كلُّهم يُحدِّثُ بمعنى هذا الحديث .

قال الترمذی : وحديثُ أنس<sup>(٧)</sup> صحيحٌ .

قال جابر بن عبد الله [ ١٠٨ ] : كان المسجدُ<sup>(٨)</sup> مسقوفاً على جذوعِ نخْلِ ؛  
فكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا خطبَ يقومُ<sup>(٩)</sup> إلى جذعِ منها ؛ فلما صُنِعَ له  
المنبرُ سمعنا لذلك الجذعِ صوتاً كصوتِ العِشَارِ<sup>(١٠)</sup> .

(١) ينقر : يثبُ صعداً . وروى هذا الحديثُ مفصلاً البيهقي ؛ وقال : إن هذا الأعرابي  
من بني عامر . (٢) في سنن الترمذی : ٥ - ٥٩٤ (٣) ويعضد : يقوى ويؤيد .  
(٤) الأنين : صوت المريض ، والآنين والحنين متقاربان . وقيل : الأنين فيه زيادة  
امتداد الصوت . (٥) وهو : أي حديث الجذع . والجذع : أصل الشجرة .  
(٦) كالبخاري ، ومسلم : صحيح البخاري : ٤ - ٢٣٧ (٧) سنن الترمذی : ٥ - ٥٩٤  
(٨) كان المسجد : أي مسجد الرسول بالمدينة . والحديث في ابن ماجه : ٤٥٥ ،  
وصحيح البخاري : ٤ - ٢٣٧ (٩) يقوم مستنداً .

(١٠) كصوت العِشَارِ : العِشَارُ : الناقة التي أتى على حماتها عشرة أشهر ، وزال عنها اسم  
المخاض ، ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد وضعها أيضا . والمراد خوارها حين وضعها أو  
عقبه بمزاعا لولدها إذا لم تره .

وفي رواية أنس : حتى ارتجَّ المسجدُ بخواره <sup>(١)</sup> .  
 وفي رواية سهل : وكثُرُ بكاءُ الناسِ لِمَا رَأَوْا به .  
 وفي رواية المطلب [ وأبي ] <sup>(٢)</sup> : حتى تصدَّع وانشقَّ ، حتى جاء النبيُّ صَلَّى اللهُ  
 عليه وسلم ، فوضع يدهُ عليه فسكتَ .  
 زاد غيره : فقال النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم : إنَّ هذا بكى لِمَا فَقَدَ مِنَ اللَّهِ كَرِيحًا <sup>(٣)</sup> .  
 وزاد غيره : والذي نَفَسِي بيده : لو لم أَلْتَزِمَهُ <sup>(٤)</sup> لم يزل هكذا إلى يوم القيامة ؛  
 تَحْزِنًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ <sup>(٥)</sup> صَلَّى اللهُ عليه وسلم ؛ فَأَمَرَ بِهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم فَدُفِنَ  
 تَحْتَ الْمَنْبَرِ .

كذا في حديث المطلب ، وسهل بن سعد ؛ وإسحاق ؛ عن أنس .  
 [ وفي بعض الروايات عن سهل : فدُفِنَتْ تَحْتَ مَنْبَرِهِ ، أو جُمِلَتْ فِي السَّقْفِ ] <sup>(٦)</sup> .  
 وفي حديث أبي : فكان إذا صَلَّى النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم صَلَّى إِلَيْهِ <sup>(٧)</sup> ؛  
 فَلَمَّا هُدِمَ الْمَسْجِدُ <sup>(٨)</sup> أَخَذَهُ أَبِي ، فَكَانَ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ أَكَلَتْهُ الْأَرْضُ ، وَعَادَ رُفَانًا <sup>(٩)</sup> .  
 وذكر الإسفرايني <sup>(١٠)</sup> أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم دَعَا إِلَى نَفْسِهِ ، فَجَاءَ بِمَخْرَقِ  
 الْأَرْضِ <sup>(١١)</sup> ، فَالْتَزَمَهُ <sup>(١٢)</sup> ، ثُمَّ أَمَرَ فَعَادَ إِلَى مَكَانِهِ .

- (١) الحوار في الأصل يختص بصياح البقر ، ثم توسعوا فيه في أصوات جميع البهائم .  
 (٢) ليس في ١ .  
 (٣) من الذكر : المراد بالذكر ذكر الله ، أو الموعدة ، أو القرآن . وفي ١ : لجواره ، حواره ،  
 وكتب عليها فيما « معا » . والحوار : رفع الصوت بالدعاء والتضرع والاستغاثة .  
 (٤) التزمه : إذا اعتنقه وضمه .  
 (٥) على رسول الله : على مفارقتة .  
 (٦) كتب أمام هذه العبارة في هامش ١ ، ب : من الام بخطه من غير الرواية .  
 (٧) صلى إليه : استقبله ، وجعله كالسترة للمصلي من المارين .  
 (٨) هدم المسجد : هدمه كان في زمن عمر رضي الله عنه .  
 (٩) وعاد رفانا : عاد : صار . رفانا : متكسرا متفرقا . (١٠) واللباب .  
 (١١) يخرق الأرض : يشقها بمشيئه فيها . (١٢) فالتمه : اعتنقه وضمه .

وفي حديث بُرَيْدَةَ : فقال - يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ شِئْتَ أَرُدُّكَ إِلَى الْحَائِطِ <sup>(١)</sup> الَّذِي كُنْتَ فِيهِ تَنْبِتُ لَكَ عِرْوَقَكَ ، وَبِكُمُلْ خَلْقُكَ ، وَبُجْدَدُكَ خَوْصٌ وَثَمْرَةٌ <sup>(٢)</sup> ؛ وَإِنْ شِئْتَ أَغْرِسْكَ فِي الْجَنَّةِ ، فَيَأْكُلُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ مِنْ ثَمَرِكَ ؛ ثُمَّ أَصْفَى لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَمْعٍ مَا يَقُولُ .  
فَقَالَ : تَغْرِسْنِي فِي الْجَنَّةِ ، فَيَأْكُلُ مِنِّي أَوْلِيَاءُ اللَّهِ ، وَأَكُونُ فِي مَكَانٍ لَا أُبْلَى فِيهِ .

فَسَمِعَهُ مَنْ يَلِيهِ <sup>(٣)</sup> .

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَدْ فَعَلْتُ ؛ ثُمَّ قَالَ : اخْتَارَ دَارَ الْبَقَاءِ عَلَى دَارِ الْفَنَاءِ .

فَمَكَانَ الْحَسَنِ <sup>(٤)</sup> إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا بَيْكِي ، وَقَالَ : يَا عِبَادَ اللَّهِ ؛ الْخَشْبَةُ <sup>(٥)</sup> تَمُحِنُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَوْقًا إِلَيْهِ لِمَكَانِهِ ؛ فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَشْتَأَقُوا إِلَى لِقَائِهِ .  
رَوَاهُ - عَنْ جَابِرٍ - حَفْصُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَيُقَالُ : عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ حَفْصٍ ، وَأَيْمَنُ ، وَأَبُو نَضْرَةَ ، وَابْنُ الْمُسَيْبِ ، وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي كَرِيبٍ ، وَكَرِيبُ بْنُ أَبِي كَرِيبٍ ، وَأَبُو صَالِحٍ .  
وَرَوَاهُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ الْحَسَنُ ، وَثَابِتٌ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ .  
وَرَاهُ عَنْ ابْنِ عُمرٍ : نَافِعٌ ، وَأَبُو حَيَّةٍ ؛ وَرَوَاهُ أَبُو نَضْرَةَ ، وَأَبُو الْوَدَّاعِ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، وَعُمَرُ بْنُ أَبِي عَمَّارٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَأَبُو حَازِمٍ ، وَعَبَّاسُ بْنُ سَهْلٍ ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ، وَكَثِيرُ بْنُ زَيْدٍ عَنِ الْمُطَّلَبِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ ، وَالطُّفَيْلُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ .

(١) الحائط : البستان الذي فيه الشجر والنخل .

(٢) أي تمود لك خلقتك بتامها ونضارتها .

(٣) من يليه : من يقرب منه . (٤) الحسن : هو الحسن البصري .

(٥) الخشبة : يريد هذا الجذع .

قال القاضي أبو الفضل (١) : فهذا حديثٌ كما تراه خرَّجه أهلُ الصحة ، ورواه من الصحابة مَنْ ذكرنا ، وغيرهم من التابعين ضعفهم ، إلى مَنْ لم نذكره ؛ وبمن (٢) دونَ هذا الغددِ يقع (٣) العلمُ لِمَنْ اعتنى بهذا الباب . واللهُ المُنبتُّ على الصواب .

## فصل

ومِثْلُ هذا في سائر الجمادات (٤) :

[ ١٠٩ ] حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التَّمِيمِي ، حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن المرابط ، حدثنا المهلب ، حدثنا أبو القاسم ، حدثنا أبو الحسن القاسبي ، حدثنا المرؤزي ، حدثنا الفربري ، حدثنا البخاري ، حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا أبو أحمد الزُّبَيْرِي ، حدثنا إسرائيل ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن ابن مسعود ، قال : لقد كنَّا نسمعُ تسبيحَ الطَّعامِ وهو يؤكل (٥) .

وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود (٦) : كُنَّا نَأْكُلُ مع رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطَّعامَ ونحن نسمعُ تسبيحَه .

وقال أنس (٧) : أخذ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَفًّا من حصي ، فسبَّحَنَ في يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى سمَّعنا التسبيحَ ، ثم صبَّحُنَّ في يَدِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فسبَّحَنَ ، ثم في أيدينا فما سبَّحَنَ .

(١) هو عياض المصنف . وفي ب : قال المؤلف رحمه الله .

(٢) وفي هامش ا : وبدون .

(٣) يقع العلم : بوجود العلم وتنفق صحته . (٤) الجماد : ما لا روح فيه .

(٥) وهو يؤكل : أي في حال أكلنا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٦) هي رواية الترمذي (٥ - ٥٩٧) . والأولى رواية البخاري .

(٧) في حديث أخرجه ابن عساكر في تاريخه .



وروى مثله<sup>(١)</sup> أبو ذرّ ، وذكر أنهم سبّحن في كفّ عمر وعثمان .  
وقال علي<sup>(٢)</sup> كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إلى بعض  
نواحيها فما استقبله شجرةٌ ولا جبلٌ إلا قال له : السلامُ عليك يا رسولَ الله .  
وعن جابر بن سُمرة<sup>(٣)</sup> عنه صلى الله عليه وسلم : إني لأُعرفُ حجراً بمكة كان  
يسلمُ عليّ ؛ قيل : إنه الحجرُ الأسود .  
وعن عائشة<sup>(٤)</sup> رضي الله عنها : لما استقبلني جبريلُ عاينهُ السلامُ بالرسالة جعلتُ  
لا أمرتُ بحجرٍ ولا شجرٍ إلا قال : السلامُ عليك يا رسولَ الله .  
وعن جابر بن<sup>(٥)</sup> عبد الله : لم يكن النبيُّ صلى الله عليه وسلم يمرُّ بحجرٍ  
ولا شجرٍ إلا سجد له .  
وفي حديث العباس<sup>(٦)</sup> ؛ إذ اشتمل<sup>(٧)</sup> عليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه  
بملاءةٍ ، ودعا لهم<sup>(٨)</sup> بالسترِ من النارِ كسترِهِ إياهم بملاءته ؛ فأمنتُ أسكفةُ الباب<sup>(٩)</sup>  
وحوائطُ البيت : آمين آمين .

- (١) رواه الطبراني ، والبيهقي ، والبزار .  
(٢) في حديث رواه الدارمي ، والترمذي ، بسند حسن ( سنن الترمذي : ٥ - ٥٩٣ )  
(٣) في حديث صحيح رواه مسلم ، وهو في سنن الترمذي : ٥ - ٥٩٣  
(٤) في حديث صحيح رواه البزار في مسنده . وانظر في ذلك أيضا : طبقات ابن  
سعد : ١ - ١٠٢  
(٥) في حديث رواه البيهقي . (٦) رواه البيهقي أيضا .  
(٧) اشتمل عليه : ضمه . بملاءة : هي الإزار والملحفة . وفي ب : وهي على بنيه . وفي  
هامش ب : الملاءة : الملحفة .  
(٨) قال : يارب ؛ هذا عمي وصنو أبي ؛ وهؤلاء بنوه ، فاسترهم من النار كسترى إياهم  
بملاءتي هذه .  
(٩) أسكفة الباب : عتبة . وفي هامش أ : الأسكفة ، والاسكوفة : العتبة .

وعن جعفر بن محمد<sup>(١)</sup>، عن أبيه: مَرَضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ بِطَبَقٍ فِيهِ رُمَانٌ وَعِنَبٌ، فَأَكَلَ مِنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَبَّحَ .  
 وعن أنس<sup>(٢)</sup>: صَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، أَحَدًا، فَرَجَفَ<sup>(٣)</sup> بِهِمْ؛ فَقَالَ: ائْتَبْتُ أَحَدًا؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ .  
 ومِثْلُهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ<sup>(٤)</sup> فِي حِرَاءِ<sup>(٥)</sup>، وَزَادَ مَعَهُ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، وَالزَّبِيرُ؛ وَقَالَ: فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ .  
 وَانْخَبَرْتُ فِي حِرَاءِ<sup>(٥)</sup> أَيْضًا عَنْ عُثْمَانَ؛ قَالَ: وَمَعَهُ عَشْرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنَا فِيهِمْ .  
 وَزَادَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَسَعْدًا، قَالَ: وَنَسِيتُ الْاِثْنَيْنِ<sup>(٦)</sup> .  
 وَفِي حَدِيثِ<sup>(٧)</sup> سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَيْضًا مِثْلُهُ؛ وَزَادَ عَشْرَةً؛ وَزَادَ نَفْسَهُ .

(١) فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ (٣ - ٧٣) : قَالَ السِّيُوطِيُّ : لَمْ أَجِدْ هَذَا فِي كُتُبِ الْحَدِيثِ - يَعْنِي الْمَشْهُورَةَ ، فَلَا يَنَاقِي إِطْلَاعَ الْمُصَنِّفِ عَلَيْهَا . وَقَالَ الْقَارِي (١ - ٦٢٩) : قَالَ الدَّجَلِيُّ : لَمْ أَدْرَ مِنْ رَوَاهُ . قُلْتُ : يَكْفِي أَنَّهُ رَوَاهُ الْمُصَنِّفُ ، وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْمُحَدِّثِينَ ، وَلَوْلَا أَنَّ الْحَدِيثَ لَهُ أَصْلٌ لَمَا ذَكَرَهُ .

(٢) فِي حَدِيثِ رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَابْنُ خَلِّكَانَ ، وَابْنُ مَاجَةَ . وَابْنُ مَاجَةَ : ٤٨ .  
 وَفِيهِ : ائْتَبْتُ حِرَاءَ . وَالْحَدِيثُ فِي مُسْنَدِ الطَّيَالِسِيِّ : ٢ - ١٣٩ أَيْضًا ، وَسَنَنُ التِّرْمِذِيِّ : ٥ - ٦٢٤ .

(٣) رَجَفَ بِهِمْ : تَحَرَّكَ حَرَكَةً شَدِيدَةً وَاضْطَرَبَ .

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَهُوَ سَنَنُ ابْنِ مَاجَةَ : ٤٨ ، وَمُسْنَدُ الطَّيَالِسِيِّ : ٢ - ١٣٩ ، وَسَنَنُ التِّرْمِذِيِّ :

٥ - ٦٢٤ ، ٦٢٥ .

(٥) حِرَاءُ : جَبَلٌ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ .

(٦) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَالنَّسَائِيُّ عَنْ عُثْمَانَ .

(٧) أَيُّ تَمَعَةِ الْعَشْرَةِ ؛ وَهِيَ : طَلْحَةُ ، وَالزَّبِيرُ .

(٨) رَوَاهُ أَبُو دَوَادٍ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَالنَّسَائِيُّ ، وَابْنُ مَاجَةَ .

وقد رُوِيَ أَنَّهُ حِينَ طَلَبَتْهُ <sup>(١)</sup> قُرَيْشٌ قَالَ لَهُ تَمْبِيرٌ <sup>(٢)</sup> : اهْبِطْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛  
فَأِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَلَّوكَ عَلَى ظَهْرِي فَيُعَذِّبُنِي اللَّهُ <sup>(٣)</sup> .

فَقَالَ حِرَاءٌ : إِلَى <sup>(٤)</sup> يَا رَسُولَ اللَّهِ .

وَرَوَى ابْنُ عُمَرَ <sup>(٥)</sup> رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ عَلَى الْمَنْبَرِ :  
﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ <sup>(٦)</sup> ؛ ثُمَّ قَالَ : يُعْجِدُ الْجَبَّارُ نَفْسَهُ <sup>(٧)</sup> ؛ أَنَا الْجَبَّارُ ،  
أَنَا الْجَبَّارُ ، أَنَا الْكَبِيرُ الْمَتَعَالُ ؛ فَرَجَفَ <sup>(٨)</sup> الْمَنْبَرُ حَتَّى قَلْنَا : لِيَخْرُنَّ عَنْهُ <sup>(٩)</sup> .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ <sup>(١٠)</sup> : كَانَ حَوْلَ الْبَيْتِ سِتُونَ وَثَلَاثُمِائَةً صَنَمًا [ ١١٠ ] مُثَبَّتَةً  
الْأَرْجُلِ بِالرِّصَاصِ فِي الْحِجَارَةِ ؛ فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ عَامَ  
الْفَتْحِ جَعَلَ يُشِيرُ بِقَضِيْبٍ <sup>(١١)</sup> فِي يَدِهِ إِلَيْهَا وَلَا يَمْسُهَا ، وَيَقُولُ : جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ

(١) طلبته قريش لما خرج مهاجرا ، وأرسلوا خلفه من يطلبه منهم .

(٢) تبير : جبل بالمزدلفة عن يسار الداهب إلى منى . اهبط : انزل من على ظهري ، واذهب  
إلى مكان آخر تحتني به عنهم .

(٣) قال في نسيم الرياض ( ٣ - ٧٥ ) : إنما خاف العذاب بسبب قتله ، لأنه لو لم يذكر له  
ذلك مع علمه بأنه ليس فيه مكان يستره كان غشا منه يستحق به العذاب ؛ أو لأنه لو قتل على  
ظهره غضب الله على المكان الذي يقع فيه مثل هذا الأمر العظيم ؛ كما غضب على أرض نوح .  
(٤) إلى : أقبل .

(٥) في حديث رواه مسلم ، والنسائي ، وأحمد في مسنده (مسند أحمد : ٢ - ٧٢ ، ٨٨) .

(٦) ما قدروا الله حق قدره : ما عظموه حق تعظيمه ، وما عرفوه حق معرفته .

(٧) يعجد الجبار نفسه : يعظم وينزه ذاته .

(٨) رجف المنبر : اهتز واضطرب من مهابة مقال النبي .

(٩) ليخرن عنه : ليقع النبي صلى الله عليه وسلم من شدة اضطراب المنبر من فوقه ،  
أو لينهد المنبر .

(١٠) في حديث أخرجه الشيخان ، والبزار ، والطبراني ، وأبو يعلى عن جابر وابن مسعود .

والحديث في مسند الطيالسي : ٢ - ١٠٧ .

(١١) بقضيب : بعصا .

الباطلُ إنَّ الباطلَ كانَ زهوقاً<sup>(١)</sup>؛ فما أشار إلى وجه صنمٍ إلا وقع لِقْفَاهُ ، ولا لِقْفَاهُ إلا وقع لوجِهِهِ ، حتى ما بقيَ منها صنمٌ .

ومثله في حديث ابن مسعود<sup>(٢)</sup> ؛ وقال : فجمعل يطعمها ويقول : جاء الحقُّ وما يبديُّ الباطلُ وما يُعيدُ<sup>(٣)</sup> .

ومن ذلك<sup>(٤)</sup> حديثه مع الراهب في ابتداء أمره ؛ إذ خرج تاجراً مع عمه ؛ وكان الراهبُ لا يخرجُ لأحدٍ ؛ فخرج وجعل يتخللهم<sup>(٥)</sup> ، حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : هذا سيّدُ العالمين ؛ يبعثه الله رحمةً للعالمين .

فقال له أشياخُ من قريش : ما عليك ؛ فقال : إنه لم يبقَ شجرٌ ولا حجرٌ إلا خرَّ ساجداً له ، ولا تسجدُ إلا لنبِيِّ . . . وذكر القصة ، ثم قال : فأقبل صلى الله عليه وسلم وعليه نَمَامَةٌ تُظِلُّهُ ؛ فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه إلى فيء<sup>(٦)</sup> الشجرة ؛ فلما جلس مال النبيُّ إليه .

## فصل

### في الآيات في ضروب الحيوانات

حدثنا سراجُ بن عبد الملك ، [ حدثنا ]<sup>(٧)</sup> أبو الحسين الحافظ ، حدثنا أبي ، حدثنا القاضي يونس ، قال : حدثنا أبو الفضل الصَّقَلِيُّ ، حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت ،

(١) الحق : التوحيد ، والإسلام . والباطل ضده . وزهوقه : زواله واضمحلاله .  
(٢) رواه الشيخان ؛ صحيح البخارى : ٥ - ١٨٨  
(٣) الحق : الدين الحق ، أو التوحيد ، أو وعد الله بفتح مكة . الإبداء : الإيجاد ابتداء من غير سبق إيجاد آخر . والإعادة : الإيجاد مرة بعد مرة أخرى ؛ أى إن الشرك هلك واضمحل .  
(٤) من ذلك : مما ذكر من أمر الجمادات . والحديث رواه الترمذى والبيهقى . والراهب هو بحيرا . سنن الترمذى : ٥ - ٥٩٠ ، وطبقات ابن سعد : ١ - ٩٩ .

(٥) يتخللهم : يدخل في خللهم ، ويدور بينهم ينظرهم واحداً واحداً .

(٦) الفيء : الظل . والنمامة : السحابة . (٧) ليس في ب .

من أبيه وجدته ؛ قالوا : حدثنا أبو العلاء أحمد بن عمران ، حدثنا محمد بن فضيل ،  
 حدثنا يونس بن عمرو ، حدثنا مجاهد ، عن عائشة رضي الله عنها ؛ قالت : كان  
 عندنا داجن<sup>(١)</sup> ، فإذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قرء<sup>(٢)</sup> وثبت  
 مكانه ؛ فلم يجئ ولم يذهب ؛ وإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب .  
 ورؤى عن عمر<sup>(٣)</sup> أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل<sup>(٤)</sup> من أصحابه  
 إذ جاء أعرابي قد صاد ضباً<sup>(٥)</sup> ؛ فقال : ما هذا<sup>(٦)</sup> ؟ قالوا : نبي الله . فقال :  
 واللوات والعزى<sup>(٧)</sup> ، لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب ؛ وطرحه بين يدي  
 النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا ضب ؛ فأجابه بلسان  
 مبين يسمعه القوم جميعاً : لبيك وسعديك<sup>(٨)</sup> يا زين من وافي القيامة<sup>(٩)</sup> .

(١) داجن : شاة تألف البيوت وتعلق فيها ، وتطلق على غيرها من الحيوانات التي تربي  
 في البيوت ، كالناقة ، والحمام . وفي هامش ب : دواجن البيوت : ما ألفها من الطير والشاء  
 وغيرها . والمراد بقولها « عندنا » منزلها الذي تسكنه .

(٢) قر وثبت مكانه : وقف ، أو ربض في مكانه لا يتحرك .

(٣) في حديث رواه الطبراني ، والبيهقي .

(٤) محفل : مكان يجتمع فيه ناس كثيرون .

(٥) الضب : حيوان برى ، والأعراب تصيده وتأكله .

(٦) هذا في ا ، ب . وفي هامش ا : من هذا .

(٧) اللوات والعزى : صنمان عبدا في الجاهلية . واللوات : كان بنخلة والطائف لقريش

وثقيف . والعزى : شجرة من السمركانت لغطفان .

(٨) لبيك وسعديك : لبيك : إجابة لك بعد إجابة . وسعديك : مساعدة وطاعة لك

بعد طاعة ، وهما عبارة عن سرعة الإجابة والانقياد والطاعة .

(٩) من وافي القيامة : الموافاة : الحضور والمجيء . وإنما جملة زينا ؛ أي مزينا لأهلها

ومن بها ، لأنه سيدهم وقائدهم ، والشفيع لهم . والعرب تقول : يازين القوم - لأشرفهم وأحسنهم .

قال : مَنْ تَعْبُدُ ؟ قال : الذى فى السماء عَرْشُهُ ، وفى الأرضِ سُلْطَانُهُ ، وفى البحرِ سَبِيلُهُ <sup>(١)</sup> ، وفى الجنةِ رَحْمَتُهُ ، وفى النارِ عِقَابُهُ .

قال : فَمَنْ أَنَا ؟ قال : رسولُ ربِّ العالمين ، وخاتَمُ <sup>(٢)</sup> النبيين ، وقد أفلحَ مَنْ صدَّقَكَ ، وخابَ مَنْ كذَّبَكَ .

فأسلم الأعرابي <sup>(٣)</sup> .

ومن ذلك <sup>(٤)</sup> قصة <sup>(٥)</sup> كلام الذئب المشهورة عن أبى سعيد الخدرى :

بيننا راعٍ يرعى غنمًا له عرض الذئب لشارةٍ منها ، فأخذها الراعى منه ،

فألقى <sup>(٦)</sup> الذئب ، وقال للراعى : ألا تتقى الله ! حلت بينى وبين رزقى !

قال الراعى : العجبُ من ذئبٍ يتكلمُ بكلامِ الإنس ! فقال الذئبُ : ألا

أخبرك بأعجب من ذلك ؟ رسولُ الله بين الحرتين <sup>(٧)</sup> يحدثُ الناسَ بأنباء <sup>(٨)</sup>

ما قد سبق .

فأتى الراعى للنبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ؛ فقال النبي : قم فحدثهم ؛

ثم قال : صدق .

والحديث فيه قصة ، وفى بعضه طول .

وروى حديثُ الذئب <sup>(٥)</sup> عن أنى هريرة .

(١) سبيله : طريقه التى جعلها مسلوكة لعباده بتسخير الريح ونحوه مما لا يقدر عليه غيره .

(٢) ضبطت التاء فى الكسرة ، وفى ب : بالفتحة . وهو بالفتح بمعنى ختموا به ،

وبكسرها بمعنى ختمهم . (٣) هذا الحديث طويل رواه البيهقى .

(٤) من ذلك : من معجزاته فى تسخير الحيوانات وإنطاقها .

(٥) رواها أحمد ، والبرزار ، والبيهقى ، وصححها . وهى فى طبقات ابن سعد : ١-١١٤ .

(٦) فألقى الذئب : قعد على عقبيه ناصبا يديه .

(٧) الحرة : ثنية مرتفعة ذات حجارة سود ، كأنها اسودت من الحر . والحرتان بالمدينة .

(٨) بأنباء ما سبق : الأنباء : الأخبار .

وفي بعض الطُّرُقِ عن أبي هريرة رضي الله عنه ، فقال الذئبُ : أنتَ أعجبُ ا  
واقفاً على غنمك ، وتركتَ نبياً لم يبعث الله نبياً قطُّ أعظمَ منه عنده [١١١]  
قدراً<sup>(١)</sup> ، قد فُتِحَتْ له أبوابُ الجنَّةِ ، وأشرف<sup>(٢)</sup> أهلها على أصحابه ، ينظرون  
قتالهم<sup>(٣)</sup> ، وما بينك وبينه إلا هذا الشعبُ<sup>(٤)</sup> ، فتصير من جنود الله .

قال الراعي : مَنْ لي بغنمي ؟ قال الذئبُ : أنا أرهاها حتى ترجع .

فأسلم الرجلُ إليه غنمه ومضى .

وذَكَرَ قصته وإسلامه ووجوده النبيَّ صلى الله عليه وسلم يُقاتل ؛ فقال له النبيُّ  
صلى الله عليه وسلم : عدُّ إلى غنمك تجدها بوفرها<sup>(٥)</sup> .  
فوجدها كذلك ، وذبح للذئب شاةً منها .

وعن أهبان<sup>(٦)</sup> بن أوسٍ : وأنه<sup>(٧)</sup> كان صاحبَ الفصّة ، والمحدثَ بها ، ومكلمَ  
الذئبِ .

وعن سلمةَ بن عمرو بن الأكوع : وأنه<sup>(٨)</sup> كان صاحبَ [ هذه ]<sup>(٩)</sup> القصة  
أيضاً ، وسببَ إسلامه بمثلِ حديثِ أبي سعيد .  
وقد روى ابنُ وهبٍ مثلَ هذا أنه جرى<sup>(١٠)</sup> لأبي سفيان بن حرب ، وصفوان

(١) قدراً : منزلة .

(٢) الإشراف : النظر من مكان عال .

(٣) ينظرون قتالهم : ينظرون إليهم وهم صفوف واقفون في القتال كصفوف الملائكة .

(٤) الشعب : منفرج بين جبلين ؛ يعني أنه قريب منك لاعدرك في التخلف عنه . يريد :

فتخلفك منه هذا أعجب من نطقى الذي تعجبت منه .

(٥) بوفرها : بتامها وكاملها ، لم ينقص منها شيء .

(٦) هذا الحديث رواه للبيهقي والبخاري في تاريخه .

(٧) وأنه ؛ أي أهبان بن أوس . (٨) وأنه ؛ أي سلمة .

(٩) ليس في ب . (١٠) جرى : وقع واتفق .

ابن أمية ، مع ذئبٍ وجدها أخذ ظبياً ، فدخل الظبي الحرم ؛ فانصرف الذئب ؛  
فَعَجِبَا من ذلك ، فقال الذئبُ : أَعْجِبُ من ذلك محمدُ بنُ عبد الله بالمدينة يدعوكم  
إلى الجَنَّةِ وتدعونهُ إلى النار (١) .

فقال أبو سفيان : واللَّاتِ والعُزَّى ، ائن ذكرتَ (٢) هذا بكفة لتتركنها خلُوفاً (٣) .

وقد روى مثلُ هذا الخبرِ ، وأنه جرى لأبي جهل وأصحابه .

وعن عباس بن مرداسٍ لما تعجَّب من كلامِ ضَمَارِ صَنَمِهِ (٤) ، وإنشاده (٥)

الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا طائرٌ سقط ، فقال : يا عباس ؛  
أتعجبُ من كلامِ ضَمَارِ ، ولا تعجب من نَمْسِكَ ؟ إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم  
يَدْعُو إلى الإسلامِ وأنتَ جالسٌ ؛ فكان سببَ إسلامِهِ (٦) .

(١) يدعونهُ إلى النار بقولهم له : لم لا توافقنا وتعبد آلهتنا مما هو سبب للخلود في النار .

(٢) لئن ذكرت : أبو سفيان يخاطب صفوان بن أمية .

(٣) خلُوفاً : المراد تركها خالية من أهلها بأن يسلموا جميعاً ، ويرتحلوا إلى النبي بالمدينة ،

لأن من سمع مثل هذا لا يتردد في صحة رسالته . أو المراد : يدعها وأهلها متغيرة فاسدة لما

يقع بين أهلها من الفساد والفتن باختلاف الكلمة وفي شرح القاري (١-٦٣٥) : خلُوفاً : بلا راع

ولا حام ؛ وكذلك في النهاية . وفي هامش ب : الحى الخلوف : الذي رحل رجاله وبقي نساؤه .

(٤) الصنم : اسمه ضمار . وكان هذا الصنم يعبده مرداس ورهطه . وفي ب : ضمار -

بالدال المهملة . وفي تاج العروس - ضمير : وضمار : صنم عبده العباس بن مرداس السلمي

ورهطه . وفي التبصير (٨٥٧) : وضمار : اسم صنم عباس بن مرداس .

(٥) في نسيم الرياض (٣-٨٥) : هذا الشعر هو :

أودى ضمار وكان يعبد مرة قبل البيان من النبي محمد

وهو الذي ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتد

قل للقبائل من سليم كلها أودى ضمار وعاش أهل المسجد

وهذا الشعر أيضاً في شرح القاري (١-٦٣٥) . وفيه : كان يعبد مدة .

(٦) قال القاري (١-٦٣٥) : وهذا الحديث كما في الطبراني الكبير بسند لا بأس

به قريب مما هنا .



وعن جابر<sup>(١)</sup> بن عبد الله رضي الله عنهما ، عن رجل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر ، وكان في غنم يرعاها لهم<sup>(٢)</sup> ؛ فقال : يا رسول الله ، كيف بالغنم<sup>(٣)</sup> ؟ قال : احصب وجوهها<sup>(٤)</sup> ؛ فإن الله سيؤدّي عنك أمانتك ، ويردّها إلى أهلها .

ففعل ، فسارت كل شاة حتى دخلت إلى أهلها .

وعن أنس<sup>(٥)</sup> رضي الله عنه : دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائط<sup>(٦)</sup> أنصاريّ وأبو بكر وعمر ورجل من الأنصار رضي الله عنهم ، وفي الحائط غنم فسجدت له . فقال أبو بكر : نحن أحقّ بالسجود لك منها . . . الحديث .

وعن أبي هريرة<sup>(٧)</sup> رضي الله عنه : دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا ، فجاء بعير فسجد له ، وذكر مثله .

ومثله في الجمل<sup>(٨)</sup> - عن ثعلبة بن مالك ، وجابر بن عبد الله<sup>(٩)</sup> - وبعلي ابن مرساة<sup>(١٠)</sup> ، وعبد الله بن جعفر<sup>(١١)</sup> ؛ قال : وكان لا يدخل أحد الحائط إلا شدة

(١) في حديث رواه البيهقي . (٢) لهم : لأهل خيبر .

(٣) كيف بالغنم : كيف أفل بالغنم إذا أسلمت ، وهي ملك لغيري ، وأنا أجير .

(٤) احصب وجوهها : ارمها في وجوهها بالحصباء ؛ وهي صغار الحجارة ودقائقها .

(٥) في حديث صحيح مسند ، رواه أحمد ، والبخاري .

(٦) حائط : المراد به بستان .

(٧) في نسيم الرياض ( ٣ - ٨٧ ) : هذا الحديث رواه البخاري بسند حسن . وكذلك

قال القاري ( ١ - ٦٣٦ ) .

(٨) رواه أبو نعيم .

(٩) رواه أحمد ، والدارمي ، والبخاري ، والبيهقي .

(١٠) رواه أحمد ، والحاكم ، والبيهقي .

(١١) رواه مسلم ، وأبو داود - الحديث في مسند الطيالسي : ٢ - ١٣٤

عليه الجَمَل<sup>(١)</sup>؛ فلما دخل عليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم دَعَاَهُ، فوضع مِشْفَرَهُ<sup>(٢)</sup>،  
على الأرض، وبرَّك بين يديه، فخطَّمه<sup>(٣)</sup>، وقال: ما بين السماء والأرض شيء  
إلا يَعْلَمُ أنى رسولُ الله إلا<sup>(٤)</sup> عاصي الجنِّ والإنس<sup>(٥)</sup>.  
ومِثْلُهُ<sup>(٦)</sup> عن عبد الله بن أبي أوفى.

وفي خبر آخر في حديثِ الجَمَلِ أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم سأهم عن شأنِهِ،  
فأخبروه أنهم أرادوا ذبحه.

وفي رواية أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال لهم: إنه شكَّا كثرةَ الفعلِ، وقلةَ العلفِ  
من صِغَرِهِ، فقالوا: نعم.

وقد رُوِيَ [١١٢] في قصة العَضْبَاءِ<sup>(٧)</sup> وكلامِها النبيَّ صلى الله عليه وسلم،  
وتعريفها له بنفسها، ومبادرة العُشْبِ إليها في الرِّعْيِ، وتجنُّبِ الوحوشِ عنها<sup>(٨)</sup>،  
وندائهم<sup>(٩)</sup> لها: إنك لحمد، وأنها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حين ماتت.  
ذكره الإسْفَرَايْنِيُّ<sup>(١٠)</sup>.

- 
- (١) شد عليه الجمل: أسرع وحمل عليه. يعني أن هذا الجمل كان عقورا هائجا.  
(٢) المشفر في الإبل كالشفة للإنسان.  
(٣) خطَّمه: فوضع زمامه الذي يقاد به في رأسه وعلقه، وقد انقاد للنبي متذلا بعد  
أن كان لا يطاق.  
(٤) في ١: لا يعلم.  
(٥) أى إلا من عصى الله ورسوله وكفر، فإنه ينكر معرفتى.  
(٦) رواه أبو نعيم، والبيهقى.  
(٧) العضباء: اسم ناقة النبي صلى الله عليه وسلم. ومعناها للشقوقة الأذن.  
(٨) أى عدم أذيتها وأكلها لها.  
(٩) عليها علامة الصحة في ١، وفي هامشه: وقولهم.  
(١٠) في شرح القارى (١-٦٣٧): قال الدجى: وأما قصة العضباء فلم أدر من رواها،  
ولا حديث حمام مكة.

وروى ابنُ وهبٍ<sup>(١)</sup>، أن حمامَ مكة أظلت النبي صلى الله عليه وسلم يومَ فتحِها، فدعا لها بالبركة .

وروى عن أنس<sup>(٢)</sup>، وزيد بن أرقم، والمغيرة بن شعبة - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ليلة الغار أمر الله شجرة<sup>(٣)</sup>، فنبقت تُجاهَ النبي صلى الله عليه وسلم فسترته، وأمر حمامتينِ فوقفتا بقم الغار .

وفي حديثٍ آخر<sup>(٤)</sup> : وأن العنكبوتَ نسجت على بابه ؛ فلما أتى الطالبون له ، ورأوا ذلك قالوا : لو كان فيه أحد لم تكن الحمامتانِ ببابه ، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم ؛ فانصرفوا .

وعن عبد الله بن قرظ<sup>(٥)</sup> : قُرَّبَ إلى رسول<sup>(٦)</sup> الله صلى الله عليه وسلم بدَنات<sup>(٧)</sup> خمس أو ست أو سبع ، لينحَرَها يوم عيد ، فازدلفن<sup>(٨)</sup> إليه بأيَّهن يبدأ . وعن أمِّ سلمة<sup>(٩)</sup> : كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم في صحراء ، فنادتُه ظبيةٌ ،

(١) في نسيم الرياض (٣-٨٩) : وهذا الحديث لم يخرجوه .

(٢) رواه عنه ابن سعد ، والبزار ، والطبراني ، والبيهقي ، وأبو نعيم .

(٣) الغار هو غار ثور الذي اختفي فيه النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر .

(٤) رواه ابن سعد ، والبزار ، والطبراني ، والبيهقي ، وأبو نعيم .

(٥) هذا الحديث رواه الحاكم ، والطبراني ، وأبو نعيم مسندا .

(٦) في ١ : إلى النبي . . .

(٧) بدَنات : جمع بدنة ؛ وهي ما يعد للذبح من الإبل خاصة . وقال ابن الأثير : إنها من الإبل والبقر ؛ وسميت بدنة لعظم بدنها .

(٨) ازدلفن إليه : تقدمت كل واحدة منهن إليه رغبة في أن يذبحها ، انقيادا له بإلهام من الله .

(٩) في حديث رواه الطبراني ، والبيهقي ، وصححه ابن حجر . وقال ابن كثير : إنه لا أصل له ، لأن في سنده مجاهيل .

يارسولَ الله . قال : ما حاجتُك ؟ قالت : صادني هذا الأعرابي ، ولي خِشْفَانٌ <sup>(١)</sup> في ذلك الجبل ، فأطْلِقْنِي حتى أذهبَ فأرْضِعِهما وأرْجِعَ .

قال : وتَفْعَلين ؟ قالت : نعم . فأطْلَقَهَا ، فذهبت ورجعت ، فأوثقها <sup>(٢)</sup> ، فانتبه الأعرابيُّ وقال : يارسولَ الله ؛ ألك حاجةٌ ؟ قال : تُطَلِقُ هذه الظبيَّة . فأطلقها فخرَجَتْ تَعْدُو <sup>(٣)</sup> في الصحراء ، وتقول : أشهدُ أن لا إلهَ إلا الله ، وأَنَّكَ رسولُ الله . ومن هذا الباب <sup>(٤)</sup> ما روى <sup>(٥)</sup> من تسخيرِ الأسدِ لسفينةِ مولى رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم ؛ إذ وجههُ إلى معاذٍ باليمن ، فلقيَ الأسدَ فعرفه أنه مولى رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم ، ومعه كتابُ به ، فهمهم <sup>(٦)</sup> وتنحى <sup>(٧)</sup> عن الطريق ، وذكر في مُنْصَرَفِهِ مِثْلَ ذلك .

وفي روايةٍ <sup>(٨)</sup> أخرى عنه - أن سفينةً تكسرت به ، فخرج إلى جزيرة فإذا الأسدُ ؛ فقلتُ له : أنا مولى رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم ؛ فجعل يغمزني <sup>(٩)</sup> بمنكبه حتى أقامني على الطريق <sup>(١٠)</sup> .

(١) الخِشْفَانُ : الظبي الصغير الذي ولدته أمه .

(٢) أوثقها : ربطها كما كانت . (٣) تعدو : تجرى .

(٤) من هذا الباب : من باب المعجزات بإطاعة الحيوانات .

(٥) في نسيم الرياض ( ٣ - ٩٢ ) : قال السيوطي : لم أقف على هذا الحديث هكذا . وأخرج البيهقي أنه وقع لسفينة حين ضل عن الجيش بأرض الروم ، إلا أن البخاري ذكره في تاريخه ، كما قال المصنف فلا اعتراض عليه .

(٦) المهممة : صوت لا يفهم .

(٧) تنحى عن الطريق : تأخر عنه في ناحية متباعدة عن الطريق إذهاباً لحوفه .

(٨) وهذه الرواية هي التي رواها البيهقي والبخاري وصححها السيوطي في تخريجه .

(٩) يغمزني : يدفعني دفعا خفيفا . وللمنكب : ما بين الكتف والعنق .

(١٠) أقامني على الطريق : دلى على الطريق .

وأخذ - عليه السلام - بأذن شاة لقوم من عبد القيس بين إصبعيه ، ثم خلاها<sup>(١)</sup> فصار لها ميسما<sup>(٢)</sup> ، وبقي ذلك الأثر فيها وفي نسلها بعد<sup>(٣)</sup> .  
وما روى عن<sup>(٤)</sup> إبراهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار الذي أصابه<sup>(٥)</sup> بخيبر ، وقال له : اسمي يزيد بن شهاب .

فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفوراً ، وأنه كان يوجهه إلى دور أصحابه ، فيضرب عليهم الباب برأسه ، ويستدغيهم ؛ وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى<sup>(٦)</sup> في بئر جزعاً وحزناً ، فمات .

وحديث الناقة<sup>(٧)</sup> التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها أنه ما سرقها ، وأنها ملكه .

وفي العنز<sup>(٨)</sup> : التي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره ، وقد أصابهم عطش ، ونزلوا على غير ماء ، وهم زهاء<sup>(٩)</sup> ثلاثمائة ، فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأروى الجند ، ثم قال لرافع : أملكها وما أراك<sup>(١٠)</sup> . فربطها فوجدتها قد انطلقت .

(١) خلاها : نحى إصبعه عنها وتركها .

(٢) ميسما : علامة ؛ أي صار أثر إصبعيه لها علامة .

(٣) قال في نسيم الرياض ( ٣ - ٩٣ ) : وهذا الحديث لا يعلم من رواه من المحدثين .

(٤) هذا الحديث رواه ابن حبان ، لكنهم قالوا : إنه ضعيف : وقال ابن الجوزي : إنه

كذب موضوع . (٥) أصابه بخيبر : وجدته بها لما فتحها . أو أصابه : كلن في سهمه .

(٦) تردى : ألقى نفسه وطرحها في بئر .

(٧) رواه الطبراني عن زيد بن ثابت بسند فيه مجاهيل ، والحاكم عن ابن عمر . وقال

الذهبي : إنه موضوع .

(٨) أخرجه ابن سعد ، والبيهقي ، وابن عدي ، عن سعد مولى أبي بكر رضي الله عنه .

(٩) وهم زهاء : أي قريب عددهم من ذلك .

(١٠) أملكها : أخذها واتخذها ملكاً لك ، لأنها لا صاحب لها ، إذ وجدت بأرض العدو .

ويحتمل أن يكون معناه : شدها وأوثقها ، واربطها . وما أراك : ما أظنك تملكها وتحفظها .

راوه ابن قانع وغيره<sup>(١)</sup> ؛ وفيه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الذي جاء بها هو الذي ذهب بها<sup>(٢)</sup> [ ١١٣ ] .

وقال لفرسه - عليه السلام - وقد قام إلى الصلاة في بعض أسفاره : لا تبرح<sup>(٣)</sup> ، بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا ، وجعله قبلته ، فما حرك<sup>(٤)</sup> عضواً حتى صلى صلى الله عليه وسلم .

[ ويلتحق بهذا ما رواه الواقدي - أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسوله إلى الملوك ، فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد ، فأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم ]<sup>(٥)</sup> .

والحديث في هذا الباب كثير ، وقد جئنا منه بالمشهور ، وما وقع في كتب الأئمة .

## فصل

في إحياء الموتى وكلامهم ، وكلام الصبيان والمرضع<sup>(٦)</sup>

وشهادتهم له بالنبوة صلى الله عليه وسلم

حدثنا أبو الوائِد هِشَام<sup>(٧)</sup> بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه ، والقاضي أبو الوليد محمد ابن رُشد ، والقاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي ، وغير واحدٍ مماعاً وإذناً ؛

(١) رواه أيضا البيهقي ، وابن عدي ، عن جماعة من الصحابة .

(٢) يعني الله ، أو الملك .

(٣) لا تبرح : لا تزل من مكانك الذي أوقفتك فيه ، ولا تفارقه .

(٤) قبلته : جعله في جهة قبلته ساتراً وما ناعا لمن يمر بين يديه .

(٥) في هامش ١ ، ب : من الأم ، من غير الرواية .

(٦) الصبيان : الذين في المهد ، الذين لم يصلوا إلى سن يتكلم فيه مثلهم . والمرضع :

جمع مرضع اسم مفعول ؛ وهو الولد الصغير . وقال القاري ( ١ - ٦٦٢ ) : جمع راضع ،

على خلاف للقياس .

(٧) هذا الحديث أورده أبو داود مسنداً عن أبي هريرة .

قالوا : حدثنا أبو علي الحافظ ، [ قال : (١) حدثنا أبو عمر (٢) الحافظ ، حدثنا أبو يزيد عبد الرحمن بن يحيى ، حدثنا أحمد بن سعيد ، حدثنا ابن الأعرابي . . . حدثنا أبو داود (٣) ، حدثنا وهب بن بَقِيَّة ، عن خالد - هو الطَّحَّان ، عن محمد ابن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه - أن يهوديةً أهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخَيْرِ شاةٍ مَصْلِيَّةٍ (٤) سَمَّتْهَا ، فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، وأكل القَوْمُ ، فقال : ارفعوا أيديكم ، فإنما أخبرتني أنها مسمومة .

فمات بشر بن البراء .

وقال لليهودية : ما حملك على ما صنعتِ ؟ قالت : إن كنت نبيًا لم يضرَّك الذي صنعتُ ، وإن كنت ملكًا أرحتُ الناسَ منك .

قال : فأمر بها فقتلت .

وقد روى هذا الحديث أنس ، وفيه : قالت : أردتُ قتلك . فقال : ما كان الله لِيُسَلِّطَكَ (٥) على ذلك . فقالوا : نقتلها ؟ قال : لا .

وكذلك روى عن أبي هريرة - من رواية غير وهب ، قال : فما عرض (٦) لها . ورواه أيضا (٧) جابر بن عبد الله ، وفيه : أخبرتني هذه الذَّرَاعُ - قال : ولم يعاقبها .

(١) من ب . (٢) هو ابن عبد البر .  
 (٣) الإمام صاحب السنن . وحديث الشاة المسمومة في سنن أبي داود : ٢ - ١٥٩ ، وصحيح البخاري : ٣ - ٢٠٢ ، وصحيح مسلم : ١٧٢١ ، وطبقات ابن سعد : ١ - ١١٣ .  
 (٤) مصلية : مشوية . ستمها : وضعت فيها السم . وفي النهاية : شاة مصلية بفتح الميم : مشوية ، يقال : صليت اللحم - بالتخفيف ؛ أي شويته ، فهو مصلى . وهذا الضبط في ب . وفي الضبط الميم بالضم .

(٥) ليسلطك : يقدرك ويمكنك . (٦) فما عرض لها : أي إنه تركها .

(٧) كما في سنن أبي داود ، والبيهقي .

[ وفي رواية الحسن أن فَخِذَهَا تكلمني أنها مسمومة .  
 وفي رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن قالت : إني مسمومة ]<sup>(١)</sup> .  
 وكذلك ذكر الخبَر ابنُ إسحاق ، وقال فيه : فتجاوز<sup>(٢)</sup> عنها .  
 وفي الحديث الآخر<sup>(٣)</sup> ، عن أنس ، قال : فما زلتُ أعرِفُها لي لهواتٍ<sup>(٤)</sup> رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم .  
 وفي حديث أبي هريرة<sup>(٥)</sup> - أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال - في وجعِهِ  
 الذي مات فيه : ما زالتُ أكلة<sup>(٦)</sup> خَيْرَ تُعَادُنِي<sup>(٧)</sup> ؛ فالآن أوانَ قطعَتُ أبهرِي<sup>(٨)</sup> .  
 وحكى ابن إسحاق : إن كان المسلمون ليرَوْنَ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم  
 مات شهيدا<sup>(٩)</sup> مع ما أكرمه اللهُ به من النبوة .  
 وقال ابنُ سُخْنُون : أجمع أهلُ الحديث أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم  
 قتلَ اليهودية التي سُمِّتُ .

- (١) في هامش ١ ، ب : من أصله بخطه من غير الرواية .  
 (٢) في سيرته . وتجاوز عنها : عفا عنها ولم يقتلها في أول الأمر . ثم لما مات بشر بن البراء  
 قتلها به . وفي شروح البخاري اختلاف في هذا .  
 (٣) رواه الشيخان .  
 (٤) لهوات : جمع لهاة ، وهي لحمية في أقصى سقف الفم تنطبق على آخر اللسان ، وأول  
 الحلق . وكأنه يريد بها الفم ؛ أي كان لها أثر ظاهر في فمه . وقيل المراد بها أنها أثرت في صوته  
 تأثيرا قليلا يظهر لمن تأمله . والحديث في البخاري كما تقدم .  
 (٥) رواه عنه ابن سعد بسند صحيح . (٦) أكلة : ما يؤكل .  
 (٧) تعادني : تعود إلى مرة بعد مرة في أوقات معلومة . أو تعادني .  
 (٨) الأهر : عرق كبير متصل بالقلب . وفي هامش ب : الأهر : العرق الذي في وسط  
 الظهر إذا انقطع لا يتصور معه حياة . وفي شرح القاري ( ١ - ٦٤٤ ) : الأهر : عرق  
 يكتنف الصلب والقلب إذا قطع لم تبق معه حياة .  
 (٩) مات شهيدا : أي بسم الشاة .



وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن أبي هريرة، وأنس، وجابر .  
[ وفي رواية ابن عباس <sup>(١)</sup> رضى الله عنهما - أنه دفعها لأولياء بشر بن البراء  
فقتلواها .

وكذلك قد اختلف في قتله للذى سحره <sup>(٢)</sup> ؛ قال الواقدي : وعفوه عنه أثبت  
عندنا .

وروى عنه أنه قتله <sup>(٣)</sup> .

وروى الحديث <sup>(٤)</sup> البزار ، عن أبي سعيد ، فذكر مثله ، إلا أنه قال في آخره :  
فبسط يده وقال : كلوا بسم الله ، فأكلنا ، وذكر اسم الله ؛ فلم تضر منا أحدا <sup>(٥)</sup> .  
قال القاضي أبو الفضل <sup>(٦)</sup> : وقد خرج حديث الشاة المسمومة أهل الصحيح ،  
وخرجه الأئمة ، وهو حديث مشهور <sup>(٧)</sup> .

واختلف أئمة النظر في هذا الباب ؛ فمن قائل يقول : هو كلام يخلق الله تعالى  
في الشاة [ ١١٤ ] الميثة <sup>(٨)</sup> ، والحجر ، أو الشجر ، وحروف وأصوات يحدتها الله  
فيها ، ويسمى منها دون تغيير أشكالها ، ونقلها عن هيئتها .

(١) رواها ابن سعد .

(٢) الذى سحره يهودى من بنى زريق يقال له لبيد بن الأعصم .

(٣) فى هامش ١ : من الام ، من غير الرواية .

(٤) أى حديث الشاة المسمومة السابق .

(٥) فى نسيم الرياض ( ٣ - ١٠٣ ) : قال السيوطى ؛ نقلا عن الشيخ ابن حجر : إن

هذا الحديث منكر . وقال القارى ( ١ - ٦٤٥ ) : ولعل وجه الإنكار عموم نفي الإضرار ،

مع أنه ثبت فى الصحيح موت البراء منه ، كما سبق به التصريح ؛ وكذلك تقدم أنه - صلى الله

عليه وسلم تضرر منها حتى إنها كانت لتعاوده .

(٦) هو مصنف الكتاب . (٧) تقدم تخريجه .

(٨) فى ١ : فى الشاة والميثة . والمثبت فى ب .

وهو مذهبُ الشيخ أبي الحسن<sup>(١)</sup>، والقاضي أبي بكر<sup>(٢)</sup> رَحِمَهُمَا اللهُ .

وآخرون ذهبوا إلى إيجاد الحياة بها ، ثم الكلام بعده .

وحكي هذا أيضا عن شيخنا أبي الحسن<sup>(١)</sup> ؛ وكلُّ محتمل ، والله أعلم ؛

إذ لم نجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والأصوات ؛ إذ لا يستحيل وجودها مع

عدم الحياة بمجردِها . فأمّا إذا كانت عبارة عن الكلام النفسى فلا بُدَّ من شرط

الحياة لها ؛ إذ لا يوجد كلامُ النفس إلا من حَيٍّ ، خلافا للجَبَّائى<sup>(٣)</sup> من بين سائر

متكلمى الفرق في إحالة<sup>(٤)</sup> وجود الكلام اللفظى والحروف والأصوات إلا من

حَيٍّ مركَّبٍ على تركيبٍ من يصحُّ منه النطق بالحروف والأصوات .

والتزم ذلك في الحصى ، والجذع ، والذراع ؛ وقال : إنَّ الله خلق فيها حياةً ،

وخرقَ لها فمًّا - ولسانا ، وآلةً أمكنها بها من الكلام .

وهذا لو كان لكان نقله<sup>(٥)</sup> والتهمم<sup>(٦)</sup> به آكدُ من التهمم بنقل تسميته

أو حنينه ، ولم ينقل أحدٌ من أهل السير والرواية شيئا من ذلك ؛ فدلَّ على سقوط

دَعْوَاهُ ، مع أنه لا ضرورةَ إليه في النظر ؛ والموفق اللهُ .

وروى وكيعٌ - رفعه عن فهد<sup>(٧)</sup> بن عطية - أن النبي صلى اللهُ عليه وسلم أتى

بصبيٍّ قد شبَّ<sup>(٨)</sup> لم يتكلم قطُّ ؛ فقال : مَنْ أنا ؟ فقال : رسولُ اللهِ .

(١) هو الأشعري . (٢) هو الباقلاني . (٣) شيخ المعتزلة توفى سنة ثلاث وثلاثمائة .

(٤) إحالة : عده محالا عقلا وعادة . (٥) لكان نقله : لوجد نقله وسمع .

(٦) التهمم به : الاهتمام والاعتناء به . (٧) هذا في ١ ، ب . وفي هامش ب : فهد . وقال القارى ( ١ - ٦٤٧ ) : فهد - بالدال

في آخره ، وفي نسخة بالراء ، وكلاهما لا يعرف ، غلى ما ذكره الدجى . وفي اللواهب : عن مهد -

بالميم والدال ، ولعله تصحيف ؛ وإنما روى البيهقي عن سمر بن عطية - بكسر السين المهملة

وسكون الميم ، في آخره راء ، عن بعض أشياخه . (٨) شب : كبير ، وصار شابا .

وروى عن معرّض<sup>(١)</sup> بن معيقيب: رأيتُ من النبي صلى الله عليه وسلم عَجَبًا؛  
جِيُّ بِصَبِيٍّ يَوْمَ وُلِدَ . . . فذكر مثله .

وهو حديثُ مُبارك اليمامةِ ، ويُعرفُ بحديثِ شاصونة : اسم رَاوِيهِ ، وفيه :  
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : صدقتَ ، بارك اللهُ فيك<sup>(٢)</sup> .

ثم إن الغلامَ لم يتكلمَ بعدها حتى شبَّ ، فكانَ يسمي مُبارك اليمامة .  
وكانت هذه القصةُ بمكة في حجةِ الوداع .

وعن الحسنِ : أتى رجلٌ النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر أنه طرح<sup>(٣)</sup> بُنْيَةَ له  
في وادي كذا ، فانطلق معه إلى الوادي ، وناداهَا باسمها : يا فلانةُ ، أَجِيبِي بِإِذْنِ اللَّهِ ؛  
فخرجت وهي تقول : لبيك وسعديك<sup>(٤)</sup> ! فقال لها : إنَّ أبويك قد أسلما ؛ فإنَّ  
أحببتِ أن أردك عليهما ؟ قالت : لا حاجة لي فيهما ؛ وَجَدْتُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْهُمَا<sup>(٥)</sup> .

وعن أنس<sup>(٦)</sup> أن شابًا من الأنصار توفِّيَ وَلاَ أُمَّ عَجُوزٌ عَمِيَاءُ ، فسَجَّيناهُ<sup>(٧)</sup> ،

(١) في ب : ضبطت الراء المشددة بالفتحة والكسرة ، وكتب عليها « معا » . وقال  
القارى ( ١ - ٦٤٧ ) : وروى ممرض - بكسر أوله ، كأنه آله .

(٢) في نسيم الرياض ( ٣ - ١٠٦ ) : قال السيوطي : قد وقعت روايته من طرق ؛ فهو  
حديث حسن . وقد وقع في حجة الوداع ، وكانت سنة ست عشرة من الهجرة ، مع كثرة  
الناس ؛ فكان حقه أن يشتهر .

(٣) طرح بنية له : رماها فماتت . وقيل : إنه وأدها على عادة الجاهلية .

(٤) لبيك وسعديك : إجابة لك بعد إجابة ، وإسعادا لك بعد إسعاد . ومعناه سرعة  
الإجابة والانتقياد .

(٥) قال في شرح القارى ( ١ - ٦٤٩ ) : والحديث عن الحسن لم يعلم من رواه .

(٦) في حديث رواه البيهقي ، وابن عدى ، مسندا ورواه أيضا ابن أبي الدنيا ، وأبو نعيم .

(٧) سجَّيناه : غطيناه .

وعزّيناها، فقالت : مات ابني ؟ قلنا : نعم . قالت : اللهم إن كنت تعلم أني هاجرتُ  
إليك وإلى نبيك رجاء أن تُعيّني على كل شدةٍ فلا تُحمِلن عليّ هذه المصيبة .

فما برحنا أن كشفَ الثوبَ عن وجهه ، فطعمَ وطعمنا (١) .

وروي (٢) عن عبد الله بن عبيد الله الأنصاري : كنتُ فيمن دفن ثابت بن قيس

ابن شماس ، وكان قتل باليمامة (٣) ؛ فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول : محمدٌ رسولُ

الله ، أبو بكر الصديق ، عمر الشهيد ، عثمان البر (٤) الرحيم ؛ فنظرنا فإذا هو ميت .

وذكر (٥) عن النعمان بن بشير أن زيد بن خارجة خرميتاً (٦) في بعض أزقة

المدينة (٧) ؛ فرمّع وسجّى (٨) إذ سمعوه بين العشاءين (٩) والنساء يصرخن حوله يقول :

أُنصتوا ، أُنصتوا ؛ فحسر عن (١٠) وجهه ؛ فقال : محمدٌ [ ١١٥ ] رسولُ الله ، النبيُّ

الأميُّ ، وخاتمُ النبيين ؛ كان ذلك في الكتاب الأول ؛ ثم قال : صدق ، صدق (١١) ؛

وذكر أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ؛ ثم قال : السلام عليك يا رسولَ الله ، ورحمة الله

وبركاته ؛ ثم عاد ميتاً كما كان (١٢) .

(١) قال في شرح القاري ( ١ - ٦٤٩ ) : هذا ليس فيه صريح دلالة على إحيائه بعد

إماتة ، لاحتمال إغمائه ، لكن زال النعم بدعاء الأم . (٢) الراوي له هو البيهقي .

(٣) كانت وقعة اليمامة سنة ١٢ في خلافة الصديق أبي بكر .

(٤) البار لقومه عامة . وفي ١ : وعثمان . . . .

(٥) وهذا مما رواه الطبراني ، وأبو نعيم ، وابن منده ؛ ورواه ابن أبي الدنيا عن أنس أيضاً .

(٦) خر ميتاً : سقط ميتاً .

(٧) أزقة : جمع زقاق ؛ وهو الطريق . (٨) سجّى : غطى .

(٩) العشاءين : المغرب والعشاء . (١٠) حسر عن وجهه : كشف غطاءه .

(١١) هذا الضبط في ١ .

(١٢) ذكر صاحب الاستيعاب ( ٥٤٧ ) أن زيد بن خارجة بن زيد هو الذي تكلم بعد

الموت ، لا يختلفون في ذلك . وقال في أسد الغابة ( ٢ - ٢٣٧ ) : وهو الذي تكلم بعد الموت

في أكثر الروايات . وهو الصحيح .

## فصل

في إبراء المَرَضِي وذَوِي العاهات (١)

أخبرنا أبو الحسن علي بن مُشَرَّف فيما أجازنيه وقرأته على غيره ؛ قال : حدثنا أبو إسحاق الحَبَال ، [ قال ] (٢) : حدثنا أبو محمد بن النجاس ، حدثنا ابن الورْد ، عن البرقي ، عن ابن هشام ، عن زيادِ البَكَّائي ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنا ابن شهاب ، وعاصمُ بن عُمر بن قَتَادَة وجماعة ذكرهم بقضية أحدٍ (٣) بطولها ؛ قال : وقالوا (٤) : قال سعد بن أبي وقاص : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم آينأواني السهمَ لا نصل (٥) له ، فيقول : ارم به ؛ وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذٍ عن قوسه حتى اندقت (٦) ، وأصيب يومئذٍ عينُ قَتَادَة - يعني ابن النيمان - حتى وقعت على وجنته (٧) ، فردّها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فكانت أحسنَ عَينيه .

وروى قصةَ قَتَادَة عاصمُ بنُ عُمر بن قَتَادَة ، ويزيد بن عياض بن (٨) عُمر ابن قَتَادَة .

ورواها أبو سعيد الخُدري (٩) عن قَتَادَة .

- (١) إبراء المَرَضِي : زوال مرضهم ، وحصول الشفاء لهم . والعاهات : جمع عاهة ، وهي الآفة . (٢) من ا (٣) يريد غزوة أحد . (٤) في ب : قالوا . وهذا الخبر في سيرة ابن هشام : ٣ - ٣٠ . (٥) النصل : حديدة في طرف السهم والرمح . (٦) عن قوسه : بقوسه . اندقت : انكسرت . (٧) الوجنة : أعلى الحُد ، وما يلي العين من الوجه ، ويطلق على الحُد كله . (٨) هذا في ا ، ب . وقال القاري ( ١ - ٦٥٢ ) : لم يعرف في رواية الحديث ، بل ولا في حملة العلم أحد يقال له يزيد بن عياض بن عمر بن قَتَادَة . وقال الحلبي : الصواب يزيد ابن عياض ، عن ابن عمر بن قَتَادَة . (٩) روى ذلك البيهقي ؛ وهي في الاستيعاب : ١٢٧٦ ، والإصابة : ٥ - ٤١٧ .

وَبَصَّقَ<sup>(١)</sup> عَلَى أَثَرِ سَهْمٍ فِي وَجْهِ أَبِي قَتَادَةَ فِي يَوْمِ ذِي قَرْدٍ<sup>(٢)</sup>؛ قَالَ : فَمَا ضَرَبَ  
عَلَى وَلَا قَاحَ<sup>(٣)</sup> .

وَرَوَى النَّسَائِيُّ<sup>(٤)</sup> ، عَنْ عُمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ - أَنَّ أَعْمَى قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ ادْعُ  
اللَّهَ أَنْ يَكْشِفَ لِي عَنْ بَصْرِي .

قَالَ : فَأَنْطَلِقُ فِتْمَوْضًا : ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ ؛ ثُمَّ قُلَّ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ  
إِلَيْكَ بِنَبِيِّ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ؛ يَا مُحَمَّدُ ؛ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ أَنْ يَكْشِفَ عَنِّي  
بَصْرِي ، اللَّهُمَّ شَفِّعْنِي فِيَّ<sup>(٥)</sup> .

قَالَ : فَرَجَعَ وَقَدْ كَشَفَ اللَّهُ عَنْ بَصْرِهِ .

وَرَوَى<sup>(٦)</sup> أَنَّ ابْنَ مُلَاعِبِ الْأَسْنَةِ أَصَابَهُ اسْتِسْقَاءٌ<sup>(٧)</sup> ، فَبَعَثَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(٨)</sup> ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ حَثْوَةً<sup>(٩)</sup> مِنَ الْأَرْضِ ، فَتَفَلَّ عَلَيْهَا ؛ ثُمَّ أَعْطَاهَا رَسُولَهُ ،

(١) على أثر سهم : أى جعل ريقه على جراحة في وجه أبي قتادة .

(٢) ذى قرد : اسم ماء بينه وبين المدينة مسافة يوم وليلتين من جهة خيبر .

(٣) ما ضرب على : ما آلمني ، ولا أوجعني . ولا قاح : ماسال منه قيح ومدة . والقيح :

الصديد ، وهو شيء كالماء أصفر يخالطه قليل دم .

قال في نسيم الرياض (٣ - ١١٣) : وهو حديث حسن صحيح ، رواه الترمذي والبيهقي .

(٤) الترمذي ، والحاكم ، والبيهقي ، وصححه .

(٥) اللهم شفِّعني في : أى اقبل شفاعته في .

(٦) الراوى هو الواقدي ، وأبو نعيم عن عروة . وملاعب الأسنة : هو عامر بن مالك .

والخبر في الواقدي : ١ - ٣٥٠ .

(٧) في نسيم الرياض (٣ - ١١٥) : هو اسم مرض ، وهو أن يقع الماء الأصفر في بطنه .

(٨) أى أرسل إليه من يلتمس له الدعاء ليشفيه الله ببركته .

(٩) حثوة : ملاء يده أو يديه من التراب . وقد ضبطت بالضم في ١ ، وفي ب ضبطت

بالضمة والفتحة ، وعابها « معا » . وفي الواقدي : حبوبة .

فأخذها متعجباً ؛ يَرَى أَنْ قَدْ هُزِيَ بِهِ ؛ فَأَتَاهُ بِهَا ، وَهُوَ عَلَى شَفَاً <sup>(١)</sup> ، فَشَرِبَهَا ، فَشَفَاهُ اللَّهُ .

وذكر العُقَيْلِيُّ <sup>(٢)</sup> ، عن حَبِيبِ بْنِ فُدَيْكٍ ؛ وَيُقَالُ فُرَيْكٌ <sup>(٣)</sup> - أَنْ أَبَاهُ ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ ؛ فَكَانَ لَا يُبْصِرُ بِهِمَا شَيْئاً ، فَنفث <sup>(٤)</sup> رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنَيْهِ ، فَأَبْصَرَ ، فَرَأَيْتُهُ يَدْخُلُ الْخَيْطَ فِي الْإِبْرَةِ ؛ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ .  
وَرُمِيَ كَلْتُومُ بْنُ الْحَصِينِ يَوْمَ أُحُدٍ فِي نَحْرِهِ <sup>(٥)</sup> ؛ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ ، فَبَرَأَ <sup>(٦)</sup> .

وَتَفَلَّ <sup>(٧)</sup> عَلَى شَجَّةٍ <sup>(٨)</sup> عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَيْسٍ فَلَمْ تُمِدَّ <sup>(٩)</sup> .  
وَتَفَلَّ فِي عَيْنِي عَلَى <sup>(١٠)</sup> يَوْمَ خَيْبَرَ ، وَكَانَ رَمِداً ، فَأَصْبَحَ بَارِئاً .  
وَنَفَثَ عَلَى <sup>(١١)</sup> ضَرْبَةَ بِسَاقِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ يَوْمَ خَيْبَرَ فَبُرْتُ ؛ وَفِي رِجْلِ زَيْدِ بْنِ مُعَاذٍ حِينَ أَصَابَهَا السِّيفُ إِلَى الْكَعْبِ ، حِينَ قَتَلَ ابْنَ الْأَشْرَفِ ، فَبُرْتُ . وَعَلَى سَاقِ عَلَى <sup>(١٢)</sup> بِنِ الْحَكَمِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ إِذَا انْكَسَرَتْ ، فَبُرِي مَكَانَهُ ، وَمَا نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ .

(١) وهو على شفا : أى قريب من الموت .

(٢) أخرج هذا الحديث البيهقي ، والطبراني ، وابن أبي شيبة ، في مسنده .

(٣) في ب : فويك .

(٤) نفث : تفل ريقه . وفي هامش ا : النفث بالفم : شبيه بالنفخ ، وأما التفل فلا يكون

إلا ومعه شيء من الريق . (٥) في نحره : في مقدم عنقه .

(٦) في شرح القارى ( ١ - ٦٥٤ ) : قال الدجى : لا أدرى من رواه .

(٧) رواه الطبراني .

(٨) الشجة : جراحة ضربة في الوجه أو الرأس .

(٩) لم تمد : أى لم يكن فيها مدة وقیح .

(١٠) في حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ١٤٤١ ، وصحيح البخارى : ٥ - ١٧١

(١١) في صحيح البخارى : ٥ - ١٧٠ ، ومسند الطيالسى : ٢ - ١٢٤

(١٢) هذا الحديث أخرجه البغوى في معجمه ، كما قال السيوطى ( نسيم الرياض : ٣ - ١١٨ ) .

واشتكى علي<sup>(١)</sup> بن أبي طالب ، فجعل يدعو ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم :  
اشفه ، أو عافه ؛ ثم ضرب برجله ، فما اشتكى ذلك الوجع بعد .

وقطع أبو جهل يوم بدر يد معاوية بن عفراء [ ١١٦ ] ، فجاء يحمل يده ، فبصق  
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وألصقها فلصقت . رواه ابن وهب .

ومن روايته<sup>(٢)</sup> أيضا أن خبيب بن يساف أصيب يوم بدر مع رسول الله  
صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه<sup>(٣)</sup> حتى مال شقه ؛ فردّه رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، ونفت عليه حتى صح .

وأنته<sup>(٤)</sup> امرأة من خثعم ، معها صبي به بلاء لا يتكلم ؛ فأتى بماء فمضمض  
فاه ، وغسل يديه ، ثم أعطاها<sup>(٥)</sup> إياه ، وأمرها بسقيه ومسّه به ، فبرأ الغلام ، وعقل  
عقلا ينزل عقول الناس .

وعن<sup>(٦)</sup> ابن عباس : جاءت امرأة بابن لها به جنون ؛ فمسح صدره ، فثع<sup>(٧)</sup>  
ثعة نخرج من جوفه مثل الجرو<sup>(٨)</sup> الأسود ؛ فشفي<sup>(٩)</sup> .  
وانكفات<sup>(١٠)</sup> القدر علي ذراع محمد بن حاطب وهو طفل ، فمسح عليه ودعا له ،  
وتفل فيه فبرأ لحينه<sup>(١١)</sup> .

(١) رواه البيهقي في الدلائل .

(٢) أي رواية ابن وهب التي رواها ابن إسحاق ، والبيهقي عنه ، كما نقله السيوطي .

(٣) عاتقة : كتفه . (٤) رواه ابن أبي شيبة .

(٥) أي أعطى المرأة ذلك الماء الذي رده في إنائه بعد المضمضة وغسل اليدين منه .

(٦) وهذا الحديث رواه أحمد في مسنده بسند متصل بابن عباس (السند : ١ - ٢٥٤) .

وكذلك رواه البيهقي ، وابن أبي شيبة . (٧) ثعثة : أي قاء مرة واحدة . وقيل ثع : سعل .

قال في نسيم الرياض (٣ - ١٢١) : وروى هذا الحديث من طرق متعددة .

(٨) الجرو : ولد الكلب والسبع . (٩) في ١ : فسمى .

(١٠) في حديث رواه البيهقي ، والنسائي ، والطيالسي ، مسندا مصححا فيه .

(١١) لحينه : من غير بطء .



وكانت في كفة شريحبيل الجعفي سلعة<sup>(١)</sup> تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة<sup>(٢)</sup>؛ فشكاهما للنبي صلى الله وسلم، فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها<sup>(٣)</sup>، ولم يبق لها أثر.

وسألته<sup>(٤)</sup> جارية طعاماً، وهو يأكل، فناولها من بين يديه<sup>(٥)</sup>، وكانت قليلة الحياء؛ فقالت: إنما أريد من الذي في فيك؛ فناولها ما في فيه؛ ولم يكن يسأل شيئاً فيمنعه.

فلما استقرت في جوفها ألقى عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها.

## فصل

في إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم

وهذا باب واسع جداً؛ وإجابة دعوة<sup>(٦)</sup> النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعاهم وعليهم متواتر على الجملة، معلوم ضرورة.

وقد جاء في حديث حذيفة<sup>(٧)</sup> رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لرجل أدركت<sup>(٨)</sup> الدعوة ولده وولد ولده.

(١) سلعة: زيادة بين الجلد واللحم كالغدة. وتفتح سينه؛ وتحرك لامه. وفي هامش  
١: السلعة: الشجة - بفتح السين واللام.

(٢) عنان الدابة: ما تقاد به.

(٣) يطحنها: يدير كفه عليها بقوة كما تدور الرحا. حتى رفعها: حتى أزالها من كفه.

(٤) في حديث رواه الطبراني.

(٥) من بين يديه: أي من طعامه الذي كان بين يديه.

(٦) أي دعائه للناس وعليهم.

(٧) رواه أحمد بن حنبل. (٨) أدركت: وصلت وأثرت.

حدثنا <sup>(١)</sup> أبو محمد العتّابي بقراءتي عليه ، حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد ، حدثنا أبو الحسن القاسبي ، حدثنا أبو زيد الرّوزي ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن <sup>(٢)</sup> إسماعيل ، حدثنا عبدُ الله بن أبي الأسود ، حدثنا حرّمي ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن أنس رضي الله عنه ؛ قال : قالت أمي : يا رسول الله ، خادمك أنس ؛ ادعُ الله له . قال : اللهم أكثر ماله وولده ، وبارك له فيما آتيتَه <sup>(٣)</sup> .  
ومِنْ رواية <sup>(٤)</sup> عكرمة : قال أنس : فوالله ، إن مالي لكثير ؛ وإن ولدي وولدَ ولدي ليعادون <sup>(٥)</sup> اليومَ على نحو المائة .

وفي رواية <sup>(٦)</sup> : وما أعلمُ أحداً أصاب من رِخاء العيش ما أصبتُ ، ولقد دفنتُ بيديَّ هاتين مائةً من ولدي ، لا أقولُ سقطاً <sup>(٧)</sup> ولا ولدَ ولدٍ .  
ومنه دعاؤه <sup>(٨)</sup> لعبد الرحمن بن عوف بالبركة ؛ قال عبد الرحمن : فلورفعتُ حجراً لرجوتُ أن أُصيبَ تحته ذهباً ، وفتح اللهُ عليه ، ومات فحفرَ الذهبُ من تركته بالفئوس <sup>(٩)</sup> حتى مجّلت <sup>(١٠)</sup> فيه الأيدي ، وأخذت كلُّ زوجةٍ ثمانين ألفاً وكنَّ أربعاً .

(١) من حديث في الصحيحين عن أنس . صحيح مسلم : ١٩٢٨

(٢) هو البخاري .

(٣) فيما آتيتَه : فيما أعطيتَه من المال والولد . والحديث في الترمذي أيضا : ٥ - ٦٨٢

(٤) أخرجه مسلم ( صحيح مسلم : ١٩٢٩ ) .

(٥) يعادون : يزيدون .

(٦) في نسيم الرياض ( ٣ - ١٢٤ ) : قالوا : هذه الرواية لا يعرف من رواها .

(٧) سقطا : ماسقط من بطن أمه قبل مدة تمام حملها ، وأوان ولادته .

(٨) رواه البيهقي .

(٩) كان عنده من الذهب قطع كثيرة لما أريد قسمتها كسرت .

(١٠) مجّلت : المجّل : تغير يكون في اليد من كثرة العمل . فيه : في الحفر ؛ أي حتى خرج

في أيديهم نقاط وجراحات من كثرة عملهم . وقد ضبطت الجيم بالفتحة والكسرة في ١ .

وقيل مائة ألف . وقيل : بل صولحت إحداهن ؛ لأنه طلقها في مرضه على نيف<sup>(١)</sup> وثمانين ألفاً ، وأوصى بخمسين ألفاً بعد صدقته الفاشية<sup>(٢)</sup> في حياته ، وعوارفه<sup>(٣)</sup> العظيمة : أعتق يوماً ثلاثين عبداً ، وتصدق مرةً بعير فيها سبعمائة بعير<sup>(٤)</sup> ، وردت عليه تحمّل من كل شيء [ ١١٧ ] ، فتصدق بها وبما عليها ، وبأقتابها وأحلاسها<sup>(٥)</sup> . ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد ، فنال الخلافة . ولسمد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن يجيب الله دعوته ، فما دعا على أحدٍ إلا استجيب له . ودعا<sup>(٦)</sup> بعز الإسلام بعمر رضي الله عنه ، أو بأبي جهل ، فاستجيب له في عمر .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : مازلنا أعزّة منذ أسلم عمر . وأصاب الناس<sup>(٧)</sup> في بعض مغازيه عطشٌ ، فسأله عمر الدعاء ؛ فدعا ؛ فجاءت سحابةٌ ، فسقّتهم حاجتهم ، ثم أقلمت<sup>(٨)</sup> . ودعا<sup>(٩)</sup> في الاستسقاء ، فسقّوا ، ثم شكروا إليه المطر ؛ فدعا ، فصحوا<sup>(١٠)</sup> .

- 
- (١) النيف : مازاد على العقد إلى أن يبلغ ما فوقه من العقود .  
 (٢) الفاشية : الظاهرة المشهورة .  
 (٣) عوارفه : جمع عارفة ؛ وهي ما يعتاد الإنسان من الإحسان والمطايا .  
 (٤) العير : الجمال التي تحمل الميرة ، يعني قافلة .  
 (٥) الأقتاب : جمع قتب ؛ وهو إكاف صغير يوضع على سنام البعير ليقيه من الأذى والأحلاس : جمع حلس ؛ وهو كساء يوضع تحت الإكاف على ظهر البعير .  
 (٦) في حديث رواه الترمذي عن ابن عمر ( سنن الترمذي : ٥ - ٦١٧ ) .  
 (٧) رواه البيهقي ، والحاكم ، وصححه عن عمر .  
 (٨) أقامت : أنجلت وكفت عن المطر بعد قضاء حاجتهم من الماء الذي يزيل عطشهم .  
 (٩) في حديث رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه . وأحاديث الاستسقاء في صحيح مسلم : ٦١٢ - ٦١٥ ، وصحيح البخاري : ٢ - ٣٣ .  
 (١٠) فصحوا : أي صحت السماء وانكشف غيمها .

[ وقال لأبي قتادة : أفلح وجهك <sup>(١)</sup> ، اللهم بارك له في شعره وبشره <sup>(٢)</sup> ،  
 فمات وهو ابن سبعين سنة ، وكان ابن خمس عشرة <sup>(٣)</sup> سنة ] <sup>(٤)</sup> .  
 وقال للنابغة <sup>(٥)</sup> : لا يفيض الله فاك <sup>(٦)</sup> ؛ فما سقطت له سن .  
 وفي رواية : فكان أحسن الناس ثغراً <sup>(٧)</sup> ؛ إذا سقطت له سن نبتت له أخرى ،  
 وعاش عشرين ومائة سنة ؛ وقيل : أكثر من هذا .  
 ودعا لابن عباس <sup>(٨)</sup> : اللهم فقّهه <sup>(٩)</sup> في الدين ، وعلمه التأويل <sup>(١٠)</sup> . فسقى  
 بعد الحبر وترجمان القرآن <sup>(١١)</sup> .  
 ودعا لعبد الله <sup>(١٢)</sup> بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه <sup>(١٣)</sup> ، فما اشترى شيئاً  
 إلا ربح فيه . ودعا <sup>(١٤)</sup> للمقداد بالبركة ؛ فكانت عنده غرائر المال <sup>(١٥)</sup> .

(١) للفلاح : الظفر وإدراك البغية .

(٢) البشر : ظاهر الجلد والبدن ، وكفى بذلك عن جملته ، وجميع بدنه ؛ فدعاه صلى  
 الله عليه وسلم بأن يبقى معمرًا على أحسن تقويم ، كاملاً جميع أعضائه .

(٣) رواه البيهقي .

(٤) في هامش ١ : من الأم بخطه ، من غير الرواية . وفي هامش ب : المعلم عليه من  
 الأم بخطه .

(٥) للنابغة الجمدي .  
 (٦) لا يفيض الله فاك : تقول العرب في الدعاء عليه : فض الله فاه . وفي الدعاء له :  
 لا يفيض الله فاه .

(٧) الثغر : ماتقدم من الأسنان ، ويطلق الثغر على الفم أيضاً .

(٨) في حديث صحيح رواه الشيخان : صحيح مسلم : ١٩٢٧ ، صحيح البخاري : ٥-٣٤

(٩) فقّهه في الدين : فهمه وعلمه .

(١٠) التأويل : التفسير .

(١١) الحبر - بكسر الحاء وفتحها : العالم المتقن الذي تبقى آثاره بعده .

والترجمان : من يفسر لساناً بلسان ، ويطلق الترجمان على من يبلغ الكلام .

(١٢) في حديث رواه البيهقي . (١٣) صفقة يمينه : في بيعه وشراؤه ومعاملته .

(١٤) في حديث رواه البيهقي في الدلائل ، وأبو نعيم .

(١٥) غرائر : جمع غرارة .

ودعا بمثله<sup>(١)</sup> لعروة بن أبي الجعد ؛ فقال : فلقد كنت أقوم بالكناسة<sup>(٢)</sup> ،  
فما أُرْجِع حتى أريح أربعين ألفا .

وقال البخاري في حديثه : فكان لو اشترى التراب ربح فيه .

وروي مثل هذا لفرقة أيضا .

وندت له ناقة<sup>(٣)</sup> ، فدعا فجاءه بها إعصار<sup>(٤)</sup> ريح ، حتى ردها عليه .

ودعا<sup>(٥)</sup> لأم أبي هريرة فأسلمت .

ودعا<sup>(٦)</sup> لعلی أن یكفی الحرّ والقر<sup>(٧)</sup> ؛ فكان یلبس في الشتاء ثياب الصيف ،

وفي الصيف ثياب الشتاء ، ولا يصيبه حرٌّ ولا برّد .

ودعا<sup>(٨)</sup> لفاطمة ابنته الله ألا یجیعها ؛ قالت : فما جعت بعد .

وسأله<sup>(٩)</sup> الطفیل بن عمرو آية لقومه ؛ فقال : اللهم نور له ؛ فسطع نور بين

عينيه ؛ فقال : أخاف أن يقولوا : مثله<sup>(١٠)</sup> ؛ فتحوّل<sup>(١١)</sup> إلى طرف سوطه ؛ فكان

يضيء في الليلة المظلمة ؛ فسمي ذا النور .

(١) في حديث رواه البخاري ، والدارقطني ، وأحمد في مسنده .

(٢) الكناسة : القمامة ، ثم صارت علما لسوق مشهور بالكوفة . وقيل : يجوز أن يراد به حقيقته ؛ أي أقوم بمقام حقير يستبعد الكسب في مثله ، فما أعود . . .

(٣) ندت : نفرت وشردت حتى غابت عن نظره فلا يراها . له : للنبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) الإعصار : ريح شديدة تثير غبارا يرتفع إلى السماء كأنها عمود .

قال في نسيم الرياض : وهذا الحديث لم يخرجوه .

(٥) في حديث رواه مسلم : صحيح مسلم : ١٩٣٨ ، وهو حديث طويل .

(٦) في حديث رواه البيهقي ، وابن ماجه ، بسند صحيح : سنن ابن ماجه : ٤٣

(٧) القر : البرد . (٨) في حديث رواه البيهقي ، عن عمران بن حصين .

(٩) في حديث رواه ابن إسحاق بلا سند ، والبيهقي عنه ، وابن جرير من طريق الكلبي .

(١٠) المثلة : التنكيل والمعقوبة ؛ أي خشي أن يعذوه عارا لتوهم أنه برص ونحوه .

(١١) فتحوّل ذلك النور .

ودعاً<sup>(١)</sup> على مُضِرِّ فأقْحَطُوا<sup>(٢)</sup> ، حتى استعطفته قريش ، فدعا لهم فسُقُوا<sup>(٣)</sup> .  
ودعاً<sup>(٤)</sup> على كِسْرَى حين مرَّ في كتابه أن يمزقَ اللهُ مُدَكَّهُ ؛ فلم تَبْق له باقية ،  
ولا بَقِيَتْ لِفَارِسَ رِيَاسَةٌ في أقطار الدنيا .

ودعاً<sup>(٥)</sup> على صَبِيٍّ قطع عليه الصلاة أن يقطع اللهُ أثره ، فأقْعِد .  
وقال<sup>(٦)</sup> لرجل رآه يأكل بِشِمَالِهِ : كُلْ بِيَمِينِكَ . فقال : لا أستطيعُ . فقال :  
لا استطعتُ . فلم يرفعها إلى رِيفِهِ<sup>(٧)</sup> .

وقال<sup>(٨)</sup> لُعْتَبَةَ بن أبي لَهَب : اللهم سلطْ عليه كَلْباً<sup>(٩)</sup> من كلابِكَ ؛ فأكله الأسد .  
[ وقال لامرأةٍ : أأكلكِ الأسد . فأكلها ]<sup>(١٠)</sup> .

وحديثه المشهور<sup>(١١)</sup> ، من رواية عُبَيْدِ اللهِ بن مسعود رضى اللهُ عنه ، في دعائه

(١) في حديث صحيح رواه الشيخان والنسائي ، عن ابن عباس ، والبيهقي عن ابن مسعود .  
(٢) أقحطوا : أصابهم القحط لاحتباس المطر عنهم حتى كادوا يهلكوا .  
(٣) فسقوا : سقاهم الله تعالى وأمطر أرضهم ، فزال عنهم القحط بدعائه .  
(٤) في حديث رواه الشيخان عن ابن عباس . ونص الكتاب في نسيم الرياض (٣-١٣٦) .

وصحيح البخاري : ٦ - ١٠

(٥) في حديث رواه أبو داود ، والبيهقي . وقال الذهبي : أظنه موضوعاً ؛ لأنه أشكل  
عليه بأن الصغير غير مكلف فكيف يدعو عليه صلى اللهُ عليه وسلم مع رأفته به ؟ وقطع عليه  
صلاته : بمروره بين يديه . فأقعد : صار مقعداً لا يمكنه المشي .

(٦) في حديث رواه مسلم عن سلمة بن الأكوع . صحيح مسلم : ١٥٩٩

(٧) لأنها شلت وبطل عمله بها .

(٨) في حديث رواه الحاكم ، والبيهقي ، وابن إسحاق من طرق صحيحة مسندة .  
وكان عتبة هذا عنده ابنة للنبي صلى اللهُ عليه وسلم فطلقها فأذاه فدعا عليه فافترسه الأسد  
بالزرقاء من أرض الشام .

(٩) الأسد يسمى كلباً ؛ لأنه يشبهه في بعض أحواله .

(١٠) في هامش ١ : من الأم بخطه ، من غير الرواية .

(١١) الذي رواه مسلم ، والبخاري : صحيح البخاري : ٤ - ٥٣

على قُرَيْشٍ حينَ وَضَعُوا السَّلَا (١) على رَقَبَتِهِ وهو ساجدٌ مع الفَرَثِ (٢) والدم ، وسَمَّاهم .  
قال : فلقد رأيتهم قَتَلُوا يومَ بَدْر .

ودعا (٣) على الحَكَمِ بنِ أَبِي العاصِ ، وكان يَخْتَلِجُ بوجهه ، وَيَغْمِزُ (٤) عند  
النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم ؛ أى لا ؛ فرآه ؛ فقال : كذلك كُنْ (٥) ، فلم يزل يَخْتَلِجُ  
إلى أن مات .

ودعا على مُحَلِّمِ (٦) بنِ جَثَامَةَ فمات لَسْبَعِ ، فلفظتُهُ الأَرْضُ (٧) ؛ ثم وُورِيَ فلفظتُهُ  
مَرَّاتٍ ، فَأَلْقَوْهُ بَيْنَ صُدَيْنِ (٨) ، وَرَضَمُوا (٩) عليه بالحجارة .

والصُّدَى : جانبُ الوادى [ ١١٨ ] .

وجعده (١٠) رَجُلٌ بَيْعُ فَرَسٍ - وهى التى شهِدَ فيها خُزَيْمَةُ للنبيِّ صلى اللهُ عليه  
وسلم ؛ فَرَدَّ الفرسَ بعد (١١) النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم على الرجلِ ، وقال : اللهم إِنْ  
كان كاذباً فلا تبارِكْ له فيها . فأصبحتْ شاصِيَةً برجلِها ؛ أى رافعةً .  
وهذا البابُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحَاطَ بِهِ .

(١) السلا : جلد رقيق يخرج مع الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه .

(٢) الفَرث : السرجين مادام في الكرش .

(٣) فى حديث رواه البيهقى مسنداً من طرق صحيحة .

(٤) يَخْتَلِجُ بوجهه : يحرك وجهه . وَيَغْمِزُ : يحرك عينيه مشيراً بهما وهو جالس .

(٥) دعا عليه بأن لا يزال وجهه يَخْتَلِجُ .

(٦) فى حديث رواه البيهقى ، وابن جرير .

(٧) لفظته الأرض : قذفته وطرحته وأخرجته من بطنها لعدم قبولها له .

(٨) صدين : مثنى صد ؛ وهو ناحية الوادى ، أو الشعب ، أو الجبل .

(٩) رَضَمُوا : الرضم : وضع الصخور بعضها فوق بعض كالبناء ، أى كَوْمُوا عليه .

(١٠) جعده رجل بيع فرس : أنكره : وكان النبي اشتراها منه .

(١١) بعد : بعد جعده .

## فصل

في كراماته وبركاته وانقلاب الأعيان له فيما لمسه أو باشره

أخبرنا أحمد بن محمد ، حدثنا أبو ذرّ الهروي ، إجازة ؛ حدثنا القاضي أبو عليّ سماعا ، والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما ؛ قالوا : حدثنا أبو الوليد القاضي ، حدثنا أبو ذرّ ، حدثنا أبو إسحاق ، وأبو الهيثم ؛ قالوا : حدثنا الفربري ، حدثنا البخاري ، حدثنا يزيد بن زريع <sup>(١)</sup> ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ابن مالك رضي الله عنه - أن أهل المدينة فرّعوا <sup>(٢)</sup> مرة ، فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة كان يقطف ، أو به فطاف <sup>(٣)</sup> . وقال غيره : يبّطأ <sup>(٤)</sup> ؛ فلما رجع قال : وجدنا فرسك بحراً <sup>(٥)</sup> ؛ فكان بعد لا يجاري <sup>(٦)</sup> .

ونخس <sup>(٧)</sup> جمل جابر ، وكان قد أعيا <sup>(٨)</sup> ، فذسّط حتى كان ما يملك <sup>(٩)</sup> زمامه .

(١) في نسيم الرياض (٣ - ١٤٤) : كذا في النسخ هنا ؛ وصوابه : حدثنا البخاري ، حدثنا عبد الأعلى بن حماد ، حدثنا يزيد بن زريع ، وهكذا هو في صحيح البخاري ؛ فسقط منه راو من قلم المصنف . وفي هامش ١ : سقط بين البخاري ويزيد بن زريع رجل ؛ وهو عبد الأعلى بن حماد النرسي ، قاله يحيى بن علي القرشي ، عفا الله عنه .

(٢) فرّعوا : وقع بهم فرع . والفرع : أشد الخوف .

(٣) يقطف : يبّطأ . أو هو الضيق المشي ؛ وهو عيب في الخيل .

(٤) قال في نسيم الرياض (٣ - ١٤٥) : الظاهر أن المراد به هنا أنه كان يوصف بالبطء

وينسب إليه ذلك .

(٥) بحرا : كالبحر في شدة جريه وعدوه بسهولة .

(٦) لا يجاري : لا يسبق . وهذا الحديث رواه البخاري : صحيح البخاري : ٤ - ٣٧

(٧) رواه الشيخان . والنخس : أن يطعمه في جنبه بمود أو نحوه . والحديث في صحيح

مسلم : ١٢٢٣ ، وصحيح البخاري : ٧ - ٢٦

(٨) أعيا : تعب وقلت حركته .

(٩) معناه أنه لا يقدر على ضبطه وحبسه لأنه لشدة نشاطه يجذبه من يده وينازعه .



وصنع (١) مثل ذلك بفرس جُعَيْل الأشجعي؛ خفقها بِمَخْفَقَةٍ (٢) معه ،  
 وبرك (٣) عليها ، فلم يملك رأسها نشاطاً (٤) ؛ وباع من بطنها بائني عشر ألفاً .  
 [ ورَكِبَ (٥) حماراً قَطُوفاً لسعد بن عبادَة فرده هَمَلِجاً (٦) لا يُسَايرُ ] (٧) .  
 وكانت (٨) شعراتٌ من شعره في قلنسوة خالد بن الوليد ، فلم يشهد بها قتالاً  
 إلا رزق النصر .

وفي الصحيح (٩) - عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها - أنها أخرجت جُبَّةَ (١٠)  
 طيَّالسةً ، وقالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها ، فنحن نغسلها  
 للمرضى يُستشفى بها (١١) .

وحدثنا القاضي أبو علي ، عن شيخه أبي القاسم بن المأمون : قال : وكانت عندنا  
 قَصْعَةٌ من قِصَاعِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فكُنَّا نجعلُ فيها الماءَ للمرضى ،  
 فيستشفون بها .

(١) وهذا الحديث رواه عنه عبد الله بن أبي الجعد . والخبر في الاستيعاب : ٢٤٦

(٢) خفقها : ضربها . والمخفقة : الدرة ، أو العصا . وهذا رواه النسائي .

(٣) برك عليها : دعا مرارا بالبركة فيها .

(٤) أي لم يقدر على ضبط رأسها بلجامها لقوة سيرها ومجاذبتها له .

(٥) في حديث رواه ابن سعد .

(٦) قَطُوفاً : قليل السير متقارب الخطأ . والهملج من البراذين : ما يسرع في مشيه ويكثر

نقله على هيئة مخصوصة ، والعامية يسمونه « الرهوان » .

(٧) في هامش ١ : ما بين القوسين من الأم من غير الرواية . (٨) رواه البيهقي .

(٩) هذا الحديث رواه مسلم ، والنسائي ، وابن ماجه : صحيح مسلم : ١٦٤١

(١٠) الجبة : ثوب مخيط . طيَّالسة : جمع طيَّالسان . والطيَّالسة : نوع من الأكسية ، قيل :

إنها ذات أعلام خضر . وقيل : الطيَّالسان : كساء أخضر . وقيل : رداء صوف تستعمله المعجم .

(١١) بها : بمائها ، بأن يشرب منه ويمسح به الأبدان تيمناً بآثاره صلى الله عليه وسلم ،

فيرزقهم الله الشفاء ببركته .

وأخذ جَهْجَاهُ الْفِقَارَى الْقَضِيبَ (١) من يد عثمان رضي الله عنه ليكسره على ركبته؛ فصاح الناسُ به، فأخذتهُ فيها الآكلةُ فقطعها (٢)، ومات قبل (٣) الحول.

وسكب (٤) من فضل وضوئه في بئر قباء فما نَزَرَتْ (٥) بعد.

وبزق (٦) في بئر كانت في دار أنس، فلم يكن بالمدينة أعذب منها.

ومرَّ على ماء، فسأل عنه؛ فقيل له: اسمه بيسان (٧)، وماؤه ملح، فقال: بل هو

نعمان (٨) وماؤه طيب. فطاب.

وأُتِيَ (٩) بدلو من ماء زمزم، فمَجَّ فيه، فصارت أطيب من المسك.

وأعطى (١٠) الحسن والحسين لسانه فصّاه، وكانا يبكيان عطشا، فسكتا.

وكان لأم (١١) مالك عكة (١٢) تُهدى فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سَمْنًا؛ فأمرها

النبي صلى الله عليه وسلم ألا تعصرها (١٣)؛ ثم دفعها إليها، فإذا هي مملوءة سَمْنًا؛ فبأتيها.

(١) القضيبي: عصا قصيرة. وقال الفقاري (١ - ٦٦٨): القضيبي: عصا النبي التي كان

الخلفاء يتداولونها.

(٢) الآكلة: داء يصيب بعض الأعضاء فيتآكل؛ أي يتفتت ويتقطع. فقطعها؛ أي ركبته.

(٣) هذا الخبر رواه ابن عبد البر في الاستيعاب: ٢٦٩

(٤) رواه البيهقي، عن أنس بن مالك.

(٥) بئر قباء: قرب المدينة. فما نَزَرَتْ البئر؛ أي ما انقطع ماؤها.

(٦) رواه أبو نعيم في دلائله. (٧) بيسان: موضع بالحجاز.

(٨) نعمان: من النعمة - بكسر أولها، أو بفتحها.

(٩) رواه ابن ماجه، والبيهقي: سنن ابن ماجه ٢١٦ (١٠) رواه الطبراني.

(١١) في حديث رواه مسلم: صحيح مسلم: ١٦١٢

(١٢) العكة: وعاء من جلد يوضع فيه السمن غالبًا.

(١٣) العصر: الضبط للظرف ليخرج ما فيه مما قل.

بَنُوها يسألونها (١) الأذم ، وليس عندهم شيء ، فتعمد (٢) إليها ، فتجد فيها سبباً ؛ فكانت تُقيم أدمها (٣) حتى عَصَرَتْهَا .

وكان يَتَنَلُّ في (٤) أفواه الصبيبان المراضع فيجزئهم ريقه إلى الليل (٥) .  
ومن ذلك بركة يده فيما لمسه وغرسه ، ولَسَّمان رَضِيَ اللهُ عنه حين (٦) كاتبه مواليه على ثلاثمائة (٧) ودية يَغْرِسُها لهم ، كلها تعلق وتُطعم (٨) . وعلى أربعين أوقية من ذهب ؛ فقام صلى الله عليه وسلم وغرسها له بيده إلا واحدة [ ١١٩ ] غرسها غيره ؛ فأخذت (٩) كلها إلا تلك الواحدة ، فقلعها النبي صلى الله عليه وسلم وردّها ، فأخذت .

وفي كتاب الزّار : فأطعم النخْلُ مِنْ عامه إلا الواحدة ، فقلعها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فأطعمت مِنْ عامها .  
وأعطاه (١٠) مِثْلَ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ من ذهب بعد أن أدارها على لسانه ، فوزن منها لمواليه أربعين أوقية ، وبقيَ عنده مِثْلُ ما أعطاهم .

(١) الأذم : جمع إدام ، وهو ما يؤتدم به مع الخبز ، كالسمن والعسل .

(٢) فتعمد : فتقصد .

(٣) فكانت تقيم أدمها : أي تجمله قائماً ، أي باقياً على حاله ، أي تديم ذلك الإدام .

(٤) في حديث رواه البيهقي .

(٥) فيجزئهم : أي يكفيهم عن الرضاعة النهار كله .

(٦) رواه البيهقي . (٧) الودية : صغار النخيل .

(٨) تعلق : تثبت بعد غرسها ، ويتم غراسها . وتطعم : يوجد فيها ما يؤكل ؛ يعني تعطى الثمرة ، أو تدرك .

(٩) فأخذت كلها : أي طلعت وأدركت .

(١٠) وأعطاه : وأعطى سلمان .

وفي حديث حنّس بن عَقِيل (١) : سقاني رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرْبَةً  
من سَوِيقٍ (٢) شَرِبَ أَوَّاهًا وشَرِبْتُ آخِرَهَا ، فَمَا بَرِحْتُ أَجِدُ شِبَعَهَا إِذَا جُعْتُ ، وَرِيهَا  
إِذَا عَطِشْتُ ، وَبَرَدَهَا إِذَا ظَمْتُ .

وَأَعْطَى (٣) قَتَادَةَ بنَ النُّعْمَانَ ، وَصَلَّى مَعَهُ الْعِشَاءَ فِي لَيْلَةِ مُظْلَمَةِ مَطِيرَةٍ - عُرْجُونًا ،  
وَقَالَ : انْطَلِقْ بِهِ ؛ فَإِنَّهُ سَيُضِي لَكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ عَشْرًا (٤) وَمَنْ خَلَفَكَ عَشْرًا ؛  
فَإِذَا دَخَلْتَ بَيْتَكَ فَسْتَرِ سَوَادًا (٥) فَاضْرِبْ بِهِ حَتَّى يَخْرُجَ ، فَإِنَّهُ الشَّيْطَانُ .

فَانْطَلِقْ فَأُضَاءَ لَهُ الْعُرْجُونُ حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ ، وَوَجَدَ السَّوَادَ فَضْرِبْ بِهِ حَتَّى خَرَجَ .

وَمِنْهَا (٦) دَفَعَهُ لِمَكَاشَةَ جِدُلٍ حَطَبٍ (٧) ، وَقَالَ : اضْرِبْ بِهِ حِينَ انْكَسَرَ  
سَيْفُهُ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَعَادَ فِي يَدِهِ سَيْفًا صَارِمًا (٨) ، طَوِيلَ الْقَامَةِ ، أَبْيَضَ ، شَدِيدَ الْمَتْنِ ،  
فَقَاتَلَ بِهِ ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ يَشْهَدُ بِهِ (٩) الْمَوَاقِفَ إِلَى أَنْ اسْتَشْهِدَ فِي قِتَالِ أَهْلِ  
الرِّدَّةِ (١٠) .

وَكَانَ هَذَا السَّيْفُ يُسَمَّى « الْعَوْنُ » .

(١) هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ قَاسِمُ بنُ ثَابِتٍ فِي الدَّلَائِلِ . وَضَبَطَتِ الْعَيْنُ فِي عَقِيلٍ بِالْفَتْحَةِ فِي أ ،  
وَبِالضَّمَّةِ فِي ب . وَقَالَ فِي شَرْحِ الْقَارِي ( ١ - ٦٧١ ) : وَلَمْ أَرْ لَهُ أَثْرًا فِي كِتَابِ الصَّحَابَةِ لِابْنِ  
عَبْدِ الْبَرِّ وَلَا خَبْرًا ، فَعَلَى مَنْ رَأَاهُ أَنْ يَرْسُمَهُ هُنَا .  
(٢) السَّوِيقُ : قَمْحٌ يَقْلَى وَيَطْحَنُ ثُمَّ يَجْعَلُ فِي مَاءٍ وَنَحْوِهِ مِنَ الْمَائِمَاتِ وَيَشْرَبُ ؛ فَهُوَ طَعَامٌ  
وَشْرَابٌ .

(٣) فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ ( الْمُسْنَدُ : ٣ - ٦٥ ) .

(٤) أَيُّ مَقْدَارِ عَشْرَةِ أَذْرَعٍ فِي طَرِيقِكَ حَتَّى تَبْصُرَهَا .

(٥) سَوَادًا : الْمُرَادُ جِسْمٌ أَسْوَدٌ . (٦) مِنْ كَرَامَاتِهِ .

(٧) الْجِدُلُ : عَوْدٌ غَلِيظٌ ، أَوْ أَصْلٌ مِنْ أَصُولِ الشَّجَرِ . وَالْحَطَبُ : مَا يَبْسُ مِنْ أَغْصَانِ الشَّجَرِ .

(٨) صَارِمًا : قَاطِمًا . (٩) الْمَوَاقِفَ : قِتَالَ الْكُفْرَةِ .

(١٠) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ . وَهُوَ فِي الْإِسْتِيعَابِ : ١٠٨٠ .

وَدَفَعَهُ <sup>(١)</sup> لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَقَدْ ذَهَبَ سَيْفُهُ - عَسِيبَ <sup>(٢)</sup> نَخْلٍ ؛

فَرَجَعَ فِي يَدِهِ سَيْفًا .

وَمِنْهُ بَرَكَتُهُ فِي دُرُورِ الشِّيَاءِ الْحَوَائِلِ <sup>(٣)</sup> بِاللَّابِنِ الْكَثِيرِ ؛ كَقِصَّةِ شَاةٍ أُمِّ مَعْبُدٍ ،

وَأَعْنَزُ مَعَاوِيَةَ <sup>(٤)</sup> بِنِ ثَوْرٍ ، وَشَاةٍ أَنَسٍ <sup>(٥)</sup> ، وَغَنَمِ حَلِيمَةَ <sup>(٦)</sup> مَرَضَعَتِهِ وَشَارِفِيهَا <sup>(٧)</sup> ،

وَشَاةٍ <sup>(٨)</sup> عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ؛ وَكَانَتْ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا فَحْلٌ <sup>(٩)</sup> ؛ وَشَاةٍ الْمَقْدَادِ <sup>(١٠)</sup> .

وَمِنْ ذَلِكَ تَزْوِيدُهُ أَصْحَابَهُ سِقَاءَ مَاءٍ بَعْدَ أَنْ أُوكَاهُ <sup>(١١)</sup> ، وَدَعَا فِيهِ ، فَلَمَّا حَضَرْتَهُمْ

الصَّلَاةُ نَزَلُوا فُحِّلُوهُ ، فَإِذَا بِهِ ابْنُ طَيْبٍ وَزُبَيْدَةُ فِي فَمِهِ <sup>(١٢)</sup> - مِنْ رِوَايَةِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ .

وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِ عُمَيْرِ بْنِ سَعْدٍ ، وَبِرِّكَ ، فَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ ، فَمَا شَابَ .

وَرُوي مِثْلُ هَذِهِ الْقِصَصِ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ ؛ مِنْهُمْ السَّائِبُ بْنُ يَزِيدٍ ، وَمَدْلُوكٌ .

وَكَانَ <sup>(١٣)</sup> يُوجَدُ لِعُتْبَةَ بْنِ فَرَّقَدٍ طَيْبٌ يُغَلَبُ طَيْبَ نِسَائِهِ ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسَحَ بِيَدِهِ عَلَى بَطْنِهِ وَظَهْرِهِ .

(١) أَي مِنْ كَرَامَاتِهِ دَفَعَهُ . . . وَالخَبْرُ فِي الاستِيْمَابِ : ٨٧٩

(٢) عَسِيبُ نَخْلٍ : قِيلَ : هِيَ جَرِيدَةُ النَّخْلِ لِاخْتِصَاصِهَا . وَقِيلَ : الْعَسِيبُ مِنَ السَّمْفِ

مَا فَوْقَ الْكَرْبِ لَمْ يَنْبِتْ عَلَيْهِ خَوْصٌ .

(٣) دُرُورُ الشِّيَاءِ الْحَوَائِلِ : دَرَّتِ الشَّاةُ : سَالَتْ لَبْنَهَا مِنْ ضَرْعِهَا بِكَثْرَةٍ . وَالذَّرُّ : اللَّبْنُ .

وَالْحَوَائِلُ : جَمْعُ حَائِلٍ ؛ وَهِيَ الَّتِي لَمْ تَحْمَلْ مَطْلَقًا . (٤) وَقِصَّتُهُ رَوَاهَا ابْنُ سَعْدٍ .

(٥) لَمْ يَذْكُرْهَا السِّيُوطِيُّ فِي تَخْرِيجِهِ لِعَدَمِ الْوُقُوفِ عَلَيْهَا .

(٦) رَوَاهَا أَبُو يَعْلَى ، وَالطَّبْرَانِيُّ ، وَغَيْرُهُمَا بِسَنَدٍ حَسَنٍ .

(٧) الشَّارِفُ : النَّاقَةُ الْمَسْنُونَةُ . (٨) رَوَى قِصَّتَهَا الْبَيْهَقِيُّ ، وَابْنُ مَسْعُودٍ .

(٩) نَزَا الذَّكَرُ عَلَى الْأُنْثَى إِذَا عَلَاهَا . يَرِيدُ لَمْ تَلْقَحْ ، وَلَمْ تَلِدْ .

(١٠) قِصَّتُهَا رَوَاهَا مُسْلِمٌ ، وَالْبَيْهَقِيُّ .

(١١) أُوكَاهُ : شَدَّهُ بِالْوَكَاةِ ، وَهُوَ مَا يَرْتَبِطُ بِهِ الْقَرِيبَةُ وَنَحْوُهَا . وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ ، عَنْ

سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ . (١٢) فِي فَمِهِ : فِي فَمِ ذَلِكَ السَّقَاءِ .

(١٣) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ ، وَالْبَيْهَقِيُّ . وَرَوَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي الاستِيْمَابِ : ١٠٢٩

وسلت<sup>(١)</sup> الدم عن وجه عائذ بن عمرو، وكان خرج يوم حنين، ودعاه، فكانت له غرة<sup>(٢)</sup> كغرة الفرس.

ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامي، ودعاه، فهلك وهو ابن مائة سنة، ورأسه أبيض، وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم ومامرت يده عليه من شعره أسود؛ فكان يدعى الأغر<sup>(٣)</sup>.

وروى<sup>(٤)</sup> مثل هذه الحكاية لعمر بن ثعلبة الجهني.

ومسح وجه آخر، فما زال على وجهه نور.

ومسح وجه قتادة بن ملحان، فكان لووجه بريق حتى كان ينظر في وجهه

كما ينظر في المرأة.

ووضع يده على رأس حنظلة بن حذيم<sup>(٥)</sup>، وبرك عليه؛ فكان حنظلة يؤتى

بالرجل قد ورم وجهه، والشاة قد ورم ضرعها، فيوضع<sup>(٦)</sup> [١٢٠] على موضع

كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم.

ونضح<sup>(٧)</sup> في وجه زينب بنت أم سلمة نضحة<sup>(٨)</sup> من ماء، فما يعرف كان في وجه

امرأة من الجمال ما بها.

(١) سلت الدم: أي مسح النبي صلى الله عليه وسلم وجهه بيده متكئا عليه حتى أخرج

ما عليه من الدم.

(٢) الغرة: بياض منتشر طولا وعرضا في وجهه.

(٣) يدعى الأغر لما في وجهه من البياض.

(٤) الذي رواه البيهقي. ورواه ابن عبد البر في الاستيعاب: ١١٦٨

(٥) في حديث رواه البيهقي.

(٦) فيوضع: أي محل الورم من الوجه والضرع. وفي ب: فيضع.

(٧) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب: ١٨٥٥

(٨) نضح: رش بالماء ونحوه.

ومسح على رأس صبيّ به عاهة<sup>(١)</sup> ، فَبْرَأَ ، واستوى شعره<sup>(٢)</sup> ، وعلى غير واحدٍ من الصّبيّان والمرضى والمجانين ، فَبْرَأُوا .  
وأناه<sup>(٣)</sup> رجل به أدرة<sup>(٤)</sup> ، فأمره أن ينضجها<sup>(٥)</sup> بماء من عَيْنِ مَجِّ فيها ،  
فَفَعَلَ ؛ فَبْرَأَ .

وعن طاوس<sup>(٦)</sup> : لم يُوْتِ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَحَدٍ بِهِ مَسٌّ ، فَصَكَ<sup>(٧)</sup>  
فِي صَدْرِهِ إِلَّا ذَهَبَ .  
وَالْمَسُّ : الْجَنُونُ .

وَمَجٌّ فِي دَلْوٍ مِنْ بَثْرٍ ، ثُمَّ صَبَّ فِيهَا<sup>(٨)</sup> ، فَفَاحَ مِنْهَا رِيحُ الْمِسْكِ .  
وَأَخَذَ<sup>(٩)</sup> قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ يَوْمَ حُنَيْنٍ ، وَرَمَى بِهَا فِي وَجْهِهِ الْكُفَّارَ ، وَقَالَ :  
شَاهَتِ<sup>(١٠)</sup> الْوَجْوهُ ، فَانصَرَفُوا يَمْسَحُونَ الْقَذَى<sup>(١١)</sup> عَنْ أَعْيُنِهِمْ .

(١) عاهة : آفة ومرض ، والمراد أنه كان أقرع .

(٢) استوى شعره : نبت وتم وحسن .

قال في نسيم الرياض (٣ - ١٦٤) : وهذا الحديث لم يخرج به السيوطي ولا غيره .

وفي شرح القاري (١ - ٦٧٥) : هذا الحديث لا يعرف من رواه بهذا اللفظ .

(٣) في حديث لم يخرجوه . وفي شرح القاري (١ - ٦٧٥) : قال الدلجي : لا أعلم

من رواه .

(٤) الأدرّة : انتفاخ في الخصيتين . (٥) ينضجها : يرشها .

(٦) روى عن ابن عباس ، وأبي هريرة ، وغيرهما .

(٧) صك في صدره : ضرب صدره بيده المباركة .

(٨) مج : صب من فيه . ثم صب فيها : أي في البثر الذي مج فيه ريقه . وقال القاري :

رواه أحمد عن وائل بن حجر . (مسند أحمد : ٤ - ٣١٥) .

(٩) في حديث مشهور رواه مسلم : صحيح مسلم : ١٤٠٢ .

(١٠) شاهت الوجوه : جملة دعائية معناها قبحت وقبحها الله .

(١١) القذى : ما يقع في العين من التراب .

[ وشكا إليه أبو هريرة رضى الله عنه النسيان ، فأمره ببسط<sup>(١)</sup> ثوبه ، وغرف بيده فيه<sup>(٢)</sup> ؛ ثم أمره بضمه ، ففعل ؛ فما نسي شيئا بعد .  
وما يروى عنه في هذا كثير .

وضرب صدر<sup>(٣)</sup> جرير بن عبد الله ، ودعا له ؛ وكان ذكرا له أنه لا يثبت على الخيل ، فصار من أفرس<sup>(٤)</sup> العرب وأثبتهم .  
ومسح على رأس عبد الرحمن<sup>(٥)</sup> بن زيد بن الخطاب وهو صغير ، وكان دميما ، ودعاه بالبركة ، ففرغ الرجال<sup>(٦)</sup> ، طولا وتاماً<sup>(٧)</sup> .

### فصل

ومن ذلك<sup>(٨)</sup> ما أُطِيعَ عليه من الغيوب وما يكون<sup>(٩)</sup> . والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره<sup>(١٠)</sup> ، ولا ينزف<sup>(١١)</sup> غمره .  
وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر ، لكثرة رواتبها ، واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب :  
حدثنا الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى إجازة ، وقرأته على غيره : قال

(١) يبسط ثوبه : أى بأن يضعه على الأرض ويفرشه .

(٢) أى فعل فعلا شبيها بمن يغرف من شيء ما يضعه فى الآخر . وضمير « فيه » للثوب .

(٣) رواه ابن عبد البر فى الاستيعاب : ٢٣٨

(٤) أفرس العرب : أقواهم . (٥) رواه ابن عبد البر فى الاستيعاب : ٨٣٤

(٦) فرغ الرجال : زاد عليهم فى الطول .

(٧) فى هامش ١ ، ب - أمام ما بين القوسين : من الأم من غير الرواية .

(٨) ومن ذلك : ومن خصائصه وكراماته .

(٩) وما يكون : وما يحصل فى المستقبل .

(١٠) لا يدرك قعره : لا يصل أحد إلى نهايته . وقعره : قراره وأرضه .

(١١) لا ينزف : لا ينفى ، ولا ينفد .



أبو بكر : حدثنا أبو علي التُّستَرِي ، حدثنا أبو عمر الهاشمي ، حدثنا اللؤلؤي ،  
حدثنا أبو داود ، حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي  
وائل ، عن حذيفة ، قال <sup>(١)</sup> : قام فينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مقاماً <sup>(٢)</sup> ؛  
فما ترك شيئاً يكونُ في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا <sup>(٣)</sup> ، حدثه ؛ حفظه من حفظه ،  
ونسِيَه مَنْ نَسِيَه ، قد علمه أصحابي هؤلاء ، وإنه ليكونُ منه الشيء <sup>(٤)</sup> فأعرفه فاذا ذكره  
كما يذكر الرجلُ وجهَ الرجل إذا غاب عنه ؛ ثم إذا رآه عرفه .

ثم قال حذيفة : ما أدري ، أنسى أصحابي أم تناسوه <sup>(٥)</sup> . والله ما ترك رسولُ  
الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنه إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة  
فصاعداً إلا قد سماه لنا باسمه ، واسم أبيه ، وقبيلته <sup>(٦)</sup> .

وقال أبو ذر <sup>(٧)</sup> : لقد تركنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائرٌ  
جناحيه في السماء <sup>(٨)</sup> ، إلا ذكرنا منه علماً <sup>(٩)</sup> .

(١) الحديث في صحيح مسلم : ٢٢١٧ ، وسنن أبي داود : ٢ - ١٣٠ .

(٢) قام فينا مقاما : المراد أنه خطبهم يوماً .

(٣) هذا في ا ، ب . وفي صحيح مسلم : إلا حدث به . والثبت في سنن أبي داود .

(٤) ليكون منه الشيء : أي يوجد شيء مما حدثنا به في ذلك المقام في الخارج قد نسيته

لطول العهد بحديثه ، فأراه بعيني بعد ما وجد .

(٥) تناسوه : أظهروا نسيانه . وفي سنن أبي داود : أم تناسوا .

(٦) وهذا الحديث روى من طريق آخر ذكره ابن الجوزي وغيره . وفي سنن أبي داود :

واسم قبيلته .

(٧) في حديث رواه أحمد (المسند : ٥ - ١٥٣) ، والطبراني ، وغيرهما ، بسند صحيح .

(٨) كناية عن بيان كل شيء .

(٩) أي تذكرنا وفهمنا من طيرانه علماً يتعلق به ، فكيف بغيره مما يهمننا في الأرض ؛

وهذا تمثيل لبيان كل شيء تفصيلاً تارة وإجمالاً أخرى . وفي المسند : أذكرنا .

وقد خرَّجَ أهلُ الصحيحِ والأئمةُ ما أعلمُ به أصحَّاهُ صلى اللهُ عليه وسلم ممَّا  
وَعَدَهُمْ بِهِ مِنَ الظُّهُورِ عَلَى أَعْدَائِهِ ، وَفَتْحِ مَكَّةَ ، وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَالْيَمَنِ ، وَالشَّامِ ،  
وَالْعِرَاقِ ، وَظُهُورِ الْأَمَنِ ، حَتَّى تَظْعَنَ الْمَرْأَةُ مِنَ الْحَيْرَةِ إِلَى مَكَّةَ (١) ، لَا تَخَافُ  
إِلَّا اللَّهَ . وَأَنَّ الْمَدِينَةَ (٢) سَتُغْزَى ، وَتُفْتَحُ خَيْبَرَ عَلَى يَدَيْ عَلِيٍّ فِي غَدِ يَوْمِهِ (٣) ، وَمَا يَفْتَحُ  
اللَّهُ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الدُّنْيَا (٤) ، وَيُؤْتُونَ مِنْ زَهْرَتَيْهَا ، وَقِسْمَتَيْهِمْ كَنْزُ كَسْرَى وَقَيْصَرَ ،  
وَمَا يَحْدُثُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْفُتُونِ (٥) وَالْإِخْتِلَافِ وَالْأَهْوَاءِ ، وَسُلُوكِ سَبِيلٍ مِنْ قَبْلِهِمْ ،  
وَافْتِرَاقِهِمْ [١٢١] عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ؛ النَّاجِيَةُ مِنْهَا وَاحِدَةٌ ، وَأَنَّهَا سَتَكُونُ لَهُمْ  
أَنْمَاطٌ (٦) ؛ وَيَغْدُو أَحَدُهُمْ فِي حُلَّةٍ ، وَيَرُوحُ فِي أُخْرَى (٧) ، وَتُوضَعُ بَيْنَ يَدَيْهِ

(١) تظعن : تسافر وحدها وترحل ؛ وذكر المرأة للمبالغة في الأمن ؛ لأنها مع ضعفها  
وشدة خوفها إذا أمنت علم أمن غيرها بالطريق الأولى .

(٢) قال في نسيم الرياض : هو إشارة إلى وقعة الحرة ؛ فإنها وقعة عظيمة قتل بها المسلمون  
حتى تركت الصلاة في الحرم ، والحرة : أرض بظاهر المدينة ذات حجارة سود . والحديث في  
صحيح مسلم (١٠٠٩) . وفي شرح القاري (١ - ٦٧٨) : ستغزى من الغزو ، أى متحارب  
وتة تل . وفي رواية بمهملتين ؛ قال الحافظ المزي : الرواية في الحديث بالعين المهملة والراء ،  
يعنى من المرى ، أى تصير عراق . والمعنى : ستخرب ، ليس فيها أحد . فقد رواه الشيخان عن  
أبي هريرة رضى الله تعالى عنه بلفظ : يتركون المدينة على خير ما كانت لا ينشأها إلا العوافى .  
وهذا لم يقع بعد كما اختاره النووي ، وتفسيره : وإنما يقع قرب الساعة . صحيح مسلم : ١٠٠٩

(٣) لما كانت وقعة خيبر وتمسر فتحها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأعطين الراية غدا  
رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله تعالى على يديه ، فدعا عليا . . . وفتحها  
الله على يديه : صحيح البخارى : ١٧١ - ٥

(٥) الفتون : جمع فتنة ؛ تطلق على كل ما يقع بين الناس من النزاع والحروب . وفي ب :  
من الفتن .

(٦) أنماط جمع نمط ، وهو البساط . يعنى أن أمة صلى الله عليه وسلم يتوسعون في الدنيا  
حتى يتخذوا الفرش النفيسة لبسط الله لهم الرزق بعد ما كانوا فيه من الفقر وضيق المعيشة .

(٧) من حديث رواه الترمذى عن علي وحسنه : سنن الترمذى : ٥٢٦ - ٥

صَحْفَةٌ<sup>(١)</sup> وَتُرْفَعُ أُخْرَى ، وَيَسْتُرُونَ بِيوتَهُمْ كَمَا تُسْتَرُ السَّكْبَةُ<sup>(٢)</sup> .

ثم قال آخر الحديث<sup>(٣)</sup> : وَأَنْتُمْ الْيَوْمَ خَيْرَ مِنْكُمْ يَوْمَئِذٍ ، وَأَنْتُمْ إِذَا مَشَوْا  
الْمُطَيِّطَاءَ<sup>(٤)</sup> ، وَخَدَمَتَهُمْ بَنَاتُ فَارِسَ وَالرُّومَ<sup>(٥)</sup> رَدَّ اللَّهُ أَسْمَهُمْ<sup>(٦)</sup> بَيْنَهُمْ ، وَسَلَّطَ  
شِرَارَهُمْ عَلَى خِيَارِهِمْ .

وَقَتَالِهِمْ<sup>(٧)</sup> الْفُرْسَ ، وَالنَّخْزَرَ<sup>(٨)</sup> ، وَالرُّومَ ، وَذَهَابَ كَسْرَى وَفَارِسَ حَتَّى لَا كَسْرَى  
وَلَا فَارِسَ بَعْدَهُ ، وَذَهَابَ قَيْصَرَ حَتَّى لَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ<sup>(٩)</sup> .  
وَذَكَرَ أَنَّ الرُّومَ ذَاتُ قُرُونٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ<sup>(١٠)</sup> .

(١) الصَّحْفَةُ : إِنَاءُ الطَّعَامِ .

(٢) وَهَذَا كَمَا تَفْعَلُهُ الْأُمَرَاءُ وَالْعِظَمَاءُ الَّذِينَ اتَّسَمَتْ دُنْيَاهُمْ حَتَّى كَادُوا الْحِجَارَةَ وَالْجُدْرَانَ .

(٣) الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ .

(٤) وَرَدَّ فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ ابْنِ عَمْرٍو ، إِلَّا أَنَّ الذَّهَبِيَّ قَالَ فِي مِيزَانِهِ : إِنَّهُ لَمْ يَصِحَّ .

وَالْمُطَيِّطَاءُ : مَشِيَةٌ فِيهَا مَدَّ الْيَدَيْنِ ، وَالْمُرَادُ بِهِ التَّبَخُّرُ .

(٥) أَيْ اتَّخَذُوا الْجَوَارِيَّ وَالْحَدَمَ مِنْهُمْ .

(٦) الْبَأْسُ : الْخَوْفُ الشَّدِيدُ ، وَالْمُرَادُ بِهِ الْعِدَاوَةُ وَوُقُوعُ الْقِتَالِ بَيْنَهُمْ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ كَانَ أَعْطَى

نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النُّصْرَةَ بِإِيقَاعِ الرَّعْبِ فِي قُلُوبِ أَعْدَائِهِ السَّكْفَةَ ، وَبَقِيَ مِنْ ذَلِكَ أَثَرٌ

فِي مَنْ اقْتَدَى بِهِ مِنَ الْخُلَفَاءِ ؛ فَلَمَّا اشْتَمَلُوا بِزُخْرَفِ الدُّنْيَا نَزَعَ الْخَوْفُ مِنْ قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ وَصَارَ

بَعْضُهُمْ بِعَادِي بَعْضًا وَيَقَاتِلُهُ لَمَّا بَيْنَهُمْ مِنَ التَّحَاسُدِ وَالتَّبَاعُضِ وَطَلَبَ كُلُّ مِنْهُمْ مَا فِي يَدِ الْآخَرِ .

(٧) وَأَخْبَرَهُمْ بِقِتَالِهِمُ الْفُرْسَ . وَجَاءَ ذَلِكَ فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ .

(٨) قِيلَ الْمُرَادُ بِهِمُ الْأَكْرَادُ . وَقِيلَ هُمْ مِنَ التُّرْكِ ، أَوْ مِنَ الْعَجَمِ ، أَوْ التُّتَارِ . وَقَدْ ضَبَطَتْ

الزَّيْ فِي الْفَتْحَةِ .

(٩) وَهَذَا مِمَّا رَوَاهُ الشَّيْخَانُ : صَحِيحٌ مُسَلَّمٌ : ٢٢٣٧ ، وَسَنَنُ التِّرْمِذِيِّ : ٥ - ٤٩٧

(١٠) قُرُونٌ : جَمْعُ قَرْنٍ ، وَهُوَ الْجَمَاعَةُ فِي عَصْرٍ وَاحِدٍ . أَيْ كَلِمًا مَضَى قَرْنٌ خَلْفَهُ قَرْنٌ

وَقَوْمٌ يَمْلِكُ مَلِكُهُمْ مِنْهُمْ . وَقِيلَ الْقَرْنُ : السَّيِّدُ ؛ أَيْ كَلِمًا هَلَكَ مَلِكٌ بَعْدَهُ غَيْرُهُ . وَقِيلَ :

الْمُرَادُ بِهِمْ قُرُونٌ شَعُورُهُمُ الَّتِي كَانُوا يَطْوِلُونَهَا وَيَعْرِفُونَ بِهَا .

وبذهاب الأمتل فالأمتل من الناس<sup>(١)</sup> ، وتقارب الزمان<sup>(٢)</sup> ، وقبض العلم<sup>(٣)</sup> ، وظهور الفتن ، والهرج<sup>(٤)</sup> .

وقال<sup>(٥)</sup> : ويل للعرب من شرٍ قد اقترب .  
وأنه زويت<sup>(٦)</sup> له الأرض فأرى مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمته ما زوى له منها .

وكذلك كان<sup>(٧)</sup> ؛ امتدت<sup>(٨)</sup> في المشرق والمغرب مما بين أرض الهند أقصى المشرق إلى بحر طنجة حيث لا عمارة وראה ؛ وذلك ما لم تملكه أمة من الأمم ، ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك .

(١) الأمتل هنا : الأشرف ؛ لأنه أكثر مماثلة ومشابهة لأهل الحق ، والصدر الأول .  
(٢) في حديث رواه الترمذي عن أنس : السنن : ٤ - ٥٦٧ ؛ والمراد قصره وقتله . وقيل : المراد أنهم يوسع عليهم من الدنيا فيستلذون معيشتهم ، ويكونون مسرورين ، وما زال الناس يصفون الأيام الهنية بالقصر . أو المراد نزع البركة من كل شيء حتى من الزمان . وقال البيضاوي : المراد تسارع انقضاء الدول وانقراضها .

قال في نسيم الرياض ( ٣ - ١٧٥ ) : وهنا وجه قريب من الأول ؛ وهو أنه لكثرة الظلم والأحزان والاشتغال بأمور الدنيا وكثرة الحرص على تحصيلها ينفلون عن أوقانهم ولا يشعرون بها .

(٣) قبض العلم : أخذه ونزعه من الناس ، وذلك يموت العلماء حتى لا يبقى إلا أناس جهلة إذا استفتوا أفتوا بغير علم . وحديثه في ابن ماجه : ٨٣ .

(٤) الهرج : القتل . أو اختلاط الناس بعضهم ببعض . وحديثه في مسلم : ٢٢١٥ ، وصحيح

البخاري : ٨ - ٦١ ، وسنن الترمذي : ٥ - ٤٨٩

(٥) في حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ٢٢٠٧ ، وصحيح البخاري : ٨ - ٧٦٠ ، ٧٦٠

(٦) زويت : جمعت وضم بعضها لبعض حتى يطلع على جميعها : صحيح مسلم : ٢٢١٥

(٧) كان : وقع . وفي ١ : فكذلك .

(٨) امتدت : أي مملكتهم ، واتسعت .

وقوله<sup>(١)</sup> : لا يزال أهلُ الغربِ ظاهرين على الحقِّ حتى تقومَ الساعةُ - ذهب ابن المديني إلى أنهم العربُ ؛ لأنهم المختصون بالسقي بالغرب - وهي الدلو . وغيره يذهب إلى أنهم أهلُ المغربِ ؛ وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه<sup>(٢)</sup> .  
وفي حديثٍ آخر<sup>(٣)</sup> ، من رواية أبي أمامة : لا تزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحق ، قاهرين لعدوِّهم ، حتى يأتيهم أمرُ الله وهم كذلك .  
قيل : يا رسولَ الله ؛ وأين هم ؛ قال : بيت المقدس .  
وأخبر بملكِ بني أمية<sup>(٤)</sup> ، وولاية معاوية ؛ ووصاه<sup>(٥)</sup> ؛ واتخاذِ بني أمية مالِ الله<sup>(٦)</sup> دولا ، وخروج ولدِ العباسِ بالرايات السود<sup>(٧)</sup> ، ومُلْكِهِم أضعافَ ما ملكوا ، وخروج<sup>(٨)</sup> المهدي ، وما ينالُ أهلَ بيتهِ وتقتيلهم وتشرُّيدهم ؛ وقتلِ عليٍّ ، وأن<sup>(٩)</sup>

- (١) في حديث رواه مسلم : صحيح مسلم ١٣٧  
(٢) قال القاري ( ١ - ٦٨٢ ) : لكن فيه أنه لا يعلم من رواه .  
(٣) رواه الطبراني ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل ( المسند : ٥ - ٢٦٩ ) . ورواه أيضا الترمذي في سننه : ٥ - ٥١٤ (٤) رواه البيهقي .  
(٥) ووصاه : وصى معاوية ، إذا تملك ، بالعدل والرفق ، لما قال له : إذا ملكت فانضح .  
(٦) في حديث رواه الترمذي ، والحاكم ، والبيهقي .  
دولا : يتداولونه ويأخذونه واحدا بعد واحد . والمراد أنهم استأثروا به ومنعوا حقوقه فأسرفوا وبذروا .  
(٧) في حديث رواه أحمد ، والبيهقي بسند فيه ضعف وانظر أيضا سنن الترمذي : ٥ - ٥٣١  
(٨) خروج المهدي في آخر الزمان ، كما ورد في حديث رواه أصحاب السنن وغيرهم من طرق كثيرة إلا أنه قيل إن أسانيده لا تخلو من ضعف : سنن أبي داود : ٢ - ١٣٥ ، وسنن الترمذي : ٥ - ٥٠٦  
(٩) أي مما أخبر به صلى الله عليه وسلم أن أشقاها ؛ أي أشقى الخلائق . أو الدنيا . . .  
«هذه» الأولى إشارة إلى لحيته . و«من هذه» إشارة إلى رأسه ؛ أي يضربه على رأسه ضربة يسيل بها دمه حتى يبيل لحيته . والحديث في مسند أحمد : ١ - ٩١

أشقاها الذي يَحْضِبُ هذه من هذه؛ أي لحيتته من رأسه؛ وأنه قسيم النار<sup>(١)</sup>، يَدْخُلُ أولياؤه النار؛ فكان فيمن عاداه الخوارجُ والناصبية<sup>(٢)</sup>؛ وطائفةٌ يَمُنُّ يُنْسَبُ إليه من الروافضِ كَفَرُوهُ<sup>(٣)</sup>.

وقال: يُقْتَلُ عثمانُ وهو يقرأ في المصحف؛ وأن الله عسى أن يُلْبِسَهُ قميصا، وأنهم يُرِيدُونَ خَلْعَهُ، وأنه سَيَنْظُرُ دَمَهُ على قوله: «فسيكفيكمهم الله»<sup>(٤)</sup>؛ وأن الفتن لا تَظْهَرُ ما دامَ عُمرُ حَيًّا<sup>(٥)</sup>.

ومحاربة الزُّبَيْرِ لِعَلِيٍّ<sup>(٦)</sup>؛ وبنبأحِ كلابِ الحَوَّابِ على بعض أزواجه<sup>(٧)</sup>،

(١) وأنه؛ أي على كرم الله وجهه. قسيم النار: معناه: على ومن معه قسيم لأهل النار؛ أي مقابل لهم؛ لأنه من أهل الجنة.

وقال الخفاجي (٣ - ١٨٢): ظاهر كلامه أن هذا مما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم؛ إلا أنهم قالوا: لم يروه أحد من المحدثين، إلا أن ابن الأثير قال في النهاية: ألا إن عليا رضى الله عنه قال: أنا قسيم النار - يعني أراد أن الناس فريقان: فريق معي؛ فهم على هدى، وفريق على؛ فهم على ضلال؛ فنصف معي في الجنة، ونصف في النار.

قلت: ابن الأثير ثقة.

(٢) الخوارج: الذين خرجوا على علي عند التحكيم. والناصبية: قوم تدينوا بنبض على كرم الله وجهه؛ وهم من الخوارج أيضا.

(٣) الروافض: من الرفض، وهو الترك؛ سموا بذلك لتركهم السنة والجماعة. كفره: نسبوه إلى الكفر.

(٤) وهذا رواه المحب الطبري في كتابه الرياض النضرة، ورواه الحاكم عن ابن عباس؛ وقال الذهبي: إنه موضوع، وتبعه السيوطي.

(٥) روى البيهقي هذا الحديث عن ابن عمر، والشيخان عن حذيفة.

(٦) في حديث رواه البيهقي في دلائل النبوة، من طرق؛ وهو مما أخبر به من الغيبات.

(٧) الحوَّاب: موضع بين البصرة والكوفة، نزلته عائشة لما توجهت للصالح بين علي ومعاوية فلم تقدر، فكانت وقعة الجمل. قال الخفاجي (٣ - ١٨٥): وهو حديث صحيح رواه

البراز عن ابن عباس.

وأنه يُقتل حولها<sup>(١)</sup> قتلى كثيرٌ ؛ وتنجو بعد ما كادت<sup>(٢)</sup> ؛ فنبحت على عائشة عند خروجها إلى البصرة . وأن عمّاراً تنقله الفئة الباغية ، فقتله أصحاب معاوية<sup>(٣)</sup> .

وقال لعبد الله بن الزبير<sup>(٤)</sup> : ويل للناس منك ، وويل لك من الناس [١٢٢] .

وقال في قرمان<sup>(٥)</sup> - وقد أبلى مع المسلمين : إنه من أهل النار ؛ فقتل نفسه<sup>(٦)</sup> .

وقال<sup>(٧)</sup> - في جماعة فيهم أبو هريرة ، وسمرّة بن جندب ، وحذيفة : آخرم

موتا في النار<sup>(٨)</sup> ؛ فكان بعضهم يسأل عن بعض ؛ فكان سمرّة آخرهم موتاً ؛ هَرَمَ

وخرِفَ ، فاصطلى بالنار فاحترق فيها .

[ وقال في حنظلة الغسيل<sup>(٩)</sup> : سلوا زوجته عنه ؛ فإني رأيت الملائكة تغسله ؛

فسألوها فقالت : إنه خرج جنباً ، وأعجله الحال عن الغسل .

قال أبو سعيد رضي الله عنه : ووجدنا رأسه يقطر ماءً ]<sup>(١٠)</sup> .

(١) حولها : حول بعض الأزواج ، وهي عائشة رضي الله عنها .

(٢) بعد ما كادت : بعد ما قاربت عدم النجاة .

(٣) عمّار بن ياسر الصحابي المشهور . الباغية : من البغي ، وهو الخروج بغير حق على

الإمام . والحديث في صحيح مسلم : ٢٢٣٦ . فقتله أصحاب معاوية وهو مع علي بصفين .

(٤) قال له هذا لما شرب دماً من فضل دمه صلى الله عليه وسلم ؛ وكان النبي قد احتجم ،

وأعطاه دمه ، وقال له : أرقه في محل لا يرى ، فلما رجع قال له النبي : لعلك شربته ؟ فقال :

نعم ، فقال له ذلك .

(٥) قرمان : مولى لبعض الأنصار ، وكان شجاعاً ، لكنه منافق ، وكان قاتل قتالا

شديداً أعجب الصحابة .

(٦) قال الخفاجي ( ٣ - ١٨٦ ) : هذا الحديث متفق على صحته لرواية الشيخين له عن

أبي هريرة . وقد روى ذلك الواقدي في المنازى : ١ - ٢٦٣ (٧) رواه الطبراني ، والبيهقي .

(٨) رجح للسيوطي أن المراد أنه يحترق في الدنيا حريقاً يموت به ، لأنه يدخل نار جهنم .

وقال الشهاب : إن سمرّة احترق من ماء حار كان يستدفق به ، وسيأتي .

(٩) في حديث رواه ابن إسحاق ( سيرة ابن هشام : ٣ - ٢٠ ) . وسمى الغسيل ، لأن

الملائكة غسلته لما استشهد بأحد . وهو حنظلة بن أبي عامر الأنصاري . ورواه الواقدي أيضاً

في المنازى : ١ - ٢٧٤ (١٠) في هامش ١ ، ب : من الأم بخطه من غير الرواية .

وقال<sup>(١)</sup> : الخلافةُ في قُرَيْشٍ .  
ولن يزالَ هذا الأمرُ في قُرَيْشٍ ما أقاموا الدينَ<sup>(٢)</sup> .  
وقال<sup>(٣)</sup> : يكونُ في تَقْيِيفِ كَذَّابٍ ومُبِيرٍ ؛ فرأوها : الحجاجُ ، والمختارُ<sup>(٤)</sup> .  
وأن مسيامةً<sup>(٥)</sup> يعترهُ اللهُ .  
وإنَّ فاطمةَ أولَ أهلِهِ حَوْقًا<sup>(٦)</sup> به .  
وأنذَرَ<sup>(٧)</sup> بالردّةِ ، وبأنَّ الخلافةَ بعده ثلاثونَ<sup>(٨)</sup> سنةً ، ثم تكونُ مُلْكًا ؛  
فكانت كذلكَ بدّةِ الحَسَنِ بنِ عليٍّ .  
وقال<sup>(٩)</sup> : إنَّ هذا الأمرَ بدأ<sup>(١٠)</sup> نبوّةً ورحمةً ، ثم يكونُ رحمةً وخلافةً ،

- 
- (١) في حديث رواه أحمد ، والترمذى . سنن الترمذى : ٥ - ٥٠٣ .  
(٢) في حديث آخر رواه البخارى : صحيح البخارى : ٤ - ٢١٨ .  
(٣) في حديث رواه مسلم ، والبيهقى : صحيح مسلم : ١٩٧٢ ، وسنن الترمذى : ٥ - ٤٩٩ .  
(٤) مبير : مهلك ، يكثر القتل بغير حق . والحجاج : هو ابن يوسف ، وهو المبير . وأما الكذاب فهو المختار بن أبي عبيد الثقفى بن مسعود ؛ وكان يزعم أن جبريل يأتيه ، وكان يظهر مدح ابن الزبير ، ومحمد بن الحنفية ، واستحوذ على الكوفة ، وأظهر التشيع واجتمع عليه ناس كثيرون ، وطلب الأخذ بثأر الحسن ، فقتل كثيرا من قتلته ، وعظم أمره . وكان يتكهن ويزعم أنه يوحى إليه .  
(٥) رواه الشيخان عن ابن عباس . وفي النهاية : أنه قال لمسيمة الكذاب ؛ ولئن أدبرت ليعقرنك الله ؛ أى ليهلكنك . والحديث في صحيح مسلم : ١٧٨٠ .  
(٦) أى أول من يموت بعده صلى الله عليه وسلم .  
(٧) فمات بعده ستة أشهر ، وقيل بثمانية ، وقيل مائة يوم . والحديث في صحيح مسلم : ١٩٠٥ .  
(٨) وهو مما رواه الشيخان عن ابن عمر .  
(٩) رواه أصحاب الكتب الستة مسندا .  
(١٠) في حديث رواه البزار ، والبيهقى .  
(١٠) بدا : ظهر وبرز .



ثم يكون ملكاً عضوياً<sup>(١)</sup>، ثم يكون عتواً وجبروتاً وفساداً في الأمة<sup>(٢)</sup>.  
وأخبر بشأن<sup>(٣)</sup> أويس القرني؛ وبأمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها،  
وسيكون في أمته ثلاثون كذاباً فيهم أربع نسوة.  
وفي حديث آخر<sup>(٤)</sup>: ثلاثون دجالاً كذاباً، آخرهم الدجال الكذاب، كلهم  
يكذب على الله ورسوله.

وقال<sup>(٥)</sup>: يوشك أن يكثر فيكم العجم، يأكلون<sup>(٦)</sup> فيثكم، ويضر بوز رقابكم.  
ولا<sup>(٧)</sup> تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان.  
وقال: خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. ثم يأتي  
بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون<sup>(٨)</sup>، ويخونون ولا يؤمنون، ويؤذون  
ولا يؤفون، [ويظهر فيهم السم<sup>(٩)</sup>].  
وقال<sup>(١٠)</sup>: لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه.

- 
- (١) عضوياً: سلطنة خالية عن الرحمة والشفقة على الرعية؛ فكأنهم يمضون بالنواجد فيه  
عضاً، حرصاً على الملك، وبعض بعضهم بعضاً بسببه.
- (٢) عتوا: العتو: الخروج عن طاعة الله تعالى. والجبرية - بفتح الجيم والموحدة،  
وتسكن أيضاً؛ من الجبر؛ وهو الإكراه والقهر.
- (٣) في حديث رواه مسلم: صحيح مسلم: ١٩٦٨. وأويس هذا خير التابعين مطلقاً  
بشهادة النبي له. وكان أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره لاشتغاله ببر أمه.
- (٤) رواه الشيخان عن أبي هريرة، صحيح البخاري: ٧٤-٨، وصحيح مسلم: ٢٢٤٠.
- (٥) في حديث رواه البزار، والطبراني بسند صحيح.
- (٦) النىء: أصله الغنيمة من الكفار بغير قتال، ويطلق على مطلق الغنيمة. والاكل فيه  
مجاز عن الاستيلاء عليه وأخذه قهراً ومنع المستحقين منه بغير وجه.
- (٧) في حديث رواه الشيخان: صحيح البخاري: ٧٣-٨، ٤-٢، وسنن الترمذي:
- ٥-٥٠١، وصحيح مسلم: ٢٢٣٢ (٨) أي يؤدون الشهادة قبل أن تطالب منهم.
- (٩) ليس في ١.
- (١٠) في حديث رواه البخاري: صحيح البخاري: ٨-٦٢.

وقال : (١) هلاكُ أمتي على يدي أغيلة (٢) من قريش .  
قال أبو هريرة راويه (١) : لو شئتُ سَمَيْتُهُمْ لَكُمْ : بنو فلان ، وبنو فلان .  
وأخبر (٣) بظهور القدرية والرافضة (٤) ، وسب (٥) آخر هذه الأمة أولها ،  
وقلة الأنصارِ حتى يكونوا كالمِلْحِ في الطعام ، فلم يزل أمرهم يتبددُ حتى لم يبقَ لهم  
جماعةٌ .

وأنهم سائلةون بعده أئمة (٦) .  
وأخبر بشأن الخوارج (٧) وصفتهم ، والمخدج الذي فيهم ، وأن سيماهم  
التحليق (٨) .

- 
- (١) في حديث رواه الشيخان : صحيح البخاري : ٩ - ٦٠ .  
(٢) أغيلة : تصغير أغلعة ، وهو جمع قلة ، يجوز فيه التصغير على لفظه ، وهو في حكم  
المفرد . وفي القاموس : جمع غلام غلعة وأغلعة وغللمان . والغلام : الشاب قد طر شاربته ، وهو  
المراد . قال الشهاب ( ٣ - ١٩٦ ) : والمراد بهلاكهم ضياع أمورهم وهلاك بعضهم .  
(٣) في حديث رواه الترمذي ، وأبو دواد ، والحاكم .  
(٤) القدرية : قال الشهاب ( ٣ - ١٩٦ ) : سموا قدرية ، لإثباتهم للعبد قدرة ، لا لإنكار  
قدرة الله على أعماله . وشبههم بالمجوس ؛ لأنهم أثبتوا خالقين : خالق الخير ، وهو النور .  
وخالق الشر ، وهو الظلمة .  
والرافضة : التاركون لحب جل الصحابة ( شرح القاري : ١ - ٦٩٤ ) .  
(٥) في حديث رواه البغوي .  
(٦) أثره : استبدادا . والحديث في الصحيحين : صحيح البخاري : ٩ - ٥٩ .  
(٧) الخوارج : الذي خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . وحديثهم رواه  
الشيخان : صحيح مسلم : ٧٥٠ .  
(٨) مخدج اليد : ناقص اليد . التحليق : أي محلقة شعور رؤوسهم ؛ ولم يكن في الصدر  
الأول حلق الرؤوس إلا في النسك . وقيل : المراد جلوسهم حلقة حلقة . قال الخفاجي :  
وليس بشيء .

وَيُرَى رِعَاءَ الْغَنَمِ رَعَوْسَ النَّاسِ<sup>(١)</sup> ، وَالْعِرَاءُ الْخِزَانَةُ يُتَبَارَعُونَ فِي الْبُنْيَانِ .  
وَأَنَّ تَلَدَ الْأُمَّةِ رَبَّتَهَا<sup>(٢)</sup> .

وَأَنَّ قَرِيْشًا وَالْأَحْزَابَ لَا يَفْزُونَ أَبَدًا ؛ وَأَنَّهُ هُوَ يَفْزُوهُمْ<sup>(٣)</sup> .

وَأَخْبَرَ<sup>(٤)</sup> بِالْمَوْتَانِ الَّذِي يَكُونُ بَعْدَ فَتْحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ<sup>(٥)</sup> .

وَمَا وَعَدَ<sup>(٦)</sup> مِنْ سُكْنَى الْبَصْرَةِ ، وَأَنَّهُمْ يَفْزُونَ فِي الْبَحْرِ كَالْمَلُوكِ  
عَلَى الْأَسْرِ<sup>(٧)</sup> . . .

(١) رَعَوْسَ النَّاسِ : رُؤْسَاؤُهُمْ ، وَالْحَدِيثُ فِي الصَّحِيحِينَ بِمَعْنَاهُ وَبِمَعْنَى الْفَاظَةِ . وَهُوَ

فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : ٣٩

(٢) رَبَّتَهَا : سَيَدَتْهَا . وَهُوَ مِنْ حَدِيثٍ مَشْهُورٍ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ ( صَحِيحِ مُسْلِمٍ : ٣٩ )  
وغيرهما ؛ وَهُوَ مِنَ الْمَغْيِبَاتِ ، وَأَشْرَاطُ السَّاعَةِ الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَفِي مُسْلِمٍ :  
رَبَّتَهَا - بَدَلُ رَبَّتَهَا . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى لَهُ : بِعَلَمِهَا .

(٣) رَوَاهُ الشَّيْخَانُ : ( صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : ٥ - ١٤١ ) وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَفْزُوهُمْ بَعْدَ إِخْبَارِهِ  
بِذَلِكَ فِي الْأَحْزَابِ ، وَهِيَ غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ ، وَبَعْدَ أَحَدٍ وَالْخَنْدَقُ لَمْ تَغْزِهِ قَرِيْشٌ ، وَهُوَ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزَاهُمْ حِينَ فَتَحَ مَكَّةَ . قَالَ الْوَاقِدِيُّ : إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ هَذَا لِسَبْعِ  
بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ .

(٤) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ أَيْضًا . وَالْمَوْتَانِ - بَضْمُ الْمِيمِ ، بِوِزْنِ بَطْلَانٍ . وَبِفَتْحِهَا  
وَسُكُونِ الْوَاوِ ، وَهُوَ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْمَوْتِ الْكَثِيرِ .

(٥) وَكَانَ ذَلِكَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بَعْمَوَاسَ : قَرْيَةٌ بَيْنَ الرَّمْلَةِ وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ ؛ إِذْ كَانَ أَوَّلُ  
طَاعُونَ فِي الْإِسْلَامِ . وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ سِتِّ عَشْرَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ .

(٦) فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ . وَالْحَدِيثُ فِي شَرْحِ الْخَفَاجِيِّ أَيْضًا : ٣ - ٢٠١

(٧) الْأَسْرَةُ : جَمْعُ سَرِيرٍ ؛ وَهُوَ مَقْعَدٌ يَمُدُّ لِلْمَلُوكِ يَجْلِسُونَ عَلَيْهِ تَرْفَعًا وَتَعْظَامًا . قَالَ الْخَفَاجِيُّ  
( ٣ - ٢٠١ ) : وَمُؤَخَّرُ الْمَرَاكِبِ الْمَعْدَةُ لِلْفَزْوِ الَّذِي يَقْعَدُ عَلَيْهِ رَئِيسُهُمْ يَمْعَلُ عَلَى هَيْئَةِ سَرِيرِ  
الْمَلِكِ بَعِيْنِهِ ، كَمَا يَمْرُفُهُ مِنْ شَاهِدٍ ذَلِكَ ؛ فَهُوَ مِنَ الْأَعْلَامِ الْعَجِيبَةِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِدِيَارِ  
العَرَبِ ، وَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ ؛ فَتَوْصِيْفُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ كَمَنْ عَرَفَهُ وَجَلَسَ عَلَيْهِ مِمَّا  
تَحَارَفِيْهِ الْعَقُولُ .

وأن الدين<sup>(١)</sup> لو كان منوطاً بالثريا لئانه رجال من أبناء فارس .  
وهاجت<sup>(٢)</sup> ريح في غزاة ، فقال : هاجت لموت منافق<sup>(٣)</sup> ؛ فلما رجعوا إلى المدينة  
وجدوا ذلك .

وقال<sup>(٤)</sup> اتوم من جلسائه : ضرس أحدكم في النار أعظم من أحد<sup>(٥)</sup> .  
قال أبو هريرة<sup>(٦)</sup> : فذهب اتوم - يعني ماتوا ؛ وبقيت أنا ورجل ، فقتل  
مرتداً يوم البمامة .

وأعلم<sup>(٧)</sup> بالذي غلّ خرزاً من خرز يهود ، فوجدت في رحله . وبالذي غل<sup>(٨)</sup>  
الشملة ، وحيث<sup>(٩)</sup> هي .

وناقته<sup>(١٠)</sup> حين ضلت ، وكيف تعلقت [ ١٢٣ ] بالشجرة بخطأها<sup>(١١)</sup> .

(١) من حديث رواه الشيخان أيضا . منوطا : معلقا . ورواه الترمذي في سننه : ٣٨٤-٥ ،  
وفيه لتناوله .

(٢) رواه مسلم ، عن جابر بن عبد الله : صحيح مسلم : ٢١٤٥ .

(٣) أي لرجل من المنافقين ؛ وهو رفاعه بن زيد . وقيل غيره .

(٤) في حديث رواه الطبراني بسند صحيح وجلساؤه هم : أبو هريرة الدوسي ، وفرات  
ابن حيان العجلي ، والرحال بن عنقوة البمامي . وهو المراد بقوله : أحدكم .

(٥) وهو عبارة عن أن أحدهم يموت كافرا ؛ لحديث : ضرس الكافر في النار مثل أحد  
( رواه مسلم : ٢١٨٩ ) .

(٦) وقد كان من جلسائه كما تقدم ، وهو أبو هريرة البوسى .

(٧) هذا الحديث رواه أبو داود ، والنسائي ، عن زيد بن خالد الجهني . وغل : من

الفلول ؛ أي السرقة خفية . سنن أبي داود : ١ - ٢٦٩ .

(٨) الشملة : كساء صغير يشتمل به الإنسان . وهذا بعض من حديث رواه الشيخان عن

أبي هريرة : صحيح مسلم : ١٠٨ .

(٩) وحيث هي : أي وبالمكان الذي هي فيه .

(١٠) رواه البيهقي .

(١١) الخطام : الزمام .

وبشأن كتاب حاطب إلى أهل مكة<sup>(١)</sup> .  
وبقضية عمير مع صفوان حين سارّه وشارطه<sup>(٢)</sup> على قتل النبي صلى الله عليه  
وسلم . فلما جاء عمير للنبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله ، وأطلعه رسول الله صلى  
الله عليه وسلم على الأمر والسرّ أسلم<sup>(٣)</sup> .  
وأخبر<sup>(٤)</sup> بالمال الذي تركه عمه العباس رضي الله عنه عند أم الفضل بعد أن  
كتمه ؛ فقال : ما علمه غيري وغيرها ، فأسلم .  
وأعلم بأنه سيقتل أبي بن خلف<sup>(٥)</sup> .  
وفي عتبة بن أبي لهب يأكله كلب من كلاب الله<sup>(٦)</sup> .  
وعن<sup>(٧)</sup> مصارع أهل بدر ، فكان كما قال .  
وقال<sup>(٨)</sup> في الحسن : إن ابني هذا سيّدٌ ، وصيِّدٌ ليح الله به بين فئتين<sup>(٩)</sup> .

(١) هو حاطب بن أبي بلتعة . وكان حاطب كتب إليهم بمكة يخبرهم بأن النبي توجه إليهم  
بجيش . . . . . وأعطى الكتاب امرأة من مزينة ، وجعل لها جملا على أن توصله قريشا .  
وخر كتاب حاطب في المغازي ( ١ - ١٩٧ ) . (٢) شارطه : جعل له جملا .  
(٣) والحديث رواه ابن إسحاق ، والبيهقي ، والطبراني . والخبر في مغازي الواقدي :  
١٢٦ ، وروى أيضا في سنن الترمذي : ٥ - ٤١٠ .  
(٤) والحديث رواه أحمد ، عن ابن عباس ، والحاكم وصححه ، والبيهقي عن الزهري .  
وأم الفضل : هي زوجة عمه العباس .

(٥) رواه البيهقي . وقد جرحه النبي بأحد في عنقه ، فمات بصرف .  
(٦) فأكله الأسد ، وهو ذاهب إلى الشام . والأسد يسمى كلبا . وفي ب : عتبة .

(٧) وأصل هذا الحديث في صحيح مسلم : ٢٢٠٣ .

(٨) في حديث صحيح رواه الشيخان وغيرهما . صحيح البخاري : ٩ - ٧١ .

(٩) الفئة : الجماعة . والمراد بالفئتين : من كان معه ومن كان مع معاوية .

ونسعد<sup>(١)</sup> : املك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون .

وأخبر<sup>(٢)</sup> بقتل أهل مؤتة<sup>(٣)</sup> يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر أو أزيد .

وموت<sup>(٤)</sup> النجاشي يوم مات بأرضه .

وأخبر<sup>(٥)</sup> فيروز إذ ورد عليه رسولاً من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم ،

فلما حقق فيروز القصة أسلم .

وأخبر<sup>(٦)</sup> أبا ذر رضي الله عنه بتطريد<sup>(٧)</sup> كما كان ، ووجده في المسجد نائماً ،

فقال له : كيف بك إذا أخرجت منه ؟ قال : أسكن المسجد<sup>(٨)</sup> الحرام . قال :

فإذا أخرجت منه . . . الحديث .

وبعديته وحده ، وموته وحده .

وأخبر<sup>(٩)</sup> أن أسرع أزواجه به لحوقاً أطولهن<sup>(١٠)</sup> ؛ فكانت زينب لطول

يدها بالصدقة .

(١) في حديث رواه الشيخان ( صحيح البخاري : ٥ - ٨٧ ) وهو سعد بن أبي وقاص .

وتخلف : تبقى بعد هذا الزمان . قال الخفاجي ( ٣ - ٢٠٩ ) : فكان كما قال النبي صلى الله

عليه وسلم ؛ فإنه عاش بعد ذلك نحو خمسين سنة ونفع الله به المسلمين ، لما كان على يديه من

الفتوح ، وهدى الله به أناساً أسلموا على يديه ، وغنموا معه ؛ وضر الله به ناساً من الكفار

جاهدتم وقتل منهم ، وسبي .

(٢) في حديث صحيح رواه البخاري ، عن أنس . صحيح البخاري : ٥ - ١٨٢

(٣) مؤتة : اسم موضع بالشام كانت فيه غزوة مشهورة . وفي هامش ١ : مؤتة - بالهمز :

أرض بالشام . وموتة - بغير همز : شبه الجنون . وموتة - بفتح الميم : الواحدة من الموت .

(٤) رواه الشيخان ، عن أبي هريرة . (٥) في حديث رواه البيهقي .

(٦) رواه أحمد في مسنده . والحديث في شرح الخفاجي ( ٣ - ٢١٢ )

(٧) تطريده : تقيته من المدينة . (٨) يعني مكة .

(٩) فيما رواه مسلم . صحيح مسلم : ١٩٠٧

(١٠) قال الخفاجي ( ٣ - ٢١٣ ) : وهذا يحتمل أن يكون من الطول : ضد القصر ؛

وأن يكون من الطول - بالفتح ؛ وهو الجود والإنعام .

وأخبر<sup>(۱)</sup> بقتل الحسين بالطف<sup>(۲)</sup> ، وأخرج بيده تربة ، وقال : فيها مضجعه .  
وقال<sup>(۳)</sup> في زيد بن صوحان : يسبقه عضو منه إلى الجنة ؛ فقطعت يده

في الجهاد .

وقال<sup>(۴)</sup> في الذين كانوا معه على حراء<sup>(۵)</sup> : اثبتت ، وإنما عليك نبي وصديق وشهيد ؛ فقتل علي ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ؛ وطعن سعد .

وقال<sup>(۶)</sup> لسراقة : كيف بك إذا ألبت سوارى كسرى ؟ فلما أتى بهما عمر ألبسهما إياه ، وقال : الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة .

وقال<sup>(۷)</sup> : تبني مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة ، تجبى إليها خزائن الأرض ؛ يخسف بها - يعني بغداد<sup>(۸)</sup> .

وقال<sup>(۹)</sup> : سيكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد<sup>(۱۰)</sup> ؛ هو شر لهذه الأمة من فرعون لقومه .

(۱) في حديث رواه البيهقي . (۲) الطف : مكان بناحية الكوفة .

(۳) في حديث رواه ابن عدي ، والبيهقي مسندا . والخبر في الاستيعاب : ۵۶۶ ، وقال : أصيبت يد زيد يوم جلولاء ، ثم قتل يوم الجمل مع علي .

(۴) في حديث رواه مسلم : صحيح مسلم : ۱۸۸۰ .

(۵) حراء : اسم جبل معروف بقرب مكة . قال في صحيح مسلم : وعليه النبي ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص .

(۶) في حديث رواه البيهقي . وسراقة : هو سراقة بن مالك . وهو الذي كان قد خرج في طلب النبي صلى الله عليه وسلم فساخت به فرسه . وقد أسلم بعد ، وتوفي سنة أربع وعشرين .

(۷) في حديث رواه أبو نعيم في الدلائل ، والخطيب في تاريخه .

(۸) قال القاري ( ۱ - ۷۰۳ ) : لكن قال أحمد بن حنبل : لم يحدث بحديث بغداد ثقة ، ومداره

على عمار بن سيف . وقال الذهبي - في ميزانه ( ۳ - ۱۶۵ ) : له حديث منكر جدا ، وذكر حديث بغداد هذا . ( ۹ ) في حديث رواه الإمام أحمد ، والبيهقي ، عن سعيد بن المسيب .

( ۱۰ ) يقال : إنه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الجبار الذي كان مفتاح أبواب الفتن على

هذه الأمة ، وكان ماجنا سفها ( شرح الخفاجي : ۳ - ۲۱۷ ) .

وقال (١) : لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة (٢) .  
وقال (٣) لعمر في سهيل بن عمرو : عسى أن يتوّم مقاماً يسرك يا عمر ! فكان  
كذلك ؛ قام بمكة مقام أبي بكر (٤) يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم ،  
وخطب بنحو خطبته ، وثبتهم وقوى بصائرهم .  
وقال (٥) لخالد بن وجهه لأبي بكر : إنك تجده يصيد البقر ؛ فوجدت هذه  
الأمور كلها في حياته وبعد موته كما قال صلى الله عليه وسلم .  
إلى ما أخبر به جلساءه من أسرارهم وبواطنهم ، وأطلع عليه من أسرار  
المنافقين وكفرهم ، وقولهم فيه وفي المؤمنين ، حتى إن كان بعضهم ليقول لصاحبه :  
اسكت ، فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء (٦) .  
وإعلامه بصفة السحر الذي سحره به لبيد (٧) بن الأعصم ، وكونه في مشط  
ومشاقة (٨) ، في [١٢٤] جف (٩) طلع نخلة ذكر ، وأنه ألقى في بئر ذروان (١٠) ؛  
فكان كما قال ، ووُجد على تلك الصفة .

- 
- (١) في حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ٢٢١٤ .  
(٢) قال الخفاجي : وقد وقع هذا في صفين في وقعة على ومعاوية .  
(٣) في حديث رواه البيهقي ، والحاكم .  
(٤) أي مثل مقام أبي بكر في المدينة ، وخطب خطبة مثل خطبته .  
(٥) رواه ابن إسحاق ، والبيهقي .  
(٦) البطحاء : أرض مستوية يسيل فيها الماء . والمراد بحجارتها ما فيها من الحصباء .  
(٧) لبيد بن الأعصم : يهودي من بني زريق . وقد سبق حديث سحره .  
(٨) هذا في ا ، ب . وفي هامشها : ومشاقة . والصحيح . المشاطة : الشعر الذي يسقط  
من اللحية عند التسريح . والحديث في صحيح مسلم : ١٧٢٠ ، وفيه أيضا : ومشط ، ومشاطة .  
(٩) الجف : وعاء الطلع الذي عليه كالغشاء .  
(١٠) بئر بالمدينة . وفي صحيح مسلم : ذي أروان .



وإعلامه<sup>(١)</sup> قُرَيْشًا بِأَكْلِ الْأَرْضِ<sup>(٢)</sup> مَا فِي صَحِيفَتِهِمُ الَّتِي تَفَاهَرُوا<sup>(٣)</sup> بِهَا عَلَى بَنِي هَاشِمٍ ، وَقَطَعُوا بِهَا رَحِمَهُمْ ، وَأَنَّهَا أَبْقَتْ فِيهَا كُلَّ اسْمٍ لَللَّهِ ؛ فَوَجَدُوهَا كَمَا قَالَ .

ووصفه<sup>(٤)</sup> لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الإسراء ، وناعته إياه نعت من عرفه .

وأعلمهم بعيرهم<sup>(٥)</sup> التي مرَّ عليها في طريقه ؛ وأنذَرهم بوقت وصولها ؛ فكان كلُّه كما قال .

إلى ما أخبر به من الحوادث التي تكون ولم يأت بعد<sup>(٦)</sup> ؛ منها ما ظهرت مقدّماتها<sup>(٧)</sup> ؛ كقوله<sup>(٨)</sup> : عُثْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابٌ يَثْرِبُ<sup>(٩)</sup> ؛ وَخَرَابٌ يَثْرِبُ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ<sup>(١٠)</sup> ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتَحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ<sup>(١١)</sup> .

(١) رواه البيهقي ، عن الزهري ، في الدلائل .

(٢) الأرضة: دودة تأكل الورق، ومنها ما تأكل الخشب . (٣) تظاهروا بها : تعاونوا .

(٤) في حديث الإسراء . وقد تقدم . (٥) بعيرهم : بقاقتهم .

(٦) أي لم يقع عقب إخباره ، بل بعده بأزمان متباعدة ، بعضها ظهرت مقدّماتها وبعضها

لما تظهر ؛ فإذا جاء الإبان تجيء ؛ فإن خبره صلى الله عليه وسلم لا يتخلف .

(٧) علاماتها المتقدمة عليها .

(٨) في حديث رواه أبو داود في سننه: سنن أبي داود: ٢-١٣٦ (٩) يثرب: اسم المدينة .

(١٠) خروج الملحمة : خروج: ظهور . والملحمة : موضع المعركة والقتال ، وتكون بمعنى

الحرب . وفي الصحاح : الملحمة : الوقعة العظيمة في الفتنة ؛ والمراد الفتن العظيمة ، والهرج الذي يكون في آخر الزمان .

(١١) قال في نسيم الرياض (٣ - ٢٢٣) : والمذكور في هذا الحديث كله يكون إذا قرب

نزول عيسى عليه السلام ، وكذا ما معه من الأشرار .

وبقية الحديث - كما في سنن أبي داود : وفتح القسطنطينية خروج الدجال ، ثم ضرب

بيده على نخذ الذي حدث أو منكبه . ثم قال : إن هذا لحق كما أنك هاهنا ، أو كما أنك

قاعد - يعني معاذ بن جبل .

ومن أشراط<sup>(١)</sup> الساعة وآيات حلولها ، وذكرِ النَّشْرِ<sup>(٢)</sup> والحَشْرِ ، وأخبارِ الأبرار والنَّجَّار ، والجنةِ والنار ، وعَرَصات<sup>(٣)</sup> القيامة .  
 وبحسب هذا النصل أن يكون ديوانا<sup>(٤)</sup> مفردا يشتملُ على أجزاءٍ وحدَه ؛  
 وفيما أشرنا إليه من نكت<sup>(٥)</sup> الأحاديث التي ذكرنا كفايةً ، وأكثرها في الصحيح ،  
 وعند الأئمة .

### فصل

في عصمة<sup>(٦)</sup> الله تعالى له من الناس وكفايته من آذاه

قال الله تعالى<sup>(٧)</sup> : ﴿ وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ .

وقال تعالى<sup>(٨)</sup> : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ .

وقال<sup>(٩)</sup> : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ .

(١) الأشراط : العلامات والمقدمات .

(٢) النشر للميت أن يحيا فيقوم من قبره . والحشر : سوق الناس إلى المحشر للحساب .

(٣) عرصات : جمع عرصة : كل موضع واسع لا بناء فيه ؛ أي مما أخبر به صلى الله عليه

وسلم من المنيات ماورد في الحديث من بيان موافق القيامة وعرصاتها ووصفها بصفاتها .

(٤) ديوانا : كتابا مدونا مستقلا .

(٥) نكت الأحاديث : لطائفها ودقائقها النفيسة .

(٦) العصمة : أصل معناها التمسك ، ثم صار حقيقة في المنع عن ارتكاب المعاصي وفي

الحفظ عن نيل المصرة من الأعداء ؛ والمراد هنا المعنى الأخير .

(٧) سورة المائدة ، آية ٦٧

(٨) سورة الطور ، آية ٤٨ ، أمره بالصبر على أعباء الرسالة ومشقة تبليغ ما أمر بتبليغه ،

ثم سلاه بأنه لا يخاف من أحد ، فإنه محفوظ بعين العناية من الله . وإنك بأعيننا : أي بمرأى

منه ، ومرعى في حفظنا .

(٩) سورة الزمر ، آية ٣٦

وقيل : بكاف محمداً صلى الله عليه وسلم أعداءه المشركين . وقيل غير هذا (١) .

وقال (٢) : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ .

وقال (٣) : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ،

وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ .

أخبرنا القاضي الشهيد أبو علي الصدفي بقراءتي عاينه ، والنقيه الحافظ أبو بكر

محمد عبد الله المعافري (٤) ؛ قالوا : حدثنا أبو الحسين الصيرفي ؛ قال : حدثنا أبو يعلى

البيفدادي ، حدثنا أبو علي السنجبي ، حدثنا أبو العباس المروزي ، حدثنا أبو عيسى

الحافظ ، حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا الحارث بن عبيد ،

عن سعيد الجريزي ، عن عبد الله بن شقيق ، عن عائشة رضي الله عنها ؛ قالت : كان

النبي صلى الله عليه وسلم يمجس (٥) حتى نزلت هذه الآية (٦) : ﴿ وَاللَّهُ يَمْصُكُ مِنَ

الناس ﴾ . فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة (٧) ؛ فقال لهم : يا أيها

الناس ، انصرفوا ؛ فقد عصمني ربي عز وجل .

(١) قيل : المراد أنه تعالى تكفل بارزاق جميع عباده . أو غير هذا : غير القول بقصر

الكفاية على محمد ؛ بل كافي غيره ، ولا كافي غيره ، فتكون الإضافة للجنس قال القاري (١-٧٠٨) :

ويؤيده قراءة حمزة والكسائي : أليس الله بكاف عباده - بصيغة الجمع .

(٢) سورة الحجر ، آية ٩٥ . والهزؤ : السخرية والتهمك على صيد التحقير . والمراد نفر

من قريش كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم ويهزءون به ، فأهلكهم الله لما اشتدت أذيتهم ،

ودعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) سورة الأتفال آية ٣٠ والمكر : الحيلة والخداع ، ولا يوصف به الله سبحانه - إلا

على طريق المشاكلة . وهو إشارة إلى ما كان منهم بدار الندوة .

(٤) هذا في أ ، ب . وانفرد الشهاب بالنص على أنه بغير معجمة ، ولم نثر على ما يؤيده

فيما لدينا من المراجع . والمعافري هذا هو ابن العربي . وقد توفي بفاس سنة ٥٤٣ هـ .

(٥) كان يمجسه الصحابة . (٦) سورة المائدة ، آية ٦٧

(٧) القبة : كل مرتفع من البناء أو الحيمة والخباء . والمراد هنا : خباء كان فيه النبي صلى

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل منزلاً اختار له أصحابه شجرةً  
يَقِيلُ<sup>(١)</sup> تحمها ، فاتاه أعرابيٌّ فاخترط<sup>(٢)</sup> سيفه ثم قال : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ فقال :  
اللهُ عزَّ وجلَّ ؛ فرُعِدَتْ<sup>(٣)</sup> يدُ الأعرابيِّ ، وسقط سيفه ، وضرب برأسه الشجرة<sup>(٤)</sup> ؛  
حتى سال دماغه ؛ فنزلت الآية<sup>(٥)</sup> .

وقد رُوِيَتْ هذه القصةُ في الصحيح<sup>(٦)</sup> ، وأنَّ غُورَثَ بنَ الحارثِ صاحبُ هذه  
القصة ، وأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم عفا عنه ؛ فرجع إلى قومه ، وقال : جِئْتُكُمْ مِنْ  
عند خَيْرِ النَّاسِ .

وقد حُكِيَتْ مِثْلُ هذه الحِكَايَةِ ، وأنها جرت له يوم بَدْرٍ ؛ وقد انفرد من  
أصحابه لقضاء حاجته ، فتبعه رجلٌ من المنافقين . . . وذكر مثله .

---

= الله عليه وسلم في بعض أسفاره . وقيل : إنه بيت صغير مستدير من الخيام وبيوت العرب .  
والحديث رواه الترمذي : ٥ - ٢٥١ ، وابن كثير : ٣ - ١٤٤ ، وقال : هذا حديث غريب فيه  
نكارة ، فإن هذه الآية مدنية ، وهذا الحديث يقتضي أنها مكية . وقال الترمذي في سننه  
(٥ - ٢٥١) . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب .

(١) يقيل : ينزل وقت القائلة ، وهي الظهيرة وما قاربها للاستراحة ، سواء نام أم لا .  
(٢) اخترط سيفه : سله وأخرجه من قرابه ليضربه به .  
(٣) أصابها رعدة ، وهي اهتزاز اليد واضطرابها من غير قصد لشدة الخوف . وفي :  
فأرعدت .

(٤) وإنما فعل ذلك لما اعتراه من ذهاب عقله ، فلم يزل ينطحها .  
(٥) قال في نسيم الرياض (٣ - ٢٢٩) : وهذا الحديث بهذا اللفظ قالوا : لم يوجد في  
الكتب المعتمدة عند أهل الأثر ، ولم يذكره في أسباب النزول . وقال القاري (١ - ٧١٠) :  
وما رواه من الزيادة فغير معروف عند أرباب الدراية .  
(٦) وهذا الحديث رواه البخاري : ٥ - ١٤٧ ، ٤ - ٧٤ . ورواه ابن إسحاق في سيرة  
ابن هشام : ٣ - ٣١٦ .

وقد رُوِيَ<sup>(١)</sup> أنه وَقَعَ له مِثْلُهَا في غزوة غَطَفَانِ بَدَى أَمْرًا<sup>(٢)</sup> ، مع رجل اسمه دُعُورُ بن الحارث ، وأن [١٢٥] الرجلَ أَسْلَمَ ؛ فلما رَجَعَ إلى قومه الذين أُغْرَوْهُ - وكان سيِّدَهُم وأشجَعَهُم - قالوا له : أين ما كنتَ تقولُ ، وقد أمكنك<sup>(٣)</sup> ؟ فقال : إنِّي نظرتُ إلى رجلٍ أبيضَ طويلٍ دَفَعَ في صَدْرِي ، فوَقَعْتُ لظَهْرِي ، وسقطَ السيفُ ، فعرَفْتُ أنه مَلَأُك ، وأسلمتُ<sup>(٤)</sup> .

وفيه نزلت<sup>(٥)</sup> : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُفِرُوا بِكُمْ إِذْ كُفِرَ اللَّهُ بِكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ لَكَ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ، فَكفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

وفي رواية الخطَّابِيِّ أَنَّ غُورثَ بن الحارثِ المُحَارِبِي أَرَادَ أَنْ يَفْتِكَ<sup>(٦)</sup> بالنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلم يَشْعُرْ به إِلَّا وهو قائمٌ على رَأْسِهِ مُنْتَضِيًا سَيْفَهُ<sup>(٧)</sup> ، فقال : اللهم اكْفِنِيهِ بِمَا شِئْتَ<sup>(٨)</sup> ، فأنكَبَ<sup>(٩)</sup> مِنْ وَجْهِهِ مِنْ زُلْخَةٍ<sup>(١٠)</sup> زُلْخَهَا بَيْنَ كَتْفَيْهِ ، وَنَدَرَ سَيْفَهُ<sup>(١١)</sup> مِنْ يَدِهِ .

(١) رواه ابن إسحاق في سيرته : سيرة ابن هشام : ٣ - ٢١٦

(٢) ذو أمر : موضع غزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورويت هذه الحادثة في الواقدي

أيضا : ١ - ١٩٥

(٣) أمكنه الأمر : إذا لم يمنعه مانع ، فصار ممكنا له . أو المراد : تمكنت منه لمصادفته له

وحده ، ومعه سيف مسلول في يده . (٤) أسلم لما شاهده مما يدل على نبوته .

(٥) سورة المائدة ، آية ١١ ، وانظر في ذلك أيضا تفسير ابن كثير : ٢ - ٥٩

(٦) يريد أن يقتله . (٧) منتضيا سيفه : جرد سيفه وسله ، ليضربه به .

(٨) بما شئت : بالأمر والسبب الذي شئت وأردته ، والمراد تفويض أمر كفايته إلى الله

وتسليم أمره له . (٩) انكَب : سقط لوجهه : سقط على وجهه .

(١٠) زُلْخَةٌ : وجع في الظهر لا يتحرك الإنسان من شدته (النهاية) . زُلْخَهَا : أوجدها

الله حين سل السيف . (١١) ندر سيفه : سقط .

الزُّلْفَةَ : وجع الظهر .

وقيل في قصته غير هذا، وذكر فيه (١) نزلت (٢) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُفِّرُوا  
نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ مُّانٍ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ، فَكفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ،  
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

وقيل : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يخافُ قريشا ، فلما نزلت هذه الآيةُ  
استلقى (٣) ، ثم قال : مَنْ شَاءَ فَلْيَخِذْ لِي (٤) .

وذكر عبد بن حميد ، قال : كانت حمالة الحطب (٥) تضعُ العِضَاءَ (٦) - وهي  
جُرٌّ - على طريق رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فكانما يطوُّها كشيئا أهيل (٧) .  
وذكر ابنُ إسحاق عنها أنها لما بلغها نزولُ (٨) : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ ،  
وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الدم - أتت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم  
وهو جالس في المسجد ومعه أبو بكر ، وفي يديها فِهْرٌ (٩) من الحجارة .

(١) فيه : في غورث .

(٢) سورة المائدة ، آية ١١

(٣) استلقى : نام واضعا ظهره على الأرض ، لأمنه أعداءه واطمئنان قلبه .

(٤) الخذلان : ترك النصره . يريد أني غني عن المعين والحرس ، لأن الله حماني

وضمن لي ألا يضرني أحد يصل إلي . ولذلك استلقى على ظهره ، وأظهر هيئة الآمن ، والتبري  
من حوله وقوته اعتمادا على وعد الله .

(٥) حمالة الحطب : هي أم جميل زوجة أبي لهب .

(٦) العِضَاءُ : شجر له شوك إذا أوقد كان شديد الاحتراق .

(٧) كانت تقصد بذلك أن يمشي الرسول عليه فيؤذيه ويؤثر في قدميه ، فكان النبي

يضع قدمه على تلك العِضَاءَ فيجدها كشيئا - رملا مجتمعا - أهيل : سائلا . أي يجده سهلا  
لا يؤذيه .

(٨) سورة المسد ، آية ١

(٩) الفهر : حجر ملء الكف .

فلما وقفت عليهما لم ترَ إلا أبا بكر ، وأخذ الله تعالى ببصرها (١) عن نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ فقالت : يا أبا بكر ، أين صاحبك؟ فقد باغنى أنه يهجوني (٢) ، والله لو وجدته لضربت بهذا الفم فاه (٣) .

وعن (٤) الحَكَم بن أبي العاصي : تواعدنا (٥) على النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا رأيناه سمعنا صوتنا خلفنا ما ظننا أنه بقي بتهامة أحد (٦) ؛ فوقمنا مَفْشِيًا علينا ، فما أفقنا حتى قضى صلاته ورجع إلى أهله .

ثم تواعدنا ليلة أخرى ، فجئنا حتى إذا رأيناه جاءت (٧) الصفا والمروة ، فحالت بيننا وبينه .

وعن عمر رضي الله عنه : تواعدت (٨) أنا وأبو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجئنا منزله ، فسمعنا له ، فافتتح وقرأ (٩) : ﴿ الحاقة . ما الحاقة . . . ﴾ إلى : ﴿ فهل ترى لهم من باقية ﴾ .

فضرب أبو جهم على عضد عمر ، وقال : انج ؛ وفرأ هار بين ؛ فكانت من متدمات إسلام عمر رضي الله عنه .

- (١) أخذ الله ببصرها : قبض وحبس نظرها .  
 (٢) يهجوني : يذمني .  
 (٣) خست الفم ، لأنه محل النطق بدمها . وهذا رواه البيهقي ، كما رواه ابن إسحاق .  
 وارجع إليه أيضا في تفسير ابن كثير : ٨ - ٥٣٧ .  
 (٤) رواه أبو نعيم في الدلائل ، والطبراني ، بسند جيد .  
 (٥) أي تواعد هو وبعض الكفرة على قتله والفتك به في بعض الليالي .  
 (٦) أي لم يبق بتهامة أحد إلا وقد هلك بملك الصيحة . أو أراد أن جميع أهل تهامة صاحوا علينا صيحة واحدة وقد لحقونا ليقتلونا . فالعنى أنا تيقنا وجودهم خلفنا .  
 (٧) المراد بمجىء الصفا والمروة تحركهما من مكانهما حتى كانا بينهم وبين النبي .  
 (٨) في نسيم الرياض ( ٣ - ٢٣٥ ) : هذا الحديث لم يوجد بهذا اللفظ إلا في مسند أحمد بما يقرب منه .  
 (٩) سورة الحاقة ، الآيات من ١ - ٨

ومنه (١) العبرة المشهورة ، والكفاية التامة (٢) عندما أخافته قريش ، وأجمعت على قتله وبيتوه (٣) ؛ فخرج عليهم من بيته ؛ فقام على رؤوسهم ، وقد ضرب الله تعالى على أبصارهم (٤) ، وذرّ التراب على رؤوسهم ، وخلص (٥) منهم .  
 وحمايته (٦) عن رؤيتهم في الغار بما هيأ الله له من الآيات ، ومن العنكبوت الذي نسج عليه ، حتى قال أمية بن خلف - حين قالوا : ندخل الغار : ما أربكم (٧) فيه ، وعليه من نسج العنكبوت ما أرى (٨) أنه قبل أن يولد محمد .  
 ووقعت حمامتان على فم الغار ، فقالت قريش : لو كان فيه أحد لما كانت هناك الحمام .

وقصته (٩) مع سراقه بن مالك بن جشم حين الهجرة ، وقد [ ١٢٦ ] جعلت قريش فيه وفي أبي بكر الجمائل (١٠) ، فأنذر به (١١) ، فركب فرسه واتبعه حتى إذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فساخت (١٢) قوائم فرسه ، فخر عنها (١٣) ،

- (١) ومنه : مما يشهد لأن الله تعالى عصمه من أعدائه .  
 (٢) العبرة : الأمر العجيب الذي يعتبر به ويتعظ . والكفاية التامة : أي كون الله تعالى عصمه وصانه صيانة تامة ليست ككفاية غيره . (٣) بيتوه : قصدوا قتله ليلا في خفية .  
 (٤) ضرب الله على أبصارهم : لم يحسوا به ويرهه لاستغراقهم بالنوم وحجب عيونهم عنه ؛ وقد كانوا أحاطوا ببيته ليقتلوه .  
 (٥) ذر التراب : نثره . خلس منهم : نجما منهم . وفي ب : ذرا . (٦) حمايته : حفظه .  
 (٧) الأرب : الحاجة المطلوبة ؛ أي ليس لكم مطلوب ولا حاجة .  
 (٨) ما أرى : ما أظن وأعتقد .  
 (٩) القصة في الصحيحين : صحيح مسلم : ١٥٩٢ ، وفي سيرة ابن هشام : ٢ - ١٠٢ .  
 (١٠) الجمائل : الجمل : الأجرة على الشيء فعلا أو قولا (النهاية) .  
 (١١) أنذر به : أعلم سراقه بالنبي .  
 (١٢) ساخت قوائم فرسه : غاصت في الأرض ودخلت فيها حتى كادت تبتملها وتنخسف من تحتها .  
 (١٣) خر عنها : سقط من فوق ، ورمى نفسه عنها خوفا من أن تخسف به الأرض فيمك .



واستقسم<sup>(١)</sup> ، بالأزلام ؛ فخرج له ما يكره .  
ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو لا يلتفت<sup>(٢)</sup> ؛  
وأبو بكر رضى الله عنه يلتفت ، فقال<sup>(٣)</sup> للنبي صلى الله عليه وسلم : أتينا<sup>(٤)</sup> .  
فقال : لا تحزن إن الله معنا . فساخت ثانية<sup>(٥)</sup> إلى ركبتهما ، وخر عنها ؛ فزجرها<sup>(٦)</sup>  
فنهضت ولقوائمها مثل الدخان<sup>(٧)</sup> ؛ فناداهم بالأمان<sup>(٨)</sup> ؛ فكتب له النبي صلى الله عليه  
وسلم أماناً ؛ كتبه ابن فهيرة<sup>(٩)</sup> ، وقيل أبو بكر ؛ وأخبرهم بالأخبار<sup>(١٠)</sup> ؛ وأمره  
النبي صلى الله عليه وسلم ألا يترك أحداً يلحق بهم .  
فانصرف يقول للناس : كفيتم ما هاهنا<sup>(١١)</sup> ،

- (١) الأزلام : جمع زلم : وهى قذاح ، أى سهام لا ريش لها ولا نصل ، كانوا فى الجاهلية يكتبون على بعضها أفل ، وعلى بعضها لا أفل ، ويضعونها فى متاعهم إذا سافروا ، فإذا عرض لهم مهم أخرجوا منها زلماً يتفعلون به فيفعلون أو يتركون . ومعنى الاستقسام : طلب ما قسم وقد رله . (٢) وهو لا يلتفت : والنبي لا يلتفت إليه لعدم مبالاته ولا اعتياده على ربه . (٣) القائل : هو أبو بكر وفى ١ : وقال . (٤) أتينا : أتانا العدو ، وأدركنا من يطلبنا . (٥) فساخت ؛ أى قوائم فرس سراقه . (٦) زجرها : صاح عليها . (٧) ولقوائمها مثل الدخان : أى غبار مرتفع فى الجو كأنه دخان . (٨) بالأمان : أى رفع صوته قائلاً لهم : الأمان . الأمان . والمراد تأمينهم منه ، وأنه لا يلحقهم منه ضرر وخوف بإخباره الأعداء . أو طلب منهم الأمان ؛ أى أن يمطوه أماناً فلا يلحقه ضرر لخوفه منه - صلى الله عليه وسلم ، ومن دعائه عليه . (٩) ابن فهيرة : عامر بن فهيرة ؛ وكان يرعى غنماً لآبى بكر رضى الله عنه ويحى لهما كل ليلة فى النار باللبن يتغذيانه . (١٠) وأخبرهم : أى أخبر سراقه النبي وأبا بكر وابن فهيرة - بالأخبار . أى بأخبار قريش ، وما جرى منهم بعد خروجهم من مكة وجعلهم الجمائل . . . (١١) كفيتم ما هاهنا : معناه ارجعوا كفيتم الطلب ؛ فإني لم أجدهم .

وقيل : بل قال لها<sup>(١)</sup> : أَرَأَيْكُمْ دَعَوْتُمَا عَلِيًّا ، فَادْعُوآلِي .  
 فنجا ، ووقع في نفسه ظهورُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> .  
 وفي<sup>(٣)</sup> خبر آخر : أَنَّ رَاعِيًا عَرَفَ خَبْرَهُمَا ، فَخَرَجَ يَشْتَدُ<sup>(٤)</sup> ، يُعَلِّمُ قَرِيشًا ؛  
 فلما ورد مكة ضُرب<sup>(٥)</sup> على قلبه ، فما بدري ما يصنع ؛ وأُنسى ما خرج له حتى رجع  
 إلى موضعه .

وجاءه<sup>(٦)</sup> - فيما ذكر ابنُ إسحاق وغيره - أبو جهل ، بصخرةٍ وهو ساجدٌ ،  
 وقريش ينظرون ، ليَطْرَحَهَا عليه ، فلزقت بيده ، وبديست يدها إلى عنقه ، وأقبل  
 يرجع القهقري إلى خلفه ؛ ثم سأله أن يدعو له ؛ ففعل ؛ فانطلقت يدها ؛ وكان  
 قد تواعد مع قريش بذلك ، وحلف لئن رآه ليدمغنه<sup>(٧)</sup> ؛ فسألوه عن شأنه ،  
 فذكر أنه عرض لي دونه فحبل<sup>(٨)</sup> ، ما رأيت مثله قط ، همَّ بي أن يأكلني .  
 فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : ذاك جبريل ، لو دنا لأخذه<sup>(٩)</sup> .  
 وذكر السمرقندي أن رجلا من بني المغيرة أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم  
 ليقتله ، فطمس الله على بصره<sup>(١٠)</sup> ؛ فلم ير النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، وسمع قوله ،  
 فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه .

- (١) لهما : للنبي وأبي بكر . (٢) سيرة ابن هشام : ٢ - ٩٩ .  
 (٣) قيل : إنه لا يعرف من رواه (نسيم الرياض : ٣ - ٢٤١) . وقال القاري (١ - ٧١٥) :  
 غير معروف عند أهل الأثر .  
 (٤) يشتد : يسرع في مشيه .  
 (٥) ضرب على قلبه : منع من الإدراك وذهل عما جاء له .  
 (٦) وهذا في دلائل أبي نعيم عن ابن عباس .  
 (٧) ليدمغنه : ليضربنه بصخرة يكسر رأسه ويخرج دماغه ؛ يقال : دمغه ، إذا أصاب  
 دماغه فقتله . (٨) حبل : جمل عظيم هائج .  
 (٩) لأخذه : لأهلكه . (١٠) طمس الله على بصره : غطاه وغشاه حتى لم يره .

وذكر أن في هاتين القصتين (١) ، نزلت (٢) : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا  
فِيهَا إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُتْمَحُونَ ﴾ (٣) . وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم  
سداً ، فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿ .  
ومن ذلك ما ذكره ابن إسحاق (٤) ، وغيره في قصته ، إذ خرج إلى بني قريظة (٥) ،  
في أصحابه ، فجلس إلى جدار بعض أطامهم (٦) ، فانبعث عمرو (٧) بن جهاش  
أحدهم ليطرح عليه رحي ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فأنصرف إلى المدينة وأعلمهم  
بقصتهم (٨) .

وقد قيل : إن قواه تعالى (٩) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُورُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ  
إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ  
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ في هذه النصبة نزلت .

(١) القصتين : يريد قصة أبي جهل ، وقصة هذا الرجل . والحبران في تفسير ابن كثير :  
(٢) سورة يس ، آية ٨ ، ٩

٥٥٠ - ٦

(٣) الإقحاح : رفع الرأس وغيض البصر .

(٤) ذكره ابن إسحاق في : سيرة ابن هشام : ٢ - ١٩٢

(٥) من يهود خيبر . (٦) الآطام : جمع أطم ، وهو الحصن هنا .

(٧) انبعث : توجه ، أو أسرع واندفع ، وعمرو بن جهاش : من بني قريظة .

(٨) أي أخبر بني قريظة في نبد عهدهم .

قال في نسيم الرياض (٣ - ٢٤٣) : وقد اعترض على المصنف بأن هذه القصة ليست مع

بني قريظة كما في السير ، وسيأتي أيضا في هذا الكتاب - وإنما هي مع بني النضير ، وسبب  
غزوة بني النضير .

وأما سبب غزوة بني قريظة فهو وقعة الخندق وتظاهروا مع قريش ونقضهم العهد .  
وهو الصواب .

(٩) سورة المائدة ، آية ١١

(٣٢ - الشفا / ١)

وحكى السمرقندي أنه خرج إلى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين<sup>(١)</sup>  
الذين قتلها عمرو بن أمية<sup>(٢)</sup>، فقال له حيي بن أخطب: اجلس يا أبا القاسم  
حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا.

فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وتوأم<sup>(٣)</sup>  
حيي معهم على قتله، فأعلم جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم بذلك؛  
فقام كأنه يريد حاجته حتى دخل المدينة<sup>(٤)</sup>.

وذكر أهل التفسير والحديث<sup>(٥)</sup>، عن أبي هريرة رضي الله عنه - أن أبا جهل  
وعد قريشا ابن رأى محمدا يصلي ليظان<sup>(٦)</sup> رقبته.

فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم أعلموه<sup>(٧)</sup>؛ فأقبل؛ فلما قرب منه ولى هاربا  
ناكصا على [١٢٧] عقبية، متقيا بيديه<sup>(٨)</sup>؛ فسئل فقال: لما دنوت منه أشرفت<sup>(٩)</sup>  
على خندق مملوء نارا كادت أهدوي فيه<sup>(١٠)</sup>، وأبصرت هولا عظيما<sup>(١١)</sup>، وخفق  
أجنحة<sup>(١٢)</sup> قد ملأت الأرض.

(١) يستعين: يطلب أن يعينوه في الدية. عقل الكلابيين: ديتهما.

(٢) توأم: تشاور.

(٣) ثم سار إليهم وحاصروهم ست ليال، وهم داخل حصنهم فقطع نخيلهم وحرقتهم  
تتـكـيـلا لهم.

(٤) رواه مسلم، والنسائي صحيح مسلم: ٢١٥٤. وفي ١: ومعنى الحديث . . .

(٥) ليظان رقبته: أي يدوس على عنقه الشريف برجله. (٦) أي أعلموا أبا جهل.

(٧) ناكصا: متأخرا راجعا لخلف. والعقب: مؤخر القدم. ونكص على عقبية: ولى

يخاف العاقبة. متقيا بيديه: مادا يديه كمن يدفع أمرا يتقيه.

(٨) أشرفت: اطلعت قريبا مني.

(٩) أهوى: أقع وأسقط. (١٠) هولا عظيما: أمرا مخوفا عظيما لم أر مثله.

(١١) خفق أجنحة: أجنحة تضرب لها أصوات هائلة.

فقال النبي ﷺ : تلك الملائكة ، لودنا لا تختطفته. عضواً  
عضواً (١) .

ثم أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم (٢) : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ﴾ . أن رآه  
استغنى . إن إلى ربك الرجعى . رأيت الذى ينهى . عبداً إذا صلى . رأيت إن كان  
على الهدى . أو أمر بالتقوى . رأيت إن كذب وتولى . ألم يعلم بأن الله يرى .  
كلا لئن لم ينته لنسفنا بالناصية . ناصية كاذبة خاطئة . فليدع ناديه . سندع  
الزبانية . كلا لا تطعه واسجد واقترب .

وروى (٤) أن شذبة بن عثمان الحجبي أدركه (٥) يوم حنين ، وكان حمزة قد  
قتل أباه وعمه ، فقال : اليوم أدركت نأرى من محمد .

فلما اختلط الناس أتاه من خلفه ، ورفع سيفه ليصبه عليه (٦) ؛ قال : فلما دنوت  
منه ارتفع إلى شواظ (٧) من نارٍ أسرع من البرق ، فوليت هاربا ؛ وأحس بي النبي  
صلى الله عليه وسلم فدعاني ، فوضع يده على صدري ، وهو أبفض الخلق إلى ؛  
فما رفعها إلا وهو أحب الخلق إلى ؛ [ وقال لى : ادن (٨) فقاتل ؛ فتقدمت أمامه  
أضرب بسيفي وأقيه بنفسى (٩) ، ولو لقيت أبى تلك الساعة لأوقعت به (١٠) دونه ] (١١) .

(١) عضوا عضوا : أى مزقته وفرقت أعضائه . والأثر فى تفسير ابن كثير : ٨ - ٤٦١ ،

وتفسير الطبرى : ٣٠ - ١٦٥

(٢) سورة العلق من آية ٦ إلى آخر السورة . (٣) ليطفى : طفيانه : تجاوز حده .

(٤) الراوى هو أبو نعيم فى الدلائل . (٥) أدركه : أدرك النبي ولحق به .

(٦) ليصبه عليه : ليضرب به ويقتله ويأخذ بثأره ويشفى غليله بمن كان سببا فى قتل

أبيه وعمه . (٧) شواظ : لهب . (٨) ادن : من المدو أو منى .

(٩) أقيه بنفسى : أجعل نفسى وقاية له . (١٠) لأوقعت به سيفى وقتلته .

قال فى نسيم الرياض (٣ - ٢٤٨) : والحديث مفصل فى سيرة ابن سيد الناس بسند صحيح .

(١١) ما بين القوسين كتب أمامه فى هامش ١ : صح ، من الأم ، من غير الرواية .

وعن فضالة بن عمرو<sup>(۱)</sup> : أردتُ قتلَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم عامَ الفتح ، وهو يطوفُ بالبیت ؛ فلما دنوتُ منه قال : أفضالة ؟ قلتُ : نعم . قال : ما كنتُ تحدّثُ به نفسَكَ ؟ قلتُ : لا شيءٌ . فضحك واستغفر لي ، ووضع يده على صدرى ، فسكن قلبي ، فوالله ما رفعتها حتى ما خلق الله شيئاً أحبَّ إلىَّ منه .

ومن مشهور<sup>(۲)</sup> ذلك خبرُ عامر بن الطُّفَيْل ، وأرْبُد بن قيس - حين وفدا على النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وكان عامرٌ قال له : أنا أشغلُ عنك وجهَ محمد<sup>(۳)</sup> فأضربه أنت . فلم يره فعل شيئاً ؛ فلما كأمه في ذلك قال له : والله ما هممتُ أن أضربه إلا وجدتك بيني وبينه ؛ أفأضربك !

ومن عصمته له تعالى أن كثيراً من اليهود والكهنة أنذروا به<sup>(۴)</sup> وعينوه لقريش ، وأخبروهم بسطوته بهم<sup>(۵)</sup> ، وحضوهم على قتله ؛ فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه أمره<sup>(۶)</sup> .

ومن ذلك نصره بالرعب<sup>(۷)</sup> أمامه مسيرة شهر ؛ كما قال صلى الله عليه وسلم<sup>(۸)</sup> .

---

(۱) رواه ابن إسحاق ، وابن سيد الناس . وفي سيرة ابن هشام : فضالة بن عمير الليثي .  
والخبر في سيرة ابن هشام : ۴ - ۳۷

(۲) رواه ابن إسحاق ، والبيهقي ، وأبو نعيم في الدلائل : سيرة ابن هشام : ۴ - ۲۳۳

(۳) أشغل عنك وجه محمد : ألهيه حتى تبطش به .

(۴) أنذروا به : أخبروا وأعلموا .

(۵) بسطوته بهم : أى إنه يغزوهم ويقتلهم .

(۶) بلغ فيه أمره : حفظه ، ونصره ؛ وأظهر دينه على جميع الأديان .

(۷) بالرعب : بإلقاء الخوف منه في قلوب أعدائه ، وفي قلوب من لم يقبمه .

(۸) هو في الصحيحين ، وفي مسند أحمد : صحيح مسلم : ۳۷۱ ، ۳۷۲

## فصل

[ من معجزاته الباهرة ]

ومن معجزاته الباهرة <sup>(١)</sup> ما جمعه الله له من المعارف والعلوم ، وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ، ومعرفته بأمر شرائعه <sup>(٢)</sup> ، وقوانين دينه ، وسياسة عبادته ، ومصالح أمته ، وما كان في الأمم قبله ، وقصص الأنبياء والرسل والجبابرة <sup>(٣)</sup> والقرون الماضية من لدن آدم إلى زمنه ، وحفظ شرائعهم وكتبهم ، ووعى <sup>(٤)</sup> سيرهم ، وسرد أنبيائهم ، وأيام الله <sup>(٥)</sup> فيهم ، وصفات أعيانهم <sup>(٦)</sup> ، واختلاف آرائهم ، والمعرفة بمدد أعمارهم ، وحكم حكماهم ، ومحااجة كل أمة من الكفرة <sup>(٧)</sup> ، ومعارضة كل فرقة <sup>(٨)</sup> من الكنائس بما في كتبهم ، وإعلامهم بأسرارها ومخبرات علومها ، وإخبارهم بما كتبوا من ذلك وغيره .

إلى الاحتواء <sup>(٩)</sup> على لغات العرب ، وغريب ألفاظ فرقها ، والإحاطة بضروب فصاحتها <sup>(١٠)</sup> ، والحفظ لأيامها وأمثالها ، وحكمها ومعاني أشعارها ، والتخصيص <sup>(١١)</sup> بجوامع كلماتها .

(١) الباهرة : البالغة الظاهرة على غيرها .

(٢) شرائعه : التي شرعها الله له ولعباده على لسانه .

(٣) الجبابرة : الجبار - في صفة الإنسان : الذي يجبر نفسه بادعاء منزلة من اتعالى

لا يستحقها . ويقال للقاهر لغيره جبار .

(٤) الوعى : الحفظ ، والجمع .

(٥) أيام الله فيهم : أي وقائعهم التي قدرها الله لهم . والأيام تطلق على الوقائع والحروب

كأيام العرب .

(٦) أعيانهم : كبارهم ورؤساؤهم . وقيل : ذواتهم .

(٧) محااجة كل أمة من الكفرة : أي ذكر حججه وبرهانه ، وما حاج به غيره .

(٨) معارضته : مخالفته وردده .

(٩) الاحتواء : الاشتمال والحفظ .

(١٠) هذا في ا ، ب .

(١١) والتخصيص : أي تخصيص الله إياه بنطقه بجوامع كلام العرب ؛ أي بالألفاظ الحسنة البليغة الجامعة للمعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة .

إلى المعرفة بضرب الأمثال الصحيحة ، والحكم البيّنة لتقريب التفهيم للغامض ،  
والتبيين للمشاكل ، إلى تمهيد<sup>(١)</sup> قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تناقض ،  
مع اشتغال شريعته على محاسن الأخلاق ومحامد الآداب [١٢٨] وكل شيء مستحسن  
مفضل ، لم ينكر منه ملحد<sup>(٢)</sup> ذو عقل سليم شيئاً إلا من جهة الخذلان<sup>(٣)</sup> .  
بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به إذا سمع ما يدعوه إليه صوابه<sup>(٤)</sup> ،  
واستحسنه دون طلب إقامة برهان عليه .

ثم ما أحل لهم من الطيبات ، وحرم عليهم من الخبائث<sup>(٥)</sup> ، وصان به أنفسهم  
وأعراضهم وأموالهم من المعاقبات والحدود<sup>(٦)</sup> عاجلاً ، والتخويف بالنار آجلاً  
[ مما لا يعلم علمه ، ولا يقوم به ، إلا من مارس الدرس<sup>(٧)</sup> والمكوف على الكتب ،  
ومثافنة<sup>(٨)</sup> بعض هذا ]<sup>(٩)</sup> .

إلى الاحتواء<sup>(١٠)</sup> على ضروب العلوم ، وفنون المعارف ؛ كالطب ،  
والعبارة<sup>(١١)</sup> ، والفرائض<sup>(١٢)</sup> ، والحساب ، والنسب ، وغير ذلك من العلوم  
مما اتخذ أهل هذه المعارف كلامه صلى الله عليه وسلم فيها قدوة وأصولاً في عملهم ؛

(١) تمهيد : بسطه والتوطئة له . (٢) ملحد : مائل عن الحق زنديق .

(٣) أصل الخذلان : عدم النصر ، والمراد به عدم التوفيق .

(٤) صوابه : اعتقد أنه صواب .

(٥) الخبائث : كالبئرة والدم ، ولحم الخنزير .

(٦) المعاقبات والحدود ؛ كالحد ، والتميز ، والحبس ، وكحد الزنا والسرقة ، والقذف ،

وشرب الخمر .

(٧) مارس الدرس : لازم دراسة الكتب واجتهد فيها . والمكوف : الإقبال على الشيء

وملازمته . (٨) ومثافنة : ومتابعة . (٩) ما بين القوسين ساقط في أ .

(١٠) إلى الاحتواء : أى مع اشتغالها أو مضمومها إلى الاشتغال .

(١١) العبارة : أى تعبير الرؤيا .

(١٢) الفرائض : جمع فريضة ؛ وهو النصيب من الميراث .



كقوله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> : الرؤيا لأول عابر<sup>(٢)</sup> . وهى<sup>(٣)</sup> على رجل طائر<sup>(٤)</sup> .  
وقوله : الرؤيا ثلاث ؛ رؤيا حق ، ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه ، ورؤيا تخزين  
من الشيطان<sup>(٥)</sup> .

وقوله<sup>(٦)</sup> : إذا تقارب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن تكذب .

(١) فى حديث رواه ابن ماجه ( سنن ابن ماجه : ١٢٨٨ ) .  
(٢) الرؤيا : ما يرى من المنام من الأحلام . لأول عابر : أى مصادفة وموافقة لأول  
تفسير تفسر به . والماير : هو الذى يبين الرؤيا ويفسرها .  
(٣) رواه أبو داود ، والترمذى ، وصححه ( سنن الترمذى : ٤ - ٥٣٦ ) .  
ومسند الطيالسى : ١ - ٣٤٩ .

(٤) رجل طائر : أى إنها على رجل قدر جار وقضاء ماض من خير أو شر ؛ وإن ذلك  
هو الذى قسمه الله لصاحبها . وكل حركة من كلمة أو شىء يجرى لك فهو طائر . والمراد أن  
الرؤيا التى يعبرها المعبر الأول فكأنها كانت على رجل طائر فسقطت ووقعت حيث عبرت  
كما يسقط الذى يكون على رجل الطائر بأذى حركة (النهاية) . وفى هامش ا : قوله عاينه السلام :  
على رجل طائر : على رجل قدر جار ، وقضاء ماض من خير أو شر ( من الغريبين ) . وقال  
ابن قتيبة : أرى أنها غير مستقرة . يقال لشىء إذا لم يستقر : هو على رجل طائر . وبين  
مخالب طائر ، وعلى قرن ظبي .

(٥) تخزين من الشيطان : بأن يلقى له ما يكره ويخاف بوسوسته .  
قال السيوطى : هذا الحديث رواه الشيخان وغيرهما ( صحيح مسلم : ١٧٧٣ ) .  
(٦) فى حديث رواه الشيخان عن أبى هريرة مسندا ( صحيح مسلم : ١٧٧٣ ) .  
تقارب الزمان : قال فى نسيم الرياض ( ٣ - ٢٥٩ ) : اختلف فى المراد به هنا ؛ فقيل : المراد  
به زمان الربيع وقرب الليل والنهار من التساوى ، وهو زمان تدرك فيه الثمار ، وتفتح الأزهار  
ويرق النسيم ، فتعدل الطباع البشرية فيه ، فتقوى على تلقى ما يفاض عليها . ولذا قال أهل  
التعبير : أصدق زمان لوقوع الرؤيا زمان الربيع .

وقيل : المراد به آخر الزمان إذا قربت الساعة ، وتقاربه قصره ، والقصر إما حقيقة كما  
فى الحديث : فى أيامه السنة كشهر ، والشهر كجمعة ، والجمعة كيوم ، واليوم كساعة .  
وقيل : إنه لكثرة اشتغال الناس بالدنيا لسعتها عليهم أو لغير ذلك .

وقوله (١) : أصل كل داء البردة .

وما روى (٢) عنه في حديث أبي هريرة رضى الله عنه من قوله : المعدة حوض البدن ، والعروق إليها واردة . وإن كان هذا حديثاً لا نصححه لضعفه وكونه موضوعاً تكلم (٣) عليه الدارقطنى .

وقوله (٤) : خير ما تداويتم به السعوط واللدود ، والحجامة ، والمشى .

وخير الحجامة يوم سبع عشرة ، وتسع عشرة ، وإحدى وعشرين (٥) .

وفي العود الهندى سبعة أشفية (٦) ، [ منها ذات الجنب ] (٧) .

وقوله (٨) : ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن ، فإن كان لا بد فثلث للطعام ،

وثلث للشراب ، وثلث للنفس .

وقوله (٩) - وقد سئل عن سبأ : أرجل هو أم امرأة ؛ أم أرض ؟ فقال : رجل

وآلدة عشرة : تيامن (١٠) منهم ستة ، وتشام أربعة . . . الحديث بطوله .

(١) فى حديث رواه الدارقطنى وضعفه .

والبردة : الإكثار من الطعام ، حتى لا تقدر المعدة على هضمه .

والمراد بكونه أصلاً لذلك أنه منشؤه ومبدؤه فى الغالب .

(٢) الراوى له الطبرانى فى الأوسط . (٣) تكلم عليه الدارقطنى ؛ أى مضعفاً له .

(٤) فى حديث رواه الترمذى . (سنن الترمذى : ٤ - ٣٨٨) .

والسعوط : ما يجمل فى الأنف ويستنشق به . واللدود : ما يجمل فى أحد شقى الفم ويتفرغ

به لدفع ورم به يعترى الصبيان غالباً والمشى : المسهل .

(٥) وهذا الحديث رواه الحاكم عن ابن عباس وصححه ، وأبو داود عن أبي هريرة

(سنن أبي داود : ٢ - ٩٩) .

(٦) الأشفية : جمع شفاء . والحديث فى صحيح البخارى : ٧ - ١٦٥

(٧) ما بين القوسين ليس فى أ ، ب ، وهو فى صحيح البخارى .

(٨) رواه الترمذى ، وابن ماجه ، والحاكم : سنن الترمذى ٤ - ٥٩٠

(٩) فى حديث رواه الترمذى : ٥ - ٣٦١ ، وفى اضبطت همزة « سبأ » بالفتحة ممنوعاً ،

وبكسرتين ، وعابها « معا » . (١٠) تيامن : سكن اليمن . تشام : سكن الشام .

- وكذلك<sup>(۱)</sup> جوابه في نسب قضاة ، وغير ذلك مما اضطرت العربُ على شغلها بالنسب إلى سؤاله عما اختلفوا فيه<sup>(۲)</sup> من ذلك .
- وقوله<sup>(۳)</sup> : حَمِيرُ رَأْسِ الْعَرَبِ وَنَابِئُهَا<sup>(۳)</sup> . وَمَذْحِجُ هَامَتِهَا وَغَلَصَمَتِهَا<sup>(۴)</sup> . وَالْأَزْدُ كَاهِلُهَا وَجُمَّمَتِهَا<sup>(۵)</sup> ، وَهَمْدَانُ غَارِبُهَا وَذِرْوَتُهَا<sup>(۶)</sup> .
- وقوله<sup>(۷)</sup> : إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ .
- وقوله<sup>(۸)</sup> في الحوض : زَوَايَاهُ سَوَاءٌ .
- وقوله<sup>(۹)</sup> - في حديث الذِّكْرِ : وَإِنَّ الْحَسَنَةَ بَعِشْرَ أَمْثَالِهَا ؛ فَتِلْكَ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ عَلَى اللِّسَانِ ، وَالْفُؤُوسُ وَخَمْسَمِائَةٌ فِي الْمِيزَانِ<sup>(۱۰)</sup> .

- (۱) في حديث رواه أحمد ، والطبراني .
- (۲) أي مشكل أنسابهم ومعرفة ما أشكل عليهم .
- (۳) في حديث رواه البزار . رأس العرب : منزلتهم من الشرف في العرب بمنزلة الرأس من الجسد . ونابئها : أي هم عمدتهم ، ومن أشدهم .
- (۴) هامتها : رأسها . وغلصمتها : الغلصمة : لجة بين الرأس والعنق . أو رأس الحلقوم .
- (۵) الكاهل : ما يلي العنق من أعلى الظهر . والجمجمة : المراد بها الرأس .
- (۶) الغارب : ما بين السنام والعنق . وذروتها : أعلاها وسنامها .
- (۷) في حديث رواه الشيخان . صحيح البخاري : ۶ - ۸۳ . استدار : عاد لما كان عليه .
- (۸) في حديث رواه الشيخان : صحيح مسلم : ۱۷۹۳ .
- سواء : متساوية ؛ معناه طوله كعرضه .
- (۹) في حديث رواه أبو داود ، وابن ماجه ، سنن ابن ماجه : ۲۹۹ ، وسنن الترمذي :

۴۷۸ - ۵

- (۱۰) وهو أنه صلى الله عليه وسلم قال : خصاتان لا يحصيها رجل مسلم إلا دخل الجنة ، وهما يسير ، ومن يعمل بهما قليل : تسبحة الله عز وجل دبر كل صلاة عشرا ، وتحمده عشرا ، وتكبره عشرا ؛ قال : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقدها بيده فذلك خمسون ؛ فهي مائة باللسان ، وألف وخمسمائة في الميزان . فإذا أوى إلى فراشه سبح وحمد ، وكبر مائة ؛ فتلك مائة باللسان وألف في الميزان فأيكف يعمل في اليوم ألفين وخمسمائة سيئة .

وقوله (١) وهو بموضعٍ : نعم موضعُ الحَمَامِ هذا .  
وقوله (٢) : ما بين المشرق والمغرب قبلةٌ .  
وقوله (٣) لُعَيْنَةَ ، أو الأقرع : أنا أفرسُ بالخيلِ منك .  
وقوله لكتابهِ (٤) : ضَعِ القلمَ على أذُنِكَ ، فإنه أذكُرُ للممِلِّ .  
هذا مع أنه صَلَّى اللهُ عليه وسلم كان لا يكتب ؛ ولكنه أُوتِيَ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ ، حتى  
قد وردت آثارٌ بمعرفة حروف الخطِّ وحُسنِ تصويرها :  
كقوله : لا تَمُدُّوا بِسْمِ (٥) اللهُ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، رواه ابنُ شعبانٍ من طريق  
ابن عباس (٦) .

وقوله في الحديث الآخر الذي يُروى عن معاوية أنه كان يكتبُ بين يديه صلى  
اللهُ عليه وسلم ، فقال له : أَلِقِ الدَّوَاةَ ، وَحَرِّفِ القلمَ ، وَأَقِمِ الباءَ ، وَفَرِّقِ السِّينَ ،  
وَلَا تُعَوِّرِ الميمَ (٧) ، وَحَسِّنِ اللهُ ، وَمُدِّ الرَّحْمَنَ ، وَجَوِّدِ الرَّحِيمَ (٨) .

- (١) في حديث رواه الطبراني .  
(٢) في حديث رواه الترمذي ، وصححه . سنن الترمذي : ٢-١٧١ ، وابن ماجه : ١-٣٢٣ .  
(٣) في حديث ذكره ابن الأثير في النهاية ، ولم يخرجهُ السيوطي لأنه لم يقف عليه .  
أفرس بالخيل : أبصر ، وأعرف .  
(٤) في حديث رواه الترمذي ( سنن الترمذي : ٥-٦٧ ) وفيه : أذكر للمملي ،  
وهما بمعنى . (٥) لا تجعل السين مدة طويلة من غير بيان لأسنانها .  
(٦) في نسيم الرياض (٣-٢٦٧) : وضعه ابن حزم . وقال السيوطي : حديث ابن عباس  
رضي الله عنه : لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم - لم أجده .  
(٧) ضبطت العين في أ بالسكون والواو بالكسرة من غير تشديد .  
(٨) ألق الدواة : اجعل لها ليقية ، وأصلح مدادها . وحرف القلم : اجعل قطه محرفا ،  
وطرف شقه الأيمن أزيد من الطرف الآخر قليلا ، فإنه أعون على تصوير السنات . وأقم الباء :  
اجعلها مستقيمة ، أو طولها قليلا ، لأنها عوض عن ألف اسم . وفرق السين : اجعل أسنانها  
منفصلا بعضها من بعض . ولا تعور الميم : لا تجعل دائرتها مطموسة . وحسن الله : أي كتابته  
وصورة لفظه تعظيما لمسماه . وجود الرحيم : حسن كتابته .

وهذا ، وإن لم تصح الرواية أنه صلى الله عليه وسلم كتب فلا يبعد [١٢٩] أن  
يرزق علم هذا ويمنع القراءة والكتابة .  
وأما علمه صلى الله عليه وسلم بلغات العرب ، وحفظه معاني أشعارها ، فأمر  
مشهور ، قد نبهنا على بعضه أول الكتاب .  
وكذلك حفظه لكثير من لغات الأمم ؛ كقوله في الحديث <sup>(١)</sup> : سَنَّهُ ، سَنَّهُ .  
وهي حسنة بالحبشية .

وقوله <sup>(٢)</sup> : ويكثر الهرج ، وهو القتل بها <sup>(٣)</sup> .  
وقوله - في حديث أبي هريرة <sup>(٤)</sup> : أَشَكَّتِ دَرْدُ ؛ أي وجع البطن بالفارسية .  
إلى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا يبعثه إلا من مارس الدرس  
والعكوف على الكتب ومثاقفة أهلها عمره <sup>(٥)</sup> .  
وهو رجل كما قال <sup>(٦)</sup> الله تعالى - أُمِّي ، لم يكتب ولم يقرأ ، ولا عرف بصحبة  
من هذه صفته ، ولا نشأ بين قوم لم يعلموا قراءة شيء من هذه الأمور ، ولا عرف

(١) الحديث رواه البخاري : صحيح البخاري : ٨ - ٨

(٢) في حديث رواه الشيخان : صحيح البخاري : ٨ - ١٧ ، وفيه : قالوا : وما الهرج ؟

قال : القتل . القتل . وهو في الترمذي أيضا : ٤ - ٤٨٩

(٣) بها : أي بلغة الحبشة .

(٤) رواه ابن ماجه . سنن ابن ماجه : ١١٤٤ ، وهو فيه : اشكت درد . وقال في شرحه :

بالفارسية : اشكم ، أي بطن . درد ؛ أي وجع . والتاء للخطاب ، والهمزة همزة وصل .

كذا حققه الدكتور حسين الهمداني . ومعناه : أشتكى بطنك ؟ ولكن جاء في تكملة مجمع

بحار الأنوار صفحة ٧ : اشكب درم ، وفي رواية بسكون الباء ، وفي ١ : اشكب دردم -

بضم الدالين ، وفي ب : بفتح الدالين .

(٥) العكوف على الكتب : ملازمة مطالعتها ومذاكرتها والنظر فيها .

مثاقفة أهلها : مجالستهم وملازمتهم . وفي ب : مثاقبة . والمثاقبة : المباحثة .

(٦) في قوله تعالى : فأمنوا بالله ورسوله النبي الأمي . . . (سورة الأعراف ، آية ١٥٨) .

هو - قَبْلُ بِشَيْءٍ مِنْهَا ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (١) : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَارْتَابَ (٢) الْمُبْطَلُونَ ﴾ .

إنما كانت غاية معارف العرب النسبَ وأخبار أوائها ، والشعرَ ، والبيانَ ؛ وإنما حصل ذلك لهم بعد التفرُّغِ لِعِلْمِ ذلك ، والاشتغالِ بِطَلَبِهِ ، ومباحثة أهله عنه . وهذا الفن (٣) نُقْطَةٌ مِنْ بَحْرِ عِلْمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ولا سبيل إلى جحد الملحدِ لشيء مما ذكرناه (٤) ، ولا وجد الكفرة حيلة في دَفْعِ ما نَصَّصناه (٥) إِلَّا قَوْلَهُمْ : أساطير الأولين : ﴿ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ (٦) ﴾ . فردَّ اللَّهُ قَوْلَهُمْ بقوله (٧) : ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (٨) .

ثم ما قالوه مكابرة العيان (٩) ؛ فإن الذي نسبوا تعليمه إليه إما سلمان ، أو العبد الرومي (١٠) ؛ وسلمان إنما عرفه بعد الهجرة ؛ ونزول الكثير من القرآن ، وظهور ما لا ينعَدُّ من الآيات .

(١) سورة العنكبوت ، آية ٤٨

(٢) ارتاب المبتلون : شكوا ، وقالوا تعلمه ممن قرأه وكتبه .

(٣) الفن : النوع من العلم الذي كانت العرب تعرفه وتعتنى به .

(٤) أي لا يمكن الكفرة المائلين عن الطريق المستقيم إنكاره .

(٥) نصصناه : حكيناها وبيناه . (٦) أي هي أحاديث مما سطره من قبله وأكاذيب .

(٧) سورة النحل ، آية ١٠٣

(٨) الذي يلحدون إليه : لسان من ادعوا أنه تعلم منه لسان عجمي فكيف يمكن

تعليمه أو التعلم منه؟ ومعنى يلحدون : يميلون عن الحق بمقاتلهم هذه .

(٩) المكابرة : الإنكار من غير دليل . والعيان : المعاينة والشاهدة .

(١٠) سلمان : هو سلمان الفارسي . والعبد الرومي : هو غلام حويطب بن عبد العزى ،

أسلم وكان ذا كتب .

وأما الرومي فكان أسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup>، واختلف في اسمه .

وقيل : بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلسُ عنده عند المروة<sup>(٢)</sup>، وكلاهما أعجميُّ اللسان ؛ وهم الفصحاء اللد<sup>(٣)</sup>، والخطباء اللسن<sup>(٤)</sup>، قد عجزوا عن معارضة ما أتى به<sup>(٥)</sup>، والإتيان بمثله ؛ بل عن فهم رصفه، وصورة تأليفه ونظامه ؛ فكيف بأعجميِّ أنكن<sup>(٦)</sup> !

نعم، وقد كان سلمان، أو بلعام الرومي<sup>(٧)</sup>، أو يعيش، أو جبر، أو يسار - على اختلافهم في اسمه - بين أظهرهم<sup>(٨)</sup> يكلمونه مدى أعمارهم ؛ فهل حكى عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجي به محمد صلى الله عليه وسلم ؟ وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك ؟ وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده، ودُوب<sup>(٩)</sup> طلبه، وقوة حسده - أن يجلس إلى هذا فيأخذ عليه أيضا ما يمارض به ويتعلم منه ما يحتاج به على شفه<sup>(١٠)</sup> ؛ كفعل النضر بن الحارث بما كان يُمخرق<sup>(١١)</sup> به من أخبار كُتبه .

- (١) أي ويتعلم منه . (٢) أي مع الناس فكيف قالوا إنه تعلم منه وهو لم يجلس به ؟  
 (٣) اللد : جمع لد ؛ وهو الشديد الخصومة .  
 (٤) اللسن : جمع لسن ؛ وهو الفصيح اللسان ، الطلق البيان .  
 (٥) معارضة ما أتى به : مقاباته بكلام يحكيه .  
 (٦) أنكن : من اللكنة ؛ وهي المعجمة في اللسان ، والمعنى في النطق والبيان .  
 (٧) اسم الغلام الأعجمي . وقد سبق أنه مختلف في اسمه ، فهذه هي الأسماء التي قيل إنه يسمى بها .  
 (٨) بين أظهرهم : مقابا بينهم يعرفونه .  
 (٩) دُوب طلبه : من الدأب وهو الجِد والتعب .  
 (١٠) شفه : عناده في خصومته . وفي أ : على شيعته .  
 (١١) يُمخرق : يكذب . والمخرقة : افتعال الكذب يتلهم به . وقال القاري (١-٧٣٢) : هي كلمة مولدة ، كما ذكره الجوهري ؛ أي يزخرف .

ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ، ولا كثرت اختلافاته<sup>(۱)</sup> إلى بلاد  
أهل الكتاب ؛ فيقال : إنه استمد منهم ؛ بل لم يزل بين أظهرهم برعى في صغره  
وشبابه ، على عادة أبنائهم ؛ ثم لم يخرج عن بلادهم إلا في سفرة أو سفرتين<sup>(۲)</sup> ،  
لم يطل فيهما مكثه مدة يُحتمل فيها تعليم القليل ، فكيف الكثير !  
بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقه<sup>(۳)</sup> عشرينه ، لم يغيب عنهم ،  
ولا خالف<sup>(۴)</sup> حاله [ ۱۳۰ ] مدة مُتَمَّمه بمكة من تعليم واختلاف<sup>(۵)</sup> إلى حبر أو قس<sup>(۶)</sup> ،  
أو منجم أو كاهن .

بل لو كان<sup>(۷)</sup> هذا بمدُّ كفه لكان مجيئه ما أتى به في مُعْجِز القرآن قاطعاً لكل  
عذر ، ومدحياً لكل حجّة ، ومجلياً<sup>(۸)</sup> لكل أمر .

(۱) اختلافاته : رواحه ومجيئه مرارا عديدة .

(۲) سافر مرة إلى بلاد الشام مع عمه أبي طالب ، وورده من الطريق بإشارة بحير الراهب .  
ثم سافر مرة أخرى في تجارة لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها مع غلامها ميسرة فلم ينفرد  
عن أهل بلده أبدا سفرا وإقامة .

(۳) رفاقة : مرافقة .

(۴) ولا خالف حاله : أى حاله التى نشأ عليها وعرف بها .

(۵) واختلاف : أى مجيء وذهاب .

(۶) الحبر : العالم من علماء اليهود . والمنجم : العالم بالنجوم وأحكامها . والقس : رئيس

علماء النصارى . والكاهن من العرب : من يخبر عن المنىبات بواسطة جن ونحوه .

فاستوفى أقسام من يمكن التعلم منه من أنواع الناس .

(۷) لو كان هذا : أى لو فرض خلاف ما ذكر من حاله بأن فرضنا أمفارا كثيرة له

ومكثا مع أهل الكتاب واختلافا للتسيبين والاحبار . . .

(۸) مدحضا : مزيلا ومبطلا . ومجليا : موضعا وكاشفا .



## فصل

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم ، وكراماته ، وباهر آياته أنباؤه<sup>(۱)</sup> مع الملائكة والجن ، وإمداد<sup>(۲)</sup> الله له بالملائكة ، وطاعة<sup>(۳)</sup> الجن له ، ورؤية كثير من أصحابهم لهم ؛ قال الله تعالى<sup>(۴)</sup> : ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ .

وقال<sup>(۵)</sup> : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْي مَعَكُمْ ؛ فَمَثَبَتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ .  
وقال<sup>(۶)</sup> : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنْي يُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ . وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

وقال<sup>(۷)</sup> : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ، فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا : أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلُوا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ .

- 
- (۱) أنباؤه : جمع نبا ، وهو الخبر .  
(۲) إمداد الله : إرسال الله الملائكة مددا له صلى الله عليه وسلم ، وإيادته .  
(۳) طاعة الجن له : بانقيادهم وإسلامهم .  
(۴) سورة التحريم ، آية ٤ . وإن تظاهرا : تعاونا . هو مولاة : ناصره .  
(۵) سورة الأنفال ، آية ١٢ ، فثبتوا الذين آمنوا بالقتال معهم وتقوية قلوبهم بوعدهم بالنصر وظهورهم على أعدائهم ، وهذا كان يدر .  
(۶) سورة الأنفال ، آية ٩ ، ١٠ .  
تستغيثون ربكم : تطالبون غوثه وإيادته . فاستجاب لكم : أجاب دعاءكم وأجز وعده لكم . مردفين : متتابعين .  
(۷) سورة الأحقاف ، آية ٢٩ .  
صرفنا إليك : أملناهم وأوصلناهم إليك . والنفر : مادون العشرة . وهؤلاء جن نصيبين ، وهذا كان يبطن نخلة في منصرفه صلى الله عليه وسلم من الطائف .

حدثنا سُفيان بن العاص الفقيه بسماعى عليه، حدثنا أبو الليث السمرقندي؛ قال :  
حدثنا عبد الغافر الفارسي ، حدثنا أبو أحمد الجلودي ، حدثنا ابنُ سفيان ، حدثنا  
مُسلم ، حدثنا عبيدُ الله بن معاذ ، حدثنا أبي ، حدثنا شعبة ، عن سليمان الشيباني ،  
سمع زَرَّ بن حُبَيْش ، عن عبد الله ؛ قال : لقد رأى من آياتِ ربه الكُبرى - قال (١) :  
رأى جبريلَ عليه السلام في صورته ، له سمانَةٌ جناح .

والخبرُ في محادثته مع جبريل وإسرافيل وغيرهم من الملائكة ، وما شاهده من  
كثرتهم وعِظَمِ صُورِ بعضهم ليلة الإسراء مشهورٌ .

وقد رآهم بحضرتِه (٢) جماعةٌ من أصحابه في مواطنٍ مختلفة ؛ [ فرأى أصحابه  
جبريل عليه السلام في صورة رجلٍ يسأله عن الإسلام والإيمان ] (٣) .

ورأى ابنُ عباسٍ ، وأسامَةُ بن زيد ، وغيرُهما عنده جبريل في صورة دحية (٤) .

ورأى سعدٌ (٥) عن يمينه ويساره جبريل وميكائيل في صورة رجلين عليهما

ثيابٌ بيض .

ومثله عن غير واحد .

وسمع بعضهم زجرَ (٦) الملائكة خيلها يوم بدرٍ .

وبعضهم رأى تطايرَ الرؤوس (٧) من الكفار ، ولا يروُن الضارب .

(١) قال : أي مسعود . والحديث في البخاري : ٦ - ١٧٦

(٢) بحضرتِه : في مجلسه .

(٣) ما بين التوسين أمامه في ١ : من غير الرواية .

(٤) هو دحية بن خايصة الكلبي الصحابي الجليل المشهور .

(٥) في حديث رواه الشيخان : صحيح البخاري : ٥ - ١٢٤

(٦) زجر الملائكة : حسها خيلها على الجري بصوت .

(٧) تطاير الرؤوس : سرعة وقوعها بخفة كطائر طار عن مقره . وهذا رواه البيهقي .

ورأى أبو سفيان بن الحارث يومئذ<sup>(١)</sup> رجالا بيضا على خيلٍ بَاقٍ<sup>(٢)</sup> بين السماء والأرض ، ما يقوم لها<sup>(٣)</sup> شيء .

وقد كانت الملائكة تصفحُ عمران بن الحصين .

وأرى<sup>(٤)</sup> النبي صلى الله عليه وسلم لحزاة جبريل في الكعبة ، نخر مفضيا عليه .

ورأى<sup>(٥)</sup> عبدُ الله بن مسعود الجن ليلة الجن ، وسمع كلامهم ، وشبههم برجال

الزُّطَّ<sup>(٦)</sup> .

وذكر ابنُ سعيد<sup>(٧)</sup> أن مُصعب بن عمير لما قُتل يوم أحد أخذ الراية ملكاً على

صورته ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له : تقدم يا مُصعب ؛ فقال له الملك :

لست بمُصعب ، فعلم أنه ملك .

وقد ذكر غير<sup>(٨)</sup> واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه - أنه

قال : بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل شيخٌ بيده عصا ، فسلم على

النبي صلى الله عليه وسلم ، فردّ عليه ، وقال<sup>(٩)</sup> - صلى الله عليه وسلم : نعمةُ الجن<sup>(١٠)</sup> !

(١) يومئذ : يوم بدر .

(٢) خيل بلق : فيها بياض ولون آخر . أو فيها سواد وبياض .

(٣) ما يقوم لها شيء : أى لا يمكن أن يقاوم شدتها وقتالها شيء غيرهم قل أو كثر لما

رآه من بطشها وسرعتها .

(٤) فى حديث رواه البيهقى عن عمار بن ياسر .

(٥) فى حديث رواه البيهقى .

(٦) الزُّطَّ : قوم من السودان طوال . وقيل : إنهم جيل بالهند .

(٧) الطبقات : ٢ - ٢٩

(٨) كالبيهقى ، وابن ماكولا فى إكباله .

(٩) فى ب : فقال .

(١٠) نعمة الجن : أى هذه نعمة الجن . أو نعمتك نعمة الجن وصوتهم .

مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ : أَنَا هَامَةُ بْنُ الْهَيْمِ بْنِ لَاقِسِ بْنِ إِبْرَاهِيمِ ؛ فَذَكَرَ أَنَّهُ لَقِيَ نُوْحًا  
وَمَنْ بَعْدَهُ . . . . فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ <sup>(١)</sup> ؛ وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَهُ سُورًا  
مِنَ الْقُرْآنِ <sup>(٢)</sup> .

وَذَكَرَ <sup>(٣)</sup> الْوَأَقْدِي قَتَلَ خَالِدِ بْنِ خَالِدٍ عِنْدَ هَذْمَةَ الْعُرَيْيِّ لِلْسُّودَاءِ الَّتِي خَرَجَتْ لَهُ ذَائِرَةً  
شَعْرَهَا عُرْيَانَةً ، فَجَزَلَهَا <sup>(٤)</sup> بِسَيْفِهِ ، وَأَعْلَمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَقَالَ لَهُ : تِلْكَ  
الْعُرْيِي .

وَقَالَ <sup>(٥)</sup> صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ شَيْطَانًا [ ١٣١ ] تَفَلَّتَ <sup>(٦)</sup> الْبَارِحَةَ لِيَقْطَعَ  
عَلَى صَلَاتِي ؛ فَأَمَّا كُنِّي اللَّهُ مِنْهُ ، فَأَخَذَتْهُ فَأَرَدَتْ أَنْ أُرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةِ <sup>(٧)</sup> مِنْ  
سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كَلَّكُمْ ؛ فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سَلِيمَانَ <sup>(٨)</sup> : رَبِّ

(١) فِي شَرْحِ الْقَارِي ( ١ - ٧٣٧ ) : قَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ مَوْضُوعٌ .

(٢) وَالْحَدِيثُ عَنْ صَمْرٍ .

قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ ( ٣ - ٢٨٧ ) : وَاعْلَمَ أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي هَذَا الْحَدِيثِ ؛ فَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ :  
إِنَّهُ حَدِيثٌ مَوْضُوعٌ لَا أَسْلُ لَه . وَخَالَفَهُ فِيهِ غَيْرُهُ ، وَقَالَ : إِنَّ تَعْدُدَ أَطْرَافِهِ تَدُلُّ عَلَى صِحَّتِهِ .  
وَإِبْنُ الْجَوْزِيِّ لَهُ مَجَازِفَةٌ فِي مَوْضُوعَاتِهِ أَكْثَرُهَا مَرْدُودَةٌ . وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ  
يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ كَالْبَيْهَقِيِّ ، وَابْنُ عَسَاكِرٍ وَغَيْرُهُمَا .

(٣) وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ ، وَالنَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمَا ، وَهُوَ مَذْكُورٌ فِي أَكْثَرِ  
التَّفَاسِيرِ . وَالْحَبْرِيُّ فِي « الْمَغَازِي » لِلْوَأَقْدِيِّ : ٨٧٢ ، وَالْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ : ٤ - ٣١٦ ، وَالطَّبَقَاتُ :  
١٠٥ - ٢ (٤) جَزَلَهَا : جَمَلَهَا جَزَلِينَ ؛ أَيِ قَطَعْتَيْنِ .

(٥) فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ : ٦ - ١٥٦

(٦) تَفَلَّتَ : وَثَبَ بِسُرْعَةٍ بَفْتَةٍ . (٧) سَارِيَةٌ : عَمُودٌ ، أَوْ أَسْطُوَانَةٌ مِنْ عَمَدِ الْمَسْجِدِ .

(٨) سُورَةٌ ص ، آيَةٌ ٣٥ . لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي : لَا يَتَيْسَّرُ لِأَحَدٍ غَيْرِي .

قَالَ فِي نَسِيمِ الرِّيَاضِ ( ٣ - ٢٨٨ ) : وَلَيْسَ هَذَا حِرْصًا مِنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى

لِلْمَلِكِ وَسَعَةِ الدُّنْيَا ، وَإِنَّمَا طَلَبَ عِظَمَةَ يَنْفَرِدُ بِهَا لِتَكُونَ خَارِقَةً لِلْعَادَةِ ، دَالَّةً عَلَى نُبُوَّتِهِ ، مَقْدُودَةٌ

لَهُ عَلَى تَنْفِيذِ أَوْامِرِ رَبِّهِ وَإِظْهَارِ دِينِهِ .

اغفر لي وهب لي ملكا لا يذيعني لأحد من بعدي ، إنك أنت الوهاب ﴿١﴾ . فردّه  
الله خاسئا (١) .

وهذا بابٌ واسعٌ .

## فصل

ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته ما ترادفت (٢) به الأخبارُ عن الرهبان  
والأخبار (٣) وعلماء أهل الكتاب ، من صفته وصفة أمته ، واسمه وعلاماته (٤) ،  
وذكر الخاتم (٥) الذي بين كتفيه ، وما وجد من ذلك في أشعار الموحدين المتقدمين ؛  
من شعر تبع (٦) ، والأوس بن حارثة ، وكعب بن لوئى ، وسفيان بن مجاشع ، وقس  
ابن ساعدة .

(١) فرد الله ذلك الشيطان بإقدارى عليه ، وتمكنى منه خاسئا : خائبا حقيرا مطرودا .  
وفي صحيح البخارى : قال روح : فرده الله خاسئا .

(٢) ترادفت : تتابعت ، فجاء بعضها يتبع بعضه بعضا من غير انفصال .

(٣) الأخبار : جمع خبر : وهو العالم من أهل الكتاب ، واشتهر في علماء اليهود .

(٤) ففي التوراة - عن كعب : محمد رسول الله ، عبدى المختار . . . وأمه الحمادون . وفي

الزبور - عن وهب بن منبه : سيأتى من بعدك نبي يسمى أحمد أو محمدا ، أمته مرحومة ،

أعطيتهم مثل ما أعطيت الأنبياء ، إلى غير ذلك مما نقله الثقات ؛ كقوله في علامته في الإنجيل :

صاحب المدرعة والعمامة والهرأوة ، الجعد الرأس ، الصلت الجبني . إلى آخر ما ذكره من حليته فيه .

(٥) الخاتم : يعنى خاتم النبوة .

(٦) تبع : اسم لملك اليمن . ومن الشعر :

شهدت على أحمد إنه	نبي من الله بارئ النسم
فلو مد عمرى إلى عمره	لكنت وزيرا له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه	وفرجت عن صدره كل غم
له أمة سميت في الزبور	وأمه هي خير الأمم

وما ذكر عن سيف بن ذي يزن<sup>(١)</sup> وغيرهم ، وعرف به من أمره زيد بن عمرو  
ابن نفيل ، وورقة بن نوفل ، وعشكلان<sup>(٢)</sup> الحميري ، وعلماء يهود ، وشامول  
عالمهم صاحب تبع - من صفة وخبره .

وما ألفي<sup>(٣)</sup> من ذلك في التوراة والإنجيل مما قد جمعه العلماء وبينوه ، ونقله عنها  
ثقة من أسلم منهم ؛ مثل ابن سلام ، وابن سعية ؛ وابن<sup>(٤)</sup> يامين ؛ ومخبريق ؛  
وكعب ، وأشباههم ممن أسلم من علماء يهود ، وبخيرا ، ونسطور الحبشة<sup>(٥)</sup> ، وصاحب  
بصري<sup>(٦)</sup> ، وضاطر<sup>(٧)</sup> ، وأسقف الشام ، والجارود ، وسلمان ، والنجاشي ، ونصاري  
الحبشة ، وأساقف<sup>(٨)</sup> بجران ، وغيرهم ممن أسلم من علماء النصارى .

وقد اعترف بذلك<sup>(٩)</sup> هرقل ، وصاحب رومة عالم النصارى ، ورئيسهم ،  
ومقوقس<sup>(١٠)</sup> صاحب مصر ، والشيخ<sup>(١١)</sup> صاحبه ، وابن صوريا<sup>(١٢)</sup> ، وابن أخطب ،

(١) سيف بن ذي يزن : من ملوك حمير .

(٢) قصة عشكلان رواها ابن عساكر . وانظر نسيم الرياض : ٣ - ٢٩٦ إن شئت تجدها .

(٣) ما ألفي : ما وجد .

(٤) من بني النضير . وفي شرح القاري ( ١ - ٧٤٤ ) : وبنيامين .

(٥) نسطور - بالسين والصاد .

(٦) بصرى : بلدة بالشام ؛ وهي بين المدينة والشام ؛ وقيل إنها حوران . وصاحب

بصرى : ملكها الذي أرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم دحية بكتابه .

(٧) ضاطر : أسقف من كبار الروم أسلم على يد دحية لما أرسله رسول الله صلى الله عليه

وسلم إلى هرقل . (٨) أساقف : جمع أسقف ؛ أي علمائهم ورؤسائهم .

(٩) بذلك : بيمثته ، وأنه بشر به في الكتب القديمة . هرقل : ملك الروم .

(١٠) صاحب مصر : ملكها .

(١١) صاحبه : أي صاحب الموقس . قال القاري ( ١ - ٧٤٥ ) : وهذا لا يعرف اسمه .

(١٢) يهودي لم يكن في زمانه أعلم منه بالتوراة . وفي ١ : صوريا - بمدود . والمثبت في

ب . وهو بمد ويقصر .

وأخوه ، وكعب بن أسد ، والزبير بن باطياً ، وغيرهم من علماء اليهود ، ممن حمله الحسدُ والنفاسةُ<sup>(١)</sup> على البقاء على الشقاء<sup>(٢)</sup> .

والأخبارُ في هذا كثيرة لا تنحصر .

وقد قرع<sup>(٣)</sup> أسماءَ اليهودِ والنصارى بما ذكر أنه في كتبهم من صفته وصفة أصحابه ، واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم ، وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه ، وليهم<sup>(٤)</sup> ألسنتهم ببيان أمره ، ودعوتهم إلى الباهلة<sup>(٥)</sup> على الكاذب ؛ فما منهم إلا من نفر<sup>(٦)</sup> عن معارضته ، وإبداء ما ألزمهم من كتبهم إظهاره .

ولو وجدوا خلاف قوله لكان إظهاره أهون عليهم من بذل النفوس والأموال وتخریب الديار<sup>(٧)</sup> ونبذ القتال<sup>(٨)</sup> ، وقد قال لهم<sup>(٩)</sup> : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوراةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

(١) النفاسة : المنافسة .

(٢) أى إصراره على كفره أو ارتداده عنادا .

(٣) القرع : الضرب والصدم بما يسمع له صوت . ويكون بمعنى التوبيخ والتمعير .

(٤) ليهم ألسنتهم : صرفها إلى غيرها حسدا وبنيا ، فتركوا بيانه وعدلوا عنه إلى غيره .

ويقال : لوى لسانه بكذا : أى كذب .

(٥) الباهلة : اللاعنة ؛ بأن يقول كل منهما : لعنة الله على الظالم والكاذب منا .

(٦) نفر : أعرض وهرب . وفي ب : فر .

(٧) وتخریب الدار : كما وقع لليهود خيبر وبنى النضير .

(٨) نبذ القتال : تركه .

(٩) سورة آل عمران ، آية ٩٣ ، وقد قال لهم ذلك لما قرع أسماءهم بقوله تعالى : « فبظلم

من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحات لهم » ؛ وقوله تعالى : « وعلى الذين هادوا حرمنا

كل ذى ظفر » ؛ فقالوا : لسنا بأول من حرمت عليه ، فقد حرم على إبراهيم ومن معه حق

انتهى الأمر إلينا ، فقال لهم : قل فأتوا بالتوراة . . . ليظهر أنها لم تحرم إلا عليهم لظلمهم

وبغيبهم .

إلى ما أُنذَرَ به الكُهَّان؛ مثلُ شافع بن كُليب<sup>(۱)</sup>، وشِقِّ، وسَطِيح<sup>(۲)</sup>، وسَوَادِ  
ابن قَارِبٍ، وخُنَافِرٍ، وأَفْعَى نَجْرَان<sup>(۳)</sup>، وجِذْل بن جِذْل الكِنْدِي<sup>(۴)</sup>، وابن خَلَصَةَ  
الدَّوْسِي، وسُعْدَى بنت كُرَيْزٍ، وفاطمة بنت النعمان، وَمَنْ لَا يَنْعَدُ كَثْرَةً .  
إلى ما ظهر على ألسنة الأصنام من نبوته، وحُلُولِ وقتِ رسالته؛ وَسَمِعَ مِنْ  
هَوَاتِفِ<sup>(۵)</sup> الجان، ومن ذبائح النُّصُبِ<sup>(۶)</sup>، وأجوافِ الصُّورِ<sup>(۷)</sup>؛ وما وُجِدَ مِنْ اسْمِ  
النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالشَّهَادَةِ لَهُ بِالرَّسَالَةِ مَكْتُوبًا فِي الْحِجَارَةِ وَالقُبُورِ بِالخَطِّ  
الْقَدِيمِ مَا أَكْثَرُهُ مَشْهُورٌ؛ وَإِسْلَامٌ مَنْ أَسْلَمَ بِسَبَبِ ذَلِكَ مَعْلُومٌ مَذْكُورٌ .

### فصل

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ظَهَرَ مِنَ الْآيَاتِ [۱۳۲] عِنْدَ مَوْلِدِهِ، وَمَا حَكَّمَتْهُ أُمُّهُ وَمَنْ  
حَضَرَهُ مِنَ الْعَجَائِبِ، وَكُونُهُ رَافِعًا رَأْسَهُ عِنْدَ مَا وَضَعَتْهُ شَاخِصًا يَبْصُرُهُ إِلَى  
السَّمَاءِ<sup>(۸)</sup>؛ وَمَا رَأَتْهُ مِنَ النُّورِ الَّذِي خَرَجَ مَعَهُ عِنْدَ وِلَادَتِهِ<sup>(۹)</sup>، وَمَا رَأَتْهُ إِذْ ذَاكَ أُمُّ

(۱) شافع بن كليب: كاهن من كهان العرب، أخبر تبعاً بنجر النبي صلى الله عليه وسلم،  
وبمهاجرته إلى المدينة .

(۲) شق وسطيح: وسواد بن قارب، من كهان العرب .

(۳) أفعى نجران: ملك من ملوك نجران . (۴) جذل: ضبطت الجيم في الافتحة .

(۵) الهواتف: جمع هاتف، من الهتف؛ وهو الصوت العالى مطلقاً، ثم خص بصوت

يسمع ممن لا يرى شخصه؛ ولذا خص بالجن عند العرب .

(۶) ومن ذبائح النصب: ماسم منها إذا قربت للذبح . والذبائح: جمع ذبيحة؛ وهي

ما يذبح من بقر ونحوه . والنصب: جمع نصب؛ وهو ما ينصب من الحجارة والأصنام للعبادة .

وذلك مثل ماسم عمر رضى الله عنه من عجل قربه رجل ليذبحه قربانا لصنم؛ فقال: يا آل

ذريح . أمر نجيح . رجل فصيح . يقول: لا إله إلا الله . . .

(۷) أجواف الصور: أى ماسم من الأصنام التى كانوا يصورونها والمراد أجواف التماثيل .

(۸) شاخصاً يبصره إلى السماء: هذا إشارة إلى تعلقه صلى الله عليه وسلم بالملأ الأعلى

(۹) رواه أحمد، والبيهقى .

وتوجهه لذلك من أول أمره .



عثمان بن أبي العاص من تدلّي النجوم<sup>(١)</sup>، وظهور النور عند ولادته، حتى ما تنظر<sup>(٢)</sup> إلا النور.

وقول الشفاء أمّ عبد الرحمن بن عوف: لما سقط صلى الله عليه وسلم على يدي واستهل<sup>(٣)</sup> سميت قائلاً يقول: رحمتك الله؛ وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى قصور الروم<sup>(٤)</sup>.

وما تعرفت به حليلة وزوجها ظئراه<sup>(٥)</sup> من بركته، ودُرُورِ لبنها له، وابنِ شارفها<sup>(٦)</sup> وخضب غنمها<sup>(٧)</sup>، وسُرعة شبابه<sup>(٨)</sup>، وحسن نشأته؛ وما جرى من العجائب ليلة مولده؛ من ارتجاج إيوان كسرى، وسقوط شرفاته<sup>(٩)</sup>، وغيض بحيرة طبرية<sup>(١٠)</sup>، وخمود نار فارس، وكان لها<sup>(١١)</sup> ألف عام لم تخمد.

(١) روى عنها أنها شهدت مولده، ورأت مارأته.

(٢) أي لا ترى شيئاً غير النور ورواه أيضاً البيهقي والطبراني، ودلائل النبوة لأبي نعيم: ١٦٨.

(٣) لما سقط على يدي: لما وضعته أمه فنزل على يديها. واستهل: رفع صوته بأن عطس.

(٤) رواه أبو نعيم في الدلائل: ١٦٩، وفيه: حتى نظرت إلى بعض قصور الشام،

وكذلك في طبقات ابن سعد: ١ - ٩٦.

(٥) الظئر: المرضعة. وقد يطلق على أبي الرضاعة أيضاً كما هنا.

(٦) اشارف: الناقة المسنة. وانظر في ذلك دلائل النبوة لأبي نعيم: ١ - ١٩٨.

(٧) كناية عن سمها وكثرة لبنها. (٨) سرعة شبابه: سرعة نمو خلقه ونمو قامته.

(٩) شرفات: جمع شرفة: أعاليه. أو هي ما يبنى على أعلى الحائط منفصلاً بعضه من بعض:

دلائل النبوة لأبي نعيم: ١٧٤.

(١٠) غيض: مصدر غاض: إذا قل وذهب. وطبرية: بالشام معروفة من الأرض المقدسة:

دلائل النبوة: ١٧٤.

وفي نسيم الرياض (٣ - ٣١٤): قال البرهان: المعروف بالغيض بحيرة ساوة. ثم قال:

أقول ما قاله غير صحيح، والمعجب ممن تابعه على هذا مع ظهوره وسأوة: بلدة أخرى بينها

وبين الري اثنتان وعشرون فرسخاً. والجواب الحق أن المراد بحيرة طبرية. وقد روى الحديث

البيهقي، وابن أبي الدنيا، وابن السكن، كما نقله السيوطي وغيره. وكذلك رواه أبو نعيم

في الدلائل (١٧٤) وفيه: بحيرة ساوة. (١١) وكان لها: لتلك النار: دلائل أبي نعيم: ١٧٤.

وأنه كان<sup>(١)</sup> إذا أكل مع عمه أبي طالب وآله وهو صغير شبعوا ورؤوا؛ فإذا غاب فأكلوا في غيبته لم يشبعوا .

وكان سائرُ وُلدِ أبي طالب يُصبحون شعثًا<sup>(٢)</sup> وَيُصبحُ صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كحجيلا<sup>(٣)</sup> .

[ قالت أمُ أيمن حاضنته<sup>(٤)</sup> : ما رأيتُه صلى الله عليه وسلم شكاً جوعاً قطُّ ولا عطشاً صغيراً ولا كبيراً ]<sup>(٥)</sup> .

ومن ذلك حراسةُ السماء بالشهب<sup>(٦)</sup> ، وقطعُ رصَدِ الشياطين<sup>(٧)</sup> ، ومنعُهم استِراقَ السَّمعِ<sup>(٨)</sup> .

وما نشأ عليه من بُغضِ<sup>(٩)</sup> الأصنام ، والعفة عن أمور الجاهلية ؛ وما خصه اللهُ به من ذلك وحمَاهُ حتى في ستره<sup>(١٠)</sup> في الخبر المشهور عند بناء الكعبة ؛ إذ أخذ

(١) رواه ابن سعد وغيره عن ابن عباس : طبقات ابن سعد : ١ - ١١١

(٢) شعثا : جمع أشعث ، وهو المنبر المتغير لونه .

(٣) صقيلا : رائق اللون غير متغير البشرة . دهينا : أى كأن وجهه دهن بما جعل وجهه

يبرق . كحجيلا : مكحل العين . وهذا كله من غير صنع أحد .

(٤) حاضنته : هى التى كانت تربيته طفلا ، واسمها بركة .

(٥) فى هامش ١ : من غير الرواية .

(٦) الشهب : شعل النار المرئية فى نجوم السماء . جمع شهاب .

(٧) رصد الشياطين : ترصدهم وترقبهم لسماع ما تقولون الملائكة فتحفظه وتلقيه للكعبة .

(٨) استراق السمع : أن يختفى أحد ليسمع كلام من لم يرد سماعه ، فكأنه يسرق الكلام

الذى سمعه .

(٩) بغض : كره .

(١٠) فى ستره : أى ستر بدننه حتى لا يرى أحد منه صلى الله عليه وسلم مالا ينبغى رؤيته

كالمورة ؛ فكان لا يتعري عند أحد .

إزاره<sup>(١)</sup> ليجعله على عاتقه<sup>(٢)</sup>، ليحمل عليه الحجارة وتعرى؛ فسقط إلى الأرض حتى ردّ إزاره عليه .

فقال له عمه : ما بالك<sup>(٣)</sup>؟ فقال : إني قد نهيتُ عن التعرّي .

ومن ذلك إظلالُ الله له بالغمّام في سفره<sup>(٤)</sup> .

وفي<sup>(٥)</sup> رواية أن خديجة ونساءها رأينه لما قدم<sup>(٦)</sup>، وملا كان يُظلاله؛ فذكرت

ذلك أميسرة؛ فأخبرها أنه رأى ذلك منذ خرج معه في سفره .

[وقد روى<sup>(٧)</sup> أن حليلة رأت غمامة تظله، وهو عندها .

وروى ذلك عن أخيه من الرضاة<sup>(٨)</sup> .

ومن ذلك أنه نزل في بعض أسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة،

فاعشوشب<sup>(٩)</sup> ما حولها وأينعت<sup>(١٠)</sup> هي فأشرقت<sup>(١١)</sup> وتدلّت عليه أغصانها بمخضّر

من رآه<sup>(١٢)</sup> .

(١) إزاره : ملحفته التي كان مؤتزرا بها . والحديث في صحيح البخارى : ٥ - ٥١

(٢) عاتقه : ما بين المنكب والعنق الذي يضع عليه الحجارة حتى لا تؤذيه .

(٣) ما بالك : ما شأنك؛ وما حالك الذي عرض لك حق سقطت؟ وهذا الخبر في

الطبقات : ١ - ٩٣

(٤) كما رآه بحيرا لما سافر إلى الشام مع عمه، وراه ميسرة غلام خديجة لما سافر معه

إلى الشام . (٥) لابن سعد : في الطبقات : ١ - ٨٣

(٦) لما قدم من سفره إلى الشام في تجارة لها .

(٧) الذي رواه الواقدي، وابن سعد، وابن عساكر في تاريخه .

(٨) في هامش ١ : من غير الرواية .

(٩) يابسة : ليست مخضرة، وليس لها ورق . اعشوشب : ظهر به عشب لم يكن قبله .

(١٠) أينعت : ظهرت خضرة ورقها وزهرها؛ أو ثمرها .

(١١) فأشرقت : نمت وعلت أغصانها .

(١٢) في شرح القارى (١ - ٧٥٣) : قال الدلبجى : لم أدر من رواه .

ومِيلَ فِيهِ<sup>(١)</sup> الشجرة إليه في الخبرِ الآخر حتى أظلمته .  
وما ذُكِرَ مِنْ أَنَّهُ كَانَ لَا ظِلَّ لِشَخْصِهِ فِي شَمْسٍ وَلَا قَمَرٍ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ نُورًا .  
وَأَنَّ الدُّبَابَ كَانَ لَا يَقَعُ عَلَى جَسَدِهِ وَلَا ثِيَابِهِ<sup>(٢)</sup> .  
وَمِنْ ذَلِكَ تَحْيِيْبُ الْخَلْوَةِ<sup>(٣)</sup> إِلَيْهِ حَتَّى أُوحِيَ إِلَيْهِ ؛ ثُمَّ إِعْلَامُهُ بِمَوْتِهِ وَدُنُو<sup>(٤)</sup>  
أَجَلِهِ ، وَأَنَّ قَبْرَهُ فِي الْمَدِينَةِ وَفِي بَيْتِهِ ، وَأَنَّ بَيْنَ بَيْتِهِ وَمِنْبَرِهِ<sup>(٥)</sup> رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ  
الْجَنَّةِ<sup>(٦)</sup> ؛ وَتَخْيِيرِ اللَّهِ لَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ<sup>(٧)</sup> ؛ وَمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ حَدِيثُ الْوَفَاةِ مِنْ كَرَامَاتِهِ ؛  
وَتَشْرِيفُهُ ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ عَلَى جَسَدِهِ عَلَى مَا رَوَيْنَاهُ فِي بَعْضِهَا<sup>(٨)</sup> .  
وَاسْتِثْنَاءُ مَلِكِ الْمَوْتِ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَسْتَأْذِنْ عَلَى غَيْرِهِ قَبْلَهُ . وَنَدَاؤُهُم<sup>(٩)</sup> الَّذِي  
سَمِعُوهُ إِلَّا يَنْزِعُوا الْقَمِيصَ عَنْهُ عِنْدَ غُسْلِهِ .  
وَمَا رُوِيَ مِنْ تَعْزِيَةِ النَّخْضِرِ وَالْمَلَائِكَةِ<sup>(١٠)</sup> أَهْلَ بَيْتِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ .  
إِلَى مَا ظَهَرَ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ وَبِرَكَّتِهِ فِي حَيَاتِهِ وَمَوْتِهِ ، كَاسْتِسْقَاءِ  
عُمَرُ بَعْمَهُ<sup>(١١)</sup> ، وَتَبَرُّكِ غَيْرِ وَاحِدٍ بِذُرِّيَّتِهِ [ ١٣٣ ] .

(١) النور : الظل .

(٢) في شرح القارى ( ١ - ٧٩٣ ) : قال الدلبى : لا علم لى بمن رواه . وفي شرح

الحفاجى : وهذا رواه صاحب الوفا عن ابن عباس .

(٣) الخلو : الوحدة والافتراد عن الناس للعبادة .

(٤) دنو : قرب . وهذا مما رواه الشيخان .

(٥) فى ١ : وأن بين بيته وبين منبره ... (٦) كما رواه أبو نعيم .

(٧) أى لما قرب موته خيره الله بين البقاء فى الدنيا والرحيل للآخرة . وقد رواه البيهقى

فى دلائله .

(٨) فى بعضها : فى بعض طرق حديث الوفاة .

(٩) ونداؤهم : نداء الملائكة لهم . (١٠) رواه البيهقى فى دلائله .

(١١) بعمه : أى العباس ؛ أى تقديمه فى دعاء الاستسقاء ، رواه البخارى ( صحيح

البخارى : ٢ - ٣٣ ) .

## فصل

قال التماضي أبو الفضل<sup>(۱)</sup>: قد أتينا في هذا الباب على نكتٍ من مُعجزاته واضحة، وجمل<sup>(۲)</sup> من علامات نبوته مُقنعة، في واحدٍ منها الكفاية والفنية<sup>(۳)</sup>، وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا، واقتصرنا من الأحاديث الطوال على عين الغرض وفص<sup>(۴)</sup> المقصد، ومن كثير الأحاديث وغربها على ما صح واشتهر إلا يسيرا من غريبه<sup>(۵)</sup> مما ذكره مشاهير الأئمة، وحذفنا الإسناد في جمهورها<sup>(۶)</sup>، طلبا للاختصار.

وبحسب هذا الباب لو تُقصى<sup>(۷)</sup> أن يكون ديوانا جامعا<sup>(۸)</sup> يشتمل على مجلدات عدة.

ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم أظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين: أحدها — كثرتها، وأنه لم يُبوت نبيٌ معجزةً إلا وعند نبينا مثلها، أو ما هو أبلغ<sup>(۹)</sup> منها.

وقد نبه الناس على ذلك؛ فإن أردته فتأمل فصول هذا الباب، ومعجزات من تقدم من الأنبياء — تف على ذلك إن شاء الله تعالى.

- 
- (۱) هو المصنف. وفي ب: قال المؤلف أبو الفضل رحمه الله.
- (۲) النكت: جمع نكته، وهي الأمر الدقيق الذي يحصل بغير يقارنه. وجمل: جمع جملة، وهي الأمر المجمل.
- (۳) الفنية: الاستغناء، والاكتفاء عن غيره؛ لأنه يدل دلالة قوية.
- (۴) فص المقصد: الفص: الأصل، والمقصد: الأمر المقصود والمراد زبدة المقصود.
- (۵) وغريبها: مما انفرد روايتها بها. من غريبه: أي ما يمد مستغربا غير معهود، أو غير مشهور.
- (۶) جمهورها: في معظم الأحاديث وأكثرها.
- (۷) تقصى: استوفى، واستقصى.
- (۸) ديوانا جامعا: كتابا مستقلا مدونا.
- (۹) أبلغ منها: أعظم وأقوى.

وأما كونها كثيرة فهذا القرآن ، وكله مُعْجَزٌ ؛ وأقلُّ ما يقعُ الإعجازُ فيه عند بعض أئمة المحققين سورةٌ : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ ؛ أو آيةٌ <sup>(۱)</sup> في قدرها .  
 وذهب بعضهم إلى أن كلَّ آيةٍ منه كيف <sup>(۲)</sup> كانت معجزةً .  
 وزاد آخرون أن كلَّ جملةٍ مُنْتَظِمةٍ <sup>(۳)</sup> منه معجزةٌ ، وإن كانت من كلمة أو كلمتين .

والحقُّ ما ذكرناه أولاً <sup>(۴)</sup> ؛ لقوله تعالى <sup>(۵)</sup> : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ ؛ فهو أقلُّ ما تحدَّاهمُ به ، مع ما ينصُرُ <sup>(۶)</sup> هذا من نظرٍ <sup>(۷)</sup> وتحقيقٍ يطولُ بسطه .  
 وإذا كان <sup>(۸)</sup> هذا في القرآن من الكلمات نحو من سبعةٍ وسبعين ألفَ كلمةٍ ونيفٍ <sup>(۹)</sup> على عددٍ بعضهم ، وعددُ كلماتٍ : « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ » - عَشْرُ كلماتٍ ، فتجزؤُ <sup>(۱۰)</sup> القرآن على نسبة عددٍ « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ » أزيدُ من سبعةِ آلافِ جزءٍ ، كلُّ واحدٍ منها مُعْجَزٌ في نفسه .  
 ثم إعجازه - كما تقدّم - بوجهين : طريقِ بلاغته ، وطريقِ نظمه <sup>(۱۱)</sup> ؛ فصار

- 
- (۱) آية في قدرها : أي مساوية لها في الحروف والكلمات .  
 (۲) كيف كانت : طويلة بمقدار سورة أم لا . (۳) كل جملة منتظمة : مفيدة تامة .  
 (۴) ما ذكرناه أولاً : من أن المعجز أقصر سورة أو مقدارها .  
 (۵) سورة يونس ، آية ۳۸ . والضمير في « مثله » للقرآن .  
 (۶) ينصر هذا : يقويه ويؤيده . (۷) من نظر : أي من فكر وتدبر .  
 (۸) وإذا كان هذا : وإذا ثبت أن ما تحداهم به هو هذا المقدار الأقل .  
 (۹) ونيف : وزيادة . (۱۰) هذا في ۱ ، ب .  
 (۱۱) طريق بلاغته : أي مافيه من مراعاة الوجوه التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال .  
 وطريق نظمه : أي أسلوبه وكونه على نسق لا يشبه غيره من الكلام نظاماً وسجعاً ونثراً ، وتناسب كلماته وجملة ، وإيتاء كل كلمة منه ما يستحقه ، وتنزيلها في محل لا يليق بها غيره ، كما يعرفه من ذاق طعم البلاغة ؛ فقارنه لا يمله وإن كرره كما لا يخفى على من تأمله حق التأمل ، ونظر فيه بنور الإيمان .

في كل جزء من هذا العدد مُعْجَزَاتَان ، فتضاعف العدد من هذا الوجه .  
ثم فيه وجوه إعجازٍ أُخْر من الإخبارِ بعلوم الغيب ؛ فقد يكون في السورة الواحدة من هذه <sup>(١)</sup> التجزئة الخبر عن أشياء من الغيب ، كل خبر منها بنفسه معجز ؛ فتضاعف العدد كرتة أخرى .

ثم وجوه الإعجاز الأخر التي ذكرناها <sup>(٢)</sup> توجب التضعيف ، هذا في حق القرآن ، فلا يكاد يأخذ العدد <sup>(٣)</sup> معجزاته ، ولا يحوي الحصر برأيه .

ثم الأحاديث الواردة ، والأخبار الصادرة عنه صلى الله عليه وسلم في هذه الأبواب <sup>(٤)</sup> وعما دل على أمره <sup>(٥)</sup> مما أشرنا إلى إجماله يبلغ نحواً من هذا .

الوجه الثاني - وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم ؛ فإن معجزات الرسل كانت بتدريجهم أهل زمانهم ، وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه <sup>(٦)</sup> .

فلما كان زمن موسى غاية علم أهله السحر بمث إليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قُدْرَتَهُمْ عليه ، فجاءهم منها ما خرق عاداتهم ، ولم يكن في قُدْرَتِهِمْ [١٣٤] ، وأبطل سحرهم .

وكذلك زمن عيسى أغنى <sup>(٧)</sup> ما كان الطب ، وأوفر ما كان أهله <sup>(٨)</sup> ؛ فجاءهم

- 
- (١) من هذه التجزئة : أي الأجزاء المذكورة المضاعفة من جهة الإعجاز .  
(٢) التي ذكرناها : وهي ذكر المغيبات . (٣) في ١ : العدد .  
(٤) في هذه الأبواب : أي أبواب إعجاز القرآن والتجدي به ، وأبواب معجزاته عليه السلام .  
(٥) على أمره : على نبوته وعلو شأنه .  
(٦) وبحسب الفن : بمقدار النوع . سما : اشتهر . قرنه : عصره . والمراد به أهله .  
(٧) أغنى ما كان الطب : أي أوفى وأعظم ما كان في عصره وعهد رسالته علم الطب .  
(٨) وأوفر ما كان : أي أكثر ما كان في زمانهم .

أمر لا يقدر أن عليه ، وأتاهم ما لم يحتسبوه<sup>(۱)</sup> من إحياء الميت ، وإبراء الأكمه<sup>(۲)</sup> والأبرص دون معالجة ولا طب .

وهكذا سائر معجزات الأنبياء .

ثم إن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم ، وجملة معارف العرب وعلومها أربعة : البلاغة ، والشعر ، والخبر<sup>(۳)</sup> ، والكهانة<sup>(۴)</sup> ؛ فأنزل عليه القرآن الخارق لهذه الأربعة فصول<sup>(۵)</sup> من الفصاحة ، والإيجاز ، والبلاغة الخارجة عن نمط<sup>(۶)</sup> كلامهم ؛ ومن النظم الغريب ، والأسلوب المعجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم إلى طريقه ، ولا علموا في أساليب الأوزان منهجه ؛ ومن الأخبار عن الكواثر<sup>(۷)</sup> والحوادث والأسرار والمخبآت والضمائر<sup>(۸)</sup> ؛ فتوجد على ما كانت ، ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقته ، وإن كان أعدى العدو .

فأبطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشراً ؛ ثم اجتثها<sup>(۹)</sup> من أصلها برجم الشهب<sup>(۱۰)</sup> ، ورصد النجوم .

(۱) ما لم يحتسبوه : ما لم يخطر ببالهم ، وقدرة حسابهم ، وما لم يترقبوه ، ويظنوه لديه .

(۲) الأكمه : الذي ولد أعمى مطموس العين .

(۳) والخبر : أي الخبر عما ساف ، وما لهم من الوقائع والأيام والأنساب والمنازل .

(۴) الكهانة : معاناة علم الغيب بتلقينها عن الجن . وتكسر الكاف ، وتفتح . وفي ا ،

ب كتب عليها « معا » .

(۵) الخارق : المخالف . والأربعة فصول : هي المقدمة ، وهي البلاغة ، والشعر ، والخبر ؛

والكهانة .

(۶) النمط : الجنس والطريقة ؛ أي لا يعرفون مثل بلاغته لخروجها عن جنس بلاغتهم

وما يهدونه في مخاطباتهم ومحاوراتهم .

(۷) الكواثر : جمع كائن ؛ أي عما سيكون في المستقبل من الغيبات .

(۸) والضمائر : أي ما أضروه في أنفسهم كقصة مسجد الضرار .

(۹) اجتثها : اقتلعها بعد إبطالها ؛ أي أزالها بالكلية .

(۱۰) برجم الشهب : أي برمي الشياطين بشهب تمنعهم من استراق السمع .



وجاء (١) من الأخبار عن القرون السالفة ، وأنباء الأنبياء ، والأمم البائدة (٢) ،  
والحوادث الماضية - ما يُعجزُ مَنْ تفرَّغَ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها  
وبينا المعجزَ فيها .

ثم بقيت هذه المعجزة (٣) الجامعة لهذه الوجوه إلى الفصول الأخرى التي ذكرناها  
في معجزات القرآن ثابتة إلى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي ، لا يخفى  
وجوه ذلك على مَنْ نظر فيه ، وتأمل وجوه إعجازه .

إلى ما أخبر به (٤) من الغيوب على هذه (٥) السبيل ؛ فلا يمرَّ عصر ولا زمن  
إلا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره (٦) على ما أخبر ؛ فيتجدد الإيمان ، ويتظاهر (٧)  
البرهان ؛ وليس الخبر كالعيان (٨) كما قيل .

وللمشاهدة زيادة في اليقين ، والنفس أشدُّ طمأنينة (٩) إلى عين اليقين منها إلى  
علم اليقين ؛ وإن كان كلُّ عندها حقاً .

وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم ، وعُدِمَت بَعدَم ذواتها (١٠) ؛

(١) وجاء : أى في القرآن .

(٢) البائدة : الهالكه الفانية في الزمن السابق .

(٣) هذه المعجزة : أى القرآن . (٤) أى مع ما أخبر به من المفيات .

(٥) فى ا ، ب : هذه . والسبيل يذكر ويؤنث .

(٦) صدقه : أى صدق القرآن ، أو النبي . مخبره : ما أخبر به ، أو خبره .

(٧) ويتظاهر البرهان : ويقوى الدليل ويزيد قوة .

(٨) العيان - بكسر العين : المعاينة والمشاهدة .

(٩) النفس أشد طمأنينة إلى ما تتيقنه بالمعاينة والمشاهدة منها إلى العلم المتيقن بالبرهان

القاطع .

(١٠) انقرضت : انقطعت ، وذهبت معهم بسبب ذهابهم . بَعدَم ذواتها : أى تلك المعجزات

تَعدَم فتقرض عند ذهاب الأنبياء من الدنيا .

ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبديد<sup>(١)</sup> ولا تنقطع، وآياته تتجدد ولا تضمحل؛  
ولهذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله فيما حدثنا القاضي الشهيد أبو علي، حدثنا  
القاضي أبو الوليد، حدثنا أبو ذر، حدثنا أبو محمد، وأبو إسحاق، وأبو الهيثم؛  
قالوا: حدثنا الفربري، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا الليث، عن سعيد،  
عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال<sup>(٢)</sup>:  
ما من الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر؛ وإنما كان الذي  
أوتيت وحياً أوحاه<sup>(٣)</sup> الله إلى؛ فأرجو أني أكثرهم تابعا يوم القيامة.

هذا معنى الحديث عن بعضهم؛ وهو الظاهر والصحيح إن شاء الله.

وذهب غير واحد من العلماء في تأويل هذا الحديث وظهور معجزة<sup>(٤)</sup> نبينا  
صلى الله عليه وسلم إلى معنى آخر من ظهورها بكونها وحياً وكلاماً لا يمكن التخيل  
فيه، ولا التحيل عليه، ولا التشبيه<sup>(٥)</sup>؛ فإن غيرها من معجزات الرسل قد رام<sup>(٦)</sup>  
المعاندون لها بأشياء طمعوها في التخيل بها على الضعفاء كالقاء السحرة حبالهم  
وعصيتهم [١٣٥] وشبهه هذا بما يخيل الساحر، أو يتحيل فيه.

(١) لا تبديد: لا تنفى.

(٢) في حديث رواه البخاري، ومسلم، والنسائي. واللفظ للروى هنا للبخاري:

صحيح البخاري: ٩ - ١١٣

(٣) أي ليس نبي منهم إلا أعطاه الله من المعجزات شيئاً أجزأ من شاهده إلى الإيمان به.

(٤) يعني القرآن المعجز.

(٥) التخيل: من الخيال. والتحيل: من الحيلة. أي لا يمكن الواقف عليه أن يقول

إنه تخيل وتمويه لا أصل له، ولا أن يعمل حيلة في الإتيان بمثله، كما فعل سحرة موسى بحبالهم

إذ جعلوها تتحرك كمصاه.

(٦) رام: قصد، وطلب.

والقرآنُ كلامٌ ليس للحيلةِ ولا للسحرِ، ولا التخجيلِ فيه عملٌ<sup>(١)</sup>؛ فكان من هذا الوجه عندهم<sup>(٢)</sup> أظهرَ من غيره من المعجزات<sup>(٣)</sup>، كما لا يتمُّ لشاعرٍ ولا لخطيب أن يكون شاعرا أو خطيبا بضربٍ من الخيلِ والتمويه<sup>(٤)</sup>.  
والتأويلُ الأولُ أخلصُ وأرضى<sup>(٥)</sup>.

وفي هذا التأويلِ الثاني ما يفضُّ عليه الجفنُ، ويُفْضَى<sup>(٦)</sup>.

ووجهُ ثالث<sup>(٧)</sup> على مذهبِ مَنْ قال بالصرفة<sup>(٨)</sup>، وأنَّ المعارضة<sup>(٩)</sup> كانت

(١) عملٌ : تأثير . فإن ساحرا لو أتى عاميا لا قدرة له على كلام حسن ، ثم سحره بجميع أنواع سحره ، لا يمكنه أن يقوم في ناد منشدا أو خطيبا ؛ فذلك أمر لا يمكن إيجاده لغير خالق القوى ؛ فنجد الجلف الأعرابي يتكلم بكلام عند أعقل الناس وأظرفهم لا يمكنه أن يأتي بشيء منه .

(٢) وذلك لعدم قبول التخجيل والتمويه .

(٣) التمويه : مأخوذ من قولهم : موه النحاس بذهب أو فضة ليوه من رآه أنه ذهب أو فضة .

(٤) الأول : الذي قال إنه الظاهر الصحيح . وأخلص : أصفى من الكدر، أى الإشكال . أو المراد : أجود ، وأكثر سلامة . وأرضى : أكثر رضا وقبولا عند المقول السليمة .

(٥) ما يفضُّ : ضبطت في افتتاح الميم ، وفي ب بفتحها مشددة ، أى يفضى . ويفضى : من أغضى الجفن ، إذا أطبقه ، أو بمعنى سكت .

(٦) ووجه ثالث : فى إعجاز القرآن ، وأنه أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم . وفى هامش ا : رابع .

(٧) بالصرفة : أى إن إعجازه بصرف الله قدرتهم وتمكنهم من معارضته ، مع أنهم بحسب الجبلة قادرون على الإتيان بمثله لولا ما ذكر .

وإلى ذلك ذهب النظام ، وكثير من المعتزلة ، والشريف المرتضى من الشيعة .

(٨) المعارضة له : الإتيان بمثله .

في مقدور البشر ؛ فصرفوا عنها<sup>(١)</sup> ، أو على أحد مذهب أهل السنة من أن الإتيان بمثله من جنس مقدورهم ؛ ولكن لم يكن ذلك قبلاً ، ولا يكون بعد ؛ لأن الله تعالى لم يُقدرهم ، ولا يُقدرهم عليه .

وبين المذهبين فرقٌ بين<sup>(٢)</sup> ، وعليهما جميعاً<sup>(٣)</sup> فترك العرب الإتيان بما في مقدورهم ، أو ما هو من جنس مقدورهم<sup>(٤)</sup> ، ورضاهم بالبلاء والجلأ ، والسبأ<sup>(٥)</sup> والإذلال ، وتغيير الحال ، وسلب النفوس والأموال<sup>(٦)</sup> ، والتفريق والتوبيخ ، والتعجيز والتهديد والوعيد أبين آية للعجز عن الإتيان بمثله ، والنكول<sup>(٧)</sup> عن معارضته ؛ وأنهم منعوها عن شيء هو من جنس مقدورهم .

وإلى<sup>(٨)</sup> هذا ذهب الإمام أبو المعالي الجويني<sup>(٩)</sup> وغيره ؛ قال : وهذا عندنا

(١) فصرفوا عنها : إما بسبب قدرتهم ودواعيهم ، أو بسبب علمهم بتأليف كلام مثله وتمكنهم منه .

(٢) هذا الفرق ظاهر لتمكنهم على الأول من الإتيان بمثله ، لكن صرفوا عنه . ولعدم تمكنهم منه على الثاني مع أنه من جنس مقدورهم ، ومثله في الجملة .

(٣) وعابها جميعاً : على هذين القولين ، والمذهبين .

(٤) الإتيان بما في مقدورهم على المذهب الأول ؛ وتركهم ما هو من جنس مقدورهم على

المذهب الثاني . (٥) البلاء : ما ابتلوا به من المحن بسبب عنادهم ، والجلأ :

إخراجهم من ديارهم وأوطانهم . والسبأ : سبي أولادهم وأهاليهم واسترقاقهم .

(٦) سلب النفوس : بالقتل والفتك بهم ، وأخذ الأموال في الفنائم .

(٧) النكول : النكوص ، والرجوع ، والإعراض ، والامتناع .

(٨) وإلى هذا المذهب ؛ وهو أنهم قادرون على شيء من جنسه عاجزون عن مثله

لا بالصرفة . (٩) الإمام الجويني : هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف النيسابوري

الشافعي إمام الحرمين أعلم أئمة الشافعية ، وهو إمام أهل السنة عربياً وعجمياً ، فرد الأمة .

توفي سنة ٤٧٨ هـ .

أبلغ في خرق العادة بالأفعال البدیعة في أنفسها<sup>(١)</sup> ، كقلب العصا حية ونحوها ، فإنه قد يسبق إلى بال الناظر بداراً<sup>(٢)</sup> أن ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة<sup>(٣)</sup> في ذلك الفن ، وفضل علم إلى أن برود ذلك صحيح<sup>(٤)</sup> النظر .

وأما التجدد للخلائق مئين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا ، فلم يبق بعد توفر الدواعي<sup>(٥)</sup> على المعارضة ثم عدمها إلا منع الله الخلق<sup>(٦)</sup> عنها بمثابة<sup>(٧)</sup> ما لو قال نبي : آتني أن يمنع الله القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه ، وارتفاع الزمان<sup>(٨)</sup> عنهم ؛ فكان ذلك ؛ وعجزهم الله تعالى عن القيام — لكان ذلك من أبهر<sup>(٩)</sup> آية ، وأظهر دلالة . وباللغة التوفيق .

وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور آيته على سائر آيات الأنبياء ، حتى احتاج للعدر عن ذلك بدقة أفهام العرب ، وذكاء ألبابها<sup>(١٠)</sup> ، ووفور عقولها ، وأنهم أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم<sup>(١١)</sup> ، وجاءهم<sup>(١٢)</sup> من ذلك بحسب إدراكهم ، وغيرهم

(١) البدیعة : البدعة الغريبة . في أنفسها : أي في حد ذاتها .

(٢) داراً : أول نظرة .

(٣) صاحب ذلك الأمر الذي ظهر على يديه . بمزية معرفة : بزيادة معرفة امتيازها

عمن لم يقدر عليه .

(٤) صحيح النظر : أي برده بالتأمل والتدبر فيه حتى يعلم إعجازه .

(٥) توفر الدواعي : كثرة ما يدعواهم إلى معارضته ويحثهم عليها ، من الحمية الجاهلية . . .

(٦) منع الله الخلق عنها : بالصرقة ، أو بعدم القدرة على نوعه دون جنسه كما تقدم في

المذهبين . (٧) بمثابة : بمنزلة .

(٨) ارتفاع الزمان عنهم : ألا يكونوا مقعدين ؛ وهو بيان لقدرتهم على القيام .

(٩) أبهر آية : أقوى وأظهر معجزة .

(١٠) ألبابها : عقولها . (١١) بفطنتهم : قوة ذكائهم .

(١٢) وجاءهم من ذلك : أي حصل في نفوسهم من معرفة إعجازه وظهوره على غيره ، على

مقدار إدراكهم وقوته .

مِنَ الْقِبْطِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ لَمْ يَكُونُوا بِهَذِهِ السَّبِيلِ ؛ بَلْ كَانُوا مِنَ الْغِبَاوَةِ  
 وَقِلَّةِ الْفِطْنَةِ بِمِثِّ جَوْزَ عَلَيْهِمْ فِرْعَوْنُ أَنَّهُ رَبُّهُمْ ، وَجَوْزَ عَلَيْهِمُ السَّامِرِيُّ<sup>(۱)</sup> ذَلِكَ فِي  
 الْمِعْجَلِ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ، وَعَبَدُوا الْمَسِيحَ مَعَ إِجْمَاعِهِمْ عَلَى صُلْبِهِ ؛ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ  
 وَلَكِنْ شُبِّهَ<sup>(۲)</sup> لَهُمْ ؛ فِجَاءَتِهِمْ مِنَ الْآيَاتِ الظَّاهِرَةِ الْبَيِّنَةِ الْأَبْصَارِ بِقَدْرِ غِلْظِ أَفْهَامِهِمْ  
 مَا لَا يَشْكُونَ فِيهِ ، وَمَعَ هَذَا<sup>(۳)</sup> فَقَالُوا<sup>(۴)</sup> : « لَنْ<sup>(۵)</sup> نُوْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً<sup>(۶)</sup> .  
 وَلَمْ يَصْبِرُوا عَلَى الْمَنِّ وَالسَّلْوَى<sup>(۷)</sup> ؛ وَاسْتَبَدَلُوا الَّذِي هُوَ أَدْنَى<sup>(۸)</sup> بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ .  
 وَالْعَرَبُ عَلَى جَاهِلِيَّتِهَا أَكْثَرُهَا يَعْتَرِفُ بِالصَّانِعِ<sup>(۹)</sup> ، وَإِنَّمَا كَانَتْ تَتَقَرَّبُ بِالْأَصْنَامِ  
 إِلَى اللَّهِ زُلْفَى<sup>(۱۰)</sup> .

وَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ<sup>(۱۱)</sup> بِاللَّهِ وَخَدَّهَ مِنْ قَبْلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [۱۳۶]  
 بِدَلِيلِ عَقْلِهِ وَصِفَاءِ لُبِّهِ .

(۱) السامري : رجل من بني إسرائيل . وقد أوهمهم أن المعجل ربهم فعبدوه . قال  
 القاري ( ۱ — ۷۶۳ ) : واسمه موسى بن ظفر .  
 (۲) شبه لهم : ألقى شبهه على رجل إسرائيلي ، فظن اليهود أنه عيسى ؛ فصلبوه ؛ أي صلبوا  
 من ألقى عليه الشبه .

(۳) ومع هذا : ومع هذا الظهور . (۴) هذا في ا ، ب .

(۵) سورة البقرة ، آية ۵۵

(۶) جهرة : معاينة بأبصارنا ، لشكهم فيما أتاهم به .

(۷) المن : طل كالعسل ينزل على الأشجار فيجمع ويؤكل . والسلوى : طائر كالسماني .

وكانوا لما خرجوا من التيه قالوا لموسى : أخرجتنا من العمران للقفور ، فادع الله أن

يرزقنا ، فرزقهم المن . ثم سألوه أن يطعمهم من اللحوم ، فأتاهم بالسلوى ، فكانوا يأخذونها  
 بأيديهم ؛ ثم قالوا : لن نصبر على طعام واحد .

(۸) الذي هو أدنى : أي طلبوا بدلا أدنى مما عندهم ، وهو الفول والعدس والبصل .

(۹) بالصانع : أي بوجوده تعالى .

(۱۰) زلفى : قربى ؛ أي لتتقرب إلى الله .

(۱۱) كزيد بن عمرو بن نفيل ، وقس بن ساعدة ، وأمينة بن أبي الصلت .

ولما جاءهم الرسولُ بكتابِ اللهِ فهِمُوا حِكْمَتَهُ ، وَتَبَيَّنُوا بِفَضْلِ إِدْرَاكِهِمْ لِأَوَّلِ  
وَهْلَةٍ <sup>(۱)</sup> مَعْجَزَتِهِ ؛ فَآمَنُوا بِهِ ، وَازْدَادُوا كُلَّ يَوْمٍ إِيمَانًا ، وَرَفَضُوا الدُّنْيَا كُلَّهَا فِي  
صَحْبَتِهِ <sup>(۲)</sup> ، وَهَجَرُوا دِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، وَقَتَلُوا آبَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ فِي نُصْرَتِهِ ، وَأَتَى <sup>(۳)</sup>  
فِي مَعْنَى هَذَا بِمَا يَلُوحُ لَهُ رَوْنَقٌ ، وَيُعْجِبُ مِنْهُ زَبْرَجٌ <sup>(۴)</sup> لَوْ احْتَمَيْجُ إِلَيْهِ [وَحَقَّقٌ] <sup>(۵)</sup> ؛  
لَكِنَّا <sup>(۶)</sup> قَدَّمْنَا مِنْ بَيَانِ مَعْجَزَةِ <sup>(۷)</sup> نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَظُهُورِهَا مَا يُغْنِي عَنْ  
رُكُوبِ بَطُونِ هَذِهِ الْمَسَالِكِ وَظُهُورِهَا <sup>(۸)</sup> .  
وَبِاللَّهِ أَسْتَعِينُ . [ وَهُوَ حَسْبِي ، وَنَعْمَ الْوَكِيلُ ] <sup>(۹)</sup> .

### آخر القسم الأول ، ويليهِ القسم الثاني

- (۱) لأول وهلة : في أول نظرة بالبديهة ؛ يقال : لقيته أول وهلة : أي أول شيء .
- (۲) في صحبته : أي لاختيار صحبته على كل شيء ، أو بركة متابته .
- (۳) وأتى : أي هذا القائل الذي غاب عنه ماتقدم .
- (۴) يلوح : يظهر . رونق : لفظ حسن . والزبرج : الزينة والوشى الذي هو كالطلاء .  
وفي هامش ا : الزبرج : الزينة . وهو أيضا الذهب .
- (۵) حقق : بينت حقيقته . وليس ما بين القوسين في ب .
- (۶) في ب : ولكنا .
- (۷) في ب : معجزات .
- (۸) يريد ما يغني عن ادعاء مثل هذه الأمور .
- (۹) ليس في ا .

